
دير القديس أنبا مقار

الإنجيل
بحسب القديس لوقا

دراسة وتفسير وشرح

الأب متى المسكين

كتاب: الإنجيل بحسب القديس لوقا: دراسة وتفسير وشرح
المؤلف: **الأب متى المسكين**
الطبعة الأولى: **1998**

مطبعة دير القديس أنبا مقار ـ وادي النطرون.
صندوق بريد 2780 القاهرة.
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: 97/3885
رقم الإيداع الدولي: I.S.B.N 977-240-056-1

اعتراف بالفضل لذويه

لقد طُبع هذا الكتاب في مطبعة دير القديس أنبا مقار بوادي النطرون، وقام بالإشراف على مراحل طبع الكتاب بداية من النسخة الخطّية وإعادة تنقيحها وإصلاح الأخطاء فيها، ومراجعة القواعد العربية ونحو الكلام، ومراجعة الآيات بالعربية، ثم اليونانية، وإعادة تبويب الكتاب وتنسيق فصوله؛ ثم إخراجه على آلة الكمبيوتر ثم الطابعة بالليزر، بالإضافة إلى عمليات التصوير للوحات الواردة بالكتاب من تصوير وتحميض وتكبير وتصغير، ثم الحفر على اللوحات المحسَّسة للطباعة، ثم دخوله للطبع على آلة الطباعة الأُوفست، ثم تطبيق أفرخ الورق المطبوع كملازم، ثم تخييط الملازم معاً ثم التجليد؛ كل هذا قام به الآباء الرهبان الأعزاء الأجلاء، بما استلزم من جهد وصبر ودقة وفن بلغ على أيديهم أقصى إتقانه.

ونحن إذ نذكر أسماءهم وهم في غِنًى عن الذكر والذكرى، فسيرتهم مكتوبة في السموات؛ ولكن يطيب لقلب الكاتب أن ينسب الفضل لأصحابه، فلولاهم ما خرج هذا الكتاب، وما استمتع القارئ بهذا الإخراج البديع. كان هذا في فاتحة كتاب: «شرح إنجيل القديس يوحنا» وقد تابعوا إخراج هذا الكتاب "**الإنجيل بحسب القديس لوقا: دراسة وتفسير وشرح**" بنفس الروح وبدافع شركة المحبة التي تجمعنا دائماً.

(الآباء بحسب ترتيب أقدميتهم الرهبانية، ودور كل راهب في إخراج الكتاب)

الأب إرميا: مراجعة البروفات والقواعد العربية ونحو الكلام.
الأب يوحنا: مراجعة البروفات، وصياغة الفهرس الموضوعي.
الأب وديد: تنقيح النسخة الخطية ومراجعة الآيات باليونانية وإعادة تبويب الكتاب وتنسيق فصوله.
الأب باسيليوس: المراجعات الفنية في مراحل جمع وطبع الكتاب.
الأب ديمتري: نسخ النسخة الأُولى عن المسوَّدة التي بخط المؤلِّف.
الأب برتي: مراجعة البروفات وعمل فهرس الآيات وفهرس الآباء.
الأب لونجينوس: آلة الطباعة الأُوفست ـ آلة تطبيق الملازم ـ آلة القص ـ التجليد.
الأب دوروثيئوس: آلة الطباعة الأُوفست ـ آلة تطبيق الملازم ـ آلة القص ـ التجليد.
الأب أخنوخ: جمع النص على الكمبيوتر.
الأب يسطس: جمع النص على الكمبيوتر.
الأب دوماديوس: مضاهاة بروفات الجمع على الكمبيوتر على الأصول المنسوخة للكتاب.
الأب زكريا: تجهيز لوحات الطباعة.
الأب إبيفانيوس: مراجعة البروفات على الكمبيوتر.
الأب جيروم: آلة الطباعة الأُوفست ـ آلة تطبيق الملازم ـ آلة القص ـ التجليد.

وأخيراً ـ نستودع هذا الكتاب بالمجهود المبذول فيه ليد القارئ، داعين له بالبركة، راجين الله أن يستخدمه لزيادة المعرفة والتقوى وتمجيد اسم الله القدوس.

دير القديس أنبا مقار

تذكار شهادة التسعة والأربعون شهيداً شيوخ شيهيت

3 فبراير سنة 1997م. والموافق 26 طوبة سنة 1713ش.

المحتويات



شرح الإنجيل

فهارس الكتاب

Bibliography

On the Gospel of St. Luke

Bliss, G. R. *Commentary on the Gospel of Luke* (Philadelphia: American Baptist Publication Society, 1884).

Cadbury, H. J. *The Making of Luke-Acts* (New York: Macmillan, 1927).

Caird, G. B. *The Gospel of St. Luke* (Pelican Gospel Commentary; Baltimore: Penguin, 1963).

Conzelmann, H. *The Theology of St. Luke* (New York: Harper & Brothers, 1960).

Creed, J. M. *The Gospel according to St. Luke: The Greek Text, with Introduction, Notes and Indices* (London: Macmillan, 1930).

Ellis, E. E. *The Gospel of Luke* (Century Bible; London: Nelson, 1966; 2d ed. London: Oliphants, 1974).

Farrar, F. W. *The Gospel according to St. Luke* (Cambridge Bible for Schools and Colleges; Cambridge: University Press, 1888).

Fitzmyer, J. A. *The Gospel according to Luke* (2 vols.; The Anchor Bible; New York: Doubleday, 1981).

Geldenhuys, N. *Commentary on the Gospel of Luke: The English Text with Introduction, Exposition and Notes* (New International Commentary on the New Testament; Grand Rapids: Eerdmans, 1951; repr. 1983).

Heading, J. *Luke's Life of Christ* (Ontario: Everyday, 1981).

Luce, H. K. *The Gospel according to St. Luke, with Introduction and Notes* (Cambridge: University Press, 1936).

Marshall, I. H. *Luke: Historian and Theologian* (Grand Rapids, MI: Zondervan, 1970).

____, *The Gospel of Luke, A Commentary on the Greek Text* (Grand Rapids:

Eerdmans, 1979).
Meyer, H. A. W. *Critical and Exegetical Handbook to the Gospels of Mark and Luke* (tr. from the 5th Germ. ed. by R. E. Wallis; Edinburgh: Clark, 1880; repr. Peabody: Hendrickson, 1983).
Morgan, G. C. *The Gospel according to Luke* (New York: F. H. Revell, 1931).
Morris, L. *The Gospel according to St. Luke: An Introduction and Commentary* (Grand Rapids: Eerdmans, 1974; repr. 1979).
Plummer, A. *A Critical and Exegetical Commentary on the Gospel according to St. Luke* (Edinburgh: Clark, 1896; repr. 1964).
Ross, J. M. E. *The Gospel according to St. Luke* (3 vols.; A Devotional Commentary; London: The Religious Tract Society, no date).
Spence, H. D. M. *The Gospel according to St. Luke* (The Pulpit Commentary, vol. 16; Grand Rapids: Eerdmans, repr. 1980).
Schweizer, E. *The Good News according to Luke* (tr. from the German by D. E. Green; Atlanta: Knox, 1984).
Talbert, C. ed. *Perspectives on Luke-Acts* (Special Studies Series 5; Edinburgh: Clark, 1978).
Taylor, G. A. *St. Luke's Life of Jesus Retold in Modern Language* (New York: Macmillan, 1955).
Taylor, V. *The Passion Narrative of St. Luke, A Critical and Historical Investigation* (Society for New Testament Studies, Monograph Series 19; Cambridge: University Press, 1972).
Tiede, D. L. *Luke* (Augsburg Commentary on the New Testament; Minneapolis: Augsburg, 1988).
Tinsley, E. J. *The Gospel according to Luke* (The Cambridge Bible Commentary; Cambridge: University Press, 1965).
Zahn, T. *Introduction to the New Testament* (3 vols.; Eng Tr.; Edinburgh: Clark, 1909; repr. Grand Rapids, 1953; 1st Germ. ed. 1900).

تقديم

فخر القديس لوقا الإنجيلي

إنجيلي حَمَلَ السر الأقدس الذي حملته العذراء بحكمة بالغة، وأعطانا سرّ العذراوية الذي تفتخر به العقيدة الإيمانية فوق كل العقائد قاطبة. والذي يود أن يعرف سر لاهوت المسيح فليعُدْ إلى العذراء مريم أمّه وما سمعته من الملاك: «الروح القدس يحل عليك، وقوة العلي تظلّلكِ، فلذلك أيضاً القدوس المولود منكِ يُدعى ابن الله» (لو 35:1). استودعته في قلبها، والذي في قلبها استودعته للقديس لوقا الوحيد الذي سمع ووعى، وأسمعنا ما سمع حتى نكون شركاء هذا السر السماوي الذي عليه انبنى الإنجيل واللاهوت معاً ... إنسان، نعم إنسان، ولكنه مولود من الروح القدس والعذراء، فكانت أول ولادة عُرفت أن تكون للإنسان من مصدر إلهي ليعفيه من أبوَّة آدم التي أشقته بالخطية، وعوض حواء أم المعصية اختار الله لنفسه عذراء قديسة لتكون أمًّا لابنه ولكل مَنْ آمن بالمولود معجزة السماء والأرض.

وهكذا في ابنه تبنَّى الله البشرية قاطبة، كل مَنْ آمن، ومن جسده بعد أن دُقَّتْ خطايانا فيه على الخشبة ومات به وقام، كرَّس لنا طريقاً حديثاً حيًّا صاعداً إلى الأقداس. فأصبح لنا، أيها الإخوة، ثقة بالدخول بدمه إلى الأقداس العليا للترائي أمام وجه الآب بعد المصالحة العظمى التي أتمَّها الابن لحسابنا مع أبيه.

إن القديس لوقا حَمَلَ سر الميلاد وسر القيامة بأعظم ما يحمله إنجيلي.



المقدِّمـة
القديس لوقا الإنجيلي(1)

شخصية القديس لوقا الإنجيلي يقدّمها سفر الأعمال ـ الذي هو أيضاً من تأليفه ـ إذ يتعرَّض عفوياً لحياته وتنقلاته وصفاته بوضوح. كذلك يقدّمها ق. بولس في رسائله إذ أن ق. لوقا كان زميله في الأسفار وطبيبه الخاص ومؤرّخ رحلاته، وسوف نأتي عليها جميعها، ويتعرَّض فيها ق. بولس عفوياً لحياة ق. لوقا وتنقلاته وصفاته بوضوح.
ويأتي ذكر ق. لوقا مبكّراً قبل السنة الأولى لخدمة ق. بولس مع برنابا في أنطاكية في حادث تنبُّؤ النبي أغابوس عن المجاعة (أع 11:28)(2)، وذلك قبل أن يعتلي الإمبراطور كلوديوس العرش في يناير سنة 41م. ويُعتقد أن ق. لوقا كان قد صار عضواً في كنيسة أنطاكية في سنة 40م ـ بحسب أبحاث العالِم الألماني زاهن(3). ويُستفاد من هذه التواريخ أن ق. لوقا لم يتنصَّر على يد ق. بولس الذي لم يظهر في أنطاكية إلاَّ سنة 43م. والمعتقد بحسب العالِم زاهن أيضاً أن ثاوفيلس كان أحد كبراء مدينة أنطاكية الذي تنصَّر في العصر الرسولي.

أمَّا التقليد الكنسي بالنسبة لشخص القديس لوقا فيبدأ من القديس إيرينيئوس(4) حيث يذكر بوضوح أنه كاتب الإنجيل "حسب لوقا" كتقليد رسولي. كما اعتاد الشهيد يوستين أن يرجع إلى مخطوطة كانت أمامه أسماها: "المذكرات" ApomnhmoneÚmata - Memoirs' وهي ذكريات الرسل، باعتبارها حجة رسمية تحمل كل ما جُمع عن المسيح. وبفحص كل ما استقاه يوستين من هذه الوثيقة ظهر أنها تحمل تقريباً كل ما جاء في إنجيل ق. متى وإنجيل ق. لوقا. وفي كتابه (*Dial.* 103, 19)

(1) راجع كتاب: "شرح سفر أعمال الرسل" للمؤلِّف، صفحة 34 وما يليها.

(2) جاءت هذه الآية (أع 11:28) في النسخة الغربية هكذا: «حيث **كنا مجتمعين معاً** قال واحد منهم اسمه أغابوس ...» راجع كتاب: "شرح سفر أعمال الرسل" للمؤلِّف، صفحات 35 و37 و514 و515.

(3) T. Zahn, *Introduction to the New Testament,* 3vols.; Eng. Tr. Edinburgh, Clark, 1909, repr. Grand Rapids, 1953, (1st Germ. ed. Leipzig, 1900); vol 3, p. 2.

(4) Irenaeus, *Haer.* III, 14, 1.

يقول: إن هذه المذكرات "Memoirs" قد جُمعت "بواسطة الرسل والذين رافقوهم". ويقول العالِم كريد J. Martin Creed: إن المقصود من "الذين رافقوهم" هما ق. مرقس وق. لوقا. كما يعرّف ق. لوقا أنه تابع للقديس بولس، وق. مرقس تابع للقديس بطرس. وهذا حقيقي إلى حد بعيد لأن شخصية القديس لوقا الطبيب لم تظهر أيام الرسل وكانت غير معروفة في التقليد الأول.

ويأتي المؤرّخ يوسابيوس بعد ذلك(5) وجيروم وثيئوفيلاكت ليقرروا أنه مواطن من أنطاكية بسوريا الأمر الذي يقرّه كل العلماء المحدثين، ولكن دون براهين إضافية.

وفي كتاب مصباح الظلمة لابن كبر نجد التفريق واضحاً بين ق. لوقا ولوكاس الآخر (غير الإنجيلي) حيث يقول: "إن كليهما كانا من السبعين رسولاً"، وهذا في الحقيقة ينقصه البرهان، كما يقول: "إن لوكاس (ليس الإنجيلي) قد استشهد على يد نيرون الملك بعد استشهاد الرسولين بطرس وبولس"(6).

وأمَّا عن الإنجيلي فيقول إن Loukac:

[الطبيب الأنطاكي تعب مع بولس الرسول كثيراً جداً وطاف معه وكتب الإنجيل وكتاب قصص الرسل، وهو المذكور في رسالة كولوسي: «يسلّم عليكم لوقا الطبيب الحبيب وديماس» (كو 4:14). وكرز في بلاد اليونان وتنيَّح في بلدة تيباس Qhpec البيوتياس Biwtiac في بابه في عهد طرايانوه Traianou الملك.](7)

كما يفرّق التاريخ بين لوقا الطبيب ولوكيوس القيرواني (أع 13:1)، كما يلزم أن نفرّق بينه وبين لوكيوس المذكور في (رو 16:21): «يسلّم عليكم تيموثاوس العامل معي ولوكيوس وياسون وسوسيباترس أنسبائي»

ويتضح من رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسي ـ كما يقول العالِم ماير(8) من الآية (11و14) في الأصحاح الرابع ـ إن القديس لوقا ليس أصلاً من أهل الختان. ولكن يقول

---

(5) Euseb., *H. E.* iii. 4. 7.

(6) مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة لأبو البركات بن كبر ـ طبعة مكتبة الكاروز سنة 1971 صفحة 97 ـ الباب الرابع (أسماء السبعين تلميذاً).

(7) شرحه: صفحة 103. ويُلاحَظ أن ابن كبر يقول إنه أخذ هذه المعلومات نقلاً عن مصادر يونانية.

(8) Meyer, *op. cit.*, p. 217.

ق. جيروم(9) إنه ربما كان دخيلاً على اليهودية قبل قبوله الإيمان المسيحي. ولكن ق. يوستين يرجّح أنه انتقل من الوثنية إلى المسيحية مباشرة(10).

ويقول أحد المؤرّخين القدامى المدعو نيسيفوروس كالستوس (القرن الرابع عشر) عن مصادر سابقة له إن ق. لوقا كان رسَّاماً، وينقل لنا التقليد المتأخّر نوعاً ما أنه هو الذي رسم صورة العذراء القديسة مريم الموضوعة الآن في كنيسة Santa Maria Maggiore بروما، وقد رسمها ق. لوقا حسب التقليد في أُورشليم وأُرسلت من أُورشليم إلى القسطنطينية حسب طلب الإمبراطورة أفدوكية سنة 440م(11). لذلك يُحتسب القديس لوقا شفيع الرسَّامين.

ولكن لا يُعرف متى قبلَ ق. لوقا الإيمان المسيحي وأين كان ذلك.

واحتساب ق. لوقا من السبعين رسولاً لم يدخل التاريخ الكنسي إلاَّ في أيام ق. إبيفانيوس(12)، ولكن من مطلع إنجيل ق. لوقا (1:1) يتضح أنه لم يكن شاهد عيان لأيٍّ من مدوَّنات إنجيله، وبالتالي استحالة أن يكون من السبعين رسولاً.

ومعروف أن ق. لوقا كان ذا اعتبار عالٍ جداً عند ق. بولس كمرافق ومعين وطبيب وكارز، وقد انضم ق. لوقا للقديس بولس في رحلته الثانية من ترواس وبقي معه حتى النهاية.

وتبدأ زمالة ق. لوقا مع القديس بولس من فم ق. لوقا هكذا:

+ «وظهرت لبولس رؤيا في الليل: رجلٌ مكدوني قائم يطلب إليه ويقول: اعبُر إلى مكدونية وأَعِنَّا! فلمَّا رأى الرؤيا للوقت طلبنا (بصيغة الجمع إذ يضيف ق. لوقا نفسه إلى ق. بولس) أن نخرج إلى مكدونية، متحققين أن الرب قد دعانا لنبشّرهم. فأقلعنا (بالجمع) من ترواس وتوجَّهنا بالاستقامة إلى ساموثراكي، وفي الغد إلى نيابوليس.» (أع 16: 9-11)

كذلك نسمع أنه كان مرافقاً للقديس بولس في **رحلته الثالثة** في ترواس وميليتس ... إلخ حتى أُورشليم:

+ «وأمَّا نحن فسافرنا في البحر بعد أيام الفطير من فيلبي، ووافيناهم في خمسة أيام إلى ترواس

(9) *De viris illustribus*, 7.

(10) Just., *Dial.*, cxxii.

(11) T. Zahn, *op. cit.*, p. 7; Nicephorus, *H. E.* II, 43; PG LXXXVI, 165. See Plummer, *op. cit.*, p. XXI, XXII.

(12) Epiphan., *Haer.*, II. 12.

(العودة)، حيث صرفنا سبعة أيام ... (وفي أُورشليم) دخل بولس معنا (بالجمع لوقا وبولس) إلى يعقوب وحضر جميع المشايخ.» (أع 20: 6ـ18:21)

ولمَّا دخل ق. بولس السجن في قيصرية كان ق. لوقا معه: «وأمر قائد المائة أن يُحرس بولس وتكون له رخصة وأن لا يَمْنَعَ أحداً من أصحابه (ق. لوقا) أن يخدمه أو يأتي إليه» (أع 23:24) كما رافقه في سجن روما: «يُسلِّم عليكم لوقا الطبيب الحبيب وديماس ... السلام بيدي أنا بولس، اذكروا وُثقي (في السجن) ... [كُتبت إلى أهل كولوسي من **رومية**].» (كو 4: 14و18)

ومرَّة أخرى يذكر ق. بولس الذين بقوا معه في سجن روما: «مرقس، وأرسترخُس، وديماس، ولوقا العاملون معي. نعمة ربنا يسوع المسيح مع روحكم. آمين [إلى فليمون كُتبت من رومية]» (فل 24و25)؛ أمَّا آخر خبر فيأتينا من فم ق. بولس وهو في سجن روما هكذا: «لأن ديماس قد تركني إذ أحبَّ العالم الحاضر وذهب إلى تسالونيكي، وكريسكيس إلى غلاطية، وتيطس إلى دلماطية. لوقا وحده معي. خذ مرقس وأحضره معك لأنه نافع لي للخدمة.» (2تي 4: 10و11)

وإلى هنا تنقطع أخبار ق. لوقا نهائياً من سفر الأعمال وبقية الإنجيل.

أمَّا أين تُوفِّي ق. لوقا فلا يوجد مصدر موثوق به، ولكن يذكر ق. جيروم أن عظامه قد أُخذت من أخائية من بلدة تيبه Thebes في بوؤتيا Boeotia إلى القسطنطينية في زمان ولاية قسطنطيوس الثاني في سنة (356 - 357م)، واستودعوها كنيسة الرسل التي بُنيت خصيصاً بعد نقلها(13). علماً بأن ق. لوقا لم يتزوَّج وبقي طول حياته بدون ختان، وكتب إنجيله كما يقول قاموس أكسفورد في اليونان وتوفّي في عمر متقدّم في الرابعة والثمانين، ويقول خطأً القديس غريغوريوس النزينزي إنه مات شهيداً. والعالِم أوريجانوس أول مَنْ اكتشف شخصيته في قول ق. بولس الرسول بنوع من التخفِّي: «وأرسلنا معه **"الأخ"** الذي مدحه في الإنجيل (إنجيل لوقا) في جميع الكنائس» (2كو 18:8)(14) . مما يؤكّد لنا أن ق. لوقا كان وقتها قد كتب إنجيله وبدأ أن يُقرأ في الكنائس كأمر مقطوع به في التقليد. ومعروف أنه شفيع الأطباء.

(13) J. M. Creed, *op. cit.*, p. XXI.

(14) T. Zahn, *op. cit.*, Vol. 3, p. 6.

إنجيل القديس لوقا

فكرة عامة عن إنجيل القديس لوقا:
أول ما نريد أن نلفت إليه نظر القارئ هو أن ق. لوقا وضع في صميم خطة تأليفه للإنجيل أن يلحقه بكتاب سفر أعمال الرسل. فمن هذه الزاوية يصبح إنجيل ق. لوقا ذا اعتبار تاريخي ولاهوتي هام جداً في الكنيسة، فهو يضع أسس التقليد العبادي مع تاريخ منشأ ونمو الكنيسة بكل عبادتها وتقاليدها، مكمّلاً ما قدّمه ق. مرقس من أصول التقليد الأولى في العقد الأول من تاريخها.
لذلك يُعتبر إنجيل ق. لوقا أغنى الأناجيل وأكبرها حجماً وهذا بسبب جمعه لمواضيع مختلفة كثيرة اختص بها ق. لوقا من مصادره الخاصة جداً. وهذه المواضيع الخاصة به استقاها من البيئة اليهودية عندما زار فلسطين بمعيَّة بولس الرسول بين سنة 57، 59م، وفي هذه المدة انفتح هذا الإنجيلي الأممي للفكر والتراث اليهودي من مصدر الكنيسة الأم أورشليم، واستقى من التقليد اليهودي ما أثرى إنجيله وأعطاه الأساس الإلهامي المنفتح بالروح على خبرات حيَّة نلحظها بسهولة تملأ إنجيله وتلوّن الصفات التي ازدحمت بها أعماله. ولكن الأمر الذي يبلغ بنا إلى حد العجب أن يكون هذا الأممي على مستوى من القدرة لهضم التراث والميراث اليهودي المسيحي بهذه الصورة الفائقة الوصف.
ويعتمد إنجيل ق. لوقا على التوسُّعفي شرح تعاليم المسيح عموماً، ولكنه يختص ويركّز على التسلسل التاريخي في استعلان ملكوت الله بحذق ومهارة تاريخية ولاهوتية بآن واحد، معتمداً على قصد المسيح في الكشف عن ملكوت الله بسعة وباتصال وثيق ليبلغ الشعب إلى فهم إرادة الله نحو الفداء الذي سيكمّله. وفي هذا كله لا يقدّم إنجيل ق. لوقا تعليماً جديداً للمسيح عن الملكوت منفصلاً عن إرادة الله المرسومة في جميع الأسفار القديمة، ولكن يكشف عن إرادة الله في شخص المسيح التي إذا قبلها الشعب يبلغ الهدف المقصود الموضوع بقياس دقيق ليدخل في صميم حياة الناس. ولكنه التزم بالوثائق والتحقيقات الشفهية.
وفي مسار الحديث عن الملكوت تدخل تعاليم المسيح الجديدة والأساسية المرتبطة بالملكوت من جهة محبة الأعداء ومواجهة الشر بالخير وإنكار الذات حتى إلى التسليم، وتُتوَّج الأعمال كلها **بالميلاد الجديد الذي يهب البنوَّة لله** كما يتمناه الله للإنسان، وهو أقصى ما يحتاجه الإنسان وهو

السر الذي جاء المسيح ليكشفه ويكمّله بآن واحد.
وفي الواقع يُعتبر تأليف ق. لوقا لإنجيله نوعاً جديداً من الارتفاع بالتاريخ في التحرير إلى مستوى الدقة والثقة بسبب دقة وكثرة المراجع التي كان يرجع إليها. فالقديس لوقا له حاسة تاريخية يستخدمها بيقظة عقلية وفي تخطيط دقيق لكل حادثة كاشفاً عن طبيعة الأمور وأهميتها، ولكن تحت قيادة وضبط إلهي حتى أن الإيحاء الإلهي يظهر بوضوح. لأن رؤية ق. لوقا العامة للأسفار المقدَّسة أنها خُطة إلهية سجَّلها التاريخ ووعاها الإنسان.
والتاريخ المقدَّس إنما هو تعبير عن عمل الله في محيط الإنسان، لذلك وعلى هذا الأساس كان ق. لوقا يؤرِّخ للمسيح بطريقة لا يجاريه فيها أحد، بالرغم من نقد اللاهوتيين الذي لا نهاية له.
ويلذ لبعض المؤرِّخين اللاهوتيين اعتبار ق. لوقا أنه يؤرِّخ للخلاص ويعطي النماذج الأولى الحية في سفر الأعمال موضِّحاً تكميل الوعد واستعلان صدق الله في شخص يسوع المسيح، وطرح محبته ورحمته المجانية على البشرية البائسة.
وقد امتاز ق. لوقا باتساع ثقافته التي ألبسها لتعبيراته، كما يمتاز بأسلوبه الأدبي البديع. وكما سبق وقلنا إن إنجيل ق. لوقا يُحسب الجزء الأول من تأليف ق. لوقا الإنجيلي حسب التقليد الكنسي، لأن سفر الأعمال يجيء مكمِّلاً للإنجيل ولا غنى عنه، بالرغم من أن إنجيل ق. يوحنا يفصلهما عن بعض اضطراراً، لجعل الأناجيل الأربعة تسبق سفر أعمال الرسل.
وقد تثبَّت ببحث علماء متخصِّصين وحدة إنجيل ق. لوقا وسفر الأعمال تحت يد واحدة وأسلوب ولغة وتخطيط واحد(15) بواسطة العلماء هاوكينز(16)، وكادبري(17)، ونوكس(18). وكثيرون الآن يعتبرون ق. لوقا ليس فقط مؤرِّخاً ولاهوتياً بل وأديباً أيضاً. فإنجيله وسفر الأعمال معاً يطرحهما في العالم كله ليكونا مرجع المسيحية بلاهوتها وتاريخها على مستوى كل الأمم.
ودارس اللاهوت المدقّق يستحيل عليه دراسة اللاهوت في إنجيل ق. لوقا وحده، فسفر الأعمال يدخل في نسيج ق. لوقا اللاهوتي بصورة غير منفصمة.

---

(15) راجع كتاب: "شرح سفر أعمال الرسل" للمؤلِّف، صفحة 28 وما يليها.
(16) J. C. Hawkins, *Horae Synopticae*, Oxford, 1909, pp. 174-193.
(17) H. J. Cadbury, *The Making of Luke-Acts*, New York, 1927.
(18) W. L. Knox, *The Acts of the Apostles*, Cambridge, 1948, p. 14.

والملفت للنظر جداً أن ق. لوقا يلتصق بالتقليد الكنسي التصاقاً مدهشاً دقيقاً وأصيلاً في الأصحاحات الأولى من سفر الأعمال (1ـ12) بصورة أكثر من كل ما قدَّم في إنجيله عن تعاليم المسيح، مما يجعل ما دوَّنه ق. لوقا في الأصحاحات (1ـ12) من سفر الأعمال المصدر الوحيد والكامل للتقليد الكنسي الذي يتحتَّم على الكنيسة الآن أن تُعيد دراسته بدقة وتهتدي بأصوله الروحية واللاهوتية، وتجعله كمحفوظات يحفظها الإنسان المسيحي قبل أن يشب عن الطوق لتصبح الكنيسة مرَّة أخرى امتداداً واقعياً لكنيسة الرسل، وتجعل من مادته مادة إنجيلية مكمِّلة لتعاليم المسيح، ذلك إن أرادت الكنيسة أن تستعيد مجد تراثها وتقليدها الروحي.

اللغة التي كتب بها القديس لوقا إنجيله(19):

بعد تحليل العالِم كادبري(20) وجد أن الاصطلاحات اليونانية تضاهي أفضل الأدبيات اليونانية القديمة، ويحسبها العلماء أنها أفضل لغة دوِّنت بها أسفار العهد الجديد. كما شهد العالِم متسيجر(21) أن أدبيات ق. لوقا في إنجيله تُحسب الأعلى في كل الكتابات.

وبسبب بساطة لغة ق. مرقس كان ق. لوقا يضطر إلى تهذيبها والارتقاء بمستوى ما يأخذه عنه مع تغيير بعض الكلمات والمصطلحات حتى يرتفع ق. لوقا إلى مستوى لغة القوم في أيامه. كما اضطر لحذف بعض الكلمات التي تبدو غير مفهومة عند الأمم مثل "أوصنا" و"أبّا"، كما ترجم بعض الكلمات الأرامية إلى ما يقابلها باليونانية مثل الغيور zhlwt«n (لو 6 : 15) بدل القانوي (مر 3 : 18)، والمعلّم بدل "رابّي"، والجمجمة Kran…on (لو 23 : 33) بدل جلجثة. ولكن أظهر ما وضح من دراسة أسلوب وطريقة ق. لوقا في إنجيله هو أن اهتمامه في الكتابة كان منصبًّا على الصياغة اللاهوتية بالنهاية.

العبرية في لغة القديس لوقا(22): ولكن من الواضح أن ق. لوقا يستخدم اصطلاحات عبرية مترجمة إلى اليونانية، وعلى سبيل المثال ما يكرره كثيراً: «وقد حدث أن » ™gšneto كذلك فإن الأصحاح الأول ما عدا المقدّمة والأصحاح الثاني يُحتسب أنه منقول نقلاً حرفياً مترجماً من مخطوطة

(19) راجع كتاب: "شرح سفر أعمال الرسل" للمؤلِّف، صفحة 48 وما يليها.

(20) H. J. Cadbury, *The Style and Literary Method of Luke,* Harvard Theological Studies, 6, 1920, pp. 36-39, cited by E. Ellis, *op. cit.,* p. 2.

(21) B. M. Metzger, *The Interpreter's Bible,* Vol. VII, p. 47.

(22) راجع كتاب: "شرح سفر أعمال الرسل" للمؤلِّف، صفحة 35و49.

عبرية، أو بحسب ظننا ترجمة فورية عن أشخاص عبرانيين كانوا شهود عيان مثل العذراء القديسة مريم، كذلك تماماً الأصحاحات من الأول إلى الثاني عشر من سفر الأعمال لها صبغة عبرية واضحة، والسبب في ذلك أن ق. لوقا استطاع أن يحتفظ بأسلوب مصادره العبرية في الترجمة(23). كما يُلاحَظ أن ق. لوقا يستخدم بوضوح لغة واصطلاحات السبعينية لأنها تتمشَّى مع أسلوبه التاريخي في سرد الحوادث المقدَّسة، وهذا يُحتسب له براعة وتوفيقاً نادراً(24).

لغة القديس لوقا غنية بالمصطلحات الخاصة به وحده: ينفرد ق. لوقا بأسلوبه وتعريفاته الخاصة مستخدماً كلمات كثيرة لم ترد في العهد الجديد إلاَّ في إنجيله. وقد جمعها العلماء في 266 كلمة ما عدا أسماء الأعلام، وأمَّا ما انفرد به ق. مرقس فهو 116 كلمة وما انفرد به ق. متى 79 كلمة(25).

مصادر إنجيل القديس لوقا:

يبتدئ ق. لوقا إنجيله (1: 1-4) بمقدّمة تعطيه الصفة الرسمية باعتباره تجميعاً لنصوص وحقائق على أساس تقليد يقوم على الرؤية العينية، ومن أفواه خدَّام رسميين للكلمة، حيث يقصد التلاميذ والرسل الذين يتتبعهم في سفر الأعمال بشخصياتهم وأقوالهم وطبائعهم وكرازتهم. فهو يقدّم تسجيلات تاريخية موقّعة على هيئة أحداث وتعاليم، بعد فحص ومتابعة ومثابرة متأنية استترت وراء الحوادث، ولكن تنطق بقدرة ق. لوقا كمؤرّخ وباحث مُلهم لا يكتفي بالعرض والتسجيل ولكنه يصنع من العرض والتسجيل بشارة إلهية مفرحة تحمل معياراً لاهوتياً عالي المستوى.

فالقديس لوقا في إنجيله على مستوى الإنجيل الذي يكتبه، فهو لاهوتي يسجّل لاهوتيات، وفي هذا يهدف أن يقدّم خبراً صحيحاً دقيقاً كاملاً محقّقاً على مستوى الصدق والحق معاً، بترتيب ينطق بعبقرية النظام والتتابع الإلهامي.

وهو كغيره من الإنجيليين يقدّم تقليداً رسولياً، غير أنه يخفي علاقة لاهوتية وفكرية تعليمية بالقديس بولس الرسول لا يسهل العثور عليها مباشرة، فهي منسوجة مع روايته.

وفي نفس الوقت يحمل مصادر واضحة ومباشرة من إنجيل ق. مرقس بألفاظها وأسلوبها، فلغة ق. مرقس تكشف هوية صاحبها شاء الناقل أو لم يشأ.

---

(23) M. Wilcox, *The Semitisms of Acts,* Oxford, 1965, pp. 180-184; F. F. Bruce., *The Acts of the Apostles,* 1951, pp. 18-21.

(24) W. Grundmann, *Das Evangelium nach Lukas,* Berlin, 1959, p. 23, cited by E. Ellis, *op. cit.,* p. 3.

(25) R. Morgenthaler, *Statistik des Neutestamentlichen Wortschätzes*, Frankfurt am Main, 1958, p. 170, cited by Leon Morris, *op. cit.,* p. 27 n.1.

والعالِم جوانس وايس الذي فصَّص إنجيل ق. لوقا تفصيصاً علمياً قائماً على أساس بحثي متين قد وجد أننا: [إذا استثنينا الأصحاح الأول والثاني، ثم الخاتمة التي تبدأ من (9:24) حتى النهاية، ثم بإخراج الجزء من (20:6) حتى (3:8) والآخر من (51:9) حتى (8:14)، يكون كل ما بقي من إنجيل لوقا بأكمله سواء في ترتيبه أو صيغته الخاصة جداً هو اعتماد كلي على إنجيل ق. مرقس.](26)

أمَّا إنجيل القديس متى كمصدر استقى منه القديس لوقا في إنجيله، فالعالِم أ. هـ. و. ماير يؤكّد أن ق. لوقا اعتمد على القديس متى في الأجزاء غير الموجودة عند القديس مرقس، ولكن وايس خالفه في ذلك(27). إذ يقول وايس إن القديس لوقا استقى الأقوال من مصادر رسولية أقدم من إنجيل متى، والتي تحتوي على مادة تاريخية أكثر من إنجيل ق. متى. أمَّا أماكن أخْذ القديس لوقا من هذه المصادر الرسولية الأقدم فهي معروضة في الأجزاء التي تضمَّنها ق. لوقا في إنجيله والتي ذكرناها أعلاه، وقد نقلها ق. لوقا بوضعها وألفاظها ونظامها. ويقرِّر العالِم نورتون(28) أن إنجيل القديس لوقا لا نجد فيه سوى عُشره فقط منقولاً بحروفه من بقية الأناجيل، والتسعة أعشار الأخرى هي من صياغته الخاصة. وبالتحليل الدقيق قد لا تزيد النسبة عن واحد على عشرين، حيث قصد ق. لوقا في الأجزاء التي اقتبسها من الأناجيل الأخرى أن يكتبها بلغته الخاصة ويعيد صياغة الترجمة ليعطيها صفة الأصالة التي التزمها على نفسه.

وبالرغم من أن مادة إنجيل ق. لوقا تبدو ضعف ما حواه ق. متى وق. مرقس، إلاَّ أنه اعتمد في هذا عليهما كليهما ولكن بأسلوبه الخاص.

أمَّا فيما غير الإنجيليين متى ومرقس كمصادر لإنجيل ق. لوقا فتقف أقوال الرسل أنفسهم، إمَّا الشفاهية أو المكتوبة، كمصدر ثالث هام للغاية. فإنجيل ق. لوقا يحمل الأصالة الرسولية الرسمية بكل تأكيد، ذلك بشهادة الكنيسة الأولى خاصة ما جاء في القوانين الرسولية. علماً بأن علاقة ق. لوقا بالقديس بولس تُبرز ذاتها بكل تأكيد، وقد انحدر إلينا رسمياً من أقوال القديس إيرينيئوس ما يؤكّد هذا:

[ولكن لوقا وهو رفيق بولس وضع في كتابه الإنجيل الذي كان بولس يبشِّر به.](29)

وهذا الأمر نفسه لفت نظر كل من أوريجانوس ويوسابيوس وجيروم، إذ رأوا أن إنجيل ق. لوقا إنما

---

(26) J. Weiss, cited in A. H. W. Meyer, *op. cit.*, p. 225.

(27) A. H. W. Meyer, *op. cit.*, p. 225.

(28) Norton, *Genuineness of the Gospels,* cited in A. H. W. Meyer, *op. cit.*, p. 225.

(29) Irenaeus, *Haer.* iii. 1.1; iii. 14. 1 f.

تخطّط حاملاً اصطلاحات ق. بولس الذي كان يسمّيه ق. بولس **«إنجيلي»**[30] (رو 16:2). ويقيناً اطّلع ق. لوقا ودرس واستفاد من الرقوق والكتب التي كان يحملها ق. بولس في أسفاره: «الرداء الذي تركته في ترواس عند كاربُس، أحضره متى جئت، والكتب أيضاً ولا سيَّما الرقوق» (2تي 13:4).

كذلك لا يمكن أن نغفل المقدار الهائل الذي استوعبه ق. بولس من المسيح رأساً والذي شاركه فيه ق. لوقا واستوعبه: «لأنني تسلَّمت من الرب ما سلّمتكم أيضاً أن الرب يسوع ... إلخ» (1كو 23:11). علماً بأن غالبية العلماء يضعون تاريخ كتابة إنجيل ق. لوقا قبل كتابة سفر الأعمال الذي ينتهي فجأة أثناء زمن سجن ق. بولس في روما. أي أن الإنجيل كُتب في أول زمن سجن ق. بولس في روما: «وأقام بولس سنتين كاملتين في بيت استأجره لنفسه وكان يقبل جميع الذين يدخلون إليه» (أع 30:28). هذا ما كتبه ق. لوقا بنفسه في سفر الأعمال. وهكذا جلس ق. لوقا يسمع ويكتب من فم ق. بولس، وهذا للأسف الشديد لم يدخل في حسبان كثير من الذين تعرَّضوا لشرح إنجيل ق. لوقا، وفات على الجميع مقدار تأثير ق. بولس الشديد في إنجيل ق. لوقا، غير أن ق. لوقا لم يُشِرْ إلى ذلك بل تركه للقارئ أن يستقرئه بالضرورة، فهو الطبيب والمؤرِّخ والمعين للقديس بولس. ويكفي أن يعرف القارئ أن ق. لوقا كان مع ق. بولس في السفينة التي أقلّتهما إلى روما وتحطّمت بهما على شواطئ مالطة، وعانى مع ق. بولس الغرق والإشراف على الموت، ثم جلس بجوار ق. بولس يكتب هذه القصة بدقائقها وبقية سفر الأعمال النفيس.

كيف أخذ القديس لوقا من المصادر الموضوعة أمامه ونسج منها قصة واحدة:

بقدر ارتفاع قيمة المصادر وأهميتها وفرادتها يأخذ ق. لوقا أهميته وفرادته في إنجيله، وقد سبق أن قلنا إن أول مصدر هام وفريد التجأ إليه ق. لوقا هو إنجيل ق. مرقس كأساس لإنجيله، ولكن هناك مصدراً آخر اقترحه العلماء وأعطوه اسم Q، وهو يمثّل في الحقيقة الجزء المشترك بين إنجيل ق. لوقا وإنجيل ق. متى وهو غير موجود في إنجيل ق. مرقس. وينحصر في حوالي 200 آية لا يظهر منها شيء في إنجيل ق. مرقس. وهذه الوثيقة اعتبرت مفقودة ولكن يُظن أن تتابع أجزائها كان أقرب لإنجيل ق. لوقا أكثر مما لإنجيل ق. متى[31].

على أن الأبحاث الحديثة أظهرت أن ق. لوقا لم يعتمد على ما جاء في إنجيل ق. متى، ولكن كلاً من ق. لوقا وق. متى أخذ بدوره من نفس الوثيقة Q كلٌّ حسب أسلوبه؛ بل يُظن أن هذه الوثيقة

[30] Credner, I, p. 146 ff, cited by A. H. W. Meyer, *op. cit.*, p. 220.

[31] I. H. Marshall, *Luke: Historian & Theologian*, p. 60 ff.

ذاتها Q كان يوجد لها أكثر من نسخة منقَّحة.
على أن قصة الميلاد التي سجَّلها ق. لوقا في الأصحاحين الأولين لا يوجد لها مثيل في أي من الأناجيل، لذلك اعتُبرت أنها منقولة بحد ذاتها من مصدر أعطاه العلماء حرف L. وهكذا اتحدت الوثيقتان في إنجيل ق. لوقا Q + L مع ما جاء في إنجيل ق. مرقس. على أن ما جاء في تسجيل فصل الآلام يُعتبر خاصاً بالقديس لوقا.
وعلى العموم يبدو واضحاً أن الدقة التي التزمها ق. لوقا في تأليف إنجيله ترجع بالدرجة الأُولى إلى أهمية ورسوخ التقليد في هذه المصادر التي أخذ عنها ق. لوقا: سواء إنجيل ق. مرقس أو وثيقة Q أو L.
فإذا أردنا معرفة المزيد عن كيف استخدم ق. لوقا هذه المصادر التي اعتمد عليها، يلزمنا أن نعمل مقارنة بين إنجيلي ق. لوقا وق. مرقس والوثيقة Q كما أخذها القديس متى. وهذه الدراسة قام بها العالِم بوركت(32) الذي اكتشف أن ق. لوقا، ولو أنه لجأ إلى بعض التصرف في الأخذ من إنجيل ق. مرقس، إلاَّ أنه لم يخرج عنه كثيراً. على أن ق. لوقا بعد أن اعتمد على إنجيل ق. مرقس، عاد فأجرى على كل ما دوِّن مراجعة منهجية غيَّرت قليلاً من الشكل الذي اعتمد عليه، وهذا نراه بوضوح إذ أصبح لإنجيل ق. لوقا أسلوبه الموحَّد والمميَّز. ولكن هذا لم يُعِقْ الباحثين من العلماء عن عمل دراسة مقارنة بين إنجيل ق. لوقا وإنجيل ق. مرقس ذات موضوعية من جهة النص. وفيها اكتشفوا أن التغيير الذي أجراه ق. لوقا على ما أخذه من إنجيل ق. مرقس أصاب بدايات الفقرات ونهايتها واحتفظ بالمضمون كما هو. كذلك أجرى قلمه على سرد الرواية مع حفظ صحة المقولات، على أنه كان شديد الحرص أن يحتفظ بكل ما أخذه من المصادر دون تغيير.
أمَّا في رواية الآلام فظهر كيف كان ق. لوقا يضم المصادر ليستخرج منها الوقائع بتسلسل.
على أن ق. لوقا التزم بترتيب الأحداث كما جاءت في إنجيل ق. مرقس حيث اتَّبع ق. مرقس دون انحراف. ولكن ق. لوقا لم يلتزم بتحديد الأوقات أو الأماكن التي أوردها ق. مرقس إذ ترك ق. لوقا الأوقات والأماكن بلا تحديد.
أمَّا الاختلاف في اللاهوت المنهجي بين ق. لوقا وق. مرقس فيظهر بوضوح في كيف كان ق. مرقس حريصاً أشد الحرص على سريَّة المسيَّانية في كل أقوال وأعمال المسيح باهتمام بالغ على

(32) F. C. Burkitt, "The Use of Mark in the Gospel according to Luke", in *The Beginnings of Christianity,* (1920-1933), II, pp. 106-120.

مدى الإنجيل كله، بينما نجد هذا غير وارد عند ق. لوقا، إذ اهتم بأمور أخرى رآها أكثر أهمية. فبدت تعاليم المسيح وصورته مغايرة في إنجيل ق. لوقا عن ما هي في إنجيل ق. مرقس.

كما كان يحلو للقديس لوقا أن يغيِّر من الدقائق التي اهتم بها ق. مرقس، فمثلاً في مثل الزارع نجد الذي سقط على الأرض المحجرة عند ق. مرقس مات إذ ليس له جذر (أصل)، أمَّا عند ق. لوقا فجفَّ ومات لأن ليس له رطوبة، وهذا التعديل بالذات يوضِّح كيف أن ق. لوقا يلتزم بالحقائق دون الوسائل، في أخذه من المصادر.

أصالة إنجيل القديس لوقا وصحَّته:

ولو أن كاتب الإنجيل لم يذكر اسمه، غير أن الكنيسة بتقليدها الراسخ سجَّلت اسمه في قلبها وذاكرتها. وكان أول مَنْ نقل هذا التقليد هو ق. إيرينيئوس[33]، كما ذكرت مخطوطة الموراتوري ذلك. ولو أن بابياس أسقف هيرابوليس لم يذكر ق. لوقا، ولكن بابياس كمؤرِّخ لا يُعتد به. وقد استخدم الشهيد يوستين تعبيرات من إنجيل ق. لوقا في دفاعه بين سنة 150و165م[34]، كما وُجِدَت عبارات من سفر الأعمال في رسالة كليمندس الروماني الأولى[35] (توفِّي سنة 96م) أسقف روما وهو ثالث أسقف بعد استشهاد ق. بطرس أو ربما خليفته مباشرة. كما توجد شهادة من وثيقة يرجع تاريخها إلى سنة 170م وهي عبارة عن مقدِّمة لإنجيل ق. لوقا تهدف إلى تفنيد ادعاءات ماركيون المبتدع. وتشهد هذه الوثيقة أن القديس لوقا هو كاتب الإنجيل الثالث، وتعطي نبذة عن حياته. وقد سبق أن أوردنا النص الكامل لهذه الوثيقة[36]. أمَّا وصوله للكنيسة متأخِّراً طقسياً نوعاً ما فلكونه اعتُبر من البداية أنه رسالة خاصة مرسلة لثاوفيلس[37] وليس مدوّناً أصلاً للكنيسة.

والتجاء ق. لوقا لتسجيل تاريخ بدء الإنجيل بميلاد المسيح يوضِّح مدى قوة البحث والجري وراء

---

(33) Irenaeus, *Haer.*, III, 1, 1; I, 27, 2; III, 14, 3 f; III, 10, 1.

(34) Justin, I *Apol.* 34; *Try.* 78, 88, 100, 103, 105, 106, quoted by Plummer, *op. cit.*, p. XV.

(35) E. Ellis, *op. cit.*, p. 55.

(36) راجع كتاب: "شرح سفر أعمال الرسل" للمؤلِّف، صفحة 34.

(37) **ثاوفيلس**: معناها: "المحب لله". يقول أوريجانوس: إن هذا الاسم مجرَّد تورية لكل إنسان محب للمسيح فهو إنجيل أحباء يسوع! (Origen, *Hom. 1 in Luc*)، وجرى جيروم مجرى أوريجانوس وقالها لاتينياً: amicus vel amotor Dei "حبيب أو محب لله" وحذا حذوهما سلفانوس في الرسالة 18:9 وقال إن ق. لوقا صدَّر كتابيه الإنجيل والأعمال لمحبة الله ad amorum Dei. علماً بأن حكَّام مصر كانوا يُلقَّبون بالعزيز Kr£tistoj حتى سنة 160م (T. Zahn, *op. cit.*, p. 6)، وربما إلى الآن (عزيز مصر) التي هي ترجمة Kr£tistoj لذلك ظنَّ بعض العلماء أنه كان حاكماً مصرياً.

الحقائق من منابعها مدعَّمة بالتاريخ المدني الروماني بتدقيق. هذا يؤكّد أصالة الإنجيل كمبحث مدني ولاهوتي بآن واحد.

زمن كتابة إنجيل القديس لوقا:

اتفق العلماء وبالأخص هارناك وبروس(38) أن القديس لوقا وهو مرافق للقديس بولس في سجنه الأخير بروما ألّف سفر الأعمال في مدى السنتين اللتين عاش فيهما مع القديس بولس في البيت الذي استأجره، وذلك حوالي سنة 61م. وانتهى باستشهاد ق. بولس حوالي سنة 62م لذلك توقَّف ق. لوقا عن كتابة سفر الأعمال عند هذه النقطة.

ويرجّح العالِم جودت هذا الرأي(39). أمَّا الإنجيل فيبدو أنه قد تمَّ قبل هذا الميعاد بقليل. ويرى العالِم شاف(40) أن ق. لوقا كتب إنجيله وسفر الأعمال إمَّا في قيصرية (أثناء سجن ق. بولس أيضاً هناك) أو في روما كما قلنا، ولكنه لم يُذَع إلاَّ بعد استشهاد ق. بولس، وهذا يوافق عليه ق. إيرينيئوس. ويلحّ ق. جيروم أن ق. لوقا كتب إنجيله في أخائية وبويوتيا Boeotia وهذا يكون بعد السجن الأول للقديس بولس بقليل.

طابع إنجيل القديس لوقا كما يظهر من الافتتاحية:

ينفرد إنجيل القديس لوقا عن إنجيليْ القديس متى والقديس مرقس في كونه لا يعطي عنواناً لإنجيله، وهو بهذا يشبه إنجيل ق. يوحنا وسفر الأعمال. ويسأل العالِم الألماني زاهن: هل كان لهذا الإنجيل عنوان وفُقد؟ ولكن في الحقيقة أن ق. لوقا ليس كالقديس مرقس والقديس متى فهو لا يقدّم إنجيلاً للكنيسة ولكنه يخاطب فكر وإيمان أحد العظماء سواء كان شخصاً معروفاً أو تعبيراً عن شخصية ألّفها ليهديها عمله هذا ليصلح لكل عزيز محب لله ـ التي ربما تكون هي الكنيسة.

ولكن واضح من الافتتاحية أن ق. لوقا يقصد تثقيف شخصٍ ما بالإيمان المسيحي المتقن. وفي الحقيقة انفرد ق. لوقا بهذا النمط من الكتابة الذي لم يطرقه أي عالِم أو أديب في المحيط الروماني واليوناني المعروف آنئذ(41). غير أن عمومية الكتابة وشمولها لكل الإيمان المسيحي ودقائق حياة المسيح تكشف عن رغبة داخلية ملحَّة عند ق. لوقا لكي ينتشر كتابه هذا ـ أي إنجيله مع سفر الأعمال ـ في المحيط المسيحي دون أدنى شك، وربما كان هذا هو الهدف الأكثر إلحاحاً وراء هذا

(38) E. E. Ellis, *op. cit.,* p. 55, F. F. Bruce., *The Acts of the Apostles,*1951, repr. 1984, pp. 10-14.

(39) Godet and Schaff cited in A. H. W. Meyer, *op. cit.,* p. 226.

(40) Ibid.

(41) T. Zahn, *op. cit.,* p. 42.

العمل الضخم الموسوم بالروح والنعمة.
ودون أن يدري ق. لوقا فقد حدَّد هوية المرسل إليه وهوية إنجيله عندما دعا ثاوفيلس هذا بالعزيز Kr£tiste، فهو اصطلاح محدود للغاية يليق لزمانه فقط ويكشف عن نوع الشخصية التي يخاطبها ق. لوقا ويرتفع إليها في تأليفه الجيد لغة وترتيباً وأسلوباً. والذي يجذب أنظار العلماء جداً هو أن الشخصية التي يخاطبها القديس لوقا ليست كنسية، فجاء أسلوبه ولاهوته وأدبه غير محدود بالفكر الكنسي أي عاماً وشاملاً، وهذا مما جعل إنجيله أكثر قبولاً لدى العامة من الناس، ولهذا أيضاً التزم القديس لوقا بأن يحترس منذ البدء في أن لا يعطي لإنجيله أي انطباع خاص بشعب معيَّن، فجاء دون أن يدري على مستوى آية إنجيل ق. يوحنا العامة: «هكذا أحب الله **العالم** حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية.» (يو 16:3)
وواضح من مخاطبة ثاوفيلس أنه سبق وتلقَّى معلومات عن الإيمان المسيحي ولكن في نظر ق. لوقا ليست كافية لتعطيه دقة المعلومات الصحيحة اللازمة لإيمان واثق وصحيح. وهكذا جاء تركيز إنجيل ق. لوقا على التقليد المسيحي الأصيل والصحيح عن بحث وتحقيق وتأكيد، مما أعطى إنجيله امتيازاً علمياً ولاهوتياً لائقاً بدراسة وتمهُّر، دون عقبات توقف مسار التفكير.
كما نجد في افتتاحية الجزء الثاني من إنجيله وهو سفر الأعمال ما يفيد أن هذا الثاوفيلس قد تقبَّل الجزء الأول من الإنجيل بارتياح مما حدا بالقديس لوقا وحمَّسه ليضيف الجزء الثاني الخاص ببدء نشأة الكنيسة بقوة اكتساح الروح القدس، الأمر الذي جاء ضمناً ليؤكِّد ما جاء في الإنجيل من إيمان وعمل وتجديد. ويقول العالِم زاهن أن خلو الجزء الثاني أي سفر الأعمال من ألقاب تعظيم المرسل إليه يفيد كونه قبِلَ العماد وتنصَّر فانتقل من رئاسة مدنية إلى زمالة إنجيلية في الإيمان الواحد(42).

الدافع الملحّ لكتابة الإنجيل:

أمَّا دافع الكتابة للإنجيل وأيضاً لسفر الأعمال عند ق. لوقا فواضح أنه كان ثقلاً روحياً ملحاً داخله لينشر المعرفة الإنجيلية الصحيحة، عندما توفرت لديه معلومات غاية في الأهمية والسرية لم يطرقها أي إنجيلي غيره. فهو كتب ليكمِّل ما كُتب، وأعلن ما يتحتَّم استعلانه بدفع الروح المسيطر على قلب كاتب الإنجيل وفكره. فالروح اختاره ليكمِّل عمل "كثيرين" سبقوه بما وهبه له من أسرار تكاد تكون في طي الكتمان وأُعلنت له عن قصد إلهي، إذ تبيَّن لله أن ق. لوقا وحده هو الكفيل بسرد هذه الأسرار في

---

(42) T. Zahn, *op. cit.*, p. 43.

إطارها الإنجيلي الرزين والمكين، فاستعلن للقديس لوقا ما لم يستعلن لغيره من هؤلاء "الكثيرين" الذين سبقوه فكتبوا عن الأمور الخاصة بالمسيح والمسيحية وإنما في غموض أو شح في المعلومات.

رؤية عامة لتخطيط كتابة الإنجيل:

واضح من الافتتاحية أن ق. لوقا وضع أمام عينيه الخطوط الأساسية العامة التي سيطرقها في إنجيله ليصل إلى أهدافه التي وضعها أمامه في الافتتاحية بالنسبة لتكميل معرفة ثاوفيلس بالأمور كلها، فالقديس لوقا اختطَّ طريقاً في عرض إنجيله غير ق. متى وق. مرقس.

فالقديس متى كتب دفاعاً عن المسيح والكنيسة لدى الفكر اليهودي، لذلك كتب بلغة القوم وهي الأرامية ليمحو كل اعتراض يهودي على صدق الإيمان المسيحي بحسب كل النبوات السابقة.

والقديس مرقس كتب إنجيلاً تعليمياً ليبني به فكر الكنيسة على مدى الأجيال بمقتضى التقليد الذي كان سائداً في أيامه، فسجَّله وأدخله ذاكرة الكنيسة وخزانة لاهوتها الفاخرة.

أمَّا القديس لوقا فقد طرح خطة عمله على خلفية تاريخية كمؤرِّخ يوناني على مستوى الإنجيل وكنيسة زمانه، مبتدئاً من أول حجر أساس وُضع فيها بميلاد المسيح حتى بلغ قمتها بالتقليد الكنسي الذي نما وازدهر في أيامه من الناحية اللاهوتية التي فجَّرها بولس الرسول، ومن الناحية التعليمية التي وضع ق. مرقس أساسها وبنى عليه ق. متى فأكمله القديس لوقا بما كان سائداً في أيامه.

ويلزم أن ندرك القصد العام من كتابة ق. لوقا لإنجيله وهو يعلم تماماً أن «كثيرين قد أخذوا بتأليف قصة (الإنجيل) في الأمور المتيقنة عندنا» (لو 1:1)، بمعنى أنه كانت إمَّا الأناجيل أو أجزاء منها موضوعة أمامه. وخطته التي صمَّم عليها منذ البدء هي الامتداد بما جاء في الأناجيل المتوفرة في أيامه مكمِّلاً لها جميعاً بما توفَّر لديه من نصوص ووثائق ومدوَّنات عن الرسل أنفسهم ومَنْ خَدَمَ الكلمة، أي المسيح، وعاش معه وسمع إليه، مع إضافة كل امتداد للتقليد الكنسي في أيامه. واستخدم ق. لوقا حاسته التاريخية ليعطي صورة أمينة للغاية لخدمة المسيح وشخصه وحياة الرسل والكنيسة الأولى بكل دقة. وهو لم يجنح ناحية التأمل أو الإضافة الشخصية قط كمؤرِّخ منكر لذاته واسمه بصورة علمية قلَّ مَنْ بلغها أو أدركها.

مؤلَّف واحد من جزئين:

يلزم أن يعرف القارئ أن إنجيل ق. لوقا يمتد بعد نهاية الإنجيل ليستمر في سفر الأعمال كمكمِّل للإنجيل. فكتاب ق. لوقا يبدو مؤلَّفاً واحداً من جزئين: الأول الإنجيل والثاني يختص بالكنيسة كيف

بدأت وعملت. وهذا واضح من بداية إنجيله: «رأيت أنا أيضاً ... أن أكتب **على التوالي**» (لو 3:1)، وأيضاً من بداية سفر الأعمال: «**الكلام الأول** أنشأته يا ثاوفيلس ...» (أع 1:1). ولكن للأسف فرَّق منظمو أسفار الكتاب المقدَّس المطبوع بينهما اضطراراً بأن وضعوا الإنجيل الرابع للقديس يوحنا بينهما، مع أنهما كانا بكل تأكيد كتاباً واحداً في وحدة متكاملة حيث تجمعهما وحدة اللغة والأسلوب والتنسيق والغاية(43). والكنيسة الأُولى تذكر سفر الأعمال باسم إمَّا أعمال الرسل Pr£xeij tîn 'ApostÒlwn أو الأعمال فقط af Pr£xeij.

براعة في فن التأليف والتجميع:

ولكن من معرض ما قدَّمه ق. لوقا يتضح لنا أي أبحاث قام بها هذا العملاق المؤرِّخ واللاهوتي ليسد ثغرات الإيمان عند إنسان ابتدأ يتعلَّم ما يلزم أن يُعلَّم عن المسيح والكنيسة. فقدَّم المسيحية كاملة متصلة الحلقات شديدة الاتصال والوصال، قادرة أن تجذب فكر أي باحث أو عالِم وتقنعه بصدق البحث وأصالة التجميع والترتيب للتقليد الذي كان ينمو بتؤدة وثبات في الاستعلان اللاهوتي والتعليمي. لأن ق. لوقا كان أمامه شخصٌ مثقَّفٌ عالي القدر وعلى مستوى من الثقافة اليونانية العالية السائدة في أيامه، فقدَّم له كل ما يمكن من القواعد والأساسات الثابتة والأصيلة للإيمان المسيحي كما تعرفها وتؤمن بها الكنيسة الواعية المملوءة بالنعمة والروح والحكمة، وقد ارتفعت عن مستواها اليهودي الضيق المتعصِّب إلى مستوى الانفتاح الفكري والثقافي اللاهوتي، ومدَّت يد الصداقة لكل عالِم ومتعلِّم وكل حكيم ومتحكِّم. فيد ق. لوقا الممدودة بإنجيله الثمين للعزيز ثاوفيلس هي فخر الكنيسة في زمانها هذا كوثيقة علم ومعرفة وحكمة وثقافة على أعلى درجاتها بين العلماء والحكماء في تلك الأيام. وبنظرة علمية واعية مثقَّفة في فن التأليف والتجميع والعرض ينكشف للباحث المدقِّق كيف استطاع ق. لوقا أن يُخرج من الرقوق والنبذ والمقولات المتفرِّقة التي سبقت زمانه بحثاً فاخراً كاملاً شاملاً، يقوم على الأصول والقواعد الثابتة، ويرتفع شامخاً بكماله في أسلوب واحد ونمط جذَّاب هو حاصل صَهْر كل ما بلغ يديه وعينيه. وكعينة من هذا التجميع والصهر معاً يقدِّم ق. لوقا لثاوفيلس يوحنا المعمدان لا كما سبق وسمعه من إنجيل ق. مرقس وق. متى كمجرَّد نبي سابق لصاحب الفداء والخلاص، ولكن يُبرز رسالة

(43) راجع كتاب: "شرح سفر الأعمال" للمؤلِّف صفحة 28-32.

المعمدان وهو ما يزال في البطن، وقبل أن يولد ينصّبه نبيًّا جاء ليوقظ القلوب ويفتح الوعي التاريخي الذي يتحتّم أن يُستقبل به هذا القادم من وراء الدهور، فيقدّمه بصورته النسكية ليوقظ الوعي النبوي بإيليا في ملابسه وأكله وشربه وحياة البراري (1:80). ويؤكّد دعوته النبوية من البطن كإرميا (إر 1:5) ويقدّم بمعجزة ميلاده المعجزة الأضخم بميلاد المسيَّا!

وينتقل بالقارئ ليعيش الصداقة والقربى العائلية بين المعمدان والمسيح في اتحاد الرجاء الواحد منذ الطفولة، مصوّراً كيف حيًّا المعمدان وهو في بطن أمّه ربَّه القابع في بطن العذراء، فكان أول سرور مسَّ البشرية بالابتهاج متنبئاً عن مجيء عصور الفرح والابتهاج بالروح.

وهكذا أدخل ق. لوقا بتخطيطه النادر والعالي المستوى ليس ثاوفيلس وحده في صميم التاريخ الإلهي؛ بل والبشرية كلها عبر العصور. من هنا تظهر أصالة التخطيط الذي خطّط به ق. لوقا إنجيله ليحتضن الفكر البشري كله من داخل فكر ثاوفيلس العزيز.

كيف طوَّع القديس لوقا أسلوبه ليناسب الهدف الموضوع أمامه:

واضح أن الهدف كان في أضيق صوره أن يجتذب إنساناً أممياً للمسيحية والكنيسة، إنما عن يقين وإقناع، وبطرق كثيرة متنوعة. هذا الهدف جعل ق. لوقا كمؤرّخ مسيحي يلتزم بتحفظات كثيرة أهمها أنه التزم بالأسلوب والطريقة الموضوعية التي تناسب علمانياً، وامتنع عن إطلاق الصوت العالي الذي يلزم إيقاظ الكنيسة، ولكنه بهدوء وحكمة دبَّر الأسلوب الأنسب لأذن إنسان لا يزال خارج الكنيسة. ولكن لم يمنعه هذا من أن يعطي المسيح مراراً لقب الرب Ð KÚrioj ، الأمر الذي يكاد يكون غائباً في إنجيل القديس مرقس. وطبعاً هذا هو رد فعل الانطباع الذي دخل به المسيح في إيمان ق. لوقا نفسه وهو لا يزال يطلب الإيمان، فهو يقدّم خبرة حية يعيشها ويفتخر بها ويحس بقوتها وفعلها في حياته. علماً بأن ق. لوقا لم يكن واحداً من الذين ولدوا في الكنيسة وتعوَّدت عيناه وأذناه على رؤية المسيح أو اكتساب الإيمان به عن آخرين، بل إن المسيح اقتحم حياته مرَّة واحدة **"كرب"**. وكما أخذ المسيح بصورته الزاهية، هكذا يقدّمه هنا لثاوفيلس. ولكن هذا أيضاً لم يمنع ق. لوقا من أن يقدّم المسيح باسمه "يسوع" لأنه من هذه القاعدة سيتم الفداء على الصليب. كذلك يقدّم ق. لوقا الذين يخاطبون المسيح قائلين: "يا معلّم p…stata"™"(44)، المقابل اليوناني لرابّي عند اليهود ومعها كلمة did£skale، متحاشياً نهائياً كلمة رابي. وفي نفس الوقت أبرز كلمة يا رب KÚrie إنما بشيء من الاحترام.

(44) راجع لو 5:5 و24:8و45 و33:9و49 و13:17 ولم ترد هذه الكلمة في العهد الجديد خارج إنجيل لوقا.

كذلك نجده يتعرَّض للإفخارستيا بشيء من الاحتراس والاختصار الشديد وبلغة تكاد تكون عادية على الأسماع: «شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم، لأني أقول لكم: إني لا آكل منه بعد حتى يكمل في ملكوت الله»(لو 22: 16-20). ويُلاحِظ القارئ أن ق. لوقا في تقديمه الكأس بيد المسيح لتلاميذه لم يذكر صراحة أن «هذا هو دمي» بل قالها بنوع من التورية «هذا هو العهد الجديد بدمي» وهنا يختفي جزئياً إبراز "السر"، لأن الوثنيين كانوا يعثرون بشدة من موضوع العشاء السري معتقدين أنه ذبيحة دموية، مما جعل ق. لوقا يعبر عليه دون تعمُّق كبداية لانفتاح وعي ثاوفيلس(45).

وهذا يُحسب للقديس لوقا أسلوباً حكيماً "فسرِّي لأهل بيتي"، لذلك أخفى مضمون هذا السر العميق للغاية لأنه محجوب أصلاً عن عيني الإنسان الأممي الذي لم تنفتح بصيرته بعد ولا تقبَّل الإلهام. فالقديس لوقا بحجبه السر عن ثاوفيلس إنما يصونه من العثرة والسخرية. علماً بأن ق. لوقا أصلاً أممي ويعرف متى يعثر الأممي وكيف يقبل الحقائق.

إذن، ففي إنجيل ق. لوقا يتسيطر الظرف على الأسلوب والمنطق والعرض بصورة جوهرية. وهنا ينفتح وعينا عن سر المدخل الذي دخل به ق. لوقا ليقدِّم رسالة الخلاص والإيمان بالمسيح، إذ يدخل على زمن حكم هيرودس وقيام الولاة وتداخل الملائكة قبل أن يدخل إلى الحقائق الإلهية، ويستحضر مناسبة الاكتتاب ليمهِّد لتسجيل ميلاد المسيح في عمق التاريخ، ولربما كان ثاوفيلس هذا أحد الذين خدموا أمر الإمبراطور في الاكتتاب. وهكذا يصيغ من صميم الواقع الزمني ارتفاعاً سماوياً ملحوظاً يدخل في الوعي من واقع المناسبة. فكان ق. لوقا حكيماً حقًّا إذ جعل بداية المسيحية متعانقة مع الدولة وحكامها وأوامرها ويرفع عنها أي عداوة للسلطة. ولا ننسى لماذا أورد ق. لوقا قصة السؤال المقدَّم للمسيح عن الجزية المقدَّمة لقيصر فأمر أن تُدفع حسب القانون (لو 20: 20-26) حتى ينفي عن المسيح التهمة الملفَّقة والكاذبة التي أقامها السنهدرين ضد المسيح أنه يحرِّض الشعب أن لا يدفع الجزية. فتكاد هذه القصة أن تكون مرسلة هدية لفكر ثاوفيلس عن مدى خضوع المسيح لنظام الدولة.

وهكذا على هذا المنوال أسَّس ق. لوقا إنجيله ليكون منسجماً غاية الانسجام مع الفكر العلماني والعقلية الرئاسية عند اليونان.



(45) T. Zahn, *op. cit.*, p. 70.

تقييم القديس لوقا ككاتب إنجيلي

القديس لوقا مؤرِّخ ولاهوتي في آن واحد(46)**:**

يقول العالِم هوارد مارشال عن شخصية ق. لوقا:

[إن ق. لوقا يُعتبر لاهوتياً ومؤرِّخاً بآن واحد. وحينما نقول: إنه إنجيلي، نكون قد جمعنا الميزتين اللتين له.](47)

وقد أفاد العالِم كيزمان:

[نحن يمكن أن نعرفه أنه مؤرِّخ إذا عرفنا أولاً أنه لاهوتي.](48)

ولكن يرد عليه مارشال عاكساً الوضع إذ يقول إن ق. لوقا يعتبر لاهوتياً إذا أخذنا بأنه مؤرِّخ إنجيلي.

ويُعلِّق مارشال:

[إن الموضوع يتعلَّق بأن غاية ق. لوقا لم تكن تاريخية فقط، كأنه اقتنع فقط بجمع وتسجيل الحقائق من الماضي بحد ذاتها، ولا كونه كان مكلَّفاً بأن يحقِّق الحقائق اللاهوتية المقدَّمة في الكنيسة الأُولى للتعليم والوعظ لإعادة صياغتها تاريخياً، ولكن بالأكثر نرى أن ق. لوقا اللاهوتي بالدرجة الأُولى انحصر في تقديم رسالة المسيح وعمل الكنيسة الأُولى على مستوى تاريخي معتمد وموثَّق. وأما تعليمه اللاهوتي فهو قائم على أساس التقليد الكنسي والإنجيلي السائد في الكنيسة الذي أبرزه لأعلى مستوى ممكن حسب قدرته، واستخدم موهبته التاريخية لخدمة لاهوت المسيح.

ولكن في نفس الوقت لم يجعل ق. لوقا هدفه أن يكتب لاهوتاً صرفاً. وهنا يتدخل لقبه الأساسي المحبوب وهو "الإنجيلي" الملتزم بالإنجيل، إذ جعل هدفه أن يقدِّم الرسالة المسيحية

---

(46) راجع كتاب: "شرح سفر أعمال الرسل" للمؤلِّف صفحة 43 وما يليها.

(47) **I. H. Marshall, *Luke: Historian and Theologian*, p. 18.**

(48) **E. Käsemann, cited by Marshall, *Luke: Historian & Theologian*, p. 18.**

على أساس أن يزكّي ويؤكّد الإيمان بيسوع المسيح. فغرضه الأساسي إنجيلي محض. ولذلك لم يتحدَّد لاهوته الإيماني بحدود **"تاريخ الخلاص"** وإنما بالأكثر بأن يحمل شهادة استعلان الخلاص الذي تمَّ بيسوع المسيح وإذاعته للكنيسة الأُولى.

والقديس لوقا يؤمن أن الخلاص استُعلن تاريخياً ما من ذلك أدنى شك، ولكنه لم يلجأ للتاريخ ليسجِّله في حد ذاته، ولكنه استخدمه أجمل استخدام كواسطة لإعلان الخلاص ... ولكن بالنهاية لا يمكن أن نحسب ق. لوقا إلاَّ الإنجيلي المولع بلاهوت الخلاص بالدرجة الأُولى وليس بتاريخ الخلاص ... ولاهوت الخلاص عنده قائم في عمل المسيح كخبرة ودراية مطروحة لتقبُّل كل إنسان.

أمَّا أساس رسالة ق. لوقا اللاهوتية كإنجيل فهو أولاً وأساساً التقليد الراسخ والمتداول في الكنيسة دون أي تخريج أو إضافة من عنده. وبهذا يُحسب ق. لوقا لاهوتياً محافظاً دون استحداث. وهو وإن كانت له ميوله اللاهوتية الخاصة، ولكنه يقدِّمها بأمانة شديدة مبنية على التقليد. وبالنهاية فلاهوت ق. لوقا الإنجيلي هو قائم على التقليد إلتزاماً أميناً. فلا يمكن أن يُفحص أو يُدرس إلاَّ على أساس التقليد القائم...

على أن ق. لوقا في إنجيله ولاهوته وتقليده لا يخرج قط عمَّا سبقه(49)].

ويهمنا في معرض شرح إنجيل ق. لوقا أن نلمّ بمضمون هذا الإنجيل الفذّ في صياغته التاريخية البارزة، كما نلمّ أيضاً بمضمون لاهوته الخلاصي المختفي وراء الصيغ والأحداث والأعمال والأقوال التي ركّز عليها هذا القديس المتعدّد المواهب.

وسنبدأ أولاً بالإبحار في مساره التاريخي المتقن معتمدين بالدرجة الأُولى على وقائع إنجيله، مستلهمين منها روح التاريخ الإنجيلي الذي رسم منطقه هذا الإنجيلي ليرسم لنا أول خريطة تاريخية موقَّع عليها عظمة الخلاص الذي تمَّ.

القديس لوقا مؤرِّخ إنجيلي:

لقد اعتمد ق. لوقا في عرضه التاريخي للإنجيل أو للاهوت الخلاص على عنصرين يتسلَّح بهما المؤرِّخ حتماً، وهما تجميع العناصر المؤكدة والثابتة، ثم بعد دراستها دراسة تحليلية للاستيعاب يضعها في مكانها وزمانها ليعرضها بعد الوثوق من مناسبتها.

---

(49) I. H. Marshall, *Luke: Hist. & Theol.*, pp. 18, 19, 20.

ويُعتبر ق. لوقا مديناً في أسلوبه التاريخي لتقليد العهد القديم حيث يتجلَّى العمل الإلهي في صياغة التاريخ، معتبراً أن عمل الإنجيل برمَّته إنما هو امتداد للتاريخ الإلهي في العهد القديم. لذلك نجده يكتب من موقف من يقتفي أثر عمل الله في الحوادث التاريخية قديماً.

لذلك عندما يتعرَّض ق. لوقا لعمل إعجازي من أعمال المسيح لا ينظر إليه محصوراً في ذاته؛ بل يراه ضمن مجرى التاريخ الفعَّال بالتدبير الإلهي منذ البدء. وبهذا فهو يعطي شرحاً للحادثة الإنجيلية يرتفع كثيراً عن مستوى انحصار التاريخ. وهكذا يرتفع ق. لوقا بالحدث التاريخي إلى عمل الله مباشرة كمن يهجر التاريخ ليستوطن بالحادثة في اللاهوت على الدوام.

إنجيلي له إيمان راسخ بالخلاص الذي تمَّ:

ونستطيع أن نستخلص من إنجيل ق. لوقا وسفر الأعمال أن ق. لوقا كان يدين بإيمان راسخ. فالإيمان المسيحي إنما يترسَّخ على حوادث حيَّة تسجَّلت في الكنيسة عن حياة المسيح وأقواله وأعماله. فكل معرفة لا يسندها عمل من المسيح أو قول مؤكَّد ومؤيَّد من الرسل لا تدخل الإيمان المسيحي، وهذا هو عين التعريف الصحيح للتقليد الكنسي.

كما أنه يتحتَّم أن يرسخ في ذهن القارئ أن الذي حرَّك ق. لوقا لكتابة إنجيله هو انبهاره من "الخلاص" الذي خدمه المسيح وصُلب من أجله. فالقديس لوقا صاحب لاهوت الخلاص إنجيلياً. وقصده من إنجيله وسفر الأعمال هو أن يقود الكنيسة في شخص ثاوفيلس إلى "الخلاص" مركِّزاً للغاية على غفران الخطايا كأساس حي للخلاص. وربما كان ق. لوقا في هذا الاتجاه صورة طبق الأصل من ق. بولس، ولكن بدعوة خاصة تتناسب مع مؤهلاته.



لاهوت القديس لوقا الخلاصي

قبل أن نخوض في لاهوت ق. لوقا الخلاصي، يلزمنا أولاً أن نلقي ضوءاً كافياً على شخصية ق. لوقا والإلمام بمستواه الروحي واللاهوتي.

فالقديس لوقا يحتل مكانة غاية في العمق والاتساع من جهة الامتداد في معرفته ومعاصرته للكنيسة منذ نشأتها الأولى. فإذا جمعنا معرفته ودرايته بدءًا من ميلاد المسيح وانتهاءً بالقيامة والصعود، ثم حلول يوم الخمسين وبداية حركة الكنيسة الأولى في أورشليم، ثم خدمة الرسل فيها، ثم خروجهم خارجها نحو الأمم، ثم زمالته لرحلات ق. بولس حتى ختامها بالاستشهاد، يتحقَّق أمامنا اتساعٌ هائلٌ في درايته بكل مراحل الإيمان الذي بدأ بمناداة المسيح بالملكوت، ثم دخوله في اختبار الكنيسة كيف بدأ فيها مفهوم الفداء والخلاص وكيف امتد عبر كرازة ق. بولس ليبلغ أوج اللاهوت المسيحي ومنتهاه. إذا انتبهنا إلى كل ذلك استطعنا أن نقول بكل تأكيد إنه لا توجد في الكنيسة شخصية عاصرت ودرست ومارست واختبرت وجمعت ما حصل عليه ق. لوقا. لذلك حينما ندخل في لاهوت الخلاص عند ق. لوقا فنحن نواجه موسوعة حيَّة نابضة تحمل الخطوط الأساسية لمفهوم الخلاص، وتمتد به من البداية في الكنيسة الأولى حتى إلى ما بعد استشهاد بولس الرسول وإلى بوادر خراب أورشليم سنة 70م.

لذلك ينبغي أن لا يفارق ذهن القارئ صورة ق. لوقا وهو يؤرِّخ للكنيسة تاريخها اللاهوتي الفدائي والخلاصي باعتباره صاحب قصة ميلاد المسيح من الروح القدس والعذراء مريم، وصاحب سفر الأعمال منذ يوم الخمسين حتى نهاية عصر الرسل.

أكثر من بحث في هذا الموضوع حديثاً هو العالِم الألماني كونزلمان[50] من وجهة نظر تاريخ الخلاص في الإنجيل، حيث يُعطي ق. مرقس ـ بحسب هذا العالم ـ شرحَ الخلاص، وق. متى يوضّح تحقيق الوعد بالخلاص، وق. لوقا يتعقَّب نمو تاريخ الخلاص، وذلك باعتبار أن المسيحيين الأوائل

---

(50) **H. Conzelmann, *An Outline of the Theology of the New Testament,* (Eng. Tr., New York, 1969), pp. 140-152.**

كانوا يعيشون في صميم الرجاء لاستعلان المسيح، فنشأ عن ذلك غيرة حارة أخروية ألهبت المسيحية، ولكن هدأت وفترت بسبب عدم تحقيق الاستعلان المنتظر بقرب المرجو. وتعيَّن على الكنيسة بعد ذلك أن تقبل الوضع الجديد باعتبار الاستعلان بالإيمان المتوافق مع الوجود في العالم. وقد اضطلع بهذه المهمة في هذا الجو المشحون بالرجاء والتوتر والانتظار كبار لاهوتيي الكنيسة الأوائل، وكان ق. لوقا واحداً منهم، فأعاد شرح مفهوم الأخرويات من واقع التقليد، وطرحه في إنجيله باعتبار أن الاستعلان المرجو والمنتظر ليس هو بمفهوم السرعة الزمنية ولكن بمفهوم المفاجأة اللحظية. وسيظل مؤجَّلاً دائماً في طيات المستقبل غير المحدود دون انتظار تحقيقه في وقت معيَّن.

وعلى هذا أيضاً تغيَّر مفهوم "ملكوت الله"، فبدل أن كان حادثة وشيكة الحدوث، تحوَّل إلى حدث حقيقي سماوي فائق حتمي الظهور ولكن في معزل عن الزمان: **«لا يأتي ملكوت الله بمراقبة»** (لو 17:20). هذا يعني أن ال**استعلان** "الباروسيا" بصورته الزمنية الأولى فقدَ أثره الشديد والملحّ على الإيمان باعتباره مفتاح الرجاء المسيحي ودافعاً أساسياً للحياة المسيحية.

وعادت الكنيسة ولاهوتيوها يملأون الفراغ الذي اصطدم به الإيمان المسيحي من جرَّاء تأخر الباروسيا (الاستعلان)، باعتبار أن هذا التأخير في الاستعلان لا يُحسب كأنه زمن ضائع ولا حتى على المستوى السلبي للرجاء والإيمان. فالتأخير في استعلان المسيح القادم ليس هو زمن انتظار فاقد قيمته نرجو سرعة عبوره، وإنما هو في حقيقته زمن ينبغي أن يتعبأ فيه الاشتياق مع الرجاء والإيمان لبلوغ نفس المستوى الذي يمكن أن نقابل به الاستعلان الآتي، باعتباره زمناً تعيَّن من الله لنبلغ فيه قامتنا المؤهَّلة للاستعلان، حيث لا يزال الله يعمل في التاريخ لحساب هذا الاستعلان.

وهنا نجد ق. لوقا ينبِّه في إنجيله على دور الكنيسة المقادة والمرتشدة بالروح القدس التي يعمل الله من خلالها عبر الزمن الحاضر حتى يحين الاستعلان.

وقد نجح ق. لوقا في أن يجعل زمن التاريخ زمناً كنسياً أو حتى زمناً إلهياً، باعتبار أن تاريخ العالم يجري من الخلق الأول حتى إلى نقطة الاستعلان الآتي ماراً بثلاث مراحل. الأولى: مرحلة زمان إسرائيل ختمها المعمدان، والثانية: مرحلة زمان المسيح من التجربة إلى الصليب حيث اندحر الشيطان، والثالثة: مرحلة زمان القيامة داخل الكنيسة تتبع حاملة الصليب.

بهذا يكون ق. لوقا قد جعل التاريخ وعاءً للاهوت. إذ بينما تعبر الكنيسة تاريخها اليومي تسجِّل لنفسها عبوراً لاهوتياً ممتداً نحو تحقيق هدفها النهائي باعتبار أن فترة خدمة المسيح احتضنتها الكنيسة

وخرجت إلى العالم تبشِّر بها. وهكذا سجَّلتها على تاريخ العالم وحُسبت بالفعل محوراً لتاريخ العالم يبتدئ به زمانه الجديد (بعد الميلاد .A. D). وبهذا تكون الكنيسة قد طبعت تعاليمها على وجه التاريخ يحتفظه لها بدقائقه كجزء من تاريخ وتراث العالم. وبهذا أصبح التاريخ له معنى إيجابي هام للاهوت. وهذا ما سجَّله ق. لوقا بإنجيله إذ ربط اللاهوت بالتاريخ حينما وقَّع رسالة المسيح على صفحة تاريخ العالم.

في إنجيل ق. مرقس لم يهتم بأن يُدخل الوعد وتتميمه كعلاقة أساسية بين العهد القديم والمسيح، ولكن في كل من إنجيلي ق. متى وق. لوقا اهتم كل منهما بإبراز هذه العلاقة بوضوح، أي بتقديم ظهور المسيح بحسب الوعد مُطبَّقاً على نبوات العهد القديم الخاصة بتتميم هذا الوعد. وهكذا دخل التاريخ كعامل ربط أساسي لمسيرة الوعد عبر الزمن وتحقيقه. ودخلت الكنيسة في عمق التاريخ الرابط بين القديم والجديد، إذ سجَّلت بتعاليم الرسل وكرازتهم رسالة المسيح بدقائقها ووقَّعتها في سجلاتها كوديعة ثمينة احتفظ بها التاريخ لها كتقليد اتسم باسمها، أي التقليد الكنسي لرسالة المسيح أي الإنجيل. وبذلك أصبحت الكنيسة برسالتها الحية وأسرارها وطقوسها الحاملة لأفعال النعمة تُحسب أنها الحارسة لتقليد المسيح برمَّته، وبالتالي وسيلة الخلاص المؤتمنة، وفي نفس الوقت تُحسب كمؤسَّسة إلهية داخل التاريخ تتحرَّك عليه وتتحرَّك به، وأصبح لها دورها الفعَّال والمؤثِّر فيه مهما أصابها من عنت التاريخ وجحوده.

فإذا عدنا إلى القديس لوقا بخصوص الباروسيا (الاستعلان الأخير وانتظاره) نجد ـ كما سبق وقلنا ـ كيف أنه نجح في زحزحة الرجاء الملهوف والترقُّب لظهور المسيح وشيكاً، إذ جعله مبدأ إيمانياً يمتد مع الزمن دون إلحاح **بنفس الرجاء ولكن دون قلق.** وبذلك نقل المستقبل المقلق إلى حاضر إيجابي رزين وثمين.

وفي سنة 1954 جاء العالِم الألماني لوز (51) وأعطى القديس لوقا ـ على أساس ما سبق ـ اعتباراً جديراً به إذ دعاه "اللاهوتي لتاريخ الخلاص"، مؤكِّداً أنه كان أول مَنْ أنشأ عملاً مسيحياً أدبياً، إذ استطاع أن يعطي شكلاً كاملاً لحوادث تحقيق الوعد بالخلاص التي ابتدأت بخدمة المسيح واستمرت بخدمة الكنيسة في نشاط وفعَّالية لم تهدأ. وبهذا الوصف يكون هذا العالِم المبارك قد كشف كيف أن ق. لوقا بإنجيله وسفر أعماله قد قصد أن يوعِّي الكنيسة في أيامه كيف ينبغي أن تسلك وتعمل في كرازتها

(51) **E. Lohse, "Lukas als Theologe der Heilsgeschichte", *Ev. Th.* 17, 1954, pp. 256-275, cited by I. H. Marshall, *Luke: Hist. & Theolog.,* p. 79.**

وفي سلوكها الداخلي وفي علائقها بالعالم الخارجي على منوال تاريخها السابق.
أمَّا الأساس الذي بنى عليه هؤلاء العلماء نظريتهم في علو قيمة لاهوت ق. لوقا الخلاصي وتقنينه لتقليد الكنيسة الذي استلمته، فهو واضح لنا كل الوضوح. فالقديس لوقا بعد أن تابع المسيح من ميلاده حتى نهاية خدمته واستطاع أن يسجِّل العمل الخلاصي في الإنجيل كاملاً، عاد وتابع الكنيسة في سفر أعمالها منذ مولدها يوم الخمسين واستلامها استعلان الخلاص بالقوة والفعل الروحي الناطق والعامل فيها، ثم كيف بدأت تنادي وتكرز وتحمل رسالة الخلاص بكامل مفاعيلها، وعاصر التحامها المبدئي بالهيكل والفكر اليهودي، ثم تخلخُل هذه العلاقة وانقلابها إلى عداء واضطهاد وقتل. وبهذا عاصر لحظات استعلان الكنيسة على المد اليهودي المؤذي، ثم انطلاقها نحو الأمم تحت سمعه وبصره بل وكرازته أيضاً. فهذا الكم الهائل من الخبرة التاريخية واللاهوتية العملية جعلت العلماء يهيمون بشخصية القديس لوقا الفريدة في تاريخ المسيحية، وهو حقًّا جدير بأن يأخذ اللقب الذي أعطاه له العالِم كيزمان ـ الذي له وزنه العالي بين علماء الغرب ـ إذ اعتبره **"أعظم لاهوتي في العهد الجديد"**[52]. وهذا نوافق عليه بكل تأكيد، فليس من تابع تاريخ الخلاص منذ بدء ميلاد المخلّص، حتى الصليب ثم القيامة، وذكرَ الصعود، وعاصر يوم الخمسين وقبلَ الروح القدس وسار مع الكنيسة يؤرِّخ لعمل كرازتها بالروح، وتتبَّع فتوحاتها الكرازية بين الأمم، ورافق وتتلمذ على أقوى رسول للخلاص ـ بولس الرسول ـ يؤازره ويعضده ويعمل معه ويحمل هم مرضه في أسفاره وفي سجنه، ويعزيه في آلامه ويقف معه في استشهاده! فأين نبحث عن بدء سر الخلاص ومعناه وعمله وفعَّاليته ومراحل نموه واكتماله إلاَّ في إنجيل ق. لوقا وسفر أعماله؟
لذلك يقول العالِم إيليس[53] إن ق. لوقا يضع طبيعة المسيح المسيَّانية ورسالته كهدف محوري وأساسي لإنجيله، وأن فكرة الخلاص هي عند ق. لوقا مفتاح اللاهوت. ليس تاريخ الخلاص كما يظن البعض، ولكن الخلاص نفسه هو الهدف الذي كان يملأ فكر ق. لوقا في إنجيله أو سفر الأعمال. والقديس لوقا هو الذي امتد بكلمة **sèzw** = يخلّص التي كانت تعني مجرَّد الشفاء أو النجاة من خطر ليعطيها معنى الخلاص الروحي. فكلمة **sèzw** عند ق. لوقا أخذت وضعاً روحياً جديداً خاصاً به ولا يوجد في الأناجيل الأخرى. كذلك فقد استخدم مشتقات كلمة

[52] **E. Käsemann, *Jesus means Freedom,* (Eng. Tr. 1969), p. 121 cited by I. H. Marshall, *Luke: Historian and Theologian*, p. 83.**
[53] **E. E. Ellis, *op. cit.*, p. 10.**

يخلّص مثل المخلّص swt»r والخلاص swthr…a و swt»rion حيث لا توجد قط في إنجيلي ق. متى وق. مرقس، بينما تكررت ثماني مرَّات في إنجيل ق. لوقا وتسع مرَّات في سفر الأعمال(54). وهذه الكلمات ولو أنها توجد في باقي كتب العهد الجديد ولكنها تركّزت عند ق. لوقا بصورة ظاهرة. فهو لا يحتكرها ولكن يبرزها بشدة فوق الأسفار الأخرى مما يؤكّد اهتمامه بها وبمعناها وبهدفها. لذلك نعود ونقول إن الخلاص ليس ظاهرة محتكرة عند ق. لوقا وحده، ولكن الخلاص في تقليد ق. لوقا الذي استلمه وورَّثه للكنيسة بعد أن ملأ فكره وقلبه يقع موقع المحرِّك الأساسي والهدف الذي يتجه إليه كل من الإنجيل والأعمال. ولا يزيد ق. لوقا هنا عن كونه أكثر انطباقاً وعناقاً لفكرة الخلاص وعمله الذي ورثته الكنيسة من المسيح وامتدت به.

والعالِم أونيك(55) في كتابه الذي يعتبر أكثر الكتب الحديثة تعمُّقاً ومعرفة في دراسة لاهوت ق. لوقا، يقول إن إنجيله يكشف بقوة العمل الخلاصي في خدمة المسيح، وأمَّا سفر الأعمال فيكشف كيف مسكت الكنيسة بقوة الخلاص من يد الرب وامتدت تنادي به بالروح. لذلك فإن غرض سفر الأعمال كان بالنسبة للقديس لوقا كيف يبني به جسراً متماسكاً قوياً بين الحقائق التي تسجَّلت للمسيح في الإنجيل وبين الناس الذين لم يروا المسيح متجسّداً حتى يقبلوا أو يتحققوا أن الخلاص هو لهم ليحتضنوه كعطية حُفظت لهم.

كذلك يعجب العالِم جرين(56) [كيف أن ق. لوقا يتخذ أسلوب التكرار المستمر لمعاني واصطلاحات الخلاص ونحن لم نلتفت إليها ونعطيها ما تستحقها من الاهتمام].

لذلك ليس تجاوزاً أن يتفق العلماء على جعل كلمة "الخلاص" هي البطاقة الذهبية التي ينبغي أن تُعلق فوق التعليم اللاهوتي للقديس لوقا، بالرغم أن موضعها أصلاً وحتماً فوق اللاهوت المسيحي عامة.

ولكن لم يكن الخلاص بحد ذاته هو محور وأساس فكر ق. لوقا الإنجيلي، إنما الخلاص يعبِّر تعبيراً

---

(54) I. H. Marshall, *Luke: Historian and Theologian,* p. 92.

(55) W. C. van Unnik, *"The Book of Acts, The Confirmation of the Gospel", Nov. T.* IV, 1960, pp. 26-59.

(56) E. M. B. Green, *The Meaning of Salvation,* 1965, p. 125, cited by I. H. Marshall, *Luke: Historian and Theologian,* p. 93.

ذاتياً عن شخص المسيح، فالقديس لوقا له وجهة نظر خاصة بالمسيح "المخلِّص"، وشدة تأثر ق. لوقا بالمسيح هو الذي أعطاه هذا الالتفات الشديد لعمله الخلاصي.

مدى إحاطة القديس لوقا بمفهوم الخلاص:

أول ذكر للخلاص في إنجيل ق. لوقا يبدأ من العذراء القديسة مريم حينما سبَّحت الله مخلِّصها: «فقالت مريم: تعظِّم نفسي الرب، وتبتهج روحي بالله **مخلِّصي**» (لو 47:1). هنا مفهوم الخلاص يمت بصورة قوية لمفهوم العهد القديم إنما بروح تقوية جديدة. والخلاص هنا في مفهوم العذراء هو الرحمة التي بدأ يظهرها الله بحسب وعده بالنسبة للمستقبل الذي انفتحت طاقاته من السماء على يديها. غير أن ذكر الخلاص لأول مرَّة في إنجيل القديس لوقا أتى على لسان الملاك في تسمية "يسوع"، فالكلمة تعني الله يُخلِّص (13:1) في نطقها وفي معناها العبري Jehôshuá وقد أفصح القديس متى عن معناها: «تدعو اسمه **يسوع.** لأنه **يُخلِّص** شعبه من خطاياهم.» (مت 21:1)

وبعد الخلاص فيما يخص تسبحة العذراء وبشارة الملاك، يأتي الخلاص في تسبحة زكريا الكاهن في ميلاد المعمدان، حيث ميلاد المعمدان الإعجازي أيضاً يشير إلى أن المعمدان سيأخذ دوراً خاصاً في خطة الله، وظهر هذا في تسميته من الله: يوحنا، حيث تعني حنان الله، الأمر الذي انعكس على روح زكريا أبيه فأعطى تسبحته باعتبار "افتقاد الله لشعبه" وبدء عمل **الفداء** بميلاد المعمدان. ثم ارتفع زكريا مرَّة واحدة بالنبوَّة ليرى كيف أقام الله **«قرن خلاص»** في بيت داود كالوعد. والقرن في مفهوم التوراة كناية عن قوة مبارزة لكسر العدو، ثم يكشف زكريا أن قرن الخلاص هذا منوط به «**خلاص** من أعدائنا ومن أيدي جميع مبغضينا.» (لو 71:1)

وهكذا لو جمعنا هذه الاصطلاحات معاً: قرن الخلاص، والخلاص من أعدائنا وبيت داود فتاه، تكون الحصيلة تصوير ضمني للمسيَّا الآتي حيث عمل المسيَّا هو الخلاص.

وتنتهي تسبحة زكريا بتصوير رسالة المعمدان وهو لا يزال يرضع على الصدر: «لتعطي شعبه **معرفة الخلاص** بمغفرة خطاياهم.» (لو 76:1)

وبعد الخلاص عند زكريا، يأتي الخلاص في دعوة الملاك للرعاة (لو 11:2)، حيث يوضِّح الملاك بأقوى بيان أن المولود هو **المخلِّص** الذي هو **المسيح الرب**، وفي مدينة داود حيث تكمل صورة المسيَّا. والقول: «المسيح الرب» هو أول لقب ينطق بالألوهة للمولود، بمعنى أن الله قائم في يسوع بإيضاح أنه ابن الله وأن الله ظهر حسب وعده لافتقاد الشعب. وفي ظهوره فرح لكل الشعب:

«فها أنا أبشّركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب» (لو 2:10). هذا هو رد فعل البشارة، مجرَّد البشارة بالخلاص! والقديس لوقا حريص بأن يجعل دائماً مع الخلاص "تسبيح! وسلام وفرح".

ارتباط الخلاص بالإيمان: «إن إيمانك قد خلَّصك»:

إن إنجيل ق. لوقا أكثر إنجيل تتكرر فيه هذه المقولة على فم الرب. فهو يكررها أربع مرَّات: للمرأة الخاطئة (7:50)، ولنازفة الدم (8:48)، وللأبرص الذي شُفي (17:19)، وللأعمى الذي أبصر (18:42). وفي مقابل ذلك لا نجدها سوى مرَّة واحدة فقط في كل من إنجيلي ق. مرقس والقديس متى. واهتمام ق. لوقا بالذات بهذا القول يعود إلى أنه يلخّص في كلمات قليلة المبدأ الأساسي الذي بذل ق. بولس كل جهده وحياته في المدافعة عنه، وهو أن الخلاص يأتي بالإيمان بالرب يسوع المسيح وليس من أعمال الناموس. لذلك وجدها ق. لوقا فرصة ثمينة أن يدعّم بهذا القول من فم الرب نفسه، وبتكرار كثير، تعليم بولس الرسول الذي لاقى مقاومة كثيرة ولاسيما من اليهود المتمسكين بأعمال الناموس.

معيار القديس لوقا لإنجيل الخلاص:

«ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويخلّص ما قد هلك» (لو 10:19):

تنتهي قصة زكا بقول الرب: «اليوم حصل **خلاص** لهذا البيت ... لأن ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب **ويخلّص** ما قد هلك.» (لو19: 9و10)

هذا القول أعطى في قلب ق. لوقا النور ليروي إنجيله عن المسيح الذي جال يخدم في الجليل وفي اليهودية. وليس جزافاً أن يأتي بعد هذه الآية في رواية ق. لوقا قصة الإنسان الشريف الجنس الذي «ذهب إلى كورة بعيدة ليأخذ لنفسه مُلكاً ويرجع، فدعا عشرة عبيد له وأعطاهم عشرة أمناء وقال لهم: تاجروا حتى آتي» (لو 19 :11-13).

قال المسيح هذا المثل وبعدها صعد بالفعل إلى أورشليم ليطلب مُلكاً من هناك على الجلجثة! حيث يخلّص ما قد هلك! ويتمّم بذلك الهدف الذي جاء من أجله!

القديس لوقا يختص بهذا الهدف الذي يبني عليه إنجيله. فإن كان ق. مرقس قد جاهد ليقدّم إنجيل يسوع المسيح على أساس أنه هو المسيح ابن الله ورسالته هي الأخبار السارة، وكان شغل القديس مرقس هو شغل المسيح الشاغل: مَن يقول الناس إني أنا (مر 29:8)، يتخلّلها ظهورات سرية لابن الإنسان حيث يستعلن السلطان الإلهي للعيون المفتوحة، وإن كان ق. متى قد اهتم في إنجيله ليبرز لليهود أن يسوع المسيح هو مسيَّا التوراة وصاحب الوعد والميعاد بحسب كل الأنبياء مقدّماً تعاليم المسيح عوض تعاليم موسى، وإن كان ق. يوحنا يقدّم المسيح أنه هو الذي يستعلن الله ويعطي

الحياة الأبدية للناس، حيث الحياة الأبدية هي مضمون الخلاص عند ق. يوحنا، والمسيح يُستعلن أنه هو ابن الله وأنه هو والله واحد ؛ فإن اهتمام ق. لوقا الأعظم هو تقديم الخلاص وتقديم المسيح على أنه هو المخلّص بصورة واضحة وملحَّة. ولكن ق. لوقا لا يحتكر الخلاص ولكن يؤكّده ويبرزه أكثر. فإن كان المسيح هو المخلّص في الأناجيل الأربعة، إلاَّ أن ق. مرقس يهتم بتقديم شخص المسيح ابن الله، وق. متى يهتم بتقديم تعاليمه، وق. يوحنا يستعلن الحياة الأبدية فيه، بينما ق. لوقا يضغط على بركات الخلاص التي قدَّمها المسيح:

+ «أيها الرجال الإخوة بني جنس إبراهيم والذين بينكم يتّقون الله إليكم أُرسلت **كلمة هذا الخلاص.**» (أع 26:13)

بعد البشــارة بالأخبـار المفرحة بالخـلاص (الإنجيـل)،
يكتب ق. لوقا أعمال تحقيق الخلاص (سفر الأعمال):

واضح من منهج ق. لوقا الخلاصي أنه بعد أن استوفى في إنجيله فعل الخلاص الذي ظهر في بيت لحم وأكمل على الجلجثة واستعلن بالقيامة من الأموات، باشر في الحال وبنفس القوة والمستوى متابعة عمل الخلاص في الكنيسة في سفر الأعمال على أساس لاهوتي هام للغاية، هو أن **المسيح نفسه هو الذي استمر يعمل** ويعلّم على مدى سفر الأعمال كله بواسطة التلاميذ. فإن كان الإنجيل هو **كيف ابتدأ المسيح يفعل** ويعلّم، فسفر الأعمال هو كيف أكمل المسيح ما ابتدأه في الإنجيل، لذلك كان مطلع سفر الأعمال هكذا:

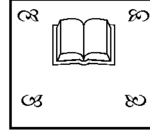
+ «الكلام الأول (الإنجيل) أنشأته يا ثاوفيلس عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويعلّم به.» (أع 1:1)

أمَّا انتظار التلاميذ الخاطئ لظهور الملكوت سريعاً وعودة الملك لإسرائيل، فقد طوَّح بها ق. لوقا إلى ما وراء أفق زمان الإنسان الضيق برد المسيح: «ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه ـ ثم أضاف ما ينبغي على الكنيسة أن تراه وتعمله ـ لكنكم ستنالون قوة متى حلَّ الروح القدس عليكم وتكونون لي شهوداً في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة **وإلى أقصى الأرض.**» (أع 1: 7و8)

إذن، فهذا هو منهج الخلاص عند ق. لوقا: البشارة أولاً بالخلاص (الإنجيل) ثم حمل الخلاص إلى أقصى الأرض!! أمَّا المجيء الثاني فهو حتمي ولكن بعد أن يبلغ الخلاص إلى أقصى الأرض!

لهذا، فإن كان الإنجيل عند ق. لوقا هو استعلان الخلاص، فسفر الأعمال هو تكميل هذا

الاستعلان والعمل به على مدى الزمان وإلى أقصى الأرض.
فلو لاحظ القارئ الخط الفكري الذي صاغ به ق. لوقا سفر الأعمال يجد كيف انحصرت أعمال الرسل الذين لم يظهر منهم إلاَّ بطرس ويعقوب أخو الرب ويوحنا ثم الشماس استفانوس للبشارة في أُورشليم واليهودية والسامرة، ثم انطلق ق. لوقا مع ق. بولس يحمل الكنيسة والبشارة والخلاص ـ عبر أسِيَّا الصغرى واليونان ـ صوب روما لتنطلق منها بعد ذلك إلى أقصى الأرض. وهكذا يوقّع عمل الكنيسة على الخط الأساسي الذي وضعه الرب: « تكونون لي شهوداً في أُورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض.» (أع 8:1)
ولكن يتحتَّم على الكنيسة أن لا تتحرك من مكانها إلاَّ بعد أن يحل الروح القدس ليحل المسيح في قلوبهم وأفواههم أينما ساروا وحلُّوا. فالمسيح هو العامل بالروح والكلمة لاستعلان الخلاص في القلوب وجميع المختارين.
وهكذا يتضح أمام عين القارئ أن ق. لوقا كتب إنجيله وسفر الأعمال معاً بنفس الروح وبنفس الهدف لاستعلان الخلاص وعمله!!
وكان ق. لوقا هو الوحيد بين الرسل والتلاميذ والإنجيليين جميعاً الذي جمع بين المسيح والكنيسة في عمل واحد واستعلن المخلّص على مستوى التاريخ وكل الزمان.



المواضيع التي يميل القديس لوقا أن يركِّز عليها

(أ) الروح القدس:

لم يملّ القديس لوقا من ذكر الروح القدس بضغط ملحوظ وذلك ابتداءً من أول صفحة من إنجيله، في البشارة بميلاد يوحنا المعمدان إذ يذكر أنه: «من بطن أمه يمتلئ من الروح القدس» (لو 1:15)، ثم بخصوص الميلاد البتولي: «الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك» (1:35). ثم يذكر امتلاء أليصابات من الروح القدس (1:41)، وكذلك امتلاء زكريا من الروح القدس لينطق بنبوته (1:67). ويذكره ثلاث مرَّات بخصوص سمعان الشيخ (2: 25و26و27). ثم يذكره في كل مراحل وحوادث حياة الرب: في العماد (3:21)، وعلى جبل التجربة: «رجع من الأردن ممتلئاً من الروح القدس وكان يُقتاد بالروح في البرية» (4:1)، ثم في بدء الخدمة: «رجع يسوع بقوة الروح إلى الجليل» (4:14). والقديس لوقا هو الوحيد الذي ذكر الخطاب الافتتاحي الذي بدأ به الرب خدمته أنه كان نص النبوَّة: «روح الرب عليَّ لأنه مسحني» (4:18). وهو الوحيد الذي أبرز أن أهم طلب يليق أن نطلبه من الآب هو الروح القدس: «فكم بالحري الآب الذي من السماء يعطي الروح القدس للذين يسألونه »(11:13)، ويُلاحَظ أن هذه الآية جاءت في إنجيل ق. متى: «يعطي الصالحات» كذلك القديس لوقا هو الوحيد الذي أعطى اصطلاح «موعد الآب» للإشارة إلى حلول الروح القدس، سواء في إنجيله (لو 24:49) أو في سفر الأعمال (أع 1:4). وينتهي إنجيله برجاء وانتظار «أن تُلبَسوا قوة من الأعالي.» (24:49)

وانفراد القديس لوقا دون سائر الإنجيليين بمثل هذا التركيز على الروح القدس راجع بلا شك إلى كون إنجيله يُعتبر الجزء الأول الذي يكمّله سفر الأعمال، ذلك السفر الذي اختص بوصف عمل الروح القدس في الكنيسة الناشئة حتى أنه يمكن أن نسميه سفر "أعمال الروح القدس". (57)

(ب) الصلاة:

يبدأ الإنجيل بخدمة زكريا الكاهن في الهيكل: «وكل جمهور الشعب يصلُّون خارجاً» (1:10). والقديس لوقا هو الوحيد الذي ذكر أمثال الرب عن الصلاة: صديق نصف الليل (11:5)، وقاضي الظلم (18: 1ـ8) «وقال لهم مثلاً في أنه ينبغي أن يُصلَّى كل حين ولا يُمل» والفريسي والعشار (18: 9ـ

---

(57) راجع كتاب: "شرح سفر أعمال الرسل" للمؤلِّف صفحة 19.

14). وهو الوحيد الذي ذكر أن الرب كان يصلّي أثناء العماد (21:3) وأثناء التجلّي (29:9)، وأنه «قضى الليل كله في الصلاة لله» قبل اختيار الاثني عشر (12:6)، وأنه «كان يصلّي على انفراد» قبل اعتراف ق. بطرس (18:9)، وكذلك قبل أن يسلّمهم صلاة «أبانا الذي» «إذ كان يصلّي في موضع لمَّا فرغ قال واحد من تلاميذه يا رب علّمنا أن نصلّي» (لو 1:11). وهكذا في كل المواقف الهامة في حياة الرب يصوّره القديس لوقا في وضع الصلاة (راجع أيضاً 41:22 و34:23)؛ بل إنه يذكرها كعادة دائمة ومألوفة للرب أنه «كان يعتزل في البراري ويصلّي.» (16:5 و42:4 و37:21)

ثم يأتي سفر الأعمال ليبيّن كيف تمثّلت الكنيسة بمعلّمها وصارت تصلّي بلجاجة في كل مناسبة (14:1 و42:2و46 و1:3 و24:4 و12:5و12 و2:13-3 إلخ ...)

(ج) التسبيح:

إنجيل القديس لوقا يعتبر أكثر سفر في العهد الجديد أغنى الكنيسة بالتسابيح الإنجيلية التي دخلت في صميم طقس الصلوات في الكنيسة شرقاً وغرباً.

فهو الذي ذكر تسبحة القديسة العذراء: «تعظّم نفسي الرب» (46:1-55) وتُدعى في الغرب Magnificat ، وتسبحة أليصابات: «مباركة أنتِ في النساء ومباركة هي ثمرة بطنك» (42:1)، وتسبحة زكريا الكاهن: « مبارك الرب إله إسرائيل ...» (68:1-79) وتُدعى Benedictus ، وتسبحة الملائكة: «المجد لله في الأعالي ...»(14:2) وتُدعى Gloria in excelsis ، وتسبحة سمعان الشيخ: «الآن يا سيدي تطلق عبدك بسلام ...»(29:2-32) وتُدعى Nunc dimittis. وهذه التسابيح تتكرر بكثرة في الكنيسة القبطية في شهر كيهك، ويُقال بعضها يومياً في صلاة باكر وصلاة النوم في الأجبية كما تُقال في سحر سبت النور.

وبخلاف هذه التسابيح الخمسة التي دخلت طقس الصلاة في الكنيسة نجد ق. لوقا يميل دائماً وفي كل مناسبة أن ينهي القصة وعلى الأخص المعجزات بعبارة تبرز انبهار الجموع وفرحهم وتسبيحهم لله:

+ «وجميع الشعب إذ رأوا سبحوا الله.» (43:18)
+ «وفرح كل الجمع بجميع الأعمال المجيدة الكائنة منه.» (17:13)
+ «وكانوا يفرحون ويسبِّحون الله بصوت عظيم لأجل جميع القوات التي نظروا.» (37:19)
+ «فبُهت الجميع من عظمة الله ...» (43:9)
+ «ومجَّدوا الله قائلين ...» (16:7)
+ «ارجع إلى بيتك وحدِّث بكم صنع الله بك.» (39:8)

+ «فلمَّا رأى (الأبرص) أنه شُفي رجع يمجِّد الله بصوت عظيم.» (15:17)
+ «ففي الحال استقامت ومجَّدت الله.» (13:13)
+ «فأخذت الجميع حيرة (دهش) ومجَّدوا الله قائلين: إننا قد رأينا اليوم عجائب.» (26:5)

وينتهي الإنجيل كما ابتدأ بنبرة الفرح والتسبيح:

+ «ورجعوا إلى أورشليم بفرح عظيم وكانوا كلحين في الهيكل يسبِّحون ويباركون الله.» (24:52ـ53)

(د) عطف المسيح على الخطاة:

القديس لوقا هو الوحيد الذي ذكر مَثَل الابن الضال وأبرز فيه حنان الله كآب وسعة قلبه نحو البشرية الخاطئة (15:11ـ32). وكذلك انفرد بذكر قصة المرأة الخاطئة التي غُفرت خطاياها الكثيرة لأنها أحبَّت كثيراً (7:47).

وهو الوحيد الذي ذكر وعد الرب الجميل الفريد المفرِّح لقلب الخطاة حينما أعلن للص اليمين عفواً إلهياً كاملاً وعبوراً للفردوس معه في نفس اليوم الذي تعيَّن أن يفتتحه لحساب الإنسان التائب! (23:43)

وعلى مدى الإنجيل كله لا يترك ق. لوقا مناسبة تفوته ليذكر فيها كيف كان الرب «محباً للعشارين والخطاة»(7:34)، وأنه كان يأكل معهم (5:30) ويعتبرهم هم موضوع رسالته (5:32)، وأنهم كانوا مواظبين على تعليمه (15:1)، وأنه احتمل الانتقاد بسبب صداقته لهم «إنه دخل ليبيت عند رجل خاطئ» (19:7). كما ذكر مقدار الفرح العظيم الذي يكون في السماء بخاطئ واحد يتوب أكثر من 99 باراً لا يحتاجون إلى توبة. وإن كان مثل الخروف الضال له ما يقابله عند ق. متى (مت 18:12) إلاَّ أن ق. لوقا زاده تأكيداً بأن أضاف إليه مثل المرأة التي لها عشرة دراهم وأضاعت درهماً واحداً فكنست البيت حتى وجدته (15:8و9)، ويعود بعده ويكرِّر القول: «هكذا يكون فرح قدَّام ملائكة الله بخاطئ واحد يتوب.» (15:10)

(هـ) تزكية الفقراء والتنديد بالمال:

هذا أيضاً اتجاه واضح عند ق. لوقا. فهو الوحيد الذي ذكر مَثَل الغني الغبي (12:16ـ21) ومَثَل الغني ولعازر (16:19ـ31)، وهو الوحيد الذي ذكر قول الرب: «انظروا وتحفَّظوا من الطمع، فإنه متى كان لأحد كثير فليس حياته من أمواله» (12:15). واقتبس من ق. متى القول: «لا تقدرون أن تخدموا الله والمال» (16:13) ولكنه أضاف أن الرب قال هذا في مقابل الفريسيين «وهم محبون للمال فاستهزأوا به» (فكان ردّه عليهم بمثل الغني ولعازر).

كذلك اقتبس من ق. مرقس قصة الشاب الغني (18:18ـ27) مع التحذير على صعوبة دخول الغني إلى ملكوت الله أكثر من مرور جمل من ثقب إبرة، وأيضاً قصة الأرملة ذات الفلسين التي ألقت أكثر من الجميع (21:1ـ4)، واقتبس من ق. متى تطويب الرب للمساكين، ويُلاحَظ أنه بينما ق. متى حصرها في المسكنة الروحية «طوبى للمساكين بالروح» أوردها ق. لوقا بصفة أكثر شمولاً وبدون تحديد «طوباكم أيها المساكين (...ptwco = الفقراء)» (20:6) حتى تشمل الفقر المادي أيضاً. وزادها تأكيداً بأن أردفها بالويل للأغنياء: «ويل لكم أيها الأغنياء لأنكم نلتم عزاءكم» (24:6)، وهو نفس المبدأ الذي استخلصه من قصة الغني ولعازر: «اذكر أنك استوفيت خيراتك في حياتك وكذلك لعازر البلايا، والآن هو يتعزَّى وأنت تتعذَّب» (25:16). وهذا الاتجاه واضح منذ أول أصحاح في الإنجيل في تسبحة العذراء: «أشبع الجياع خيرات وصرف الأغنياء فارغين» (53:1). ومنذ بدء خدمة المسيح يذكر أن إنجيله موجَّه بصفة خاصة للمساكين: «مسحني لأبشِّر (بالإنجيل) المساكين» (18:4) «والمساكين يُبشَّرون» (22:7). ويذكر ق. لوقا وصية الرب لمن يصنع ضيافة أن لا يدعو «الجيران الأغنياء» بل «ادعُ المساكين الجدع والعرج والعمي» (12:14و13)، ثم يزيد على ذلك أن الرب نفسه يفعل هكذا في وليمته الأبدية: «أدخِلْ إلى هنا المساكين والجدع والعرج والعمي» (21:14). ويُلاحَظ في جميع هذه الآيات أن كلمة المساكين ...ptwco هي نفسها التي تُترجم في مواضع أخرى «الفقراء» (مثلاً في: لو 22:18 ويو 5:12و6 و29:13 إلخ).

(و) تكريم المرأة:

اختص القديس لوقا دون غيره من الإنجيليين بإعطاء صورة روحية واضحة لشخصية القديسة العذراء ولشخصية أليصابات في الأصحاحين الأول والثاني من إنجيله. كذلك انفرد بذكر حنَّة النبية: «وهي أرملةٌ نحو أربعٍ وثمانينَ سنةً لا تفارق الهيكل عابدة بأصوام وطلبات ليلاً ونهاراً» (37:2). وكذلك هو الوحيد الذي ذكر أرملة نايين (11:7ـ17) والمرأة الخاطئة التي أحبَّت كثيراً (47:7) والمرأة المنحنية التي شُفيت (11:13ـ13) وزيارة الرب لمريم ومرثا حيث الأولى «اختارت النصيب الصالح الذي لن يُنزع منها.» (42:10)

وهو الوحيد الذي ذكر امرأة الزحمة التي رفعت صوتها بالتطويب لصاحب التطويبات ولأمه (27:11)، وإن كان بقية الإنجيليين قد ذكروا النسوة اللواتي تبعن الرب من الجليل إلاَّ أنه الوحيد الذي ذكر أنهن «كن يخدمنه من أموالهن» (2:8و3)، وأيضاً انفرد بذكر قول الرب لبنات أورشليم وهو في طريقه إلى الجلجثة (28:23)، وبعد ذلك اشترك مع بقية الإنجيليين في ذكر المريمات اللواتي أتين إلى القبر وكُنَّ أول مَنْ بشَّر بالقيامة.

شرح إنجيل القديس لوقا على مدى العصور
- والنقد الذي وجه إليه -

قبل أن أعرض تاريخ الشرح والنقد، أوضّح للقارئ أن العلماء الذين اضطلعوا بدراسات الكتاب المقدَّس، منهم الآباء القديسون بطاركة وأساقفة وكهنة، ومنهم العلمانيون من كل عقيدة، ونحن لا نقرِّظ العالم إلاَّ على علمه وعلى روحانيته حتى يطمئن القارئ أننا نبحث بعقلية روحانية. وإن كنَّا نذكر علماء الغرب فذلك بقصد العبور على عصور سحيقة لم يكن فيها للأرثوذكس الذين يمكن أن نكتفي أو نعتمد عليهم دراسات أو شروحات، فكل العصور الوسطى كان الظلام يخيِّم فيها على الشرق كله. ونحن على كلٍّ ندعو الله أن يمنَّ على كنيستنا الأرثوذكسية القبطية بعصر جديد تتبوأ فيه ما هي أحق به من العلم اللاهوتي والروحي.

أولاً: إنجيل القديس لوقا في القرن الثاني الميلادي:

كما سبق وقلنا إن أول إشارة صريحة وصلتنا عن إنجيل القديس لوقا هي عن القديس إيرينيئوس وتاريخ مدوَّناته سنة 185م، ولكن عندنا ما يؤكّد أن استخدام إنجيل ق. لوقا في الكنيسة كان قبل ذلك بواسطة كتابات أشخاص كنسيين وقادة بعض الشيع كالغنوسيين[58].

وأول ذلك **الديداخي**، وهي من مدوَّنات القرن الأول حسب أبحاث العلماء المتخصِّصين، وهي تحوي النظام والتدبير الكنسي وأقدم تقليد للكنيسة، وهي تدخل برمتها كجزء من القوانين الرسولية (الجزء السابع). ويعتقد العالِم أودت[59] أنها ترجع إلى سنة 60م، أمَّا العالِم دوشان فيقول: إنها معاصرة لتراجان (توفِّي سنة 117م) وموطنها غالباً سوريا وليس مصر كما كان يُعتقد، وتتوارد في الديداخي بعض العبارات من إنجيل ق. متى وإنجيل ق. لوقا وربما إنجيل ق. يوحنا أيضاً.

ثم نأتي إلى **الشهيد يوستين** الذي استخدم إنجيل ق. لوقا في وصف حياة المسيح وتعاليمه، وفي دفاع يوستين الأول استخدم عبارات من إنجيل ق. لوقا، خاصة التي جاءت في قصة الميلاد عن

---

(58) **J. M. Creed, *op. cit.*, p. XXV.**

(59) **Oxford. Dict., p. 401.**

أليصابات والدة المعمدان وبشارة العذراء مريم وأخبار كيرينيوس الوالي والنزول في بيت لحم، وذكر عمر المسيح 30 سنة عند بدء الخدمة كما جاء في إنجيل ق. لوقا، وإرسال بيلاطس المسيح ليُحاكم عند هيرودس. كل هذا وغيره في كتاباته التي يرقى زمانها إلى سنة 150م.

وأهم الهراطقة الذين حازوا نسخة من إنجيل ق. لوقا هو **ماركيون**، وقد اختار بعض الأجزاء من الكتب المقدَّسة واعتبرها هي وحدها الأسفار القانونية، ومنها إنجيل ق. لوقا، واستخدمه وذلك بين سنة 139 ـ 144م. ولكن التأكيد الأقوى الذي بلغنا عن وجود الأربعة أناجيل في القرن الثاني في الكنيسة قد جاء من **تاتيان** الذي حاول أن يجمع بينها ويُخرج إنجيلاً واحداً أسماه الدياتِسارون *Diatessaron* وكان ذلك في سنة 170م في روما. وأثناء ذلك كان القديس **إيرينيئوس** في بلاد الغال يعتبر الأربعة أناجيل هي أربعة أعمدة الكنيسة(60). وفي نفس الوقت كانت الأربعة أناجيل قد بدأ ذكرها في أنطاكية حوالي سنة 180م على يد أسقف أنطاكية المدعو **ثاوفيلس**. وقد أخبرنا ق. جيروم(61) أن هذا الأسقف ثاوفيلس حاول محاولة تاتيان في استخراج إنجيل من الأربعة أناجيل، وهي العملية التي رفضتها الكنيسة شرقاً وغرباً.

كما يمدنا العالِم شمدت(62) بأنه قد اكتشف وثيقة سُمِّيت رسالة الرسل *Epistula Apostolorum* وفيها آيات من الأربعة أناجيل وهي من مدوَّنات أسيا الصغرى سنة 160 م تقريباً.

وهكذا نرى من جهة تاريخ التعرُّف على إنجيل ق. لوقا واستخدامه أن أقواله ثُبِّتت في تربة الكنيسة قبل أواخر القرن الثاني مع الثلاثة أناجيل الأخرى، كما تحدَّد في قانون الكتب الكنسية المقدَّسة ودخل إنجيل لوقا ضمن الأربعة أناجيل عبر مراحل تاريخ الشرح.

مكانة إنجيل القديس لوقا في الكنيسة الأولى بين الأربعة أناجيل:

بدأت الكنيسة في عصرها الأول شديدة التأثر بإنجيل ق. يوحنا خاصة في الشرق وعلى وجه التحديد مصر، وبعد العصر الأول الذهبي لإنجيل القديس يوحنا بدأت الكنيسة تنتبه إلى إنجيل ق. متى بسبب مجموع أقوال الرب والأمثال والنبوات التي أضاءت الطريق. وبعدها جاء إنجيل ق. لوقا بسبب الأصحاحين الأولين عن البشارة وميلاد المسيح. أمَّا إنجيل ق. مرقس فتعطَّل في اللحاق بالأناجيل للإشاعة التي أذاعها بابياس أسقف هيرابوليس أن ق. مرقس لم يَرَ المسيح ولم يسمعه،

---

(60) ***Adv. Haer.*, III, 11.**

(61) **Epist. 121 (151) *ad Algasiam,* Migne, P. L. XXII, 1020.**

(62) **E. C. Schmidt, cited by J. M. Creed, *op. cit.,* p. XXX.**

وذلك عن قصور واضح في إدراكه للإنجيل. ثم إن الآباء أعثروا في اختصار إنجيل ق. مرقس إذ حسبوه مختصراً لأناجيل ق. متى والقديس يوحنا والقديس لوقا ولم يأتِ بشيء جديد، في حين أنه كان هو المصدر الأساسي الذي أخذوا منه وأضافوا ما أضافوا من التقليد والمصادر الأخرى.

وبقي إنجيل ق. لوقا في وضعه بالنسبة لأهميته بعد إنجيلي ق. متى والقديس يوحنا، ولكن بسبب الأصحاحين الأولين عن ميلاد الرب احتفظ بمكانة خاصة. وهكذا استقر مركز إنجيل لوقا في ذهن الكنيسة كالثالث في المرتبة بعد إنجيلي ق. يوحنا والقديس متى، وذلك بالأكثر في الغرب الذي انتحى تقليد ترتليان في جعل الإنجيلين الرسوليين يوحنا ومتى أولاً وبعدهما إنجيلي ق. لوقا والقديس مرقس. وهكذا ظهرت في مخطوطة Bezae (ورمزها D) وفي مخطوطة Freer (ورمزها W) ومعظم المخطوطات اللاتينية القديمة حيث ترتيب الأناجيل فيها: متى ثم يوحنا ثم لوقا ثم مرقس.

ثانياً: عصر الآباء:

يبدأ العلماء عصر الآباء **بأوريجانوس** المصري باعتباره أبو شرَّاح الإنجيل قاطبة(63) إذ قدَّم شرحه لإنجيل ق. لوقا في خمسة أجزاء(64). وللأسف الشديد فقد فُقدت كلها، ولكن لحسن الحظ أبقى لنا الزمن عظاته على إنجيل ق. لوقا باللغة اللاتينية(65) بقلم ق. جيروم، والتي كان قد ألقاها في قيصرية بعد انسحابه من مصر وإقامته في قيصرية وذلك سنة 231م، وقد ترجمها جيروم إلى اللاتينية وهو في مقره في بيت لحم سنة 389م، وعددها 39 عظة: العشرون عظة الأولى عن الأصحاحين الأول والثاني، والثلاث عشرة عظة التالية على الأصحاحين الثالث والرابع، والست عظات الباقية على أجزاء متفرِّقة من أصحاح 10 إلى أصحاح 20. ولكننا نعلم تماماً أنه كتب شروحات أخرى على الإنجيل ولكنها ضاعت. وكانت كلها قائمة على تقليد كنيسة الإسكندرية الأول، ولكن المعروف عنها أنها حيَّة تأخذ بالقلب كعادة كتابات أوريجانوس وتلقي أضواءً على الإيمان المسيحي وتقليد الكنيسة في القرن الثالث للكنيسة. وعلى سبيل المثال، فإن العظة (17) على (لو 2: 33-36) عنَّف فيها بشدة الزيجة الثانية (بسبب الطلاق أو موت الزوجة الأولى)، أمَّا العظة (23) على (لو 3: 9-12) فعنَّف فيها بشدة الذين يقولون بقرب زمان النهاية.

والذي يسترعي انتباهنا جداً أن أوريجانوس كان يعتبر نص الإنجيل كغطاء سرِّي يحوي بداخله

(63) J. M. Creed, *op. cit.*, p. XXXII.

(64) Jerome, *Prol. Hom. in Luc.*

(65) P. G. 13, 1801-1902; Sources Chrétiennes 87 (ترجمة فرنسية عن اللاتينية).

حقائق عميقة وافتقاداً إلهياً، وقد حدَّد هذا المعنى وشرحه في العظة الثانية عشرة على (لو 2: 8-10). ومن درر أوريجانوس يقول العالِم كريد ـ الذي نأخذ عنه ـ أنه في هذه العظة 12 على بشرى الملائكة للرعاة يسأل أوريجانوس: هل يقصد الله ظهور ملائكة لرعاة مرَّة وحسب؟ أبداً، اسمعوني يا رعاة الكنيسة، يا رعاة الله، فملائكة الله هي دائماً تنزل من السماء لتعلن لكم كل يوم أن هذا هو يوم الخلاص إذ «ولد لكم اليوم مخلّص هو المسيح الرب» بل وأيضاً معاني أخرى مقدَّسة يمكننا أن نستشفها، فللرعاة ملائكة خاصة الذين يرشدون تدبير خدمة الشعب، وتوجد ملائكة هم أنفسهم الرعاة الذين يحملون هَمَّ خدمة الناس... أمَّا عظته الأولى فكانت على الأربعة أناجيل، والعظة الثالثة عن طبيعة الملائكة، والسادسة عن لماذا وُلد المسيح من عذراء مخطوبة؟ ويقول العالِم كريد ـ الذي نأخذ عنه ـ إن مَنْ يريد أن يستمع إلى عظات أوريجانوس في اختصار بديع عليه أن يعود إلى عرض العالِم B. F. Westcott لها في (art. Origenes) *Dict. of Chr. Biogr.*.

ومن شروحات الآباء أيضاً يوجد بين أعمال العلاَّمة **يوسابيوس القيصري** في مجموعة Migne (P. G. XXIV, 529-606) أجزاء من شرحه على إنجيل ق. لوقا، وهي مستخلصة من الكاتينات (وهي شروحات مسلسلة على الإنجيل من مختلف الآباء) وهم حوالي 52 جزءاً على إنجيل ق. لوقا، ويُلاحَظ أن يوسابيوس ينتحي المنهج الأوريجاني في الشرح.

كذلك توجد أجزاء من إنجيل ق. لوقا مشروحة بقلم **القديس أثناسيوس** وهي مطبوعة في مجموعة ميني (P. G. Migne XXVII, 1391-1404) وهي أيضاً مستخلصة من الكاتينات.

كذلك توجد أجزاء كثيرة للآباء الشرَّاح الذين عاشوا في القرن الرابع وكتبوا باليونانية، الذين شغفوا بإنجيل ق. لوقا أمثال **تيطس أسقف بصرة** (وهذه الأسقفية كانت موجودة شرق فلسطين على حدود الامبراطورية مع الصحراء العربية)، وقد وضع عظاته على إنجيل لوقا بين سنة 364 و375، وقد وصلتنا أجزاء منها ضمن شرح مسلسل (كاتينة) على إنجيل لوقا لعدة آباء آخرين، وهذه الكاتينة جُمعت في القرن السادس، وفيها يقاوم تيطس مبادئ المانيين Manichees، وهو تابع للمدرسة الأنطاكية. أمَّا بخصوص شرَّاح أنطاكية العظام مثل **ديودور** الذي من طرسوس **وثيئودور** من مبسوسطا فيقال إنهما قاما بشرح كل أجزاء أسفار الكتاب المقدَّس وقد تبقَّى من شرح ثيئودور على إنجيل ق. لوقا أجزاء قليلة[66].

---

(66) **Migne, P. G. LXVI, 715-728.**

أمَّا آخر شرح لإنجيل ق. لوقا من عظام الشرَّاح الناطقين باليونانية في عصر الآباء فهو للقديس كيرلس عمود الدين، وقد وصلنا في نسخة تكاد تكون كاملة باليونانية، وهو موجود في مجموعة ميني Migne[67] ضمن شروحاته الكثيرة، ولو أن أجزاء قليلة مفقودة من النسخة اليونانية ولكن حُفظت له نسخة كاملة باللغة السريانية وهي موجودة ضمن مخطوطات المتحف البريطاني، وقد قام بنشرها باللغة السريانية العالِم Payne Smith بأكسفورد سنة 1858، ثم نشرها بالإنجليزية سنة 1859، وتوجد تحت يديَّ نسخة كاملة باللغة الإنجليزية. كما وُجدت أجزاء منها في صحراء نتريا وقد قام بإخراجها العالِم W. Wright بلندن سنة 1874. ومعروف أن نسخة Payne أُخذت من مكتبة دير السريان، ولا تزال مجموعة من المخطوطات السريانية موجودة هناك وقد اكتشفت والكاتب موجود بالدير ومعاصر لنقلها من قلاية سرِّية تحت ركن الدير الشرقي البحري إلى المكتبة الرسمية حوالي سنة 1954، وقام بفحصها العالِم المرحوم الدكتور مراد كامل. ومعروف أن شروحات ق. كيرلس الكبير على العهد الجديد كتبت بعد سنة 428م لأنه في شرحه على إنجيل ق. يوحنا يذكر هرطقة نسطور[68].

والمُلاحَظ أن كتابة ق. كيرلس الكبير عقائدية إلى حد كبير، فعسير علينا أن نجد مجرَّد مقطع من أصحاح يخلو من نقطة عقائدية يجحد فيها مبادئ نسطور شارحاً ما يخص المسيح بصبر طويل، ولكنه على أي حال ـ كما يقول العالِم كريد Creed ـ لا يميل كثيراً إلى الرمزية التي اشتهرت بها الإسكندرية. ففي قصة الابن الضال يرفض الرمزية التي لجأ إليها غيره من الشرَّاح.

أمَّا في الغرب فنجد شرحاً مطوَّلاً للقديس **أمبروسيوس** يُقال إنه بصعوبة يستطيع المرء أن يتابعه لتعقيده[69]. يأتي بعد ذلك ق. **أغسطينوس** في شرحه لأجزاء من إنجيل ق. لوقا، وهو يختلف كثيراً عن ق. أمبروسيوس، ويقدِّمه في صورة 52 مسألة تكوِّن الكتاب الثاني من مؤلَّفه الذي دعاه: "المسائل الإنجيلية *Quaestionum evangeliorum*" المشهور لأغسطينوس، ولكنه يميل فيه إلى الرمزية الخيالية على حد قول العالِم كريد. والرمزية عند ق. أغسطينوس تخرج عن الواقعية، فمثلاً في شرح مثل السامري الصالح، فالمسافر جعله هو الجنس البشري، وأورشليم تمثِّل مدينة السلام التي تركها الإنسان الساقط، وأريحا اسمها يعني القمر الذي بتغيّره من حال لحال يمثل الموت كنهاية

---

(67) **Migne, P. G. LXXII, 475-950.**

(68) **Bardenhewer, *Patrology* (E. T.), p. 364.**

(69) **J. M. Creed, *op. cit.,* p. xxxvi, citing Bardenhewer, *op. cit.,* p. 435.**

وقد نُشر شرح أمبروسيوس في مجموعة: **Sources Chrétiennes 45 et 52** .

الرجل الساقط على الأرض، والسامري الصالح هو المخلّص، والزيت والخمر هما الوصيتان عن المحبة، والفندق حيث أودعه هو الكنيسة، والمدة بين الحادث وعودة السامري هي المدة الباقية على القيامة. وأيضاً يمثّل الاثنين والسبعين تلميذاً بعالم النور الذي نشره الإنجيل على أساس الثالوث، لأن الشمس تأخذ 24 ساعة في الدورة الواحدة، وفي ثلاث دورات باسم الثالوث (24×3= 72). وهكذا تستمر الرمزية تفقد مصداقيتها حتى إلى الصفر.

ويقول العالِم كريد: إنه بالرغم من الخيال الممتد في شرح ق. أغسطينوس إلاّ أن الإنسان لا يعدم الإحساس بعقلية ناضجة وأستاذية عميقة. وقد كتب أغسطينوس كتبه الأربعة عن "اتفاق البشيرين[70] *De Consensu Evangelistarum*" سنة 400م وفيها يحاول التوفيق بين الأربعة أناجيل. وكانت نظرته لإنجيل ق. مرقس أنه عبارة عن مختصر لإنجيل ق. متى. ويوضّح اعتقاده أن الروح القدس هو الذي ألهم الإنجيليين الأربعة لكتابة الأناجيل الأربعة على تنوعها، وأنه يؤمن أنه لا يوجد أي اختلاف أو تباين بينها.

بعد أغسطينوس يأتي أرنوبيوس (توفّي سنة 451) وقدَّم شرحه لأجزاء من أناجيل متى ولوقا ويوحنا ولكنها نُسبت بعد ذلك عن طريق الخطأ إلى ثاوفيلس الأنطاكي.

وفي زمن أرنوبيوس يأتي أسقف ليون المدعو أوخيريوس Eucherius of Lerins سنة 424م الذي توفّي سنة 450م. وقد كتب كتابين للتعليم وفي أحدهما يتكلّم عن إنجيل ق. لوقا ولكن على مستوى ضعيف.

ثالثاً: من القرن السادس حتى نهاية العصر الوسيط:

بعد القرن الخامس من التاريخ المسيحي توقّف نبض الحركة الجادة في شرح الإنجيل حتى انتهت تماماً. وإلى ألف سنة بعد ذلك ويزيد، اقتصرت حركة التأليف على محاولة لتجميع واستخلاص ملخَّصات عن كتب سالفة للآباء، وما أقلّها. وفي مجال شرح الإنجيل انحصر التأليف في تجميع ما عُرف بالسلاسل Catenae وهي عبارة عن شرح مسلسل للإنجيل يورد بخصوص كل آية أقوال العديد من الآباء الخاصة بهذه الآية. أمَّا نقطة الانتقال من عصر الآباء إلى عصر التجميع فيمكن تحديدها بصدور القانون 19 من مجمع ترولّلان سنة 692م[71] Trullan Synod الذي دعا إليه جوستنيان الثاني. وهذا القانون يأمر رجال الكهنوت بأن تنحصر شروحاتهم في الأسفار على ذكر شروحات الآباء، وأن يمتنعوا البتة عن أي

(70) **NPNF, 1st ser., vol. VI, pp. 66-237.**

(71) **Hefele, III, p. 238 f; Mansi, xi, p. 952 cited by J. M. Creed, *op. cit.*, p. XXXVII.**

شرح شخصي. وأهم السلاسل التي وضعت في شرح إنجيل ق. لوقا:

1 ـ السلسلة التي تحمل اسم تيطس أسقف بصرة التي سبق أن ألمحنا إليها. وهي تركّز أساساً على أقوال كيرلس الكبير ثم أقوال تيطس نفسه وغيره من الآباء مثل أثناسيوس وباسيليوس وغريغوريوس النزينزي والنيسي وذهبي الفم وديونيسيوس الأريوباغي وإيسيذوروس الفرمي، وهي ترقى تقريباً إلى القرن السادس.

2 ـ السلسلة التي نشرها العالِم كرامر(72) وهي عبارة عن توسُّع لسلسلة تيطس وآخر مؤلّف مذكور فيها يُدعى ثالاسيوس (سنة 650م) والسلسلة نفسها ترقى إلى سنة 700م. وتحوي حوالي 50 قولاً لتيطس من بصرة، ومؤلفها يرجع إلى الأصول الأولى للأقوال التي يذكرها.

3 ـ سلسلة نيسيتاس Nicetas(73) على إنجيل ق. لوقا. وهي مؤرَّخة بسنة 1080م حينما كان مؤلّفها شماساً ومعلّماً Didaskalos لكنيسة هاجيا صوفيا (وقد صار بعد ذلك أسقفاً على هيراقليا Heraclea in Thrace).

أمَّا في كنيسة الغرب، فبعد سقوط الامبراطورية الغربية كان أول عمل بالنسبة للإنجيل الذي يستحق أن يُذكر هو للعالم الموقَّر بيدا Bede وهو محسوب قديساً كاثوليكياً، ولد سنة 673 وهو أبو التاريخ الإنجليزي(74) وتوفّي سنة 735م. فشرح العالِم بيدا، كما يخبرنا هو نفسه في تقديم هذا الشرح في رسالته إلى أكّا، هو تجميع من كتابات الأربعة معلمين [الدكاترة] اللاتين الكبار وخاصة أمبروسيوس.

ثم تأتي الموسوعة المسمَّاة "جلوسا أورديناريا *Glossa Ordinaria*"(75) وهي تحوي شرحاً كاملاً للكتاب المقدَّس كله، وهي من أعمال والافريد سترابو Walafrid Strabo وهو رئيس دير ريشينو Reichenau المتوفّي سنة 849م، فكانت عبارة عن تجميع من الآباء مع إضافات جديدة قليلة وهي تمثّل النهضة العلمية Carolingian Renaissance في عصر شرلمان وكانت هي الحُجَّة الكبرى في شرح الإنجيل في العصور الوسطى حتى أن بعض الكتّاب اللاحقين مثل بطرس لمبارد Peter Lombard كانوا يستشهدون بها بمجرَّد اسم "الحجَّة auctoritas".

---

(72) **J. A. Cramer, *Catenae graecorum patrum in Novum Testamentum,* Oxford University Press, 1844, t. II, pp. 1-174.**

(73) **J. Sickenberger, *Die Lukaskatene des Niketas von Herakleia untersucht,* Tu 2214, Leipzig, 1902.**

(74) **Oxford Dict.**

(75) **Migne, PL CXIV, 243- 355 on St. Luke.**

وفي القرن الثاني عشر تضخَّمت الجلوسا أوردينا ريا *Glossa Ordinaria* على يد "عالِم العلماء" أنسلم الذي من لاون Anselm of Laon (توفِّي سنة 1117م) وبواسطة تلميذه جلبرت من بوريه Gilbert of Porrée (توفِّي سنة 1154م). وهذه النسخة المزيدة عُرفت باسم جلوسا إنترلينارس *Glossa interlinearis* ولكنها لم تتفوَّق على سابقتها وجرت العادة أن يستشهدوا بكلتيهما جنباً إلى جنب.

أمَّا الشُرَّاح الآخرون لإنجيل ق. لوقا فمنهم:

كريستيانوس دروثمارس Christianos Druthmarus توفِّي سنة 850م(76).

وبرونو أستنسيس Bruno Astensis توفِّي سنة 1125م(77).

وألبرت الكبير (من قديسي الغرب) Albertus Magnus توفِّي سنة 1289م.

والتاريخ المدرسي(78) *Historia Scholastica* لبطرس كومستور (من القرن الثاني عشر)، وهو الكتاب الشائع الشعبي في العصر الوسيط في عرض تاريخ الكتاب المقدَّس، ويحوي فصلاً في تاريخ الأناجيل، وهو يهدف إلى التوفيق بين الأربعة أناجيل.

ويلي ذلك كتابات توما الأكويني المشهور *Expositio Continua* أي الشرح المتواصل للأربعة أناجيل، وحاز على اسم "السلسلة الذهبية" سنة 1321م وهو أعظم كتاب لشرح الإنجيل في العصر الوسيط، ويتميَّز بأنه لم يكتفِ بالرجوع إلى الآباء اللاتين مثل أمبروسيوس وأغسطينوس وغريغوريوس الكبير؛ بل لجأ أيضاً إلى العديد من الآباء الأوائل العظام الذين كتبوا باليونانية، ولكن أكثر مراجعه اهتماماً كان كيرلس الإسكندري وأغسطينوس.

رابعاً: من عصر النهضة حتى قيام عصر النقد:

كلما اقتربنا من العصر الحديث زادت الدراسات والكتابات في الأناجيل بكثرة، حتى أصبح من الأرجح أن نقدِّم حقائق لا نصوص، مع إيضاح مميزات الكتب في المراحل التي عبر عليها شرح الإنجيل.

انتهى عصر تجميع أقوال الآباء مع إحياء التعليم الديني في القرن السادس عشر، فالآباء صاروا معروفين ويُقرأ لهم وتُطبع كتبهم ـ وطبعاً هذا لا ينطبق على مصر ـ وبدأت روح العصر الجديد تتجسَّد في الشخصيات الأجنبية بالنسبة لنا نحن في مصر وعلى الأخص في شخص **إرازموس** Erasmus

---

(76) **Migne, PL CVI, 1503.**

(77) **Migne, PL CLXV, 333.**

(78) **Migne, PL CXCVIII 1537 f.**

الفائق القدرة على المعرفة، ونبَّهت العقول إلى أهمية اللغة اليونانية وإعادة طبع الكتب المؤلَّفة بها وخاصة أسفار العهد الجديد. وفي القرن الخامس عشر مهَّد الطريق لورنتيوس فلاّ Laurentius Valla لمَّا نشر باللغة اليونانية كل كتب العهد الجديد. ثم جاءت طبعة إرازموس المشهورة (1469-1536م)، ومعها ترجمة لاتينية جديدة مع ملاحظات ضافية في الحواشي تخرج أحياناً إلى إظهار عيوب وعوارض الأخطاء السائدة في الحياة المسيحية بالنسبة إلى مستوى تعاليم المسيح، وهو ما كان يصبو إليه إرازموس.

وهكذا ابتدأ الوعي بالإنجيل ينفتح بدراسة صادقة حقيقية وبآن واحد مراجعة للأحوال الكنسية، فظهر إرازموس كمجدّد لنهضة أخلاقية إنجيلية ولغوية (بسبب إحياء اللغة اليونانية) بصورة واضحة، وابتدأ عصر العقيدة مع النهضة.

وكان إرازموس قد قدَّم للعهد الجديد باللغة اليونانية مقدّمات للأناجيل مع ترجمة حياة الإنجيليين من كتاب جيروم المسمَّى "مشاهير الرجال *De viris illustribus*"، ومع كل إنجيل المقدّمة والتعليقات التي كتبها عنه ثيوفيلاكت. وقد شرح إرازموس الأسفار بتفاسير من عنده وجعل الرسائل في الأول. أمَّا شرح إنجيل ق. لوقا فقد ظهر في سنة 1523م مع تقدمة تكريم لهنري الثامن، ثم تلاه إنجيل ق. متى والقديس يوحنا، وقد صار هذا مرجعاً لتفسير الأناجيل. وفي تفسيرات إرازموس نجده يتتبع الآباء ولكن بحريَّة ويلجأ إلى الرمزية أحياناً. وكان بذلك هو الوصلة بين المنهج القديم في فهم الأناجيل والجديد المنفتح على الدراسة العلمية، حيث جاء المجدّدون، وكانت عثرة الرمزية ثقيلة عليهم، فنبذها العلماء وابتدأوا يخطون خطواتهم في التحديث ملتزمين بالمعاني الحرفية.

أما نجم الشُّرَّاح في القرن السادس عشر فكان اللاهوتي ثيئودور بيزا Theodore Beza سنة 1519- 1605م.

وكان نجم الشُّرَّاح في القرن السابع عشر هو **جروتيوس** Grotius القاضي واللاهوتي سنة 1583-1645م. وهو عالم حقيقي لا يزال يؤخذ بآرائه حتى الآن، لأنه كان ذا إيمان وروحانية ومعرفة روحية، وقد أحبَّته جميع الطوائف الدينية فكان صديقاً للكاثوليك والأرمن.

كما ظهر في القرن السابع عشر العالِم الكبير هنري **هاموند** Hammond سنة 1605-1660م المسمَّى أبو كافة الشُّرَّاح بالإنجليزية The Father of English Commentators وكمثل جروتيوس كان يتحاشى المجادلات المنتشرة في عصر الإصلاح، وككل عالِم يأتي مطالباً بتجريد

منهج الشرح من الزوائد والعيوب والرمزية والتشبيهات غير المحتملة، وكان يزكّي الإلهام الشخصي. وقد شرح كل كتب العهد الجديد سنة 1653م، وكان يحترم سابقه جروتيوس للغاية ويأخذ بكل مقولاته.

أمَّا النصف الأول من القرن الثامن عشر فيتقاسمه اثنان: الأول: يوأنس ألبرخت **بنجل** Bengel (1687-1752م)، وهو أسقف لوثري مدبِّر لكنيسة في مدينة ورتنبرج وهو حكيم مفوَّه بليغ العبارة محب للتقليد والآباء وشارح مدرسي لا يُشَقّ له غبار، وقد شرح كل العهد الجديد. ويُعتبر بحق أول باكورة العمل الإنجيلي على أصول علمية وروحية(79). أمَّا الثاني: فهو يوأنس ياكوب **وتشتاين** Wettstein (1693-1754م). وهو عالِم عالي القدر وأستاذ في كلية لاهوت بمدينة أمستردام، بعدما طُرد مرَّتين من بازل بسويسرا بدعوى أنه خارج عن الأرثوذكسية. وبقيت تعاليمه حيَّة في تعليقاته ودراساته النقدية لنص أسفار العهد الجديد كلها، وهي تعاليم مكدَّسة بالمراجع اليهودية الربَّانية لا يزال يُؤخذ بها ويأخذ عنها جميع المفسرين لأسفار العهد الجديد.

خامساً: مرحلة الاشتغال بالنقد وكيف خرج منها إنجيل القديس لوقا أكثر وثوقاً بأصالته:

وهذه المرحلة تُعتبر بدء الفحص في أصالة الأسفار بعد أن كانت تُعتبر كتباً مسلَّمة مقبولة على أساس سلطة القدماء كقانون. وأول مَنْ تلقَّاها بالفحص هو سملر الذي تخصَّص في تاريخ العصر الكنسي المبكِّر، فنبَّه الأذهان إلى أنه في القرن الثاني الكنسي لم يكن هناك قانون خاص يحدد هذه الأسفار، فبدأت دراستها بدون اعتبار لموضوع الإلهام فيما يخصَّها. ويُعتبر كتاب "لسنج Lessing" الصغير هو أصل أو بداية النقد في دراسة الأسفار المقدَّسة وذلك سنة 1778م، وتمَّ طبعه سنة 1784م(80) معتبراً أن هذه المجموعة عُملت بيد بشرية وحسب، وأن هذه الكتب القانونية منحدرة من أصل أرامي مكتوب بسنوات قليلة بعد صلب المسيح، ثم جاءت أناجيل ق. متى والقديس لوقا والقديس مرقس كترجمات حرَّة إلى اليونانية لعدة أصول مختلفة من هذا الإنجيل الأرامي البدائي. وقد وافق على نظرية لسنج العالِم Eichorn سنة 1804م. ثم جاء العالِم Griesbach واعتمد على نظرية ق. أغسطينوس الذي قال بأن إنجيل ق. مرقس هو مجرَّد مختصر من إنجيل ق. متى، وفيها يقول العالِم جريسباخ Griesbach إن إنجيل ق. متى كُتب أولاً باليونانية، وأن ق. لوقا اعتمد على ق. متى مضافاً إليه زيادات من التقليد الموجود تحت يده، وأن إنجيل ق. مرقس هو مختصر من إنجيل

---

(79) وقد مَنَّ الله علينا بنسخة قديمة من شرحه أهداها لنا الدكتور المكرَّم مجدي رمسيس بطنطا.

(80) **Lessing, *Neue Hypothese über die Evangelisten,* 1784, cited by J. M. Creed, *op. cit.,* p. XLV.**

ق. متى وإنجيل ق. لوقا. وجاء شتراوس Strauss سنة 1835م وأخذ بنظرية جريسباخ أن إنجيل ق. مرقس له أهمية ثانوية لأنه مأخوذ من إنجيل ق. متى وإنجيل ق. لوقا. وأيضاً وافقهما على ذلك العالِم باور F. C. Baur عميد جامعة توبنجن بألمانيا. ولكن جاء هردر Herder سنة 1830م بنظرية أن الأناجيل كانت أصلاً على مستوى التعليم الشفاهي في الكنيسة مبتدئاً من معمودية يوحنا حتى الصعود، وكان يحوي سرد الحوادث والمحادثات، وبدأت هذه التعاليم الشفاهية يتحدَّد شكلها سنة 35-40م، على أن إنجيل ق. مرقس يمثّل التدوين باليونانية لهذه التعاليم الشفاهية، وهذا التقليد نفسه بدأ يتسع سنة 60م حتى تكوَّن "الإنجيل الأرامي للنصارى" الذي صار بعد ذلك بدوره أصلاً لكل من إنجيل ق. متى وإنجيل العبرانيين. أمَّا إنجيل ق. لوقا فاعتبروه مستقلاً بذاته على أسس فلسطينية تقليدية بواسطة الذين كانوا معاينين ...aÙtopta وخدَّاماً Øphrštai للكلمة، وأيضاً على أساس الإنجيل الأرامي. ويعود هردر ويصف إنجيل ق. لوقا بدقة باعتباره ["بدء التاريخ المسيحي" فهذا الإنجيل ليس مجرَّد تجميع قصص إنجيلية مثل إنجيل ق. مرقس، ولا يحوي توضيحات وبراهين يهودية مثل إنجيل القديس متى. فالقديس لوقا كتب تاريخه بصفته كاتب يوناني صرف.](81)

وهناك نظرية أخرى من جهة أصول الأناجيل وضعها شلايرماخر Schleiermacher في مبحث على إنجيل ق. لوقا سنة 1817، يقترح فيها أن كلاً من الثلاثة أناجيل المتناظرة يعتبر تجميعاً لقصص(82) dihg»seij صغيرة مكتوبة سابقاً. ولكن عاد شلايرماخر ودحض نظريته سنة 1832 وعاد إلى بابياس وفكرته على الأناجيل معتبراً أن إنجيل ق. مرقس ومخطوطة الأقوال *Logia* إنما هما أساس الأناجيل، وهذه أقرب جداً إلى الصواب.

ولكن جامعة توبنجن قامت بأبحاث أخرى في الأناجيل بواسطة الناقدين: باور وشويجلر(83) (1847)، معتبرين كتابة الأناجيل مرتبطة بتاريخ الكنيسة ونموها. ولكن هذه النظرية كانت متأثرة جداً بفلسفة هيجل Hegel ، فلمَّا بليت هذه الفلسفة، زالت بالتالي هذه النظرية.

ومنذ زمن سملر انتبه العلماء إلى الإشارات الموجودة في أقوال الآباء عن إنجيل ماركيون (الخارج عن الكنيسة) الذي اتفق الآباء أنه كان يملك نسخة مختصرة من إنجيل ق. لوقا كوَّنها ماركيون

---

(81) **Herder, *Regel der Zusammenstimmung unserer Evangelien ...*, 1797, cited by J. M. Creed, *op. cit.*, p. XLV.**

(82) راجع لوقا 1:1 «إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة **di»ghsin** في الأمور المتيقنة عندنا ...».

(83) **Baur & Schwegler.**

بحذف من إنجيل لوقا الصحيح ما كان لا يتفق مع هرطقته. فبدأ بعض العلماء وعلى رأسهم باور Baur يشكُّون في صحة هذا الخبر، وحسبوا أن الإنجيل الذي في يد ماركيون الأسقف الموقوف هو نسخة صحيحة وإنما كانت نسخة أُولى أصلية من إنجيل لوقا، ومن هذه الزاوية بدأت أخطر عاصفة نقدية على إنجيل ق. لوقا بواسطة هذا العالم الألماني الناقد باور الذي من توبنجن، واعتبر أن إنجيل لوقا الحالي هو توسُّع لنسخة ماركيون الأصلية(84). هذا بجوار ادعاء جريسباخ أن إنجيل ق. مرقس هو نسخة مختصرة من إنجيلي القديس متى والقديس لوقا. وشطح باور بتوكيده أن نسخ الإنجيل كلها وُضِعَت فيما بين سنة 130ـ170م، واعتبر أن إنجيل ق. متى الأرامي أقدمها وأن النسخة التي في أيدينا نسخة مصحَّحة منه.

بعد ذلك قام باحث يُدعى لاخمان ببحثه الخاص بالأناجيل الثلاثة المتناظرة(85) synoptics وأقام مقارنة دقيقة بينها من جهة تسلسل أجزائها انتهى فيها أن الاختلافات في ترتيب أجزائها طفيفة، وأنه في الحالات القليلة التي يختلف فيها إنجيل ق. لوقا عن إنجيل ق. متى يكون أحدهما متفقاً مع إنجيل القديس مرقس. فلا يحدث أنهما يكونان كلاهما معاً مختلفين عن إنجيل ق. مرقس. وانتهى بأن هذا الوضع يحتّم بأن يكون إنجيل ق. مرقس هو الأصل الذي أخذ منه الإنجيلان الآخران. وقد قام العالِم الكبير ستريتر Streeter في كتابه: "الأربعة أناجيل" (وهو في حوزتنا) بفحص دقيق لهذه النظرية(86).
والآن نحن في منتصف القرن التاسع عشر، وبعد أن كان إنجيل ق. مرقس معتبراً أنه منقول عن إنجيلي القديس متى والقديس لوقا، وأنه كان ملخَّصاً لهما، كما ادعى باور الناقد المرّ، تحطَّمت هذه النظرية وظهر إنجيل ق. مرقس أنه الأقدم. وكذلك إدعاء باور بأن إنجيل ماركيون كان أصح من إنجيل ق. لوقا الحالي، فقد وقف في وجهه العالِم فولكمار Volkmar وأثبت مصداقية أن إنجيل ق. لوقا في وضعه الحالي هو الأصل وأنه هو النسخة الأقدم وأقنع باور بذلك.

ثم كتب العالِم الكبير سانداي W. Sanday بحثاً بعنوان: "الأناجيل كما كانت في القرن الثاني"(87) أثبت فيه وحدة الشكل والأسلوب بين أجزاء إنجيل ق. لوقا التي رفضها ماركيون

(84) **J. M. Creed, *op. cit.,* p. xlvii.**

(85) **Lachmann, *De ordine narrationum in evangeliis synopticis,* 1835, cited by J. M. Creed, *op. cit.,* p. XLVII.**

(86) **Streeter, *The Four Gospels,* Part II, ch. xi.**

(87) **W. Sanday, *The Gospels in the Second Century,* 1876, pp. 222-230.**

والأجزاء التي قبلها، واستعان بذلك بفهرس الكلمات Concordance الذي وضعه العالِم برودر Bruder. وخرج من ذلك بأن إنجيل ق. لوقا كله وحدة واحدة لكاتب واحد كتب جميع أجزائه. وقد كان هذا له وقع جيد في ذلك الوقت.

بعد ذلك تثبت القول بأن إنجيل ق. مرقس هو أقدم الأناجيل بوجه عام، على أنه يوجد هناك مصدر آخر أسموه Q يقف خلف إنجيلي ق. متى والقديس لوقا، وأُخذ بهذا المبدأ بوجه عام حتى اليوم. ونشأ اتفاق عام بين العلماء أن السعي الدقيق وراء الأناجيل في تنازل تاريخي مدقّق يوصلنا بلا عناء إلى المسيح متكلّماً بنفسه(88)، رغماً عن نظرية الخرافات التي قام بها شتراوس Strauss ورغماً عن توبنجن جامعة النُقّاد. وقد أثبت ذلك العالِم هولتزمان(89).

ومنذ ذلك الوقت وابتدأ إنجيل ق. لوقا يأخذ وضع القبول في كل ما كان يواجهه به النُقّاد السابقون، وصار الجميع يوافقون على أصالته. فحتى العالِم رينان المعروف بنظرياته ضد الدين، ففي كتابه *Vie de Jésus* سنة 1863م يقول: إنه كُتب بعد سنة 70م بقليل بواسطة ق. لوقا تلميذ بولس الرسول، وأنه يعتمد على نسخ أقدم من الحالية لإنجيل ق. متى والقديس مرقس. ولكنه عاد بعد ذلك في سنة 1877م في كتابه *Les Évangiles* وقطع بالأمر أن ق. لوقا اعتمد اعتماداً كاملاً على نسخة من إنجيل ق. مرقس تختلف قليلاً عن النسخة الحالية القانونية. وأنه لم يلجأ إلى إنجيل ق. متى، غير أنه اعتمد على مصادر أخرى شفاهاً ووثائق أخرى أقدم ربما مترجمة عن العبرية وبالذات الإنجيل المسمَّى Hebrew Protevangelium.

واستمر رينان يرجّح أن إنجيل ق. لوقا كتب بعد سنة 70م بقليل، واعتقد أنه كُتب في روما. وفي حين أن إنجيلي ق. متى والقديس مرقس لم يكن لهما علاقة بالخلاف الحادث بين المسيحيين الذين من أصل يهودي والذين من أصل أُممي، يقول رينان: إن القديس لوقا كان قريباً من القديس بولس بل ملازماً لسياسته ويحمل نفس أفكاره. وقد ظهر سؤال يتحتّم التعرُّض له: ما العلاقة بين إنجيل ق. مرقس والنسخة المسمَّاة Q؟ ثم ما هي قيمة الأصول الأُولى التي اختص بها إنجيل ق. لوقا؟

وقد قام العالِم وايس B. Weiss في كتابه عن أصول إنجيل القديس لوقا مسترجعاً النقاش الذي كان قد دار بخصوصه سابقاً وأفتى بقوله إنه بخلاف Q وبجوار إنجيل ق. مرقس كان ق. لوقا يعتمد على مصدر آخر وحيد من أصل فلسطيني يحوي بعض الأقوال وبعض القصص، ويبدو أنه كان على قرابة

(88) **J. M. Creed, *op. cit.,* p. XLIX.**

(89) **H. J. Holtzmann, *Die synoptischen Evangelien,* Leipzig, 1868, pp. 418 f.**

من إنجيل ق. يوحنا أو من التقليد الذي أخذ منه ق. يوحنا. وقد كانت هذه الأبحاث سنة 1907م.

وفي سنة 1891 قام العالِم ب. فاين P. Feine بوضع كتاب في أصول إنجيل ق. لوقا يقول فيه: إن كل الأناجيل المتناظرة الثلاثة وراءها مرجع آخر أسماه: "الوثيقة الأصلية *Grundschrift*" وإنجيل ق. مرقس يمثّل صورة موسّعة لهذا المرجع الأقدم، وإنجيل ق. متى يعتمد اعتماداً كاملاً على هذا المرجع "جروند شرفت" ولا يأخذ شيئاً من إنجيل ق. مرقس، أمَّا ق. لوقا فقد استخدم إنجيل ق. مرقس و"جروند شرفت" مع وثيقة أخرى فيها محتويات الوثيقة المسمَّاة Q مع المصادر التي انفرد بها القديس لوقا.

ثم في سنة 1912م قام العالِم الكبير سبيتا Spitta وكتب معلّقاً على ذلك أن ق. لوقا استخدم أساساً مصدرين في تأليفه: Q، "جروند شرفت" الذي منه أخذ أيضاً ق. مرقس والقديس متى. أمَّا "جروند شرفت" نفسه فالذي يمثّله تماماً هو هذا الجزء القصصي في إنجيل ق. لوقا.

ولكن كل هذه الأبحاث المضنية وما أخذته من خبرات وسنين نُحِّيَت أخيراً ولم يُؤخذ بها، ذلك فيما يخص إنجيل ق. متى وعلاقته بإنجيل ق. لوقا واعتماد هذين على الـ"جروند شرفت" الذي يسبق إنجيل ق. مرقس في تاريخه. ولكن تبقَّى من نظرية فاين جزء أُخذ به وهو القائل بأنه كان قبل إنجيل ق. لوقا الحالي ما يُسمَّى Proto-Luke ويشمل الأجزاء التي انفرد بها ق. لوقا، هذه النظرية دُفعت إلى الأمام في إنجلترا وانتبه إليها العالِم ستريتر[90] في كتابه الذي نرجع إليه دائماً وهو "الأربعة أناجيل"، ثم استلمها وأفاض فيها العالِم تايلور سنة 1926م في كتابه: "ما وراء الإنجيل الثالث"[91].

ثم جاء العالِم الفرنسي لوازي Loisy بكتابه سنة 1924 عن "إنجيل لوقا"[92] وبدأ يفرّق بين إنجيل ق. لوقا الحالي الذي يعتمد على إنجيلي ق. متى والقديس يوحنا ويعطي لذلك تاريخاً لكتابته سنة 125-150م، وبين الكتاب الأوَّلي المقدَّم أصلاً إلى العزيز ثاوفيلس معتبراً أن هذا الأخير كُتب سنة 80م، ولكنه ربط نظريته بكتابة سفر الأعمال الذي ركّز عليه في بحثه.

---

(90) **Burnett Hilman Streeter, *The Four Gospels,* 1930.**

(91) **V. Taylor, *Behind the Third Gospel: A Study of the Proto-Luke Hypothesis,* Oxford: Clarendon, 1926.**

(92) **A. Loisy, *L'Evangile selon Luc,* Paris, 1924.**

إلى هنا نكون قد تعرَّضنا لتاريخ إنجيل ق. لوقا بما فيه الكفاية من جهة الأصول والمنابع الأولى. ونقف وقفة الرفض من جهة شرح الإنجيل لكل ناقد يصيب الوحي من قريب أو من بعيد، وبعد ذلك نعتبر العلماء الذين اطلعنا على أبحاثهم ومنهم الإيجابيون الراسخون في الإيمان والتقليد، ومنهم الأساتذة المعلّمون الدائبون على النقد والتصحيح ونقد النقد ... إلخ.

وكُنت أودّ أن أجمعهم هنا معاً وأشرح مبادئهم وأبحاثهم، ولكن للأسف فالعلماء الذين اضطلعوا بشرح إنجيل ق. لوقا وسفر الأعمال ليسوا بقليلين وأكتفي بما بحثته في مؤلفاتهم. وقد ذكرنا كتبهم وأسماءهم في موضعها، وحرصنا غاية الحرص على سلامة العقيدة والتقليد ودقّقنا في صحة النصوص بقدر ما أعطانا الله من نعمة ووقت، لأن البحث في معنى الاصطلاح يحتاج إلى العودة إلى القواميس القديمة، والاطمئنان إلى صحة مبادئ العالِم يحتاج إلى العودة إلى تراجم حياة العلماء ومؤلفاتهم.

على أنني أعتمد على أكثر العلماء دقة وإيماناً وعقيدة وهذا سيلحظه القارئ بسهولة.

المخطوطات الأصلية التي تسجَّل فيها إنجيل القديس لوقا[93]

أولاً: البرديات Papyrii**:**
وهي عبارة عن أوراق أو أجزاء من أوراق البردي القديمة جداً (لأن استخدام البردي قد سبق استخدام الرقوق). وكل منها يحوي بعض فقرات وأحياناً مجرَّد آيات من إنجيل ق. لوقا، ومع ذلك فأهميتها كبرى بسبب أقدميتها، فمعظمها يرجع إلى القرن الثالث.
وهناك تسع برديات تحوي أجزاء من إنجيل القديس لوقا وأرقامها كالآتي:
P^3, P^4, P^7, P^{42}, P^{45}, P^{69}, P^{75}, P^{82}, P^{97}.

ثانياً: المخطوطات على هيئة مجلَّدات Codex **المكتوبة بالحروف الكبرى** Uncials**:**
وهذه عبارة عن مجلَّدات من الرقوق، واستخدام الحروف الكبرى uncials فيها دليل قدمها، لأنه من المعروف أن ابتداءً من القرن التاسع تحوَّلت الكتابة اليونانية في المخطوطات تدريجياً إلى استخدام الحروف الصغيرة minuscules.
وأهم هذه المخطوطات المكتوبة بالحروف الكبرى كالآتي:

اسم المخطوطة	رقمها ورمزها		تاريخها	مكان وجودها ومحتوياتها
المخطوطة السينائية	01	)	القرن الرابع	اكتُشفت في دير سانت كاترين بجبل سيناء وهي موجودة الآن في المكتبة البريطانية بلندن. وتحوي إنجيل ق. لوقا كاملاً.
المخطوطة الإسكندرية	02	A	القرن الخامس	أُهديت من مصر بيد البطريرك اليوناني كيرلس لوكار هدية للملك شارل الأول سنة 1628. وهي الآن في المكتبة البريطانية بلندن وتحوي إنجيل لوقا كاملاً.
المخطوطة الفاتيكانية	03	B	القرن الرابع	موجودة في المكتبة الفاتيكانية من قبل سنة 1533م، وتحوي إنجيل لوقا كاملاً.
المخطوطة الأفرامية	04	C	القرن الخامس	موجودة في المكتبة الأهلية بباريس وتحوي أجزاءً من إنجيل لوقا.

وهذه الأربع مخطوطات), A, B, C كانت في أصلها مجلَّدات كاملة تحوي جميع أسفار العهد القديم والعهد الجديد ومن ضمنها إنجيل ق. لوقا. ويليها في الأهمية المخطوطات التالية:

اسم المخطوطة	رقمها ورمزها		تاريخها	مكان وجودها ومحتوياتها
مخطوطة بيزا	05	D	القرن الخامس	أهداها ثيودور بيزا Beza إلى مكتبة جامعة كامبردج سنة 1581م وتحوي إنجيل لوقا كاملاً.
المخطوطة الباريسية	019	L	القرن الثامن	المكتبة الأهلية بباريس. تحوي إنجيل لوقا كاملاً.
المخطوطة	027	R	القرن	وُجدت في أحد أديرة وادي النطرون (؟)

[93] A. Plummer, *A Critical and Exegetical Commentary on the Gospel according to St. Luke,* Edinburgh, 1896, pp. lxxi f.

اسم المخطوطة	رقمها ورمزها		تاريخها	مكان وجودها ومحتوياتها
النطرونية			السادس	سنة 1847 وهي الآن في المكتبة البريطانية وتحوي أجزاءً من إنجيل ق. لوقا.
مخطوطة بورجيا	029	T	القرن الخامس	مكتوبة بالقبطية واليونانية ومعظمها في المكتبة الفاتيكانية بروما ولكن أجزاء منها في نيويورك (بيربونت مورجان) وفي المكتبة الأهلية بباريس. وتحوي أجزاءً من إنجيل ق. لوقا.
مخطوطة واشنطن	032	W	القرن الخامس	وتحوي الأربعة أناجيل وهي معروفة باسم Freer الذي اكتشفها وهي موجودة الآن في واشنطن في معرض فرير للفنون.
مخطوطة سان جال	037	D	القرن التاسع	في دير القديس سان جال بسويسرا وتحوي إنجيل ق. لوقا كاملاً.
مخطوطة كوريديتي Koridetti	038	Q	القرن التاسع	في مكتبة تفليس Tiflis. (وهي حالياً تبليسي عاصمة جمهورية جيورجيا) وتحوي إنجيل لوقا كاملاً.
مخطوطة Zacynthius	040	X	القرن السادس	في مكتبة جامعة كامبردج. تحوي أجزاءً من إنجيل ق. لوقا.

وبخلاف المخطوطات المذكورة يوجد عدد كبير من المخطوطات الأخرى المكتوبة أيضاً بالحروف

الكبيرة. كما يوجد عدد لا يُحصى من المخطوطات اليونانية الأحدث المكتوبة بالحروف الصغيرة وهذه ذات أهمية ثانوية. ولكن تسبقها في الأهمية المخطوطات التي تحوي ترجمات باللغات القديمة عن الأصل اليوناني وأهمها:

- **المخطوطات اللاتينية** ـ سواء كانت تحوي الفولجاتا أو الترجمات السابقة لها Vetus Latina.
- **المخطوطات القبطية** باللهجات الصعيدية أو البحيرية أو الفيومية أو الأخميمية.
- **المخطوطات السريانية** وأهمها الكيوراتونية والسينائية والبشيتو والفيلوكسينية والهرقلية.
- **الترجمات بلغات أخرى قديمة:** ومنها الأرمنية والأثيوبية والغوطية والجيورجية والسلافونية (الروسية القديمة).

شرح الإنجيل

الأصحاح الأول:

أولاً: افتتاحية الإنجيل
(4-1:1)

اعتنى ق. لوقا بأن تكون افتتاحية إنجيله على أرقى مستوى من الأدبيات **اليونانية**، كما اعتنى بتركيبها لتكون صورة عامة لمستوى اللغة والأدب الذي مارسه في كتابة إنجيله بأجمعه. وقد وقَّر بهذا الاعتناء لإنجيله مركزاً مرموقاً بين أدبيات الإنجيل للكنيسة عن جدارة، حتى صار إنجيل ق. لوقا جديراً بكل قارئ مهما علت ثقافته. ومما لا شك فيه أن ق. لوقا بهذا المستوى الذي بلغه في كتابته لإنجيله كان قد أضمر لإنجيله أن ينتشر في الكنيسة وفي كل مكان.

علماً بأن قصد ق. لوقا من إنجيله بالدرجة الأولى أن يُهدي القارئ صورة جميلة وقوية لتقليد الكنيسة في أيامه أكثر جداً مما أنه حاول أن يكتب أدبيات لها.

وباعتماد ق. لوقا على مَنْ سبقه من الذين ألّفوا قصة في أمور المسيح المتيقنة، ثم بإضافته لما يجعل هذه الاقتباسات على مستوى الصحة والدقة، يكون قد أشاد بمن كتب قبله دون أن يرجع على أحد بلائمة أو تقصير. وبهذا يكون ق. لوقا قد قدَّم أكمل صورة لتقليد الكنيسة القائم على شهادة عيان وسماع أذن لأقوال وأعمال المسيح، إنما على مستوى التحقيق التاريخي ليضيف إلى أصالة الروح أصالة التحقيق الزمني. ولكن واضح من اعتناء ق. لوقا أنه كان يرجّح أصالة الروح فوق كل تاريخ وزمان.

وواضح في إنجيل ق. لوقا عمل روح الإلهام منذ أول آية، وبالدراسة والتحليل الدقيق الذي سنجوزه في كيف تمَّ ترتيب إنجيله واختيار آياته ووضعها في موضعها، سينكشف لنا أنه مُساق بالنعمة، لأنه يمتاز بكونه يرتّب آياته ويجمعها ليؤكّد بها هدفاً معيناً يسعى إليه.

وإذا أردنا أن نلخّص هذه الافتتاحية الفاخرة نقول إنه سار فيها على أربع قواعد:

(أ) يذكر موضوعه الذي سيخوض فيه ولن يستكمله أبداً.

(ب) يعطي منابع ومصادر معرفته التي اعتمد عليها.

(ج) يصف منهجه الذي سيسير بمقتضاه.

(د) يوضّح غرض إنجيله.

ولكن تسألني ما هو موضوعه الذي سيشغل كل حيّز تفكيره وعمله ورجائه ولن يستوفيه أبداً، أقول: إنه "الكلمة"، كما ذكر ذلك عرضاً في الآية (2): «كما سلّمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخُدَّاماً **للكلمة** lÒgoj».

وهذا هو الاسم الذي ادّخره في قلبه ليذكره كآخر ما كتب في الإنجيل، لأنه واضح أنه كتب الافتتاحية كآخر ما كتب بعد أن أدرك عمق المسيح وخاض في مشاعره وخفايا أسراره التي تركها تحكي عنه عند القلوب الواعية. فالكلمة هو لقب المسيح النهائي عند ق. لوقا، وكأنه بعد أن أدرك بشرية المسيح وأحسَّ بلاهوته، عاد في النهاية وألبس اللاهوت بشريته فكان اللقب الكلمة. وكأنه يريد أن يقول إنه الكلمة الذي تجسَّد! فبعد أن أوفى حق المسيح يسوع في إنجيله أراد أن يلخّصه في "الكلمة".

وقد ارتأى ق. لوقا أن لا يذكر اسمه في إنجيله، إذ اكتفى أن يكون أحد هؤلاء الذين خدموا الكلمة وإن كانوا لم يسعدوا بمشاهدتها.

1:1 «إِذْ كَانَ كَثِيرُونَ قَدْ أَخَذُوا بِتَأْلِيفِ قِصَّةٍ فِي الأُمُورِ الْمُتَيَقَّنَةِ عِنْدَنَا».

«إذ كان كثيرون»: ™peid»per

اصطلاح يوناني أدبي لم يَرِد في أي موضع آخر في العهد الجديد، وهو فاتحة بليغة على المستوى المدرسي تشير إلى حقيقة معروفة سابقاً بمعنى "بقدر ما هو كائن"، وهي تأتي هنا سببية لما سيقوله أو سيعمله ق. لوقا. وبهذا الاصطلاح يُنبئ بأنه قد نوى أن يستخدم ما قام به الكثيرون قبله إيجابياً ليعزز ما سيقوله هو. فإن كان هؤلاء هم كثرة فهو يقدّم نفسه كمن يوازن الكثرة بالدقة التي سيلجأ إليها في سرد أخباره على مستوى ما كان قبله، مؤكّداً أن دقته مع هذه الكثرة ستأتي بالجديد الكامل.

«قد أخذوا بتأليف قصة»:

«تأليف»: ¢nat£xasqai من الفعل ¢nat£ssomai

وهي تفيد التجميع، وهنا ينكشف المعنى البديع، إذ التجميع هنا تجميع مقولات غالباً شفاهية وأحياناً مكتوبة. وهنا يبرز التقليد الكنسي في تحوّله محفوظاً بدقة من الوعي العقلي بالحفظ إلى الوعي الكتابي بالتسجيل.

«قصة»: di»ghsin

وهي تفيد الرواية أكثر منها القصة، لأن القصة قد يدخل فيها تركيب ذاتي من الذي يقص، ولكن الرواية تفيد النقل الحرفي لمعلومة من فم لفم، وهنا تبرز دقة التقليد الشفاهي المحفوظ والمسلَّم من الله.

«الأمور المتيقنة عندنا»:

طبعاً يقصد بالأمور الحوادث التي حدثت، ولكن «المتيقنة peplhroforhmšnwn عندنا» تفيد أكثر من اليقين، لأن أصل الكلمة اليونانية مشتق من plhr الذي يعني الملء. فالقديس لوقا يضم نفسه بالنسبة لهذه الأمور أي الحوادث فهو **يعرفها إلى أقصى ملء قياسها.** وهنا يُبرز ق. لوقا عمله بالإضافة إلى عمل مَنْ سبقه من الكثيرين الذين جمعوا الروايات ليزيدها هو بمعرفته إلى ملء قياسها الحقيقي. أمَّا اليقين فهو موضوع على القارئ الذي يسمع أو يقرأ هذا الجمع للتقليد الذي بلغ كماله. لذلك فكلمة "المتيقنة" تفيد **ملء الاقتناع.** أمَّا المعنى الروحي واللاهوتي المختبئ وراء الكلام فيفيد أن الأخبار الخاصة بالحوادث التي حدثت، وهي طبعاً أخبار وحوادث الفداء والخلاص، وهي حوادث إلهية سبق ووعد بها الله، قد صارت الآن إلى **ملء اكتمالها.** وقوله عندنا n ¹m‹ ™n تفيد المؤمنين أعضاء الكنيسة حيث بلغت إلينا وفينا بكل عملها الدائم وقوتها. وبالاختصار الشديد تكون الأمور المتيقنة عندنا هي هي خلاصنا الذي نعيشه كاملاً الآن، الذي اشترك فيه كثيرون بالرؤيا والسماع معاً بالنسبة لحضور المسيَّا ابن الله بالجسد.

وفي عرفنا أن هذه الآية التي قدّم بها ق. لوقا لإنجيله لا تفْرُق كثيراً عن الآية التي قدَّمها ق. مرقس في إنجيله بقوله: «إنجيل يسوع المسيح ابن الله» فكلٌّ منهما بدأ بالأخبار السارة في حالة كمالها ويقينها كتعبير وتقديم عن الإنجيل كله.

2:1 «**كَمَا سَلَّمَهَا إِلَيْنَا الَّذِينَ كَانُوا مُنْذُ الْبَدْءِ مُعَايِنِينَ وَخُدَّاماً لِلْكَلِمَةِ**».

«كما»: kaqèj

«كما» هنا لا تعني التساوي بل **بمقتضى** أو **"من واقع"**.

بعد أن استوفى ق. لوقا كل التآليف التي كُتبت في «الأمور المتيقنة عندنا» وهي بالضرورة الموت والقيامة والصعود إضافة إلى تعاليمه، كشف عن مصدر آخر لا علاقة له بالكتابة ولا بالتأليف، بل سُلِّم ـ paršdosan وهي المختصة في التقليد بتسليم الأسرار ـ فماً لأذن من أناس رأوا وعاينوا وخدموا «الكلمة» والكلمة هنا ليست كلمة منطوقة؛ بل هو «الكلمة» المشخَّصة أو المؤقنمة أي hypostatized لأنها تقبل المعاينة والخدمة.

وكلمة "**عاينوا**" جاءت "aÙtÒptai" وهي شهادة العين!! أي الذين شاهدوا المسيح وخدموه في أيام جسده. ويُلاحِظ القارئ المتعلّم أن هذه الكلمة طبيَّة وهي تعني المشاهدة العينية. ولكن ما قيمة شاهد العيان إلاَّ أنه يعطي أول وأهم صورة موصوفة بدقة بعد الرؤيا واليقين. وهذه الكلمة بالذات تُستخدم الآن في فحص حالات بعد الموت autopsy فتعطي الانطباعات الشخصية عن الحالة. لذلك أردف الطبيب لوقا مع شهود العيان "خدَّام الكلمة"، بمعنى أنهم رأوه وفحصوه جيداً بمقتضى الوجود والتزامل والخدمة، وهكذا أصبحت روايتهم واضحة وصادقة بكل يقين!! كل هذا يدفعنا لنقول إنه تواجه مع مريم العذراء القديسة والأم، وسمع منها ووعي كل ما حفظته في قلبها إلاَّ أنها أوصته أن لا يذكر اسمها!

وهنا يتضح للقارئ الباحث الذي يهمُّه البحث أن ق. لوقا سار في منهج البحث العلمي والتقصي في مساره القانوني حسب أصول البحث، فالتجأ إلى كل المخطوطات والقصاصات، ولمَّا استكمل مادة البحث عاد بعدها يبحث ويتقصَّى عن الينابيع الحية الأولى التي كانت على يديها تجري الأمور لتحقيق صحة الأمور ويقينها. وقد استخدم هذا المنهج العلمي الملهم والموهوب في كل ما قرأ وسمع وكتب. وهنا يضع ق. لوقا الأساس الموثوق به للأخبار التي تخص المسيح. فالأولون أخبرونا بالأمور كما هي، علماً بأنهم كانوا منذ البدء معاينين وخدَّاماً للكلمة. فهنا الثقة بالخبر المسلَّم إلينا يقينية.

«سلَّمها إلينا»: paršdosan

كلمة **«سلَّمها»** هنا هي نفس الكلمة التي تفيد "التقليد"، فالتقليد الكنسي هو "التسليم par£dosij" سواء بالخبر أو العمل. فالإيمان تسليم والمعمودية تسليم. والتسليم أو التقليد تعبير فني تِقنِيٌّ، لأن تسليم الشيء هو نقله من يد إلى يد أو من فم إلى فم أو من كتاب إلى كتاب، وهذا يحوي أدق فنون النقل وتوصيل المعلومة دون أي خلل أو إضافة أو حذف أو تنويع أو تغيير. وهنا نكون قد بلغنا إلى أعظم أسرار الكنيسة والإنجيل وهو معنى التقليد وأهميته. فإن كانت الكنيسة حيَّة الآن فلأن تسليم الإنجيل في الكنيسة قائم على أدق قواعد وأصول النقل والتسليم. فنحن نتقبَّل من الكنيسة في قراءة الإنجيل اليوم ما نطقه المسيح وسلَّمه لتلاميذه يوم نطقه وعلَّم به:

+ «فأمدحكم أيها الإخوة على أنكم تذكرونني في كل شيء، وتحفظون التعاليم **كما سلَّمتُها** إليكم.» (1كو 2:11)
+ «لأنني **تسلَّمت** paršlabon من الرب **ما سلَّمتُكم** paršdwka أيضاً ...» (1كو 23:11)
+ «فإنني سلَّمت paršdwka إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضاً: أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب» (1كو 3:15)، هنا حديث عن حقائق موثوق بها.

«الذين كانوا منذ البدء معاينين وخُدَّاماً للكلمة»:

«معاينين»: aÙtÒptai أي لا يتكلّمون إلاّ بما رأوا.

و**«خُدَّاماً»:** Øphrštai وتقبل أيضاً di£konoi بمعنى تعيَّنوا بالروح القدس للكرازة والمناداة بالإنجيل. وهكذا يضعنا ق. لوقا في مواجهة قوة الإنجيل الشديدة التماسك المنقولة بالعين والأذن والفم كوسائل حفظ تؤمّنها النعمة كذاكرة محفوظة بالروح القدس.

وقوله: **«منذ البدء»**، يعني بدء خدمة المسيح العلنية: «فينبغي أن الرجال الذين اجتمعوا معنا كل الزمان الذي فيه دخل إلينا الرب يسوع وخرج، منذ معمودية يوحنا إلى اليوم الذي ارتفع فيه ...» (أع 1: 21و22). و**«الكلمة»** هنا تفيد الرسالة الإنجيلية بكاملها دون أي تغيير، حيث يقصد بها تسجيل كلام المسيح وأعماله: «الكلمة التي أرسلها إلى بني إسرائيل يبشّر بالسلام بيسوع المسيح. هذا هو رب الكل...» (أع 36:10)

ويقول العالِم فوّييه(94) إن اسم الكلمة هنا (hypostatized) أي مؤقنم، فهو يعني «الكلمة» ابن الله الذي يُرى ويُشاهد ويُلمس كما جاء في (1يو 1:1) «الذي كان من البدء، الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة **كلمة** الحياة»

3:1 **«رَأَيْتُ أَنَا أَيْضاً إِذْ قَدْ تَتَبَّعْتُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الأَوَّلِ بِتَدْقِيقٍ، أَنْ أَكْتُبَ عَلَى التَّوَالِي إِلَيْكَ أَيُّهَا الْعَزِيزُ ثَاوُفِيلُسُ».**

«رأيت أنا أيضاً»: ... œdoxen k¢mo

هنا يدخل ق. لوقا بمشروع إنجيله، معتمداً على أنه استحسن عملهم، لأن كلمة رأيتُ هنا لا تعني الرؤية أو المشيئة، ولكن الاستحسان œdoxe أي استحسن لنفسه أن ينضم إلى هؤلاء.

«تتبَّعت»: parhkolouqhkÒti

تأتي في اليونانية بمعنى فحصت.

«على التوالي»: kaqexÁj

وهو اصطلاح فني دقيق، وصحتها حسب اليوناني ليس على التوالي بل بنظام وترتيب. وهنا تدخل الآية في ثوب آخر ينطق بالروعة والجمال: «استحسنت أنا أيضاً إذ فحصت كل شيء من

(94) **A. Feuillet, "Témoins occulaires et serviteurs de la Parole", *Novum Testamentum* 15, 1973, pp. 241-259, cited by I. H. Marshall, *The Gospel of Luke,* p. 42.**

الأول بتدقيق ووضعته مرتَّباً بنظام، أن أكتب إليك أيها العزيز ثاوفيلس»

وهذا هو سر إنجيل ق. لوقا أنه لمَّا حصل على الحقائق الأولى عاد فرتَّبها على أساس منهج مدروس لتعطي المبادئ الأساسية للإنجيل، لأن الذي ينقل التقليد المرئي ويرتِّبه بدقة وأمانة يكون كأنه رأى. فوثوق ق. لوقا من الأدوات التي اعتمد عليها في تسجيل إنجيله، وهم الرسل الذين خدموا الخلاص، والأخصاء جداً الذين عاينوا الرب واستُعلنت لأذهانهم شخصيته، جعل تدوين الإنجيل كرازة بالمنظور والمسموع؛ حيث اجتمع صِدق خُدَّام الكلمة، مع أمانة الذين رأوا وعاينوا، مع تتبع ق. لوقا وتدقيقه. ثم يضيف ق. لوقا ظرفي زمان يجعلان التتبع والتدقيق يشملان كل شيء فعلاً.

الظرف الأول: **من الأول:** ¥nwqen، والظرف الثاني: **بترتيب** kaqexÁj

فـ«**من الأول**» تُفيد منذ بدء ظهور المسيح وظهور الخدمة وتُفيد ضمناً ميلاده، **وبترتيب** بمعنى دون أن يسقط شيء، فكل حادثة مرتبطة بما قبلها وما بعدها وهكذا. وهنا الفحص الدقيق والترتيب يخص معاني الأحداث. وبهذا يأخذ الإنجيل معناه الروحي كأخبار سارة قائمة على أساس مُتقن يعطي الحوادث معناها. فالميلاد يعطي للصليب معناه، والصليب يعطي للقيامة معناها، والصليب والقيامة يعطيان الخلاص كماله ودوامه.

ويعود في النهاية يخاطب العزيز ثاوفيلس كغاية الإنجيل وكأنه يخاطب القارئ بلا شك.

4:1 «**لِتَعْرِفَ صِحَّةَ الْكَلاَمِ الَّذِي عُلِّمْتَ بِهِ**».

«لتعرف صحة الكلام»:

هنا يكشف ق. لوقا قيمة إنجيله بالنسبة للتعاليم الأخرى التي تقبَّلها ثاوفيلس شفاهاً، فهو التعليم الصحيح المسلَّم من المسيح للتلاميذ. وواضح أن ثاوفيلس كان قد تقبَّل تعليماً مبدئياً عن الإيمان المسيحي اكتشف فيه ق. لوقا أنه ناقص أو محرَّف، وهنا اشتعلت نفسه برغبة تعليم الحق لصديقه أو عزيزه ثاوفيلس. وطبعاً كانت دائرة التعليم الصحيح عن المسيح في نظر ق. لوقا هي في شخص المسيح نفسه، فهو ابن الله القدوس الرب الإله المحيي والمخلّص والفادي، ثم في تعليمه المجاني عن الفداء والخلاص للجميع بلا استثناء.

«صحة»: ¢sf£leian

وهذه الكلمة من خصائص الإيمان المسيحي، فهي تفيد **اليقين** الموثوق والمعتمد. فإنجيل ق. لوقا كانت ‹‹الأسفاليا›› محور خبر الإيمان الذي قدَّمه.

ثانياً: ميلاد المسيح وصبوته السعيدة
(52:2-5:1)

أن يبدأ ق. لوقا إنجيله بميلاد المسيح فهذا بمثابة إدخال حياة المسيح كلّها وأعماله في دائرة سر الله. فكوننا نعرف يقيناً ومن فم شهود عيان أن المسيح وُلد من الروح القدس ومن عذراء قديسة، يعني أننا صرنا من أول الطريق وفي أول خطوة أمام حياة إنسان مقتدر اقتدار الله في كلامه وأعماله. فهذا كان رأي خُدَّام رئيس الكهنة الذين أُرسلوا ليقبضوا عليه عنوة ويحضروه، فبعدما وقفوا أمامه وسمعوا كلامه لم يستطيعوا أن يلمسوه بل ذهبوا مذهولين. ولمَّا سألهم رئيس الكهنة: لماذا لم تأتوا به؟ كان ردُّهم: «لم يتكلّم قط إنسان هكذا مثل هذا الإنسان» (يو 46:7). فهو إن تكلّم يتكلّم كإنسان، ولكن ليس كأي إنسان قط. وإن عمل يعمل ولكن يبدو عمله أنه ليس عمل إنسان قط. فميلاده من العذراء القديسة أعطاه هيئة إنسان، ولكن ميلاده من الروح القدس أعطاه أن يُظهر قوة الله: «الله ظهر في الجسد» (1تي 16:3). فلأنه وُلد كإنسان أمكن أن يموت بالجسد لمَّا حمل خطايانا في جسده، ولكن لأنه وُلد من الروح القدس قام من الأموات، ولأنه وُلد كإنسان دُعي ابن الإنسان، ولأنه وُلد من الروح القدس دُعي القدوس ابن الله.

إذن، لكي يسرد ق. لوقا كل حياة المسيح وأعماله وأقواله كان يتحتَّم أن يكشف أولاً سر ميلاده من العذراء القديسة مريم ومن الروح القدس، وإلاَّ تصبح أقواله وأعماله غير مفهومة.

كذلك، فإن ميلاد المسيح من عذراء قديسة بالروح القدس كان بحد ذاته معجزة عظمى. وهكذا كان ينبغي أن تتم هذه المعجزة العظمى ليصنع المسيح من واقع حياته وكيانه هذه المعجزات الكبرى التي أكملها في حياته. لذلك صحَّ قول إشعياء النبي في التعبير عن اسمه: «ويُدعى اسمه عجيباً» (إش 6:9). نعم، فالذي دُعي اسمه عجيباً فهو حتماً يكون صانع عجائب.

بهذا نرى أن ميلاد المسيح في حقيقته الإلهية هو مفتاح فهم شخص المسيح وأعماله وكل أقواله. أمَّا لماذا بدأ ق. لوقا بسرد رواية ميلاد المعمدان ثم المسيح، وبعد ذلك تشابكا معاً حتى افترقا بموت المعمدان، ذلك لأن ميلاد المسيح لم يبدأ من بيت لحم بل من وعد سابق سحيق الزمن بدأ من زمن

إبراهيم بل من فم الله لحواء، فهو النسل الذي سيسحق رأس الحية، وهو النسل الذي ستتبارك فيه كل أُمم الأرض. لذلك تحتَّم أن يكون هناك شاهدٌ للنبوَّة وممثلٌ للعهد القديم يسبق المسيح ليسلّمه العهد ويسلّمه النبوَّة:

+ «وأنا لم أكن أعرفه، لكن الذي أرسلني لأعمّد بالماء، ذاك قال لي: الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه، فهذا هو الذي يعمّد بالروح القدس. وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله.» (يو 1: 33و34)

والمُلاحَظ أن خدمة المسيح بدأت عندما انتهت خدمة المعمدان: إذ لمَّا سمع المسيح أن يوحنا أُسلم للموت، صعد المسيح إلى الجليل ليبدأ كرازته (مت 4:12)، وعندما سمع المعمدان أن المسيح بدأ أعماله الإعجازية قال: «إذاً فرحي هذا قد كمل. ينبغي أن ذلك يزيد وأني أنا أنقص ... مَنْ له العروس فهو العريس، وأمَّا صديق العريس الذي يقف ويسمعه يفرح فرحاً من أجل صوت العريس. الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع، والذي من الأرض هو أرضي، ومن الأرض يتكلّم. الذي يأتي من السماء هو فوق الجميع» (يو 3: 29-31)، «أنا أُعمّدكم بماءٍ ولكن يأتي مَنْ هو أقوى مني ... هو سيعمّدكم بالروح القدس ونار» (لو 3:16). هكذا لابد من الماء، وهكذا لابد من الروح القدس. وخدمة المعمدان سجَّلتها الكنيسة في خزانة طقوسها لتكون هي بداية الغسل للتغيير، وبعدها الميلاد بالروح للبس الإنسان الجديد.

(أ) البشارة بميلاد يوحنا المعمدان
(1: 5-25)

5:1 «كَانَ فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ مَلِكِ الْيَهُودِيَّةِ كَاهِنٌ اسْمُهُ زَكَرِيَّا مِنْ فِرْقَةِ أَبِيَّا، وَامْرَأَتُهُ مِنْ بَنَاتِ هارُونَ وَاسْمُهَا أَلِيصَابَاتُ».

ابتدأ القديس لوقا هنا يوقّع حركات السماء على حركات الأرض. قالوا: إن ق. لوقا يؤرِّخ، ولكن ق. لوقا لم يؤرِّخ، فالتأريخ هو حصر الحوادث الأرضية في الزمن، وق. لوقا لا يحصر حوادث لأنها حركات سمائية غير محصورة. لأن الأمر الذي يتحتَّم على القارئ أن يدركه، بدءَ ذي بَدء، أن أفعال الله والسماء ليست زمنية وليست محصورة، لأن فعل الله أزليٌّ هو، لا يختص بالزمن، ليس له

ماضٍ ولا حاضرٍ ولا مستقبل. فحينما نقول إن الله عمل، فعمل الله معمول منذ الأزل ولا نهاية لما يعمل. فحينما يقول الله أو يعمل تنطبع أقواله وأعماله على صفحة الزمن. الزمن تُطوى صفحاته ويتلاشى، وكلمة الله وعمله باقية كما هي لا تتغير ولا تزول.

فالقديس لوقا هنا يسجِّل أقوال الله وحوادث عمله لتصبح هي الأخبار السارة لمن يقبلها ويؤمن بها، وهذا هو الإنجيل. والإنجيل هو قول الله وعمله وهو باقٍ ببقاء الله. فهو ليس مجرَّد خبر ولا هو مجرَّد عمل، ولكنه فعل يؤثِّر في الزمن ليلغيه ويبقى هو فوق الزمن وبعده. وكل مَنْ يخضع لفعل الله أي كلمته وعمله يبقى بقاء الفعل: « الكلام الذي أكلِّمكم به هو روح وحياة» (يو 6:63)، «مَنْ آمن بي ولو مات فسيحيا، ومَنْ كان حيًّا وآمن بي فلن يموت إلى الأبد.» (يو 11: 25و26)

«هيرودس»:

هو هيرودس الكبير وهو واحد من عائلة عيسو، أدومي، ومعروف أن عيسو كان الأخ البكر ليعقوب. وورث هذا الملك كل مقومات البغضة لليهود بني يعقوب، وقد عيَّنه الرومان ملكاً على اليهود سنة 40 ق.م وحكم من سنة 37 ق.م حتى سنة 4 ق.م. وكان قاسياً، حَكمَ اليهود بيد من حديد وكان سفَّاكاً للدماء، وذبحه لأطفال بيت لحم يليق بأخلاقه (مت 2:16). وبموته اقتسم أولاده الملك: **أرخيلاوس** على اليهودية وأدومية والسامرة، و**أنتيباس** على الجليل وبيرية، و**فيلبُّس** على أراضي الشمال الشرقية الباقية (لو 3:1). ولكن الرومان أسقطوا أرخيلاوس سنة 6م وتعيَّن بدلاً منه حكام رومانيون كان بيلاطس السادس منهم. وهيرودس **أنتيباس** هو المذكور في الإنجيل أيام خدمة المسيح، تولَّى سنة 4 ق.م حتى سنة 39 م، وهو الذي تزوَّج هيروديا وقطع رأس المعمدان هدية لابنتها الراقصة. أمَّا فيلبُّس (4 ق.م ـ 34م) فكان حاكماً أيام خدمة المسيح.

وفي غضون سنة 37 ـ 41م آلت كل هذه الأراضي إلى أغريباس الأول الملك وهو ابن أرسطوبولس (ابن هيرودس الكبير الذي مات سنة 7م)، وظل ملكاً حتى سنة 44م. وكان يسمَّى في سفر الأعمال باسم هيرودس، وهو الذي قتل ق. يعقوب الرسول وحضَّر لقتل ق. بطرس ـ ولكنه تعظَّم. وهو الذي ضربه الله ووقع ومات وأكله الدود (أع 12: 20ـ23). وفي سنة 50م نُصِّب ابنه أغريباس الثاني وكان ملكاً على شمال فلسطين وحكم حتى سنة 93م[95] ومات. وهو الملك أغريباس الذي وقف أمامه ق. بولس يحاجج في أمر حبسه (أع 25:13 إلخ).

---

[95] مأخوذة عن يوسيفوس المؤرِّخ.

«كاهن اسمه زكريا»:

واسم **زكريا** يعني: "الله يتذكّر"، وكأنما فعلاً تذكّر الله شعبه في أيام خدمته. وخدمة الكهنة للهيكل كانت مقسَّمة إلى 24 فرقة، وكل فرقة عددها من 4ـ9 عائلات (1أي 24: 1ـ19). وباستثناء الأعياد الثلاثة الكبرى كانوا يتناوبون على الخدمة أسبوعين كل سنة(96). أمَّا فرقة أبيّا Abi£' المذكورة هنا ومعناها يهوه الآب، فقد كانت رتبتها الثامنة في الجدول (1أي 24 : 10). وكان يتحتَّم على الكاهن أن يتزوَّج عذراء من إسرائيل (لا 21 : 7)، ولكن أن يتزوَّج بنت كاهن فكان هذا امتيازاً(97)، كما كان حظ زكريا الكاهن. وقول ق. لوقا "بنت هارون" يعني بها بنت كاهن، وكان اسمها أليصابات وربما كان معناه الرب نصيبي. وللمناسبة البديعة فامرأة هارون أخي موسى كان اسمها أليشابع الذي هو أصل اسم أليصابات (خر 6 : 23).

وهكذا ينتهي بنا المطاف إلى أن يوحنا المعمدان هو من أصل كهنوتي، والمعروف أن إيليا كان من أصل كهنوتي واعتبر في التاريخ المقدَّس أنه "كاهن مسيَّا الأعلى"(98).

يلاحِظ القارئ أن ق. لوقا بعد المقدّمة التي خاطب بها ثاوفيلس العزيز، دخل مباشرة في الأسلوب التسجيلي للعهد القديم إنما بقدرة وبلاغة يُحسد عليها، لأنه أُممي أصلاً، حيث بدأ يتحفنا بالأسلوب القصصي المميَّز للسبعينية الذي ينضح بالأصالة والروح.

6:1 **«وَكَانَا كِلاَهُمَا بَارَّيْنِ أَمَامَ اللهِ، سَالِكَيْنِ فِي جَمِيعِ وَصَايَا الرَّبِّ وَأَحْكَامِهِ بِلاَ لَوْمٍ».**

يسبق القديس لوقا هنا الحوادث ليوضّح للقارئ أنه ليس جزافاً أن يختار الله زكريا وأليصابات لكي يبدأ بهما تنفيذه لعهده الأبدي الذي تكلّم عنه جميع الأنبياء وترقَّبوه وتمنُّوه.

«بارين»: d...kaioi

البر هو ما يكتسبه اليهودي باتباعه نواميس الله، فهو مستوى أخلاقي عام، ولكن أن يضيف ق. لوقا عبارة **«أمام الله»**، فيؤخذ في الحال البر بمفهوم التديُّن المقبول في نظر الله الذي سِمَتُه الطاعة الشديدة لصوت الله، ويكمّلها ق. لوقا بقوله: «سالكين في جميع وصايا الرب وأحكامه»

(96) **J. Jeremias, *Jerusalem in the Time of Jesus*, London, 1969, pp. 198-207.**
(97) **J. Jeremias, *op. cit.,* pp. 213-221.**
(98) **TDNT, II, 928-941 (*TDNT = Kittel, Theological Dictionary of the New Testament*).**

«بلا لوم»: ¥memptoi

وبهذه الصفة الواضحة في حياة التقوى يهدف ق. لوقا أن ينبّه ذهن القارئ لما سيأتي بعد ذلك أنهما لم يُرزقا ولداً، حتى يكون القارئ على وعي أن عقمهما لم يكن بسبب خطية أو عصيان أو تأديب من قبل الله. وهكذا نشعر أن ق. لوقا مخطّط ماهر وموهوب ومقتدر بالروح لكي يكتب إنجيلاً!! لأن العقم في العهد القديم كان عقوبة من الله (لا 20:20؛ 2صم 23:6؛ إر 30:22، 30:36)، ولكن عقمهما كان بتدبير إلهي لكي يكون الابن القادم من بعد عقم حاملاً جلال الله وقوته.

وفي رأينا أن طريقة ق. لوقا وأسلوبه المميَّز المنطبع بالعهد القديم كان امتداداً إلهياً لمستوى العهد القديم، أي التوراة، كمدخل رسمي محكم لأسلوب العهد الجديد، أي أن المسألة ليست اصطناعاً وإنما نعمة.

7:1 **«وَلَمْ يَكُنْ لَهُمَا وَلَدٌ، إِذْ كَانَتْ أَلِيصَابَاتُ عَاقِراً. وَكَانَا كِلاَهُمَا مُتَقَدِّمَيْنِ فِي أَيَّامِهِمَا».**

فكون أنهما هو وامرأته يخدمان الهيكل ويعبدان الرب باستقامة ولا يكون لهما ولد فهذا عارٌ عند اليهود، وقد حسبته أليصابات هكذا: «هكذا قد فعل بي الرب في الأيام التي فيها نظر إليَّ **لينزع عاري** بين الناس» (لو 25:1). ولكن الذي عقَّد الأمور جداً في رجاء زكريا وأليصابات من جهة أنه ربما يتحنَّن الله ويرزقهما بولد هو كونهما كانا متقدمين في الأيام، أو بمعنى أوضح أنهما صارا شيخين وانحنى ظهراهما وتوقف جهاز تناسلهما عن العمل. وهذا تدركه المرأة جداً أكثر من الرجل. ومعروف من العهد القديم أن العقم والإنجاب كانت تعمل فيه يد الله بصورة فائقة للطبيعة لحساب تدبيرات الله الأزلية. فإبراهيم وسارة افتتحا سجلاّت الميلاد في الشيخوخة بتدخُّل إلهي وإعلان، وبعدهما إسحق ورفقة، ثم يعقوب وراحيل، وألقانة وحنة. ففي هؤلاء تدخَّلت يمين العلي ليولد ابنٌ مختارٌ مدعوٌّ لتكميل مقاصد العلي، وهكذا يُحسب المولود ابن بركة يحمل البركة لشعب الله، وابن الرجاء المحقَّق بقدرة الله ليحمل الرجاء للأجيال الآتية. ولكن أن يولد للعذراء ولدٌ فهذا ابن المستحيل ليحمل المستحيلات لبني الإنسان، هو البركة في جوهرها وهو الرجاء عينه، رجاء الله الذي يتحقَّق به رجاء الأجيال والدهور كلها.

8:1 **«فَبَيْنَمَا هُوَ يَكْهَنُ فِي نَوْبَةِ فِرْقَتِهِ أَمَامَ اللهِ».**

«يَكْهَنُ»: ferateÚein

وتعني يمارس خدمة الكهنوت حسب الطقس الموضوع ™n tÍ t£xei (التي تُرجمت «في نوبة» ، وهي أصلاً كلمة تفيد النظام العملي المقرر في خدمة الكهنوت داخل الهيكل (1أي 24 :19 في

السبعينية) المحسوبة أنها تُؤدَّى أمام الله أي في حضوره. وكان الطقس في العهد القديم يُعبِّر عن حضور الله في الزمان والمكان كعلاقة دائمة ارتاح الله فيها ليقترب من شعبه، يسمعهم ويتكلَّم معهم. أمَّا في العهد الجديد، فأصبح حضور الله غير محصور في زمان أو مكان. فبعد ميلاد ابن الله الكلمة وأخذه جسد الإنسان ليحضر فيه ويسكن، حضوراً وسكناً أبدياً دائماً، ارتفع مستوى الطقس الإلهي ليملأ كل زمان ومكان، حيث الزمان أصبح زمان الخلاص المنزَّه عن التغيير، والمكان أصبح هو هيكل الإنسان: «إنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم» (1كو 3: 16)، «فمجِّدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله.» (1كو 6: 20)

ولكن بسبب تأسيس المسيح لسر العشاء وهو سر الشكر الجماعي، دخل الطقس في العهد الجديد التزاماً، حيث تحضر الجماعة في حالة صلاة وحب وألفة شديدة تمهيداً لحضور المسيح: «لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم» (مت 18:20). وتُقدَّم تقدمة الشكر المحسوبة أنها ذبيحة من خبز وخمر كما أسسها المسيح ليلة العشاء الأخير لتحمل بالسر الإلهي ذبيحة المسيح على الصليب، فيصير الخبز هو جسد المسيح والخمر هو دم المسيح، وتشترك الجماعة معاً في الأكل والشرب منهما تحقيقاً لاحتواء المسيح في أرواحنا. وبهذا وبالإيمان والصلاة يتحقَّق فينا ما حققه المسيح بالجسد من أجلنا، أي نصبح متحدين في موت المسيح وقيامته، وبهذا ننال الحياة الأبدية فنُحسب أننا وُلدنا ثانية كأعضاء في ملكوت الله الجديد.

وبهذا أصبح الطقس في العهد الجديد هو عمل إلهي فائق يتم فيه سر الله الذي أكمله الآب في ابنه ليصبح كل من يتقبَّله يتقبَّل فيه كل ما عمل المسيح، بل ويتقبَّل منه المسيح نفسه! وما يُقال ويتم في ذبيحة الشكر يُقال ويتم في المعمودية، فكل طقوس الكنيسة أصبحت أعمالاً إلهية يتقبَّل فيها الإنسان أسرار المسيح للشركة فيه لنوال كل ما للمسيح. لذلك تختلف الطقوس المسيحية عن أي طقوس في العهد القديم أو غيرها من الطقوس في أنها أعمال تتم فيها أسرار الحياة الأبدية.

9:1 «حَسَبَ عَادَةِ الْكَهَنُوتِ، أَصَابَتْهُ الْقُرْعَةُ أَنْ يَدْخُلَ إِلَى هَيْكَلِ الرَّبِّ وَيُبَخِّرَ».

«حسب عادة الكهنوت»: kat¦ tÕ œqoj

"عادة الكهنوت" أي عادة خدمة الهيكل في تقديم ذبيحة البخور مع ذبيحة المحرقة اليومية مرة مساءً ومرة صباحاً. وذبيحة المحرقة تُقدَّم حسب أصول وترتيبات خاصة من ضمنها أنه **قبل** ذبيحة محرقة الصباح **وبعد** ذبيحة محرقة المساء (خروف ابن سنة)، تُقدَّم ذبيحة البخور على مذبح البخور

داخل الهيكل، علماً بأن خدمات الهيكل الكهنوتية اليومية المختلفة تحتاج إلى **18000 كاهن**(99)، **وغير مصرَّح للكاهن أيًّا كان أن يُقدِّم ذبيحة بخور إلاَّ مرَّة واحدة في حياته** إذا وقعت عليه القرعة. لذلك كان يعتبرها الكاهن أنها فرصة العمر وبركة حياته كلها أن يبخِّر في هيكل الرب.

10:1 **«وَكَانَ كُلُّ جُمْهُورِ الشَّعْبِ يُصَلُّونَ خَارِجاً وَقْتَ الْبَخُورِ».**

وهكذا بينما كان زكريا الكاهن يكمِّل خدمته في تقديم ذبيحة البخور داخل الهيكل، كان كل الشعب يصلِّي ويبتهل خارجاً بكل هدوء وسكون وصمت كامل، حيث اعتاد الشعب أن يحضر في مواعيد تقديم ذبيحة البخور. وكان ينتظر إلى أن يفرغ الكاهن من تقديم خدمته لينصرف.

وهنا يلزم أن نعود إلى العلماء الذين شرحوا إنجيل ق. لوقا في هذا المكان إذ يقولون إن حضور الشعب كان مجرَّد حضور للفرجة، أمَّا نحن فنقول إن وقت رفع البخور في العهد القديم كما سبق ونبَّهنا على الآية (8) هو وقت لحلول الله في هيكله ليتقبَّل البخور الصاعد إليه. وكان مناسبة وحيدة لكي يكلِّم الله إسرائيل عن طريق كاهن رفع البخور، وهذا الأمر له إشارة واضحة في سفر التثنية: «يعلِّمون يعقوب أحكامك وإسرائيل ناموسك، يضعون **بخوراً في أنفك** ومحرقات على مذبحك» (تث 10:33). ويُقال إن يوحنا هركانوس اقتبل في وقت البخور استعلاناً من الله، وكان رئيس كهنة(100).

والآن هي فرصتنا لكي نقول للقارئ إن رفع البخور ـ وهو يُحسب رمز العبادة الخاشعة المرفوعة والصاعدة إلى السماء قديماً وجديداً ـ في باكر قبل تقديم ذبيحة القداس في الكنيسة على المذبح، هو بحد ذاته ذبيحة إلهية برفع البخور، وهو بحسب التقليد المقدَّس الأول (القديم) هو أيضاً وقت حلول الله في وسط شعبه ـ ولا نقول في الهيكل بعد. لذلك حرصت الكنيسة حسب تقليدها في العهد الجديد المُلهم والمُرتشِد بالنعمة أن تُقدم الأواشي، أي صلوات الكنيسة، من أجل المرضى والمسافرين والمعوزين والمضيَّق عليهم والذين في السبي والسخرة في المناجم، والتائهين في الجبال والبراري وشقوق الأرض، والذين ليس لهم مأوى، كذلك من أجل مياه النيل والزرع والعشب ومن أجل كل شجرة مثمرة، ثم صلاة من أجل الرياح والهواء والعواصف، ومن أجل سلام الكنيسة والذين في كل مَنْصِب، كما تُقدَّم الصلوات من أجل الموتى في رفع بخور المساء. بمعنى أن الكنيسة

(99) **I. Howard Marshall, *The Gospel of Luke,* p. 54.**
(100) **Josephus, *Ant.,* xiii, 10,3.**

تجمع كل صلواتها وتُقدّمها لله في وقت رفع ذبيحة البخور في باكر وعشية (المساء). وفي أثناء رفع البخور يدور الكاهن على كل فرد من أفراد الشعب رجالاً ونساءً ويقف أمامه لحظة وكأنه يجمع صلوات الشعب فرداً فرداً، ثم يعود أمام الهيكل ويقف مصلّياً رافعاً صلوات الشعب لله. وفي أثناء الذبيحة ودورة البخور - **والذبيحة فوق المذبح - يعود ويمر في دورة البخور ليجمع اعترافات الشعب فوق الشورية (المجمرة) فرداً فرداً، ثم يقف على باب الهيكل ويقول: "اقبل إليك اعترافات شعبك". ثم يخطو داخل الهيكل ويرفع الابروسفارين، أي الغطاء الذي يغطي الكأس (الدم)، ويعطي البخور فوق الدم، بمعنى أن يضع اعترافات الشعب بخطاياهم على الدم. هذا عمل الكنيسة رسمياً**، ولكن لا يُغني عن تقديم صلواتنا، كل إنسان في مخدعه صباحاً ومساءً. فما كان من صناعة بني هارون في العهد القديم قد صار من واجب ونصيب كل مؤمن بالمسيح في العهد الجديد:

+ «وأمَّا أنتم فجنسٌ مختارٌ (الشعب المسيحي كله)، **وكهنوتٌ ملوكيٌّ** (على طقس مَنْ هو على طقس ملكي صادق ملك الملوك ورب المجد)، أُمَّةٌ مقدَّسة، شعبُ اقتناءٍ (أي مخصَّص لله)، لكي تُخبروا بفضائل الذي دعاكم مِنَ الظلمةِ إلى نورهِ العجيب. الذين قبلاً لم تكونوا شعباً، وأمَّا الآن فأنتم شعبُ الله. الذين كنتم غير مرحومين، وأمَّا الآن فمرحومون.» (1بط 2: 9و10)

وكان زكريا الكاهن قبل الإعلان الإلهي واقفاً أمام مذبح البخور الواقع في القدس بين مائدة خبز الوجوه والمنارة الذهب(101).

11:1 **«فَظَهَرَ لَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ وَاقِفاً عَنْ يَمِينِ مَذْبَحِ الْبَخُورِ».**

«فظهر»: êfqh

يلاحِظ القارئ أن الملاك ظهر عياناً وليس برؤيا وخطف العقل، فهو ظهور ملائكي حقيقي وواقعي. ونقرأ عن ظهور ملائكي آخر واقعي وحقيقي أثناء صلاة المسيح في جثسيماني: «وظهر له êfqh ملاك من السماء يقويه» (لو 22:43). وكان ظهور الملاك عن يمين مذبح البخور، حيث اليمين رمز الكرامة وتعبيراً عن رضى الله، بينما زكريا يضع البخور فوق المذبح على الجمر المتقد ثم ينطرح على الأرض ساجداً حسب ما هو مدوَّن بالطقس(102).

(101) **H. A. W. Meyer, *op. cit.,* p. 235.**
(102) **Tamid 6.3, cited by I. H. Marshall, *The Gospel of Luke,* p. 55.**

12:1 **«فَلَمَّا رَآهُ زَكَرِيَّا اضْطَرَبَ وَوَقَعَ عَلَيْهِ خَوْفٌ».**

«اضطرب ووقع عليه خوف»: ™tar£cqh - fÒboj

محيط الإنسان الطبيعي ضيّق، واعتياده على المنظور والمسموع فقط جعله يرهب بشدة ما هو غير منظور وما لم تألفه العين، كذلك يجزع من سماع صوتٍ غير ما تعوَّدته الأذن، لأن طبيعة الإنسان المخلوق من تراب الأرض لا تحتمل الاقتراب من الطبيعة السماوية والنظر إليها. فلأول وهلة إذا ظهر ملاك يكون ظهوره مخيفاً للنفس، حيث لا تهدأ النفس حتى تأخذ رسالة السلام والأمان كعطية سماوية ترتاح لها النفس، فيسهل عليها قبول الرسالة من فوق. والسبب الأساسي في ذلك هو الغربة التي عاشها الإنسان بعيداً عن الله وملائكته وغلاف الخطيئة الذي طمس العين عن الرؤيا والأذن عن سماع ما لله. ولكن إذا ما حلَّت النعمة في الإنسان وارتاح فيه روح الله تُرفع هذه القساوة وتنفتح عين الروح وتنجلي الرؤيا وينجلي السماع، ولا يعود الإنسان يجفل من ظهور غير المنظور السمائي.

13:1 **«فَقَالَ لَهُ الْمَلاَكُ: لاَ تَخَفْ يَا زَكَرِيَّا، لأَنَّ طِلْبَتَكَ قَدْ سُمِعَتْ، وَامْرَأَتُكَ أَلِيصَابَاتُ سَتَلِدُ لَكَ ابْناً وَتُسَمِّيهِ يُوحَنَّا».**

دائماً أبداً حينما يعطي الله أو الملاك أمراً بـ «لا تخف» يكون المرافق لهذا الأمر قوة روحية خاصة ترفع في الحال كل الإحساس بالرهبة والخوف، ويكون عوضه هدوء وسلام كبير للنفس، فيستقبل الإنسان الرسالة بملء الوعي والسلام والفرح.

«طلبتك قد سُمعت»:

أي طلبات؟ لأول وهلة يفكِّر الإنسان أن طلبته وصلواته كانت من أجل النسل الذي حُرم منه. ولكن هل يمكن لكاهن وقور متقدّم في الأيام أُعطي نعمة أن يدخل ليقدّم ذبيحة بخور أمام الله عن إسرائيل الذي حُرم من وعد المسيَّا هذه الدهور كلها، وطلباته التي وُضِعَت في فمه حسب الطقس أن يطلب المراحم من قِبَلِ الله أن يتحنَّن ويُرسل مسيَّا الموعود، هل يمكن أن يغفل الموقف الرهيب وواجب الكهنوت المُلِح وهو واقف كمرَّة وحيدة أُعطيت له أن يقدّم ذبيحة بخور عن الشعب الواقف خارجاً يؤازره ويلح في الصلاة والطلبة من أجل مراحم الله من أجل المسيَّا، فهل بعد هذا يتذكّر حرمانه من النسل الذي انقطع رجاؤه نهائياً منذ 40 سنة أو أكثر بسبب شيخوخة أليصابات العاقر؟

ولكن الرب لا ينسى صلوات ودموع الزوجين كل سني شبابهما وهو متمهِّل، لأن زمان يوحنا المعمدان مربوط بزمان "يسوع"، وزمان "يسوع" لم يَحِنْ بعد! ولمَّا حان الزمان حلَّ زمان استجابة

الطلبة، طلبة زكريا وأليصابات وطلبات الشعب والآباء والأنبياء. وهكذا ضمَّ الله طلبات البخور من أجل إسرائيل والوعد مع طلبات زكريا الكاهن وأليصابات. وكان اسم «**يوحنا**» القاسم المشترك الأعظم، فـ"الله تحنَّن" على إسرائيل وعلى زكريا وأليصابات، لأن هكذا هو معنى «يوحنا» فكما أن زكريا وأليصابات ظلاَّ يطلبان ويتوسلان من أجل النسل حتى شاخا وانقطع الرجاء، هكذا إسرائيل ظلَّت تطلب المسيَّا حتى كلَّت عيناها وشاخت وانحنى ظهرها. لهذا كان ينبغي أن يأتي يوحنا هكذا متأخراً جداً جداً في حساب زكريا ليناسب العمل العظيم الذي جاء يكمِّله بعد أن تأخَّر جداً جداً العهد بالنسل الموعود لإبراهيم!

لهذا كان مجيء يوحنا المعمدان يعبِّر عن جمال المناسبة بالنسبة لمجيء يسوع ـ لهذا عندما تقابلا معاً وهما لا يزالان في البطن جاءت التحية حارة حتى ارتكض الجنين في بطن العاقر تحية للجنين في بطن العذراء. فالأرواح تعارفت قبل الأجساد!!

14:1 **«وَيَكُونُ لَكَ فَرَحٌ وَابْتِهَاجٌ، وَكَثِيرُونَ سَيَفْرَحُونَ بِوِلاَدَتِهِ».**

«فرح وابتهاج»: car£ - ¢gall…asij

ليس فرح كفرح زكريا وليس ابتهاج كابتهاج أليصابات، لا لأنهما رُزقا ابناً في شيخوختهما وحسب، ولكن لأنهما رُزقا نبيًّا وأعظم من نبي. لأن كل نبي وُلد ليتنبأ، ولكن يوحنا وُلد ليضع يده على المسيَّا نفسه ويُسلِّمه النبوَّة بكل روحها ويشاهد الروح نازلاً عليه وتنفتح عيناه ويراه ابناً لله. لمَّا رأت عينا زكريا مولوده يوحنا نطق معبِّراً عن الفرحة والابتهاج التي تنبأ بها له الملاك فقال: «وأنت أيها الصبي نبي العلي تُدعى لأنك تتقدَّم أمام وجه الرب لتعدّ طرقه» (لو 76:1). لم تكن فرحة زكريا لأنه صار له ابنٌ، بل لأن الله اختاره ليكون أباً لنبي يُعِد طريق المسيَّا!

«وكثيرون سيفرحون بولادته»:

«كثيرون»: pollo‹

كلمة «كثيرون» أصلاً في العبرية تعبير لا يعني فقط الكثرة بل تتضمَّن معنى "الكل"، فهي ليست "كثرة" ولكن "كليّة"(103). فكلمة «كثيرون» تأتي هنا في اليونانية مرادفة لمعنى كل الشعب p©j Ð laÕj كما جاءت في (لو 2 : 10). وقوله «سيفرحون بولادته» لا تعني الولادة بحد ذاتها ولكن تعني "الفرح بمجيئه"، لأن يوحنا المعمدان لم يشعر به الشعب إلاَّ بعد ظهوره في

(103) J. Jeremias, TDNT, VI, 536-546.

البرية كارزاً بقرب مجيء الرب.

15:1 «**لأنَّـهُ يَكُونُ عَظِيماً أَمَامَ الرَّبِّ، وَخَمْراً وَمُسْكِراً لاَ يَشْرَبُ، وَمِنْ بَطْنِ أُمِّهِ يَمْتَلِىءُ مِنَ الرَّوحِ الْقُدُسِ».**

«لأنه يكون عظيماً أمام الرب»:

عبارة «أمام الرب» جاءت في اليونانية بمعنى: "في عَيْنَي الرب" أو "في تقديره". فهنا تقدير يوحنا المعمدان في عَيْنَي الرب يتركَّز في شخصيته أولاً، وهذا ما عبَّر عنه المسيح بأقوى تعبير. فمن أوصاف المسيح التي أعطاها للمعمدان والتي تكشف عن مدى إعجابه بشخصيته قوله:

+ «ماذا خرجتم إلى البرية لتنظروا؟ أقصبة تحركها الريح؟

بل ماذا خرجتم لتنظروا؟ أإنساناً لابساً ثياباً ناعمة؟...

بل ماذا خرجتم لتنظروا؟ أنبياً؟ نعم أقول لكم وأفضل من نبي!

لأني أقول لكم: إنه بين المولودين من النساء ليس نبيٌّ أعظم من يوحنا المعمدان.» (لو 7: 24-28)

وواضح من وصف الرب أن يوحنا كان ذا شخصية قوية وبأسٍ، وكان متقشّفاً ناسكاً فقيراً نذيراً للرب يطيل شعره قانونياً (عد 5:6)، وإنه تنبأ عن قرب ملكوت الله كما رآه بالعيان، وافتتح الطريق إليه ومهَّده بتعليمه وصراخه. إذ لم يُسْمَع عن كل شخصيات العهد القديم جميعاً من استطاع أن يقول للفريسيين والصدوقيين الذين جاءوا ليعتمدوا منه: «يا أولاد الأفاعي مَنْ أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي» (مت 7:3). ولم يَقُمْ نبيٌّ استطاع أن يوبِّخ ملكاً في وجهه وأن يقول له لا يَحِلُّ لك!! كما فعل يوحنا المعمدان.

وكونه لم يشرب خمراً ولم يَذُقْ مُسكراً(104) فهو لأنه نذر نفسه لله وكرَّس حياته لخدمته منذ فجر شبابه، فإنه عوض الخمر يقول الملاك إنه يمتلئ من الروح القدس وهو في بطن أمه. فقد حدث ذلك بالفعل لمَّا دخلت مريم القديسة وهي حامل بالرب في بطنها وأعطت السلام لأليصابات، فأصاب السلام الجنين في بطنها أيضاً وهو المعمدان.

وهكذا ندخل معاً أيها القارئ في جو الملائكة والنبوات العالية وحركات الروح القدس وهي تخط خطوطها الإلهية على وجه التاريخ لتُرسي الأساسات الأولى في بناء الخلاص الشامخ.

(104) المُسكر هو الخمر غير المصنوع من العنب، ولكن كان يُصنع من الفواكه الأخرى مثل البلح والشعير والكريز ... إلخ.

والجو حقًّا رهيب ومشحون بطاقة الروح القدس، التي يكاد الإنسان أن يحسَّها وهي تهز كيانه.

16:1 **«وَيَرُدُّ كَثِيرِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى الرَّبِّ إِلَهِهِمْ».**

«يرد كثيرين من بني إسرائيل»: ™pistršyei

كلمة «يَرِدُّ» هنا تعني "يُغيِّر ويرجع بالخطاة إلى التوبة"، وهو اصطلاح دخل المسيحية بمعنى **"التوبة = ميطانيا"، ولكن في العبرية تعني التغيير من عبادة الأوثان التي ضرب بها شعب إسرائيل إلى عبادة الرب إلههم.** كما يُعتبر يوحنا مجدّداً أخلاقياً وهو ما أشار إليه ملاخي النبي: «ها أنا أُرسل إليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب اليوم العظيم والمخوف، فيرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم لئلاً آتي وأضرب الأرض بلعنٍ» (مل 4: 5و6)، ومعروف أن هذا كان عمل إيليا النبي سابقاً.

17:1 **«وَيَتَقَدَّمُ أَمَامَهُ بِرُوحِ إِيلِيَّا وَقُوَّتِهِ، لِيَرُدَّ قُلُوبَ الآبَاءِ إِلَى الأَبْنَاءِ، وَالْعُصَاةَ إِلَى فِكْرِ الأَبْرَارِ، لِكَيْ يُهَيِّئَ لِلرَّبِّ شَعْباً مُسْتَعِدًّا».**

«ويتقدَّم أمامه»: proeleÚsetai أو proseleÚsetai وهي الأصح

وقد وردت في بعض المخطوطات بوضعها الثاني وتُحسب خطأً بسيطاً من الناسخ اليوناني، لأن الكلمة أصلها prošrcomai أي "يتقدَّم أمام" وجاءت بهذا المعنى في (لو 22: 47).

وهذا الاصطلاح يفيد تهيئة اتجاه عمل وفكر يوحنا المعمدان كسابق للرب يُعِدُّ الطريق أمامه:

+ «وأنت أيها الصبي نبي العلي تُدعى لأنك تتقدَّم أمام وجه الرب لتعد طرقه لتعطي شعبه معرفة الخلاص بمغفرة خطاياهم.» (لو 1: 76و77)

والملاك يتكلَّم هنا بقوله: «أمامه» والهاء هنا تعود على الشخص السابق في الآية السابقة وهو «الرب إلههم» فهنا إشارة الملاك إلى أن المسيح هو "الرب الإله" بالنسبة لشعبه.

كما أن قوله: «يتقدَّم» هنا يعني يسير أمامه على الأرض، وهي إشارة واضحة لتجسُّد الرب الإله ومسيرته على الأرض. وعمل يوحنا يشبه عمل إيليا بالنسبة ليهوه الرب الإله وسط الشعب، أي أن نفس فكر وعمل إيليا يكون ليوحنا المعمدان، وبالتالي وحتماً روح إيليا وقوته قد أُعطيت له من الله في ذلك الزمان، بمعنى أن يوحنا المعمدان هو بالضرورة إيليا عائداً من وراء السماء.

ويلزم هنا توضيح شخصية يوحنا المعمدان أنها ذات طابع ملائكي فعلاً كما نص عليها ملاخي النبي أيضاً في نبوَّته: «ها أنا أُرسل ملاكي فيهيىء الطريق أمامي ويأتي بغتة إلى هيكله السيد الذي

تطلبونه (المسيَّا) ...» (مل 3:1)، حتى أن التقليد الكنسي اعتبر يوحنا المعمدان بهيئة ملاك، ورسمه بعض الرسَّامين بجناحين، ولكن هذا شطط، فهو كان إنساناً عادياً تحت الآلام وذُبح على يد زانية. ولكن معنى قول « ملاكي» هو خادمي المُرسل أمامي. ولكن لا يمكن أن يفوت علينا قول ملاخي بالنبوَّة: «ها أنذا» وقوله: « الطريق أمامي» فهنا المتكلّم هو يهوه الله الرب الإله ـ مشيراً إشارة شديدة التعبير عن تجسُّده.

(أ) «ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء والعُصاة إلى فكر الأبرار»،

(ب) «لكي يُهيِّيء للرب شعباً مستعداً»:

هنا عمل المعمدان على مرحلتين: الثانية معتمدة على الأولى بصورة مطلقة. في شرح الجزء الأول (أ) واضح أن مهمة المعمدان هي إعداد "الأسرة" بروح الأبوة للآب، الذي يحنو على أولاده ويتعهَّدهم بالأخلاق والسلوك، حتى يقبلوا عطية الله الآب كأبٍ للأسرة البشرية ككل في شخص ابنه يسوع المسيح. فإعداد الأسرة عماد الإيمان بالله والمسيح. وفي أصل النبوَّة عند ملاخي يوجد أيضاً أن يرد قلوب الأبناء إلى آبائهم، وهنا الرباط الأسري يبلغ مدى قوته وإعداده بروح المسيح ابن الله. فانعطاف الآباء على الأبناء وانعطاف الأبناء على الآباء هو عماد قيام شعب مستعد لقبول روح التجديد والدخول في مخافة الله ثم محبته.

أمَّا عودة فكر العصاة إلى فكر الأبرار فهو عودة ما تخلَّف من روح الأسرة سواء آباء عصاة أو أبناء عصاة، هؤلاء يختصُّهم الله بنوع خاص جداً من التعامل الداخلي الذي يسكبه الله بالنعمة في قلب المعمدان، ليجتذبهم إلى فكر الأبرار سواء بالإغراء أو بالتخويف. وقد حمل المعمدان عوامل الاثنين، فبقامته المديدة وشعره المُسْترسِلَ ووجهه النحاسي الذي لَفَحَته الشمس، وعينيه الناريتين وثوبه الطويل المهلهل، ومنطقته الجلدية التي تقبض على حقويه كالخاتم للإصبع، وصندله الممزق ـ كان هذا مُعزياً أشد العزاء للنفوس الجامحة الطموحة مع كلماته النارية وتوبيخه المريح للنفس العاصية ـ كل هذا بلا شك جذب النفوس العاصية. فلقد نجح المعمدان في أن يجمع الأمة من أقصاها إلى أقصاها «واعتمد جميع الشعب» (21:3)!! على كلمة التوبة لقبول مغفرة الخطايا تمهيداً لمحوها!!

أمَّا في عصرنا هذا الذي تعمل فيه النعمة، فقد أغنانا الروح القدس عن النذير والشكل واللبس والصوت الصارخ والفأس الموضوعة على أصل الشجرة. فهو الذي يتبرَّع بالحديث مع القلوب بكل أشكالها، والأرواح البشرية بكل قاماتها، فبالصوت الواحد والكلمة الواحدة من على منبر النعمة

يأتي النمر مع الحمل بانصياع واحد لروح الله القادر أن يجمع ذوي الشكل الواحد في بيت، ويَهْدي النمور والدببة والذئاب ليتبناهم مع الحملان، ويطعمهم من لحم الحمل ويسقيهم من دم ابن الله، لتتحوَّل البشرية كلها عن كل أشكالها وألوانها لتصير بشكل الابن الوحيد في القداسة والحق!!

أعرف رجلاً نمراً كان لا يكف عن شرب الخمر، يدخل بيته فتقف الزوجة أمامه مرتعدة الأوصال تخدم أهواءه ومزاجه، ويتوزَّع الأولاد في أركان الغرف رعباً من الظهور أمامه. وفي يوم وفي ساعة مقبولة من ساعات الله الفريدة حدَّثه الرب في الطريق وهو حامل زجاجته الغالية المحبوبة فما كان منه قبل أن يقترب من البيت إلاَّ وأن وضع الزجاجة في هدوء دون أن يلمحه أحد في صندوق القمامة، ودخل البيت والتجأ إلى غرفته وأوصدها خلفه فظنَّت الزوجة والأولاد أنه يحتسي الخمر، ولمَّا طال انتظارهم فتحوا الغرفة بمنتهى الحذر فوجدوه راكعاً يحتسي النعمة، وقام واحتضنهم وصارت الأسرة لا ضمن الشعب المستعد بل من الكارزين بروح النعمة.

18:1 «**فَقَالَ زَكَرِيَّا لِلْمَلاَكِ: كَيْفَ أَعْلَمُ هذَا، لأَنِّي أَنَا شَيْخٌ وَامْرَأَتِي مُتَقَدِّمَةٌ فِي أَيَّامِهَا؟**»

حاول العلماء تبرير زكريا الكاهن في سؤاله الذي ينمُّ عن عدم تصديق، متماحكين بنفس الأمر الذي حدث لأبرآم حينما وعده الله بنسل أكثر من نجوم السماء، موضِّحاً أيضاً أن وارث بيته لن يكون أليعازر الدمشقي بل سيكون من أحشائه (تك 6:15) «فآمن بالربِّ فحسِبَهُ له برًّا» ثم وعده مرَّة أخرى بأنه سيرث الأرض التي كان واقفاً عليها: «فقال (له) أيها السيد الرب بماذا أعلم أني أرثها» (تك 8:15)، فكان رد الرب أنْ عَمِلَ مع إبراهيم عهداً تأكيداً لكلامه: «في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرآم ميثاقاً قائلاً لنسلك أُعطي هذه الأرض من **نهر مصر (بقرب العريش)**[105] إلى النهر الكبير نهر الفرات» (تك 18:15). وواضح من هذا أن حالة إبراهيم مختلفة تماماً.

أمَّا اختلاف حالة زكريا الكاهن عن إبراهيم فهو راجع كون زكريا كاهناً يعيش تحت وعود الله الصادقة السابقة، أمَّا إبراهيم فكان يجاهد ليأخذ الوعد وأخذه بأمانته وتصديقه للمستحيلات. لذلك لم يكن من حق زكريا أن لا يصدق كلام الملاك، فعنده حالة إبراهيم يقرأها كل يوم وحالة ألقانة وحنة وصموئيل. أمَّا إبراهيم فلم يسبق أن سمع وعداً كهذا يتم بحروفه. لهذا واجهه الملاك: «لأنك لم تُصدِّق كلامي.» (لو 20:1)

(105) أخطأ جميع العلماء اليهود وجاراهم الآخرون في القول بأن الله منح اليهود الأرض من النهر إلى النهر، حيث النهر الأول ظنوا أنه نهر النيل. ولكن يوجد ناحية العريش في جميع الخُرط القديمة نهر معروف اسمه أنه نهر مصر. من هنا جاء الالتباس، لذلك وجب التنبيه. وسمِّي "نهر مصر" لأنه كان هو حدودها.

19:1 **«فَأَجَابَ الْمَلاكُ وَقَالَ لَهُ: أَنَا جِبْرَائِيلُ الْوَاقِفُ قُدَّامَ اللهِ، وَأُرْسِلْتُ لأُكَلِّمَكَ وَأُبَشِّرَكَ بِهذا».**

«أنا جبرائيل»:

ومعناها "رجل الله" وهو واحد من السبعة ملائكة(106) الذين يقفون في حضرة الله كخدَّام المشورة، ويُدْعَون رؤساء الملائكة أو أمراء الملائكة، وهم مذكورون في العهد القديم والجديد وليس فيهم تغيير. وأمَّا الملائكة وهم رتبة تحت رؤساء الملائكة فلا نهاية لعددهم. وأول مَنْ رآهم وقدَّر عددهم بجيش هو يعقوب (إسرائيل) ذو العين المفتوحة: «وأمَّا يعقوب فمضى في طريقه ولاقاه ملائكة الله وقال يعقوب إذ رآهم هذا جيش الله »(تك 32: 1و2). وذكرهم المزمور بحسب كثرتهم كخُدَّام التجسُّد: «لأنه يُوصي ملائكته بك لكي يحفظوك في كل طرقك، على الأيدي يحملونك لئلاً تصدِمَ بحجرٍ رجلك» (مز 91: 11و12). كذلك دانيال النبي ذكرهم بكثرتهم بألوف الألوف: «وجلس القديم الأيام. لباسه أبيض كالثلج وشعر رأسه كالصوف النقي، وعرشه لهيب نار وبكراته نار متقدة، نهر نار جرى وخرج من قدَّامه، ألوفُ ألوفٍ (أي ملايين) تخدمه، وربواتُ ربوات (أي عشرة آلاف مضروبة في عشرة آلاف عدة مرَّات 10000×10000 أي مائة مليون لعدة مرَّات) وقوف قدَّامه »(دا 7: 9و10). وهم خلائق روحانية موطنها السماء بحسب طبيعتهم المخلوقين عليها، أُقيموا على الخدمة للعمل بين الله والخليقة وخاصة الإنسان. ويُقال في التقليد الموروث والمحقق أن لكل إنسان يولد في المعمودية يخصِّص الله ملاكاً حارساً للنعمة.

ولهم خدمات ذُكرت بوضوح. فالملاك ظهر لهاجر وهي في البرية وأعانها:

+ «فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية، على العين التي في طريق شور وقال لها: يا هاجر جارية ساراي من أين أتيتِ؟ وإلى أين تذهبين؟ فقالت: أنا هاربة من وجه مولاتي ساراي، فقال لها ملاك الرب: ارجعي إلى مولاتكِ واخضعي تحت يديها.» (تك 16: 7-9)

كذلك لهم حكاية طريفة مع جدعون:

+ «وأتى ملاك الرب وجلس تحت البطمة(107) التي في عفرة التي ليوآش الأبيعزري وابنه جدعون (أحد قضاة ومحاربي إسرائيل الأقوياء) كان يخبط حنطة في المعصرة لكي يهرِّبها من المديانيين (الذين أغاروا على إسرائيل واستعبدوها). فظهر له ملاك الرب وقال له: الرب معك يا جبَّار

(106) تحدَّد عددهم بسبعة في سفر طوبيا: «أنا روفائيل واحد من السبعة الملائكة القديسين الذين يرفعون صلوات القديسين ويدخلون (بها) أمام مجد القدوس.» (طوبيا 15:12)

(107) وهو شجر الشوح أو الشربين **Fir** ويؤخذ منه خشب الموسكي وشكله مخروطي كالصنوبر.

البأس، فقال له جدعون: أسألك يا سيدي: إذا كان الرب معنا، فلماذا أصابتنا كل هذه؟ وأين كل عجائبه التي أخبرنا بها آباؤنا؟ ... فالتفت إليه الرب وقال: اذهب بقوتك هذه وخلِّص إسرائيل من كف مديان! أما أرسلتك؟ فقال له: أسألك يا سيدي: بماذا أُخلِّص إسرائيل؟ ها عشيرتي هي الذُّلَّى في منسَّى وأنا الأصغر في بيت أبي. فقال له الرب: إني أكون معك وستضرب المديانيين كرجل واحد.» (قض 6: 11-16 إلخ)

وإشعياء النبي وأيوب الصدِّيق نسمع منهما أن الملائكة يشكِّلون خوارس ويقدِّمون تسابيح لله:

+ «في سنة وفاة عزيا الملك رأيت السيد جالساً على كرسيٍّ عالٍ ومرتفع ومجده ملء كل البيت، والسيرافيم (جمع سيراف) واقفون حوله وكل واحد له ستة أجنحة وبجناحين يغطون وجههم وباثنين يغطون أرجلهم وباثنين يطيرون. والواحد صرخ للآخر قالوا: قدوس قدوس قدوس رب القوات مجده ملء الأرض كلها.»(إش 6: 1-4 عن السبعينية)

وأيوب يحكي عن هُتاف الملائكة إذ حسبهم بني العلي:

+ «عندما ترنَّمت كواكب الصبح معاً وهتف جميع بني العلي.» (أي 38:7)

وهُم رُسُل الله للأمم:

+ «(أحد الملائكة) قال لي: يا دانيال أيها الرجل المحبوب جداً افهم الكلام الذي أُكلِّمك به ... رئيس مملكة فارس (يبدو أنه شيطان عدو) وقف مقابلي واحد وعشرين يوماً وهوذا ميخائيل رئيسكم (الملاك الحافظ لإسرائيل) واحدٌ من الرؤساء (princes) جاء وأعانني وتركت ميخائيل هناك في مواجهة رئيس فارس وجئتُ لأُخبرك عن كل الذي سيأتي على شعبك في الأيام الأخيرة لأن الرؤيا إلى أيام كثيرة» (دا 10: 10-14 عن النسخة السبعينية).

+ «ولكني أخبرك بالمرسوم في كتاب الحق ولا أحد يتمسَّك معي على هؤلاء إلاَّ ميخائيل رئيسكم.» (دا 21:10)

+ «وفي ذلك الوقت يقوم ميخائيل الرئيس العظيم القائم لبني شعبك ويكون زمان ضيق لم يكن منذ كانت أُمة إلى ذلك الوقت. وفي ذلك الوقت يُنجَّى شعبك كل مَنْ يوجد مكتوباً في السفر. وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون. هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي، والفاهمون يضيئون كضياء الجلد، والذين ردُّوا كثيرين إلى البر كالكواكب إلى أبد الدهور.» (دا 12: 1-3)

وقد التقطنا ثلاثة أسماء منهم وذلك من الأسفار: جبرائيل (دا 16:8)، ميخائيل (دا 13:10)،

ورافائيل (طوبيا 15:12).

ويكشف لنا سفر الأعمال عن سر تدخُّل الملائكة في تشكيل ناموس موسى: «الذين أخذتم الناموس بترتيب ملائكة ولم تحفظوه» (أع 53:7)، وكرَّر هذا بولس الرسول في رسالة غلاطية: «فلماذا الناموس؟ قد زيد بسبب التعديات، إلى أن يأتي النسلُ الذي قد وُعِدَ له، مرتَّباً بملائكةٍ في يدِ وسيطٍ» (غل 19:3). ويكرِّر أيضاً ق. بولس هذا في سفر العبرانيين: «لأنه إن كانت الكلمة التي تكلَّم بها ملائكةٌ قد صارت ثابتةً، وكل تعدٍّ ومعصيةٍ نال مجازاةً عادِلةً، فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره، قد ابتدأ الرب بالتكلُّم به، ثم تثبَّت لنا من الذين سَمِعُوا.» (عب 2: 2و3)

وبحسب تعليم المسيح نفسه عرفنا أن الملائكة كائنات روحية: «لأنهم في القيامة (بالنسبة لأرواح القديسين) لا يزوِّجون ولا يتزوَّجون بل يكونون كملائكة الله في السماء.» (مت 30:22)

وقال الرب أيضاً: إن الملائكة ينظرون وجه الله دائماً: «انظروا لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار لأني أقول لكم: إن ملائكتهم في السموات كل حين ينظرون وجه أبي الذي في السموات» (مت 10:18)، وهذا يعني أنهم في الحضرة الإلهية يقومون. وقد قرَّر المسيح أن الملائكة سيرافقونه في مجيئه الثاني: «فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته ...» (مت 27:16). وقد أعلن الإنجيل جهاراً أن الملائكة قد رافقوا تجسُّد المسيح بكل فرح واهتمام: «ولكن فيما هو متفكِّر في هذه الأمور إذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم قائلاً: يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذي حُبل به فيها هو من الروح القدس» (مت 20:1)، «وإذا ملاك الرب وقف بهم ومجد الرب أضاء حولهم ... وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوي مسبِّحين الله قائلين: المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرَّة.» (لو 2: 9ـ14)

وقد ذكر الكتاب أن الملائكة جاءت وخدمت الرب في البرية: «ثم تركه إبليس وإذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه» (مت 11:4). وهناك أيضاً في جهاده في الصلاة في جثسيماني: «وظهر له ملاك من السماء يقويه »(لو 43:22). وكان هناك اثنا عشر جيشاً من الملائكة تحت إمرته مهيَّأة لتظهر في الحال: «أتظن أني لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبي فيقدِّم لي أكثر من اثني عشر جيشاً من الملائكة» (مت 53:6). وكانت الملائكة أول مَنْ شاهد وشهد لقيامة الرب: «وإذا زلزلة عظيمة حدثت لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه. وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج ... فأجاب الملاك وقال للمرأتين لا تخافا أنتما فإني أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب، ليس هو ههنا لأنه قام» (مت 28: 2ـ6)، «فنظرت ملاكين بثياب بيض

جالسَين واحد عند الرأس والآخر عند الرجلين حيث كان جسد يسوع موضوعاً. فقالا لها يا امرأة، لماذا تبكين؟ ... والتفتت وراءها فنظرت يسوع واقفاً ...» (يو 20: 12-14)

أمَّا سفر الرؤيا فهو كله يدور في موطن هؤلاء الملائكة فذكرهم بلا عدد: فهم يعبدون كنموذج لعبادة الكنيسة المنتصرة، وخدماتهم في نهاية العالم ستكون بحسب تعليمات المسيح.

أمَّا في عصر الآباء فقد كتبَ عن درجاتهم ديونيسيوس المعروف خطأ بالأريوباغي، كما أسهب في أوصافهم غريغوريوس الكبير، وأوريجانوس تكلَّم عن أجسادهم الأثيرية، وشاركه في هذا أُغسطينوس.

ولكن أكثر مَنْ كتبَ عن أنظمة وطبقات الملائكة هو بولس الرسول:

في رســالة أفسس: «وأجلسه عن يمينه في السماويات فوق كل **رياسة** (للملائكة) **وسلطان، وقوة، وسيادة.**»(أف 21:1)

في رسالة كولوسي: «فإنه فيه خُلِقَ الكلُّ: ما في السماوات وما على الأرض، ما يُرى وما لا يُرى، سواءٌ كان **عروشاً** أم **سيادات**ٍ أم **رياسات**ٍ أم **سلاطين**. الكل به وله قد خُلق.» (كو 16:1)

فإذا جمعنا هذه الرتب معاً نخرج منها بخمسة أسماء رتب الملائكة الأساسية. أمَّا هذه الرتب فهي أصناف مختلفة من طبائع الخلائق السماوية. وربما يكون رؤساء الملائكة بمفردهم أي غير الرياسات، ويُضاف إليهم السيرافيم كما جاء في إشعياء، والشاروبيم المذكور في حزقيال وهو الثاني في طبقات الملائكة التسعة بحسب ترتيب ديونيسيوس، وهو المنوط به ملاحقة الحضرة الإلهية أينما حلَّت وهو المعروف بالكاروبيم، وهو الذي كان المنوط به حراسة شجرة الحياة بعد طرد آدم: «فطَردَ الإنسان وأقام شرقي جنة عدن والكروبيم ولهيب سيف متقلِّب لحراسة طريق شجرة الحياة» (تك 24:3). وهو الذي صُنع على صورته كروبان يقفان فوق غطاء التابوت الذهبي:

+ «وتصنع كروبَين من ذهب صنعة خراطة تصنعهما على طرفي الغطاء. فاصنع كروباً واحداً على الطرف من هنا وكروباً آخر على الطرف من هناك ... ويكون الكروبان باسطين أجنحتهما إلى فوق مُظلِّلين بأجنحتهما على الغطاء ووجهاهما كل واحد إلى الآخر.» (خر 25: 18-20)
+ «وأنا أجتمع بك هناك وأتكلَّم معك من على الغطاء **من بين الكروبين** اللذين على تابوت الشهادة.»(خر 22:25)

وبخصوص رتب الملائكة تضع الكنيسة الشاروبيم مع العروش، كما تضع السيرافيم مع الشاروبيم

دائماً(108). وعلى العموم فإن ترتيب هذه الرتب الملائكية السمائية قد حدَّده وثبَّته ديونيسيوس المدعو خطأ بالأريوباغي في مؤلَّفه: "الرتب السماوية" وقد نظَّمها وقسَّمها إلى ثلاث رتب، وكل رئاسة لها ثلاثة صفوف، وهي بالترتيب كالآتي:

الرتبة الأولى:	سيرافيم	شاروبيم	عروش
الرتبة الثانية:	سيادات	قوات	سلاطين
الرتبة الثالثة:	رياسات	رؤساء ملائكة	ملائكة

ومن هذه المجموعات اختص رؤساء الملائكة والملائكة بالإرساليات للبشر. وقد تمادت الكنيسة الكاثوليكية في تنويعها وتقسيمها وإضافاتها، ولكن الكنيسة القبطية بقيت على هذه الترتيبات المسلَّمة من الآباء. ولكن أضيف ضمن أسماء السبعة رؤساء ملائكة ما جاء في بعض الكتب غير القانونية وهي أسماء سوريبيل وسداكييل وساراثييل وأنانييل، وهي مذكورة في التسبحة السنوية المقدَّسة.

20:1 «وَهَا أَنْتَ تَكُونُ صَامِتاً وَلاَ تَقْدِرُ أَنْ تَتَكَلَّمَ، إِلى الْيَوْمِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ هذا، لأَنَّكَ لَمْ تُصَدِّقْ كَلاَمِي الَّذِي سَيَتِمُّ فِي وَقْتِهِ».

كان العقاب بالصمت وعدم القدرة على الكلام من نفس نوع الخطأ في عدم القدرة على السماع وإتقان الطاعة والفهم والخضوع. فالذي لا يسمع لا يتكلَّم. وكان قصد التوجيه الإلهي هو حفظ هذا السر في أضيق حدوده العائلية حتى يتم "**الإعلان**" عن المسيَّا، فلا يرتبك القوم بين المعمدان ويسوع أيهما صاحب الوعد وأيهما المسيَّا.

على أنه تبقى مشورة الله في هذا الأمر مغلقة إلى حد كبير عن إدراك الإنسان سواء في اختيار الأزمنة أو الجزاءات الهامشية التي تبدو وكأنها عقاب، وهي في حقيقتها للنفع بلا ضرر. وعلى الإنسان أن يمتثل لتدبيرات الله بلا فحص أو سؤال لأنها كلها في النهاية تُفصح عن سببها وغايتها.

21:1 «وَكَانَ الشَّعْبُ مُنْتَظِرِينَ زَكَرِيَّا وَمُتَعَجِّبِينَ مِنْ إِبْطَائِهِ فِي الْهَيْكَلِ».

كان يتحتَّم أن يخرج كاهن الخدمة إلى الشعب بعد تقديم ذبيحة البخور ويعطي الشعب البركة الهارونية: «كلِّم هارون وبنيه (الكهنة) قائلاً: هكذا تباركون بني إسرائيل قائلين لهم: يباركك الرب ويحرسك، يضيء بوجهه عليك ويرحمك. يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلاماً. فيجعلون اسمي

(108) "الشاروبيم يسجدون لك والسيرافيم يسبِّحونك صارخين قائلين: قدوس قدوس قدوس" (مرد الشعب في القداس الباسيلي).

على بني إسرائيل وأنا أباركهم.» (عد 6: 23-26)

22:1 «**فَلَمَّا خَرَجَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ، فَفَهِمُوا أَنَّهُ قَدْ رَأَى رُؤْيَا فِي الْهَيْكَلِ. فَكَانَ يُومِئُ إِلَيْهِمْ وَبَقِيَ صَامِتاً».**

فكان صمت زكريا الكاهن آخر بركة هارونية ذات نفع، بل والتي ألغت كل بركة للعهد القديم كله. وكان هذا هو الصمت الذي هو أقوى من كل كلام، فبهذا الصمت صمت صوت العهد القديم كله لأن الرب تكلَّم ببدء العهد الجديد، الرب الذي يقف عنده كل الأنبياء صامتين وكل ترتيب وكل طقس وكل خدمة! فمبارَكٌ هو صمت زكريا الذي فتح أسماعنا ولساننا ليتكلَّم باسم المسيح.

«**بقي صامتاً**»: kwfÒj

وتعني أصم وأخرس معاً، كما يُفهم من الآية الأخيرة: «ثم **أومأوا** إلى أبيه ماذا يريد أن يُسمي فطلب لوحاً وكتب قائلاً: يوحنا. فتعجَّب الجميع» (لو 1:62). وأمَّا تعجُّبهم فهو لأن أُمه أليصابات أعطته ذات الاسم وقت الختان في اليوم الثامن قبل أن يكتب زكريا على اللوح اسمه. فمن تعجُّبهم هذا يُفهم أنه لم يَسْمَع الاسم الذي قالته أليصابات. وهذا يُضاف إلى كلمة «أومأوا» ليؤكِّد أنه كان أصماً لا يسمع وأخرس لا يتكلَّم.

23:1 «**وَلَمَّا كَمَلَتْ أَيَّامُ خِدْمَتِهِ مَضَى إِلَى بَيْتِهِ».**

كانت نوبة الخدمة محدَّدة لكل كاهن، فبعد أن أكمل نوبة خدمته ذهب إلى بيته بعيداً عن أُورشليم لأنه كان يعيش في التلال المتاخمة للمدينة، كما ذُكر في زيارة القديسة مريم للبيت: «فقامت مريم في تلك الأيام وذهبت بسرعة **إلى الجبال إلى مدينة يهوذا.**» (لو 1:39)

24:1 «**وَبَعْدَ تِلْكَ الأَيَّامِ حَبِلَتْ أَلِيصَابَاتُ امْرَأَتُهُ، وَأَخْفَتْ نَفْسَهَا خَمْسَةَ أَشْهُرٍ قَائِلَةً».**

وبعد تلك الأيام أي بعد الرؤيا التي رآها زكريا في الهيكل وعودته إلى بيته. وأخفت نفسها داخل بيتها خمسة أشهر، وذلك لكي تظهر مرَّة واحدة وهي حامل بصورة واضحة، لأنها كانت تريد أن تثق في حملها إذ كفاها تعييراً العمر كله. فالاختفاء من الناس هنا ليس خجلاً بل لتستوثق من حملها قائلة:

25:1 «**هكَذَا قَدْ فَعَلَ بِيَ الرَّبُّ فِي الأَيَّامِ الَّتِي فِيهَا نَظَرَ إِلَيَّ، لِيَنْزِعَ عَارِي بَيْنَ النَّاسِ».**

بدأت أليصابات تعطي شكرها لله معترفة بفضل عمله الذي عمله إذ اعتبرته أنه افتقدها أخيراً

بنسل، الذي يُعتبر أنه رد اعتبار لها بعد أن تعذَّبت من تعيير الناس لها خاصة بين النسوة معاً، لأن العاقر كانت في إسرائيل تُعْتَبر أنها مغضوب عليها من الله كعقاب.

هكذا فعلت هاجر في سارة: «ولمَّا رأت (هاجر) أنها حبلت صغرت (مولاتها) في عينيها ... يقضي الرب بيني وبينك (عتاب لإبراهيم الذي أنجب نسلاً من هاجر).» (تك 5:16)

وكذلك في أمر راحيل: «فلما رأت راحيل أنها لم تلد ليعقوب غارت راحيل من أختها وقالت ليعقوب هب لي بنين وإلاَّ فأنا أموت.» (تك 1:30)

وكذلك أيضاً في أمر حنة امرأة ألقانة: «وكانت ضرَّتها تغيظها أيضاً غيظاً لأجل المراغمة لأن الرب أغلق رحمها.» (1صم 6:1)

كذلك ميكال امرأة داود (بنت شاول): «ولم يكن لميكال بنت شاول ولد إلى يوم موتها» (2صم 23:6)، ويُعتقد أن ذلك العقم كان بسبب تعييرها لداود.

وضع العقم في المسيحية:

لم يعد لأولاد المسيح عارٌ بين الناس لا بسبب عقم أو مرض أو تشوُّه أو فقر أو تدنّي المركز المالي أو الوظيفي، فالذي اغتنى بالمسيح لن يُحسب بين أولاد المسيح فقيراً، وبعد أن أصبح لنا ميلادٌ جديدٌ بالماء والروح تقهقر ميلاد الرحم. فالذي قبلَ الآب أباً له لا يعود يطلب أباً من بين الناس: «لا تدْعُوا لكم أباً على الأرض لأن أباكم واحد الذي في السموات» (مت 8:23). والذي ليس له أم أصبحت كل الأمهات أمًّا له: «ها أمي وإخوتي لأن مَنْ يصنع مشيئة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي.» (مت 50:12)

هذا العمق المسيحي الضارب جذوره في السماء أدركه القديسون منذ البدء فتركوا الأب والأم والأخ والأخت والولد من أجل المسيح والإنجيل، فاحتضنهم المسيح والآب ليكون لهم في المسيح والآب ملء اكتمال الأسرة والقربى والعزوة. المسيح أيقظ فينا هذا الوعي السماوي حينما قال: إن لم يترك الإنسان أباه وأمه وإخوته وأخواته حتى نفسه لا يكون لي تلميذاً. هكذا، فالذي تتلمذ على المسيح والإنجيل لا يعود يجد في الحسب والنسب والبنين والبنات مسرَّة لروحه، إذ أصبح له في النعمة ملء سرور. ولكن المسيحية لا تحض على ترك الأهل والقربى بين الناس، ولكنها تبحث عن الأفضل بين الأرض والسماء وتهْدي الإنسان إلى مصدر حبه الحقيقي وأمنه وسلامه وفرحه الكامل الذي لا يُنزع منه.

(ب) البشارة بميلاد المسيح
(38-26:1)
"وتجسَّد من الروح القدس ومن مريم العذراء"

هذا هو قانون الإيمان الرسولي المسلَّم من الرسل.
وقد خصَّص له القديس لوقا الإنجيلي أصحاحين في بدء إنجيله واستوفاه تاريخياً من جانب العذراء مريم، فوضع أساس الإيمان المسيحي بولادة يسوع المسيح ابن الله الذي نصَّ عليه قانون الإيمان الرسولي.
كما أفرد له القديس متى الرسول أصحاحين في بدء إنجيله أيضاً، واستوفاه تقليدياً من جانب القديس يوسف خطيبها بحسب استلام الكنيسة.
أما القديس يوحنا الرسول، فانطلق بالروح بحسب الوحي الإلهي ليرى المسيح قبل ميلاده بالجسد قائماً في الأزلية مع الله باعتباره أنه هو **"الكلمة"** أي **النطق الإلهي الفعَّال لله**، حيث "الكلمة" في المفهوم اللغوي lògoj لا تعني النطق فقط، بل والفعل أيضاً، لأن "الفعل" كلمة. وقد جاء في الترجمة الفرنسية للإنجيل في الأصحاح الأول لإنجيل القديس يوحنا: «في البدء كان الفعل» Le Verbe ثم دخل في مفهوم **"الميلاد للكلمة"** لاهوتياً فاعتبره ق. يوحنا تجسُّداً بقوله: «والكلمة صار جسداً» (يو 1 : 14)، بمعنى صار إنساناً وبالتالي "حلَّ بيننا"، ولكن اعتُبِر حلوله حلولاً فائقاً عن مستوى البشر فوصفه: **«ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً.»** (يو 1 : 14)
أما القديس بولس الرسول، فقد كانت أول معرفته بيسوع المسيح أن رآه في السماء بوجه يشرق بلمعان أقوى من الشمس وقت الظهيرة، فكان تعبيره عن ميلاد المسيح في هيئة إنسان بقوله: «الله ظهر في الجسد» (1تي 16:3).
وعاد ليكمِّل مفهوم الميلاد كإنسان وقال: **«مولوداً من امرأة»** (غل 4:4). ولما كان القديس بولس غير مشغول بقصة ميلاد المسيح من عذراء، إذ كان شغله وهمُّه الأوحد أن: **كيف صار الله** إنساناً، لذلك اكتفى **بتحديد ميلاده بدون رجل:**

«مولوداً من امرأة». وهذا فيه كل مفهوم العذراوية للمرأة التي وُلِدَ منها.

أما القديس مرقس الرسول والإنجيلي، فافتتح إنجيله بتعريف المسيح تعريفاً يحمل مفهوم الميلاد والموت والقيامة معاً مع قصة كرازته وعمله وحياته كلها في معنى البشارة المفرحة. فأوجز استعلانه في بدء إنجيله بقوله: **«بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله»** (مر 1:1)، باعتبار أن "يسوع" هو اسمه بالميلاد، و"المسيح" لقبه بالصليب، و"ابن الله" بمفهوم لاهوته الأزلي فهو كيانٌ واحدٌ لا يتجزَّأ؛ لأن انشغال القديس مرقس بالرب يسوع لم يكن بتعريفه تاريخياً، ولا وصفه شخصياً، ولا سرد أعماله، بل استعلانه إيمانياً. فالقديس مرقس يقدِّم يسوع المسيح للكنيسة، للإيمان به كمسيَّا ابن الله. ومعنى أن الله أبوه، أنه ليس من أب جسدي، وفي هذا استعلان لميلاده العذري.

أما إنجيل القديس لوقا فيمتاز بأنه بدأ رواية ميلاد المسيح من العذراء في تاريخ مبكِّر أكثر من كل المواضع الأخرى المقابلة في بقية الأناجيل، لذلك اخترناه أولاً. ومن الأمور المعترف بها ثبوت أصالة إنجيل القديس لوقا التاريخية والتقليدية. ولا يغيب عن القارئ أن القديس لوقا كان زميلاً للقديس بولس في أسفاره. وهنا تنفتح علينا الأصالة اللاهوتية والعمق الإنجيلي والاستقامة الأرثوذكسية. كما لا يفوت على القارئ الاتصال المباشر الذي عاشه القديس لوقا مع **يعقوب الرسول** أخي الرب **في أورشليم** لمدة سنتين أثناء سجن القديس بولس في قيصرية: «ولما وصلنا إلى أورشليم (القديس لوقا كاتب سفر الأعمال يتكلَّم) قبلنا الإخوة بفرح. وفي الغد دخل بولس معنا (لوقا وسيلا) إلى يعقوب، وحضر جميع المشايخ...» (أع 17:21و18)، وهي المدة التي فتَّش فيها القديس لوقا وبحث وحصل على أصول «الأمور المتيقنة عندنا **كما سلَّمها إلينا** الذين كانوا **منذ البدء معاينين وخدَّاماً للكلمة**»(لو 2:1). ولكن تأكيد القديس لوقا على المصادر التي استقى منها دقائق قصة الميلاد أنها كما سلَّمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخدَّاماً للكلمة، فهنا لا يمكن أن يفوت علينا قصده الذي يشدِّد عليه بإلحاح. فمَنْ هم الذين كانوا "منذ البدء" "معاينين وخدَّاماً للكلمة"؟ إلا العذراء نفسها أو أخرى لها سرُّ العذراء؟ ولكن تشديده على القول: "معاينين" يكون قد حصر المصدر الوحيد وهو العذراء في ضميره ولم يقوَ على البوح به، لأن هذا ما اعتزمت عليه العذراء منذ البدء: «وأما مريم فكانت **تحفظ** جميع هذا الكلام متفكرة به في **قلبها**» (لو 19:2). ومرة أخرى يسجِّل القديس لوقا نفسه هذا الكلام عن العذراء: «وكانت أُمه **تحفظ** جميع هذه الأمور **في قلبها.**»(لو 51:2).

والسؤال: مَنْ الذي كشف له سرَّ العذراء هذا؟ فمَنْ يقرأ قصة ميلاد المسيح وأمور صُبوَّته يدرك

بغير مجال للشك أن القديس لوقا قد حصل على دقائق ميلاد وحياة صُبُوَّة المسيح من نفس مصدرها!! وهو يوجِّه فكر القارئ وقلبه إلى منتهى تدقيقه في الحصول على صحة هذه الرواية بقوله في البداية لثاوفيلس المُرسَل إليه الإنجيل: «لتعرف **"صحة الكلام"** الذي عُلِّمتَ به» (لو 4:1). والقديس لوقا جعل كلمة **"صحة"**، وهي الأساس في الجملة تأتي في نهاية الجملة اليونانية ـ على غير عادة ـ بشيء من لفت النظر والتأكيد: ¢sf£leian = reality.

ولنا شهادة دامغة من العلماء اللغويين الذين فحصوا رواية القديس لوقا عن الميلاد وصبوة المسيح، إذ قرَّروا أن اللغة اليونانية التي كتب بها القديس لوقا قصة الميلاد بدقائقها تفصح عن أصلها الأرامي وصيغتها الفلسطينية:

[إن حقيقة ما جاء في إنجيل القديس لوقا (5:1ـ52:2) هو بصورة أكيدة يهودي فلسطيني الرواية.](109)

وهذه الحقيقة تظهر حتى في أي ترجمة، إذ تتضح بلغة العهد القديم وأسلوب الأنبياء فكراً وروحاً ولغة، مع الاصطلاحات العبرية المشهورة. إذن، فليس القديس لوقا هو مؤلف رواية الميلاد، لأنه أممي يوناني.

نص البشارة:

(أ) **الجزء الأول** (لو 26:1ـ33).
(ب) **الجزء الثاني** (لو 34:1و35).
(ج) **الجزء الثالث** (لو 36:1ـ38).

(أ) الجزء الأول: (لو 26:1ـ33):

26:1ـ33 «**وَفِي الشَّهْرِ السَّادِسِ** (لبشارة زكريا بميلاد يوحنا المعمدان بواسطة الملاك) **أُرْسِلَ جِبْرَائِيلُ الْمَلاَكُ** ـ (وتفسير اسمه: "رجل الله" أو "قوة الله") ـ **مِنَ اللهِ إِلَى مَدِينَةٍ مِنَ الْجَلِيلِ اسْمُهَا نَاصِرَةُ، إِلَى عَذْرَاءَ مَخْطُوبَةٍ لِرَجُلٍ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ اسْمُهُ يُوسُفُ. وَاسْمُ الْعَذْرَاءِ مَرْيَمُ. فَدَخَلَ إِلَيْهَا الْمَلاَكُ وَقَالَ: سَلاَمٌ لَكِ أَيَّتُهَا الْمُمْتَلِئَةُ نِعْمَةً** ـ (وذلك بحسب الترجمة اللاتينية في الفولجاتا، حيث جاءت: "Ave gratia plena"، وكذلك في الترجمة القبطية: xere qheqme\ `n\mot، أما الترجمة العربية العادية فتأتي: "**المُنْعَمُ**

(109) J. Gresham Machen, *"The Virgin Birth of Christ"* London, 1932².

عَلَيْهَا" وذلك عن الأصل اليوناني: ca‹ re kecaritwmšnh) ـ **الرَّبُّ مَعَكِ. مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ** (وصحتها: أكثر من جميع النساء). **فَلَمَّا رَأَتْهُ اضْطَرَبَتْ مِنْ كَلاَمِهِ، وَفَكَّرَتْ مَا عَسَى أَنْ تَكُونَ هذِهِ التَّحِيَّةُ! فَقَالَ لَهَا الْمَلاَكُ: لاَ تَخَافِي يَا مَرْيَمُ، لأَنَّكِ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللهِ. وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْناً وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ. هذَا يَكُونُ عَظِيماً، وَابْنَ الْعَلِيِّ يُدْعَى، وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ، وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ».**

هذه هي بداية قصة ميلاد المسيح، حيث المبادرة تأتي من السماء فتحيط القصة برهبة وجلال وتدخل بالإنسان في دائرة تدبيرات الله الفائقة للعقل. فبمجرد أن بادر الملاكُ العذراءَ القديسة بقوله: "سلامٌ لكِ أيتها الممتلئة نعمة... لا تخافي لأنكِ قد وجدتِ نعمة عند الله"، أدركنا في الحال أنه قد انفتح تاريخ معاملات الله الفائقة بعد أن تعطّل كل الدهور السالفة. ففي هذه اللحظة الفريدة في نهاية أزمنة شقاء الإنسان، تزاحمت كل مواعيد الله الصادقة والأمينة، إنْ لإبراهيم أو إسحق أو يعقوب أو موسى أو داود وجميع الأنبياء، إذ وجدت لها منفذاً تنحدر منه على رأس هذه الصبية التي خطبها الله لنفسه، ليصنع بها كل مسرات قلبه التي احتجزها للإنسان في قلبه منذ الأزل.

فإن كانت العذراء قد جزعت إلى لحظة عندما انفتح وعيها لترى جبرائيل الملاك أمامها، إلاَّ أنها ارتاحت حالاً إذ أحسَّت بحضرة الله التي غشيتها لما أحاطتها النعمة وملأتها، فتهيَّأت بالفعل والقوة لتقبل منه **تدبيرات الأزل.** أليس هنا وفي أحشائها سيحلُّ الذي «**اختارنا فيه (الله) قبل تأسيس العالم**، لنكون قديسين وبلا لوم» (أف 1:3) ونقف أمامه محبوبين؟ إذن، ليس باطلاً أن يظهر جمهور الجند السمائي برفقة الملاك الذي بشَّر الرعاة ليسبِّحوا بالفرح العظيم لحظة ميلاد الابن الموعود، ويعطوا المجد لله في الأعالي ـ التي منها انحدر الابن المحبوب ـ وعلى الأرض السلام لما وطأت قدماه أرضنا.

وكما سبق الله وأعطى لإبراهيم اسم ولده إسحق قبل أن يُحبل به في البطن، إذ كان منه سيأتي النسل الموعود لبركة الأمم، هكذا أعطى الملاك سر الاسم الموعود للعذراء: "يسوع" الذي يحمل معناه خلاص العالم. ولكن لم يكن هذا الأمر مخفياً عن أذن إشعياء النبي الذي أذاعه على الملأ قبل أن يُسمَّى بسبعمائة سنة: «اسمعي لي أيتها الجزائر واصغوا أيها الأمم من بعيد. **الرب من البطن دعاني، من أحشاء أُمي ذَكَرَ اسمي.**» (إش 1:49)
ولم تكن هذه البشارة مجرد إطلالة من السماء على بُعد، بل انفتاحاً سماوياً عريضاً وعميقاً على

الإنسان. صحيح هي عذراء الله التي اختارها وقدَّسها لنفسه، وقد سبق وأشار إليها بالنبوة على فم إشعياء: « يعطيكم السيد نفسه آية. ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل (الذي تفسيره الله معنا)» (إش 14:7)، ولكنها ـ بآنٍ واحد ـ عذراؤنا. أفخر مَنْ خرج من صلب آدم وبطن حواء، عيِّنة أفرزتها البشرية بتدخُّل إلهي لتصمد أمام هذا الحدث السماوي الرهيب، لتحمل في أحشائها ابناً جديداً للإنسان موطنه السماء من جنس الله، هو ابنه، وقد حدَّده الملاك تحديداً أنه «**ابن العليِّ يُدعى».** ولأن العظمة الحقيقية هي لله وحده، فقد قرر الملاك أنه يكون **"عظيماً".**

إذن، فالبشرية قد حَصُلَ في عمقها انفتاحٌ على الله. فلولا أن البشرية أفرزت عذراءَ مثل هذه، ما تنازل الله ليجد في أرضنا كياناً يرتاح فيه. فها هي البشرية تحمل ابن الله لما حملت به العذراء. فإن لزم لزوماً شديداً أن تتقدس العذراء ليحل فيها مولود السماء، إلاَّ أنه لما ولدته تقدَّست به البشرية كلها. فإن كانت العذراء استضافته تسعة أشهر، فقد استوطنت فيه البشرية أبد الدهر. فهو ابننا بحسب النبوة: «لأنه يولد لنا ولد، ونُعطى ابناً، وتكون الرياسة على كتفه...» (إش 6:9). وما عادت السماء وما عاد أبوه يستردُّه منَّا إلا ونحن فيه. فكما انفتح بالسر الإلهي بطن العذراء وحلَّ فيها، فقد انشق جسده بسر الموت على الصليب وحللنا فيه. وكما أخذ جسدنا مولوداً، أخذنا جسده قائماً من بين الأموات. وكما **"ظهر الله في الجسد"، ظهر الإنسان وتراءى أمام الله** في ذات الجسد. هذا حَدَثٌ مهيب، سماوي هو، تترامى أصداؤه إلى السماء وسماء السموات ويردِّده الأبد. فهو يملك علينا ولا يكون لملكه نهاية، ونحن نملك معه ونرث فيه إلى كل ميراث الله! ولولا أن أسماعنا أصابها التلف لسمعنا أكثر من هذا، ولسوف نسمع!

(ب) الجزء الثاني من البشارة: (لو 1:34و35):

34:1و35 **«فَقَالَتْ مَرْيَمُ لِلْمَلاَكِ: كَيْفَ يَكُونُ هذَا وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ رَجُلاً؟ فَأَجَابَ الْمَلاَكُ وَقَالَ لَها: اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ، فَلِذلِكَ أَيْضاً الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ».**

القديسة مريم هنا تنتبه انتباهة روحية لقول الملاك: "ستحبلين وتلدين" وكأن الأمر واقع، وهو بحسب الله حتماً واقع. فالله إن قال يكون، وإرادة الإنسان حتماً منصاعة لا قهراً بل عن طاعة. وهنا تضطر القديسة مريم أن تعلن عن عفَّتها التي كرَّستها لله كما بقسم، فإن كانوا قد

خطبوها ليوسف، فقد سبقت وخطبت نفسها لله. فكما أعدَّها الله لنفسه، أعدَّت هي نفسها له!! فمن أين تأتيها ثمرة البطن، وبطنها قد تقدَّست لله! والجسد إن تقدَّس اشتعل ناراً، فلا يُرى إلاَّ هيكلاً لله!! فإن تساءَلتْ: كيف يكون لي هذا؟ فليس تشكيكاً فيما يقول الملاك أو عدم تصديق، ولكنه لطلب المزيد من المعرفة ليكون جوابها عن رضى وقناعة. وهكذا لاق بالبطن العُذْريِّ أن يحل فيه روح الله بارتياح.

وهكذا استدرجت مريم القديسة الملاكَ ليكمّل بشارته. فلما قال لها: «**الروح القدس يحلّ عليكِ**»، احتوى روح القداسة الرَّحِمَ وصاحبته، فكان بمثابة البذرة الإلهية التي سكنت كيانها الأنثوي. وأما قوة العليِّ التي ظللتها، فكانت بمثابة الحضن الأبوي للابن الوحيد الذي نزل منه. وهكذا حتماً، وبالضرورة، أخذ الجنين منذ ساعته الأولى اسمه الأزلي: «لذلك **فالقدوس** المولود منكِ **يُدعى ابن الله**» وهذا ليس مجرد اسم أو لقب، بل كيان إلهي من كيان إلهي: «أنا والآب واحد» (يو 30:10). فإن كان قد خرج من الحضن الإلهي، فقد خرج والحضن لا يزال يحتويه؛ ولكن عودته هي الأمر المذهل لنا حقاً، لأنه يعود مرتفعاً ونحن فيه ليجلسنا عن يمين أبيه.

يحكي المسيح في إنجيل القديس يوحنا عن حقيقة تجسُّده الذي أتمه بجسده الذي أخذه من العذراء، فيقول: «أنا فيكم» (يو 20:14)، وفي المقابل: «اثبتوا فيَّ» (يو 4:15)؛ وأيضاً: «أنا فيهم» (يو 26:17)، وفي المقابل: «ليكونوا هم أيضاً فينا» (يو 21:17). فكان هو صاحب المبادرة في الاتحاد بالإنسان. ولكن بمجرد أن اتَّحد بجسدنا حصلنا على المقابل الحتمي، أنْ صرنا فيه متحدين، والذي أكمله هو بالاتضاع نكمّله نحن بالإيمان. فالذي صنعه هو بجبروت تنازله الإلهي ليتحد ببشريتنا، طرحه ليكون حقاً لكل بشر، كل مَنْ يؤمن؛ إذ أنه لا يستطيع أن يمنع بشراً يطلب ما له فيه: «مَنْ يُقْبِلْ إليَّ لا أُخرجه خارجاً» (يو 37:6). لقد آمنت العذراء بهذا، فكان لها حالاً: «فقالت مريم: هوذا أنا أَمَةُ الرب. ليكن لي كقولك» (لو 38:1)، فكان!

عظيمة هذه العذراء بنت إبراهيم التي جسَّدت إيمان إبراهيم، كإبراهيم الذي «آمن بالرب فحسبه له برًّا» (تك 6:15). والعجيب أن الموعد الذي وُعِدَ به إبراهيم هو هو نفس الذي وُعدت به العذراء فآمنت، فحلَّ في أحشائها ذاك الذي به تتبارك كل أمم الأرض وتتبرَّر.

وهكذا ونحن أمام رواية القديس لوقا، وبلغة العهد القديم في حوار الملاك مع العذراء، نشعر وكأننا نكمّل قصة إبراهيم مع الله ـ نحن الأمم ـ ونحن على بُعْد أربعة آلاف سنة (هذا نراه نحن الآن): «فقال الرب لي: أحسنت الرؤيا، لأني ساهر على كلمتي لأجريها» (إر 12:1). نعم «يا

ربٌّ عملك في وسط السنين أحْيِهِ.» (حب 1:3)

+ «اكتب الرؤيا وانقشها على الألواح لكي يركض قارئها. لأن الرؤيا بعد إلى الميعاد، وفي النهاية تتكلم ولا تكذب، إن توانت فانتظرها، لأنها ستأتي إتياناً ولا تتأخر.» (حب 2:2و3)

وصحَّ القول: «أن يوماً واحداً عند الرب كألف سنةٍ!!» (2بط 9:3)

(ج) الجزء الثالث من البشارة: (لو 1:36ـ38):

1:36ـ38 **«وَهُوَذَا أَلِيصَابَاتُ نَسِيبَتُكِ هِيَ أَيْضاً حُبْلَى بِابْنٍ فِي شَيْخُوخَتِهَا، وَهذَا هُوَ الشَّهْرُ السَّادِسُ لِتِلْكَ الْمَدْعُوَّةِ عَاقِراً، لأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ غَيْرَ مُمْكِنٍ لَدَى اللهِ. فَقَالَتْ مَرْيَمُ: هُوذَا أَنَا أَمَةُ الرَّبِّ. لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ. فَمَضَى مِنْ عِنْدِهَا الْمَلاَكُ».**

كانت مريم في هذه الساعة في أشد الحاجة إلى سند يسند إيمانها بالذي سمعته والذي قالته. وهكذا استدرك الملاك، وأعطى السند وأعطى المشورة، وكأنه يدعوها لاستزادة إيمانها من التي سبقتها في هذه الدعوة العظيمة القدر والفائقة على العقل. وكأنه كان يسمع صوت العذراء في قلبها، أهذا ممكن؟ فبادرها للتو: **«ليس شيء غير ممكن لدى الله»**، فانتهت مريم من نفسها وقبلت الدعوة برمتها بلا فحص ولا سؤال، كطفل ارتضى أن ينام في حضن أبيه بعد جهد عنيف! وكان بهذا الإذعان لمشيئة الله أن دخل الوعد الإلهي حيز التنفيذ. أما هذا الذي قبلته العذراء فهو ليس بالأمر الهين، بل وليس في اللغة ما يصف هوله ولا روعته، ولا يقوى بشر أن يحدد أبعاده ونهاياته:

1 ـ **فبالنسبة لها:** فقد نالت إنعام الله وأعظم كرامة نالها بشر، وكفى أن صارت أُمًّا لابن الله.

2 ـ **وبالنسبة للبشرية:** فقد كُتب لها عهد جديد مع الله، هو على مستوى الخَلْق الجديد بعينه. فالذي ملأ الحشا البتولي هو آدم الجديد الذي من جسده ودمه أخذنا خلقتنا الجديدة كأبناء لله، وورثنا فيه موطننا السماوي.

3ـ **وبالنسبة للذي وُلد منها:** فهو بحسب ما نطق الملاك: «القدوس المولود منكِ يُدعى ابن الله» وهو يكون عظيماً وابن العليِّ يُدعى في العالم وبين الناس، كما هو في الله الابن الوحيد المحبوب. من الروح القدس ومن العذراء القديسة وُلد، قدوس بلا عيب ولا خطية، فتأهَّل أن يحمل خطايا العالم كله ويمزّقها على الصليب ليفدي المسكونة ويخلّص بني الشقاء، ويقوم ليخلق في جسده بشرية جديدة لله.

(ج) زيارة العذراء لنسيبتها أليصابات
(1: 39-56)

كان لفت نظر الملاك للعذراء أن نسيبتها هي أيضاً حُبلى في شهرها السادس لتلك المدعوة عاقراً، إيحاءً واضحاً صريحاً ينبغي أن تتحقق منه بنفسها لذلك:

1: 39-45 «**فَقَامَتْ مَرْيَمُ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ وَذَهَبَتْ "بِسُرْعَةٍ" إِلَى الْجِبَالِ إِلَى مَدِينَةِ يَهُوذَا، وَدَخَلَتْ بَيْتَ زَكَرِيَّا وَسَلَّمَتْ عَلَى أَلِيصَابَاتَ. فَلَمَّا سَمِعَتْ أَلِيصَابَاتُ "سَلاَمَ مَرْيَمَ" ارْتَكَضَ الْجَنِينُ فِي بَطْنِهَا، وَامْتَلأَتْ أَلِيصَابَاتُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَصَرَخَتْ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَقَالَتْ: مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ وَمُبَارَكَةٌ هِيَ ثَمَرَةُ بَطْنِكِ! فَمِنْ أَيْنَ لِي هذَا أَنْ تَأْتِيَ أُمُّ رَبِّي إِلَيَّ؟ فَهُوَذَا حِينَ صَارَ "صَوْتُ سَلاَمِكِ" فِي أُذُنَيَّ ارْتَكَضَ الْجَنِينُ بِابْتِهَاجٍ فِي بَطْنِي. فَطُوبَى لِلَّتِي آمَنَتْ أَنْ يَتِمَّ مَا قِيلَ لَهَا مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ**».

لقد أصاب الملاك الحقيقة حينما أوحى للعذراء بزيارة أليصابات، فقد كانت العذراء في حاجة شديدة وملحَّة للغاية أن تبوح بسرِّها لامرأة مثلها حازت نعمة القدير، تحكي لها عن خبرتها الجديدة التي لم تختبرها عذراء قط. وهذا واضح في سلوك العذراء: «فقامت مريم في تلك الأيام **وذهبت بسرعة** إلى الجبال إلى مدينة يهوذا» لم تعدم العذراء الهادئة المحبوبة رفقة للسفر من أقرباء وأصدقاء، لأن الرحلة خطيرة وشاقة لعذراء وحدها، فهي لأربعة أيام على أقل تقدير. كان الفرح والبِشْر يملآن قلبها وروحها وهي تطفر على جبال يهوذا التي ملأها داود أبوها بصولاته وجولاته وأصوات مزماره.

كان يلفُّ العذراء رزانة القداسة. فالروح يغمر أحشاءها وقوة العليِّ تظللها. لم تكن تدري العذراء بهذا كله، ولكن هذا كله انكشف لحظة دخولها بيت زكريا الكاهن، فمجد الله لا يُخفى والروح القدس لا يُحجب. **فعندما رنَّ سلامها في أذن أليصابات،** فجأة انتفض الجنين في بطن أليصابات، وفي الحال انكشف الحجاب عن وعيها وأحسَّت بالروح القدس يملأ كيانها هي، وأدركت أن الجنين في بطنها إنما يؤدي تحية الفرحة للقائم أمامه في أحشاء العذراء. وهنا صرخت أليصابات ونطقت بالنبوَّة: «مباركةٌ أنتِ في النساء (أكثر من كل النساء) ومباركةٌ هي ثمرة بطنكِ» وانفتح وعي أليصابات لترى الرب في أحشاء العذراء، وفي الحال شعرت بعلو قامة العذراء

فدعتها «**أم ربي**»، وحسبت زيارتها لها شرفاً لها وفرحة ملأت كيانها، وبانسحاق اعترفت بعلو كرامة مريم: «من أين لي هذا أن تأتي "أم ربي" إليَّ" m»thr toà Kur…ou mou ¹» التي هي بعينها "الثيئوتوكوس" QeotÒkoj، أي والدة الإله! التي أقرها مجمع أفسس رسمياً في الكنيسة سنة 431م.

وهكذا برؤيا نبوية خاطفة، أدركت أليصابات كل ما قيل للعذراء من قِبَل الله، فطوَّبتها: «فطوبى للتي آمنت أن يتم ما قيل لها من قِبَل الرب» وإننا نتعجَّب إن كانت أليصابات وهي ممتلئة بالروح القدس، ونطقت بالنبوة نطقاً واعياً صاحياً بأن العذراء هي «**أمَّ ربي**» أي والدة الإله ـ الثيئوتوكوس ـ وطوَّبتها فوق جميع النساء، فكيف لا تطوّبها الكنيسة كلها؟ وكيف تدعوها بغير لقبها كـ "أم ربي" أي والدة الإله؟ طوباكِ أيتها الكنيسة القبطية الأرثوذكسية التي لم تكف قط عن التسبيح للعذراء الثيئوتوكوس الليل والنهار وكل الأيام منذ التجسُّد وإلى نهاية الدهور.

وما أن نطقت أليصابات بالروح تطويبها: «من أين لي هذا أن تأتي أم ربي إليَّ» حتى انفعلت القديسة العذراء مريم وفتحت فاها تسبِّح الله بإلهام النبوَّة:

1:46-55 «**فَقَالَتْ مَرْيَمُ: تُعَظِّمُ نَفْسِي الرَّبَّ، وَتَبْتَهِجُ رُوحِي بِاللهِ مُخَلِّصِي، لأَنَّهُ نَظَرَ إِلَى اتِّضَاعِ أَمَتِهِ. فَهُوَذَا مُنْذُ الآنَ جَمِيعُ الأَجْيَالِ تُطَوِّبُنِي، لأَنَّ الْقَدِيرَ صَنَعَ بِي عَظَائِمَ، وَاسْمُهُ قُدُّوسٌ، وَرَحْمَتُهُ إِلَى جِيلِ الأَجْيَالِ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَهُ. صَنَعَ قُوَّةً بِذِرَاعِهِ. شَتَّتَ الْمُسْتَكْبِرِينَ بِفِكْرِ قُلُوبِهِمْ. أَنْزَلَ الأَعِزَّاءَ عَنِ الْكَرَاسِيِّ وَرَفَعَ الْمُتَّضِعِينَ. أَشْبَعَ الْجِيَاعَ خَيْرَاتٍ وَصَرَفَ الأَغْنِيَاءَ فَارِغِينَ. عَضَدَ إِسْرَائِيلَ فَتَاهُ لِيَذْكُرَ رَحْمَةً، كَمَا كَلَّمَ آبَاءَنَا. لإِبْرَاهِيمَ وَنَسْلِهِ إِلَى الأَبَدِ**».

عندما التهب قلب العذراء بالروح، أنشدت نشيدها كـ "**نبيَّة**". نعم، آخر نبية في العهد القديم وأول أنبياء العهد الجديد قاطبة. فما من نبية أو نبي في العهد القديم نال من التقديس والنعمة وحلول الروح القدس الدائم وقوة العليِّ مثل ما نالت العذراء، بل وكل طغمة الأنبياء بجملتها لم تحتو ولو بفكرها ما احتوته العذراء في أحشائها متجسداً!!

وهنا لأول مرة نسمع نشيد الفرح من إيقاع الروح على قيثارة النعمة، بفم عذراء المسيح. فليس من فراغ ولا هو اجتهاد أن تعظِّم الربَّ نفسُ العذراء، فهو تحصيل حاصل. فالعظيم والفريد في عظمته يحتل هيكلها ويضبط فكرها ويحرِّك لسانها، وهي تعظِّمه ليس بالكيل البشري أو بقدرة الإنسان، بل لأن القدير صنع بها عظائم. فمن عظمة ما صنع فيها تعظِّمه في ذاته، وهي لا تضيف

عليه ولا له من عندها شيئاً، بل من عظمة نعمته أخذت ولعظمة نفسه تردّ. فمَنْ ذا الذي يمنعها من أن تعظّم؟ ومَنْ ذا الذي يستكثر عليها التسبيح بالروح، والذي تسبِّحه السموات كائن في أحشائها؟
أما ابتهاجها بالروح فليس هو كلاماً ولا هو ترتيلاً، بل هو جمرة نار الله المتقدة في قلبها، اشتعلت نفسها بها ابتهاجاً كمركبة خلاص امتطتها لتصير فوق كل ما في الجسد والدنيا وتربُّص الأعداء! وهوذا زكريا النبي يراها من على بُعْد ويعزز ابتهاجها مرات ومرات: «**ابتهجي جداً يا ابنة صهيون، اهتفي يا بنت أورشليم. هوذا ملكك يأتي إليكِ...**» (زك 9:9). ولم ترتخ عين العذراء الناظرة إلى العليّ عن اتضاع نفسها وبيتها وعشيرتها، ورمت ببصرها في رؤية نبوية ممتدَّة، فرأتنا والأجيال الآتية بعدنا نطوّب بطنها التي حملت رب المجد، والثديين اللتين أرضعتاه طفلاً في المهد، ونفسها وروحها والجسد، هذا الذي منه تنازل مسروراً وتجسَّد. وقالت وهي لا ترى كيف: إنَّه بقوة ذراعيه صنع القوات، وبنفخة شفتيه شتت المستكبرين، وبموته أنزل الأعزاء عن الكراسي، وبقيامته رفع المتضعين! من جسده المكسور أشبع جياع الروح بخيرات السماء، والأغنياء بذواتهم والدنيا صرفهم فارغين! رفع رأس إسرائيل حبيبه وحقّق وعد إبراهيم خليله!
فما من منشد من كل المنشدين بلغ قامتها، لا من قبل ولا من بعد!

56:1 «**فَمَكَثَتْ مَرْيَمُ عِنْدَهَا نَحْوَ ثَلاَثَةِ أَشْهُرٍ، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا**».

(د) ميلاد يوحنا المعمدان
(80-57:1)

بدء تحقيق وعد الله منذ الدهور

بميلاد المعمدان يدخل وعد الله الثابت الدهري إلى حيِّز التنفيذ، والرواية كما يسردها ق. لوقا شديدة الواقعية وكأنه يدعونا لحضور حفلة تحقيق وعد الله، ويصوِّر لنا الفرح الذي عمَّ القلوب، قلوب كل منتظري بدء مجيء المسيَّا وظهور شخص إيليا في صورة الطفل يوحنا، المولود بالإعجاز وبتدخُّل الإرادة الإلهية، لتطويع المستحيلات لحساب تكميل وعد الله. ومنذ تحديد اسم الطفل، بل اسم النبي الصابغ السابق، تُستعلن الإرادة العلوية ليكون الاسم هو تعبير عن واقع عمل الله في هذا

النبي، وبالتالي بداية عهد الرحمة والنعمة.
وبميلاده فعلاً ينطق الأخرس، والأصم الواقع تحت حصر الروح، ليعلن بالصوت العالي أنه نبي الله العلي. هكذا تعيَّن منذ الإعلان الأول عن الحبل به من عاقر عجوز، وتُعلن مسيرة يوحنا هذا متقدّماً أمام مسيَّا الله، ليعدَّ له الطريق، وينادي له ولحسابه بالخلاص والفداء حينما يراه حمل الله الذي يرفع خطية العالم. وكأنما وُلد المعمدان ليفتتح لاهوت الفداء بإشارته الفريدة لذبيحة المسيح التي ستمحو كلمة الخطية وعقوبتها من كتاب حياة الناس.
والذي يتمعَّن حركات الروح مع زكريا الكاهن وأليصابات يتأكّد أن قصة المعمدان قائمة بذاتها محفورة على لوح العهد، لتتم حسب التدبير الموضوع لها، ثم بعد ذلك تتحرَّك لتدخل في موكب المسيَّا كمصباح يضيء في عتمة آخر الليل معلناً بزوغ الشمس، وبعدها ينسحب ليترك الشمس لنهار المسيَّا والسائرين في نوره.
ويُلاحظ القارئ النبيه أن في كل قصة المعمدان من أولها حتى آخرها لم يحتل المعمدان من شخصية المسيَّا ولا مقدار إصبع. فجاء مستقلاً تماماً عن المسيَّا ليستطيع أن يعلن عنه دون التباس. لذلك في أمور فحص الروايات لدى العلماء المتمهرين يتأكّد لدينا ولدى كل المؤرّخين العظام أن ق. لوقا لم يستمد مفردات رواية المعمدان من مصدر مسيحي قط، فخلوها نهائياً من الإشارات الخاصة بالمسيَّا تؤكّد أن الذي قالها والذي نقلها كان ما يزال بعيداً عن معرفته بالمسيح وحياته. وهذا التحقيق بحد ذاته يعطي للقديس لوقا الأصالة والصحة في سرده لقصة المعمدان. كما تبرّئه تماماً من أن يكون هو الذي خطَّط خطوطها. فلو دقَّق القارئ يجد انفصال الروايتين اللتين للبشارة والميلاد للمعمدان ومثيلتها للمسيح مما يؤكّد استقلال مصدر كل منهما عن الآخر الذي استقى منه ق. لوقا.
والأمر الذي زيَّف على العلماء وحدة التطابق بين تسبحة زكريا وتسبحة مريم حتى قالوا بأن مؤلفهما واحد للتشابه الشعري والفني والروحي معاً، ناتج من أنه فات على هؤلاء العلماء أن الروح الذي حلَّ على زكريا هو هو الروح الذي حلَّ على العذراء القديسة، فجاء النطق شديد التطابق بكل مميزاته الروحية والشعرية. وهل ينكر العلماء أن الرواية برمتها إن كانت في فصلها الأول لحساب المعمدان بشارةً وميلاداً، والثاني الذي جاء لحساب المسيَّا بشارة أيضاً وميلاداً هي من صنع الملائكة والروح الذي صاغ فصولها وختم على نهايتها؟ فإن كان هناك تطابق في الكلام أو الأفعال فليس هو من صنع ق. لوقا ولا المصادر التي أخذ عنها، بل هو من مصدرها السمائي الذي استحضر إيليا من وراء الزمن والمسيَّا من وراء الأزل وصنع منهما ضفيرة ذهبية متلألئة، فيها ما للإنسان وفيها

ما لله بتكيُّف شديد الإتقان، حتى لتعجز العين البشرية من أن تفرّق بين هذا وذاك.
وليس عسيراً على القارئ الواعي أن يجد نقطة التلاقي الفني والروحي معاً في قصة المعمدان وقصة المسيح، فهي متركّزة وواقعة في **لحن البركة** Benedictus الذي انطلق من روح زكريا، ولحن التعظمة Magnificat الذي انطلقت به العذراء من ملء الروح الذي سكن قلبها وأحشاءها، وفي هذا واضح أن التلاقي هو تلاقي الروح في قلبين تلقَّيا معاً رحمة من الله وعزةً واقتداراً.

1 : 57 «وَأَمَّا أَلِيصَابَاتُ فَتَمَّ زَمَانُهَا لِتَلِدَ، فَوَلَدَتِ ابْناً».

«فتمَّ زمانها لتلد»:

هو بعينه الاصطلاح الوارد في العهد القديم في (تك 25 : 24) في ميلاد يعقوب وعيسو: «**فلمَّا كملت أيامها لتلد** إذا في بطنها توأمان ...» واضح هنا أن ق. لوقا أديب له شاعرية العهد القديم من عشق وتأثُّر صاغ فكره وأسلوبه، ولكن الأمر الذي يجعل أسلوب ولادة يعقوب وعيسو يأتي هنا فجأة في ذهن ق. لوقا هو المناسبة الفريدة: فولادة رفقة لتوأميها إنما جاءت تتميماً لوعد الله: «فمضت لتسأل الرب، فقال لها الرب: في بطنكِ أُمَّتان ومن أحشائكِ يفترق شعبان، شعب يقوى على شعب وكبير يُستعبد لصغير.» (تك 25:23)

1 : 58 «وَسَمِعَ جِيرَانُهَا وَأَقْرِبَاؤُهَا أَنَّ الرَّبَّ عَظَّمَ رَحْمَتَهُ لَهَا، فَفَرِحُوا مَعَهَا».

«الرب عظَّم رحمته لها»: meg£lunen™

الرب رحيم هو، هذا طبعه، ولكن أحياناً يعظّم رحمته ليُظهر مكنونَ قلبه تجاه أحبائه الذين اختارهم ليكشف فيهم وبواسطتهم أعماق رحمته وحبه لبني الإنسان. لو كانت أليصابات فتاةً بنت العشرين وولدت ما كان هذا يُحسب عظيم رحمة، ولكن إن كانت عاقراً وقضت ثمانين سنة أو أكثر في عقمها ثم ولدت فهنا تتعظّم رحمة الله جداً، ليس لها وحدها، بل يقول الكتاب أن جيرانها وأقرباءها اشتركوا في فرحها. إذن، فقد فتح الله بابَ عظيم رحمته ليعطي فرحاً لهذه الأسرة ومحيط أقاربها، تمهيداً للفرح العظيم الذي يكون لكل الشعب بحسب رؤية الملاك ونطقه: «فقال لهم الملاك: هاأنذا **أبشِّركم بفرح عظيم** يكون **لجميع الشعب**. إنه وُلِدَ لكم اليوم في مدينة داود مخلِّصٌ هو المسيح الرب.» (لو 2: 10و11)
ولكن الذي يهمنا في هذا هو أن نلفت نظر القارئ أنه زمان الفرح الإلهي، وهو فرح عظيم، لأن مؤسّسه ومرسله هو الله، ليغيِّر الإنسان زمانه الحزين بزمن الله، ويستمد من المولود الذي حُسب مولودنا

«تُعطى ابناً» (إش 6:9) الفرح العظيم الذي سجَّله الله لحساب البشرية ولن يُنزع منها إلى الأبد!!
عزيزي القارئ، إن أي حزن يعتريك هو كاذب لأن الفرح العظيم يبتلع كل حزن، فلا يوجد لا اعتباطاً ولا عفوياً أو نظرياً، فالمسيح «أحزاننا حملها وأوجاعنا تحمَّلها ...» (إش 4:53)
هذا ليس وعظاً ولا إقناعاً بأمور غيبيَّة؛ بل هذا سر الحق وسر المسيح والله. إن آمنت وصدَّقت سوف تصفّق بيديك لأن الفرح سيغشى قلبك وعقلك وروحك ويدسّم جسدك. سوف تحس بالفرح كقوة إلهية جارفة تكسح أمامها كل همٍّ وكل ضيقٍ وكل حزنٍ، وبهذا يتمجَّد الرب وتفرح الملائكة. فإن كان الأقارب والجيران فرحوا بفرح أليصابات لأن الرب عظَّم رحمته لها، فما بالك بالذي عمله الله في العذراء، فالقدوس حلَّ في أحشائها وتعظَّمت فيها رحمة إلهنا حتى إلى أقصى الأرض وعنان السماء، وخرج من أحشائها ليزرع الحب والسلام والفرح، ليس حب الناس وسلامهم وفرحهم، بل حب الله وسلامه وفرحه زرعه في روحنا، في لحمنا ودمنا. فالذي امتلك في المسيح حب الله وسلامه وفرحه فمن يستطيع أن يقلقه أو ينزع فرحه «أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عُري أم خطر أم سيف؟» (رو 35:8)، ففي هذه كلها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا. فلقد صرنا جيران الله وأقرباءه بل وأهل بيته!!

1 : 59 **«وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ جَاءُوا لِيَخْتِنُوا الصَّبِيَّ، وَسَمَّوْهُ باسْمِ أَبِيهِ زَكَرِيَّا».**
وكانت العادة أن رأس العائلة هو الذي يختن أولاده، حيث يشترك الأهل والأقارب في الطقس. وكانت العادة أن يسمُّوا الولد على اسم جدّه ليحمل اسم العائلة. ولكنهم هنا أرادوا أن يسمُّوه باسم أبيه تيمُّناً بكهنوته ومركزه في الهيكل. ولكن إعطاء الاسم وقت الختان لم يكن عادة متأصّلة قديماً. ولا توجد إشارة أخرى قديمة عنها. إلاَّ أنها صارت معروفة منذ بدء القرن الثامن(110).

1 : 60 **«فَأَجَابَتْ أُمُّهُ وَقَالَتْ: لاَ بَلْ يُسَمَّى يُوحَنَّا».**
واضح أن أليصابات قد أخذت إعلاناً بمفردها، ومن الأمور المتيقنة عند الروحيين أنه إذا توافق اثنان بالروح وبالأخص إن كانا زوجين فإن الإعلان الذي يراه الزوج تراه الزوجة وفي نفس الوقت، ويكون هذا لتأكيد صوت الله كما يراه الله لمجد اسمه. ويبدو هنا أن هذا حدث أيضاً، فأليصابات علمت بالروح أنه يسمَّى يوحنا فرفضت اسم زكريا.

(110) I. H. Marshall, *The Gospel of Luke*, p. 88.

1 : 61 «**فَقَالُوا لَهَا: لَيْسَ أَحَدٌ فِي عَشِيرَتِكِ تَسَمَّى بِهذَا الاِسْمِ**».
هذا يفيد إفادة قاطعة أن اسم يوحنا لم يجيء ليناسب العائلة؛ بل هو اسم يناسب الله وبالتالي البشرية كلها. وفرق أن يولد إنسان للناس من أن يولد لله ولتمجيد اسم الله. هذا حتماً أدركه يوحنا نفسه فيما بعد وأدرك معناه والقصد منه.

1 : 62و63 «**ثُمَّ أَوْمَأُوا إِلَى أَبِيهِ، مَاذَا يُرِيدُ أَنْ يُسَمَّى. فَطَلَبَ لَوْحاً وَكَتَبَ قَائِلاً: اسْمُهُ يُوحَنَّا. فَتَعَجَّبَ الْجَمِيعُ**».

«**أومأوا**»: ™nšneuon

ومعناها: ”أعطوا إشارة لزكريا“ لأنهم لم يرتاحوا إلى أن أُمه تعطيه الاسم، فعادوا حسب التقليد إلى أبيه، خاصة وأنهم أدركوا ما يحيط هذا الصبي من أسرار. وهنا طلب زكريا لوحاً وغالباً ما يكون من الخشب المصقول الملوَّن، وكتب عليه «اسمه يوحنا». وهنا كان العجب بالنسبة للناس لأنهم أدركوا أن الاسم أُملِيَ على الوالد كما أُملِيَ على الوالدة، كما أنهم رأوا زكريا ينطق بعد صمته الطويل الذي دام حتى الآن تسعة شهور وثمانية أيام وفتح شفتيه وسبَّح الله.

1 : 64 «**وَفِي الْحَالِ انْفَتَحَ فَمُهُ وَلِسَانُهُ وَتَكَلَّمَ وَبَارَكَ اللهَ**».
هنا انفتاح فم زكريا هو المقابل للصمت الذي وقع عليه، فالأول كان بإرادة الله والثاني حتماً يكون بهذه الإرادة. فالأول لم يكن عقاباً بقدر ما كان تدخُّلاً إلهياً لحفظ السر في بيته: «سرِّي لأهل بيتي» والأول يوازيه تكرار طلب المسيح من تلاميذه والناس وحتى الأرواح الشريرة أن لا تكشف سر مسيَّانيته قبل أوانه. وهنا الاحتفاظ بسر ميلاد المعمدان يدخل حتماً في هذا السر. فلمَّا رُفع عنه الحظر انطلق يسبِّح الله بنفس القوة التي ضغطت عليه أن لا ينطق. وطبعاً قوله هنا: «بارك الله» يشير إلى التسبحة المشهورة لزكريا التي سنأتي على ذكرها حالاً. ومنها ندرك كيف اختير هذا الكاهن المبارك ليدخل بل ليفتح العهد الجديد بشهادته وتسبحته التي جاءت كموسيقى المارش لإعلان ظهور الملك.

1 : 65 «**فَوَقَعَ خَوْفٌ عَلَى كُلِّ جِيرَانِهِمْ. وَتُحُدِّثَ بِهذِهِ الأُمُورِ جَمِيعِهَا فِي كُلِّ جِبَالِ الْيَهُودِيَّةِ**».
قصد الله هذه الهزَّات التي أراد بها أن يوقظ الشعب النائم في ظلمة الموت. ولكن الذي يُذهلنا جداً أن يغيب الهيكل وخُدَّام الهيكل ورؤساء الهيكل عن هذه المعجزات ولا تُقلِق لهم نوماً أو سباتاً،

مع أن الهيكل كان أول مسرح لأعمال نعمة الله لبدء استعلان تحقيق عهود الله ومواعيده. فالخوف هنا يشمل اليهودية، أي كل ما يحيط بأورشليم والهيكل. وأن يُستثنى منه رجال السنهدرين هنا تحُسب ضربة تأديب، لأنه المكان الوحيد والأشخاص الوحيدون الذين وقفوا منذ الأجيال يرصدون حركات الروح والسماء ومجيء المسيَّا وحساب أيامه ومكانه عن دراية وتسليم! يَغُطُّون في نومهم وبوق النعمة يدوّي ويغطّي البلاد كلها.
لذلك أشرق نهار الخلاص وأمَّا هم فحسبوه لا يزال ليلاً:

+ «صرخ إليَّ صارخٌ من سعير: يا حارس ما مِنَ الليل (ماذا بقي على الفجر) يا حارس ما مِنَ الليل، قال الحارس: أتى صباحٌ وأيضاً ليلٌ. إن كنتم تطلبون فاطلبوا. ارجِعوا تعالوا.» (إش 21: 11و12)

أمَّا الخوف فلأن الله بدأ يعمل عمله العظيم والناس في تخاذل أعظم. أمَّا كون قصة المعمدان قد صارت أغنيةً على ربابة فالناس تجمَّعوا ليسمعوا وانصرف كل واحد إلى حاله. وأمَّا تعبير المسيح عن هذا الحال فهو أنه بحلول ابن الله الحجارة تصرخ، ولكن الذين عميت عيونهم وسُدَّت آذانهم لا يرون ولا يسمعون ولا يتكلَّمون. فإذا تكلَّموا فباللعن والتجديف. والزمان دواليك وما كان بالأمس كان اليوم.

1: 66 «فَأَوْدَعَهَا جَمِيعُ السَّامِعِينَ فِي قُلُوبِهِمْ قَائِلِينَ: أَتُرَى مَاذَا يَكُونُ هذَا الصَّبِيُّ؟ وَكَانَتْ يَدُ الرَّبِّ مَعَهُ».

كانت الأعمال التي عُملت أمامهم سواء في زكريا أو أليصابات، وما جرى أثناء ختانة الصبي توضّح أن هنا عملاً عظيماً يُعمل، فما بال الصبي ماذا سيكون، والكل ترجَّى أن على قدر عظمة الأعمال التي عُملت من الرحمة والعناية في ميلاد طفل المعجزة يوحنا سيكون حتماً عمله وشأنه، ولكن ماذا سيكون؟ فهذا أودعوه للزمن، فالولد لا يزال يرضع ويوضع على الكتف.
ولكن الذين تعقَّبوه سواء في طفولته أو صُبوَّته أحسُّوا بيد الله ترعاه وتقوده وقوة القدير تحيط به.

1: 67 «وَامْتَلأَ زَكَرِيَّا أَبُوهُ مِنَ الرَّوحِ الْقُدُسِ، وَتَنَبَّأَ قَائِلاً:»

هنا يضعنا القديس لوقا أمام واقع نبوي: امتلاءٌ بالروح القدس وتنبُّؤ! هنا ندخل مع ق. لوقا في مجال نطق الروح القدس وتعبيراته وإشاراته. هنا يكف ق. لوقا عن الكلام المسلَّم من خُدَّام الكلمة، ويبدأ ليعطي الكلمة نفسها فرصة الكلام. القديس لوقا هنا يصبح دون أن يدري من زمرة الأنبياء، ينعطف بعيداً عن رواية إنجيله ويرتفع ليرى المشهد من فوق كما رآه الله وخطَّطه، هي إطلالة

سماوية عمَّا حدث ويحدث وسيحدث، الروح انسابت بعيداً عن الزمن لترصد حركات الزمن من بُعد وتخضعه للخلود.
أيها الناقدون المتعلّمون والمتعاظمون بعلمهم، كفُّوا، فالمتكلّم هنا ليس ق. لوقا بل هو روح الله. الناطق بكلام الله. فالذي يخضع يزداد فهمه والذي لا يخضع فالذي يفهمه في الأول يفقده في الآخر. نحن هنا أمام مزمور تسابيح لا يقل عن الذي كان لداود. فهنا يتم قول ق. بولس: «أُصلّي بالروح وأُصلّي بالذهن أيضاً» (1كو 15:14)، فالكلام هنا صلاة وفق الذهن اليهودي.

68 : 1 **«مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ لأَنَّهُ افْتَقَدَ وَصَنَعَ فِدَاءً لِشَعْبِهِ».**
إنها تسبيح بركة لإله إسرائيل وليس ذكراً للأمم، فهو تسبيح يهودي صرف نطقه زكريا وهو مفعم بأخبار ووعود الله قديماً، إذ اليوم حدث افتقاد فعلي أي زيارة منظورة ومسموعة لشعبه.
وكلمة «افتقد» هنا ™peskšyato هي كلمة كنسية، هي زيارة، هي نظرة أسقفية. فالاسم من هذه الكلمة هو ™p…skopoj أي أسقف أو ناظر **من علٍ** نظرة شاملة ™pi-skopoj فالحرف الأول ™p… يعني فوق، من عَلٍ، المقطع الثاني skÒpoj يعني النظر والملاحظة، فالإبيسكوبوس هو مَنْ يُلاحِظ أو يُفتّش أو يحرس أو يحمي، ولا تقال إلاَّ للملوك والآلهة بمعنى من ينظرويرعى ويفتّش من فوق.
فهي هنا تعطي الله صفة الأسقفية العليا، لذلك في الدعاء نقول: إن الله هو أسقف نفوسنا (1بط 2 : 25)، وهو دعاء طقسي[111] بمعنى الذي يحكم ويقود ويرعى.
فهذه الأنشودة التي افتتح بها زكريا العهد الجديد افتتحها باستعلان وظيفة الله الجديدة أن يأتي ويستلم شعب رعايته ويمارس حكمه السماوي: «فقال الرب لقد رأيت مذلّة شعبي الذي في مصر وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم، إني علمت أوجاعهم فنزلت لأنقذهم ...» (خر 3: 7و8). وهذا هو الذي تحمله كلمة "افتقدنا من العلاء". هذا هو فجر عمل الخلاص المزمع أن يكون لبدء صنع الخلاص المعدّ منذ الدهور، والذي تكلّم عنه الآباء والأنبياء متواتراً.
والخلاص الذي يتكلّم عنه زكريا الكاهن ليس هو الخلاص الروحي بل الخلاص من الأعداء الظاهرين المُستولين على البلاد. كذلك الفداء، فلم يدرك زكريا بعد الفداءَ العام لكل العالم؛ بل فداءً محدوداً للشعب كالفداء من مصر. ويخطئ العلماء الذين ينسبون مفهوم الخلاص والفداء هنا إلى العصر المسيحي، فزكريا

(111) يُقال في أوشية المرضى: "يا مُدبِّر (إبيسكوبوس) كل جسدٍ تعهَّدنا بخلاصك"!

مثل يوحنا ابنه مثل بقية الآباء القدامى «في الإيمان مات هؤلاء أجمعون وهم لم ينالوا المواعيد، بل من بعيد نظروها وصدَّقوها وحيُّوها وأقرُّوا بأنهم غرباء ونُزلاء على الأرض.» (عب 13:11)
هنا ننبِّه أنه لا يجوز الخلط بين ميلاد المعمدان وميلاد المسيح، فالأول يمهِّد للثاني ولكن لا يتداخل فيه بأي حال من الأحوال، وإلاَّ نُخطئ خطأً كبيراً لشخصية المعمدان الذي لم يكن إلاَّ صوت صارخ في البرية، ومصباحاً صغيراً أضاءَ إلى ساعة. فهو لم يكن «النور» بل جاء ليشهد «للنور» ومن بعيد، ويكفيه هذا فهو عمل لم يقم به غيره.

1 : 69 **«وَأَقَامَ لَنَا قَرْنَ خَلاَصٍ فِي بَيْتِ دَاوُدَ فَتَاهُ».**
كان زكريا على وعي تام أن يوحنا ابنه لم يزد عن كونه «نبي العلي يُدعى» أمَّا صاحب النبوَّة الذي جاء المعمدان يخدمها وينير الطريق أمام صاحبها فهو من بيت داود حسب جميع النبوَّات. علماً بأن لا زكريا ولا أليصابات من بيت داود. إذن، فهو يتكلَّم هنا جهاراً عن المسيَّا القادم.
«وأقام لنا قرن خلاص»:
تعبير يهودي عن قوة الخلاص القادم على الفتك بالأعداء. إذن، فزكريا لا يزال محصوراً في مناظر الخلاص قديماً التي تمَّت بالقوة القاهرة وسحقت الأعداء ونجَّت الشعب بجبروت الله. ونحن لا نستطيع أن نصف خلاص المسيح على الصليب بأنه قرن خلاص، لأن المعركة الفاصلة التي تمَّت لحساب خلاص العالم لم تكن بالقوة المنظورة بل بتحمُّل ضعف الإنسان على الصليب الذي به حطَّم قرون العدو. لذلك فتصوُّر الخلاص الذي رآه زكريا بأنه على مستوى القرن الضارب هو تصوير قديم يناسب ما قبل الصليب. لذلك يبقى سر الخلاص إلى آخر لحظة في العهد القديم منحجباً، فمن ذا يصدِّق أن «بالموت داس الموت» ونظرة إشعياء في هذا صارخة تحمل أقوى تعبير عن وسيلة الخلاص الذي تمَّ: «ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولاً. وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا، تأديب سلامنا عليه ...» (إش 53: 4و5)، «لا بالقدرة ولا بالقوة بل بروحي قال رب الجنود.» (زك 6:4)

1 : 70 **«كَمَا تَكَلَّمَ بِفَمِ أَنْبِيَائِهِ الْقِدِّيسِينَ الَّذِينَ هُمْ مُنْذُ الدَّهْرِ».**
هنا دخل زكريا في أسلوب الليتورجيا على أنغام أصوات العهد القديم، فهي لغة هيكلية. فكأنه يجمع التاريخ القديم كله ويستودعه على عتبة الإشراقات الأولى لبني العهد الجديد: «وأنت أيها الصبي» و «القديسين منذ الدهر »الذين تكلَّموا عن الخلاص العتيد أن يكون في آخر الأيام، يبدأون

منذ آدم ووعد الله كأول رنّة خلاص ردَّدها الزمن، يجيء بعدها من فم موسى كأول حركة للخلاص في صورته البدائية.
والقديسون تكلّموا منذ الدهر حقيقة «**عن الخلاص العظيم**» الذي سيكمّله الآتي ولن يبطئ، ولكنهم تكلّموا أيضاً عن «**أزمنة رد كل شيء** التي تكلّم عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر» (أع 3:21). فهي نفس الآية بحروفها كما جاءت في سفر الأعمال على لسان ق. بطرس. الأولى عن الخلاص والثانية عن مجيء المسيح بعد أن قبلته السماء إلى زمان رد كل شيء. وهنا تبدو هذه اللغة أنها موروثة في التعبيرات النبوية عن تسجيلات الله عبر الزمان.

1 : 71 «**خَلاَصٍ مِنْ أَعْدَائِنَا وَمِنْ أَيْدِي جَمِيعِ مُبْغِضِينَا**».
هنا تحديد الأعداء والمبغضين يكشف عن معنى الخلاص المقصود، فالأعداء والمبغضون هم الأمم أعداء كل الدهور السالفة لليهود. إذن، فالخلاص هو خلاص سياسي بمعنى التحرُّر من عبودية الرومان والوقوع تحت ظلم حكومتهم وعدائهم. وهذا هو الذي كان يقصده زكريا من قوله السابق «لأنه افتقد وصنع فداءً لشعبه» وطبعاً قوله: «خلاص من أعدائنا ومن أيدي جميع مبغضينا» يأخذ هنا مفهومه القديم اليهودي غير مفهومه في العهد الجديد الذي هو الشيطان والخطية وأهواء الجسد.
وفي الحقيقة يُحتسب أن الأعداء والمبغضين سواء في العهد القديم في مفهوم العبودية السياسية، أو في العهد الجديد في مشاغبة الشيطان وتسلُّط الخطية وسيطرة أهواء الجسد، إن كان هذا أو ذاك، فهو عامل أساسي يجعل العبادة فاقدة سرورها وفرحها وانطلاقها. فإن تخلّصنا منها "فإننا بلا خوف نعبده".

1 : 72 «**لِيَصْنَعَ رَحْمَةً مَعَ آبَائِنَا وَيَذْكُرَ عَهْدَهُ الْمُقَدَّسَ**».
يُلاحَظ هنا أن زكريا يعتبر الوعد أنه عهد، وأن بداية تنفيذ الوعد أو العهد هو الافتكار فيه أو تذكاره. أمَّا «يصنع رحمة مع آبائنا» فوضعها شاذ وينبغي أن نُفهم على أن الله يذكر رحمته مع الآباء فيبدأ ينفّذ عهده. لأن السبب الأساسي في إجراء العهد مع إبراهيم وإسحق ويعقوب هو محبة الله لهم التي أفاضت أحشاء رحمته عليهم، فظلّت المحبة والرحمة في قلب الله لم تنطفىء إلى أن جاء ميعادها ليظهرها وينفذها في نسلهم. فلو تذكرنا أن وعد الله لإبراهيم أن بنسله (المفرد) سوف تتبارك الأمم كان أساساً لحبٍّ شديد للغاية سكبه الله على إبراهيم فأفاض حنانه ورحمته عليه ثم على نسله؛ ثم لو علمنا أن هذا النسل (المفرد) الذي وُعد به إبراهيم هو هو يسوع المسيح، وهو في الحقيقة "**الرحمة**" بعينها مشخَّصة بابن الله، حينئذ نفهم معنى قول زكريا ليصنع الرحمة التي أظهرها

لآبائنا. بمعنى أن ميلاد المعمدان ليعدّ الطريق أمام المسيَّا الموعود به والذي حُبل به في البطن فعلاً، هو تذكُّر الله لعهده المقدَّس الذي صنعه كرحمة مع آبائنا. وحتى البركة التي نلناها نحن من تكميل وعد الله ورحمته مع آبائنا هي تكميل وامتداد لرحمته وبركته للآباء: «وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض.» (تك 12:3)

1 : 73 **«الْقَسَمَ الَّذِي حَلَفَ لإِبْرَاهِيمَ أَبِينَا».**
جميل هنا أن نذكر القسَم الذي هو سبب بركة الأرض كلها: «بذاتي أقسمت يقول الرب إني من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك، أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيراً كنجوم السماء وكالرمل الذي على شاطئ البحر، ويرث نسلك باب أعدائه ويتبارك في **"نسلك"** (بالمفرد) جميع أمم الأرض من أجل أنك سمعت لقولي »(تك 22: 16-18). ثم يعود الله ويكرِّر وفاءه بالقسَم لإسحق ابن إبراهيم: «تغرَّب في هذه الأرض فأكون معك وأباركك لأني لك ولنسلك أعطي جميع هذه البلاد، وأوفي بالقسم الذي أقسمت لإبراهيم أبيك وأكثر نسلك كنجوم السماء وأعطي نسلك جميع هذه البلاد وتتبارك في نسلك جميع أمم الأرض» (تك 26: 3و4). ثم عاد الله وكرَّر الوعد ليعقوب: «وهوذا الرب واقف عليها (السلم) فقال أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحق. الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك. ويكون نسلك كتراب الأرض وتمتد غرباً وشرقاً وشمالاً وجنوباً ويتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الأرض» (تك 28: 13و14). ويذكر هذا القسَم إرميا النبي هكذا: «لأقيم الحلف الذي حَلَفت لآبائكم أن أعطيكم أرضاً تفيض لبناً وعسلاً كهذا اليوم» (إر 11 : 5). ويتغنَّى داود بهذا العهد: «ذكر إلى الدهر عهده، كلاماً أوصى به إلى ألف دور، الذي عاهد به إبراهيم وقسمه لإسحق. فثبَّته ليعقوب فريضة ولإسرائيل عهداً أبدياً.» (مز 105: 8-11)

1 : 74 **«أَنْ يُعْطِيَنَا إِنَّنَا بِلاَ خَوْفٍ، مُنْقَذِينَ مِنْ أَيْدِي أَعْدَائِنَا، نَعْبُدُهُ».**
هنا يركِّز زكريا مضمون القسَم والعهد الذي صنعه الله مع آبائنا أنه حتماً سيمنحهم أن يعبدوه بلا خوف وهم منقذون من أيدي أعدائهم.
حقيقة أن هذا الوعد والقسم بهذا العهد أُعطي منذ القديم جداً لإبراهيم وإسحق ويعقوب كرؤوس آباء، ولكن قط لم تنعم إسرائيل بعبادة بدون خوف وبدون أعداء، وحتى وإن نعمت به بصورة مادية قليلة في أيام داود وسليمان. ولكن واضح جداً أن هذا القسَم انصبَّ على الأيام التي

سيأتي فيها النسل (بالمفرد) الموعود وهو يسوع المسيح ابن الله. لأن القسَم مرتبط أساساً ببركة كل الأمم في هذا النسل (بالمفرد) وهذا لم يحدث إلاَّ بالمسيح.
لذلك كان نشيد زكريا هنا بتذكار هذا القسَم وبدء تتميمه هو أول عهد العبادة بلا خوف. لأن العبادة الروحية ترتفع وتترفع عن كل تهديدات أرضية مهما كانت:

+ «مَنْ سيفصلنا عن محبة المسيح (وعبادته) أشدَّة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عري أم خطر أم سيف ... ولكننا في هذه جميعها يعظم انتصارنا (بلا خوف) بالذي أحبنا.» (رو 8: 35و37)

1 : 75 **«بِقَدَاسَةٍ وَبِرٍّ قُدَّامَهُ جَمِيعَ أَيَّامِ حَيَاتِنَا».**
هنا العبادة بالقداسة والبر لم يعرفها العهد القديم قاطبة. لأن عبادة القداسة قائمة أساساً على شركة الروح القدس وتقديس القلب والفكر لله، أمَّا البرّ فهو لا يقوم على أي عمل بشري مهما كان، وإنما هو هبة المسيح رأساً التي ننلناها بالقيامة من الأموات. فالبر هو بر المسيح الشخصي كابن الله، بمعنى أن عبادة القداسة والبر هي عبادة في المسيح يسوع والروح القدس.
وهنا يقولها زكريا بالروح، وهو لم يعرفها ولم يذقها بعد إلاَّ كسبق رؤيا: «نظروها من بعيد وحيُّوها» ويراها ق. بولس أنها هدف الله الأسمى والأزلي من خلقتنا: «كما اختارنا فيه (في المسيح) قبل تأسيس العالم، لنكون **قديسين وبلا لوم** قدَّامه في المحبة.» (أف 1:4)
أمَّا قوله: «كل أيام حياتنا» فهذا اصطلاح أُخروي لأنه تعبير عن الحياة الأبدية، وهي التي ستُستعلن فيها حقًّا عبادة القداسة والبر في ملء حقيقتها. لأنه متى يتسنَّى للإنسان أن يحيا الخلاص والفداء في معناه الحقيقي الكامل والتخلُّص من الأعداء والمبغضين والعبادة بلا خوف إلاَّ عندما يلبس هذا الفاسد عدم الفساد ونكون مع الرب كل حين!!
وهكذا بدأ زكريا نشيده يهودياً صرفاً وانتهى برؤية ليست من هذا الدهر!

1 : 76 **«وَأَنْتَ أَيُّهَا الصَّبِيُّ نَبِيَّ الْعَلِيِّ تُدْعَى، لأَنَّكَ تَتَقَدَّمُ أَمَامَ وَجْهِ الرَّبِّ لِتُعِدَّ طُرُقَهُ».**
بعد ما انتهى نشيد البركة بذكريات البركات والعهود والمواعيد والقسَم الذي ظلَّ الله حافظه هذه الدهور كلها، الآن جاء دور الموعود به وصاحب القسَم الذي تتبارك به كل أُمم الأرض، الذي هو محور النشيد كله. ولكن زكريا يسبق الحوادث قليلاً، فصاحب الوعد الذي على رأسه عقد الله لواء القسَم لا يزال في بطن العذراء، وإنما الذي وُلِدَ فهو الذي تعيَّن أن يسبقه لمجرَّد أن يعدَّ الطريق

أمامه، ولكنه وُلِدَ بدرجة نبي، وتخصيصاً أخذ لقب نبيّ العليّ لأنه لا يتنبأ عن أمر آتٍ بل يتنبأ عمَّنْ أتى، ينادي والمسيح وراءه ويشير إليه في وجهه: «هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم.» (يو 1:29)
كان يوحنا الصبي عظيماً في عيني زكريا أبيه كنبي، ولكنه كان في عين المسيح «أفضل من نبي!! »(مت 11:9). كان في عُرف زكريا مولود العقم من امرأة أضناها الرجاء واستبدَّ بها اليأس، أمَّا في عُرف المسيح: «فلم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا» (مت 11:11)، فهو الذي صبغ ابن الله الصبغة الأولى بالدفن في الماء. وهو الذي رأى الروح نازلاً عليه وشهد أنه ابن الله، وهو الذي سار أمامه يهيىء له في قفر قلوب الناس سبيلاً. فكان أول شاهد للمسيح وكان له أول شهيد! وعلى يديه كما يقول إشعياء: أُعلن مجد الرب ورآه كل بشر (إش 4: 3-5).

1 : 77 **«لِتُعْطِيَ شَعْبَهُ مَعْرِفَةَ الْخَلاَصِ بِمَغْفِرَةِ خَطَايَاهُمْ».**
واضح هنا أن لقب «نبي العلي» تحدد في **تعليم الشعب،** تمهيداً لتعليم المسيح. فيوحنا يتقدَّم أمام المسيح، بمعنى أن يبدأ قبل أن يبدأ المسيح، في إعداد قلوب الشعب لقبول الخلاص العظيم الذي يقدِّمه المسيح بالفداء. وهذا الإعداد هو تعليمي بتقديم منهج التعريف بالخطايا وإيقاظ القلب للإحساس بها والندم عليها وطلب التوبة من رحمة الله بالاعتراف الكامل بها. وهذا سوف يظهر في بدء خدمة يوحنا المعمدان كنبيٍّ مُرسل مِنْ قِبَل الله يحمل التوبيخ الصارم مع الاستعداد لقبول الندم والتوبة والتهديد بالعقاب، مع الاستعداد بالعفو والصفح ثم الدعوة لتجديد الضمير والتعهُّد بحياة بدون معصية بالعماد بالماء.
وهذا المنهج كرَّره ق. بطرس الرسول لمَّا بدأ يعظ الشعب ويعرِّفهم بخطاياهم وتهديد الهلاك المحيط بهم، فلمَّا بكوا وطلبوا التجديد قال لهم ما يجب أن يفعلوه: «فلمَّا سمعوا نُخسوا في قلوبهم وقالوا لبطرس ولسائر الرسل ماذا نصنع أيها الرجال الإخوة. فقال لهم بطرس: توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس ... وبأقوالٍ أُخر كثيرة كان يشهد لهم ويعظهم قائلاً: اخلصوا من هذا الجيل الملتوي. فقبلوا كلامه بفرح واعتمدوا ...» (أع 2: 37-40). فهذه العظة وتأثيرها هي طبق الأصل من وظيفة المعمدان وعمله يكررها ق. بطرس والتلاميذ بعد أن تدخَّل الروح القدس بصورة شديدة وأيقظ القلوب. وسوف نعبر على كل خدمة المعمدان عندما نصل إلى الآيات التي تشرح ذلك.

78:1 **«بِأَحْشَاءِ رَحْمَةِ إِلهِنَا الَّتِي بِهَا افْتَقَدَنَا الْمُشْرَقُ مِنَ الْعَلاَءِ».**

«بأحشاء رحمة إلهنا»: di¦ spl£gcna ™lšouj

كلمة أحشاء spl£gcna يعرفها الأطباء وهي تُسمَّى viscera وتشمل القلب والرئتين والكبد والكليتين، وقد تعني عند المرأة الرحم، وهي الأعضاء التي تُفرز من الذبيحة قبل أن يأكلها مقدّمها. لذلك فهي تعني معنى "الذبائحية". لذلك جاء منها فعل الإحساس بالرحمة splagcn...zomai = تحنن (لو 7: 13 و10: 33 و15: 20)، وتعني الإحساس بالرحمة (الذبائحية) بمعنى البذل، وتدخل دائماً في التطلُّعات نحو رحمة الله « يفتقدنا بأحشاء رحمته» وبالعبرية أحشاء رحمة rahemîm إلهنا تفيد عهد الأمانة الذي أقامه الله مع الآباء وهو قائم من جيل إلى جيل: «ورحمته إلى جيل الأجيال للذين يتقونه» بمعنى أن عهد رحمة الله للآباء قائم على مدى جميع الأجيال للذين يتقون الله كما كان آباؤهم، لأن محبة الله ورحمته لا يمكن أن تنقطع إذا ابتدأت إلاَّ إذا انقطع الإنسان عن صلته بالله.

وهنا في هذه الآية فأحشاء رحمة الله بدأت تُستعلن بافتقاد الشعب بمجيء المعمدان ليفتتح عصر النعمة، بمعنى أن خدمة المعمدان وقوة الله التي وهبها له بالنبوَّة ليخدم معرفة الخلاص بمغفرة الخطايا هي نفسها امتداد لعمل رحمة الله الباذلة، التي عامل بها آباءنا ووعدهم بتكميلها لنسلهم عند اكتمال الزمان. فها هو قد اكتمل الزمان وجاء موعد تنفيذ الوعد، والآن قد أشرق الله من العلاء وافتقد الشعب نسل الآباء المحبوبين، وجاء بنفسه ليكمّل الوعد بأحشاء رحمته. أمَّا المعمدان فهو النذير البشير باكتمال الزمان:

+ «وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية قائلاً: تُوبوا، لأنه قد اقترب ملكوت السموات.» (مت 3: 1)

+ «وكان يكرز قائلاً: يأتي بعدي مَنْ هو أقوى مني، الذي لست أهلاً أن أنحني وأحلَّ سيور حذائه. أنَّا عمَّدتكم بالماء، وأمَّا هو فسيعمّدكم بالروح القدس.» (مر 1: 7و8)

«التي بها افتقدنا»: ™piskšyetai

وهنا يتكرَّر مفهوم "الافتقاد" الذي سبق أن شرحناه في الآية 68.

«المشرق من العلاء»: ¢natol¾ ™x Ûyouj

كلمة "أناتولي" أصلاً هي كلمة "بزوغ" وقد حُجزَت في اللغة لبزوغ الشمس، ولكن إذا أتت بمفردها فهي تعني ظهوراً مشرقاً، وتُستخدم فقط بهذا المعنى للمسيح لأنه هو نور العالم. لذلك جاءت كلمة «من العلاء» لتحدّد شخصية المسيَّا. وقد استخدمها بلعام النبي المُبارك لإسرائيل

رغماً عنه بقوله: «يبرز كوكب من يعقوب » ¥stron ‹natele‹¢(عد 24:17) تعبيراً عن ظهور المسيح في إسرائيل.

1: 79 «**لِيُضِيءَ عَلَى الْجَالِسِينَ فِي الظُّلْمَةِ وَظِلاَلِ الْمَوْتِ، لِكَيْ يَهْدِيَ أَقْدَامَنَا فِي طريق السَّلاَمِ».**

«ليضيء»: ™pif©nai

وهي لا تعني أصلاً يُضيء، ولكنها تعني بالأكثر يظهر للآخرين (مثلاً في تي 2: 11: «لأنه قد ظهرت ™pef£nh نعمة الله» ، ولكنها هنا لاتصالها الشديد بكلمة «المشرق» بالنور أصبحت تفيد "الإضاءة على" بالتبعية، لأن المُشرق من العلاء بالنور حتماً يضيء، وهو أيضاً وبالتالي يضيء على الجالسين في الظلمة وظلال الموت.

وهنا لا يفوتنا التقليد الشرحي في الإنجيل لنفس المعنى وفي نفس الموضع كما جاء في إشعياء:

+ «وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم لتفتح عيون العمي لتُخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين في الظلمة.» (إش 42: 6و7)

+ «الشعب السالك في الظلمة أبصر نوراً عظيماً، الجالسون في أرض ظلال الموت أشرق عليهم نور.» (إش 9: 2)

«لكي يهدي أقدامنا في طريق السلام»:

النتيجة الحتمية لإشراق النور من العلاء بنوع من الافتقاد للسائرين في الظلمة والجالسين في ظلال الموت أن النور يهدي مسيرة المتعثرين في الظلام. ولكنه ليس نوراً من الأرض ليضيء الأرض، ولكنه نور من العلاء يضيء القلب والداخل. فهو قبل أن يضيء الطريق يفتح عيون العمي عن طريق الحق ليروا الحق. لذلك يقول زكريا هنا «طريق السلام» فهو حياة في الداخل وليس مسيرة في الخارج. وقيادة النور هي وحدها التي تعطي السلام، والسلام هو وظيفة النور الحقيقي بالدرجة الأولى. فإشعياء دعا المسيح «رئيس السلام» أمَّا أول عمل له الذي أعلنته الملائكة من السماء بهتاف وتهليل فهو «على الأرض السلام» كرد فعل رسمي لظهور المجد في السماء وبالنهاية للناس المسرة. وهذا الذي قيل عن المسيح قبل مجيئه يقوله المسيح بعد مجيئه: «أنا قد جئت نوراً إلى العالم ـ فسيروا (في النور) ما دام لكم النور لئلاً يدرككم الظلام. والذي يسير في الظلام لا يعلم إلى أين يذهب. ما دام لكم النور آمنوا بالنور لتصيروا أبناء النور» (يو 12: 46و35و36). علماً بأن الظلمة وظلال الموت تعبير عن الموت، والنور تعبير عن الحياة، وذلك في الأسلوب الروحي.

1 : 80 «**أَمَّا الصَّبِيُّ فَكَانَ يَنْمُو وَيَتَقَوَّى بِالرُّوحِ، وَكَانَ فِي الْبَرَارِي إِلَى يَوْمِ ظُهُورِهِ لإِسْرَائِيلَ**».

وقبل أن يختم القديس لوقا قصة ميلاد المعمدان، أراد أن يضع مقدِّمة لظهور المعمدان لإسرائيل محاولة منه لملء الفراغ الكبير الذي تُرك عن غير قصد بين قصة ميلاده وبدء ظهوره. وإذا كان من الواضح أن بدء حياة المعمدان كانت بإعلان ملائكة، فلا مانع أن تتتبَّع الملائكة نموه وحياة نسكه وتقشّفه والتجاءه إلى البراري لمراجعة مهمته على الأنباء والإعلانات التي سمعها من أبيه وأمه. هكذا كانت حياته مختفية في البراري كما كانت حياة إيليا مستورة إلى حد كبير، الذي كان ظهوره كنبي فجأة (1مل 17 : 1) ليربط السماء حتى لا تمطر ويعطيها الأمر أن تأتي بمطرها مما زلزل إسرائيل، ولكن لا الملك تاب ولا إيزابل الخائنة تابت ـ وما أصعب الحديث عن حياة الأنبياء فكلها صفحات تظهر فيها ومضات تدبيرات الله ثم تخبو:

+ «كان هو السراج الموقد المنير وأنتم أردتم أن تبتهجوا بنوره ساعة.» (يو 5 : 35)

+ «من أنت؟ فاعترف ولم ينكر وأقرَّ أني لست أنا المسيح!!» (يو 1 : 19و20)

الأصحاح الثاني:

(هـ) ميلاد المسيح
(20-1:2)

+ «**يعطيكم السيد نفسه آية. ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل.**» (إش 7:14)

+ «**لأنه يولد لنا ولد ونُعطى ابناً وتكون الرياسة على كتفه ويُدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام. لنمو رياسته وللسلام لا نهاية، على كرسي داود وعلى مملكته، ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد.**» (إش 9: 6و7)

إذ قدَّم لنا الإنجيل الوعد بميلاد يوحنا والمسيح، ثم أكمل الوعد بميلاد يوحنا المعمدان، أصبح من الواجب أن يبدأ بوصف ميلاد المسيح. وكما رأينا في البشارة بالمسيح ما يفوق ما جاء في البشارة بيوحنا المعمدان، هكذا يأتي ميلاد المسيح ولو بالتماثل مع ما جاء في ميلاد المعمدان ولكن بصورة فائقة للغاية. وإن تصدَّر زكريا بالتسبيح والمديح لميلاد المعمدان، فهنا تتصدَّر الملائكة في السماء لإعلان الميلاد والتهليل له وبث الفرح العظيم بالخلاص الأعظم بميلاد المسيح.

ويمتاز ميلاد المسيح بأمرين كبيرين:

أـ فقد أخذ ميلاد المسيح وضعاً عالمياً في صميم تاريخ العالم بمقتضى تسجيله في سجلات الاكتتاب العام للمسكونة كلها، الأمر الذي أحدر يوسف وخطيبته الحامل من الروح القدس من الناصرة إلى بيت لحم مدينة داود. ومن هنا أخذ ميلاد المسيح اعتباراً هاماً في مقدَّرات العالم «لأن عينيَّ قد أبصرتا خلاصك، الذي أعددته قدَّام وجه جميع

الشعوب. نور إعلان للأمم، ومجداً لشعبكَ إسرائيل.» (لو 2: 30-32)

ب- ولكن في مقابل هذا الارتفاع والسمو في مركز المولود بالنسبة لمقدَّرات العالم، نجده في

ميلاده يكشف عن انتباهة خطيرة في مضمون حياة هذا المولود ومستقبله، إذ يجعل ميلاده في مغارة لعدم وجود مأوًى تأوي إليه والدته القديسة، وكانت المغارة مأوًى للبهائم والدواب، استحسنت فيها العذراء مذوداً صغيراً يسع طفلها الذي وضعته فوق التبن. وهكذا كان يحمل رؤية مستقبلية كيف سيسند ظهره العاري على خشبة الصليب يوم يفارق هذا العالم، العالم الذي استقبله في مذود وشيّعه على الصليب! وهكذا في إظهاره لفقره الشديد في دخوله وخروجه من هذا العالم يكشف عن رسالته ومضمونها في الخلاص الذي صنعه للفقراء والمذلولين والمظلومين والمعدمين ومن أجل كل مَنْ عطف عليهم!!

أمَّا لماذا يفصل ق. لوقا قصة الميلاد البتولي عن إنجيل حياته وأعماله، فواضح لكل ذي بصيرة أن قصة الميلاد تحتفظ بسر المسيح في شخصه الخاص جداً، كما تحمل أوضاعاً سرية غاية السرية لأمه العذراء القديسة التي يُظن أنها ما باحته قط لإنسان ما غير ق. لوقا لمَّا ألحَّ عليها وعلمت بالروح أن سرَّها سيصير جزءًا لا يتجزَّأ من سر الخلاص للعالم كله.

1:2 **«وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ صَدَرَ أَمْرٌ مِنْ أُوغُسْطُسَ قَيْصَرَ بِأَنْ يُكْتَتَبَ كُلُّ الْمَسْكُونَةِ».**

«أوغسطس قيصر»:

كان أول إمبراطور روماني، واسمه الأصلي غايس أوكتافيوس، وكان ابن أخت يوليوس قيصر. و «أوغسطس» كلمة لاتينية تعني "الجليل والمهاب والرفيع القدر"، وتقابلها في اليونانية كلمة: "سباسطس Sebastòj" (أع 21:25). وقد أخذ لقب خاله يوليوس قيصر سنة 43 ق.م بالمجاملة بالانتخاب، وبمضي السنين أُسقطت كلمة يوليوس وبقيت قيصر. وبالتشاور بين أعضاء السيناتو (مجلس شيوخ الدولة) اخترعوا له اسم أوغسطس، وكانت تفيد وضعاً دينياً قريباً من التأليه، وكان يعني الحاكم الأعلى للامبراطورية الرومانية، وصار أول إمبراطور. وكلمة إمبراطور أصلاً لقب حربي، فكل جنرالات روما كان لهم هذا اللقب، ثم أُلغيت من الجنرالات جميعاً واحتكرها قيصر. وحينئذ زالت الجمهورية الرومانية وبرزت مكانها الامبراطورية الرومانية تحت إمرة أوغسطس قيصر سنة 30 ق.م. وفي أوج اعتلاء أوغسطس قيصر عرش روما بعد نحو خمسة وعشرين سنة من سلطنته، وقد خضعت له كل دول العالم، وُلد المسيح! وكأنه جاء ليستلم عرش العالم من يد أوغسطس قيصر. وفي ذلك الوقت كان من أعمال أوغسطس أنه أصدر مرسوماً لكي تُكتتب المسكونة كلها. وفي هذا الوقت كانت قد توقَّفت جميع الحروب وأُخضعت الدول جميعاً لسلطان روما وتمَّ ضبطها ليسود السلام على العالم أجمع.

وهناك على الطريق من الجليل إلى بيت لحم كان يسير معاً يوسف والعذراء القديسة ممتطية الدابة، يسندها يوسف، يتحدَّثان عن رؤى القدير والمصير، وإذا سألتهما إلى أين؟ يقولان إنه أمر قيصر أن نذهب ونُكتتب في مدينة أجدادنا الذين ورثنا منهم اسم داود، ودماؤه لا تزال تجري في عروقنا، زرقاء هي وملكية!! حقيران للغاية في منظرهما لدى العالم وقيصر، ولكن كانا يضعان أساس مملكة المسيَّا التي ستقتلع قيصر وروما وكل امبراطوريات العالم فيما هو آتٍ من الزمان لتسود مملكة السماء:

+ «كنت تنظر إلى أن قُطع حجرٌ بغير يدين ... فصار جبلاً كبيراً وملأ كل الأرض.» (دا 2: 34و35)

وقبل أن ننتقل إلى الآية القادمة ننبه ذهن القارئ أن القديس لوقا، وهو طبيب ومؤرخ مُلهم بدأ هنا يُدخِل قصة ميلاد المسيح في عمق التاريخ، وأي تاريخ؟ تاريخ "المسكونة" العام والعلني، إذ بهذا الأمر الإمبراطوري تسجَّل يوسف ومعه مريم في سجلات العالم المدني باعتبارهما أبويْ يسوع رسمياً وبموافقة السماء. وهنا نعجب من التدبير الإلهي المتقَن، كيف سخَّر الله الحوادث وأخضع تاريخ العالم ليُسجَّل ميلاد المسيح في سجلات أعظم دولة!! إذ أصبح العالم يؤرّخ منذ ذلك اليوم لميلاد المسيح: "بعد الميلاد" "A.D.". وهنا ندعو: ليت الذين يمجِّدون مسيح التاريخ أن يطأطئوا الرأس لهذا التدبير الإلهي المحكم والفريد. فإن أوغسطس قيصر ليس من ذاته وخياله أمر بالاكتتاب المسكوني العام، بل هو عمل الله الذي على أساسه وُلِدَ قيصر وقامت روما! فإن كان منذ الأزل: «"أحب الله العالم" حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية» (يو 3:16)؛ إذن، فليستعد العالم لدخول المخلّص ويسجِّل له يوم دخوله في أفخر سجلاته، محدِّداً يوم ميلاده. وإن كان بسبب إهمال المسجِّلين والمؤرِّخين تاه منهم تحديد اليوم، غير أن القديس لوقا عمل كل ما في استطاعته أن يحدِّده إلى أقرب سنة بحسب الاكتتاب العام، ثم مرة أخرى سجَّل بدء خدمة المسيح: «ولما ابتدأ يسوع (يخدم) كان له **نحو ثلاثين** سنة...» (لو 3:23)

2 : 2 **«وَهذَا الِاكْتِتَابُ الأَوَّلُ جَرَى إِذْ كَانَ كِيرِينِيُوسُ[112] وَالِيَ سُورِيَّةَ».**

---

(112) كيرينيوس هو Pubilius Sulpicius Quirinius. تعيَّن قنصلاً رومانياً سنة 12 ق.م، وتعيَّن والياً على سورية مرتين: الأولى، من سنة 6ـ4 ق.م؛ والثانية، من 6ـ9 بعد الميلاد، ومات سنة 21 بعد الميلاد.

هنا يعطي القديس لوقا قرينة لتحدد زمان الاكتتاب، فجعله الأول ليميزه عن أي اكتتاب آخر غير رسمي سبق أن صدر أو أي اكتتاب آخر جاء بعد ذلك[113]. ثم زاد تمييزه بذكر كيرينيوس أنه كان وقتها والياً على سورية. إلى هذا الحد كان القديس لوقا مُدقّقاً في تحديد هذا الزمان. وللأسف أخفق المؤرخون المحدثون: **أولاً:** عن فهم قصد القديس لوقا؛ **وثانياً:** عن الوصول إلى بؤرة هذا التحديد المتقن. وكل هذا وغرض القديس لوقا الهام أن يربط هذا اليوم المقدَّس المبارك بتاريخ العالم.

2 **:** 3و 4 «**فَذَهَبَ الْجَمِيعُ لِيُكْتَتَبُوا، كُلَّ وَاحِدٍ إِلَى مَدِينَتِهِ. فَصَعِدَ يُوسُفُ أَيْضاً مِنَ الْجَلِيلِ مِنْ مَدِينَةِ النَّاصِرَةِ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ، إِلَى مَدِينَةِ دَاوُدَ الَّتِي تُدْعَى بَيْتَ لَحْمٍ، لِكَوْنِهِ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ وَعَشِيرَتِهِ**».

هنا تضافر العلماء ليحدِّدوا كل الظروف والأسباب التي حَدَتْ بالإمبراطور لإصدار هذا الأمر بالاكتتاب. ويعوزني هنا المكان، ويعوز القارئ القدرة على المتابعة لأُسجِّل له أبحاث ما يقرب من عشرين عالماً من أقوى علماء التاريخ والكتاب المقدس، ولكن يمكن للقارئ الرجوع إلى كتاب العالم هوارد مارشال في كتابه لشرح إنجيل القديس لوقا صفحة 100 ليطّلع على مجرد أسماء وأبحاث هؤلاء العلماء.

نستخلص من ذلك أن الإمبراطور أصدر هذا الأمر بالاكتتاب ليكون عاماً ويشمل كل الأراضي التي تحت سلطانه. والسبب الأساسي هو إدارة وترتيب سياسة الإمبراطورية وتقنين الضرائب. أما بخصوص ذهاب كل واحد إلى مدينته، فكان ضمناً ليسجِّل في سجلات الدولة أملاكه ومخصصاته تحت إشراف الحكام.

ولكن يؤكّد القديس لوقا هنا في الآية (4:2) أن يوسف انطلق إلى مدينة بيت لحم: « لكونه من بيت داود وعشيرته» وهنا إشارة ذكية أن يوسف أدرك بالروح ومن ملابسات إعلان الملاك أنه قد **أصبح مسئولاً أمام الله والتاريخ عن عودة العذراء مع ابنها المنتظر، وهو "المخلِّص" رجاء كل اليهود والعالم إلى مدينة أبيه داود، بيت لحم اليهودية، ليولد فيها حسب النبوات وحسب رجاء كل اليهود،** الأمر الذي جعله يحمل همَّ وبركة رحلة العذراء السريعة وهي حامل في شهرها الأخير ليتم ميلاد الطفل في مدينة بيت لحم مهما كلّفه من جهد ومخاطر، واثقاً أن الأمر يخص الله وهو

---

(113) ونحن نقرأ في سفر الأعمال (37:5) عن اكتتاب آخر: «بعد هذا قام يهوذا الجليلي في أيام الاكتتاب وأزاغ وراءه شعباً غفيراً».

الذي سيعوله. لهذا كان يوسف سريع الحركة للقيام بهذه المخاطرة غير هيَّاب، إذ لم يكن دافعها الاكتتاب بالنسبة لنفسه، ولكن بالأكثر تسجيلاً لميلاد "يسوع" المخلّص في مدينة داود أبيه. وهذا هو سر الرد على الذين يعترضون كيف يأخذ معه العذراء ويجشّمها مشقة هذا السفر الخطر وهي مجرد مخطوبة له وليست محسوبة أنها امرأته؟ علماً بأن الملاك كلّفه رسمياً بأن يمثل نفسه أباً للطفل عندما أمره أن يأخذ العذراء الحامل وهي مخطوبة امرأة له رسمياً، ذلك بحسب الله، ليتصدَّى أمام العالم بأنه رجل مريم وأبو الولد!! وهكذا تسجَّل، وهكذا عاش! وهذا هو سرُّ الرد على ذِكر الإنجيل باستمرار أن يوسف كان رجل مريم، وكان بالتالي وحسب أمر الملاك، أباً للمسيح أمام العالم.

بهذا تظهر قصة ميلاد المسيح بأسرارها أنها تحمل كل أسرار حياته وأقواله وأعماله وخاصة اللاهوتية منها، فكل الأسئلة والمآخذ والانتقادات التي يخوض فيها النقاد بالنسبة لحياة المسيح وأعماله تعود أساساً إلى جهلهم بحقائق الميلاد.

2 : 5 **«لِيُكْتَتَبَ مَعَ مَرْيَمَ امْرَأَتِهِ الْمَخْطُوبَةِ وَهِيَ حُبْلَى».**

هنا يكشف القديس لوقا أهمية هذا الاكتتاب القصوى بالنسبة لميلاد المسيح، كون يوسف سيُسجَّل رسمياً أنه رجل مريم، وبالتالي أبٌ للطفل يسوع. وهنا التركيز واقع على تسجيل سنة ميلاد المسيح رسمياً وبالدرجة الأولى. والآن كيف نبلغ إلى هذه السنة؟ فكما سبق وقلنا إنه تأكَّد للمؤرخين المشتغلين بقصة ميلاد المسيح أنه وُلد في أيام حكم هيرودس الكبير: «ولما وُلد يسوع في بيت لحم اليهودية **في أيام هيرودس الملك**» (مت 2:1). فإن كان موت هيرودس قد تسجَّل سنة 4 ق.م، وكان كيرينيوس قد تولَّى على سورية مرتين، الأولى منها كانت سنة 6-4 ق.م. فبهذا استطاع القديس لوقا أن يحصر تاريخ ميلاد المسيح بدقة إلى أقرب سنة بين 6-4 ق.م. وقد أُضيف من الأبحاث والبراهين التي تمت بواسطة علماء الفلك الكبار مثل كبلر وزملائه، أن ظهور النجم العظيم في السماء بملاحظة علماء الفلك الكلدانيين الذين دُعوا بالمجوس، أمكن رصد تحركاته الثابتة، والتأكُّد من ظهوره في نفس هذا التاريخ أي من 6-4 ق.م. فلو رجعنا إلى نبوة بلعام بخصوص ظهور كوكب يعقوب ـ نجم المسيَّا ـ نرى أن حسابات الفلكيين داخلة حتماً في صميم تحقيق النبوة إنجيلياً: «أراه ولكن ليس الآن، أُبصره ولكن ليس قريباً. يبرز كوكب(114) من يعقوب، ويقوم

(114) وهو مجموعة الكواكب الثلاثة التي اجتمعت بحسب حسابات كبلر في مثلث "السمكة"، فاتَّحدت أنوارها معاً، وكان لمعانها شديداً.

قضيب من إسرائيل...» (عدد 17:24)

2 : 6 **«وَبَيْنَمَا هُمَا هُنَاكَ تَمَّتْ أَيَّامُهَا لِتَلِدَ».**

إن القارئ ليكاد تتحبس أنفاسه كيف عبرت هذه العذراء القديسة 90 ميلاً من الناصرة إلى بيت لحم في أرض وعرة وهي في أيامها الأخيرة؟ ولكن من أميز صفات كاتب هذه القصة أي القديس لوقا، بل من أميز صفات يوسف، وبالتالي العذراء، وبالتالي الإنجيل، هذه الغلالة من السريَّة التي يلفها الصمت العميق بالنسبة لهذه الحوادث الجسام المليئة بالأعاجيب، وليس إزاء هذا السرد المهيب إلاَّ أن يتذرع الإنسان أيضاً بالصبر في الجري وراء تحقيق هذه الحوادث، وبالصمت لعلّه يبلغ السرَّ. فنحن بصدد قصة سماوية أشخاصها قديسون وملائكة وقوات فلكية مسخَّرة!

2 : 7 **«فَوَلَدَتِ ابْنَهَا الْبِكْرَ وَقَمَّطَتْهُ وَأَضْجَعَتْهُ فِي الْمِذْوَدِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا مَوْضِعٌ فِي الْمَنْزِلِ».**

قلبي على هذه الأم الوحيدة، كيف احتملت المخاض وحدها؟ كيف استقبلت الطفل بيديها؟ كيف قمَّطته وهي منهوكة القوى؟ ماذا شربت وماذا أكلت؟ اشهَدْنَ يا نساء العالمين على أم المخلّص، كم عانت؟ وكم تستحق التمجيد؟ عزائي الوحيد أن الرحلة الشاقة ذات الأربعة الأيام والتسعين ميلاً سهَّلت الوضع بحسب خبرة أصحاب التوليد وأهَّلتها لمعونة ملائكية، وأُخفيت عن الإنجيل ليزداد عطفنا عليها وحبُّنا لها.

وهكذا استقبل العالم ""المسيَّا"" الموعود رجاء كل الدهور «نور إعلان للأمم، ومجداً لشعبك إسرائيل» (لو 32:2) في مذود للبهائم. ويبدو أن في هذا تعبير شديد لإسرائيل، كون المسيح قد استأمن البهائم على حياته ولم يستأمن بيت يعقوب: «اسمعي أيتها السموات وأصغي أيتها الأرض، لأن الرب يتكلم. ربَّيتُ بنين ونشَّأتهم، أما هم فعصوا عليَّ. الثور يعرف قانيه والحمار معلف صاحبه، أما إسرائيل فلا يعرف، شعبي لا يفهم.» (إش 2:1و3)

وقول القديس لوقا هنا «فولدت ابنها البكر » prwtÒtokon فهذا بحسب الفكر اليهودي يعني فاتح رحم. والتدقيق هنا على إجراءات التطهير التي أوصى بها الناموسُ الوالدةَ من جهة التطهير الذي أتمَّته بحسب الإنجيل. كما أنه يتحتَّم إجراء طقوس على **الابن البكر لتكريسه لله بحسب الناموس** (خر 12:13؛ 19:34). علماً بأن **البكر له الميراث، فهو وارث لداود حتماً. فهو، إذن، وبالضرورة، صاحب مملكة داود أبيه** كقول الملاك للعذراء: «ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لملكه نهاية» (لو 32:1و33). وبالتالي فهو

المسيَّا!! هذا هو القصد الإلهي من قوله: **«ابنها البكر»** (انظر: 2مل 27:3، 2أي 3:21).

يقول التقليد الكنسي على لسان القديس الشهيد يوستين[115] (150م) عمَّا وصله من التقليد الأقدم، إن يوسف ومعه القديسة مريم لما بلغا بيت لحم لم يكن لهما فيها أحد، إذ كانا قد استوطنا الناصرة منذ زمن بعيد. فاتَّجها إلى الخان (المنزل أو النُّزُل) katalŰmati (وهو اللوكاندة الريفية التي تستقبل المسافرين مع دوابهم). فلما لم يجدا في المنزل مكاناً التجآ إلى "المغارة" الملحقة ـ والتي كانت مخصصة للدواب ـ وباتا فيها. وهناك ولدت ابنها البكر وقمَّطته وأضجعته في المذود. ويعود العلاَّمة أوريجانوس[116] (185ـ254م)، ويكرر نفس القصة كما استلمها هو الآخر من التقليد. فهي حقيقة متداولة في الكنيسة منذ البدء. ويقول العلاَّمة فارر[117] إنه في أيام القديس يوستين كانت هذه المغارة مزاراً باعتبارها مكان ميلاد المسيح. وقد شيدت الملكة هيلانة كنيسة فوق هذا المكان المقدس سنة 330م. وبعدها بقليل قام الإمبراطور جوستينيان الأول[118] (483ـ563م) وبنى كاتدرائية كبرى على هذا المكان، ويُقال إن الكنيسة الحالية هي بقاياها أُعيد ترميمها. ويؤكِّد العلاَّمة يواقيم إرميا[119] أن تقليد الكنيسة بخصوص ميلاد المسيح في مغارة بيت لحم مبكِّر للغاية. كما يقرر هذا العلاَّمة أن الرعاة الذين ظهر لهم الملاك، وهم الذين كانوا يحرسون القطيع المخصص للذبائح الهيكلية، كانوا أنفسهم أصحاب هذه المغارة.

وعسير علينا أن نعبر على ميلاد المسيح في مذود للبهائم دون أن ينخطف قلبنا، ما هذا أيتها السماء؟ أهكذا لم يكن بين بني البشر في الدنيا قاطبة مكانٌ يستقبل جسد المسيح الغض إلاَّ مذود للبهائم!! نعم كان يتحتَّم أن يكون هذا!! حتى يتأهَّل هذا الجسد منذ اللحظة الأولى لدخوله العالم، لكي يسند ظهره في النهاية على خشبة الصليب كآخر مكان، وفي آخر لحظة له في العالم!! ليس من فراغ يقول المسيح: «ثقوا أنا قد غلبت العالم» (يو 33:16)، ولا كان تجاوزاً منه لما قال: «أنا لست من العالم» (يو 16:17)، وقد عيَّر الله الشعب القديم: «أين مكان راحتي» (إش 1:66)؟

(115) Justin, *Contra Trypho* 78:4.

(116) Origen, *Contra Celsus* 1:15.

(117) Farrer, *Life of Jesus, ad loc.*

(118) معروف أن أول عيد ميلاد (كريسماس) احتفل به العالم كان سنة 354م في روما وسنة 379م في القسطنطينية. أما في مصر فكانت وظلَّت الكنيسة القبطية تعيِّد أعياد الميلاد والغطاس وعرس قانا الجليل معاً تحت اسم أعياد الظهور الإلهي إلى وقت قريب. أما اختلاف تاريخ الميلاد عندنا إلى 7 يناير بدلاً من 25 ديسمبر عند الغرب، فهو نتيجة تعديل التاريخ الذي يُسمَّى بالغريغوري بفارق 13 يوماً.

(119) J. Jeremias *TDNT,* Vol. I, 490f.

وعاد في العهد الجديد يقول: «وأما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه.» (لو 58:9)

إذن، فليفرح وليعتزّ كل فقراء الدنيا، فلهم نصير وصديق في السماء عاش ومات فقيراً مثلهم، لم يملك عند دخوله العالم إلاَّ الخرق التي قمطته بها أمه، وأخرى ستروه بها على الصليب، وهو يستودع العالم لينطلق إلى مجده الأسنى، ليعدَّ ملكوته للذين غلبوا العالم: «وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم: إيماننا» (1يو 4:5)، «ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم.» (يو 16:17)

أول بشرى للميلاد تلقَّاها رعاة ساهرون:

8:2 **«وَكَانَ فِي تِلْكَ الْكُورَةِ رُعَاةٌ مُتَبَدِّينَ يَحْرُسُونَ حِرَاسَاتِ اللَّيْلِ عَلَى رَعِيَّتِهِمْ».**

يقول العلاَّمة إدرزهايم اليهودي المتنصِّر الذي كتب حياة المسيح بالتفصيل إنهم فئة من الرعاة مختارين بشروط خاصة من جهة الطهارة والتطهير، يحرسون قطعان الغنم المخصصة للذبائح الهيكلية. وهناك نبوَّة سجَّلها ميخا النبي تقول إن من **"برج القطيع"** الواقع على أكمة جبل صهيون (وهو يُرى على طريق بيت لحم) يأتي من يملك ويحكم: «وأنتَ يا برج القطيع أكمة بنت صهيون إليك يأتي، ويجيء الحكم الأول مُلك بنت أورشليم.» (ميخا 8:4)

والقارئ يُلاحظ أن النبوَّة على المسيح منصبَّة على مجيئه من قِبَل **"بنت" صهيون** تعبيراً عن ميلاده من العذراء.

كذلك فإن أحد كتب التراث اليهودي(120) يقول إن من على برج "مجدال عيدر" أي برج القطيع في بيت لحم سيُعلن ميلاد المسيَّا، وهذا البرج يقع على الطريق بين بيت لحم وأورشليم. وهذا ما تم بالفعل إذ ظهر هناك الملاك الذي كلَّم الرعاة.

ولكن لا يمكن أن يفوت على القارئ الملهم، العلاقة السرية ذات المغزى والمعنى، أن أول بشارة بميلاد «"حمل" الله الذي يرفع خطية العالم» (يو 29:1) يفوز بها **"رعاة ذبائح"** الهيكل من الحملان! بل ويولد **"حمل"** الله في **مذود؟** إنها تُحسب صرخة من الوحي المقدس في أُذن القارئ الموهوب وكأنها إصبع تشير كما أشارت إصبع المعمدان: «هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم» بل ولا يخلو هذا الحبك الإلهي في الرواية ذات الأسرار، لماذا **"للرعاة"** يُستعلن **"الحمل"**؟

هذه الإشارة أخذتها الكنيسة المرتشدة بالروح وأسمت كهنتها بـ **"الرعاة"**، وكأنهم المؤتمنون

(120) *Targum Pseudo-Jon. on Gen.* 35:21.

على سر الحمل يقدِّمونه كل يوم على المذابح ليُشبعوا **الرعية!**

9:2 **«وَإِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ وَقَفَ بِهِمْ، وَمَجْدُ الرَّبِّ أَضَاءَ حَوْلَهُمْ، فَخَافُوا خَوْفاً عَظِيماً».**

الليل ليل شتاء، وظلمة الشتاء ثقيلة، وأي بصيص نور يجذب الأبصار، فما بالك بنور مجد الله بضياء يملأ السماء والأرض على مستوى البرق، وفي لحظة يلفُّهم النور وكأنهم صاروا في بؤرة الشمس بلا حرارة. فأي خوف يتحتَّم أن يعتريهم؟ وهم رعاة سُذَّج. ولكن الذي يسترعي أبصارنا نحن أن يكون هذا ضياء **مجد الرب نفسه**، وهو نفسه ملقى هادئاً في المذود يلفُّه قماط!!! وتم القول: «الذي نزل من السماء (إلى الأرض)، ابن الإنسان الذي هو في السماء» (يو 13:3). مَنْ يفهم ومَنْ يصدِّق ومَنْ يسبِّح؟ أليس هذا المنظر فيه ما يفك أُحجية التجسُّد؟؟ على المستوى العلني والمنظور.

10:2 **«فَقَالَ لَهُمُ الْمَلاَكُ: لاَ تَخَافُوا. فَهَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ».**

"خوف عظيم"، و«فرح عظيم»:

أليس هذا هو الإنجيل أي البشارة المفرحة جداً؟ أول مَنْ فسَّره ملاك، وأول مَنْ سمعته آذان رعاة! واللغز هنا بديع، فالبشارة للرعاة، والفرح للشعب، وما على الرعاة إلاَّ البلاغ. وكأنه في مخافة عظيمة جداً يتقبَّل الرعاة البشارة لينقلوها مفرِّحة لجميع الشعب. وهكذا فأول مَنْ سمع البشارة ورأى المولود هم الرعاة، إن في هذا تناسقاً بديعاً.

ولكن نقطة التركيز في هذه الآية أن البشارة بالميلاد فيها **فرح عظيم**، وكم مرَّة عيَّدنا للبشارة ولم نفرح؟ بل وكم مرة قرأنا وسمعنا البشارة ولم نفرح؟ إن في هذا إشارة إلى عطل في السمع والفكر في تقبُّلنا لأعمال الله وأسراره، لنا آذان لا تسمع! إن الفرح العظيم الذي يكون لجميع الشعب انطلق من الميلاد ليؤسِّس دعامة في قلب الإنسان لا يمحوها الزمن، ارتفعت عالياً يوم القيامة لتنهي عهد شقاء الإنسان إلى الأبد: «أبشِّركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب» كل الأيام.

11:2 **«أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ».**

هذا هو **"الفرح العظيم"**، يقول الملاك: «أبشِّركم بفرح عظيم... أنه **وُلد لكم مخلِّص**» نقول تعليقاً على قول الملاك: "الفرح قد وُلِد في أرواحنا وليس في جسدنا. والجسد يموت ويبقى الفرح العظيم نحمله معنا إلى السماء، فلا الموت ولا الحزن ولا العالم يقدر أن يلغي فرحنا. فرحنا في روحنا، فهو بمنأى عن أتعاب هذا الدهر. يشقى الجسد ويمرض ويتألم جداً وطويلاً، ولكن يبقى

فرحنا غالباً. المسيح قام، والمسيح لن يموت بعد، وهكذا فرحنا لن يموت إلى الأبد".

هنا دخلت الرواية التاريخ رسمياً، وابتدأ للتو العدّ التصاعدي للصليب. فليس اعتباطاً أن يقرن الملاك المولود بـ "الخلاص". فيوم الرب هو يوم الخلاص بكل تأكيد. فإن كان قد وُلد يسوع حسب تسمية الملاك ليوسف سابقاً؛ فهو، بآن واحد، مسيَّا الله القادم بالخلاص على كتفيه: «لأنه يخلّص شعبه من خطاياهم.» (مت 21:1)

عيني على الطفل المقمَّط في المذود كيف وُلِد ليُصلب؟ إذ حمل هذه الألقاب جميعها من فم الملاك: "مخلّص هو المسيح الرب".

أما فرحة الرعاة بالحمل المولود، فلأنه سيعفيهم من رعي الغنم لحساب الهيكل ومن سهر الليالي في شتاء بيت لحم القارس، فقد قدَّم نفسه ـ عوضاً عن جميع خرافهم ـ مرة واحدة لخلاص العالم كله. فليقفل الهيكل أبوابه ويسرّح رعاته مع قطعانهم!!

12:2 **«وَهذِهِ لَكُمُ الْعَلاَمَةُ: تَجِدُونَ طِفْلاً مُقَمَّطاً مُضْجَعاً فِي مِذْوَدٍ».**

وكما أوحى ملاك البشارة للعذراء القديسة لزيارة أليصابات كونه أعطاها مثلاً لتتأكَّد منه على أنه ليس شيءٌ غير ممكن لدى الله، فهو كما يعطي العاقر ولداً يعطي العذراء حَمْلاً؛ هكذا ملاك الرعاة أعطاهم العلامة: طفلاً مقمَّطاً موضوعاً في مذود وعلى قيد خطوات من مركز سهرهم! فقاموا كما قامت العذراء وأسرعوا، وكان قصد الملاك على المستوى الأعلى أن يروا المسيَّا رؤية العين ويقين اللمس: «الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه، ولمسته أيدينا، من جهة كلمة الحياة!!» (1يو 1:1)، حتى إذا رأوا ولمسوا وتحققوا، يذيعون خبرتهم هذه التي بالعين واليد: «وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظْهِرَت لنا (طفلاً في مذود)» (1يو 2:1). وهكذا صار الرعاة أول الشهود وأول الرسل. ولكن كان الملاك بادئ كل ذي بدء عاطفاً أشد العطف على تلك العذراء الوالدة، فأراد أن يفرّح قلبها بأعظم شهادة تجيئها في منتصف الليل من فم الرعاة، كما رأوا في السماء وسمعوا أن الذي في حجرها تسبحه الملائكة، وهو حقاً المسيَّا والمخلّص.

«تجدون طفلاً مُقمَّطاً مُضجعاً في مذود»:

منظر لفقر الابن الذي بلغ أقصى قراره، معطياً صورة منظورة لسرِّ الإخلاء من أمجاده غير المنظورة. فالذي هو في صورة الله في البهاء والمجد، أخلى ذاته ليظهر مستضعفاً هكذا في صورة عبد!

عجيب وليس عجباً، أن الذي خلقنا على صورته، يعود ويأخذ صورتنا لنفسه، لكي بنفسه

يفدي الصورة التي خلقها!

عظيم السموات ارتأى أن يُلفَّ بالخرق، لأن الذي هو في حضن الآب اشتهى أن يحتضنه مذود!

مروِّع للذهن جداً انحدار الابن من سماواته العُلا إلى تراب الأرض وطين المذود.

فأدركنا وارتعبنا أن هذا هو المعادل لانحدار الإنسان من البرارة أمام الله إلى حضيض العصيان وطين الخطية.

وما كان المذود إلاَّ توطئة لتمزيق ذات الجسد على خشبة العار، ثم إسناده إلى ظلمة القبر ميتاً.

ولكن هي محبة الآب التي أحدرته إلى عالمنا، لكي بميلاده لنا يلدنا له، وليمحو بعاره عارنا، ويلغي بموته موتنا، وببره يبرِّرنا!!

13:2و14 «**وَظَهَرَ بَغْتَةً مَعَ الْمَلاَكِ جُمْهُورٌ مِنَ الْجُنْدِ السَّمَاوِيِّ مُسَبِّحِينَ اللهَ وَقَائِلِينَ: الْمَجْدُ للهِ فِي الأَعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ.**».

ثلاث تسبيحات على مستوى الثلاثة تقديسات، لأن سرَّ اللاهوت انفتح على عالمنا.

هنا بحسب اللاهوت: إعلان (إبيفانيا) ™pif£neia واستعلان إلهي (ثيوفانيا) qeof£neia معاً. أما الإعلان فبيد ملاك هو "ملاك الرب" الخاص حاملاً إعلاناً من الله للرعاة، وأما الاستعلان فهو استعلان الله نفسه الذي سبق وعبَّر عنه القديس لوقا بأن «مجد الرب أضاء حولهم» بهذا نفهم الفرق بين الملاك وجمهور الجند؛ فالملاك مُرسَل من الله، أما جمهور الجند السمائي فهم خُدَّام العرش المحيطون بالرب يظهرون لحظة استعلان الرب أو ظهوره، وهنا استعلان في السماء وظهور على الأرض!!

لذلك يُلاحظ هنا أن التسبحة بدأت أولاً بـ "**المجد لله**"، وهو **صراخ الذكصا** كإعلان تسبيحي لحضور العظمة في ملء السموات العُلا فوق الصبي! أما "**السلام على الأرض**" فهو لنزول رب السلام لحظة لمس جسد المولود أرض الشقاء ليملأ أرضنا سلاماً لا يُنزع منا إلى الأبد؛ وأما "**في الناس المسرَّة**"، فلأن مصدر السرور والفرح الإلهي أخذ لحماً من لحمنا وتجنَّس بجنسنا، ولن ينزعنا عنه إلى الأبد. فيا لسعدنا بالذي وُلد لنا. وهل يُعقل أن يُولد لنا ولد ونُعطى ابناً هو من السماء وليس من أرضنا، والله أبوه أرسله إلينا ليحملنا إليه؟

كان لابد للملائكة أن تترنَّم في السموات العُلا وتردد صداها الأرض إلى الأبد. فالقدير صنع بنا عظائم، وأحزان البشرية أشرق عليها سلام وفرح!

إن ما يقوم به أهل الغرب، ليلة الكريسماس، بالفرح والتهليل بكل آلات الموسيقى والغناء

والرقص في كل شارع وميدان وزقاق وركن ويخرج الجميع عن رزانتهم، هو استجابة سنوية لتهليل السماء. ومنذ القديم وإشعياء يترنَّم أيضاً بلسان النبوَّة قبل الميلاد بسبعمائة عام:

+ «ولكن لا يكون ظلام للتي عليها ضيق. كما أهان الزمان الأول أرض زبولون وأرض نفتالي، يُكْرِم الأخير طريق البحر عَبْرَ الأردن جليل الأمم.
الشعب الجالس في الظلمة أبصر نوراً عظيماً، الجالسون في أرض ظلال الموت أشرق عليهم نور. أَكْثَرْتَ الأُمَّة، **عَظَّمْتَ لها الفرح. يفرحون أمامك كالفرح في الحصاد، كالذين يبتهجون عندما يقتسمون غنيمة...**

لأنه يُولَد لنا ولد، ونُعْطَى ابناً، وتكون الرياسة على كَتِفِهِ، ويُدعى اسمه: عجيباً، مشيراً، إلهاً قديراً، أباً أبدياً، رئيس السلام. لنمو رياسته وللسلام لا نهاية، على كرسي داود وعلى مملكته ليثبِّتها ويَعْضُدَها بالحق والبرِّ من الآن إلى الأبد. غيرة رب الجنود تصنع هذا.» (إش 9:1-7)

طوباك يا إشعياء، يا مَنْ رأى النور في حَلَكْ الظلام، والسلام والفرح والبر والملكوت في حجر المولود في مذود بيت لحم!! وهكذا فإن كانت الملائكة سبَّحت بأفضل ما عندها، فلم تعدم البشرية نبيًّا سبَّح بأعظم منها!!

15:2 **«وَلَمَّا مَضَتْ عَنْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ إِلى السَّمَاءِ، قَالَ الرجَالُ الرُّعَاةُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لِنَذْهَبِ الآنَ إِلى بَيْتِ لَحْمٍ وَنَنْظُرْ هذا الأَمْرَ الْوَاقِعَ الَّذِي أَعْلَمَنَا بِهِ الرَّبُّ».**

وكما أسرعت مريم لزيارة أليصابات لتحكي لها ما فعل الرب بها، أسرع الرعاة أيضاً إلى مريم يحكون لها ما أعلمهم به الرب وما رأوه وسمعوه. وكما تشدَّدت مريم بأليصابات، تشدَّدت مريم بالرعاة.

ويقول التقليد إن مغارة بيت لحم كانت مغارتهم فهدتهم إليها أرجلهم. كما يقول في موضع آخر أن الذي هداهم إلى مأواهم القديم مصباح كان يشتعل، وضعه أصحاب الخان على باب المغارة، فكان الرعاة أول إرسالية اختارتها السماء كمندوبين فوق العادة من ذات المهنة يمثِّلون العذارى الساهرات.

16:2 **«فَجَاءُوا مُسْرِعِينَ وَوَجَدُوا مَرْيَمَ وَيُوسُفَ وَالطِّفْلَ مُضْجَعاً فِي الْمِذْوَدِ».**

يا للمنظر العجيب والبهي الذي أُغرم به الشعراء والفنانون في كل عصر وكل مِصْر[121]. وكم

(121) مِصْرٌ مفرد أمصارٌ، وتعني أقطاراً أو بلاداً.

مئات بل آلاف الصور والتماثيل والكريشات التي ملأت البيوت والقصور والكنائس، وتباهى بها الملوك والرؤساء والأمراء. وكم يلذ للرسامين أن يجعلوا بجوار أذن الطفل المولود رأس بقرة أو حمار كأنه يُسِرُّ إليه بفرحتهم ويُحيِّي مقدِمَه إلى دارهم، وقد أصرُّوا جميعاً أن يتنازلوا عن مذودهم الخصوصي لمزيد من راحته، ثم يقدِّمون له شكواهم إذ طال عليهم زمان شقائهم: «لأن انتظار الخليقة يتوقَّع استعلان أبناء الله، **إذ أخضِعَت الخليقة للبُطل ليس طوعاً** (وهي بريئة) بل من أجل (آدم) الذي أخضعها على الرجاء (ملعونة الأرض بسببك). لأن الخليقة نفسها أيضاً ستُعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله. فإننا نعلم أن كل الخليقة تئن وتتمخض معاً إلى الآن...» (رو 8:19-22). وكأنه ليس مصادفة أن يختار المخلّص مكان ولادته بين الحيوانات وينام مرتاحاً في مذودهم، فهي الخليقة التي عانت أكثر ظلماً والتي تعهَّد باستجابة شكواها.

17:2و18 **«فَلَمَّا رَأَوْهُ أَخْبَرُوا بِالْكَلاَمِ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ عَنْ هذَا الصَّبِيِّ. وَكُلُّ الَّذِينَ سَمِعُوا تَعَجَّبُوا مِمَّا قِيلَ لَهُمْ مِنَ الرُّعَاةِ».**

نعم لقد رأى الرعاة عياناً بياناً كل ما سمعوا من الملاك، فكانوا شهود إثبات أثلجوا صدر يوسف والعذراء، وباركوا الحمل ليوم الصليب!!

ويبدو أن الرعاة أثاروا حولهم الغرباء الذين اكتظت بهم المدينة، فجاءوا مسرعين معهم وسمعوا ونظروا وتعجَّبوا. ولكنهم كانوا ذوي عيون لا تبصر وآذان لا تسمع لأن: «سرّ الرب لخائفيه.» (مز 14:25)

19:2 **«وَأَمَّا مَرْيَمُ فَكَانَتْ تَحْفَظُ جَمِيعَ هذَا الْكَلاَمِ مُتَفَكِّرَةً بِهِ فِي قَلْبِهَا».**

وكما تحقق كلام الملاك للرعاة، تحقق كلام الرعاة لكل ما سمعته ورأته العذراء وهي تختزن كل هذه التداخلات الإلهية الفائقة في قلبها. ولكن دون أن يدري القديس لوقا خرجت منه هذه الآية لتفصح بلا أي شك أنه أخذها سماعاً من فم العذراء!!

فكون القديس لوقا ينقل لنا ما قاله الملاك وما قاله الرعاة جيد، ولكن أن ينقل لنا ما بداخل قلب العذراء نفسها فهنا يكون قد باح بسرِّ إنجيله وروايته كلها عن الميلاد!! وهنا لا نعدم عظيماً من عظماء الألمان المتحفظين المتتلمذين على الآباء وهو العالم ثيئودور زاهن T. Zahn (1838- 1933) ليقرر هذا التقرير الآبائي عينه أن القديس لوقا ينقل من فم العذراء مباشرة!!! وذلك في شرحه لإنجيل القديس لوقا (ليبزج 1913) ص 147. كذلك العالم إيستون B.S. Easton في شرحه لإنجيل القديس لوقا (1926) ص 25، وشورمان Schürmann في شرحه لإنجيل القديس لوقا (1969) ص 117، وكذلك العالم

ف. فارر في كتابه: "حياة المسيح" - ترجمة عربية - صفحة 29، حيث يقول:

[على أنه استقاها من شفتي العذراء نفسها، والحقيقة أنه يصعب أن نفطن إلى مورد آخر أخذها عنه، لأن الأمهات هُنَّ المؤرخ الطبيعي لسني الطفولة].

وهؤلاء وغيرهم اتفقوا أن هذه الآية تكشف عن المنبع الذي استقى منه القديس لوقا قصة الميلاد بأكملها، والحق ينطق بهذا!!

20:2 **«ثُمَّ رَجَعَ الرَّعَاةُ وَهُمْ يُمَجِّدُونَ اللهَ وَيُسَبِّحُونَهُ عَلَى مَا سَمِعُوهُ وَرَأَوْهُ كَمَا قِيلَ لَهُمْ».**

لقد دخل الرعاة شهود سماع ورؤيا وتحقيق لميلاد المسيح، فكانوا علامة تاريخية محققة في رواية القديس لوقا. وبذلك أدخلوا ضمناً قصة الميلاد إلى شهادة تاريخية وجغرافية وسماوية معاً لها وزنها.

(و) تقديم المسيح في الهيكل
(40-21:2)

يقص ق. لوقا كيف أن الطفل اختُتن حسب عادة اليهود في اليوم الثامن باسم يسوع كما تسمَّى من الملاك قبل أن يُحبل به في البطن، وتمَّت نبوَّة إشعياء النبي: «الرب من البطن دعاني، من أحشاء أمي ذكر اسمي» (إش 1:49). كما يتلقَّى يسوع الطفل النبوات الجديدة من فم سمعان الشيخ عند تقديمه إلى الهيكل: «ليقدِّموه للرب» لأنه البكر فاتح الرحم. كذلك رأته حنة النبية وتكلَّم كلاهما عن مستقبل أيامه في الآيات (25-35) ثم (36-38).

والآن أكمل رجاء إسرائيل واجباته الهيكلية، وسمع وهو رضيع مستقبل عمله لخلاص الشعوب والأُمم وإسرائيل. وهكذا أخذ كل مواصفاته المسيَّانية واضحة من فم سمعان الشيخ، وهو شيخ من شيوخ السنهدرين، وتقبَّل أيضاً نبوَّة عن أحزان مقبلة عليه ورفض وسيف. ولكن تُرك الطفل وحاله لكي يسعد بطفولته ويفرح بصباه على رُبى الجليل، يستقبل الشمس في الفجر بدعاء لقَّنه له "أبوه" ويستودعها في المساء مع دعاء لقَّنته له أمه، يبيت في حضن القدير ويقوم ويلعب مع الصبية. وملأ صياحه البيت والجبل والشارع، فتقدَّست ربوع فلسطين بطهارته، وهلَّلت الطبيعة بمقدمهِ. ولكن تركت ذكريات سمعان وحنّة وكلماتهما التي نطقاها بإلهام إلهي أثراً عميقاً في قلب أمه، وتفكَّرت كثيراً ودائماً ماذا سيكون هذا الصبي. ولم تنسَ هذه النبوات، بل أخذت النبوات تتحقَّق يوماً فيوماً

وتشكّل كل الحوادث والحركات، وتركت على قصة حياته سمات الهيبة والوقار. وحتى الآن، فكل الذين ينفعلون بهذه الحوادث ويستجيبون لأحاسيسها يصبح من السهولة عليهم بل من الفرحة أن يتقبَّلوا كل أعماله فيما بعد.

ولكن لا يفوتنا ما تمَّ في ختانة الصبي وما تمَّ في تقديمه للهيكل إيفاءً لنذور البكر أمام الله، إنها الوصلة القوية التي ربطت بين العهد القديم والعهد الجديد. فالتدبير الإلهي يسير منسَّقاً، ومنها أخذ الصبي اندفاعه الإلهي كنذير الرب يمرق كالسهم وسط صعاب لا حد لها، حاملاً بركات الآباء ودعاء الأنبياء ورجاء كل الدهور السالفة، كذخيرة حيَّة تسير خلفه وتدفعه إلى الأمام. فها هو يا إبراهيم نسلك الموعود الذي عليه حلّت كل بركاتك، وافرح يا يعقوب إسرائيل فهوذا الكوكب قد أشرق من أحضانك، وأنت يا موسى هوذا نبيّك الذي استلم قيادة شعبك من يدك ويهوه يتكلّم به ويحكم. وأنت يا ابن يسَّى هوذا من جذر أبيك خرج الغصن بهيًّا بهاء الشمس في إشراقها.

21:2 **«وَلَمَّا تَمَّتْ ثَمَانِيَةُ أَيَّامٍ لِيَخْتِنُوا الصَّبِيَّ سُمِّيَ يَسُوعَ، كَمَا تَسَمَّى مِنَ الْمَلاَكِ قَبْلَ أَنْ حُبِلَ بِهِ فِي الْبَطْنِ».**

وهكذا تمَّت نبوَّة إشعياء منذ 700 سنة: «اسمعي لي أيتها الجزائر وأصغوا أيها الأمم من بعيد. الرب من البطن دعاني، من أحشاء أمي ذكر اسمي» (إش 1:49) = «فقال لها الملاك: ... ها أنتِ ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع» (لو 1: 30و31). هنا الحبك الإلهي وليس حبك ق. لوقا بعد، فبين إشعياء والملاك تسجيل محفوظ حفظته الأيام والسنين 700 سنة ليقول ما قال بمقتضى النبوَّة وبحسب صوت الله. والاسم يحمل المهمَّة العظمى التي أعطي أن يحملها: «لأن الذي حُبل به فيها هو من الروح القدس، فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع **لأنه يخلّص شعبه من خطاياهم**» (مت 1: 20و21). ولا يزال الاسم يشير إلى من أين أتى قبل أن يأتي إلى بطن أمه: «فلذلك أيضاً القدوس المولود منكِ **يُدعى ابن الله.**» (لو 35:1)

وهكذا تحقّقت أيضاً نبوَّة موسى عن النبي الآتي الذي **يحمل اسم الله:** «أُقيم لهم نبيًّا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلّمهم بكل ما أوصيه به ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي ـ الذي يتكلّم به باسمي ـ أنا أطالبه» (تث 18: 18و19). وفي عدد (15) الذي يسبقه يقول: «يقيم لك الرب إلهك نبيًّا من وسطك من إخوتك **مثلي،** له تسمعون» «ها أنا مُرسل ملاكاً أمام وجهك ليحفظك في الطريق وليجيء بك إلى المكان الذي أعددته، احترز منه واسمع لصوته ولا تتمرَّد عليه لأنه لا يصفح عن ذنوبكم لأن **اسمي فيه**» (خر 23: 20و21) = **أنا هو** ™gè e„mi.

22:2-24 «**وَلَمَّا تَمَّتْ أَيَّامُ تَطْهِيرِهَا، حَسَبَ شَرِيعَةِ مُوسَى، صَعِدُوا بِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِيُقَدِّمُوهُ لِلرَّبِّ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ: أَنَّ كُلَّ ذَكَرٍ فَاتِحَ رَحِمٍ يُدْعَى قُدُّوساً لِلرَّبِّ. وَلِكَيْ يُقَدِّمُوا ذَبِيحَةً كَمَا قِيلَ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ، زَوْجَ يَمَامٍ أَوْ فَرْخَيْ حَمَامٍ**».

أمَّا تطهير الأم القديسة فهذا بناء على وصية سفر اللاويين (لا 6:12): تظل غير طاهرة بسبب الدم 7 أيام، وتبقى في البيت 33 يوماً، وحينئذ تُقدّم الذبيحة في اليوم الأربعين (وبالبلدي يقولون أن الأم ربعنت أي صارت طاهرة ومهيَّأة للخروج). والذبيحة تقدّمها في المكان المخصَّص لذلك عند باب نيكانور في الجزء الشرقي من رواق النساء (لا 12: 1-8).

«**ليقدِّموه**»: parastÁsai

والتقديم هو على مستوى الفعل الذبائحي، فهو مقدَّم ذبيحة لله لأنه الابن البكر، فهو من خاصة الله ويُدعى قدوساً لله، يأخذه لنفسه ليخدمه عوض تقديمه ذبيحة!! لاحظ هنا تقدمة إسحق ذبيحة حسب طلب الله والله فداه بخروف ـ وبسبب ذلك أعطاه الله الوعد بنسل تتبارك فيه كل الأمم. من ذلك اليوم أصبح تقديم البكر لله ليباركه الله ويقدّسه لعلَّ بكراً من كل أبكار إسرائيل يكون هو النسل الموعود لإبراهيم. وهذا قد تمَّ هنا بالحرف الواحد، ومن بعد تقديم "يسوع" البكر إلى الله في الهيكل انقطع نهائياً ناموس تقديم البكر لله!! إذ تمَّ الوعد بتحقيق من فم الملاك: «فلذلك أيضاً القدوس المولود منكِ يُدعى ابن الله.» (لو 35:1)

لذلك بنظرة عميقة معي أيها القارئ تدرك مدى الأهمية اللاهوتية التاريخية المقدَّسة بالنسبة لتقديم المسيح في الهيكل للرب حسب الناموس، الأمر الذي استهزأ به العلماء.

ويُلاحِظ القارئ أنه بعد أن يقدَّم البكر إلى الهيكل ويتراءى أمام الله، كان المفروض أن يُحجز ليخدم الرب، ولكن الله أعفى الأبكار من خدمته واختار بني لاوي لخدمته كسبط بأكمله. وعوض الحجز للخدمة بالنسبة للبكر اقتصر الناموس أن يُدفع لخزانة الهيكل خمسة شواقل، ويمكن دفعها للكاهن في أي مكان (خر 2:13). ولكن عن "يسوع" لم تُدفع الفدية خمسة شواقل، فهو لم يُفْدَ ولكن تقدَّس لله.

وكان على القديسة مريم أن تقدّم ذبيحة التطهير خروفاً يقدَّم محرقة مع فرخ حمامة أو يمامة (لا 6:12)، ولكن لأن العذراء القديسة ويوسف يُعتبران فقيرين اقتصرا على تقديم زوج يمام أو فرخي حمام (لا 8:12). والجميل في هذه التقدمة أن يكون الحمام أو اليمام زوجاً، فهو تعبير طقسي عن حمل النير، فهي تلغي نير الخطية عن كاهلها بزوج حمام أو يمام يقدَّم ذبيحة لله.

25:2 **«وَكَانَ رَجُلٌ فِي أُورُشَلِيمَ اسْمُهُ سِمْعَانُ، وَهَذَا الرَّجُلُ كَانَ بَارًّا تَقِيًّا يَنْتَظِرُ تَعْزِيَةَ إِسْرَائِيلَ، وَالرَّوحُ الْقُدُسُ كَانَ عَلَيْهِ».**

تبتدئ الآية (25) بلغة العهد القديم على نمط الفكر السامي حيث يقدّم الرجل على الاسم.

وصفة **البر** d…kaioj توضّح صلته الوثيقة بالهيكل والعبادة والصلاة والرجاء المبارك، كذلك صفة **التقوى** eÙlab»j تفيد بحسب الفكر الديني القديم شدة الانتظام في تأدية الواجبات الدينية، وهي قريبة من كلمة eÙseb»j. ولكنها قليلة الاستعمال في العهد الجديد إذ لا تمت للتقوى المسيحية، فليس في المسيحية ناموس يُكمَّل، والتقوى في المسيحية هي شدة الإيمان بالمسيح: «عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد.» (1تي 16:3)

ولكن الدليل على اتصال سمعان الشيخ روحياً بالله في العبادة، يؤكّده القول بأن «الروح القدس كان عليه» الأمر الذي تحقّق يقيناً عندما ساقه الروح القدس لدخول الهيكل لحظة دخول العذراء حاملة المسيح، وتعرُّفه على المسيح في الحال وجرأته الحلوة في أخذه الطفل يسوع على ذراعيه. ولكن يسترعينا جداً أنه كان ينتظر **تعزية** إسرائيل par£klhsij طبعاً في شخص المسيَّا الذي ترقَّبوه بدموع! كم كان يتأمَّل في إشعياء ويلتهب قلبه عند قراءة: «عزوا عزوا شعبي يقول إلهكم. طيِّبوا قلب أورشليم ونادوها بأن جهادها قد كمل، أن إثمها قد عُفي عنه، أنها قد قبلت من يد الرب ضعفين عن كل خطاياها. صوت صارخ في البرية أعدوا طريق الرب ...» (إش 40: 1-3). نعم من أجل سمعان وحنة وكل مَنْ كان باراً تقياً ينتظر عزاء إسرائيل كتب إشعياء هذا مُساقاً بالروح!!

+ «ترنّمي أيتها السموات وابتهجي أيتها الأرض، لتُشِدِ الجبال بالترنُّم لأن الرب قد عزّى شعبه وعلى بائسيه يترحَّم.» (إش 13:49)

كان كل عزاء سمعان أن يرى بعينيه الرب ويموت، طلبها من الرب طِلْبة فوعده الرب وعداً أن لا يموت قبل أن يرى مسيح الرب! وكان. أمَّا الروح القدس الذي كان عليه فهو روح النبوَّة الكاشف الآتيات والحاضرات.

26:2 **«وَكَانَ قَدْ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِالرَّوحِ الْقُدُسِ أَنَّـهُ لاَ يَرَى الْمَوْتَ قَبْلَ أَنْ يَرَى مَسِيحَ الرَّبِّ».**

هكذا تكون التقوى وهكذا يكون الإنسان البار، له شهادة من الروح القدس، ووعد!

وفي التقليد القديم كان يعطي الله وعوده **ليراها** الموعود قبل أن **يرى** الموت، تحقيقاً لإيمانه وتشديداً لقومه!! لذلك كان سمعان بالنسبة للإنجيل والعهد الجديد قمَّة في تحقيق وعود الله لتثبيت

الحق والإيمان بالحق. ويُمثّل هذا البار الجزء الحي من إسرائيل الذي سهر ساعات ليله الطويل حتى أشرق عليه فجر الله! هذا هو المحسوب حقًّا ابناً لإبراهيم وحاملاً إيمان إسرائيل، حمل على كتفه كل سنيّه الطوال همّ إسرائيل وأنين المظلومين، وأخيراً وضعه على الذي جاء ليحمله حينما حمله على ذراعيه، فذُرفت دموع التعزية من عينيه وذهب يعدّ نفسه للموت.

27:2-30 «**فَأَتَى بِالرُّوحِ إِلَى الْهَيْكَلِ. وَعِنْدَمَا دَخَلَ بِالصَّبِيِّ يَسُوعَ أَبَوَاهُ، لِيَصْنَعَا لَهُ حَسَبَ عَادَةِ النَّامُوسِ، أَخَذَهُ عَلَى ذِرَاعَيْهِ وَبَارَكَ اللهَ وَقَالَ: الآنَ تُطْلِقُ عَبْدَكَ يَا سَيِّدُ حَسَبَ قَوْلِكَ بِسَلاَمٍ، لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرَتَا خَلاَصَكَ**».

لمَّا بلغ سمعان لحظة الإحساس بالروح أن الآتي أتى، كفَّ عن الدموع والتنهُّد وسحب عصاته وذهب يتوكأ عليها حتى بلغ أعتاب الهيكل. والقول أنه «أتى بالروح ™n tù pneÚmati» تفيد حالة دخول في اختطاف حيث يساق الإنسان بالروح، أو يُقتاد حيث لا يعلم. وكان هذا من المحتَّم حتى يعثر على الطفل وسط مئات الأطفال. فقد ساقه المجال الروحي حتى أدخله إلى الرب يسوع، فكان أول إنسان يتعرَّف على المسيح دون أن يرشده أحد، وكان أول إنسان يرى الخلاص رؤية العين! وأول إنسان يمتد بالخلاص نوراً إلى كل العالم!

«**أخذه على ذراعيه**»: ¢gk£laj
وتفيد الذراع المثني ليحمل الإنسان عليه شيئاً بالذراعين معاً!

«**وبارك الله**»: eÙlÒghsen
وتفيد كلام بركة وتسبيح ومديح: إن سمعان الشيخ هو بحد ذاته أنشودة الميلاد!!

وبعدها نطق سمعان بقوله موزوناً وزناً شعرياً عالياً من أدق الأشعار التي جاءت في قصة الميلاد حسب خبراء الشعر. وقد جاءت تسبحته مكمِّلة لنشيد زكريا وأليصابات والعذراء. وقد اتخذتها الكنيسة في تقليدها وصلواتها وطقوسها في التعبُّد الشخصي حتى اليوم.

وبقوله: «الآن nàn» يعطي إشارة أن الآن بدأ الخلاص فلتَسْتَرِح روحي في يد باريها. وهكذا أعدَّ نفسه للموت وطلبه كانطلاق قلب مضيء محمولاً على النور ينساب في سلام إلى موطنه السماوي بإيمان المسيح والخلاص كأقوى إيمان. لم يكن لدى سمعان أي دليل على أنه المسيح، ولا على أن الخلاص في يديه، لم يسمع المسيح فهو في المهد، ولا حتى سأل أمه عن شيء مما له، مما يؤكّد أن الروح أراه كل شيء دون أي علامة ظاهرة. وكأنه لمَّا حمل الطفل يسوع على ذراعيه حمل

الصليب والفداء والخلاص وكل سر المسيح وحياته. وسبق وذاق الحياة الأبدية حتى قبل أن تظهر وتراها وتلمسها العين واليد عند القديس يوحنا. وكأنَّ الإنجيل كُلّه دخل في الرؤيا والإلهام عند سمعان، والروح عرَّفه كل شيء!

«لأن عيني قد أبصرتا خلاصك»:

وهكذا انكشف سر سلامه الذي انطلق به. فرؤية الخلاص معناها أنه أمسك به، فأفرغت كل حياته الماضية من كل ما يعطل انطلاقه: «أمسكْ بالحياة الأبدية التي إليها دُعيت.» (1تي 12:6)

31:2و32 **«الَّذِي أَعْدَدْتَهُ قُدَّامَ وَجْهِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. نُورَ إِعْلاَنٍ لِلأُمَمِ، وَمَجْداً لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ».**

حينما تواجه سمعان بالروح مع المسيح أي الخلاص وجهاً لوجه، اعتبر أن هذا هو جوهر الخلاص: رؤيا علنية شخصية prÒswpon حيث البروسوبون هو الوجه وهو الحضرة وهو المواجهة. فقد أدرك سمعان أن خبرته ستكون خبرة كل شعوب الأرض، حيث أعاد التأكيد بقوله: «نور إعلان للأمم» فالخلاص سيكون على مستوى النور يراه كل بشر، لا برؤيا العين ولكن بالاستعلان كما رآه هو. لأنه كيف يكون الطفل الرضيع هو هو الخلاص؟ أليس هذا هو أعلى درجة للاستعلان بالنسبة للمسيح والخلاص الذي أكمل؟

لأن كلمة **"إعلان"** جاءت باليونانية هكذا: ¢pok£luyin التي تعني رؤيا بالروح بغير المنظور ولا معقول! وهذا يتم أمام أعيننا كل يوم، فالمسيح يستعلن الآن لكل الأمم بالروح وينالون منه الخلاص بالإيمان الفائق للعيان، بالروح القدس الذي يُلهب قلوبهم وأرواحهم. إن سر سمعان الشيخ هو أن الروح القدس كان عليه وتقبَّل الوحي منه أنه سيرى (بالروح) الخلاص!! فاقتيد بالروح ورأى وآمن وسبَّح! وهكذا يَرى سمعان أن خبرته بعينها سوف تتلقَّفها كل الأمم كنور يهدي قلوبهم إلى رؤية الخلاص بالاستعلان!

ويضم إشعياء نور الأمم ومجد إسرائيل معاً هكذا: «والآن قال الرب جابلي من البطن عبداً له لإرجاع يعقوب إليه فينضم إليه إسرائيل فأتمجَّد في عيني الرب وإلهي يصير قوتي ... قد جعلتك نوراً للأمم لتكون خلاصي إلى أقصى الأرض» (إش 49: 5و6)، «أنا الرب قد دعوتك بالبر فأمسك بيدك وأحفظك وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم.» (إش 6:42)

33:2-35 **«وَكَانَ يُوسُفُ وَأُمُّهُ يَتَعَجَّبَانِ مِمَّا قِيلَ فِيهِ. وَبَارَكَهُمَا سِمْعَانُ، وَقَالَ لِمَرْيَمَ أُمِّهِ: هَا إِنَّ هذَا قَدْ وُضِعَ لِسُقُوطِ وَقِيَامِ كَثِيرِينَ فِي إِسْرَائِيلَ، وَلِعَلاَمَةٍ تُقَاوَمُ. وَأَنْتِ أَيْضاً يَجُوزُ فِي**

نَفْسِكِ سَيْفٌ، لِتُعْلَنَ أَفْكَارٌ مِنْ قُلُوبٍ كَثِيرَةٍ».

يعثر العلماء من تعجُّب يوسف وأمه مما قيل، ظنًّا منهم أنهما كانا ينبغي أن يكونا أكثر رؤية ومعرفة واستعلان من سمعان. ولكن فات عليهم أنهما ولأول مرَّة سمعا أن المسيح هذا سيكون نوراً للأمم وخلاصاً لجميع الشعوب. هذه النغمة لم تطلق في إسرائيل حتى وإن كانت في الأنبياء، فاليهودي معادٍ بطبيعته لكل ما هو أُممي. كذلك كان تعجُّبهما شديداً إذ من أين عرف هذا الشيخ بسر الصبي وعلو شأنه على كل شعوب الأرض. الآن نحن نعرف أن الروح القدس كان عليه ولكن لا يوسف ولا مريم القديسة كانا يعرفان هذا.

والمفرِّح حقًّا هو أنه بدل أن يطلب البركة من أمه العذراء القديسة، نجده يباركها، كل هذا بسبب الروح القدس الذي جعل له انتماءً شديداً للمسيح الطفل وأمه ويوسف أيضاً. وكونه يباركهما فلأنه كان مملوءاً بركة، والروح يفيض من شفتيه بكل الحب والعزاء والتمجيد والبركة. وقد خصَّ العذراء القديسة بتنبؤاته الحزينة عن رسالة الصليب التي ستسقط كثيرين في العثرة وتقيم الكثيرين بالمجد: «كما هو مكتوب ها أنا أضع في صهيون حجر صدمة وصخرة عثرة وكل مَنْ يؤمن به لا يُخزى» (رو 9:33). أمَّا هي فسوف يجوز الحزن في قلبها كالسيف، وهي واقفة أمام الصليب تودّع ابنها الوحيد الذي تقبّلت فيه كل المجد من السماء والملائكة والرؤى. أمَّا يوسف فلأنه مات قبل الصليب فلم يُصبْه عزاءٌ لحزن.

36:2و37 **«وَكَانَتْ نَبِيَّةٌ، حَنَّةُ بِنْتُ فَنُوئِيلَ مِنْ سِبْطِ أَشِيرَ، وَهِيَ مُتَقَدِّمَةٌ فِي أَيَّامٍ كَثِيرَةٍ، قَدْ عَاشَتْ مَعَ زَوْجٍ سَبْعَ سِنِينَ بَعْدَ بُكُورِيَّتِهَا. وَهِيَ أَرْمَلَةٌ نَحْوَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً، لاَ تُفَارِقُ الْهَيْكَلَ، عَابِدَةً بِأَصْوَامٍ وَطِلِبَاتٍ لَيْلاً وَنَهَاراً».**

«حنّة» هي بالعبرية: hannah ، وفنوئيل معناها: "وجه الله" penuel (1أي 4:4، 25:8). وسبط "أشير" هو بالعبرية: م er ومعناها: "الحظ السعيد". وهو واحد من الأسباط العشرة المستوطنة للجزء الشمالي. وكان لهذه النبية رؤية إلهية لمعرفة الأشياء الخفية عن الناس العاديين، وبهذه الرؤية استطاعت أن تتعرَّف على الطفل يسوع داخل الهيكل الذي كانت تستوطنه أربعاً وثمانين سنة تصلّي صائمة. ولمَّا تعرَّفت عليه أخذت تعلن لجميع الذين يترجّون الخلاص مثلها. ولكن أهم ما يثير انتباهنا إلى هذا الشاهد المبارك كونها متقدّمة جداً في سنّها 7+84=91 سنة +14 سنة قبل الزواج = 105 سنة (انظر يهوديت 23:16)، وتملك رؤية روحية عالية. كذلك فإن قدرتها على الصوم

المتواتر والصلاة الدائمة هي نموذج يُخزي الكثير من المسيحيين، وقدرتها على سهر الليل أمر يفوق العقول لأن إمكانية الدفء والحاجة إلى النور غير متوفرة داخل الهيكل. أمَّا انعزالها عن العالم فهو حقًّا مثير للعقل، وربما كان هذا كله سبباً في حيازتها على نعمة الله التي فتحت لها المجال للتعرُّف على المسيح.

38:2 **«فَهِيَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ وَقَفَتْ تُسَبِّحُ الرَّبَّ، وَتَكَلَّمَتْ عَنْهُ مَعَ جَمِيعِ الْمُنْتَظِرِينَ فِدَاءً فِي أُورُشَلِيمَ».**

واضح أن حياتها المديدة في الصلاة والصوم والعبادة كونها نبيَّة جعلتها ذات حساسية مرهفة للزمن وحركات السماء. فلمَّا دخلت العذراء حاملة المسيح أحسَّت بروحها هذا المجال الشديد الذي تفاعل مع إحساسها، فقامت بسرعة يقودها الروح حتى وقفت أمام الطفل يسوع تمجِّد وتسبِّح الله. وتحكي عمَّنْ هو هذا المحمول على الذراع وعن الفداء المزمع أن يكون على يديه:

+ «أشيدي ترنَّمي معاً يا برية œrhma أورشليم لأن الرب قد عزَّى شعبه فدى أورشليم.» (إش 9:52 حسب الترجمة السبعينية)

«فداءً في أورشليم»: lÚtrwsin

وتعني الخلاص والتحرير على يد المسيح وبالتالي يكون هو المسيَّا عزاء إسرائيل.

وهكذا لم تُعدم أورشليم من امرأة مُلْهَمة نبية تستقبل الخلاص في المهد بعين واعية للرسالة الأزلية.

39:2و40 **«وَلَمَّا أَكْمَلُوا كُلَّ شَيْءٍ حَسَبَ نَامُوسِ الرَّبِّ، رَجَعُوا إِلَى الْجَلِيلِ إِلَى مَدِينَتِهِمِ النَّاصِرَةِ. وَكَانَ الصَّبِيُّ يَنْمُو وَيَتَقَوَّى بِالرُّوحِ، مُمْتَلِئاً حِكْمَةً، وَكَانَتْ نِعْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ».**

هنا عودة العائلة المقدَّسة إلى الجليل، فالناصرة تهيِّئ للطفل نمواً هادئاً، بعيداً عن المدينة، حيث دراسة التوراة على يد معلِّم وحضور المجمع متواتراً وسماع الكلمات والنبوات التي أيقظت فيه وعي النبوة، ثم إلهام الرسالة، وتكميل كل ما سبق وكُتب عنه في الأنبياء والكتب. وكان هذا حتمياً ليبدأ الرسالة على وعي من ذاته ومن صِلاته بالتوراة والإنسانية التي صار واحداً منها وحاملاً لكل أتعابها وضعفاتها لتبدأ غيرة الرب تصنع فيه مشيئة الآب. وفيما كانت حياته قبل الثانية عشر، كان الصبي يسوع ينمو ويتقوَّى بالروح بحسب العلامات التي بدت عليه ورصدتها أُمه واستودعتها قلبها، إلى أن حان ميعادها واستلمها ق. لوقا ليذيعها على العالم، لتدخل ضمن رسالة الخلاص في الصميم. فانفتاح الذهن والعمق الروحي على معرفة الله وتقبّل روح الحكمة لترافق النمو في القامات الجسدية أمر هام للغاية. لأن بَدْء عمل اللاهوت انتظر حتى بلغ المسيح الثلاثين من عمره، أي حين أكمل

كل القامات البشرية بكل حكمة ورزانة، لا لمنفعته الخاصة وحسب، ولكن لكي يسلّمنا هذه القامات جميعاً مقدَّسة وبحالة روحية كاملة ونعمة.

(ز) زيارة المسيح للهيكل لحضور الفصح
(2: 41-52)

هنا يودّع المسيح مرحلة الطفولة وذكريات الطفولة حينما بلغ الاثني عشر، وهو السن الذي يبلغ فيه الصبي اليهودي تعلُّم التوراة ويُكرَّس ابناً للتوراة، ليتهيَّأ للدخول في سن الشباب والرجولة وهو كامل المعرفة بتراث أجداده الروحي وعلاقته بالله. ولكن هنا الصبي يسوع ابتدأ يظهر فيه امتياز الحكمة والنعمة في معرفة التوراة مبكّراً، وظهر هذا بوضوح لعلماء اليهود في الهيكل لمَّا بدأوا يسألونه ويتقبَّلون جوابه. كما ظهر فيه حنينه إلى الهيكل بيت الله الذي أدرك بانفتاح وعيه أنه "بيت أبيه". كما بدأت علاقته بالله ينكشف فيها إحساسه أن الله أبوه. وهكذا أظهرت قصة زيارته للهيكل وهو في سن الثانية عشرة نضوج إحساسه بأبوَّة الله له، وإحساسه بنفسه أنه ابن الله، وابتدأ يفرّق بشدَّة بين علاقته «بأبويه» وعلاقته بأبيه السماوي، إذ ابتدأ ينسلخ من الأولى لينضم للثانية «ينبغي أن أكون في ما لأبي.» (لو 2:49)

وبالاختصار، فإن قصة يسوع وهو في الهيكل كشفت قدرته الفائقة في التعلُّم والمعرفة والسلوك التي بدأت تخط خطوطها لتصنع منه معلّم المستقبل. ولكن القصة بكل ملابساتها لا توضّح نوعاً من التفوُّق البشري على مستوى الألوهة، لأن كل الانفعالات البشرية واضحة أنها تعمل لاستكمال القامة البشرية فيه وليس للخروج عنها لإعلان ما هو إلهي فيه. وواضح بلا شك أن عوامل الألوهة كانت كامنة فيه ومكبوتة تحت تدبير الله وعمله، عكس كل كتابات الأبوكريفا التي تَنْسِب إليه عمل المعجزات وهو صبي.

2: 41-43 **«وَكَانَ أَبَوَاهُ يَذْهَبَانِ كُلَّ سَنَةٍ إِلى أُورُشَلِيمَ فِي عِيدِ الْفِصْحِ. وَلَمَّا كَانَتْ لَهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً صعِدُوا إِلى أُورُشَلِيمَ كَعَادَةِ الْعِيدِ. وَبَعْدَمَا أَكْمَلُوا الأَيَّامَ بَقِيَ عِنْدَ رُجُوعِهِمَا الصَّبِيَّ يَسُوعُ فِي أُورُشَلِيمَ، وَيُوسُفُ وَأُمُّهُ لَمْ يَعْلَمَا».**

كان الفصح أكبر أعياد اليهود الثلاثة التي كان ينبغي لليهود أن يحضروا إلى أورشليم لتكميل

طقوسها. أمَّا العيدان الآخران فهما عيد الخمسين وعيد المظال. ولكن كان التشديد على لزوم حضور اليهودي للفصح في أورشليم لأنه عيد تذكاري لحركة الأمة كلها، وهو تذكار خروج شعب إسرائيل من مصر بآيات ومعجزات كثيرة وبقوة ذراع الرب، حيث كان ذبح خروف الفصح بدء حركة الأمة السرية وكانت العلامة الدم على الأبواب.

ولو أن المسيح كان ابن اثنتي عشرة سنة، والتكريس الرسمي للفتى اليهودي يتم في سن 13 سنة، إلاَّ أن التبكير في التعلُّم مطلوب، وكان سن الاثنى عشر سنًّا يبشِّر بمدى صلاحية الفتى للانخراط في عضوية الأمة.

وعلى أي حال لم تكن هذه هي الزيارة الأولى ولا الأخيرة، ولكنها حدثٌ في حياة المسيح! استطاع ق. لوقا أن يلتقطه من أمه ليلقي به الضوء على كيفية نمو المسيح في الروح بالنسبة لرسالته القادمة.

وكان حضور عيد الفصح يستمر سبعة أيام لتكميل عيد الفطير (خر 15:12؛ لا 8:23؛ تث 3:16)، وكان محتَّماً على الحجاج أن يبقوا في أورشليم يومين على الأقل. ولمَّا أمضى يوسف ومريم المدة الكافية عادا مع الرفقة، وهي مجموعات كبيرة من المعارف لكل بلد، ولم ينتبها أن المسيح تخلَّف عنهما.

2:44-46 **«وَإِذْ ظَنَّاهُ بَيْنَ الرُّفْقَةِ، ذَهَبَا مَسِيرَةَ يَوْمٍ، وَكَانَا يَطْلُبَانِهِ بَيْنَ الأَقْرِبَاءِ وَالْمَعَارِفِ. وَلَمَّا لَمْ يَجِدَاهُ رَجَعَا إِلَى أُورُشَلِيمَ يَطْلُبَانِهِ. وَبَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ وَجَدَاهُ فِي الْهَيْكَلِ، جَالِساً فِي وَسْطِ الْمُعَلِّمِينَ، يَسْمَعُهُمْ وَيَسْأَلُهُمْ».**

كانت المسيرة للعودة من أورشليم في مجموعات ضخمة، كل بلد لها حجيجها وكل مجموعة تُمَثِّل "كرافان" (أي قافلة) sunod...v . والعادة أن الأولاد يجتمعون معاً في ذات المسيرة. وهكذا بعد أن قطعا من الرحلة يوماً كاملاً أي ما يقدَّر بعشرين ميلاً، والرحلة كلها تقدَّر بين 60 - 70 ميلاً، عادا مسرعين إلى أورشليم مرَّة أخرى. والثلاثة أيام التي استغرقها البحث عن "يسوع" هي يوم للذهاب ويوم للعودة إلى أورشليم ويوم بحثاً عنه. ووجداه وسط المعلمين الذين اعتادوا في أيام الفصح أن يتواجدوا جميعاً في الهيكل لتعليم شعب الشتات الآتي من جميع أنحاء العالم. وكانوا يعملون حلقات حلقات للتعليم والسؤال والجواب، التي هي الطريقة التقليدية في كاتشزم اليهود الذي تناقلته الكنيسة عنهم. وبسهولة وجدوا المسيح جالساً وسط المعلمين يسمع ويسأل.

2:47-50 **«وَكُلُّ الَّذِينَ سَمِعُوهُ بُهِتُوا مِنْ فَهْمِهِ وَأَجْوِبَتِهِ. فَلَمَّا أَبْصَرَاهُ انْدَهَشَا. وَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: يَا بُنَيَّ،**

لِمَاذا فَعَلْتَ بِنَا هكَذَا؟ هُوَذَا أَبُوكَ وَأَنَا كُنَّا نَطْلُبُكَ مُعَذَّبَيْنِ! فَقَالَ لَهُمَا: لِمَاذَا كُنْتُمَا تَطْلُبَانِنِي؟ أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ أَكُونَ فِي مَا لأَبي؟ فَلَمْ يَفْهَمَا الْكَلاَمَ الَّذِي قَالَهُ لَهُمَا».

هنا المسيح يجوز قامة التلمذة فيسلّمها لنا ناشطة ذكية قادرة أن تسمع جيداً قبل أن ترد، وقادرة أن تسأل الأسئلة المحيِّرة للعلماء، فيكشف درايته بالقراءة المتأنية للناموس والأنبياء التي يستخرج منها ما لم يخطر على بال العلماء من لمسات الله الخفية ومقاصده العالية. وهكذا يعطينا الفتى يسوع صورة لما سيكون عليه تعليمه، ويتحقّق لنا مسبقاً قدرته على إفحام الكتبة والفريسيين عن مقدرة ودراية.

فقراءته الأولى للأسفار كانت له بشبه مرآة رأى صورته فيها واضحة فتعرَّف على مضمونها على المستوى التحقيقي المقتدر، فكان يقرأ فيها ويدرس كمَنْ سبق وكتبها بيده. ولكن لطول الزمان بهتت معالمها فأعاد رونقها لنفسه وأعدَّها لإلقاء دروسه المستقبلية. فكان حينما يعرض بعض صورها التي أعاد جدّتها على المعلمين كانوا يندهشون، إذ يجدون في شرحه لفكرته عنها خلوها من الغوامض العويصة وإبرازها بصورة محببة للنفس تخلو من حشو الكتبة وفلسفة الفريسيين العقيمة. وكانوا حينما يسألونه، يحاورهم بسؤال في المقابل فيفهمون أنه غير موافق على سؤالهم، فيتعجَّبون ولا يعرفون كيف يردون عليه؛ وهكذا.

وفجأة ضبطته أمه منهمكاً في محاوراته التي سرقت أياماً من حياته بعيداً عن أمه، فلمَّا سألته كيف يصنع بهما هذا الأمر الذي أربكهما تعجَّب هو الآخر، وهل يوجد له عمل آخر غير أن يوجد في الهيكل والتوراة اللذين من أجلهما ولدته وهي لا تدري؟ ولمَّا ذكرت كلمة "أبوك" تعجَّب! وهل يوجد له أب غير أبيه السماوي، وبهذا نفى علاقته بأبيه بحسب ظن الناس ومداراة العذراء، لأنه بدأ بالروح يحنّ إلى أبيه السماوي الحقيقي حتى أدرك علاقته السرية به، فخرج فجأة على ادعاء أمه أن يوسف ذو قرابة به وهو لا يمت له بصلة.

51:2 **«ثُمَّ نَزَلَ مَعَهُمَا وَجَاءَ إِلَى النَّاصِرَةِ وَكَانَ خَاضِعاً لَهُمَا. وَكَانَتْ أُمَّهُ تَحْفَظُ جَمِيعَ هذِهِ الأُمُور فِي قَلْبِهَا».**

واضح جداً من أنهما لم يفهما الكلام أنه لم يكن كلاماً عادياً، وأن قوله «ينبغي أن أكون فيما لأبي» لم يكن مثل كلام أي يهودي عن علاقته بإله إسرائيل. ولكن لماذا يقول هذا؟ هذا هو الذي فات عليهما، فهو يراجع قولها له أن أبويه كانا يطلبانه معذبين، وهو أولاً ليس له أب إلاَّ الذي

أحسَّ بالروح أنه أبوه السماوي، وثانياً لماذا يطلبانه مُعذبَيْن؟ كانا ينبغي أن يعرفا أنه بقي في الهيكل ليستمع إلى موسم التعليم السنوي في الفصح، ويبدو أنه سبق أن أشار إلى ذلك لهما. وعلى كلٍّ فقد نزل معهما ليكمّل قامة الطاعة لهما لأنها وصية أبيه التي سوف يعلّم بها. وحتى هنا ففي نزوله للطاعة إشارة إلى نوع من التضحية، إذ كان ينبغي أن يكون طائعاً بالأولى فيما لأبيه.

أمَّا أُمه العذراء فكانت تجلس مع نفسها وتعيد في فكرها ما كان يقوله ويعمله وتحفظه جيداً في سرّها إلى أن يحين الميعاد لكي يَعْلم العالم سر المسيح!!

52:2 **«وَأَمَّا يَسُوعُ فَكَانَ يَتَقَدَّمُ فِي الْحِكْمَةِ وَالْقَامَةِ وَالنِّعْمَةِ، عِنْدَ اللهِ وَالنَّاسِ».**

وهنا تبدأ نهاية قصة الميلاد بدخول المسيح في قامة الرجولة التي تستغرق من الآن 18 سنة في تقدُّم دائم على مستوى ما رأيناه وسمعناه في الهيكل: معرفة بالأسفار تضيئُها حكمة سماوية ونعمة خاصة من الآب السماوي تقود وترتفع به إلى المستوى اللائق بالمعلّم الذي يأخذ من الآب ويعطي للناس بلا مانع، إذ تكون قد استُعلنت الصلة والوحدة بين الابن والآب في الله الواحد!

الميلاد البتولي من العذراء القديسة مريم عند الآباء الأوائل

لقد استلمت الكنيسة المبكّرة جداً هذه الحقيقة كسرّ من أسرار العذراء أولاً ثم الكنيسة، وظل ينتقل بالتسليم الشفاهي منذ أن وُلد المسيح حتى استودعته عناية الله في الإنجيل المقدَّس للقديس متى والقديس لوقا، وبعدها تناقلته أقلام النُسَّاخ. أمَّا خارج إنجيل ق. متى وق. لوقا فقد سجَّلته وثيقة "قانون إيمان الرسل"(122) وموطنها الأصلي كان في الغرب في جنوب فرنسا، وكانت ولا زالت معروفة بـ"وثيقة الغال"، والتي جاء فيها نص الميلاد البتولي هكذا "مولوداً من الروح القدس ومريم العذراء"، ومنها أُخذ قانون الإيمان الروماني المكتوب أصلاً باليونانية مبكّراً جداً سنة 200م. وصار متداولاً في الكنيسة الرومانية(123). ولكن بالرجوع إلى ترتليانوس في أفريقيا وإيرينيئوس (في أسيا

(122) J. Quasten, *Patrology,* 1950, repr. 1983, vol. I, p. 26.

(123) A. Harnack, "Apostolisches Symbolum" in PRE *(=* Herzog-Hauck, *Realencyclopädie für protestantische Theologie und Kirche)* I, 741-755.

الصغرى ثم الغال Gaul) أرجعوا تاريخ هذا القانون الإيماني إلى منتصف القرن الثاني 150م. وفي تلك الأيام كان هذا القانون مستخدماً بالفعل في الكنيسة الرومانية، والإيمان به كان مقرراً رسمياً في قانون التعميد، وكان قد سرى ليس في كنيسة روما فقط بل في كل أنحاء العالم القديم، بحيث صار الإيمان بالمسيح يقوم أساساً على الميلاد من العذراء والصلب والموت والقيامة ثم الصعود والجلوس عن يمين الله والدينونة الآتية. وهذا كان المختصر المركّز للإيمان المسيحي. وهكذا انغرس في وجدان الإنسان المسيحي الإيمان بالميلاد من العذراء والروح القدس بنفس قوة الإيمان بالصليب والقيامة.

وقد شهد لهذا الإيمان بالميلاد البتولي كل من يوستين الشهيد[124] (100-150م) والقديس إغناطيوس (35-107م) أسقف أنطاكية الشهير الملقّب بحامل الإله (ثيئوفوروس). وواضح أنهما اعتمدا تماماً على القانون القديم. وهذا يفرض علينا أن يكون هذا القانون حتماً منذ سنة 100م[125]. وقد كتب يوستين الشهيد حوالي سنة 150م يقول: إن الإيمان بالميلاد البتولي له أهمية أساسية في الإيمان بالمسيح، وقد دافع طول حياته عنه ضد اليهود والوثنيين.

ويحقّق العالِم زاهن[126] أن استخدام قانون الميلاد البتولي له إشارة منذ سنة (70-120م).

ويقول الفيلسوف اليوناني أرستيدس Aristides في دفاعه (الذي اكتشفه العالِم رندل هاريس) وتاريخه حوالي سنة 140م: إن الإيمان بالميلاد البتولي هو واحد من أُسس الإيمان المسيحي.

أمَّا إغناطيوس أسقف أنطاكية الذي استشهد سنة 107م فيذكر الميلاد البتولي في عدة صفحات، وملخَّص الاعتراف الذي يقوله: "لأن إلهنا يسوع المسيح قد حُبل به في أحشاء مريم (القديسة) بحسب التدبير من نسل داود ولكن أيضاً من الروح القدس. ووُلد واعتمد حتى بآلامه يطهِّر الماء. وكان قد أُخفي عن رئيس هذا العالم عذراوية مريم (القديسة) وحملها للطفل وأيضاً موته. هذه الثلاثة أسرار ينبغي أن ينطق بها عالياً، الأمور التي جرت بعمل الله السرِّي."[127]

لذلك يعلّق العالِم المؤرِّخ هارناك[128] أن القديس إغناطيوس بحد ذاته أنشأ تعليماً كنسياً عن المسيح له مواصفات تاريخية محددة، التي تحوي ضمنها حقيقة الميلاد من العذراء (القديسة). وكان

(124) Justin, *Apol.* I, 21, 31, 32, 33, 63; *Try.* 23, 48, 100.

(125) J. Gresham Machen, *The Virgin Birth of Christ,*1930.

(126) I. Zahn, *Das apostolische Symbolum* (1893; Eng. tr. 1899).

(127) *Eph.* 18-19, ANF I, p. 57; cf. *Trall.* 9; *Smyrn.* 1.

(128) A. Harnack, *ibid.*, p. 751.

دفاعه في غاية الأهمية عن بتولية الميلاد ضد جماعة الدوسيتيين الذين كانوا قد علّموا بعدم أهمية الميلاد من العذراء، ويكفي أن يُقال أنه كان مولوداً من امرأة. وبواسطة القديس إغناطيوس تثبَّت الميلاد من العذراء بقوة قبل سنة 100م في الكنيسة وفي أفواه المؤمنين.

دفاع عن أهمية الميلاد البتولي في لاهوت الخلاص

حينما يكثر الحديث والنقد لموضوع الميلاد البتولي من أُناس عاديين يهون أمره، ولكن أن يبلغ هذا النقاش والنقد إلى مستوى العلماء اللاهوتيين الكبار نعجب أشد العجب! لأن لاهوت الخلاص يقوم أساساً على سر الموت على الصليب وسر القيامة المجيدة. وهنا يأتي مدخلنا على كل مَنْ يمس الميلاد البتولي بكلمة أو برأي أو بتشكيك، لأن الله دبَّر الخلاص مع ابنه يسوع المسيح على أساس أن يقبل الصليب: «فلتكن مشيئتك» (مت 43:26)، وأن يقبل كأس الموت من يد الآب، حاملاً خطايا العالم كله: «الكأس التي أعطاني الآب ألا أشربها؟» (يو 11:18). ولكن ما معنى ذلك في لاهوت الخلاص؟

لاهوت الخلاص أصلاً يقوم على الفدية، فالخلاص يلزم أن يكون على أساس ذبيحة الفدية، والذبيحة أصلاً لا ينبغي أن يكون فيها أي عيب قانوني وإلاَّ تُرفض. من أجل هذا دبَّر الآب ذبيحته للفدية بحيث لا يكون فيها أي عيب أو لوم قانونياً، بمعنى أن لا يكون فيها أي خطية أو آثار العصيان الذي أخذ عليه الإنسان حكم الموت واللعنة، لماذا؟

لكي يستطيع أن يقدِّم نفسه ذبيحة تحمل خطايا البشرية وحكم اللعنة ويتقبَّل في جسده الموت وهو حامل خطايا البشر، ويموت موت اللعنة على خشبة العار واللعنة. فلو كان فيه أي خطية يصبح موته ليس فداءً لأحد ولكن استحقاقاً عليه بحكم أنه ممسوك بخطية. فإذا مات وكان عليه خطية تستحيل عليه القيامة لأنه مديون للموت ويُمسك فيه.

من هنا جاء حتمية أخذه جسداً بشرياً خالياً من أثر الخطية وميراثها، مقطوع الصلة بآدم وليس عن طريق زواج، لأن الزواج كان نتيجة الخطية الأُولى بحكم الموت. فالزواج وسيلة لحفظ الحياة البشرية بالرغم من حكم الموت. فالزواج يحمل معيار الخطية ويشهد على حكم الموت الذي أوجده. وهكذا تعيَّن في المقاصد الأزلية ميلاد الابن من عذراء قديسة بلا رجل، ويحل محل الرجل الروح القدس نفسه وهو روح الله، ليصير العنصر الإلهي متحداً بالجسد اتحاداً أبدياً بحكم أنه ابن الله الحامل لطبيعة الله الأزلية الأبدية. بهذا أخذ المسيح من الروح القدس ومن العذراء القديسة مريم

جسداً بشرياً قدوساً بلا عيب، ليس فيه خطية واحدة باعتراف المسيح (يو 46:8)، ولم يوجد في فمه غش. لهذا ولمدة ثلاث سنوات ونصف علَّم المسيح عن الخلاص والملكوت الذي جاء ليحققه للإنسان عن طريق موته لثلاثة أيام في القبر بعد صلب ومعاناة وآلام، ثم قيامته في اليوم الثالث، وكرَّرها كثيراً حتى رسخت في ذهن التلاميذ وتسجَّلت في الأناجيل بعد ذلك. ثم تمَّم هذا الموت محتملاً الآلام على خشبة الصليب كخاطئ بحكم محكمة السنهدرين ومحكمة الرومان، وعريضة الاتهام فيها كل أنواع الخطايا التي لم يدافع المسيح عن نفسه تجاهها بل وافق بصمته، وهكذا قيل وعن حق إنه «حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة» (1بط 24:2)، «قائلاً: يا أبتاه إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك (أن يحمل كأس خطايا البشرية ويموت بها على الصليب)» (لو 42:22)، و «الرب وضع عليه إثم جميعنا» (إش 6:53). ومات المسيح بالجسد بمعنى أنه مات وهو حامل البشرية وعليها كل خطاياها، وهكذا تمَّم لها حكم الموت واللعنة فتبرَّأت نهائياً من حكم الموت ولعنته، وقام بها من بين الأموات في اليوم الثالث: بشرية جديدة مبرَّأة من كل الخطايا وممنوحة بر المسيح، وارتفع بها صاعداً إلى أعلى السموات وأجلسها معه عن يمين الآب وأكمل لها المصالحة مع الله، ومنحها بنوَّته الوحيدة فصارت البشرية في المسيح حائزة على البنوَّة لله الآب ومحبة الآب للابن: « الآب نفسه يحبُّكم.» (يو 27:16)

هذا هو الخلاص الذي تمَّ وهذا هو الميلاد البتولي مشروحاً على أساس الخلاص الذي تمَّ. فمن يستطيع أن يقول إن الميلاد البتولي ليس معقولاً ولا هو ضرورة؟

ثالثاً: يوحنا المعمدان والمسيح
(13:4-1:3)

الأصحاح الثالث:

(أ) خدمة المعمدان
(3: 1-20)

1 ـ بدء خدمة المعمدان

1:3 «**وَفِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ عَشْرَةَ مِنْ سَلْطَنَةِ طِيبَارِيُوسَ قَيْصَرَ، إِذْ كَانَ بِيلاَطُسُ الْبُنْطِيُّ وَالِياً عَلَى الْيَهُودِيَّةِ، وَهِيرُودُسُ رَئِيسَ رُبْعٍ عَلَى الْجَلِيلِ، وَفِيلُبُّسُ أَخُوهُ رَئِيسَ رُبْعٍ عَلَى إِيطُورِيَّةَ وَكُورَةِ تَرَاخُونِيتِسَ، وَلِيسَانِيُوسُ رَئِيسَ رُبْعٍ عَلَى الأَبِلِيَّةِ**».

واضح أن القديس لوقا يلتزم هنا بتقليد الكنيسة الأولى: أن الإنجيل باعتباره خدمة الرب وأعماله إنما يبتدئ بخدمة المعمدان، كما جاء واضحاً في أعمال الرسل:

+ «أنتم تعلمون الأمر الذي صار في كل اليهودية مبتدئاً من الجليل بعد المعمودية التي كرز بها يوحنا: يسوع الذي من الناصرة كيف مسحه الله بالروح القدس والقوة، الذي جال يصنع خيراً ويشفي جميع المتسلّط عليهم إبليس، لأن الله كان معه.» (10: 37و38)

ومن الأمور الملفتة للنظر جداً أنه في افتتاح الإنجيل نجد أن القديس لوقا يربط ميلاد المعمدان بكل الحوادث الكبرى التي كانت جارية وقتها، وخاصة أسماء الملوك والولاة، التي إذا جمعتها معاً تعطيك تاريخ ميلاد المسيح وبالتالي خدمته لأقرب سنة، هذا بالنسبة لزمن ميلاده. ثم يعود ق. لوقا وبنفس

الدقة والفحص التاريخي ليعطي أسماء الملوك والولاة أيضاً، خاصة الذين كانوا معاصرين لبدء خدمة المعمدان. ولم يحاول هذه المحاولة في بدء خدمة المسيح، لأنه كان يعلم أن قصة خلاص العالم وظهور المسيح تبدأ من المعمدان. هذه اللفتة التاريخية الهامة جداً نضعها أمام القارئ ليستوعب أعماقها على مستوى الإنجيل والروح. وعلى سبيل المثال نقول: إن الإيمان المسيحي لم يأتِ من فراغ إنما هو تسليم الأنبياء، وانحدار مسلسل مرصود لإعلانات الله على نفس مستوى التأريخ الذي انشغل به القديس لوقا. لذلك نجد أنه بمجرَّد أن أكمل المعمدان الرسالة على الأُردن وسلَّم المسيح الروح النبوية، استُدعي في الحال للارتحال إلى فوق لأنه لم يبق له عمل على الأرض. وحينما ارتبك المعمدان لمَّا شعر بالمؤامرة ضده، والموت ابتدأ يُبرز له أنيابه، استصرخ المسيح وأرسل له مَنْ يسأله هل أنت الآتي أم ننتظر آخر، لأنه اعتقد أنه يُسْنَد بالمسيَّا. فكان رد المسيح إن رسالتي قد بدأت حتى يفهم المعمدان أن رسالته هو قد انتهت.

وشخصية المعمدان عجيبة لأنَّه محسوب أنَّه ختام الأنبياء؛ بل ومحسوب أيضاً أنَّه أول صارخ بالعهد الجديد، فهو يقف في مركز التسليم والتسلُّم، يمسك ملاخي بيده ويسلِّم المسيح رسالة ملاخي بحروفها ونقطها.

كان قصد ق. لوقا من إبراز هذه الوقائع التاريخية المدنية الثابتة، وأهمها المعلومة الأولى وهي في السنة الخامسة عشرة من سلطنة طيباريوس قيصر ـ أمَّا باقي التحديدات التاريخية فهي للكشف عن حالة البلاد السياسية في تلك الأيام ـ كان قصده أن يأخذ الإنجيل موقفه التاريخي في تاريخ الامبراطورية الرومانية وتواريخ القادة المحليين. فهنا بدأ تاريخ الخلاص يشق طريقه وسط العالم.

ويرى المؤرخون والباحثون في أصول الكلمات والصيغ أن ق. لوقا استمد أصل مادته التاريخية الروحية من ق. مرقس الرسول، ولكنه أضاف إليها معلومات أخرى أخذها عن وثيقة أخرى كانت غائبة نوعاً ما عن ق. مرقس (Q)، لذلك اختفت معالم الاستعارات من ق. مرقس تحت ظل المصادر الجانبية الأخرى. ولم يبقَ على القديس لوقا بعد تجميع هذه المصادر إلاَّ تحديد التواريخ. والقارئ المحب للتقليد الإنجيلي القديم (التوراة) لا يصعب عليه أن يلتقط الطريقة التي بدأ بها ق. لوقا افتتاح صُلْب إنجيله في هذه الآية، فهو طبق الأصل من إشعياء الذي افتتح كتاب نبواته هكذا:

+ «رؤيا إشعياء بن آموص التي رآها على يهوذا وأُورشليم في أيام عُزِّيا ويوثام وآحاز وحزقيَّا ملوك يهوذا: اسمعي أيتها السموات وأصغي أيتها الأرض لأن الرب يتكلَّم ... »(إش 1:1و2)

ونفس الأسلوب التاريخي والتدقيق نجده عند إرميا النبي هكذا:

+ «كلام إرميا بن حلقيَّا من الكهنة الذين في عناثوث في أرض بنيامين، الذي كانت كلمة الرب إليه في أيام يوشيَّا بن آمون ملك يهوذا في السنة الثالثة عشرة من ملكه، وكانت في أيام يهوياقيم بن يوشيَّا ملك يهوذا إلى تمام السنة الحادية عشرة لصِدْقيَّا بن يوشيَّا ملك يهوذا إلى سبي أورشليم في الشهر الخامس. فكانت كلمة الرب إليَّ قائلاً: قبلما صوَّرتُكَ في البطن عرفتُكَ ...» (إر 1:1-4)

وهكذا، فالذي يلتفت إلى أسلوب ق. لوقا وتسجيلاته يتعجَّب لأنه يؤرِّخ بأسلوب نبيٍّ.

فإذا سار العلماء وراء توقيعات ق. لوقا ينتهون تقريباً إلى أن هذا التاريخ كان في سنة (25-26م) أو (26-27م). وقد حسبها العالِم جودت وراجعها العالِم الألماني زاهن والعالِم رامزي الذي ألّف كتاباً خاصاً يؤكّد فيه ميلاد المسيح في بيت لحم. كل هؤلاء اتفقت كلمتهم على أن هذا التاريخ يحدِّد بدء خدمة المسيح العلنية وهو ابن 30 سنة على أساس ميلاده سنة 4 ق.م. وغيرهم حسبوها وقالوا لا بل سنة (28-29م)، أي أن تحديد ق. لوقا استطاع بواسطته العلماء أن يحدِّدوا تاريخ بدء خدمة المسيح بسنة (26-27م)، وأن يحدِّدوا عمره بثلاثين سنة إلى أقرب سنة بالزيادة أو النقص، وهذا مدهشٌ حقاً.

على أن **هيرودس** هنا هو هيرودس أنتيباس بن هيرودس الكبير من زوجته مالثاس Malthace وهو حاكم الجليل ومنطقة بيرية من 4 ق.م حتى أسقطه كاليجولا سنة 39م[129].

وفيلبُّس هنا هو أخو هيرودس أنتيباس وابن هيرودس الكبير من كليوبترا، كان رئيس ربع على إيطورية وتراخونيتس من 4 ق.م حتى موته سنة 33-34م. وكانت ولاية مملكته هذه تقع في الشمال الشرقي من الجليل وعاصمتها كانت قيصرية فيلبُّس. ولو أن ما وصلنا في العهد الجديد شحيح للغاية عن فيلبُّس هذا، إلاَّ أنه كان معروفاً أنه أفضل الهيرودسيين جميعاً، وولايته هذه كانت متاخمة لأراضي لبنان.

أمَّا ليسانيوس الذي كان رئيس ربع على الأبلية، فهو من عائلة ليسانيوس الذي كان ابناً لبطليموس[130] الذي قُتل بيد مارك أنطوني بتحريض كليوبترا، والأصح أن يكون والياً على خلكيس (بحسب ماير) على حدود لبنان.

(129) I. H. Marshall, *The Gospel of Luke,* pp. 132, 133.
(130) Joseph., *Ant.* XV. 4.1; A. H. W. Meyer, *op. cit.,* p. 293.

2:3 **«فِي أيَامِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ حَنَّانَ وَقَيَافَا، كَانَتْ كَلِمَةُ اللهِ عَلَى يُوحَنَّا بْنِ زَكَرِيَّا فِي الْبَرِّيَّةِ».**

كان اليهود يعطون رئيس الكهنة إذا تعيَّن حق الوجود حتى موته رئيساً للكهنة، تماماً كما تعطي الكنيسة القبطية هذا الحق، إلاَّ في حالات المرض والضعف حيث يُنتخب آخر. فهذا تقليد مستمد من العهد القديم. ولكن الحكومة الرومانية كانت تغيِّر هذا التدبير كيفما تشاء.

وحنَّان المذكور في (يو 13:18؛ أع 6:4) انتخب منذ سنة 6 ق.م حتى إلى أيام إقصائه بأمر الدولة في أيام جراتس سنة 15م(131) وخلفه ابنه أليعازر من سنة 16-17م. وبعد ذلك قيافا نسيبه من سنة 18ـ37م(132) وأعقب هذا أيضاً أربعة أولاد له(133). والحقيقة أن حنَّان ظلَّ يحتفظ بقوة شخصيته في إدارة رئاسة الكهنوت من وراء الأحداث كما ظهر في إنجيل ق. يوحنا (18: 13-37)، وهذا هو السبب الذي حدا بالقديس لوقا أن يدعوه هنا رئيس كهنة وهو لم يكن رسمياً، كذلك في (أع 6:4)، لأن رئيس الكهنة المعزول يظل محتفظاً بلقبه.

والقديس لوقا يذكر رئيس كهنة واحداً وهما في الواقع اثنان: «رئيس الكهنة حنَّان وقيافا» ولكن في هذا تلميح إلى أن رئيس الكهنة المتقاعد أو المعزول هو صاحب السلطة (أع 6:4).

وعلى هذا الحال بدأت كلمة الله على يوحنا. أمَّا وصفه أنه ابن زكريا، فلكي يعطيه سياق الرواية التي بدأت من زكريا أبيه. أمَّا قوله «في البرية» فهو ليعطيه شخصيته النبويَّة المنحدرة من إيليا وإشعياء (3:40)، وهي وإن كانت رمزية إلاَّ أنها محسوبة أيضاً أنها صحيحة جغرافياً؛ بمعنى أنه لم تأته كلمة الله وهو مع أسرته وبين أهله، ولكن في مكان إقامته التي هيأها لنفسه (80:1)، أما تحديد مكانه في هذه البرية فلم يُعرف.

وعلى كل حال، فبهذه الافتتاحية الفرحة وبقوله: «كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا» يكون قد انفتح إنجيل العهد الجديد رسمياً، لأن الإنجيل في كُلّيته وكيانه هو "كلمة الله"، وذلك بعد أن حدَّد ق. لوقا بأكثر دقة زمان البدء في امبراطورية الرومان وفي تشكيلة رؤساء الأقاليم في فلسطين، كما حدَّد أسماء رؤساء الكهنة المتولى والمتقاعد.

وكأن القديس لوقا لمَّا قرأ إنجيل ق. مرقس أراد أن يضع بداية تاريخية موقَّعة على الأحداث

(131) I. H. Marshall, *The Gospel of Luke,* p. 134.
(132) J. Jeremias, *Jerusalem in the Time of Jesus,* London, 1969, p. 195, n. 153.
(133) Joseph., *Ant.* XX, 9.1.

الجارية قبل أن يلتقط منه «بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله» (مر 1:1). لأن هذه الأحداث الجارية كانت هي هي الحادثة عند بدء خدمة المسيح لا فرق. وبهذا يكون ق. لوقا قد دخل بهذه المقدِّمة عتبة إنجيل ق. مرقس، لأن الواقع المقروء في إنجيل ق. لوقا أنه بمجرَّد أن اعتمد يسوع من يوحنا المعمدان توقَّف ق. لوقا عن الحديث عن المعمدان والتفت إلى سجلاَّت الأنساب ليحدِّد انحدار المسيح من يوسف إلى آدم إلى ابن الله، ليبدأ رسمياً خدمة المسيح لإنجيله.

3:3 **«فَجَاءَ إِلى جَمِيعِ الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ بِالأَرْدُنِّ يَكْرِزُ بِمَعْمُودِيَّةِ التَّوْبَةِ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا».**

واضح هنا أن المعمدان التزم في البداية بالأراضي الواقعة على ضفتي الأردن من شرق ومن غرب.

«يكرز»: khrÚsswn

وهي المناداة بالصوت العالي للإعلان والبشارة. وهي نفس الكلمة التي قيلت عن المسيح. ولكن لم يركِّز ق. لوقا على المعمودية ذاتها، بل ركَّز كلامه على الوعظ باعتباره أن يوحنا نبيٌّ يُعلن عمَّا خفي عن الشعب من مصيره القادم فيما يخص علاقته بالله. وكان وعظه يدور أساساً عن قيمة المعمودية كعملية توبة أو عودة إلى الله والكفّ عن أخطاء وخطايا الحياة الماضية، وهي عبادة الأوثان التي كانت تُحسب زنا. مؤكّداً على ضرورة الخضوع وقبول التعليم، ثم يتم غسيل الجسم كله كناية عن غسيل الخطايا، كما فهمها حنانيا القديس في دعوته لبولس الرسول: «والآن لماذا تتوانى قُم واعتمد **واغسل خطاياك** داعياً باسم الرب» (أع 16:22). ولكنها لم تكن مجرَّد أعمال ظاهرية عابرة، ولكن **ككل طقوس العهد القديم، وكل طقوس العهد الجديد**، سواءً بسواء، فهي تُعرف كعمل يرمز إلى فعل داخلي له أثر، ويستحيل أن يكون له أثر دون أن يكون هناك موقف داخلي في صميم الاعتقاد. فمعمودية يوحنا إن صدَّقها مَنْ اعتمد تهيأ بالحق لمعمودية الروح القدس ونال فعله الداخلي المطهِّر بالروح: «أنا أعمدكم بماء ولكن يأتي مَنْ هو أقوى مني الذي لست أهلاً أن أحلَّ سيور حذائه. هو سيعمِّدكم بالروح القدس ونار» (لو 16:3). وبهذا تكون معمودية يوحنا كمدخل رسمي **من السماء** لدخول المعتمد في شركة التطهير الآتي بالروح القدس لمغفرة الخطايا.

وكان يوحنا يشترط للغسل بيده، أي العماد، أن يعترف المعتمد ويقر بخطاياه كلها علناً، وعند ق. لوقا تعتبر المعمودية هبة من الله ممنوحة للإنسان كفرصة سماوية ختمها المسيح بدمه:

+ «هذا رفَّعه الله بيمينه رئيساً ومخلّصاً **ليعطي** إسرائيل **التوبة** (إلى الله) وغفران الخطايا.» (أع 31:5)

+ «فلمَّا سمعوا ذلك سكتوا وكانوا يمجِّدون الله قائلين إذاً **أعطى** الله الأمم أيضاً **التوبة**

للحياة.» (أع 18:11)

كذلك فالتوبة حتى على يد يوحنا المعمدان لها شرط الاعتماد الذي يعادل قداستها كعمل الله من السماء: «فاصنعوا أثماراً تليق بالتوبة ...» (لو 3:8)، «لم آتِ لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة.» (لو 32:5)

أمَّا علاقة التائب بالله فهي العودة إليه كالابن الضال فتكون على مستوى فرح الآب وتهليل ملائكته بابنه العائد بعد ضلال:

+ «هكذا أقول لكم يكون فرح قدَّام ملائكة الله بخاطئ واحد يتوب.» (لو 10:15)

وهكذا صارت التوبة عمل الكارزين على وجه الأرض وغاية ما يسعى إليه كل خادم إنجيل باسم الله:

+ «كان ينبغي أن المسيح يتألَّم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث وأن يُكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم.» (لو 24: 46و47)

يُلاحَظ هنا أن التوبة إلى الله تؤدِّي إلى مغفرة الخطايا.

ومعروف علناً وسرًّا أن المعمودية كدعوة إلى الرجوع إلى الله، تعطي مغفرة الخطايا، وهذا أساس مجيء يوحنا لتنفيذ هذا الوعد الإلهي والنبوي: «وأنت أيها الصبي نبي العلي تُدعى لأنك تتقدَّم أمام وجه الرب لتعد طرقه، لتعطي شعبه معرفة الخلاص بمغفرة خطاياهم»(لو 1:76و77). ولو أن هذا هو كارت الدخول إلى عهد النعمة حيث يُمنح مستقبلاً هذا الغفران والخلاص، لأن معمودية يوحنا وحدها لا تعمل شيئاً إذ لابد من الإيمان بالمسيح: «فقال لهم: بماذا اعتمدتم؟ فقالوا: بمعمودية يوحنا، فقال بولس: إن يوحنا عمَّد بمعمودية التوبة قائلاً للشعب **أن يؤمنوا** بالذي يأتي بعده أي بالمسيح يسوع.» (أع 19: 3و4)

أمَّا في الكنيسة فمعمودية الماء ومعمودية الروح القدس اتحدا معاً في طقس واحد حتى صارت هبة مغفرة الخطايا وهبة الروح القدس متحدة في العماد والإيمان معاً: «فقال لهم بطرس توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس» (أع 38:2). ولكن وضعت الكنيسة العماد بالماء باسم الآب والابن والروح القدس معاً بالتغطيس ثلاث مرَّات على الاسم المبارك، ثم كان الأسقف في البداية يضع يده على رأس المعمَّد ويصلِّي فيحل الروح القدس. وبعدها وضعت الكنيسة سر مسحة الميرون المقدَّس الذي قد يتمِّمه الكاهن ويسمّى مسحة الروح القدس فيحلّ على المعمَّد.

أمَّا في تاريخ الكنيسة المبكّر جداً فلم يكن هناك ما يفرّق العماد عن حلول الروح القدس، بل وحدث في أمر كرنيليوس قائد المائة التقي هو وعائلته أنه قبْل أن يُعمِّده ق. بطرس حلَّ الروح القدس تماماً على مستوى ما حدث في يوم الخمسين، إذ حلَّ الروح القدس على التلاميذ والمجتمعين وبعد ذلك تمَّ عماد المؤمنين الجدد.

نفهم من هذا أنها عطية سماوية يصعب تحديد بنودها ومفاعيلها إنما تقوم أساساً على العودة إلى الله من كل القلب.

وهذا ما يحيِّر العلماء، لأن ق. يوحنا في إنجيله امتنع من أن يسجِّل مغفرة الخطايا لمعمودية يوحنا، لذلك انتبهت الكنيسة وحدَّدت أن مغفرة الخطايا إنما هي لمعمودية المسيح بالروح القدس.

4:3 **«كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي سِفْرِ أَقْوَالِ إِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ الْقَائِلِ: صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ، أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ، اصْنَعُوا سُبُلَهُ مُسْتَقِيمَةً».**

بمعنى أن يوحنا المعمدان إنما جاء ليتمِّم نبوَّةً قيلت من سبعمائة سنة بظروفها وحروفها، لأن الآية تبدأ بكلمة «كما وز» وهي تفيد التطبيق الحرفي. وقد التزم الإنجيليون الأربعة بهذه الآية من إشعياء، إلاَّ أن ق. لوقا أضاف إلى هذه الآية ما جاء بعدها، أي نقل قول إشعياء (40:3-5) كله، في حين أن إنجيلي ق. متى وق. مرقس اكتفيا بالآية الأُولى فقط (40:3).
وهذه تعني أنه يتحتَّم العودة إلى الله من كل القلب قبل مجيء المسيح ليعمل عمله، وبقية الآيات وهي على مستوى شعري إنما تعني أنه يلزم أن المسيح يعلن خلاصه لقلوب مستعدة، كما أكَّد هذا ملاخي: «لئلاَّ آتي وأضرب الأرض بلعنٍ.» (مل 6:4)

لذلك كان المعمدان عزيزاً جداً عند المسيح، أحبَّه وكرَّمه وأشاد باسمه وذكره، وأسماه المصباح المنير!!

5:3 **«كُلُّ وَادٍ يَمْتَلِئُ، وَكُلُّ جَبَلٍ وَأَكَمَةٍ يَنْخَفِضُ، وَتَصِيرُ الْمُعْوَجَّاتُ مُسْتَقِيمَةً، وَالشِّعَابُ طُرُقاً سَهْلَةً».**

«وادٍ»: f£ragx
التشبيه هنا يشير إلى تضاريس الأرض للمرتحل على الطريق غير المعبَّد. وهنا التعبير عميق وشعري، فالرب لا يريد أن يتعامل مع شعب انحطَّت نفسه وانبطحت روحه دون المستوى، وحقًّا جاء المعمدان وصرخ في المنبطحين على بطونهم أرضاً ليقوموا ويستقيموا ويرفعوا الرؤوس، فنجاتهم قد قربت والفادي أشرقت أنوار أمجاده:
+ «انهضي انهضي قومي يا أُورشليم التي شربت من يد الرب كأس غضبه...» (إش 17:51)

+ «لذلك اسمعي أيتها البائسة والسكرى وليس بالخمر، هكذا قال سيدك ... هاأنذا أخذت من يدك كأس الترنُّح ثُفْلَ[134] كأس غضبي لا تعودين تشربينها بعدا!! »(إش 51: 21و22)
+ «قالت صهيون قد تركني الرب وسيدي نسيني: هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها. حتى هؤلاء يَنْسَيْنَ وأنا لا أنساك.» (إش 14:49)
+ «استيقظي استيقظي البسي عزَّكِ يا صهيون البسي ثياب جمالك يا أُورشليم ... انتفضي من التراب قومي اجلسي يا أُورشليم انحلّي من ربُط عنقكِ أيتها المسبية ابنة صهيون. »(إش 52 :1و2)
+ «قومي استنيري لأنه قد جاء نوركِ ومجد الرب أشرق عليكِ، لأنه ها هي الظلمة تغطّي الأرض والظلام الدامس الأُمم. أمَّا عليكِ فيشرق الرب ومجده عليكِ يُرى، فتسير الأُمم في نوركِ والملوك في ضياء إشراقكِ.» (إش 60: 1-3)

«وكل أكمة تنخفض»: bounÕj

إسرائيل لا يوجد فيها جبال عالية إلاَّ في الأطراف، أمَّا أرضها فيعلوها تلال وآكام فقط.

«تنخفض»: tapeinwq»setai

يقصد بها تواضع النفوس العالية والمتعظمة بنفسها حتى تتقبَّل روح وداعة المسيح وتواضع نفسه المنسحقة ليحل الروح القدس بلا مانع. وهذا مطلع نشيد التعظمة للعذراء القديسة: «أنزل الأعزاء عن الكراسي ورفع المتضعين » tapeinoÚj(لو 52:1). هذا كان موضوع احتداد المعمدان وصرخاته النارية في وجوه المتكبرين ببرهم وعلمهم ومعرفتهم: «يا أولاد الأفاعي مَنْ أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي ... والآن قد وُضِعَت الفأس على أصل الشجر، فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تُقطع وتُلقى في النار» (لو 3: 7و9)، «لا تبتدئوا تقولون في أنفسكم لنا إبراهيم أباً. لأني أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم» (لو 8:3)، «اصنعوا أثماراً (= أعمالاً) تليق بالتوبة.» (لو 8:3)

«المعوجَّات»: t¦ skoli£

وهي النفوس الملتوية، تتكلَّم بلسانين وتسلك بوجهين وتلعب على الصفين وتُدلي برأيين، تمسك بالرأس والذيل معاً، وتطمح بأن تكسب الدنيا والآخرة معاً، وترضي الله والشيطان، تزني وتقف في الهيكل تصلّي، تأكل بيوت الفقراء والأرامل وترفع يديها تصلّي وتزيد الصلاة لتأخذ المزيد. تضحك في الوجه والخنجر معدّ باليد، تسرق كل ما يقع في الصندوق وتدافع عن الأمانة والشرف والحق. ومن أجل الفضة تخون الشرف والإيمان وحق المسيح: «أيها الحيات أولاد الأفاعي ...»

---

(134) ثُفْلَ: ما تبقى من المادة بعد عصيرها أو غليها.

«والشعاب طرقاً سهلة»: trace‹ai (تراخونيتس أي الأراضي الوعرة)

الكلمة اليونانية لا تفيد الشعاب بل الأرض الخشنة الصخرية التي تحتاج إلى تسوية لتكون سهلة le…aj. والنفوس الخشنة معروفة مثل العسكر الذين جاءوا ليعتمدوا من المعمدان. آه! كم من نفوس خشنة جداً وقعت تحت صوت النعمة واعتمدت وصارت أدوات مسح لكل نفوس المؤمنين. عجيب هو اختيار الله لمثل هذه النفوس التي يُظهر فيها قوته وقدرتها لتصير من شراسة النمر إلى وداعة الحمل. والذي يطلب المثل يسأل بولس.

6:3 **«وَيُبْصِرُ كُلُّ بَشَرٍ خَلاَصَ اللهِ».**

هذا نص نهاية آية إشعياء: «صوت صارخ في البرية ... **فيُعلن مجد الرب فيراه كل بشرٍ معاً لأن فم الرب تكلَّم**» (إش 5:40). هنا استبدل ق. لوقا مجد الرب بخلاص الله، وهذان الاثنان استعلنا معاً عند ميلاد المسيح: «المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض **السلام وبالناس المسرَّة**».

هي استحالة أن نرى مجد الله الحقيقي في الخليقة، فالخليقة للأسف تتغيَّر ومجد الله لا يتغيَّر، الخليقة تنتن وتموت والله لا يموت، أجمل ما في الخليقة يذوي ويتحوَّل إلى قُبح، وجمال الله من جمال إلى جمال يبقى ويدوم. إذن، فكيف يرى الإنسان وهو خليقة ترابية مجد الله إلاَّ إذا عبر من حياة التراب إلى حياة المجد!!! وهذا هو الخلاص. أمَّا كيف يراه **"كل بشر"** فكل بشر تعني البشرية في ملئها وكمالها، والبشرية أخذت هذا الاندفاع الفائق من المحدود إلى اللامحدود، من الجزء المنسحق إلى الكل الممتلئ في المسيح الكل في الكل. بمعنى أن البشرية المفدية أو المخلَّصة هي بحد ذاتها كل البشرية، فالذي لم يتحوَّل من مستوى التراب إلى مستوى الكل في المسيح لن يكون إلاَّ صفراً بحساب الكل. والصفر لا يزيد الكل إلاَّ صفراً.

إذن، فقول ق. بولس، ويؤيِّده قول النبوَّة من يد إشعياء، هو حق. فالبشرية صارت في المسيح هي الكنيسة جسده المحبوب والمكرَّم، وقد صبَّ فيه المسيح كل ماله حتى الملء: « وإيَّاه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة ـ التي هي جسده ـ **ملء الذي يملأ الكل في الكل** »(أف 1: 22و23). حينما تُزَفُّ الكنيسة للمسيح تُستعلن حقيقة هذه الآية التي تُحسب قمة الرؤيا ونهاية المجد! متى يحين وقت الزفاف؟ لأسمع صوت الهتاف وأرى مجد الحمل؟؟ هذه أمنيتي أيها القارئ بل هي أمنية المسيح لنا:

+ «أيها الآب **أريد** أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا **لينظروا مجدي** الذي أعطيتني لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم.» (يو 24:17)

2 ـ المعمدان يعظ

(3: 7ـ9) (مت 3: 7ـ10)

حينما بدأ المعمدان يعظ هبَّ الشعب يتلاحقون للعماد، مدركين من وعظه وتحذيراته النبوية أن الدينونة حتمية، وأدركوا من يوحنا أن المعمودية هي الطريق الوحيد أمامهم للانعتاق من الدينونة وغضب الله العتيد، ولكن هذا صار في عجلة وعدم فهم وكأنها عملية إنقاذ من غرق. فجاءوا وتزاحموا دون أن يكون لديهم الوعي بضرورة التغيير وحتمية الإقلاع عن حياة الخطية التي تفشَّت بينهم بكل أنواعها دون خوف أو حياء أو هيبة من معلّم أو مرشد! لذلك بادرهم المعمدان بقوله بضرورة التوبة. لأن امتيازهم كجنس اليهود ونسبتهم لإبراهيم كأولاد لن تعفيهم من محنة الدينونة دون أن تتغيَّر حياتهم وتصير كحياة إبراهيم. فالتوبة إذن، هي محور كرازة المعمدان التي انصب فيها كل تعليمه، لأن قوله إن الفأس (البلطة) قد وُضِعَت على أصل الشجر يعني أن زمن الدينونة قد صار، والقطع من سفر الحياة قد ابتدأ. والطامة الكبرى أن بعضهم جاء يستفسر وكأنه ممكن أن يعبر المحنة القادمة دون توبة ودون معمودية، أليسوا هم أولاد إبراهيم وبني الموعد؟ هؤلاء وجَّه إليهم قوله: يا أولاد الأفاعي ... الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم.

7:3 **«وَكَانَ يَقُولُ لِلْجُمُوعِ الَّذِينَ خَرَجُوا لِيَعْتَمِدُوا مِنْهُ: يَا أَوْلاَدَ الأَفَاعِي، مَنْ أَرَاكُمْ أَنْ تَهْرُبُوا مِنَ الْغَضَبِ الآتِي؟»**

القديس لوقا هنا يعمّم هذا الهجوم قبل أن يخصّص قوله للمجموعات الآتية كُلٍّ بنوعيتها، والذي جاء في الآيات (10ـ14). أما ق. متى فيقول هذا التوجيه العنيف للصدوقيين والفريسيين بنوع خصوصي. ويظهر أن ق. لوقا اعتبر أن يوحنا قصد بهذا الهجوم كل الذين يأتون بدون نية التوبة سواء من جماعة الشعب أو الفريسيين والصدوقيين.

وإن كانت مواجهة المعمدان خشنة فهو يقصدها لإيقاظ النائمين من الشعب واللاهين عن خلاصهم، حيث أن سلوكهم هذا يتنافى نهائياً مع ادعائهم أنهم أولاد إبراهيم، وهذا يشبه قول المسيح لهم إن أولاد إبراهيم ينبغي أن يعملوا أعمال إبراهيم. وملاقاتهم بهذه الشدة تقطع عنهم أعذارهم الواهية.

«الأفاعي»: ™cidnîn

في الأوضاع الطبيعية ليست الأفعى بنت الحية، ولكن لعنة الأولى من لعنة الثانية، والأولى خبيثة ومؤذية والثانية حكيمة ومجنونة بآن. والقصد من القول إن الشرور تتوارث لأنها لعنات واللعنات أصلها واحد والحية نالت النصيب الأول، ودائماً أبداً تكون صفات الآباء مورَّثة للأبناء، فهو هنا يذكر شرور آبائهم. ولكن أشد صفة للسميَّة هي في الأفعى فهي شريرة ومخرِّبة. ومعروف في نبوات إشعياء أن المؤمن في عهد الخلاص لا يضرّه الثعبان ولا تؤذيه الأفعى كناية عن انكسار شر أولاد الشيطان: «يلعب الرضيع على سَرَب الصل ويمدُّ الفطيم يده على جحر الأفعوان لا يسوؤون ولا يفسدون في كل جبل قدسي.» (إش 11: 8و9)

أمَّا المثل فهو تشبيه للحيات والأفاعي التي إذا أحسَّت بالنار تلتهم الشجرة خرجت من جحورها وهربت، هكذا بدا ليوحنا هروب العصاة من الشعب والصدوقيين والفريسيين من نار جهنم. وهو استنكار الالتجاء إلى أعمال المعمودية وما يماثلها للهرب من جهنم دون توبة وندم وانسحاق.

8:3 «فَاصْنَعُوا أَثْمَاراً تَلِيقُ بِالتَّوْبَةِ. وَلاَ تَبْتَدِئُوا تَقُولُونَ فِي أَنْفُسِكُمْ: لَنَا إِبْرَاهِيمُ أَباً. لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ اللهَ قَادِرٌ أَنْ يُقِيمَ مِنْ هذِهِ الْحِجَارَةِ أَوْلاَداً لإِبْرَاهِيمَ».

يوحنا المعمدان يعطي هنا الطريق الصحيح الذي جاء يعدُّه للآتي بعده لنوال الخلاص والتخلُّص من عقوبة الدينونة. حقًّا إن الثمار هي التي تحدّد أبناء الله من المتغرِّبين: «من ثمارهم تعرفونهم» (مت 16:7). أمَّا الثمرة العظمى وتكاد تكون الوحيدة التي تؤدّى إلى الخلاص والخروج من عقوبة الدينونة فهي التوبة التي جاء يوحنا ينادي بها: «من ثمَّ أيها الملك أغريباس لم أكن معانداً للرؤيا السماوية. بل أخبرت أولاً الذين في دمشق وفي أورشليم حتى جميع كورة اليهودية، ثم الأمم أن **يتوبوا ويرجعوا إلى الله** عاملين أعمالاً تليق بالتوبة.» (أع 26: 19و20)

ويعود المعمدان يلحُّ على التوبة بصورة شديدة للغاية، فيعطي التصوُّر أن الدينونة بدأت لا محالة والفأس وضعت على أصل الشجرة. وهنا الكلام خطير للغاية، فالدينونة ستبدأ من رؤساء الشعب، الشجرة التي زرعها الله ورعاها واعتنى بها ونقلها من مصر. لأن أول ما قُطع قُطع الهيكل وقُطعت خدماته وذبائحه وصلواته. فالمسئولية تقع على الشعب وتبدأ من الرئاسة، حيث لن تُقبل شفاعة إبراهيم أو أي بشر: «لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح الذي بذل نفسه فدية لأجل الجميع» (1تي 2: 5و6)، إذ لن يشفع في أي إنسان إلاَّ الدم الذي سُفك على الصليب: «واشتريتنا لله بدمك» (رؤ 9:5)

«من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم»:

المعنى يضرب في الأعماق، ويضعها إشعياء بالكناية الشديدة الوضوح والتطبيق هكذا: «اسمعوا لي أيها التابعون البر الطالبون الرب (أقول لكم): انظروا إلى **الصخر** الذي منه قُطعتم وإلى نقرة الجب التي منها حُفرتم. انظروا إلى إبراهيم أبيكم وإلى سارة التي ولدتكم ...» (إش 51: 1و2). فهذا هو تصوير قول المعمدان بالنبوَّة، فلم يكن إبراهيم وسارة في لغة اختيار الله وإقامته للشعب إلاَّ كمن يَقطع من صخرة ويَحفر في نقرة، بمعنى أنه مما لا يُرجى منه أقمتُ رجاءً ومن الحطيط أنشأتُ أولاداً. والعجيب أن الرب يستخدم نفس هذا المثل العجيب والعميق في قدرة الله مرَّة أخرى مع بطرس الرسول: «أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي» (مت 16:19)، بمعنى إقامة الكنيسة على الإيمان الصحيح. فصخرة العهد القديم كان إبراهيم وصخرة الجديد هي الكنيسة، من الأولى قُطع بنو إسرائيل، ومن الثانية وُلد لله بنون.

ويقول علماء اللغة الأرامية إن هناك توافقاً شديداً بين الصخرة والأبناء هكذا: فالحجارة تسمَّى بالأرامية أبنايا abnayyA والأبناء يسمُّون benayyA. لذلك تبدو الآيات المحبوبة والمختارة للقديس بولس مضيئة: «**مبنيين** على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه **حجر** الزاوية» (أف 20:2)، وبالنهاية نصير «هيكلاً مقدَّساً في الرب» (أف 21:2). وبناء الحجر كبناء البشر كل منهما يحتاج إلى معلِّم: الأول للبناء الصامت والثاني للبناء المتكلِّم الساكن فيه روح الله.

9:3 **«وَالآنَ قَدْ وُضِعَتِ الْفَأسُ عَلَى أصْلِ الشَّجَرِ، فَكُلُّ شَجَرَةٍ لا تَصْنَعُ ثَمَراً جَيِّداً تُقْطَعُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ».**

المعمدان متعجِّل من أمره: «ينبغي أن ذلك يزيد وأني أنا أنقص» (يو 30:3)، فهو يرى الأيام مقصَّرة والدينونة كالملكوت على الأبواب. فإما ثمر أو قطع وإلقاء في النار.

«الفأس على أصل الشجر»:

«الفأس»: ¢x…nh

وهي البلطة، كناية عن حكم الدينونة القاطع. وهنا تلميح ليد الله الممدودة بالضرب، والتشبيه لا يزال نبوياً شديد الوضوح:

+ «فهوذا يأتي اليوم المتقد كالتنور (الفرن) وكل المستكبرين وكل فاعلي الشر يكونون قشاً ويحرقهم اليوم الآتي، قال رب الجنود، فلا يُبقي لهم أصلاً ولا فرعاً.» (مل 1:4)

3 ـ التعليم الأخلاقي للمعمدان
(14-10:3)

كانت تعاليم المعمدان بصفة عامة نابعة من هاتف التوبة التي أعطي سلطان النداء بها من الله رأساً. لم يتبع خطاً يهودياً ولا مسيحياً في اتجاهه المنهجي، ولكن مناداته بالتوبة مع سلطان التوبيخ والإنذار أثارت مكامن المشاعر في قلوب الذين أعطوه آذانهم، فبدأت الأسئلة الملحَّة: ماذا نعمل، وما هي مطالب الله لكي لا يأتي علينا الغضب المُعْلَن؟ فجاءت ردود المعمدان وفق أصناف الجماعات التي جاءت تطلب الخلاص.

وللأسف يدَّعي معظم العلماء أن هذه التعاليم التي أعطاها المعمدان هي من عنديات ق. لوقا، كونها لا تتبع خطاً يهودياً يتناسب مع معرفة وثقافة المعمدان. ولكن من الواضح أن المعمدان يختط فكراً نبوياً لا يعتمد أبداً على موحيات فكرية معاصرة لزمانه، لأنه إنما جاء من الله ليفتتح عهداً جديداً من التوعية لردع القلوب الغليظة وإيقاظ النفوس الهالكة في خطاياها، فجاء أسلوبه ثورياً بمعنى الكلمة. فهو النبي الثائر بالدرجة الأولى، فكيف يُخضع العلماء مثل هذا الأسلوب لمناهج فكرية مدروسة، إنها محنة غياب الوعي اللاهوتي عند العلماء النُقَّاد. فالمعمدان الذي وقف أمام أعتى ملك مستهتر يقول له لا يحل لك، هل يمكن إخضاع أسلوبه لمنهج مدروس؟

ولكن لو تمعنَّا صيغ المعمدان التي نادى بها وعلَّم بها نجدها أقرب ما يمكن لتكون العتبة التي أشرفت على مدخل تعاليم المسيح. فيوحنا ضخَّم الخطايا وأرعب بها قلوب المستهترين، وقد استلم المسيح هذه القلوب ليشفي جراحها، يوحنا عرَّى قروح ونَتَن خزي إسرائيل، والمسيح ضمَّد وشفى.

10:3 «**وَسَأَلَهُ الْجُمُوعُ قَائِلِينَ: فَمَاذَا نَفْعَلُ؟**»

واضح من السؤال أن هناك رغبة ملحَّة جاءت رداً على إنذارات مخيفة للذين غرقوا في خطاياهم وجاءوا يطلبون الخلاص، أو يرغبون رغبة ملحَّة في معرفة ما هي إرادة الله من جهة حياتهم. وهذا وذاك يعطي انطباعاً أن هناك وعياً جديداً بدأ يتكوَّن عن ما هي طبيعة التوبة ومستلزماتها.

11:3 «**فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: مَنْ لَهُ ثَوْبَانِ فَلْيُعْطِ مَنْ لَيْسَ لَهُ، وَمَنْ لَهُ طَعَامٌ فَلْيَفْعَلْ هكَذَا**».

واضح أن جماعة السائلين هنا هم من طبقة فقيرة، أغناهم يملك ثوبين، وطعامه بالكاد يكفي فقيراً آخر يشاركه فقره. ويلاحظ أن كلمة ثوب هي ما يستر اللحم تحت الملابس الخارجية. والذي يملك ثوبينهو بالكاد يكفي حاله، فهنا النداء دعوة للشركة في الفقر تُلمِّح من بعيد على محبة العطاء **للفقير** أو على الوجه الصحيح "**للأفقر**". هنا الإرهاصة الأولى لروح المسيحية. وكذلك في أمر الطعام، فرغيف المحبة يُشبع جائعَين ويفيض: «وبركة الرب هي تُغني ولا يزيد معها تعباً» (أم 22:10). لذلك قلنا إننا في المعمدان نقف على عتبة الإنجيل. هي خطوة خطاها المعمدان باستحياء نحو رؤية حياة الشركة والأغابي في المسيحية مع تخلُّص تدريجي من أحكام الناموس الملزمة. وفي النهاية تفوح من تعاليم المعمدان أول رائحة المحبة التي ستجرف البشرية في تيار البذل المهيب لتتوافق مع «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد ...» (يو 16:3)

هكذا عجن هذا النبي الماهر روح التوبة بملح المحبة ليُخرج أول كعكة مسيحية ذات طعم لذيذ يمكن أن تقدَّم قرباناً مقبولاً لله عوض القرابين الخالية من كل ملح.

12:3 «**وَجَاءَ عَشَّارُونَ أَيْضاً لِيَعْتَمِدُوا فَقَالُوا لَهُ: يَا مُعَلِّمُ، مَاذَا نَفْعَلُ؟**».

كانت طبقة العشَّارين في حقيقتها طبقة من الفلاحين تعمل كموظفين تحت رؤساء رسميين لجباة الضرائب الذين يورِّدون مباشرة لمكاتب الدولة. وكانت هذه الطبقة الفلاَّحية لها حدودها الضيقة في جمع ما يشبه العوايد المفروضة على الممتلكات الصغيرة أو المقتنيات المحدودة[135]. وكانت هذه الطبقة مكروهة للغاية ومزدرى بها في أعين إخوتهم من الشعب كونهم يعملون لحساب المستعمر، ولكن بالأكثر جداً باعتبارهم يشتغلون بالعملة الرومانية النجسة في نظر اليهود. لذلك اعتُبروا أنهم نجسون دائماً، كما نعتبر نحن الآن الأموال "القذرة" التي تُجمع بالحرام. لذلك اعتُبرت هذه الطبقة بالجملة أنها متغرِّبة عن الله أو حتى في عداء عند الأتقياء من اليهود. وهذا ما يثير دهشتنا جداً حينما نعرف أن هذه الطبقة بالذات كانت الطبقة المحبوبة والمعزَّزة عند المسيح!! وهذا الفارق الهائل في المضمون الأخلاقي يعطينا معنىً بديعاً كيف بدأ المعمدان ثورة الانقلاب الأخلاقي المنقطعة النظير، إذ قبلهم ورحَّب بهم وبدأ يشدِّب من أخلاقهم إعداداً لدخولهم قلب المسيح.

(135) I. H. Marshall, *The Gospel of Luke*, p. 143.

ويلاحظ القارئ كيف بدأوا خطواتهم الأولى باستحياء شديد نحو فجر عهد التوبة والعودة إلى أمانة الله حينما خاطبوا المعمدان: يا معلّم (رابي)، التي لا يقولها إلاّ تلميذ يريد أن يتبع!!

13:3 «**فَقَالَ لَهُمْ: لاَ تَسْتَوْفُوا أَكْثَرَ مِمَّا فُرِضَ لَكُمْ**».

هنا يضع المعمدان أول خطوط معنى العدل القائم على الرحمة والذي ينبع أصلاً من المحبة. هنا ضفَّر المعمدان خيطاً ملوناً من الأخلاق فخرجت خامته شديدة المتانة شديدة الإبداع، وبهذا النسيج البهيج فُهمت العدالة في المسيحية على مستوى الدولة، ولكن على مستوى الفردية المسيحية مالت كفَّة العدالة نحو محاباة الفقير والمحتاج، فأصبح العدل عند الإنسان المسيحي قد يقنعه بإعطاء ما عنده على نمط عدالة المسيح الذي افتقر وهو غني ليُغني المُعْدَم، لأن في هذا ترتاح المحبة. ولكننا في دائرة المعمدان لا نلمح إلاّ حدود العدالة في أضيق محيط لها.

14:3 «**وَسَأَلَهُ جُنْدِيُّونَ أَيْضاً قَائِلِينَ: وَمَاذَا نَفْعَلُ نَحْنُ؟، فَقَالَ لَهُمْ: لا تَظْلِمُوا أَحَداً ولا تَشُوا بِأَحَدٍ واكْتَفُوا بِعَلاَئِفِكُمْ**».

الجنديون هنا هم جنود قوة هيرودس أنتيباس الخاصة المعسكرون في بيريا[136]. وربما يكونون من المنوط بهم مساعدة العشَّارين في جباية الضرائب. والإجابة على سؤالهم تتم في الحال عن القبائح التي يمارسونها في تأدية مهامهم، من ظلم ووشاية، التي تؤدّي حتماً إلى الإساءة للشعب والتنكيل بالضعفاء، حيث الخروج الفاضح عن الآداب والأخلاق اليهودية.

هنا المعمدان واجههم بعيوب أدائهم لمهنتهم من استخدام القوة والظلم في سلب أموال الناس بالقوة والعنف. أمَّا كلمة «تشوا» فترجمتها الصحيحة هي: "ابتزاز المال تحت تهديد الوشاية"، وبالنهاية تكون سرقة مغطاة. وهذا المعنى يكشف الوصية المكمّلة أن يكتفوا بعلائفهم أي أجورهم الممنوحة لهم بالحلال، أو على وجه الأصح ما هو مفروض أن يأخذوه بالحق.

(136) Marshall, *op. cit.*, p. 143.

4 ـ الاعتراف بالأقوى الآتي صاحب الرسالة

(3: 15-17) (مت 3: 11و 12) (مر 1: 7و8)

كانت دعوة المعمدان المفاجئة وسط صمت الدهور التي طالت، وكانت دعوة ذات بريق وسلطان إلهي، فظنَّه الكثيرون لعله هو المسيح الموعود. فكان المعمدان في موقف حرج حتَّم عليه أن يأخذ منذ البداية حجمه الطبيعي الذي أتى ليؤدِّي رسالته كمجرَّد خادم جاء ليؤدِّي دور الإعداد لمجيء مَنْ هو الأقوى وصاحب السلطان. فكشف مستوى خدمته كمَنْ يغسل بالماء تمهيداً لمَنْ سيجيء ليغسل بالروح القدس. والموضوع الذي تدور عليه هذه الخدمة وتلك هو واحد وهي الخطية، هو يغسل مظهرها بالماء ليعدّ الضمائر ليغسلها الآتي بالروح القدس لكي لا توجد. والفارق بين عمل الماء وعمل الروح القدس هو الفارق بين المظهر والجوهر. لهذا كان المعمدان شديد الاتضاع أمام مَنْ سيجيء بعده، فكان إلحاحه على معمودية التوبة من صميم غيرته الملتهبة أن يصلح طريقاً في قلوب الناس لقبول عمل الروح القدس المهول الذي يفوق تصوُّر كل إنسان.

ولكن الذي أحسَّه المعمدان في أعماقه من جراء خدمته وتعامله مع الشعب الآتي نادماً هو خطورة إحساسهم المزيَّف أنه قد يكون هو المسيَّا القادم، وهذا أشعل غيرته بالأكثر أن يؤكّد مراراً وتكراراً أنه ليس هو، وأن معموديته لا تزيد عن عمل الماء بالنسبة لعمل الروح القدس المقتدر بيد الآتي الأقوى.

15:3 «وَإِذْ كَانَ الشَّعْبُ يَنْتَظِرُ، وَالْجَمِيعُ يُفَكِّرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ عَنْ يُوحَنَّا لَعَلَّهُ الْمَسِيحُ».

لغة القديس لوقا هنا تعبِّر عن انتظار شعب اليهود كله الذي بدأ يحرِّكه نداء المعمدان، الذي أهاج في قلوب الأتقياء لهفة انتظار المسيَّا، إذ صار الشعب فعلاً في حالة ترقُّب شديد، حسَّاساً جداً لأي حركة سماوية جديدة، والتي أوحت إليها بشدة خدمة المعمدان بالرغم من النفي المتواصل الذي أعلنه عن نفسه أنه ليس المسيَّا!

ولكن الواقع أن المعمدان لم يستطع أن يقطع تماماً بهذا الأمر مما جعل هذا الإحساس الخاطئ بأنه المسيَّا يظل شديداً في وجدان كثير من المقربين إليه، وبالأكثر تلاميذه الذين احتفظوا بأمانتهم له ولم يتحوَّلوا إلى المسيحية، مما أربك الوعي العام لليهود حتى أنشأ اقتناعاً بل عقيدة أن المعمدان هو

المسيَّا. وظلّت هذه العقيدة قائمة يتبعها كثيرون بعد موت المعمدان بأزمنة ليست قليلة، ونقرأ عن هذا بوضوح في أصحاح (33:5 و18:7 و1:11)، وفي إنجيل ق. مرقس (29:6) وفي إنجيل ق. يوحنا (25:3)، وفي سفر الأعمال (25:18)، ولو أنه لم يُعثر على عقيدة محددة ذات صبغة مسيَّانية تتبع المعمدان بالرغم من الاحترام والتوقير الذي أحاط بشخصيته. وقد اهتم إنجيل ق. يوحنا جداً في نفي هذه الهالة الكاذبة عن يوحنا وتجريده تماماً من أي صورة مسيَّانية. وقد تضافرت الأناجيل الثلاثة في وضع حد فاصل قاطع بين المعمدان والمسيح، مع أن المعمدان لم يدَّع أبداً أي صفات أو أعمال مسيَّانية على الإطلاق. ولكن هذه الهالة الكاذبة بقيت فعَّالة تسري بين بعض الأتباع حتى القرن الثاني.

16:3 «**أَجَابَ يُوحَنَّا الْجَمِيعَ قَائِلاً: أَنَا أُعَمِّدُكُمْ بِمَاءٍ، وَلَكِنْ يَأْتِي مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي، الَّذِي لَسْتُ أَهْلاً أَنْ أَحُلَّ سُيُورَ حِذَائِهِ. هُوَ سَيُعَمِّدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَنَارٍ**».

في إجابة رزينة، ولكن يعلوها شيء من الجدية بإحساس مَنْ يدافع عن نفسه في ثقة، يكشف أمام أعينهم عن رسالته المتواضعة إزاء رسالة الكبير والأقوى الذي سيأتي بعده، فهو إنما بالماء فقط يعمِّد، والماء لا يزيد عن كونه واسطة وأداة تمهد لفعل أقوى فعَّال ودائم وهو الروح القدس. وفوق هذا وذاك فيوحنا في موقف انتظار ليستقبل الآتي بعده الأقوى منه، ومن واقع هذا الانتظار للأقوى يضع نفسه في الموضع الأقل جداً. والمعمدان لا يلمِّح بوضوح عمَّنْ هو الأقوى الآتي، ولكن على أي حال هو ليس من مستواه، فإن كان يوحنا يثق أنه النبي الآتي بروح إيليا فالآتي بعده أكثر بكثير من نبي، ولكن مَنْ هو؟ يقول يوحنا: «أنا لست أعرفه» وكل ما عرفه عنه أنه هو سيعمِّد بالروح القدس. أمَّا إذا أردتم أن تعرفوا من أكون أنا بالنسبة لهذا الأقوى الذي سيعمِّد بالروح القدس، فأنا لست أهلاً أن أقف موقف المنحني الذي يحق له أن يحل سيور حذائه. وبهذا الوصف يكون يوحنا قد حدَّد موضعه من الآتي أنه غير لائق أن يُحسب له خادماً أو عبداً، لا من جهة العمل الشرفي بل من جهة الترقُّع في الجنس، لأن من حق أي إنسان مهما كانت وضاعته أن يحل سيور أعظم ملك. ولكن إن كان يمتنع على المعمدان حق حل سيور الآتي بعده فهو أعلى ليس مقاماً بل جنساً. وهنا نجد المعنى ينحصر بقوة في مفهوم الألوهة ومجدها.

وهنا ينكشف طرف من سرِّية هذه الرسالة العجيبة التي أُنيط يوحنا المعمدان بأدائها على وعي واضح. فهو يفهم تماماً مدى العلاقة السرِّية بين معموديته ومعمودية الروح القدس القادمة على يدي الآتي بعده، بمعنى أنه يمهِّد لها تمهيد مَنْ يفتح الباب ويعد لها الطريق.

ولكن يدَّعي هنا بعض العلماء(137) النُقَّاد أن هذا القول مدسوس على المعمدان، المعمدان لم يعرف الروح القدس بدليل أن أحد تلاميذه وهو أبلُّوس صرَّح بأنه لا يعرف الروح القدس:

+ «فحدث فيما كان أبلُّوس في كورنثوس، أن بولس بعد ما اجتاز في النواحي العالية جاء إلى أفسس. فإذ وجد تلاميذ قال لهم: هل قبلتم الروح القدس لمَّا آمنتم؟ قالوا له: ولا سمعنا أنه يوجد الروح القدس. فقال لهم: فبماذا اعتمدتم؟ فقالوا: بمعمودية يوحنا. فقال بولس: إن يوحنا عمَّد بمعمودية التوبة، قائلاً للشعب: أن يؤمنوا بالذي يأتي بعده، أي بالمسيح يسوع. فلمَّا سمعوا اعتمدوا باسم الرب يسوع.» (أع 19: 1-5)

واضح هنا أن بعض التلاميذ لم ينتقلوا من تعليم المعمدان ليؤمنوا بالمسيح، هذا القصور من جهة الذين آمنوا بيوحنا لا ينسحب على يوحنا نفسه، وكأن يوحنا لم يكن يعرف معمودية الروح القدس. والدليل الصارخ على قصور هؤلاء التلاميذ الذين آمنوا بالمعمدان فقط أن يوم الخمسين حضر ليس بعد المعمدان بأكثر من ثلاث سنوات وملأت الآفاق أعماله الإعجازية. فالمعمدان تكلَّم عن حقيقة الروح القدس الذي جاء بالفعل في وقته مدعِّماً صدق المعمدان ومكمِّلاً معمودية الماء التي اضطلع بها كضرورة مُسْبَقة. إذن، فجحد العلماء النُقَّاد لقول المعمدان عن معمودية الروح القدس القادمة مردود عليه بشدة بل ومحسوب أنه مهانة لتفكيرهم وللإنجيل لا تغتفر. لأن الروح القدس كان معروفاً قبل المعمدان أيضاً، فها هو يوئيل النبي (28:2) يحدِّد مجيئه وعمله، وكذلك المزامير (11:51) وإشعياء (10:63 و15:32 و2:44) وحزقيال (31:18 و36:25-27 و37:14 و39:29).

«الروح القدس ونار»:

إن معمودية الروح القدس ونار في اعتبار المعمدان كمقابل لمعمودية الماء فقط توضِّح عملين خطيرين: الأول أنه روح الإحراق والتطهير. فالروح القدس له فاعلية إزالة الخطية كما تحرق النار ثوباً مدنَّساً، فليس غسيل يد بالماء بعد، بل حرق خطايا لتطهير لا يُبقي للخطية أثراً. هذا من جهة، والجهة الأخرى هي الفناء للذي لا يقبل عمل التطهير بالروح، الأمر الذي كشفه المعمدان في فرز التبن من القمح ثم حريق التبن بالنار. فالريح رمز الروح والمذراة مذراة الدينونة التي تفرز التبن، أي الإنسان الذي فقد هويته كإنسان الله، من الذين آمنوا وتبعوا وكانوا من الأخصاء والمختارين. فهنا عمل الإحراق هو عمل الدينونة. وهذا التصوير الخطير في ذهن المعمدان يوضِّح في اعتباره هو خطورة المناداة بالتوبة كعمل يختص بالخلاص والنجاة من المزمع أن يكون لمن لا يقبل التوبة، وتتعذَّر

(137) ويرد عليهم العالِم مارشال: I. H. Marshall, *The Gospel of Luke*, pp. 146-148.

عليه دعوة الآتي القوي وعطية الروح القدس.

ولكن ما يقوله المعمدان قاله إشعياء، فروح النبوَّة تسليم وتسلُّم دون تعليم وتعلُّم: « ويصير جمهور أعدائك كالغبار الدقيق وجمهور العتاة كالعصافة المارة، ويكون ذلك في لحظة بغتة. من قِبَل رب الجنود تُفتقد برعد وزلزلة وصوت عظيم بزوبعة وعاصف ولهيب نار آكلة.» (إش 29: 5و6)

إذن، فدعوة المعمدان لمعمودية التوبة بالماء هي على أساس معمودية حتمية قادمة بالروح القدس ونار للتطهير والإحراق معاً. وواضح جداً أن الكنيسة المرتشدة بالروح القدس أخذت الثلاثة: الماء والروح القدس والنار، توبة وتطهيراً وإحراقاً، أمَّا الإحراق فقد قبلته وتمَّ لها بالصليب ذبيحة المحرقة الإلهية التي كسحت الخطية والموت والدينونة معاً.

17:3 **«الَّذِي رَفْشُهُ فِي يَدِهِ، وَسَيُنَقِّي بَيْدَرَهُ، وَيَجْمَعُ الْقَمْحَ إلى مَخْزَنِهِ، وَأَمَّا التِّبْنُ فَيُحْرِقُهُ بِنَارٍ لاَ تُطْفَأُ».**

وفي النهاية يُحضرنا المعمدان أمام منظر ختامي درامي شديد الضراوة لذلك القوي الآتي بعده حتماً. فنحن في حقل بمثابة مسرح يعرض القصة الأخيرة لحصيلة المعموديتين معاً: أهراء من قمح منقًى وأعرام من تبن مذرّى، تمَّ تذريتها بمذراة الروح القدس، القمح يُجمع باحتراس لا تضيع منه حبة ويُحفظ في مخزن الحياة مختوماً عليه باسم الخلاص وعهد الله القدير. أمَّا الذي وُزن بموازين النعمة والحق فوُجد ناقصاً معيباً كتبن فَقَدَ نبض الحياة وامتصَّت عصارته ونضارته شمس التجارب ولفحته شهوات الموت فحُفِظَ ليوم نقمة شديد الهول، أُوار ناره لا تخمد.

5 ـ يوحنا في السجن

(20-18:3)

كان لدى المعمدان كلام كثير اعتنى جداً أن يبوح به للشعب عن عمله وعمل الآتي بعده، ولكنه كان ذا صوت عالي النبرة لم يأخذ بوجه كبير أو عظيم، وأصابت كلماته ملكاً صفته الغدر والمراوغة، كلّمه المعمدان عن خطاياه فلم تَطِقْ عظمته الإنذار حتى ولو جاءه من الله، ولكي يكمِّم فم ذلك النبي الحدث الغرّ في عينيه، سجنه.

وهكذا، وعلى غير استعداد، وجد المعمدان نفسه وقد وضع لمساته الأخيرة على إرساليته العظيمة. أمَّا ق. لوقا فيبدو أنه شارك المعمدان في هذه المفاجأة الحزينة فقفل صفحة المعمدان وما كاد يفتحها، وضرب صفحاً عمَّا تمَّ على يدي المعمدان في الأُردن ومقابلة الأقوى وتكميل البر. فلم يذكر دور المعمدان في عماد الرب ولا رؤيته السماء مفتوحة والروح نازلاً وصوت السماء يُدَوِّي، وكيف رأى وشاهد وشهد أن هذا هو ابن الله. أمر يحيِّر العقول، ولعلَّ ق. لوقا ارتأى أن يجعل من سجن المعمدان الحد الفاصل الحزين بين العهدين، وكأنه يقول ليس عبد أفضل من سيده، فبالدم انتهى العهد الأول وبالدم ابتدأ العهد الجديد، وكما انصبغ الأول انصبغ الثاني.

وبالرغم مما اجتهده ق. لوقا في المقابلة بين المعمدان والمسيح في البشارة والميلاد وكأنما سيسير بالاثنين الهُوَيْنى على درب الرسالة العليا، إذ به فجأة يجمع كل أوراقه ليخدم بها قضية المسيح بعد أن فتح صفحة المعمدان وأغلقها على عَجَلٍ. وكأنما انصاع لفكر المعمدان نفسه: «ينبغي أن ذلك يزيد وأني أنا أنقص» (يو 30:3). علماً بأن ق. لوقا لم يعزم أن يجمع في إنجيله كل ما جُمع في أناجيل غيره وإنما أصرَّ على إلقاء الأضواء على ما خَفِي في أناجيل الآخرين.

18:3 **«وَبِأَشْيَاءَ أُخَرَ كَثِيرَةٍ كَانَ يَعِظُ الشَّعْبَ وَيُبَشِّرُهُمْ».**

«يعظ»: parakalîn وتعني أيضاً يعزِّي.

هنا يتخطَّى ق. لوقا مرحلة المناداة بالتوبة والإعلان عن الإنذارات والتوبيخات، ويبدأ المعمدان يعظ الشعب، بمعنى تعزية النفوس التي انزعجت من شدة الإنذارات، والتي أثارها الإحساس بقرب مجيء النجاة والخلاص. ولكن للأسف لم يبلغنا أكثر من هذه الشذرة الصغيرة جداً عن المستوى المُعزِّي للمعمدان، لأن صورته المرهبة التي انعكست عليه من إيليا وروحه أخفت وجه المحبة والحنان التي ناسبت الذي تلاقى معه في البطن وركض بابتهاج كأول إنسان نضح عليه المسيح من روحه وحبه وحنانه. فالمعمدان وإن كان آخر نبي للعهد القديم قفل مصاريع نبواته، فهو نبي الرب الذي أعدَّ له طريق الحب والبذل والخلاص.

لذلك بقدر ما نادى بالتوبة لم يَفُتْهُ أن يبشِّر بالإنجيل الآتي وملكوت الله العتيد أن يكون وطريق الخلاص المزمع وشيكاً. ولم تكن روح يوئيل النبي بعيدة عن روحه كما يقول الكتاب: «وأرواح الأنبياء خاضعة للأنبياء.» (1كو 32:14)

19:3 **«أَمَّا هِيرُودُسُ رَئِيسُ الرُّبْعِ فَإِذْ تَوَبَّخَ مِنْهُ لِسَبَبِ هِيرُودِيَّا امْرَأَةِ فِيلُبُّسَ أَخِيهِ، وَلِسَبَبِ جَمِيعِ**

الشُّرُور الَّتِي كَانَ هِيرُودُسُ يَفْعَلُهَا».

بينما لغة المعمدان لم تزد عن توعية الشعب بخطاياه، إلاَّ أن لغته تجاه هيرودس كانت للمذمَّة والتوبيخ، لا كأنه يطلب له التوبة ولكن كمَنْ يعلن قضاء الله.

فالمعروف أن هيرودس بعد أن طرد امرأته بنت الملك العربي أريتاس، عاد وتزوَّج هيروديا امرأة أخيه، وكما يقول القديس مرقس: إنه كان فيلبُّس، فكان زواجه الأخير سنة 26م ضد الناموس اليهودي وأهاج مشاعر اليهود. وإن كان الشعب قد بلغ حالة السخط المكتوم تجاه ملكه، إلاَّ أن المعمدان لم يستطع أن يخفي سخطه، فواجهه بزناه المكشوف فوضع نفسه في معاداته العلنية.

20:3 **«زَادَ هذَا أَيْضاً عَلَى الْجَمِيعِ أَنَّهُ حَبَسَ يُوحَنَّا فِي السِّجْنِ».**

وهيرودس بلغ الذروة في قباحاته كلها التي اقترفها بأنه سجن النبي المنادي بالحق للتوبة، فكانت خاتمة حزينة للغاية لا تتناسب مع رجاء الشعب ولهفته في الاستمرار في كشف تدبير الله الحادث بقوة، بل وكانت خاتمة مقبضة لنفسية المعمدان العظيم الذي كان يعتبر نفسه القوي الآتي بعده مَنْ هو أقوى منه، بمعنى أنه كان يشعر أنه يستمد قوته من الآتي بعده ليعدَّ له بقوة الروح وبأس إيليا ما يتحتَّم أن يكون بداية صالحة في طريق الآتي من فوق.

وهكذا جاء حبس السجن مخيِّباً لآمال يوحنا المعمدان، حتى أنه تساءل هل حقًّا الأقوى الذي جاء وبلغت أخبار مجيئه أسماع يوحنا ـ "يسوع" ـ هو حقًّا الآتي أم ينتظر آخر أقوى؟ قادراً أن يفك سجنه ويُطلق لسانه ليكمِّل الرسالة: حتى أنه أرسل تلاميذه إلى المسيح يسأل مستوثقاً هل أنت الآتي أم ننتظر آخر؟ ولكن كما قلنا سابقاً إن كان الأقوى قد جاء فصاحب معمودية الماء يتحتَّم أن ينسحب ليسلِّم لصاحب معمودية الروح القدس عمل الخلاص، الذي جاء هو لمجرَّد الإعداد له.

(ب) معمودية المسيح
(3: 21و22) (مر 1: 9-11)

يختص القديس لوقا بسرد رواية عماد المسيح في مشهد لا يظهر فيه إلاَّ المسيح وحده، فلا يذكر كيف تمَّ العماد بواسطة يوحنا المعمدان كما ذكره كل من ق. متى وق. مرقس، وذلك لا بقصد أن يحجب دور المعمدان، ولكن ليضع حداً فاصلاً شديداً بين عمل المعمدان وعمل المسيح، كما وضع السجن كحاجز شديد الوطأة لينهي به عمل المعمدان عند بداية عمل المسيح. مع أن ق. لوقا لم يقطع التسلسل الحادث في عملية العماد نفسها بالنسبة لكيف بدأت بالشعب وانتهت بالمسيح، إذ يقول صراحة أن بعد ما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضاً! بمعنى أن المعمدان هو الذي أجرى العماد للمسيح. وقول ق. لوقا إن يسوع اعتمد أيضاً يوضح أن "يسوع" لم يكن واحداً من الشعب بل المساوي للشعب كله، وبالحري الذي احتوى عماد الشعب كله حتى لا يسقط أحد دون عماد، ليكمِّل أيضاً عمل الروح القدس لكل مَنْ آمن واعتمد.

21:3 **«وَلَمَّا اعْتَمَدَ جَمِيعُ الشَّعْبِ اعْتَمَدَ يَسُوعُ أَيْضاً، وَإِذْ كَانَ يُصَلِّي انْفَتَحَتِ السَّمَاءُ».**

يرفع القديس لوقا الرؤيا هنا رفعاً شديداً مباشراً من منظر معمودية الشعب على مستوى العمل البشري الأرضي إلى منظر المسيح على مستوى العمل الإلهي السمائي، بخفة واختصار وإبداع تمثيلي وكأنه يُرى بالعين. وهنا ينكشف سر قصد ق. لوقا لماذا ألحَّ في الفصل بين عمل المعمدان وعمل المسيح بسرعة وقطع لا يحتمل التداخل. لأن الأخطاء التعليمية والتاريخية التي اختلطت في أذهان الشعب عن قيمة المعمدان كانت قد زادت عن حدِّها، وبدأت تخلخل البداية الباهرة التي ابتدأ المسيح بها تعليمه. فهنا ينقلنا ق. لوقا بلا مقدِّمات من معمودية الأرض إلى معمودية السماء. فالمسيح لم يعتمد على يدي المعمدان إلاَّ لينقل معمودية الشعب من تحت يد المعمدان إلى "المعمودية من فوق" في شخصه: « ينبغي أن تولدوا من فوق.» (يو 3:7)

وإلى هنا يكون قد بلغ المعمدان قمة عمله ونهاية رسالته والتي عندها ينبغي أن يتوقَّف مباشرة بلا أي مزيد. وهذا يعبِّر عنه ق. لوقا بالسجن كحد قاطع نهائي تَوَقَّفَ وراءه كل عمل المعمدان، إعداداً للشهادة بالدم.

«وإذ كان يصلّي انفتحت السماء»:

«انفتحت السماء»: ¢newcqÁnai

ولو أن ق. مرقس يقول إنها انشقّت scizomšnoj معبِّراً تعبيراً أكثر التصاقِ بالتقليد القديم: «ليتك تشق السموات وتنزل» (إش 1:64). والفارق ليس بسيطاً، فالسماء إذا انشقّت فهي من رؤية بشرية، ولكن إن تنفتح السماء فهي من رؤية إلهية. فالسماء تنشق في نظر الرائي على الأرض، ولكنها تنفتح للواقف يصلّي ليتقبّل ما له من السماء خاصة!!

ويُلاحِظ القارئ أنه لا يقول هنا صلّى وكأنه يطلب شيئاً، ولكن "كان يصلّي" باستعداد ما قد تقرَّر أن يتمَّ بعد تقبُّله العماد بالماء مكمِّلاً كل برّ حسب قول المسيح للمعمدان: « اسمح الآن لأنه هكذا يليق بنا أن نكمّل كل برٍّ» (مت 15:3). أمَّا بعد تكميل البر الذي بحسب البشر فقد آن الوقت لاستعلان كمال البر الذي له من السماء: «أنت ابني الحبيب بك سررت» (22:3)، بنزول الروح القدس على المسيح كإعلان سماوي لاستعلان المسيَّا وشهادة وملء المثيل للمثيل. علماً بأن المسيح وُلد ممتلئاً من الروح القدس ولم يكن هناك زمن قط دون الملء الكلي للروح القدس. فانفتاح السماء وحلول الروح القدس كان لاستعلان المولود من الروح القدس والعذراء مريم أنه هو المسيَّا وقد بدأ عمله.

22:3 **«وَنَزَلَ عَلَيْهِ الرُّوحُ الْقُدُسُ بِهَيْئَةٍ جِسْمِيَّةٍ مِثْلِ حَمَامَةٍ. وَكَانَ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ قَائِلاً: أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ، بِكَ سُرِرْتُ!»**

«بهيئة جسمية»: swmatikù e‡dei

ليس هذا هو الروح القدس، ولكن هذه الهيئة الجسمية حقّقت للرائين كيف نزل الروح القدس كفعل حقيقي منظور للتأكيد والشهادة. فالمظهر الخارجي بالنسبة للإلهيات يخص العين البشرية الكليلة التي لا ترى إلاَّ الأجسام والهيئات، أمَّا جوهر الإلهيات فلا يُرى بالحواس البشرية قط! ولكن قد تكون الهيئة الظاهرة الجسمية المنظورة ذات علاقة بالفعل الذي يأتيه، كعلامة ألسنة النار التي حلّت على رؤوس التلاميذ يوم الخمسين تعميقاً لمعنى فعل الروح القدس في النطق الإلهي وفي التطهير الناري. أمَّا الحمامة هنا كهيئة جسمية فواضح أنها تعميق لاستعلان وداعة المسيح وحلمه كمسيَّا المخلّص الفادي، ولكن من رؤية بعيدة تمثّل الحمامة روح الله الذي كان يرف على وجه المياه في بدء الخلقة، حيث يبدو التماثل شديد العمق، لأن بالروح الذي رفَّ على وجه الماء في البدء المخلوق أرضياً، يأتي المثيل هنا بالروح الذي رفَّ على هامة المسيح للخلق السماوي، لأن المعروف والمحقق

لاهوتياً «أننا مخلوقون في المسيح يسوع» (أف 2:10)، فالبشرية خُلقت ثانية خلقة روحية سماوية من جسد المسيح القائم من الأموات!

كما ينقلنا منظر الحمامة بهيئتها الجسمية وهي نازلة على المسيح إلى منظر الحمامة التي أطلقها نوح من الفلك لتأتي ببشرى انحصار فيضان غضب الله للهلاك الذي دمَّر الخليقة، وفي فمها غصن زيتون. أفليس هنا أيضاً بشارة من نفس الحمامة أنه قد انقضت أزمنة الغضب الإلهي وكفَّ هلاك الخطية الذي دمَّر وجه الأرض وجاء **غصن البر** ينادي بالحياة الأبدية للإنسان الذي أشقاه غضب الله؟

+ «ويخرج قضيب من جذع يسَّى **وينبت غصن من أصوله،** ويحل عليه روح الرب، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة الرب.» (إش 11: 1و2)

فإن كان المعمدان بالماء والإنذار والتوبيخ بالدينونة العتيدة كان يمثِّل طوفان نوح، فقد جاءت الحمامة لتحكي عن عالم جديد ملؤه سلام الله وله حياة لا تموت. ويكاد بطرس الرسول يختم على هذه الرؤية:

+ «مُماتاً في الجسدِ ولكن محييً في الروح، الذي فيه (أي في الروح) أيضاً ذهب فكرز للأرواح التي في السجن، إذ عصت قديماً، حين كانت أناة الله تنتظر مرَّةً في أيام نوحٍ، إذ كان الفُلْكُ يُبنَى، الذي فيه خَلَصَ (أناس) قليلونَ، أي ثماني أنفسٍ بالماءِ. الذي مِثالُهُ يُخلِّصُنَا نحن الآن، أي المعموديةُ، لا إزالةُ وسخ الجسدِ، بل سؤالُ ضميرٍ صالح عن الله، بقيامة يسوع المسيح، الذي هو في يمين الله، إذ قد مضى إلى السماءِ، وملائكة وسلاطين وقوَّاتٌ مُخْضَعَةٌ له.» (1بط 3: 18-22)

ولكن بأقصى تعبير صادق وحقيقي شرح المسيح نفسه هذا الذي حدث على مياه الأردن ونزول الروح القدس لبدء عمل المسيَّا وافتتاح زمان الخلاص وتكميل كل العهد والوعد السابق، حينما ذهب في أول ظهوره للناس بعد العماد ودخل مجمع الناصرة، ولم يكن صدفة ولا هو حدثٌ هيِّن أن يُستدعى المسيح ليقرأ فيجد صفحة من سفر إشعياء النبي تحكي بصوت مُدوٍّ يهز السماء والقلوب الواعية الصاحية: «روح الرب عليَّ لأن الرب مسحني ... لأنادي بسنة مقبولة للرب» (إش 61: 1و2) كما سيرويه ق. لوقا في الأصحاح (4: 16-20).

ولكن لا يفوتنا هنا أيضاً كيف تمَّ حرفياً ما قاله المعمدان: «أنا أعمدكم بماء ولكن يأتي مَنْ هو أقوى مني... هو سيعمِّدكم بالروح القدس ونار» (لو 3:16). هنا النقلة منظورة ومشاهدة بالروح وملموسة جسمياً بعجب يفوق العقل ـ فإذ والماء تحت رجل المسيح يحل الروح القدس لينتقل

العماد من الماء إلى العماد المزمع أن يكون بالروح القدس جهاراً بآن واحد.

«أنت ابني الحبيب بك سررت»:

وهكذا يتم معنى انفتاح السماء للمسيح وهو يصلّي، إذ يأتي المضمون قوياً واضحاً أن انفتاح السماء بالنسبة للمسيح هو أعظم حدث تمَّ على الأرض بعد الميلاد المقدَّس والمبارك المحسوب حضوراً ذاتياً متجسِّداً للابن، إذ يعني هنا أيضاً حضور الله الآب حضوراً ذاتياً مسموعاً لاستعلان بدءٍ جديدٍ لعلاقات تربط الله بالإنسان في شخص يسوع المسيح الابن المتجسِّد. هذا هو معنى انفتاح السماء للمسيح الابن وهو يصلّي!! أمَّا هذا الصوت الذي جاء من المجد الأسنى مسموعاً عند ذوي الآذان المفتوحة والشاهدة فهو أعظم كشف لاهوتي لحقيقة التجسُّد واستعلان ماهية الله كآب وابن لأول مرَّة، ليقبلها الإنسان كصميم قضية الإيمان بالخلاص المزمع أن يتم في بذل الآب للابن، أي التدخُّل الذاتي لله لرفع معاناة الإنسان من ربقة عبودية الخطية والشيطان والموت، باقتدار إلهي يُنهي نهائياً على أزمنة شقاء الإنسان ويفتح لها مجالاً سماوياً لخلق روحي فائق يعزله عن الأرض عزلاً أبدياً، ويضمه إلى خاصة الله ضماً يكاد يكون شخصياً وأبدياً لحياة هي حياة الله.

فبقول الآب من ملء العلاقة الذاتية الأبوية للمسيح: «أنت ابني» يكون قد بلغ التجسُّد أجلى صورة لحضور الله ظاهراً في الجسد، لا كمجرَّد شهادة يسلِّمها الله للعالم من جهة المسيح، بل كحقيقة لاهوتية هي بحد ذاتها تعني أن الله الآب ارتبط بالإنسان في المسيح ارتباطاً أبوياً لن يُنْزع من الإنسان إلى الأبد، طالما بقي المسيح ابناً لله وهو باقٍ بقاء الله. وهكذا في هذه الشهادة الأبوية الرفيعة المستوى يكون الله قد وثَّق للإنسان وجوداً بنوياً في المسيح لله أبدياً لن تزعزعه قوة ما في السماء أو في الأرض.

وكما سبق ولاحظنا أن الآية في إنجيل ق. مرقس تقول: «السموات قد انشقَّت ... وكان صوت من السموات: أنت ابني الحبيب الذي به سررت» (مر 1: 10و11)، وأدركنا أن الانشقاق هنا وسماع الصوت كان يخص الناظرين والسامعين من حول المسيح (راجع شرح الآية السابقة 21:3 «انفتحت السماء» صفحة 172 أعلاه)، وذلك يتأكد بقول الآب للمسيح في صيغة الشخص الثالث الغائب «الذي **به** سررت» وهكذا جاءت في إنجيل ق. متى أيضاً. أمَّا ق. لوقا هنا فيتميَّز جداً بجعل الخطاب مباشراً من الآب للابن حيث الصوت لا يخص الناس بل المسيح نفسه. فالسماء فُتحت له هو وحده والآب يتكلَّم له هو وحده بصيغة الشخص المخاطب: «أنت ابني ... **بك** سررت» لذلك قلنا إن هذا فتح جديد في المفهوم اللاهوتي، فنحن أمام استعلان أعماق الله وذات الله، لا للمعرفة ولكن لقبول حق جديد للإنسان.

وليحترس القارئ من أن يأخذ بآراء العلماء النُّقَّاد الذين يحاولون الإضعاف من هذه الحقيقة اللاهوتية، إذ يعتبرون أن الذي وُهِبَ للمسيح من الآب هنا هو كرامة البنوَّة. وهذا شطط فاضح ومحاولة خسيسة لرفع البنوَّة الذاتية من المسيح لله لتكون مجرَّد هبة أو عطية. هذا طغيان لا نجهل مصدره الشيطاني للإطاحة بلاهوت المسيح كابن ذاتي لله، لأن صوت الله الآب من السماء ليس هو مجرَّد إعلان ولا يتضمَّن الكلام نوعاً من العطية أو التكريم، بل هو من صميم كشف علاقة أزلية تربط الآب بالابن ربطاً هو بعينه الأنا العظمى لله الواحد الأحد. فالابن المُخاطب هنا هو والآب واحد. فـ"أنا الابن" هو الله، و"أنا الآب" هو الله و"™gè الله" هو الأنا المطلق وهو الآب والابن معاً.

والقديس لوقا هنا لا يختط خطأً لاهوتياً جديداً بل يلتزم التزاماً حرفياً وروحياً بديعاً بقول الملاك للعذراء القديسة: «الروح القدس يحل عليكِ وقوة العلي تظلّلك فلذلك أيضاً القدوس المولود منكِ يُدعى ابن الله.» (لو 35:1)

والمسيح لم يترك هذه اللمسة اللاهوتية وهو في بكور صبوته ليعلنها صارخة في وجه مَنْ رأوه كمَنْ يستمد كيانه البشري من أب بشري، إذ ردَّ على أُمه القلقة التي أوحت إليه بقلق يوسف عليه، فكان ردُّه فيه المؤاخذة والاستهجان معاً مع تصحيح في صميم هويته: «ينبغي أن أكون في ما لأبي.» (لو 49:2)

غير أن التعريف بالابن الخاص لله بالنسبة للآب لا يقف عند عتبة ما هو لله فقط، بل هو اللقب المسيَّاني الذي بمقتضاه يتملَّك المسيح ملكه الأبدي فيما يخص الإنسان. إذن، فمناداة الله الآب من السماء بحقيقة الابن الحبيب قائماً متجسِّداً هو إعلان لبدء دخول المسيح في القيام بتأسيس ملكوت الله على الأرض وفي السماء. فلحظة قول الآب للمسيح المتجسِّد «أنت ابني» تعيَّن في الحال ملكاً أبدياً على كل مُلك الله، لا ليحكم ويسود بل ليضع لله أبيه مُلك المحبة ليملك الله بحسب طبيعته على خليقة خلقها الابن لتكون على مستوى مسرَّة الآب. فالله لا يملك إلاَّ بالحب والحب عند الله عطاء ذات: «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه.» (يو 16:3)

ولكن من المحزن أن نسمع بعض العلماء اللاهوتيين الكبار يشكُّون في أن المسيح كان يَشْعر أو يُدرك أنه ابن الله(138)، ويرد عليهم العالِم مارشال بأن يسوع دُعي "المسيَّا" بسبب كونه أصلاً "ابن الله" وليس العكس. وقول المسيح الذي قاله مرَّة وهو يقطع بأنه حقًّا ابن الله يرد على هؤلاء

(138) J. H. Marshall, *op. cit.*, p. 155.

العلماء بمنتهى الوضوح والإصرار: «فالذي قدَّسه الآب وأرسله إلى العالم أتقولون له إنك تجدِّف **لأني قلت إني ابن الله**.» (يو 36:10)

ويعود العالم شفايزر(139) فيقول إنه إذا كان المسيح قد شرح شرحاً وعمل عملاً طوال حياته مؤكِّداً أنه عمل ابن الله، فكيف يُمتنع أن تكون ألقابه كابن الله متأصِّلة منذ سني حياته الأولى، خاصة هذا اللقب المسيَّاني المحدَّد؟

«الحبيب»: ¢gaphtÒj

الصفة هنا شديدة الصلة بالابن أكثر منها صفة مستقلة منفصلة، فهي تخصصية إلى أقصى حد للابن حتى أنها قد تأتي عوضاً عن اسم الابن، فالحبيب أو المحبوب هو الابن وليس آخر(140). والابن هو المحبوب، لذلك إذا أُضيفت إلى الابن أفادت **"الوحيد"**(141). (قارن لوقا 13:20 مع مرقس 6:12). وعلى العموم فإن عبارة «ابني الحبيب Ð ufÒj mou Ð ¢gaphtÒj » تستبعد نهائياً مفهوم الاختيار أو التعيين، بل تعطي معنى العلاقة شديدة الصلة بين المسيح كابن بالنسبة لله كآب(142) كصفة جوهرية.

«بك سررت»: eÙdÒkhsa

وتعني أكثر من مسرَّة، إذ تفيد آخذ مسرتي take delight. وقد جاءت أقوى ما جاءت معبِّرة عن هذا المعنى الاتصالي أو الينبوعي العجيب في إشعياء: «هذا عبدي الذي أعضُدُه مختاري الذي **سُرَّت به نفسي.** وضعت **روحي عليه**» (إش 1:42). وبشيء من التعمُّق في فهم الوضع هنا بين حلول الروح عليه وبين قوله سُرَّت به نفسي يتبيَّن الوضع التبادلي السرّي العجيب بين حركة الروح وحركة الحب. الروح يحل والحب ينبع، وهو تبادل جوهري مذهل بين الآب والابن، روح بحب وحب بروح. فالابن بمثابة حب الآب والآب بمثابة روح الابن، وكأنه بقدر ما يمتلئ الآب بحب الابن يمتلئ الابن بروح الآب. وهكذا يبدو لنا جوهر الله روح وحب في غليان متبادل لا ينقطع، يطرح على العالم حياة وحباً في صميم بذل الآب للابن من واقع حب الله والحياة الأبدية التي يريدها واقعاً فعَّالاً في العالم!

(139) E. Schweizer, *TDNT* VIII, 366.

(140) «التي أنعم بها علينا في **المحبوب**» (أف 6:1)، راجع مقالة: "المحبوب" في مجلة مرقس فبراير سنة 1994 – أعيد طبعها كمقالة منفصلة.

(141) I. H. Marshall, *The Gospel of Luke*, p. 156.

(142) W. Manson, *The Gospel of Luke*, London, 1930, p. 31 f.

(ج) النسب الميلادي للمسيح
(3: 23-28)

ربما يأتي جدول أنساب المسيح في هذا الموضع غريباً عن اعتياد ذهن القارئ العادي، إذ أن موضعه الطبيعي أن يكون في بداية قصة الميلاد.

ولكن لو لاحظ القارئ أنه في الآية (3:21) أتى اسم يسوع لأول مرَّة ـ بعد الميلاد ـ يمكن أن يرى كيف أن ق. لوقا حينما أراد أن يبدأ الخدمة العملية للمسيح بعد العماد أراد أن يعرِّفنا بنسبه البشري من آدم في مقدِّمة إنجيله ـ بمعنى أخباره السارة.

وبالرغم من أن كثيراً من العلماء يرى أن تقديم سلسلة أنساب المسيح من آدم تُحسب غير مناسبة أبداً مع التقليد الثابت الإنجيلي من جهة ميلاده العذري المبارك دون رجل!(143) خصوصاً وأن لقب ابن الله جاء ليغطِّي شخصيته المسيَّانية ذات الأصول الإلهية الكاملة؛ ولكن الواقع أننا لو فحصنا فكر ق. لوقا نفسه نجده لم يَرَ في إيراد ميلاده العذري المقدَّس ما يعارض ذكر نسبه البشري، وكأن يوسف خطيب مريم من اللائق أن يغطِّي دور الأبوين مع مريم العذراء في نظر العالم الذي لا يتسع ذهنه لمفهوم أبوة الله الحقيقية للمسيح. لأننا لو تتبعنا الوضع الرسمي ليوسف خاصة بعد الاكتتاب نجده محسوباً رسمياً وفي مضابط التعداد الرومانية أنه يمثِّل الأب للمسيح في فكر العالم. وهذا نجده يمر بسهولة مطلقة عند الذين ألفوا جدول أنساب المسيح من يوسف وكأنه أمر عادي.

ويؤكِّد لنا العالِم يواقيم إرميا(144) اليهودي المتنصِّر أن حفظ الأنساب في أيام المسيح كان ضرورة حتمية كعمل رسمي هام جداً للعائلات الكهنوتية والعائلات غير الكهنوتية على السواء. وأن هذه الأنساب لم تكن تلفَّق بل كان يُتَّخذ فيها الحيطة الدقيقة بمنتهى الدقة على قدر كبير من الاجتهاد العاملين في تسجيلها، حتى ولو حدث فيها بعض الفجوات فهذا لا يثني القائمين بالأمر من تكميل التسجيل على أكثر صحة ممكنة.

(143) J. Weiss, cited by I. H. Marshall, *The Gospel of Luke,* p. 157.
(144) J. Jeremias, *Jerusalem in the Time of Jesus,* London, 1969, pp. 213-221, 275-302.

كما يمدنا العالِم م. د. جونسون(145) أنه كان هناك اهتمام شديد بنقاوة الأنساب، وكانت العائلات تحتفظ دائماً بتاريخ أنسابها كتابة وشفاهاً، وكانت حاضرة دائماً في أذهانهم وعلى لسانهم، لذلك أصبح من غير العدل أن لا يُعترف بها تاريخياً. ولهذا أصبح هناك ضرورة لاعتبار نسب المسيح المذكور هنا على مستوى تاريخي إلى حد قاطع.

ولكن يقابلنا في سجلاّت النسب التي وُضِعَت للمسيح في إنجيل ق. متى وإنجيل ق. لوقا اختلافات ليست بسيطة، حيث نجد الأنساب في سجلاّت ق. متى تبدأ من إبراهيم إلى المسيح، بينما نجدها عند ق. لوقا تسير في الاتجاه المخالف، إذ تبتدئ من المسيح عائدة إلى خلف، كما نجدها مطوّلة. ونجدها أيضاً تمتد بالتسجيل من إبراهيم إلى آدم ثم الله لتعطي ما مجموعه 78 اسماً. وبينما ق. لوقا يضع في الحقبة الزمنية من إبراهيم إلى المسيح 57 اسماً نجد ق. متى يضع 41 اسماً. أمَّا في الحقبة من داود إلى المسيح فيختلف التسجيل بين ق. متى وق. لوقا اختلافاً كلياً ولا يتقابلان إلاّ في اسمي شألتئيل وزربابل، بل ويختلفان حتى في الاسم الذي أُعطي للشخص الذي يمثّل أبا يوسف حتى أصبح من العسير الحصول على توافق بين تسجيل إنجيل ق. متى وإنجيل ق. لوقا.

وقد قام العالِم القديم أنيّوس الذي من فيتربو(146) (سنة 1490م) ببحث هذه الأنساب فقال: إنه بينما يعطي ق. متى أنساب المسيح من يوسف، فالقديس لوقا يعطيها من العذراء مريم. فإذا أخذنا بهذه الأبحاث يكون والد العذراء هو هالي كما جاء في إنجيل ق. لوقا هكذا: «ولمَّا ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان يُظن ابن يوسف ابن هالي ...» (على اعتبار أن يوسف يُدعى تجاوزاً ابن حميه هالي). ولكن هذا التسلسل لا يأخذ في الاعتبار تركيز ق. لوقا بأن يوسف "من بيت داود" (لو 27:1)، فلم يُؤْخَذ به.

ثم قام عالِم آخر هو المدعو بالأفريكانوس(147) ووضع خريطة أنساب معقّدة انتهى فيها إلى أن يوسف خطيب مريم كان حقًّا ابن هالي كما جاء في إنجيل ق. لوقا. ولكن قام علماء نُقّاد ولم يأخذوا بنظرية أفريكانوس.

أمَّا النظرية التي اكتسبت حديثاً قبولاً عاماً فهي نظرية لورد أ. هارفي(148) إذ يقول: إن ق. متى

(145) M. D. Johnson, *The Purpose of the Biblical Genealogies*, Cambridge, 1969, p. 238.

(146) Annius of Viterbo, cited by Marshall, p. 158.

(147) Euseb., *H. E.* 1:7.

(148) Lord A. Hervey, cited by Marshall, *The Gospel of Luke*, p. 158.

يعطي الخط الرسمي المنحدر من داود محققاً مَنْ هو المستحق لعرش داود في كل حالة. أمَّا القديس لوقا فيعطي المنحدرين من داود كفرع الأسرة التي ينتمي إليها يوسف.

أمَّا دقائق الأبحاث لهذه النظرية فهي تختلف من محقّق لمحقّق. وقد جاء أحد الأبحاث التي توفّق بين سلسلة الأنساب هذه بين الإنجيليين: فهو يعتقد أن يعقوب في سجل إنجيل ق. متى كان بدون أولاد ذكور، وأن يوسف الابن الجسدي لهالي المذكور في سجل ق. لوقا اعتُبر أنه وريثه. ولكن قامت بعض المشاكل في الخطوط التالية بالنسبة لمتثات (في لوقا) ومتَّان (في متى) إذ يُسأل هل هما شخصان أم هما شخص واحد؟ يطرح هذا السؤال ويرد عليه العالِم البحَّاثة ماشين (صفحة 207-209 من بحثه المذكور أسفله) إذ يقدّم بحثاً يخص إمكانيات حلّها. وقد قامت مشاكل وصعوبات بالنسبة لهذه النظرية أيضاً. ولكن يبدو أنها ليست بلا حل.

ولكن يحق لنا فقط أن نقول: إن المشكلة الحادثة بسبب وجود مسلسلين للأنساب هي لا زالت بلا حل بالنسبة للأبحاث التي تمَّت وتحت أيدينا، ولكن لا يمكن أن نجزم بالقول إن هذين المسلسلين هما مجرَّد عملين تأليفيين(149). على أية حال يمكن بوضوح أن نستخرج من مسلسل أنساب المسيح في إنجيل ق. لوقا، الذي ينتهي بوصف المسيح كابن الله، معنىً عميقاً يهدف إليه ق. لوقا بحكمة وتأنٍّ عبر سلسلة الأنساب التي أجهد نفسه في جمعها ليبلغ بها إلى تأكيد القول الإلهي الصادر من الآب في السماء: «أنت ابني الحبيب بك سررت »(لو 22:3)، مؤكّداً ومتحدّياً للشيطان الذي يشك وحده في كون المسيح ابن الله: «إن كنت ابن الله» مرَّتين: (3:4 و9:4). فالقديس لوقا لا يقف أبداً عند مجرَّد أسماء وألقاب بل ينشغل أصلاً بأن يُظهر أن كل الأسماء التي أوردها من يوسف حتى آدم ما هي إلاَّ أبوَّة واحدة عظمى تفقد مفهومها التناسلي لتبلغ بالمسيح إلى أبوَّة الله الفريدة، متحدية هذه الأنساب جميعاً التي تتضاءل حتى وكأنها تتلاشى في معجزة ميلاده من عذراء بالروح القدس.

فالقديس لوقا لا يمانع بأن يعطي جدول أنساب المسيح كما يظن العالم وكما يشتغل الكهنة والربيُّون، وبآن واحد ليعطي ميلاده الإلهي بالروح القدس بلا أب جسدي ليحقّق أنه وإن كان مولوداً من عذراء فهو الابن الوحيد المحبوب للآب. فهو حقَّاً ابن آدم أو ابن الإنسان ولكنه بآن ابن الله الوحيد.

(149) ملاحظة: مَنْ يُريد أن يتعمَّق في أبحاث جدول أنساب المسيح فعليه أن يرجع إلى المراجع الآتية:

- A. Hervey, *The Genealogies of our Lord and Saviour Jesus Christ,* London,1853.
- F. F. Bruce in NBD (*New Bible Dictionary,* London, 1962), p. 458 f.
- J. G. Machen, *The Virgin Birth of Christ,* London, 1932², pp. 202-209; 229-232.
- J. Jeremias, *Jerusalem in the Time of Jesus*, London, 1969, pp. 213-221; 275-302.

فالقديس لوقا إن كان قد أعطى نسبه البشري لآدم فلكي يضعه ضرورة ضمن جنس البشرية المخلوقة بيد الله، فإن نسبه لآدم جسدياً فلكي ينسبه إلى ابن العصيان، وإن كان قد نسبه لله روحاً ولاهوتاً فلكي يظهره كابن الحضن الأبوي المحبوب لكي يحتمل ثقل العصيان كله ويرفعه عن كاهل البشرية كلها ليلبسها حب الآب في ذاته. فهو وإن لُقّب حقًّا بابن آدم فلكي يرفع بنوَّة آدم العاصية إلى بنوَّة الله المحبوبة.

كما لا ننسى أن كون ق. لوقا ينسب المسيح لآدم فهو لكي يجمع الدنيا كلها في حضنه ويلملم البشرية التي تمزَّقت وتفرَّقت وتفتَّت، في ذاته، في إنسان واحد كامل كمال الله!! ليمحو التشوُّه الذي أصاب وجه الإنسان ومن ورائه الخليقة كلها، وليعود بالصورة إلى شبهها ومثالها الإلهي الذي خُلقت على أساسه كصورة الله وأكثر. فآدم في المسيح لم يعد آدم الجنة بل دخل في المسيح ليملك مع الله ويرث ميراث الابن الوحيد.

23:3 **«وَلَمَّا ابْتَدَأَ يَسُوعُ كَانَ لَهُ نَحْوُ ثَلاَثِينَ سَنَةً، وَهُوَ عَلَى مَا كَانَ يُظَنُّ ابْنَ يُوسُفَ بْنِ هَالِي».**

حينما يقرِّر ق. لوقا أن المسيح كان قد بلغ ثلاثين عاماً لمَّا ابتدأ رسالته، يوجِّه فكر القارئ إلى أنه كان قد بلغ تمام السن اللائق للقيام بالرسالة، بقدر رجاحة ما هو مزمع أن يرصد من نسبه البشري المظنون عند الناس.

والقديس لوقا يضرب لبعيد بهذه المقدّمة الملكية للمسيَّا الذي جاء ليقيم مملكة داود الدهرية. فهذا هو داود نفسه: «كان داود ابن ثلاثين سنة حين ملك ...» (2صم 4:5)، بل وإلى أبعد من داود يذهب ق. لوقا ليكشف مدى مناسبة هذا السن لأعظم مملكة في العالم القديم يتبوَّأها ابنٌ لإبراهيم: «وكان يوسف ابن ثلاثين سنة لمَّا وقف قدَّام فرعون ملك مصر، فخرج يوسف من لدن فرعون، واجتاز في كل أرض مصر.» (تك 46:41)

ويُلاحِظ القارئ أن بدء خدمة المسيح وهو ابن ثلاثين سنة يتوافق مع التاريخ الذي وضعه ق. لوقا أنه في السنة الخامسة عشر لطيباريوس قيصر.

وقول القديس لوقا: «على ما كان يُظن» لا يفيد كما يقول العلماء أن ق. لوقا لم يكن متأكِّداً من التاريخ الذي يقرِّره، ولكن في الحقيقة ق. لوقا ينقل ما كان يظنه الناس خطأً أنه ابن يوسف. أمَّا قوله: «ابن هالي» ففُهِمَت على أن هالي والد للعذراء القديسة وبذلك يُحسب المسيح أنه ابن

لجدّه هالي أبي مريم. ولو أن هذا يغاير كثيراً التقليد القبطي الكنسي الذي يؤكّد أن يواقيم هو والد القديسة العذراء مريم. والبعض يعتقد أن هالي هو والد يوسف. أمَّا اسم هالي فهو بالعبرية: "إيلي" = élî = 'Hl... .

24:3 **«بْن مَتْثَاتَ بْن لاَوِي بْن مَلْكِي بْن يَنَّا بْن يُوسُفَ».**

«متثات»: Matq£t

مكرَّر أيضاً في (29:3) ويُقرأ بالعبرية MattAt وهو شبيه أيضاً باسم Mattaq£ الذي جاء في (3 : 31) وكذلك شبيه باسم Mattaq...ou (3 : 25و26) وهو مطابق للاسم الذي جاء في إنجيل ق. متى كجد ليوسف (مت 1 : 15).

«لاوي»: Leu...

وقد جاء أيضاً في (29:3)، (27:5و29) ويُنطق بالعبرية Lfwi.

25:3 **«بْنِ مَتَّاثِيَا بْنِ عَامُوصَ بْنِ نَاحُومَ بْنِ حَسْلِي بْنِ نَجَّاي»**

«متّاثيا»: Mattaq...ou

"متّاثيا" أي Mattityâ وهو اسم شائع، أمَّا "عاموص" Amèj' فهو يمثّل AmOn' وهو اسم ملك (2مل 21 : 18). وعاموص هو أبو إشعياء النبي وأيضاً اسم نبي. أمَّا "ناحوم" NaoÚm فهو أيضاً اسم نبي (نا 1 : 1)، و"حسلي" هو Esl...` ، أمَّا "نجّاي" Nagga... فهو أيضاً N£gai أو Nagah (1أي 7:3).

26:3 **«بْن مَآثَ بْن مَتَّاثِيَا بْن شِمْعِي بْن يُوسُفَ بْن يَهُوذَا».**

"مآث" M£aq وهو يرادف Mahat (1أي 35:6)، ويقول العالِم كوهن(150) إن هذا الاسم هو أصلاً كلمة Mf'et التي تعني "من" from.

"شمعي" Semeΐn وهو Šim'î (خر 17:6) أو Šma'yâ (1أي 4:5).

و"يوسف" هو Iws»c' ، و"يهوذا" هو yehûdâ أو yôyadA وباليوناني Iwd£'.

(150) G. Kuhn, cited by Marshall, *op. cit.*, p. 163.

27:3 **«بْنِ يُوحَنَّا بْنِ رِيسَا بْنِ زَرُبَّابِلَ بْنِ شَأَلْتِئِيلَ بْنِ نِيرِي».**

"يوحنا" هو Iwan£n ' ولأول وهلة يكون هو Yôhanan الاسم العبري له نفس معنى hananyâ = `Anani£ (1أي 3 : 19)، والفرق بين هذين الاسمين هو في وضع اسم الله في المقدّمة أو المؤخرة وقد يكون هو اسم أحد أولاد زربابل، ولكن بين "يوحنا" و"زربابل" يأتي اسم "ريسا" `Rhs£ وقد يكون اسم علم risyA أو `rasei£ (1أي 7 : 39). ويقول بعض الباحثين إن هذا الاسم هو تغيير لاسم rešA بمعنى أمير = برنس، وهو قد يؤدّي بنا إلى اعتبار أن ق. لوقا كان يرجع إلى مصدر أرامي الذي لم يكن معتمداً على السبعينية.

"زربابل" Zorobabšl وهو اسم قائد لليهود أثناء السبي عندما عادوا إلى أورشليم. أمَّا اسم أبيه فجاء هنا "شألتئيل" Salaqi»l أي Š'altîel. أمَّا اسم أب شألتئيل هنا فهو "نير" Nhr… (أي Ner) وقد يكون هنا هو "يكنيا" الملك (1أي 17:3).

28:3 **«بْنِ مَلْكِي بْنِ أَدِّي بْنِ قُصَمَ بْنِ أَلْمُودَامَ بْنِ عِيرِ».**

وهنا يدخل الجدول في أسماء غير معروفة في العهد القديم بعد داود من ابنه ناثان.

أمَّا اسم "ملكي" Melc… فقد جاء في الآية 24. وأمَّا "أدّي" فهو عدّو (1أي 6 : 21)، أمَّا "قُصَمْ" Kws£m فهو غير معروف، أمَّا "ألمودام" Elmod£m ' فهو أيضاً ألموداد (تك 10 : 26).

29:3 **«بْنِ يُوسِي بْنِ أَلِيعَازَرَ بْنِ يُورِيمَ بْنِ مَتْثَاتَ بْنِ لاَوِي».**

"يوسي" هو Ihsoà '، و"أليعازر" Elišzer ' قريب من elîezer (تك 2:15)، و"يوريم" Iwr…m ' هو Iwre…m و"متثات" و"لاوي" قد ذكرناهما.

30:3 **«بْنِ شِمْعُونَ بْنِ يَهُوذَا بْنِ يُوسُفَ بْنِ يُونَانَ بْنِ أَلِيَاقِيمَ».**

"شمعون" هو Sumeèn أمَّا يهوذا فمعروف، أمَّا "يونان" فهو Iwn£m ' كذلك هو Iwn£n ' = y'hohanan (1أي 3:26)، و"ألياقيم" Eliak…m ' مذكور في (2مل 18 : 18).

31:3 **«بْنِ مَلَيَا بْنِ مَيْنَانَ بْنِ مَتَّاثَا بْنِ نَاثَانَ بْنِ دَاوُدَ».**

"مَلَيَا" Mele£ ، و"مينان" Menn£ ، و"متّاثا" Mattaq£ هو Mattaté ، و"ناثان" هو

Naq£m أو Naq£n وهو natan وهو ابن داود.

والآن وصل المسلسل إلى داود Dau…d (dawid) الملك.

32:3 **«بْنِ يَسَّى بْنِ عُوبِيدَ بْنِ بُوعَزَ بْنِ سَلْمُونَ بْنِ نَحْشُونَ».**

ومن داود إلى إبراهيم نجد أن المسلسل في إنجيل ق. لوقا يسير موازياً لمسلسل القديس متى مع فروقات طفيفة.

"يسَّى" Iessa… ' وهو yisay ، و"عوبيد" Iwb»d ' وهو ôbed والأفضل Wb»d ، و"بوعز" BÒoj هو boaz وأيضاً BÒej ، و"سلمون" هو Sal£ وأيضاً salmá و salmôn وهذا الاسم يمت إلى أبي الآباء "شالح" (تك 24:10) ولكن حالياً يُحسب Salm©n و SalmÒn.

33:3 **«بْنِ عَمِّينَادَابَ بْنِ أَرَامَ بْنِ حَصْرُونَ بْنِ فَارِصَ بْنِ يَهُوذَا».**

"عَمِّيناداب" Aminad£b ' (1أي 2 : 10)، "أرام" جاءت باليونانية Arn… ' ولكنها تقابل أرام المذكور في (1أي 2 : 9) و"حصرون" Esrèm` ، Esrîn` و hesrôm، و"فارص" F£rej وهي Peres و"يهوذا" IoÚda '.

38-34:3 **«بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ تَارَحَ بْنِ نَاحُورَ بْنِ سَرُوجَ بْنِ رَعُو بْنِ فَالَجَ بْنِ عَابِرَ بْنِ شَالَحَ، بْنِ قِينَانَ بْنِ أَرْفَكْشَادَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحِ بْنِ لاَمَكَ، بْنِ مَتُوشَالَحَ بْنِ أَخْنُوخَ بْنِ يَارِدَ بْنِ مَهْلَلْئِيلَ بْنِ قِينَانَ، بْنِ أَنُوشَ بْنِ شِيتِ، بْنِ آدَمَ، ابْنِ اللهِ».**

"يعقوب" Iakèb ' (yaqob)، "إسحق" Isa¦k ' (yishaq)، "أبرآم" Abra¦m ' (abraham). وهنا يكمُل التوازي مع إنجيل القديس متى، وباقي الأسماء بعد ذلك لا تأتي في التوازي مع إنجيل القديس متى.

"تارح" Q£ra (terah)، "ناحور" Nacèr (nahor)، "سروج" SeroÚc (serug)، "راعو" RagaÚ` (reu)، "فالج" F£lek (peleg)، "عابر" Eber" (eber)، "شالح" Sal£ (selah)، "قينان" Kain£m، "أرفكشاد" Arfax£d ' (arpaksad)، "سام" S»m (sem)، "نوح" Nîe (noah)، "لامك" L£mec (lemek)، "متوشالح" Maqousal£ (metuselah)، "أخنوخ" Enèc` (hanok)، "يارد" I£ret ' (yered)، "مهللئيل" Malele»l (mahelalel)، "قينان"

'Ad£m "آدم"، (set) S»q "شيث"، (enos) 'Enèj "أنوش"، (qenan) Kain£m
.(adam)

كان لابد أن نذكر كل هذه الأسماء التي في الحقيقة لا نتقن نطقها لأنها باللسان اليهودي، ولكنها أسماء كنجوم زاهرة في سماء العهد القديم أدَّت رسالتها وسلَّمت وديعتها وعبرت، ولكن اخترقها جميعاً سهم من نور الله ذي الاختيار الذي لا يخفق أن يجمع منها مسلسلاً تعيَّن منذ الأزل ليعبرها جميعاً، وليحط في النهاية على رأس مختار الله يسوع الذي حمل أقنوم الابن الوحيد ليكمِّل مقاصد الله الأزلية في بني الإنسان.

الأصحاح الرابع:

(د) تجربة المسيح (4:1-13)

(مت 4: 1-11)

واضح أن الأناجيل المتناظرة جميعاً التزمت بوضع عماد المسيح مع التجربة كعملين أساسيين لبدء الخدمة. هكذا التزم ق. لوقا أيضاً في إنجيله مما يكشف لنا كشفاً وثيقاً أن الكنيسة الأولى سجَّلت في وعيها وفي تقليدها الشفاهي والمكتوب هذا التقليد الموروث الذي التزمت به الأناجيل. كذلك نجد أن الحادثتين مرتبطتان معاً ارتباطاً سرياً قوياً، إذ بمجرَّد أن حلَّ الروح القدس على المسيح، للوقت قاده وهو متقوٍ به إلى عمله الجديد لمصارعة الشيطان والصمود أمام محاولته لزعزعته عن خضوعه لله كابن له، وبالتالي تعويقه عن رسالته المسيَّانية التي وضعها عليه الله. وقد باءت كل محاولات الشيطان بالفشل، وخرج المسيح من هذا الصراع المكشوف بقوة أكبر لبدء خدمته التي انحصرت في بدايتها في ملاحقة الشيطان والأرواح الشريرة التابعة له وهزيمتها، وإخراجها عنوة من الذين استحوذت على أشخاصهم، بعد أن ربطتهم وأذلَّتهم وطرحتهم مرضى ومجانين.

وهكذا نجد أن المعمودية وحلول الروح القدس ودخول المسيح إرادياً في التجربة على الجبل كانت هي البداية الصحيحة والمدخل المدبَّر من الله لبدء رسالة الخلاص، بتأمين دحر الشيطان أولاً وربطه قبل أن ينزع سلاحه الذي اعتمد عليه في قتله للناس، ألا وهو الخطية، تمهيداً لبدء افتتاح ملكوت الله:

+ «**ولكن إن كُنتُ (أنا) بإصبع الله أخرج الشياطين، فقد أقبل عليكم ملكوت الله.** حينما يحفظ القويُّ داره مُتسلِّحاً، تكون أمواله في أمان. ولكن متى جاء مَنْ هو أقوى منه فإنه يغلبه وينزع سلاحه الكامل الذي اتكل عليه ويوزِّع غنائمه.» (لو 11: 20-22)

ولكن لم يكن عمل المسيح في العماد والتجربة عملاً منفرداً خاصاً به وحده، ولكنه قدَّمه بكل دقائقه وملابساته وانتصاراته القائمة على القوة التي باشرها بالروح القدس، والخضوع الكلّي للمكتوب أي وصايا الله، نقول قدَّمها من أجل احتسابه كنموذج يتعيَّن علينا أن نعيه لأنفسنا تماماً. فهو الطريق المرسوم من قِبَل الله لكي يسيره الإنسان معتمداً على المسيح والروح ووصايا الله لغلبة

الشيطان ليتهيأ للدخول إلى ملكوت الله؛ بل وبالأكثر جداً فقد تمم هذا العمل ابنُ الله وهو حامل بشريتنا فيه ليكون هذا العمل وهذا الفعل ـ بهذه القوة الروحية وهذا الخضوع لله وسلطان الاقتدار بكلمة الله لغلبة الشيطان ـ جزءاً حيًّا من نصيبنا الذي ورثناه في المسيح. بمعنى واضح وقوي وصريح أننا في المسيح اعتمدنا وفي المسيح نلنا قوة الروح القدس وفي المسيح نُقتاد إلى التجربة كل يوم غير هيَّابين؛ بل وبنفسية وإيمان مَنْ هم أعظم من منتصرين بإحساس الخضوع الكلي لكلمة الله، عالمين أن المسيح انتصر لنا ونحن فيه كابن الله.

ولو لاحظنا منهج المسيح في مقاومة الشيطان معتمداً على كلمة الله المكتوبة نجده يستخدم سفر التثنية بوضوح:

+ «وتتذكَّر كل الطريق التي فيها سار بك الرب إلهك هذه الأربعين سنة في القفر لكي يذلّك ويجرِّبك ليعرف ما في قلبك أتحفظ وصاياه أم لا. فأذلّك **وأجاعك** وأطعمك المن الذي لم تكن تعرفه ولا عرفه آباؤك لكي يعلّمك أنه **ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل ما يخرج من فم الرب يحيا الإنسان.**» (تث 8: 2و3)
+ «**الرب إلهك تتقي وإياه وحده تعبد** وباسمه تحلف.» (تث 13:6)
+ «**لا تجرِّبوا الرب إلهكم** كما جرَّبتموه في مسَّة.» (تث 16:16)
+ «فالآن يا إسرائيل اسمع الفرائض والأحكام التي أنا أعلّمكم لتعملوها لكي تحيوا وتدخلوا وتمتلكوا الأرض التي الرب إله آبائكم يعطيكم.» (تث 1:4)

وواضح هنا أمام القارئ كيف اتخذ المسيح من وصايا الله وأحكامه سلاحه البتَّار الذي صرع به العدو، ملتزماً بدقة متناهية بكلام الله، مما يكشف لنا كشفاً مُلزماً بأن نفتح عقلنا لنفهم أن وصايا الله لم توضع للحفظ والاستذكار وإنما للعمل بها كأسلحة في حربنا مع العدو، والمسيح استخدمها لنا ومن أجلنا بحذق ووعي ومجابهة قوية لتصبح أسلحتنا لحياتنا.

وللأسف هذه المذخرات الإلهية الثمينة التي ادّخرها الله لإسرائيل لتغلب وتحيا أهملتها واستهانت بها، ففقدت قوتها، وباتت معلّقة على صفحات التوراة للزينة والفخار بلا أي قوة أو فائدة.

وهكذا جاء المسيح ليفتح أول صفحة في منهجه الخلاصي باستخدام التوراة نفسها وبنفس الوصايا لكي يهزم عدوًّا مارداً لينحِّيه عن طريق خلاصنا وحياتنا.

وقد امتاز ق. لوقا في سرده لتجربة المسيح عن القديس متى والقديس مرقس كونه جعل التجربة

الأخيرة في أُورشليم لكي يُحرز المسيح فيها نصرته الأخيرة، كما أكملها على الصليب.

ولكن الذي نستخلصه أيضاً من قصة تجربة المسيح على الجبل، أن المسيح يعتبر الشيطان شخصاً حقيقياً ذا قوة تخريبية سلبية ضد كلمة الله والخضوع له، معانداً للتدبير الإلهي، ومعطّلاً لطريق الخلاص والحياة. وهو بهذه التجارب يكشف ما بداخل الشيطان من فكر وحيلة ومراوغة بصورة مأساوية مدمِّرة. وواضح أيضاً أن المسيح بخروجه من التجربة سلّمنا منهجاً مدروساً مطبّقاً وعدواً مغلوباً ونصرة روحية باقية واعتماداً مستميتاً على الآب السماوي.

1:4 «أَمَّا يَسُوعُ فَرَجَعَ مِنَ الأُرْدُنِّ مُمْتَلِئاً مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَكَانَ يُقْتَادُ بِالرُّوحِ فِي الْبَرِّيَّةِ».

واضح أن هذه الآية جاءت لربط المعمودية بالتجربة بعد أن اعترضت جداول الأنساب بين العملين. وتفيد هذه الآية أنه بعد أن اعتمد المسيح وحلَّ الروح القدس عليه كان دائماً على منتهى الملء من الروح القدس. مع ملاحظة أن إصرار ق. لوقا على لقب "يسوع" فقط هو لكي يوضِّح البشرية فيه وقد استُعلن فيها الملء الدائم من الروح القدس. على أن المسيح لم يكن في وقت ما منذ أن حُبل به في البطن غير ممتلئ من الروح القدس، بل وكان حتى وهو في بطن العذراء قادراً أن يهب الروح القدس للمعمدان وهو جنين، ولأمه أيضاً. على أنه لا ينبغي أن ننسى أن المسيح هو "الرب الروح" وليس من دونه.

وعمل الروح القدس في المسيح بعد العماد لم يكن مجرَّد قوة مرافقة بل التحام المثيل بالمثيل ليصير "يسوع" هو بالفعل المسيح ابن الله، بكل عمل الله واقتداره. فيسوع واجه الشيطان كابن الله المتجسِّد الأمر الذي حيَّر الشيطان وجعله يراوغ ليتحقَّق من هذه الحقيقة.

وعبارة: «يُقتاد بالروح» تفيد أن "يسوع" دخل في عمق التدبير الإلهي لتكميل رسالة الابن. أمَّا قوله: «في البرية » ™r»mJ ™n tÍ فالقديس لوقا يأخذ بالتقليد الذي أخذ به القديس متى والقديس مرقس، الذي أُحبك أصلاً من الله لإظهار المسيح كإسرائيل الجديد الذي قضى الأربعين يوماً على غرار الأربعين سنة التي أُخرج فيها إسرائيل العتيق إلى برية صين إلى قفر أعوزه فيه الماء والطعام. وكان أصلاً ليجرِّبه بحسب الآية (تث 8: 2و3) التي ذكرناها أعلاه. والإحكام هنا في الأماكن والأرقام ملفت للنظر جداً، ويوجِّه الفكر العميق نحو تطابق التدبير لتجديد العهود ولخروج البشرية الخروج الأخير والنهائي من ضيق العالم إلى رحب الله والسماء.

2:4 «أَرْبَعِينَ يَوْماً يُجَرَّبُ مِنْ إِبْلِيسَ. وَلَمْ يَأْكُلْ شَيْئاً فِي تِلْكَ الأَيَّامِ. وَلَمَّا تَمَّتْ جَاعَ أَخِيراً».

«يُجرَّب»: peirazÒmenoj

تعني الفحص والاختبار، وهي على وزن ما عمل الله لإسرائيل في البرية فعلاً: «فقال الرب لموسى: ها أنا أمطر لكم خبزاً من السماء فيخرج الشعب ويلتقطون حاجة اليوم بيومها **لكي أمتحنهم:** أيسلكون في ناموسي أم لا» (خر 4:16)، «فقال موسى للشعب: لا تخافوا لأن الله إنما جاء لكي يمتحنكم ولكي تكون مخافته أمام وجوهكم حتى لا تخطئوا.» (خر 20:20)

أمَّا تحديد التجربة بأربعين يوماً فهي شديدة الصلة بالأربعين سنة التي قضاها إسرائيل في البرية تحت التجربة. أمَّا اختزال الأربعين سنة إلى أربعين يوماً فهي تتوافق مع اختزال تجربة شعب إسرائيل وهو أُمة مكونة من ستمائة ألف رجل إلى تجربة إسرائيل الواحد يسوع الرب، باعتباره قائد الأُمة في معركتها الفاصلة. وهذه الأربعين يوماً تكاد تكون الصورة الأوضح لصوم موسى الأربعين يوماً: «وكان هناك عند الرب أربعين نهاراً وأربعين ليلة لم يأكل خبزاً ولم يشرب ماءً فكتب اللوحين كلمات العهد الكلمات العَشَر» (خر 28:34). وبهذا يتطابق الوضع كنموذج باهر من إعداد الكلمات محفورة على لوح من حجر لكلمات محفورة على صفحة السماء تعكسها القلوب لتضيء طريق الحياة الأبدية (2كو 3:3). وأمَّا الصوم هنا سواء عند موسى أو عند المسيح فكان حرماناً كلياً من أعواز الجسد لتتفرغ الروح حرَّة من مجاذبات الجسد، لتواجه عند موسى مستويات الوحي الإلهي ليترجمها صحيحة قوية مضيئة إلى معرفةٍ لتدبير الحياة مع الله، أمَّا عند المسيح فكان الصوم المطلق سلاحاً خفياً لصد هجمات العدو باتجاه الجسد إن في أعوازه أو مشيئاته.

ومن هنا دخلت فلسفة الصوم في الكنيسة على شقَّيها الاثنين: صوم موسى لانفتاح الوعي الروحي في غيبة إلحاحات الجسد لقبول صوت الله ومشوراته وتدبيره، ونوال قوة من الروح والنعمة لتوازن ثقل الجسد ورذالته وجموحه المخرِّب للروح، أمَّا الشق الثاني في صوم المسيح فقد أعلنه المسيح صراحة: «هذا الجنس لا يمكن أن يخرج بشيء إلاَّ بالصلاة والصوم» (مر 29:9). فالصوم المسيحي ولو أنه منظور جسدياً ولكنه حقًّا سلاح روحي مُرْهِب رادع لإلحاحات الجسد المعيبة ودافع لهجمات الشيطان التي يركزها على الجسد ويزيد من عنفها على الأهواء والشهوات، حتى إذا انهزم الجسد أذلَّ الروح واستعبد النفس.

ولا يغيب عن القارئ أن صوم المسيح الأربعيني المقدَّس لم يكن للمسيح فيه شيء، فالروح فيه للملء والفيض والقوة بسلطانها الإلهي حاضرة قبل الصوم وفي الصوم وبعد الصوم. ولكن إن كان المسيح قد دخل تدبير الصوم الأربعيني فلكي يكسب خبرته وجهاده وحركاته وردوده وصدوده

للعدو لتدخل في صميم خزانة تقليد الكنيسة كقوة تعيشها وتمارسها في المسيح لتستظهر دائماً وأبداً على عدو الخلاص والمعكّر لصفاء الحب والسلام. فصوم المسيح الأربعيني المقدَّس ميراث إلهي قبلته الكنيسة من يد الرب وروحه وفي صميم جسده ودمه، أخذته كوديعة وتوزعه كميراث لأبنائها يتسربلون به كل عام كثوب يقيهم من سهام العدو الحارقة، يخرجون منه إلى نصرة على الموت وقيامة في بهاء المجد. فالذي يمارس حقّه الإلهي في صوم الأربعين مع المسيح يعيش بروح الغلبة ويذوق معنى الدوس على الخطية ووطأة رعبة الموت. فصوم الأربعين يحمل في أعماقه قوة القيامة بعد اجتياز الموت الإرادي. وبقدر ما تنهزم خبرات وملذات الجسد في عمق الصائم، بقدر ما تذوق الروح خبرات السماء وملذات الروح فيقتنع الإنسان قناعة الاختبار والرضى أنه روح قبل أن يكون جسداً وفوق أن يكون جسداً.

ولكن لنا مع القارئ كلمة من جهة اقتياد الروح للمسيح ليُجرَّب من إبليس، فهنا نودّ أن ينتبه القارئ أن التجربة داخله بوضوح في تدبير رضى الله ومشيئته، وإن كان برضى الله أن يُسلَّم "يسوع" للتجربة من الشيطان، إذن، فالتجربة داخلة تحت مشيئة الله. أمَّا فرحة الشيطان بتسليم يسوع لمثل هذه التجارب فقد فتحت شهيته لكي تكون له الفرصة لاقتناص الهزيمة لابن الله بحيله ودهائه، فاستخدم أكثر ما عنده من الحيل والدهاء. ولكن ما كان أملاً عند الشيطان في هزيمة ابن الله كانت مقابله الثقة عند الله إلى أقصاها بالانهزام للعدو في كَسْرَةٍ أدَّتْ به عند الصليب إلى القبض عليه متلبِّساً بجريمة قتل ابن الله التي أرسلته إلى الهاوية فاقداً كل هويته محكوماً عليه بالإعدام!

ومن هذا نفهم أن أولاد الله داخلون تحت هذه المشيئة الإلهية عينها، ولكن استحالة أن يدخل واحد من أولاد الله المؤمنين باسمه تجربة أيًّا كانت دون أن يكون الروح القدس واقفاً بالمرصاد، حتى إذا انحاز الإنسان إلى الله وكلمته في مواجهة الإغراء والدفع والمحاورة والدهاء من الشيطان؛ فإن سيف النعمة يهوى على رأس الشيطان ليخرج من المعركة مهزوماً ومضروباً: «سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ» (1كو 13:10). كما أنه لا يمكن أن تتجرَّبوا فوق ما تستطيعون! لأن قوة الشيطان بالرغم من أنها أعلى من قامتنا إلاَّ أن المسيح أحنى ظهر الشيطان وجعله أضعف من طفل إزاء اسم المسيح والصليب.

ويُلاحِظ القارئ المدقّق أن تجربة المسيح دامت على مدى الأربعين يوماً، ولكنها تركَّزت في الأيام الأخيرة حينما جاع الجسد وصار في متناول شد الشيطان وجذبه.

ولكن كما سبق وقلنا في شرح إنجيل ق.مرقس(151) الذي لم يتعرَّض قط لأنواع التجارب ولا ظروفها ولا إجابات المسيح عليها جملة، إذ قلنا إنه من الصعب للغاية أن يدخل الفكر البشري مهما علت إمكانياته ومواهبه في دائرة صراع يتم بين فكر ابن الله الفائق الإدراك مع فكر الشيطان القوة المخرِّبة شديدة الدهاء والمكر والخداع. فالذي حدث بين المسيح والشيطان في هذا الصراع الرهيب البالغ حد أقصى قوة الله لمواجهة أقصى حد لقوة هذا المارد المعاند الشرير لا يمكن أن يصلنا منه إلاَّ مجرَّد صورة لأحد التشبيهات التي شبه بها ابن الله أمور الله. فالذي تسجَّل في إنجيل ق. متى وق. لوقا من هذا الصراع الرهيب يكفي حقًّا ليغطِّي فكرنا بمفهوم صراع ابن الله مع الشيطان، ولكن صعب أن يكون هو على مستوى الحقيقة الكاملة في مستواها الفائق لقدرات العقل البشري.

3:4 **«وَقَالَ لَهُ إِبْلِيسُ: إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ، فَقُلْ لِهذَا الْحَجَرِ أَنْ يَصِيرَ خُبْزاً».**

«إبليس»: di£boloj

وقد أسماه ق. متى بالمجرِّب peir£zwn : «من أجل هذا إذ لم أحتمل أيضاً أرسلت لكي أعرف إيمانكم لعلَّ المجرِّب يكون قد جرَّبكم فيصير تعبنا باطلاً» (1تس 5:3)، ولكن ق. لوقا يستخدم كلمة "ذيافلوس".

وبدأ الشيطان يطرح تجربته مشكِّكاً في هوية المسيح "كابن الله"، وتأتي في اليونانية مشدَّدة هكذا: «إن كنت أنت ابناً لله » E„ ufÕj e toà Qeoà أمَّا نوع التجربة فهو في غاية التوافق مع مؤهِّلات المسيَّا المعروفة والمنتظرة أنه سيأمر فينزل خبز من السماء، ولماذا السماء؟ فالحجارة يمكن أن تتحوَّل إلى خبز بذات القوة، وحينئذ يُستعلن المسيَّا. فالتجربة من صميم اختصاصه وعمله!! هنا المناسبة دائماً يحبكها الشيطان حتى يجعلها أقرب إلى التنفيذ. فالمن نزل في البرية عن عوز جوع الشعب، وها هو جائع وفي البرية أيضاً. ثم لا يغيب عن بالنا أن المسيح صنع معجزة الخمس خبزات في مكان قفر ليشبع الشعب الجائع، فكانت آية كفيلة أن تنصِّبه ملكاً كمسيَّا في عين الشعب. فالتجربة تختص باستعلان ملكه، وهذا الاستعلان يدخل في صميم رسالته، فلماذا لا! على كل حال فالشيطان يسوقها عليه كي يجرِّب نفسه هل له هذه القوة الإعجازية كابن الله؟ والخطورة هنا أن يَجُرَّ المسيح ليعمل عملاً من نفسه لنفسه دون الرجوع إلى الله، هذا أهم نقطة في تجربة الشيطان أن يعمل عملاً من دون أمر الله فيلغي خضوع بنوَّته لأبيه! الأمر الذي التزم به المسيح طول حياته أن

(151) راجع كتاب: "شرح إنجيل القديس مرقس" للمؤلِّف، الآية 12:1و13 صفحة 138و139.

لا يأتي عملاً إلاَّ ويكون هو عمل الآب!! إذن، فضربة الشيطان موجَّهة لخلخلة العلاقة بين الابن والآب، وهيهات! وهذا أدركه المسيح وقطع على الشيطان خط الرجعة وأسقطه تحت مشورته مكسوراً.

4:4 «**فَأَجَابَهُ يَسُوعُ قَائِلاً: مَكْتُوبٌ أَنْ لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ مِنَ اللهِ**».

المسيح هنا يلتجئ مباشرة في ردّه إلى المكتوب gšgraptai كأمر وصية ثابتة من الله (تث 8 : 3). والرد هنا قاطع أن حياة الإنسان لا يستمدها من الطبيعة أو الخبز عامة بل من الله أولاً وأخيراً. فالطاعة لله أولاً وأهم حتى وفي الجوع والعطش، لأن قوته على إعطاء الحياة بالرغم من الجوع والعطش قائمة، فالجوع لا يبرِّر المخالفة ولا يعفي الإنسان من الطاعة لله حتى الموت. ولكن وراء رد المسيح تكمن حقيقة هامة أخرى وهي صلابة المقاومة في أحرج أوقات الضيق والتعب مهما كلّفت؛ لأن « الضيق يُنشئ صبراً، والصبر تزكيةً، والتزكية رجاءً، والرجاءُ لا يُخزي. »(رو 5: 3-5)

وهكذا قد أسَّس المسيح قيمة للتجربة في الحياة المسيحية لتزكية الإيمان والجهاد والصبر على الضوائق مهما أتقن الشيطان في التضييق حتى الاختناق. وهكذا تتحوَّل التجارب والضيقات في حياة الإنسان إلى رصيد طاعة وخضوع لله يفوق في قيمته كل جهاد إيجابي من صوم ونسك وتأليم إرادي.

5:4 «**ثُمَّ أَصْعَدَهُ إِبْلِيسُ إِلى جَبَلٍ عَالٍ وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْمَسْكُونَةِ فِي لَحْظَةٍ مِنَ الزَّمَانِ**».

في الحقيقة لا يلزم هنا أن نتصوَّر مكاناً على المستوى الجغرافي يمكن من علوه أن يُطل على العالم. لذلك فالاعتماد على الواقع الرؤيوي في الارتفاع بالنظر غير الحسي وارد بالضرورة، الذي يكفي أن يكشف ممالك العالم في لحظة. والكشف هنا لا يغطي الكثرة بقدر ما يغطّي المجد الدنيوي والعزوة. والخطورة هنا قائمة في عرض المظهر الخلاّب للدنيا بأسرها من منظور خارجي وهو في حقيقة جوهره مظهر كاذب وخداعات وأقنعة تحمل أجمل صورة للعدم. وقد حقق عدميتها سليمان الحكيم: «الكل باطل وقبض الريح» (جا 1:14). ولكن وإن كانت لم تجز على المسيح لأنه هو "الحق"، فهي تجربة تجوز على كل بني الإنسان، فمن تجميل المناظر وتعظيم الخداعات وتزويق الأكاذيب يكمن المدخل الذي يدخل به الشيطان إلى أقوى العقول وأصلب الإرادات ليرديها العطب والهلاك.

6:4 «**وَقَالَ لَهُ إِبْلِيسُ: لَكَ أُعْطِي هذَا السُّلْطَانَ كُلَّهُ وَمَجْدَهُنَّ، لأَنَّهُ إِلَيَّ قَدْ دُفِعَ، وَأَنَا أُعْطِيهِ لِمَنْ أُرِيدُ**».

لقد فات على العلماء هنا مقدار الصدق والكذب في كلام الشيطان، فاعتبروا أنه كاذب وملفّق وأنه لا يملك ولم يُعْطِ ولا هو قادر أن يُعطي، فالله وحده المالك وصاحب المجد. والخطأ الذي وقع فيه العلماء ضيَّع قيمة التجربة ومعناها، بل وضيَّع علينا نحن أيضاً إدراك قوة التجربة التي لا يزال يلعب بها الشيطان ويُسقط عظماء العقول والمقتدرين في الناس.

فالشيطان هو رئيس هذا العالم المنظور وصاحب المجد الدنيوي ويعطي ويكافئ منها أتباعه. وقد سبق أن قلنا هذا كثيراً. فالعالم المادي يترأس عليه الشيطان وقد دعاه المسيح: « **رئيس هذا العالم** يأتي وليس له فيَّ شيء» (يو 30:14). لذلك فالمسيح لم يعتبر نفسه أنه من هذا العالم ولا مختاريه أيضاً: «لأنهم ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم »(يو 14:17). ومعروف أن الظواهر تزول والشيطان يمتلك هذه الظواهر المادية الفانية. أمَّا الحقائق التي وراء ظواهر هذا العالم ومجدها فهي باقية ومستمرة وهي التي تخص عمل الله في العالم ووجوده فيه، لذلك نسمع المسيح يقول بالحق: «أنا هو نور العالم» (يو 12:8)، «والجالسون في أرض ظلال الموت أشرق عليهم نور» (إش 2:9). لذلك فالتعلُّق بظواهر العالم وأمجاده الفانية باطل، لأن العالم يمضي وشهوته، أمَّا الذي يعمل مشيئة الله ـ وهو في العالم ـ فباق إلى الأبد (1يو 17:2).

وواضح أن مال وجمال العالم وشهواته وغناه ومجده متغيِّرات، وكل ما هو متغيِّر زائل. والشيطان يملك على ظواهر العالم ومتغيِّراته لأنها تتبع الكذب والتزييف، والشيطان هو الكذاب وأبو كل كذاب.

كذلك فالشيطان يمنح أخصَّاءه وأتباعه كل ما في العالم من الظواهر والمتغيِّرات، أي كل ما هو كذب وخداع وفانٍ، فكأنه لا يعطي شيئاً. فالشيطان ملك الخداع.

لذلك حينما تقدَّم للمسيح واعداً أنه يعطيه كل ممالك العالم ومجدهن، كان يقصد ما يقول وهو يستطيع بالفعل أن يعطي، ولكن الذي يعطي ما هو كذب وتزييف وخداع لا يعطي شيئاً لأنها أوهام وأباطيل.

7:4 **«فإن سَجَدْتَ أمَامِي يَكُونُ لكَ الجَمِيعُ».**

«سجدت»: proskun»sVj

السجود هنا يعني العبادة التي هي من مخصصات الله وحده.

عرض سخي لتنصيب المسيح ملكاً على ممالك الدنيا دون آلام وصلب وموت! فالشيطان هنا يختزل للمسيح كل أتعابه وآلامه، فعوض أن يقف المسيح قبالة الشيطان في صراع ينتهي بالموت،

عليه أن يهادن الشيطان ويعترف له بالسيادة، والشيطان بالمقابل يعطيه العالم بكل ممالكه.

التجربة هنا خطيرة، فهي محاولة لإلغاء رسالة الخلاص بجملتها، فمهادنة الشيطان والاعتراف له برئاسته على العالم معناها إلغاء الصليب والفداء وبقاء الخطية والموت. لأن سيادة الشيطان هي بالتالي سيادة الخطية والموت.

والشيطان هنا يلعب لعبة الموت، فهو يريد أن يفلت من معركة الصليب مضحِّياً برئاسته على العالم وممالك الدنيا. فهو يريد أن يملّك المسيح على العالم من باطنه لينجو هو من الهلاك، وبآن واحد يضيِّع على المسيح خضوعه وطاعته لله أبيه.

8:4 **«فَأَجَابَهُ يَسُوعُ وَقَالَ: اذْهَبْ يا شَيْطَانُ! إِنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ».**

هنا رد المسيح يقيِّم تجربة الشيطان أنها مصوَّبة ضد الله الواجب له العبادة والسجود وحده، وبالتالي الخضوع له والتمسُّك بكلمته. وهنا رفض المسيح القاطع للحوار مع الشيطان يعطي المنهج الواضح في مقاومة التجارب من كل نوع. فمناقشة الشيطان مرفوضة والمقاومة الفعَّالة هي بكلمة الله: «الرب إلهك تتقي وإياه وحده تعبد وباسمه تحلف.» (تث 13:6)

وهكذا إزاء محاولة الشيطان فرض وجوده أمام المسيح كصاحب ممالك الدنيا، وكمدَّعٍ بالقدرة على العطاء والسيادة، تلقَّى من المسيح لطمة أرجعته إلى خلف كمن لا حقَّ له في الوجود أمام المسيح، وهكذا في الحال أعلن المسيح سيادته على الوجود وقدرته على الردع بقوله: «اذهب يا شيطان»

9:4 **«ثُمَّ جَاءَ بِهِ إِلى أُورُشَلِيمَ، وَأَقَامَهُ عَلى جَنَاحِ الْهَيْكَلِ وَقَالَ لَهُ: إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَاطْرَحْ نَفْسَكَ مِنْ هُنَا إِلى أَسْفَلُ».**

هذه هي التجربة الثالثة بالنسبة لإنجيل ق. لوقا. وواضح أن ق. لوقا حرَّك في ترتيب التجارب لتكون التجربة الأخيرة في أورشليم، ذلك لكي يوقِّع هذه التجربة على الواقع التاريخي الذي تمَّ، إذ أن تجربة المسيح العظمى والأخيرة كانت في أورشليم وعلى الجلجثة! حيث رفض أيضاً أن ينزل من على الصليب بحسب التجربة التي قدَّمها رئيس الكهنة نيابة عن الشيطان. والشيطان هنا يستخدم "المكتوب" كما سيأتي في الآية القادمة: «لأنه مكتوب» وذلك رداً على رد المسيح في الآية السالفة، وذلك لكي يقطع خط الرجعة على المسيح. فإن كان المسيح يلجأ إلى المكتوب فالشيطان لجأ أيضاً للمكتوب حتى تصبح التجربة موافقة لكلمة الله!!

10:4 **«لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنَّهُ يُوصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ لِكَي يَحْفَظُوكَ».**

الشيطان هنا يلجأ إلى ما هو مكتوب في المزامير: «لأنه يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك في كل طرقك. على الأيدي يحملونك لئلاَّ تصدم بحجر رجلك.»(مز 91: 11و12)

والشيطان هنا بحيلة ملتوية أراد أن يستخدم المسيح حقه في المكتوب، مُخفياً في نفس الوقت محاولة وضع المكتوب كدافع للتجربة. وبمعنى آخر يضع المسيح في حالة عدم الإيمان الكامل بالله والمكتوب إن هو رفض الانصياع له!

11:4 **«وَأَنَّهُمْ عَلَى أَيَادِيهِمْ يَحْمِلُونَكَ لِكَيْ لاَ تَصْدِمَ بِحَجَرٍ رِجْلَكَ».**

هذه الآية تعطي للشيطان غاية المناسبة لكي يجرِّب المسيح، بأن يلقي نفسه من أعلى الهيكل والملائكة تحمله فلا تُصدَم بحجر رجله. هنا يستخدم الشيطان منتهى الإقناع والمناسبة، مع أن التجربة كلها تخرج عن القصد من النبوَّة، فالملائكة تخدم الخلاص وتحفظ المخلّص من عثرات الطريق وليس لتمكين المسيح من استخدام العظمة والظهور. وهنا يتضح البعد السحيق في فكر الشيطان عن حق المسيح والمجد الحقيقي. فالشيطان ولو أنه هنا يستخدم المكتوب من كلمة الله، ولكن خداع الشيطان واضح في عدم استقامة الفكر وإساءة استخدام المكتوب.

12:4 **«فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: إِنَّهُ قِيلَ: لاَ تُجَرِّبِ الرَّبَّ إِلهَكَ».**

المسيح هنا يرد أيضاً من سفر التثنية: «لا تجربوا الرب إلهكم كما جرَّبتموه في مسَّة.»(تث 16:6)

فرق شاسع بين فكر الشيطان وفكر المسيح. فكلمة الله والمكتوب عامة هي في فكر المسيح للطاعة والخضوع بمقتضاه لمشيئة الله، وليس كما يراها الشيطان لاستخدامها وتطويعها لمشيئتنا وأهوية قلوبنا. وكلمة الله موضوعة لاختبارنا نحن وتجربتنا نحن إن كنا على مستوى الإيمان والطاعة، وليس لاختبار الله وتجربة صدقه. فالأولى حق علينا، والثانية تجديف.

والصيغة التي قالها المسيح هنا هي صيغة أمر الوصية لإسرائيل ينقلها المسيح كأمر صادر له أيضاً. فكلمة الله آمرة بطبيعتها، ولكن في صورتها الآمرة تحمل حقها وقوة تنفيذها. فمهما كانت صعبة فهي ضامنة نجاحها ولابد أن تنجح إذا ما أُخذت بأمانة ونُفّذت بأمانة. وكلمة الله في حقيقتها وطبيعتها نور الله بالنسبة لظلمة العالم والإنسان والشيطان. تخترق الظلمة، والظلمة لا يمكن أن تدركها أو تطغى عليها. من يحملها في قلبه تضيء في أعماقه، ومن يحملها في فمه تضيء على قلوب

الآخرين. مَنْ يحفظها تحفظه ومَنْ يُكرِّمها تكرِّمه ومَنْ يرفعها ترفعه، ومَنْ يُهملها يدخل في عداد المزدرى وغير الموجود، يخاف الحق ولا يقول الحقيقة، يبغض النور ويرتاح في الظلمة.

13:4 **«وَلَمَّا أَكْمَلَ إِبْلِيسُ كُلَّ تَجْرِبَةٍ فَارَقَهُ إِلَى حِينٍ».**

قوله هنا «كل تجربة» يكشف عن تجارب أخرى كثيرة لا ندرك عددها ولا خطورتها. فالمسيح لم يُسرِّب لنا من تجاربه إلاَّ ما كان على قامة إدراكنا، ولا نحن على مستوى ابن الله لندرك هذه التجارب بقوة تفوُّقه العالية، لأن منطق الله أنه لا يعطي تجربة فوق احتمالنا: «ولكن الله أمين الذي لا يدعكم تجرَّبون فوق ما تستطيعون بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا» (1كو 13:10). فهو يعطي مع التجربة المنفذ الذي يفتحه هو لنخرج سالمين. ولعلم المسيح أن التجارب عامة هي فوق ما تحتمل طبيعتنا الضعيفة أمرنا أمراً أن نصلّي دائماً لله: «لا تدخلنا في تجربة» وأن يسلّحنا إزاء تجارب الشيطان ومقاوماته بالنجاة: «لكن نجنا من الشرير» (لو 4:11). ولولا قوة نجاة الله لنا إزاء محاصرة الشيطان ما خَلصَتْ نفس. فلو فتح الله عين النفس لترى وتُدرك عمل الله معها منذ أن خرجت من البطن وكيف نجت من آلاف الضربات التي صُوِّبت نحوها، لما كفَّ الإنسان عن الصراخ ليل نهار: "نجيتني نجيتني نجيتني"!!!

وإن كان الشيطان قد فارق المسيح فإلى حين، لأنه عجم عود التلاميذ فوجد يهوذا يصلح للسكنى فسكن، ويصلح للخيانة فدرَّبه على أصولها وفتح له الباب على رؤساء الكهنة فأكرموا وفادته وأجلسوه في وسطهم كصديق حميم. ووزنوا له الفضة، وفضة الهيكل بركة مَنْ يقدر أن يرفضها. وما لم يستطعه الشيطان عند المسيح استطاعه عند يهوذا. فاختطف الشيطان واحداً من الاثني عشر، وهذا مكسب لا يُستهان به، وسلّمه لحضن رؤساء الكهنة: «إن واحداً منكم يسلّمني» (مر 18:14). وأعتقد أن المسيح لمَّا دخل جثسيماني وانفرد ليصلّي وقال لبطرس ويعقوب ويوحنا: «نفسي حزينة جداً حتى الموت» (مت 38:26) كان حزنه من أجل هذا التلميذ الخائن. لأنه عوض أن يسنده في محنته كان هو الخائن والمسلّم، ومن ضيق نفس الرب قال: «كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد.» (مر 21:14)

وهكذا حينما يقف الإنسان قبالة التجارب بشجاعة الإيمان ويغلب، يذهب الشيطان يبحث حوله عن نقطة ضعف في الأقربين منه ليدخل منها ويكيِّل للإنسان كيلاً ويكمِّل تجاربه المرَّة ولا يكون للإنسان حول ولا قدرة ويشرب كأس المرارة حتى النهاية. ولكن عزاؤنا أنها كلها تكون تجارب بشرية لها العوض السمائي: «لم تصبكم تجربة إلاَّ بشرية» (1كو 13:10). وهنا يصرخ الإنسان الموجوع: «حقي عند الرب.» (إش 4:49)

رابعاً: خدمة الجليل
(50:9-14:4)

يحصر القديس لوقا في هذا القسم خدمة المسيح منذ بدء انسحابه من البرية ليخدم رسالة ملكوت الله قبل أن يثبّت وجهه شطر أورشليم ليكمّل آلامه هناك.

(أ) أخبار الملكوت السارة
(11:5-14:4)

هنا يظهر أسلوب ق. لوقا الإنجيلي، فهو يبدأ يصوّر لنا كيف بدأ المسيح يُعلّم، ورد الفعل المباشر على تعليم المسيح، ويُعلّق من عنده شارحاً التقليد الإنجيلي المسلّم للكنيسة، إذ يعطي أعمال المسيح التي أكملها بقوة كما أخذها من إنجيل ق. مرقس حسب تقليد ق. مرقس الخاص، ولكنه يضيف عليها بعض مواصفات الرسالة كما نطقها المسيح.

1 ـ مختصر البداية
(14:4و15)

يبدأ هذه البداية المختصرة وهي مأخوذة عن ق. مرقس (14:1 إلخ) وتحاكي أيضاً (مت 12:14-17)، ويُظهر فيها المسيح وهو يعلّم وسط تهليل الشعب ومسرّته. ولكن سرعان ما يتغيَّر حال الشعب خاصة أثناء الحضور في مجمع الناصرة الذي يبلغ فيه الشعب غاية الغضب ويحاولون قتله. وهكذا يكشف ق. لوقا في مدى خمس عشرة آية كيف يهلّل الشعب ويهتف ويمجِّد، وكيف يتغيَّر إلى درجة محاولة القتل. وصحَّ فيه قول موسى النبي الذي اختبره عن قرب وذاق تهليله وذاق غضبه:

+ «إنهم أمة عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم، لو عقلوا لفطنوا بهذه وتأمَّلوا آخرتهم. كيف يطرد

واحد ألفاً ويهزم اثنان ربوة (عشرة آلاف)؟ لولا أن صخرهم باعهم والرب سلّمهم ... لأن من جفنة سدوم جفنتهم ومن كروم عمورة، عنبهم عنب سُمٍّ ولهم عناقيد مرارةٍ. خمرهم حُمَةُ الثعابين وسُمُّ الأصلال القاتل.» (تث 32: 28-33)

وقد لاحظ العلماء أن أخذ القديس لوقا من تقليد ق. مرقس فيه تغيير طفيف ظنوه أنه من مصدر ثالث دعوه Q، ولكن لا يخرج كثيراً عن تقليد القديس مرقس.

14:4 **«وَرَجَعَ يَسُوعُ بِقُوَّةِ الرُّوحِ إِلَى الْجَلِيلِ، وَخَرَجَ خَبَرٌ عَنْهُ فِي جَمِيعِ الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ».**

هنا يلزمنا أن نذكّر القارئ أن ق. لوقا كان قد توقَّف عن سرده لخدمة المعمدان عند حبس هيرودس للمعمدان في السجن (3:19و20)، الأمر الذي ذكره ق. مرقس في (1:14 إلخ)، والذي كان بمثابة رفع الستار لبدء عمل المسيح في الجليل، موضِّحاً أن رجوع المسيح إلى الجليل كان على مستوى قوة الروح القدس التي انسكبت عليه في الأردن وشهادة الآب من السماء لفتح صفحة الخدمة للابن بالأخبار **السارة:** «أنت ابني الحبيب بك **سررت**» وهنا قوة الروح القدس تشير مباشرة إلى سلطان الكلمة والعمل الذي علَّم به المسيح وأجرى الآيات معاً.

والذي لم يذكره القديس لوقا هنا هو اسم هذه الكورة المحيطة، فهي واضحة في إنجيلي ق. مرقس وق. متى أنها كفرناحوم التي بدأ فيها عمله وكرازته وآياته الكثيرة التي عمل، مما أثار غيرة أهل الناصرة (وطنه) بشدة حتى آخذوه على ذلك، إذ كان في نظرهم أن مدينته أولى بعمله.

15:4 **«وَكَانَ يُعَلِّمُ فِي مَجَامِعِهِمْ مُمَجَّداً مِنَ الْجَمِيعِ».**

«يعلّم»: ™d…dasken

وهنا تعليم يسوع المسيح عُرف في التقليد الإنجيلي باسم kerygma في الأناجيل الثلاثة، وهي كلمة مشتقّة من الفعل khrÚssw أي "يكرز" (مر 1: 14). ولا يذكر ق. لوقا شيئاً عن هذا التعليم ونوعه ولكن أجّله لحين التعرُّض له، واكتفى هنا بأن هذا التعليم الإنجيلي كان يحمل سلطان وقوة الروح القدس حتى أنه أثار تمجيد السامعين. وكلمة تمجيد المستعملة هنا تخص عادة "تمجيد الله dox£zw"، وكان هذا دائماً مستوى السامعين قبل أن يلوثه الكتبة والفريسيون بالمعارضة والنقد. والمعروف أن ق. لوقا ولو أنه يتبع تقليد ق. مرقس إلاّ أنه كان يلتزم هو الآخر بالتقليد السائد في أيامه.

2 ـ تعليم المسيح في الناصرة

(30-16:4)

(مت 13: 53-58)
(مر 6: 1-6)

بالرغم من أن تعاليم المسيح ومعجزاته أثارت تمجيد أهل المجامع في الجليل، إلاَّ أن خدمته في الناصرة بنوع استثنائي حزينة جداً تكشف عن رفض أهل الناصرة لتعليم المسيح. وقد تعرَّض لها القديس لوقا هنا بتطويل أكثر من تقليد ق. مرقس، ولكن الملاحظ أنه ابتدأ يقدِّم تعليم المسيح في الناصرة مباشرة بعد رجوعه من الأُردن ممتلئاً من الروح القدس. فبالرغم من أن ق. لوقا كان هدفه الأساسي في ذلك هو ذكر حادثة قراءة سفر إشعياء (1:61 إلخ) التي تُحسب وكأنها خطاب العرش الذي يليق جداً أن يبتدئ به المسيح تعليمه، إلاَّ أن مجمع الناصرة الذي قرأ فيه هذا الفصل لم يستطع أن يوفِّق بين جلال وهيبة المسيَّا وهو يفتتح رسالته الخلاصية بنبوَّة إشعياء النبي: «روح الرب عليَّ لأنه مسحني ... » وبين كونه معروفاً في وسطهم كنجَّار القرية ابن يوسف. فلم يستطيعوا أن يؤمنوا به، خاصة وأنه كان قد فعل سابقاً (وهذا لم يذكره ق. لوقا) آيات كثيرة في كفرناحوم قبل أن يأتي إلى الناصرة التي لم يعمل فيها أعمالاً معجزية بسبب عدم إيمانهم به.

وهنا نواجه أمراً جديداً في تقليد ق. لوقا، إذ بالرغم من أن حادثة دخول المسيح مجمع الناصرة والأثر المدهش الذي تملَّك على عقول أهل الناصرة من الحكمة والعلم اللذين كان يعلِّم بهما، فإن هذا الفصل أبرزه ق. مرقس في الأصحاح (6:1-6) وأبرزه ق. متى في (13:53-58) بعد خدمة مديدة في كل الجليل، إلاَّ أننا نجد هنا أن ق. لوقا يضعه في مستهل خدمته عامة، متأثراً بقراءة المسيح لفصل إشعياء النبي: «روح الرب عليَّ لأنه مسحني ...» وطبعاً واضح أن ق. لوقا اختار هذا الفصل بالذات لقوة وضعه كفاتحة لبروجرام أو برنامج خدمة المسيح. نفهم من هذا أن تقليد ق. لوقا كان يتبع خطة الاختيار لإبراز عمل المسيح في تناسق الموضوع أكثر منه بالنسبة لتسلسل الحادثة.

16:4 **«وَجَاءَ إِلى النَّاصِرَةِ حَيْثُ كَانَ قَدْ تَرَبَّى. وَدَخَلَ الْمَجْمَعَ حَسَبَ عَادَتِهِ يَوْمَ السَّبْتِ وَقَامَ لِيَقْرَأَ».**

هنا يفتتح ق. لوقا خدمة المسيح في الناصرة، وهذا مشابهٌ لما جاء في إنجيل ق. مرقس (1:6 إلخ)، ولكن دون أن يلحظ العلماء أنه قد اعتمد على الألفاظ. أما رنَّة المدخل لهذه الآية فهي ترمي لبعيد، وكأنها امتداد عالٍ لإرساليته: «إلى خاصته **جاء** وخاصته لم تقبله» (يو 11:1) التي لمحها ق. يوحنا. فهو يكاد أن يكون هنا ما زال مساقاً بالروح، ونسمع ذلك في الآية القادمة (18)، «روح الرب عليَّ ... **أرسلني** ...» وهنا في الآية (43:4) لا يزال لذلك صدىً «لأني لهذا قد **أرسلت** ...» وكأن المسيح أرسله الآب إلى العالم، وجاء إلى الناصرة أيضاً هنا على وجه الخصوص، إلى المدينة التي تربَّى فيها ليُعلن من مجمعها عن إرساليته العظمى بمقتضى خطاب العرش الذي سبق إشعياء منذ سبعمائة عام وكتبه بإملاء الروح القدس، ليقرأه في هذا اليوم المشهود لتحقيق افتتاح العهد الجديد والإعلان عن مفردات عصر المسيَّا، عصر ملكوت الله لتجديد خلقة الإنسان.

«إلى الناصرة»: e„j Nazar£

هنا قول ق. لوقا «حيث كان قد تربَّى» يوضِّح تقليداً غير موجود في إنجيل ق. مرقس ولكنه موجود في إنجيل ق. متى: «ولمَّا سمع يسوع أن يوحنا أُسلم، انصرف إلى الجليل. وترك الناصرة وأتى فسكن في **كفرناحوم** التي عند البحر في تخوم زبولون ونفتاليم» (مت 4: 12و13). وهذا يوضِّح لنا في قصة ق. لوقا هنا أن المسيح عاش وخدم في كفرناحوم قبل أن يدخل الناصرة التي كان قد تربَّى فيها أولاً، لذلك كانت هناك غيرة شديدة بين أهل الناصرة التي لم يخدم فيها ولا عمل فيها آيات. وسيتضح لنا أن ذلك كان بسبب عدم إيمانهم به، حتى إخوته أيضاً. والمسيح نفسه يعلّق على ما أضمره أهل الناصرة في قلوبهم ويكشفه علناً وكأنه يتكلّم بلسانهم: «كم سمعنا أنه جرى في كفرناحوم فافعل ذلك هنا أيضاً في وطنك.» (لو 23:4)

«حيث كان قد تربَّى»:

نقرأ عنها في إنجيل ق. لوقا أيضاً في بكور أيام حياته:

\+ «ولمَّا أكملوا كل شيء حسب ناموس الرب رجعوا إلى الجليل (من بيت لحم) إلى **مدينتهم** الناصرة وكان الصبي ينمو ويتقوَّى بالروح ممتلئاً حكمة وكانت نعمة الله عليه.» (لو 2: 39و40)

«ودخل المجمع حسب عادته يوم السبت وقام ليقرأ»:

يُفهم من هذا ومن الآية السابقة (15:4): «وكان يعلّم في مجامعهم ممجَّداً من الجميع» أن المسيح كان قد اعتاد أن يذهب إلى المجمع في أية مدينة يوجد فيها، وكان له الأولوية دائماً أن يقوم ويقرأ ويعلّم، وكان تعليمه ممجَّداً من الجميع. هذه الصورة المشرقة لمستوى تواجد الرب في المجامع

تُعطي فكرة أن المسيح كان خطيب المجامع بلا نزاع، وكأنه لم يدخل مجمعاً إلاّ وكان هو القارئ والمعلّم بل وصانع المعجزات. يؤكّد هذا قول ق. لوقا: «وكان يعلّم في مجامعهم ممجَّداً من الجميع» وأيضاً في ختام قراءته لإشعياء ـ حتى في مجمع الناصرة ـ يسجِّل ق. لوقا عنهم قائلاً: «وكان الجميع يشهدون له ويتعجَّبون من كلمات النعمة الخارجة من فمه ...» (لو 4:22)

ويُلاحَظ أن القراءة كانت تحتّم على القارئ أن يقف على مسطّح أعلى من الأرض ليسمعه الجميع. أمَّا التعليم فكان يُمارسه المسيح وهو جالس بنوع خاص وممتاز: «كل يوم كنت أجلس معكم أعلّم في الهيكل ولم تمسكوني ...» (مت 26:55)، «أنا كلّمت العالم علانية، أنا علّمت كل حين في المجامع وفي الهيكل حيث يجتمع اليهود دائماً، وفي الخفاء لم أتكلّم بشيء.» (يو 18:20)

ومن أبحاث العلماء يقولون إن الفصل الذي أورده ق. لوقا عن تعليم المسيح في المجمع يُحسب أقدم إشارة عن خدمة المجمع (السيناجوج). والإشارة التي تُشبهها جاءت في سفر الأعمال ـ وأيضاً للقديس لوقا ـ ولكن يظهر فيها أن ق. بولس وعظ وهو واقفٌ: «وأتوا إلى أنطاكية بيسيدية ودخلوا المجمع يوم السبت وجلسوا، وبعد قراءة الناموس والأنبياء أرسل إليهم رؤساء المجمع قائلين أيها الرجال الإخوة إن كانت عندكم كلمة وعظ للشعب فقولوا، فقام بولس وأشار بيده وقال ...» (أع 13: 14-16)

ويرسم العالِم مارشال(152) طريقة العبادة والخدمة والقراءة والوعظ: عند بدء دخول المجمع والتئام العابدين يصير اعتراف عام بالإيمان اليهودي كما هو في الشمّا (تث 6:4-9، 11:13-21). بعدها تبدأ صلوات التفلاه *tephillah* وشيموني عِسْره *shemoneh esreh*(أي البركات الثماني عشرة). وهنا يأتي مركز العبادة وهي قراءة الأسفار، فيُقرأ فصلٌ من الأسفار الخمسة بمقتضى نظام القراءات المحددة، وذلك بواسطة أعضاء متتابعين من الجماعة بالدور مع الترجمة باللغة الأرامية. ثم تأتي قراءة من الأنبياء وذلك أيضاً بناءً على نظام قراءات محدَّد، ولكن ربما كان هناك في القرن الأول المسيحي نوع من الحرية في اختيار النبوَّات. وبعد قراءة النبوات تُقام صلاة وبعدها تأتي العظة، فإذا كان من الموجودين شخصية مرموقة يُطلب منها الوعظ كما ذكرنا في (أع 13: 14-16). وبعد العظة تأتي صلاة "القداس *Qaddish*" وكان يعيَّن الأشخاص الذين سيقومون بالقراءة قبل بدء الخدمة.

(152) *Op. cit.*, p. 181.

17:4 **«فَدُفِعَ إِلَيْهِ سِفْرُ إِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ. وَلَمَّا فَتَحَ السِّفْرَ وَجَدَ الْمَوضِعَ الَّذِي كَانَ مَكْتُوباً فِيهِ».**

«فدُفع إليه»: ™pedÒqh

وهي تعني هنا: "ودُفِعَ إليه بالإضافة"، حيث المعنى أنه أُعطي أولاً التوراة وبعدها دُفع إليه أيضاً الأنبياء. والأرجح أنه لم يقرأ الأنبياء فقط، لأنه يقول بعد ذلك فطوى السفر bibl…on والمعنى هنا أنه كان هو الدرج scroll. والمفهوم جيداً من مجرى الآية أن المسيح فتح الدَرْج الذي فيه سفر إشعياء دون سابق إعداد، لا من الخادم الذي عليه ترتيب القراءة، ولا من المسيح. ولكن طبعاً كان ذلك من تدبير الروح القدس، كما يقول العالِم ولهوزن(153). وهذا يوضِّح أن المسيح نفسه لمَّا فتح السفر انتبه إذ «وجد الموضع الذي كان مكتوباً فيه»، الذي قرأه دون سابق إعداد من الخادم، بل هو بإعداد سابق منذ الأزل قبل أن يوجد كتاب أو يولد إشعياء!!

18:4 **«رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّهُ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ، لأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ وَلِلْعُمْيِ بِالْبَصَرِ، وَأُرْسِلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ».**

من الوهلة الأولى لمنطوق إشعياء في هذه الآية نرى إنها رسالة **طبيب سماوي.** نسمع هذه النغمة من المسيح نفسه وهو يعلّق على ما دار في قلوب أهل الناصرة المغتاظين، لأنه صنع هذا كله في كفرناحوم أمَّا في مدينتهم الناصرة فلم يفعل شيئاً، فقال عن لسانهم وكأنه يردِّد صدى إشعياء: «على كل حال تقولون لي هذا المثل: أيها **الطبيب** اشفِ نفسك. كم سمعنا أنه جرى في كفرناحوم، فافعل ذلك هنا أيضاً في وطنك» (لو 23:4)، إنها لفتة بديعة من المسيح. وعلى كل حال **فالقديس لوقا وهو طبيب،** كانت عيناه دائماً على الأشفية وقوة الشفاء التي كانت واضحة جداً في عمل المسيح. فنحن نسمع عنها في الأصحاح الخامس مركَّزة هكذا: «وفي أحد الأيام كان يعلّم، وكان فرِّيسيُّون ومعلمون للناموس جالسين وهم قد أتوا من كل قرية من الجليل واليهودية وأورشليم. **وكانت قوة الرب لشفائهم!**» (لو 17:5)

ولكن يُلاحِظ العلماء أن المقطع: **«وأرسل المنسحقين في الحرية»** غير موجودة في الأصحاح (61) من سفر إشعياء الذي فتح عليه السفر ولكنه موجود في (إش 6:58) «... فك عُقد النير وإطلاق المسحوقين أحراراً وقطع كل نير» وتُقرأ على السبعينية لكي تأتي مطابقة لما جاء في إنجيل ق. لوقا.

(153) Wellhausen, cited by Marshall, *op. cit.*, p. 182. *Das Evangelium Lucae,* Berlin, 1904, p. 9, cited by Marshall, *op. cit.,* p. 182.

وقد اختلفت آراء العلماء في هذه الإضافة إذ يقول البعض أنها من وضع مسيحي متأخّر، وآخرون مثل العالِم ك. بروت(154) يقول إن هذه الإضافة هي بسبب جمع النصين في قراءة واحدة في الليتورجية اليهودية، بينما العالِم ب. ريكه(155) يقول بكل جرأة أن المسيح نفسه أضافها بسلطان نبوّته الخاصة.

وفي توضيح ملابسات هذه النبوّة تاريخياً، نجد أن إشعياء النبي نفسه أخذ إلهاماً من الله ومُسح بالروح لكي يعلن للشعب المنسحق البائس في ذُلّ أسره تحريرهم القادم من الأسر، واصفاً لهم مستقبلاً قد تعيَّن لهم فيه أن تستعيد أمتهم عظمة ملوكية الله لهم.

ولكن بقراءة المسيح لهذه النبوّة عينها وقف المسيح باعتباره أنه هو مسيَّا العهد وقد تمَّ فيه وعد النبوّة القديم، بمعنى أنه تعيَّن هو ليكون رأس مملكة الله لشعبه، ليُجري حُكْمَه كطبيب يشفي ويحرر ويعصب القلوب المكسورة. والوصف الذي يبدأ به إشعياء أن روح الرب عليه وأن الله مسحه هو وصف تنصيب الأنبياء والكهنة الذي تمَّ هنا بواسطة الروح القدس نفسه. والمناسبة شديدة المطابقة غاية الشدة بعد أن حلَّ الروح القدس على المسيح في الأُردن وصوت الآب من السماء نصَّب الابن للرسالة.

19:4 **«وَأَكْرِزَ بِسَنَةِ الرَّبِّ الْمَقْبُولَةِ».**

المعنى هنا أنها سنة قبول لدى الرب، السنة التي عيَّنها الله لتكون سنة قبول ونعمة لإظهار خلاص الله، وهنا بالتحديد إشارة إلى سنة اليوبيل المعروف أنها سنة تحرير كل العبيد المدعوين أولاداً ليهوه (لا 25)، والتي كانت أصلاً رمزاً لسنة الخلاص، هذه التي جاء المسيح يبشّر بها، وكانت تحل كل خمسين سنة حيث تُترك فيها الحقول لتستريح من الخدمة، ويعود العاملون إلى بيوتهم وتحرَّر الديون ويُفرج عن العبيد. والمناسبة هنا بديعة، فالمسيح عائد إلى الناصرة وطنه: «وتقدّسون السنة الخمسين وتُنادون بالعتق في الأرض لجميع سُكَّانها. تكون لكم يوبيلاً وتَرجِعون كُلٌّ إلى مُلكهِ وتَعُودونَ كُلٌّ إلى عشيرته» (لا 10:25). وقد بحث العلماء في سنة اليوبيل أيام المسيح فكانت سنة 26-27م. فإذا علمنا أن العلماء تأكّدوا من أن ميلاد المسيح كان سنة 4 قبل الميلاد، اتضح أن السنة التي وقف فيها المسيح في مجمع الناصرة ليعلن عن السنة المقبولة كان عمره 30 سنة، وكانت بدء خدمته بإعلان ملكوت الله أو بالحري عودة الله إلى تملُّك شعبه في شخص المسيح الرب.

(154) C. Perrot, "Luc 4, 16-30 et la lecture biblique de l'ancienne synagogue", in *Revue des Sciences Religieuses*, 47, 1973, pp. 324-340.

(155) B. Reicke cited by Marshall, *op. cit.,* p. 182.

ويُلاحَظ أن بعض المفسرين مثل كليمندس الإسكندري وأوريجانوس وغيرهم أخطأوا إذ اعتبروا أن هذه السنة المقبولة هي سنة خدمة المسيح، وبذا اعتقدوا أنها كانت سنة واحدة في الخدمة. ولكن من واقع إنجيل ق. يوحنا يتضح أن المسيح خدم ثلاث سنوات ونِصفاً.

20:4 **«ثُمَّ طوَى السِّفْرَ وَسَلَّمَهُ إلى الْخَادِمِ وَجَلَسَ. وَجَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْمَجمَعِ كَانَتْ عُيُونُهُمْ شَاخِصَةً إلَيْهِ».**

واضح من كلمة «طوى السفر» أنه درج ملفوف، وسلَّمه للخادم المدعو (حازّان). وجلوس المسيح هنا يفيد أنه جلس في مكان ما ينبغي أن يكون فيه الواعظ: «كل يوم كنت أجلس معكم أُعلِّم في الهيكل ...» (مت 55:26)، وكانت هذه الحركة مملوءة وقاراً رفعت انتباه كل المجمع خاصة بالنسبة لفصل إشعياء النبوي والمسيَّاني الذي قرأه المسيح بصوت واثق، كمَنْ يتكلَّم ويشير إلى نفسه بوضوح.

حقًّا إن هذا الذي نقرأه الآن في هذا الفصل هو ذو وقع هائل على نفوسنا، فبشيء من الشفافية الروحية نرى ونسمع ابن الله الذي أتى وتجسَّد يقف أمامنا ليتلو نبوَّة هي مركز جميع النبوَّات، معلناً بها بداية مُلك الله مرَّة أخرى، لا على إسرائيل بل على شعبه الكبير في المسكونة كلها، لبداية سنة يوبيل العالم كله، سنة تحرر الإنسان، كل إنسان، من كل عبودية كانت. عبودية الإنسان للإنسان، وعبودية الإنسان للشيطان والخطية والعالم والموت ليتحرر الإنسان من رباط الأرض كلها والعالم ليتأهَّل لمواطنة السماء والله. كان هذا هو يوم المسيح، يوم الإنسان الجديد، يوم الحرية الحقيقية: «إن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً» (يو 36:8)، يوم التجديد العالمي، يوم الرينسانس الإلهي الذي فيه دخلت البشرية في ملك الله.

وما أسعده يوماً في تاريخ الإنسان! لا تزال عيون العالم شاخصة إليه وهو جالس على عرشه الإلهي!

21:4 **«فَابْتَدَأَ يَقُولُ لَهُمْ: إنَّهُ الْيَوْمَ قَدْ تَمَّ هذَا الْمَكْتُوبُ فِي مَسَامِعِكُمْ».**

«فابتدأ يقول»: ½rxato

اصطلاح أرامي، مثل وفتح فمه ليقول، مشيراً إلى مضمون ما قاله المسيح، وتفيد الانتقال من القراءة إلى الوعظ، وبعدها تبدأ العظة باختصار جاذب للأنظار والقلوب. وقد اختطف المسيح انتباه كل الحاضرين بصورة طاغية حينما قال: «اليوم قد تمَّ هذا المكتوب في مسامعكم» فقد جمع الزمان السالف كله بناموسه وأنبيائه وخدمات هيكله ومجامعه ومعلّميه ووعَّاظه، الذي كان كله يدور حول مجيء المسيَّا وظهور خلاص الله علانية ويراه كل بشر!!

«اليوم»: s»meron

كان الضغط الذي باشره المسيح في النطق بهذه الكلمة «اليوم» كفيلاً بأن يُشعر كل السامعين والقارئين في الأرض كلها أنه هنا انتهى زمان النبوَّات؛ بل وانتهى زمان الإنسان وبدأ يوم الله الأبدي زمان الحياة. وقد دخل يوم المسيح هذا في زمن الخلود، سنة الرب المقبولة التي بدأت ولن تنتهي أبداً. لقد تحوَّل «اليوم» إلى الحاضر الذي لن تغرب له شمس أبداً، هو هو يوم الإسخاتولوجيا الذي فيه أيضاً سيظهر ابن الإنسان في مجده.

«قد تمَّ»: pepl»rwtai

هنا كلمة: «قد تمَّ» لا تفيد تكميل شيء زماني، بل استعلان كمال خطة الله الأزلية لتكشف ما وراء هذا الحاضر العريض الذي نعيشه. فحركة الزمان قد تُرجمت إلى عمل الله الذي هو فوق الزمان. فالحاضر الإلهي يمتد في هدوء لا يلحظه وعي الإنسان ليدخل في التكميل النهائي لتدبير الله. كان هذا بمثابة خطاب العرش الذي بدأ به المسيح خدمته في حواري وأزقة الجليل.

22:4 **«وَكَانَ الْجَمِيعُ يَشْهَدُونَ لَهُ وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْ كَلِمَاتِ النِّعْمَةِ الْخَارِجَةِ مِنْ فَمِهِ، وَيَقُولُونَ: أَلَيْسَ هذَا ابْنَ يُوسُفَ؟»**

نحن هنا أمام قوم متقلِّبين أخذتهم المفاجأة بكلمات المسيح المملوءة سلطاناً وقوة ونعمة، مما أثار فيهم التعجُّب والنطق ضد مشيئتهم بالشهادة لقوة النعمة التي كان يتكلَّم بها المسيح. ولكن كانت الخلفية التي ملأت عقولهم أنهم يعرفون المسيح أنه ابن يوسف نجار القرية، بالإضافة إلى أنهم سمعوا عن خدمته الإعجازية في كفرناحوم والتي لم يمارس مثلها في الناصرة مع أنها وطنه. لذلك امتزج إحساسهم بنوع من الاستهانة بقيمة المستوى الروحي النبوي العالي الذي شدَّ انتباههم. ولكن هذا هو المسيح صخرة عثرة!! نجار نعم، ابن نجار نعم، إنسان لا منظر له نعم، رجل أوجاع نعم، مضروب ومذلول نعم، له شكل العبد نعم، ولكن حينما يتكلَّم: «لم يتكلَّم قط إنسان مثل هذا الإنسان» (يو 46:7)؛ وحينما يعمل فليس إنسان يستطيع أن يعمل عمله قط: يأمر الشيَّاطين فتطيعه، ينتهر الهواء والبحر أن إخرس إبكم فينصاع إلى الهدوء التام، يشفي كل مرض وكل سقم في الشعب بكلمة، يقيم الموتى من القبور، وهو هو النجَّار ابن يوسف. صُلب ومات وقُبر نعم، ولكنه قام من بين الأموات في اليوم الثالث.

فإن أردت أن تؤمن به فعندك البراهين والأسباب.
وإن أردت أن ترفضه فعندك البراهين والأسباب.

لذلك كان جزاء الإيمان عظيماً!!

23:4 «**فَقَالَ لَهُمْ: عَلَى كُلِّ حَالٍ تَقُولُونَ لِي هذَا الْمَثَلَ: أَيُّهَا الطَّبِيبُ اشْفِ نَفْسَكَ. كَمْ سَمِعْنَا أَنَّهُ جَرَى فِي كَفْرِنَاحُومَ، فَافْعَلْ ذلِكَ هُنَا أَيْضاً فِي وَطَنِكَ**».

لقد أثبت المسيح بمبادرته هذه التي كشف بها ما يدور في قلوبهم الحاقدة أنه حقًّا طبيب النفس والروح والجسد، وقد وضع إصبعه على علة غيرتهم المرَّة بسبب الأعمال التي عملها في كفرناحوم دون أن يُجري عملاً في الناصرة مدينتهم وهي وطنه بالدرجة الأولى.

والعجيب حقًّا أن المسيح يعلّق هنا على ما استطاع أهل الناصرة أن يلتقطوه من النبوَّة التي أخذها من إشعياء ليطبِّقها على نفسه، وهي تدور حول عمله الجديد بالنسبة لشفاء منكسري القلوب وإعطاء البصر للعميان وتحرير المأسورين والمنسحقين، وكلها تقريباً أعمال طبيب ذي حيثية واتساع في قدراته على الشفاء. ولكنهم بخبث علموا أنها أُجريت بالفعل في كفرناحوم، فلاموه ملامة لاذعة إذ اعتبروه هو نفسه مريضاً بسبب مرض وعوز مدينته الناصرة، فكان الأولى أن يشفي نفسه أي أهل مدينته قبل أن يشفي الغرباء. ولكن هذا لم يكن غائباً عن المسيح أبداً، بل سيظهر من كلامه بعد ذلك أنه حاول أن يجري معجزات وآيات في الناصرة ولكن لعدم إيمانهم لم يستطع أن يُجري المعجزات لأنها تحتاج إلى إيمان القوم (مر 5:6و6). فالمسيح يشفي مَنْ له إيمان بالشفاء، ودموع المرضى والمتألمين هي أدوات المسيح كطبيب. فالمسيح قادر أن يَشْفي مَنْ هو قادر أن يؤمن، وعلى مستوى قدرة الإيمان تكون قدرة الشفاء.

24:4 «**وَقَالَ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ مَقْبُولاً فِي وَطَنِهِ**».

«**الحق**»: ¢m»n

كلمة محبوبة عند المسيح كررها ق. لوقا في إنجيله 6 مرَّات. وقد استخدم أيضاً غيرها مثل حقًّا أقول ¢lhqîj (9: 27). ويقول العالِم يواكيم إرميا(156) أن استخدام هذه الكلمة "آمين" هو لكي يُبرز الكاتب نطقاً ذا سلطان متميِّز عن باقي الكلام، ليؤكِّد ويصدِّق على ما سبق قوله، وهذه إحدى خصائص كلام المسيح الأصيلة.

والمسيح قال هذا غير مشير إلى أهل بيته، مع أنهم هم أيضاً لم يكونوا يؤمنون به، وذلك تتميماً

(156) J. Jeremias, *Abba,* pp. 145-152; *The Prayers of Jesus,* London, 1967, pp. 112-115.

للمقولة وهي صحيحة إلى حد كبير. لأن اعتياد رؤيا الإنسان وأهل بيته يُفْرِغ مضمون المهابة من الشخصية، وكلما قلَّت معرفة الناس بظروف الإنسان وعاداته كلما تضخَّمت مواهبه، ولو أن هذا يُحسب في الشرق أكثر منه في الغرب.

ويلاحِظ القارئ أن المسيح هنا ينسب النبوَّة إلى نفسه تجاوزاً باعتبار أنها أعلى درجة عند البشر يستطيع أهل الناصرة أن يقيِّموها. ويا لعظم الحزن أن لا يُقبَل ابن الله عند الذين نزل عليهم ضيفاً.

25:4 «وَبِالْحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ أَرَامِلَ كَثِيرَةً كُنَّ فِي إِسْرَائِيلَ فِي أَيَّامِ إِيلِيَّا حِينَ أُغْلِقَتِ السَّمَاءُ مُدَّةَ ثَلاَثِ سِنِينَ وَسِتَّةِ أَشْهُرٍ، لَمَّا كَانَ جُوعٌ عَظِيمٌ فِي الأَرْضِ كُلِّهَا».

إن ما حدث للناصرة لكون المسيح أهملها وخصَّص الأخبار السارة وأعمال نعمته للبلاد الأخرى حولها، أوجد المسيح في موقف يقابله في التاريخ القديم: كون إيليا وأليشع صنعا معروفاً وخيراً لأهل الأمم خارج إسرائيل دون المحتاجين من أهلها. هكذا إذ رفض أهل الوطن المسيح، تركهم وعرض إنجيله على الأمم، كما فعلت الكنيسة وق. بولس أيضاً فيما بعد.

ولكن في أيام النبيين إيليا وأليشع قديماً لم يُعرف أن الله انتقل بثقله من إسرائيل للأُمم. ولكن كانت إسرائيل تحت عقاب الله إذ عبد الشعب الصنم "البعل"، لذلك كانت لفتة تأديبية أن يتحنن الله على أرملة أُممية لم تكن تحت العقاب.

ولكن الأمر بالنسبة للناصرة كان مختلفاً إذ رفضوا خدمة الرب فعلاً، فكان من الحق والعدل أن يذهب إلى البلاد الأخرى المحيطة. فقول الرب يوضِّح موقفهم «ليس نبيٌّ مقبولاً في وطنه» هذا ما فعلوه بالمسيح. والمثل الذي أعطاه المسيح عن كيف أُغلقت السماء ثلاث سنين وستة أشهر جزاء توقُّف إيمان إسرائيل بالله وجنوحها إلى عبادة البعل، يعطي صورة واضحة لمنهج معاملة الله مع شعبه وأولاده، فَرَفْع النعمة والمراحم الأبوية وسيلة لإظهار غضب الله. والمسيح يطبِّقها على أهل الناصرة إذ رفضوا الإيمان بالمسيح فتوقفت عنهم أعمال الشفاء والرحمة والمعجزات جميعاً.

والعجيب أن المسيح نفسه لم يكن سبباً أبداً في هذا التأديب، بل قيل إنه لم يقدر أن يعمل هناك معجزات لعدم إيمانهم (مر 6: 5و6)، فعدم إيمانهم هو الذي حرمهم من نعمة الله وليس المسيح.

أمَّا المدة نفسها «ثلاث سنين وستة أشهر» فهي في تقليد التوراة وحتى في سفر الرؤيا المكني عنها باثنين وأربعين شهراً (2:11، 6:12، 5:13) فهي دائماً تعبِّر عن زمان اضطهاد وبؤس. وتعطى

أيضاً كأحجية زمان وزمانين ونصف زمان (دا 25:7، 12:7؛ رؤ14:12)، وهي فترات محنة وضيق وغضب. وواضح أن الطبيعة تتضافر من جهتها لتعلن غضب الله، ولكن ما من مرَّة يُذكر فيها هذا إلاَّ وبالبحث نجد أن الإنسان هو المتسبب في بؤسه وشقائه. وها أمامنا أهل الناصرة مثلٌ حزينٌ على وقوعهم في هذا الضيق الذي جلبوه على أنفسهم، لا بعدم إيمانهم بالمسيح فحسب بل ومحاولتهم إلقائه من على الجبل ليقتلوه.

26:4 **«وَلَمْ يُرْسَلْ إِيليا إِلى وَاحِدَةٍ مِنْهَا، إِلاَّ إِلىَ امْرَأَةٍ أَرْمَلَةٍ، إِلى صَرْفَةِ صَيْدَاءَ».**

وهكذا أُوخذت أرامل إسرائيل الكثيرات ـ زمن إيليا تحت حكم أخآب الذي جعل الشعب يعبد الأصنام ـ بذنب إسرائيل الذي ترك إلهه وجرى وراء آلهة الزنا والفجور، أغاظوا الرب بفجورهم فأغاظهم الرب بنقمته: جوع وعطش حتى الموت!! ومع أن المسيح لا يرضى قط عن قسوة الزمان الذي فات وجاء معه النعمة والسلام وفي يمينه شبع وسرور، ولكن ما العمل لقوم رفضوا النعمة والسلام؟ اعترفوا علناً وجهاراً: «وكان الجميع يشهدون له ويتعجَّبون من كلمات النعمة الخارجة من فمه» وبعدها: «قاموا وأخرجوه خارج المدينة وجاءوا به إلى حافة الجبل الذي كانت مدينتهم مبنية عليه حتى يطرحوه إلى أسفل» (لو 29:4). «إنهم أمة عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم» (كما قال عنهم موسى النبي) (تث 28:32).

27:4 **«وَبُرْصٌ كَثِيرُونَ كَانُوا فِي إِسْرَائِيلَ فِي زَمَانِ أَلِيشَعَ النَّبِيِّ، وَلَمْ يُطَهَّرْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ إِلاَّ نُعْمَانُ السَّرْيَانِيُّ».**

يُذكر هنا أليشع النبي للمرة الوحيدة في العهد الجديد. والقصة موجودة بدقة في (2مل 5). والقصة هنا حزينة لأن أليشع كان يمر على البيوت يفتقدها، وكان مرض البرص منتشراً في إسرائيل والمرضى يئنون ويبكون، ولكن لم تُعطَ لأليشع قوة أن يشفي برصاً إلاَّ لإنسان سرياني غريب جاء ليطلب معونة يهوه إله إسرائيل فوجد المعونة جاهزة، مع أن نعمان كان عدواً شديد المراس تجاه إسرائيل.

هذه كلها عينات جاءت مبكرة جداً في أجندة مراحم الله لتحكي عمَّا سيكون في أواخر الأيام، حينما تنسكب نعمة الله بلا كيل على كافة الأُمم والكل يهتف باسم الله.

28:4 **«فَامْتَلأَ غَضَباً جَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْمَجْمَعِ حِينَ سَمِعُوا هذا».**

لقد التقط الشعب قصد المسيح بسهولة إذ رفع من قدر أرملة صرفة صيدا الأممية المكروهة، ثم رفع من شأن السريان ونعمان عدو إسرائيل اللدود ولم يُساوِهِم بشعب الله المختار أبناء إبراهيم والعهد والموعد، بل ركّبهم على ظهورهم ورفع من وجههم أمام الله، وأحطّ من شأن بلده ووطنه وأهله في التراب، ومَنْ يطيق؟ قاموا قومة رجل واحد وعقدوا النية إمَّا على رجمه حيًّا أو قتله بإلقائه من فوق تل بجوار المدينة حتى ولو كان ذلك يوم سبت! «إنهم أمة عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم.» (موسى) (تث 28:32).

29:4 **«فَقَامُوا وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ، وَجَاءُوا بِهِ إِلى حَافَّةِ الْجَبَلِ الَّذِي كَانَتْ مَدِينَتُهُمْ مَبْنِيَّةً عَلَيْهِ حَتَّى يَطْرَحُوهُ إِلى أَسْفَلُ».**

هرج ومرج، واختلط الحابل بالنابل، وأحاط رجال أقوياء بالمسيح الرب وقيَّدوه ودفعوه خارج المجمع وساقوه سوقاً حتى حافة الجبل وقد عقدوا النية على طرحه من فوق مكان عالٍ لعلّهم يتخلّصون من الذي جاء حاملاً خلاصهم ويطفئوا النور الذي جاء ليضيء عليهم بضياء نور الله ويرفع عنهم ظلام الموت وظلمة الدهور. كان يسير معهم متعجِّباً من سلطان الظلمة على عقولهم، وإذ رأى عبثاً أن يقول لهم مَنْ هو وما هو سلطانه تركهم حتى النهاية.

30:4 **«أَمَّا هُوَ فَجَازَ فِي وَسْطِهِمْ وَمَضَى».**

مهما أحاطت جحافل الظلمة بالنور فلا تقربه، النور يضيء في الظلمة والظلمة لا تدركه، ومهما تشامخ الباطل وتعالى فوق الحق فبمجرَّد أن يلمسه يخر صريعاً وإذا هو لا يوجد.

الرب لم يحتج ولم يوبِّخ، لم يعاتب ولم يعنّف، تركهم يعملون عملهم أمَّا هو فنظروا ولم يروه. «لم تأتِ ساعتي بعد» ! (يو 4:2، 6:7و30، 20:8)

3 ـ أعمال المسيح في كفر ناحوم

(44-31:4) (مر 1:21-39)

يبدأ ق. لوقا قسماً جديداً من الرواية، اعتمد فيه على ما جاء في إنجيل ق. مرقس (1:21-39)، بعد أن وفَّى ما جاء في إنجيل ق. مرقس (1:1-15)، مع الرجوع إلى بعض المصادر الأخرى المكمِّلة.

ويبدأ هنا من الآية (31) يحكي عن تعليم المسيح في المجامع، وأثر هذا التعليم في نفوس السامعين. ثم يسرد قصة الإنسان الذي كان به روح شيطان نجس في المجمع، وبعدها شفاء حماة سمعان بطرس، وكان قصد ق. لوقا أن يعطي صورة كاملة ليوم بأكمله من خدمة المسيح ينتهي بغروب الشمس حيث يكمِّل عمل الأشفية في الشعب الذي كان يتزاحم. وبعدها خرج إلى الخلاء في الصباح الباكر استعداداً لعمل أكثر (42-44).

ويلاحظ أنه لم يرتبط بكفرناحوم بأكثر مما خدم في الناصرة وليس حسب ادّعاء أهل الناصرة.

(أ) التعليم في مجمع كفرناحوم

(4:31و32)

كانت تعاليم المسيح في مجمع كفرناحوم تتسم بالسلطان، وعلى نفس المستوى جاءت الآيات لتنطق معاً بقوة المسيح غير العادية التي اشترك ق. مرقس مع ق. لوقا في إبرازها بقصد توضيح رسالة المسيح.

31:4 **«وَانْحَدَرَ إِلَى كَفْرِنَاحُومَ، مَدِينَةٍ مِنَ الْجَلِيلِ، وَكَانَ يُعَلِّمُهُمْ فِي السَّبُوتِ».**

كانت الناصرة على تلٍ عالٍ، لذلك كان واضحاً أنه انحدر في ذهابه إلى كفرناحوم لأن الناصرة ترتفع عن سطح البحر بمقدار 1200 قدم، علماً بأن سطح بحيرة الجليل بدوره ينخفض عن مستوى سطح البحر بمقدار 686 قدماً.

وهنا يدعو ق. لوقا كفرناحوم أنها مدينة في الجليل، وقد جاء ذكر الجليل في الآية (14:4) التي كان قد ابتدأ فيها الحديث عن ذلك، ولكنه توقَّف ليكمِّل ما أراد أن يسبق به حديثه عن كفرناحوم

بقصة قراءة سفر إشعياء في مجمع الناصرة: «ورجع يسوع بقوة الروح إلى الجليل وخرج خبر عنه في جميع الكورة المحيطة. وكان يعلّم في مجامعهم ممجَّداً من الجميع.» (14:4و15)

والغريب أن ق. لوقا عاد لثالث مرَّة لينهي الأصحاح الرابع في الآية (44) بقوله: «فكان يكرز في مجامع الجليل» علماً بأن ق. لوقا لم يستطع أن يعبّر عن أسباب اهتمامه بالكرازة في الجليل ومجامع الجليل رغم ذكرها ثلاث مرَّات في الأصحاح الرابع. فإذا رجعنا إلى إنجيل ق. متى وضح السبب الهام جداً، إذ أنه بحسب كشف ق. متى كان تتميماً لنبوَّة عظيمة وهامة لإشعياء النبي مؤدَّاها: «ولمَّا سمع يسوع أن يوحنا أُسلم انصرف إلى الجليل وترك الناصرة وأتى فسكن في كفرناحوم التي عند البحر في تخوم زبولون ونفتاليم، لكي يتم ما قيل بإشعياء النبي القائل أرض زبولون وأرض نفتاليم طريق البحر عبر الأردن **جليل الأمم**. الشعب الجالس في الظلمة أبصر نوراً عظيماً والجالسون في كورة الموت وظلاله أشرق عليهم نور.» (مت 4: 12-16)

32:4 **«فَبُهِتُوا مِنْ تَعْلِيمِهِ، لأَنَّ كَلاَمَهُ كَانَ بِسُلْطَانٍ».**

يُلاحَظ أن تأثر الشعب من كلامه وتعليمه هو نفس التأثر والاندهاش من أعماله وآياته، وقد وُصِفَت هذه وتلك "بالسلطان" (راجع الآية 36). وواضح أن القصد الخفي الذي أراد أن يكشفه ق. لوقا هو أن المسيح كان يمارس تعليمه وإجراء آياته كإله. فالكلام صادر بسلطان شخصي والعمل بالأمر، لا دعاء ولا توسُّل ولا صلاة. فالعنصر الإلهي سائد إنْ في تعليمه أو في إجراء آياته.

فهنا في هذه الآية يسجِّل ق. لوقا «فبهتوا من تعليمه» وهناك في (36:4) يسجِّل: «فوقعت دهشة على الجميع وكانوا يخاطبون بعضهم بعضاً ما هذه "الكلمة". لأنه بسلطان وقوة يأمر الأرواح النجسة فتخرج»

والقارئ يذكر كيف ذهب المسيح إلى الجليل في البدء: «ورجع يسوع بقوة الروح إلى الجليل ...» (لو 14:4). إذن، فواضح أن القوة التي يشير إليها ق. لوقا والسلطان معاً هما قوة وسلطان الروح القدس اللذان يمارس بهما المسيح أعماله لا كعطية أو استعارة بل كمخصصاته.

(ب) إخراج الشياطين

(37-33:4) (مر 1:21-28)

كان المقدَّر في نظر الباحثين من العلماء والمتابعين لحركة التعليم والمعجزات للمسيح، أن المسيح يبدأ بالفعل في مصادرة الشيطان وإخراجه عنوة وبسلطان من سكناه في الذين استحوذ عليهم، بعد أن صارعه على جبل التجربة وربطه بحسب تصوير المسيح للشيطان كما أورده ق. لوقا في (11:20-22): «ولكن إن كنت بأصبع الله أُخرج الشياطين، فقد أقبل عليكم ملكوت الله. حينما يحفظ القويُّ داره مُتَسلّحاً (بالخطية، فالخطية هي السلاح الذي يغلب به الشيطان الإنسان)، تكون أمواله في أمانٍ (يكون أسراه وأخصَّاؤه ملكه). ولكن متى جاء مَنْ هو أقوى منه (المسيح) فإنه يغلبه (على جبل التجربة) وينزع سلاحه (يبيد الخطية التي حارب بها الإنسان وغلب) الكامل (كافة خطاياه بألوانها وأشكالها) الذي اتكل عليه (وكأن الخطايا في نظره باقية) ويوزِّع غنائمه (يحرِّر أسراه)» واضح أن المسيح ربط الشيطان في التجربة على الجبل ونزل يكرز ويبشِّر، وأول آياته كانت إخراج الشياطين عنوة وتحرير فرائسه.

وهكذا يسير خط الخلاص على مستوى التعليم مع خط الخلاص على مستوى الآيات والمعجزات، لأنه لا ينبغي أن يغيب عن ذهن القارئ الدارس أن التعليم على الخلاص محوره الأساسي غفران الخطايا؛ وإخراج الشياطين وشفاء الأمراض محوره الأساسي غفران الخطايا، فهو الخلاص على مستوى عملي ومنظور. لذلك ستجد في تعليم ق. لوقا أن كلمة "الشفاء" وكلمة "الخلاص" واحدة. فالآية: «اذهبي بسلام إيمانك قد شفاكِ» (لو 8:48)، هي الآية «إيمانك خلّصك» (لو 7:50)، لأن حقيقة **"الخلاص"** وحقيقة **"الشفاء"** واحدة وهي مغفرة الخطايا. وهذه الحقيقة اللاهوتية عند ق. لوقا في غاية الأهمية. وقد أوردها على لسان المسيح كحقيقة إلهية ثابتة هكذا: «أيُّما أيسر: أن يُقال مغفورة لك خطاياك أم أن يُقال قُم وامش؟ (بمعنى أن الاثنين واحد أو هما متساويان) ولكن لكي تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا (الخلاص)، قال للمفلوج: لك أقول قُم واحمل فراشك واذهب إلى بيتك.» (لو 5: 23و24)

33:4 **«وَكَانَ فِي الْمَجْمَعِ رَجُلٌ بِهِ رُوحُ شَيْطَانٍ نَجِسٍ، فَصَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ».**

«روح شيطان نجس»: pneàma daimon…ou ¢kaq£rtou

هنا ق. لوقا يكتب لليونانيين فكان لزاماً عليه أن يوضِّح أن هذا الروح شيطان وأنه نجس ليفرِّقه من الروح القدس. وواضح أن الصراخ العظيم هو من صنع هذا الروح النجس. وقد سبق أن شرحنا في إنجيل ق. مرقس أن الشيطان أو الروح النجس أو الروح الشرير إمَّا أن يستولي على الإنسان استيلاءً تاماً وهذا يسمَّى في الباراسيكولوجي استحواذاً، حيث يتقمَّص الشيطان روح الشخص ويتصرَّف فيه كيفما شاء، وإمَّا مجرَّد مسّ فقط وهنا إمَّا يصيبه بمرض أو شذوذ فيبدو المرض عضالاً غير قابل للشفاء بأي وسيلة طبية، ولكن بمجرَّد أن يُصلَّى عليه يتركه المس فيصبح صحيحاً معافىً. وتظهر بشدة هذه الحالة في إصابة العمى، فقد يصبح الإنسان وهو بكامل عينيه أعمىً لا يرى شيئاً على الإطلاق، وبالكشف عليه يظهر أنه سليم مائة بالمائة، ويظل أعمى إلى أن يتركه المس فيرى مباشرة وفجأة صحيحاً كالأول، وهكذا الخرس والصمم والشلل وفقدان القوة الجنسية وأمراض أخرى كثيرة من صُنع مسّ الشيطان، وهذه كلها أصبح الطب في الخارج، في أقسام الباراسيكولوجي، مسئولاً عنها ولها علاجها الروحي بواسطة وسيط وتُجرى في جامعات أوروبا وأمريكا وخاصة البرازيل.

34:4 **«قَائِلاً: آهِ مَا لَنَا وَلَكَ يَا يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ! أَتَيْتَ لِتُهْلِكَنَا! أَنَا أَعْرِفُكَ مَنْ أَنْتَ: قُدُّوسُ اللهِ».**

«آه»: œa

حرف يفيد إمَّا الاندهاش أو عدم الرضى وهو موجود في اليونانية، وفي الأرامية "واي" وبالعربي: "آه"، وهي محاولة من الشيطان أن يدافع عن نفسه.

«ما لنا ولك»: t… ¹m‹n ka^ so…

الترجمة العربية صحيحة، وتعني كيف اجتمعت معنا، كيف أتيت إلينا.

«أتيت لتهلكنا»:

هنا لا يقصد مجرَّد مجيئه إلى المجمع في هذا اليوم، بل مجيئه من السماء، فالشيطان يتكلَّم عن كل بني جنسه، والهلاك هنا كلمة صحيحة وهي فقدان الوجود.

«أنت قدوس الله»:

هنا الاعتراف بحقيقة المسيح المكشوفة للشيطان ينطقها صاغراً مجبراً للاعتراف بسلطانه الإلهي الفائق ولإعلان المناقضة الصارخة بين قداسة المسيح ونجاسة الشيطان عن إذلال. ولكن إيمان

الشيطان لا يُحسب له بل ضدَّه لأنه لا يستطيع أن يتغيَّر أو يتوب لأنه ملاك ساقط تحت العقاب والدينونة الأبدية.

35:4 **«فَانْتَهَرَهُ يَسُوعُ قَائِلاً: اخْرَسْ وَاخْرُجْ مِنْهُ. فَصَرَعَهُ الشَّيْطَانُ فِي الْوَسْطِ وَخَرَجَ مِنْهُ وَلَمْ يَضُرَّهُ شَيْئاً».**

كان صراخ الشيطان وكلامه محاولة للمراوغة، فأوقفه المسيح في الحال بأمر قاطع أن يخرس أي لا ينطق البتة، ثم أمره بالخروج مباشرة وكان مع الأمر سلطان إلهي بالإجبار على التنفيذ الفوري دون أي مراوغة.

«فصرعه»: `r‹yan

الترجمة العربية هنا غير دقيقة، فهي تأتي في اليونانية بمعنى: ‘‘**أوقعه** على الأرض’’ فقط، ولكن في إنجيل ق. مرقس تأتي ‘‘صرعه’’ بمعنى: ‘‘أصابه بانقباضات شديدة’’. وفي الحقيقة أن خروج الروح النجس من إنسان عاش معه مدة طويلة أمر صعب جداً، إذ يصبح الروح متملّكاً على كل جسده، فخروجه كخروج الروح، يحتاج أن يتخلّص من قبضته الشديدة على جميع أجزاء وعضلات ومخ فريسته. لذلك يعاني الشخص صدمة عصبية عنيفة جداً حتى يعود الإنسان كما كان بدون هذا الاخطبوط الذي عَصَرَ جسده. فإذا لم يكن الشخص الذي يقوم بإخراج الشيطان على مستوى القوة الروحية الكافية، ويأمره أمراً بأن يخرج دون أن يضره في شيء، فإن الشيطان قد يصيبه في جزء من جسمه إصابة مرضية أثناء خروجه. وهنا واضح أن الشيطان خرج مجبراً مقهوراً دون أن يضر الإنسان في شيء شهادة لسلطان المسيح الفائق.

36:4 **«فَوَقَعَتْ دَهْشَةٌ عَلَى الْجَمِيعِ، وَكَانُوا يُخَاطِبُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً قَائِلِينَ: مَا هذِهِ الْكَلِمَةُ! لأَنَّهُ بِسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ يَأْمُرُ الأَرْوَاحَ النَّجِسَةَ فَتَخْرُجُ».**

انتهت المعجزة بالنتيجة المرجوة وهي أن يشعر الشعب أن المسيح له سلطان حقيقي على الشيطان. وهنا تأثير المعجزة أصاب الشعب بدهشة وخوف معاً.

وقول الآية: «ما هذه الكلمة» يقصد بها هذا الأمر الصادر بسلطان وقوة معاً، أمر وتنفيذ في الحال شأن أعمال الله. فالتنفيذ الفوري الصاغر أعطى للأمر (الكلمة) هيبة إلهية.

القديس لوقا هنا يبرز شخصية المسيح قادراً مقتدراً على الخلاص بكلمة آمرة، يتساوى في

الخلاص إن كان مرضٌ أو شيطان يحتل خليقة الله. فنرجو من القارئ أن ينتبه إلى منهج ق. لوقا، فهو يقدِّم المسيح في أي وضع كان متكلّماً أو عاملاً كمخلّص جاء ليخلّص ما قد هلك. فليس بالصليب والموت والقيامة يأخذ المسيح وضعه كالمخلّص كنهاية، بل في الحقيقة كان كل تعليم وكل كلمة قالها المسيح، وكل آية صنعها تحمل خلاص الصليب والموت والقيامة. فحينما قال للمفلوج: «مغفورة لكَ خطاياك» (مت 2:9، مر 5:2)، كانت قوة الصليب والموت والقيامة حاضرة. وحينما قال للشيطان: «اخرس واخرج» (35:4)، كان من واقع الظفر بكل رئاسات الشر وسلاطين الظلمة على الصليب.

37:4 **«وَخَرَجَ صِيتٌ عَنْهُ إِلى كُلِّ مَوْضِعٍ فِي الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ».**

«صيت»: coj أ

وتعني باليونانية: ”سماع“ أي كلام مسموع بتبادل، ومعنى الآية أن لشدة علو شأن الآية وقوتها وسلطانها جاء أثرها في اتساع انتشار الخبر وتأثيره. وسيظهر مباشرة الأثر المترتب على الانتشار السريع في كل الكورة المحيطة **في نفس اليوم**، مما حدا بجميع القرى بالإسراع في إحضار جميع المرضى بكل الأمراض وتدفقوا على مدينة كفرناحوم وأحاطوا بالبيت النازل فيه، بيت بطرس الرسول. ولكن يسجِّل ق. لوقا عن ق. مرقس أن ذلك حدث بعد **”غروب الشمس“**. طبعاً لم يفهم الشُّرَّاح الذين استغربوا هذا الوقت بالذات، ولم ينتبهوا إلى أن اليوم كان سبتاً وممنوع السير فيه، فلما غربت الشمس أصبح محلّلاً لهم السير وحمل المرضى، فبمجرَّد أن غربت الشمس امتلأت الشوارع المحيطة بالبيت.

(ج) شفاء حماة سمعان

(38:4و39)

(مت 8:14-15)
(مر 1: 29-31)

هذه ثاني معجزة يقدّمها ق. لوقا، وواضح أنه أخذها كما هي من إنجيل ق. مرقس (مر 1:29-31)، ولكن بحرية واختيار الكلمات من عنده. فهي أتت في إنجيل ق. مرقس ذات طابع شخصي في الرواية، باعتبار أن الذي يقصها كان شاهد عيان ومن نفس البيت، فأخذت القصة في إنجيل ق. مرقس حيوية الحركة وكأنها بالصوت والصورة، فلم تُروَ كقصة ولكن كحدث منظور.

ولكن ق. لوقا أراد أن يعطي الأولوية فيها للجزء الإعجازي، وحَذفَ المفردات الجانبية وكأنها ليست ذات أهمية مع أنها كانت عند ق. مرقس ذات بريق حيوي.

والذي يدرس منهج ق. لوقا يستطيع أن يشعر باهتمام ق. لوقا في تسجيل هذه القصة مباشرة بعد إخراج الشيطان، فهو إنما يجمع معاً إخراج الشيطان مع حالة شفاء مرض مفاجئ شديد الأثر ولامرأة. ففي المجمع رجل مُصاب، وهنا امرأة مصابة، والشفاء حالاً وبكلمة. فالفكر اللاهوتي حاضر والخلاص مكشوف وسريع من سطوة شيطان وسطوة مرض. والمُلاحَظ أن منهج ق. لوقا هو عرض مختصر دون التدخُّل في إضافات، لأن لب الموضوع لاهوتي محض!! لاهوت الخلاص. تعليماً وآياتٍ.

ولكي يثق القارئ في هذا الحصر المنهجي اللاهوتي، يلاحظ الربط بين آية إخراج الشيطان وآية إخراج الحمى بكلمة «وانتهر» فهو انتهر ™pet…mhsen الشيطان وانتهر الحمى. هذا هو سلطان الخلاص الذي دخل به عالم الإنسان المطحون تحت الشيطان وأمراض الجسد.

ثم إن هناك أيضاً ملاحظة هامة إذ أن ق. لوقا يقدِّم لنا شفاء حماة سمعان بطرس، قبل أن يمارس المسيح دعوة بطرس للتلمذة!

38:4 **«وَلَمَّا قَامَ مِنَ الْمَجْمَعِ دَخَلَ بَيْتَ سِمْعَانَ. وَكَانَتْ حَمَاةُ سِمْعَانَ قَدْ أَخَذَتْهَا حُمَّى شَدِيدَةٌ. فَسَأَلُوهُ مِنْ أَجْلِهَا».**

منطق الآية واضح أن المسيح مع تلاميذه الأخصاء بعد أن خرجوا من المجمع يوم السبت بعد إخراج الشيطان، ذهبوا إلى بيت سمعان ليأكلوا أكلة السبت الرئيسية لأنهم يذهبون إلى المجمع صائمين. ويُلاحَظ أن ق. لوقا يُسقط أسماء التلاميذ الأخصَّاء وكأنها معلومة فرعية، وبالأكثر لأنه لم يكن قد تحدَّث عن اختيار التلاميذ الذي استوفاه في (1:5-11).

«قد أخذتها حُمَّى»: sunecomšnh puretù

اصطلاح مناسب للإصابة بالحمى، وهو اصطلاح طبي يناسب مهنة ق. لوقا، وقد كرَّره في إنجيله ست مرَّات وفي الأعمال ثلاث مرَّات. ولم يَرِد إطلاقاً في إنجيل ق. مرقس، ومرَّة واحدة فقط في إنجيل ق. متى (24:4). كما يُلاحَظ أنه يؤكِّد شدة الحمى meg£lJ، حمى شديدة، محاولاً أن يصف خطورة الوضع، وغالباً كانت المريضة تئن وتضج. وأيضاً لكي يُظهر أهمية المعجزة لإخراج الحمى بكلمة. والعجيب أن ق. لوقا يتدخل هنا ليصف الحمى بنوع خاص معتمداً على رواية ق. مرقس، مع أن ق. مرقس لم يزد قولاً عن «محمومة»

«فسألوه من أجلها» من واقع الحال، متأثرين بقوة عمل المعجزة السابقة.

39:4 **«فَوَقَفَ فَوْقَهَا وَانْتَهَرَ الْحُمَّى فَتَرَكَتْهَا! وَفِي الْحَالِ قَامَتْ وَصَارَتْ تَخْدُمُهُمْ».**

واضح أن حماة بطرس كانت منطرحة على فراش موضوع على الأرض، لهذا كان اقتراب المسيح منها يُعتبر أنه وقف أعلى منها. وحينئذ انتهر الحمَّى كما انتهر الشيطان بسلطانه القاهر للعدو وأعماله الخفية والظاهرة، كما انتهر الريح والبحر أيضاً. ويبدو أن ق. لوقا بهذا يُظهر أنه كان يعتقد أن الأمراض هي أيضاً من جراء أعمال العدو بصورة ما. وقد أبرز هذه الحقيقة في حديثه عن المرأة المنحنية: «وهذه وهي ابنة إبراهيم **قد ربطها الشيطان ثماني عشرة سنة** أما كان ينبغي أن تُحل من هذا الرباط في يوم السبت.» (لو 16:13)

ويُلاحَظ أن أمر الرب نُفّذ في الحال والتو تنفيذاً قوياً كاملاً حتى وكأنها لم تكن مصابة قط، حتى أنها قامت وخدمتهم كأصول الضيافة، وخدمتها كانت للجميع. ويُلاحَظ أن كلمة الخدمة التي اختارها ق. لوقا dihkÒnei هي الكلمة التقليدية للخدمة في المسيحية الخاصة بالسيدات، علماً بأن النسوة كن ممنوعات من خدمة الرجال على المائدة قانونياً وعرفاً[157].

(د) شفاء المرضى بعد غروب الشمس

(40:4و41)

(مت 16:8-17)

(مر 1: 32-34)

بعد حادثتي الشفاء المنفردتين، في المجمع وفي بيت سمعان، يدخل ق. لوقا في شفاء الجموع المزدحمة حول بيت سمعان الذين اجتمعوا من الكور المحيطة، وظهروا بعد غروب الشمس أي في بدء اليوم الجديد (الأحد) الذي يبدأ من بعد غروب السبت. وقد تركّزت غالبيتها في الذين استحوذ عليهم الشيطان والأرواح الشريرة الذين اعترفوا بصراخ بالمسيح أنه ابن الله، الأمر الذي ضايق المسيح فكان يسكتهم عنوة. والرواية مأخوذة بجملتها من إنجيل ق. مرقس (32:1-34) بتغييرات طفيفة وحذف الحواشي كعادة ق. لوقا. ولكن يمتاز ق. لوقا في هذه

(157) Marshall, *op. cit.*, p. 195.

الأنواع من الأشفية للمرضى بذِكر وضع اليد عليهم، التي ظهرت في إنجيل ق. مرقس في (31:1) بمسك اليد وليس وضع اليد.

40:4 **«وَعِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، جَمِيعُ الَّذِينَ كَانَ عِنْدَهُمْ سُقَمَاءُ بِأَمْرَاضٍ مُخْتَلِفَةٍ قَدَّمُوهُمْ إِلَيْهِ، فَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَشَفَاهُمْ».**

القديس لوقا أممي وليس يهودياً، أمَّا ق. مرقس فهو يهودي قحّ. كان ق. مرقس يعرف معنى غروب الشمس إذ تفصح عن ذهاب السبت وبدء يوم جديد، لذلك قالها واضحة: « ولمَّا صار المساء إذ غربت الشمس» (مر 32:1)، أمَّا ق. لوقا فاكتفى بالقول: «عند غروب الشمس»

«عند غروب الشمس»: DÚnontoj d\e toà ¹l…ou

لكي يتوافق ذلك مع قانون السبت، كان لا بد من التأكُّد من غروب الشمس تماماً. ويسمَّى ”المساء“، فمن المساء إلى المساء يومٌ واحدٌ 24 ساعة تماماً.

«سقماء بأمراض»: ¢sqenoàntaj nÒsoij

الاصطلاح الطبي للسُقم بالمرض، كما نقول بالبلدي: ”عيَّان بالسرطان“ أو ”عيَّان بالشلل“، فالكلمة الأولى تفيد الوقوع في السُقم والثانية نوع المرض.

لم يذكر القديس لوقا من قصة إنجيل ق. مرقس الازدحام على باب بيت بطرس، تلك التي أعطت صورة واضحة ليوم ازدحم بالشفاء.

«فوضع يديه على كل واحد»:

وصف طبي بديع، هنا يسرِّب المسيح قوة من عنده لكل مريض ضعيف ليُشفَى ويتعافى معاً، مثل: «قوة قد خرجت مني» (لو 46:8) التي سرقتها المرأة نازفة الدم. هنا وضع اليد للشفاء أخذته الكنيسة كوضع تقليدي لتوصيل قوة المسيح للشفاء بالروح القدس. وقد كرَّر هذا الوضع القديس لوقا في (13:13؛ 13:5)، وقد جاء أيضاً في إنجيل ق. مرقس (23:5و41؛ 5:6؛ 32:7؛ 23:8و25). علماً بأن الشفاء بوضع اليد كان غير معروف في اليهودية.

41:4 **«وَكَانَتْ شَيَاطِينُ أَيْضاً تَخْرُجُ مِنْ كَثِيرِينَ وَهِيَ تَصْرُخُ وَتَقُولُ: أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ! فَانْتَهَرَهُمْ وَلَمْ يَدَعْهُمْ يَتَكَلَّمُونَ، لأَنَّهُمْ عَرَفُوهُ أَنَّهُ الْمَسِيحُ».**

وضع غريب نوعاً ما في الأصل اليوناني إذ بدأ الجملة بكلمة «تخرج» قصداً منه لإبراز قوة الفعل

الذي مارسه المسيح عليهم. ولكن من المُلاحَظ جداً أن ق. لوقا حاول أن يجعل العملين مترافقين: شفاء المرضى وإخراج الشياطين، باعتبار أن أصلهما واحد. وصياح الشياطين هنا بقصد التشويش ولكن باعتراف عن حقيقة المسيح «أنت المسيح ابن الله» وقصد الشيطان كشف رسالة المسيح للضرر وليس للفائدة، فأخرسه المسيح. أمَّا القصد الإلهي المتحكّم في صراخ هؤلاء الشياطين فهو منعها من الإقلال أو التحقير من شخص المسيح، حتى لا تُعطي أعداء المسيح فرصة للتقليل من شأنه وشأن خدمته كما كانوا يحاولون، بل هنا تُعطي الحكم القاطع في مَنْ هو المسيح كابن الله حتى يُقطع خط الرجعة على الأعداء ويُجعل عدم إيمانهم بالمسيح ابن الله أنهم أقل من الشياطين بصيرة ومعرفة وإيماناً.

وقول ق. لوقا أن الشياطين تصرخ وتقول «أنت "المسيح" ابن الله» لم يقصد به الاعتراف الكامل بالمسيَّا، ولكن كون يسوع أعظم من صورته البشرية المنظورة قادراً أن يخرج الشياطين بقوته الذاتية فهو مخلّص سمائي وليس مخلّصاً سياسياً.

كذلك فإن «المسيح ابن الله» حينما تُقال وسط اليهود فهي ذات طابع مسيَّاني فائق، وقصد الشيطان هو كشف رسالة المسيح التي حرص المسيح أن يجعلها على المستوى السرّي حتى تكمل إلى النهاية. ولكن بالرغم من محاولات المسيح لإخفاء حقيقة مسيَّانيته علنياً إلاَّ أن الذي حدث دائماً هو محاولات الإعلان عنها بغير إرادته.

(هـ) ترك المسيح لكفرناحوم

(44-42:4) (مر 1: 35-39)

كان يوماً حافلاً بالأعمال الخلاصية الرائعة بالنسبة للبشرية الحزينة المكبَّلة بسلاسل ورُبُط فوق استطاعتها أن تحركها ولو إلى لحظة، الشياطين الذين استبدوا بضعفاء الشعب وأهانوا بشريتهم وأذلوا فخر الإنسان ومجد الله فيه، الأمراض التي أنهكت قواهم وأضاعت منهم معنى الحياة. وهنا يلقي القديس لوقا منظراً إبداعياً لمعنى عمل الخلاص الشامل واستعادة الحرية والراحة وفرحة الإنسان بحياته وإلهه مرَّة أخرى. لقد أثبت المسيح أن الله محب البشر حقًّا، وأنه خلق الإنسان ليسعد بالله وبأعماله.

لقد حاول سكان كفرناحوم بعد هذه الظاهرة الخلاصية المنقطعة النظير أن يمسكوا المسيح

ويحتفظوا به في بلدتهم. ولكن هنا يُبرز المسيح معنى الخلاص العام ورسالة المسيح الشمولية، فهو لكل أرض اليهود وليس لكفرناحوم، جاء لينشر عمل ملكوت الله ومعرفة الخلاص وتذوُّقه بالفعل على أساس الحياة اليومية.

ولو أن ق. لوقا ينقل عن ق. مرقس نفس الفصل (1:35-39)، ولكن يبدو أن ق. لوقا عاد أيضاً بالإضافة إلى ذلك إلى مصادر تقليدية أخرى أكمل منها الصورة كلها(158).

ويُلاحَظ أن ق. لوقا استبدل تعقُّب التلاميذ للمسيح في خلوته ـ كما جاء في إنجيل ق. مرقس ـ بتعقُّب الشعب. وبالنهاية أوضح ق. لوقا الخط اللاهوتي الصحيح من فم المسيح: « ينبغي لي أن أبشّر المدن الأُخَر أيضاً بملكوت الله لأني لهذا قد أُرسلت، فكان يكرز في مجامع الجليل.» (44:4)

42:4 «وَلَمَّا صَارَ النَّهَارُ خَرَجَ وَذَهَبَ إِلى مَوْضِعٍ خَلاَءٍ، وَكَانَ الْجُمُوعُ يُفَتِّشُونَ عَلَيهِ. فَجَاءُوا إِلَيْهِ وَأَمْسَكُوهُ لِئَلاَّ يَذْهَبَ عَنْهُمْ».

في الفجر قام المسيح والناس نيام وخرج دون أن يدروا إلى مكان منفرد، ولسببٍ ما أمسك القديس لوقا عن تكميل التقليد عند القديس مرقس أنه كان يصلّي، ولكن فيما بعد في (16:5) يورد هذا الخبر: «وأمَّا هو فكان يعتزل في البراري ويصلّي» ولكن يبدو أن العامل الذي استرعى انتباه القديس لوقا هو منهج المسيح التعليمي أن رسالة المسيح ينبغي أن تشمل جميع البلاد، فلم يُرِد أن يضع بجوارها حقائق أخرى، لأنه لم يكن بعد قد شرح لتلاميذه شيئاً عن رسالته؛ خاصة وأن الشعب أراد أن يستخدم الضغط على المسيح حتى يبقوه في بلدتهم. ولكن رسالة الخلاص للجميع!

43:4 «فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّهُ يَنْبَغِي لِي أَنْ أُبَشِّرَ الْمُدُنَ الأُخَرَ أَيْضاً بِمَلَكُوتِ اللهِ، لأَنِّي لِهَذَا قَدْ أُرْسِلْتُ».

ولو أن المسيح هو المتكلّم وقد أشار إلى عملية انتشار الملكوت بكلمة «ينبغي لي» ولكنها أتت في المفهوم الإلهي أنه يتحتّم، وهو ما تقابله أيضاً كلمة "ينبغي ‹de = must" لكي يشعر الشعب أن المسألة أخطر من مشيئتهم وأكثر من مسرّتهم في القرب منه. فإرادة الله التي يتحتّم أن تسود وتنفذ هي أن البشارة بالملكوت تَعُمُّ البلاد إلى أوسع مستوى.

(158) Lohmeyer, *Das Evangelium des Markus,* Göttingen, 1970, p. 42, cited by Marshall, *op. cit.,* p. 197.

«أبشّر»: eÙaggel…sasqai
في إنجيل ق. مرقس جاءت يكرز khrÚxw (مر 1 : 38)، ولعلّ كلمة يبشّر توافق التعليم بالإنجيل أكثر من الكرازة بالملكوت، فالكرازة تسبق التعليم، ولقد كرَّر القديس لوقا هذا الاتجاه كثيراً: «وعلى أثر ذلك كان يسير في مدينة وقرية يكرز ويُبشّر بملكوت الله ومعه الاثنا عشر.» (لو 8:1)

واضح أن ق. لوقا يركّز أن ملكوت الله هو دائرة نشاط وعمل وتعليم المسيح لتمكين الخلاص لكل إنسان، وهو المجال الإلهي الجديد الذي يخلقه المسيح خلقاً في عالم الإنسان. لذلك فهي عملية إلهية غاية في الأهمية أعطاها الله الأهمية القصوى وحملها المسيح بأقصى جهد واهتمام، وعليها انتظار الخليقة منذ الأزل!! وهي ستظل سائرة بقوة دفعها السرّي من قِبل الله والمسيح إلى أن تكمل بحسب قصد ومشيئة الله حيث يختم على هذا الزمان. فطالما يوجد وقت ويوم وساعة فلابد أن يُكرز ويُبشَّر بملكوت الله. وقد صوَّرها ق. مرقس أولاً وأخذها عنه ق. لوقا: «لهذا قد أُرسلِت»

فملكوت الله هو رسالة المسيح التي لن تنتهي إلاّ بانتهاء الزمان!

44:4 **«فَكَانَ يَكْرِزُ فِي مَجَامِعِ الْجَلِيلِ».**

واضح أن مركز خدمة الكرازة والبشارة كان في المجامع حيث يجتمع اليهود ويعلّم المسيح علناً: «أجابه يسوع (رئيس الكهنة) أنا كلّمت العالم علانية. أنّا علّمت كل حين في المجمع وفي الهيكل حيث يجتمع اليهود دائماً وفي الخفاء لم أتكلّم بشيء.» (يو 20:18)

لاحظ أن المسيح لم يكن قد انحدر إلى اليهودية بعد.

الأصحاح الخامس:

4 ـ دعوة التلاميذ

(11-1:5)

(مت 4: 18-22)
(مر 1: 16-20)

على ضفاف بحيرة جنيسارت

يختار القديس لوقا من كل خدمة المسيح في الجليل هذه الحادثة الفريدة التي كانت فاتحة اختيار أربعة من التلاميذ كانوا شركاء صيد. عائلتان: عائلة ابني زبدي وعائلة بطرس وأخيه. المنظر خلاّب، البحيرة تعج بالصيادين. وهنا توقّف المسيح أمام مركبين لبطرس

وأخيه، وقد خرجا لتوّهما بعد رحلة ليلية مضنية وسهر وجهاد ولم يصطادا شيئاً. فغسلا الشباك وخرجا من المركب، فناداهما عارف الأسرار والأخبار والأماني واليأس القانط الذي أصابهما، وطلب منهما أن يدخل السفينة بقرب الشاطئ ويعلّم الشعب المتزاحم عليه. بعدها قام بمداعبة خلاصية غاية في النعمة في فنون الصيد: أمرهما ليذهبا إلى العمق ويطرحا شبكتهما. والعمق لا يحوي أسماكاً يتم صيدها بالشباك، ولكن أسماك المسيح لا تعيش إلاّ في الأعماق، فتجمَّعت كلها في الشباك حتى تعطّل سحبها ورفعها، فصرخوا إلى الرفاق طلباً في المعونة وكانت الأسماك كافية لتُغرق السفينتين من ثقلها لأنها كانت أسماك ذات وزن عالٍ لا تحملها لا شباك الناس التي تخرَّقت، ولا سفن الناس التي مالت بها طلباً للغرق. لأن البحيرة كانت تسمَّى جنيسارت، وهي اختصار لكلمة جنة السرور، وهو الاسم الآخر للأخبار المفرحة. وهكذا أقنع السيد المعلّم الصيَّاد الأعظم هؤلاء الرفاق الأربعة مرَّة واحدة أنَّ اتباعه أربح لهم من شقاء صيد بحيرة الجليل، مع أن جنيسارت هي بعينها بحيرة الجليل ولكنها بقيت هكذا بعد أن عرف الناس جمالها. فأخذت الخشية والرعدة بطرس لأنه رأى في المسيح صيَّاداً يعرف مسالك الأسماك في البحيرة ويدعوها فتستجيب وتتجمَّع حوله وكأنها وُلِدَت لحسابه وغاية رجائها أن تُحسب له. فسلّم بطرس نفسه ليكون له، فرحَّب به الرب ليكون سمكة وصيَّاداً معاً. ورأى الثلاثة الباقون أن بطرس اختار النصيب الفاخر، فاختاروه.

ويُلاحَظ أن القصة ألقت منذ البدء الأضواء الشديدة على بطرس وخيبة أمله في ليالي الشقاء والعمر الذي لم يأتِ بثمنه. صورة صوَّرها ق. لوقا لأنه سيقدِّمه قائداً للكنيسة وصيَّاداً متمرِّساً ليملأ السفينة ويبحر بها "ويشدِّد الرفاق".

وقد أتى القديس مرقس بهذه القصة عينها ولكنه لم يلوِّنها بألوان ق. لوقا، فجاءت طبيعية مختصرة، فيها الأربعة متلاصقون معاً يتبعون المسيح بكلمة (مر 1: 16-20)، وفصلَ اختيار التلاميذ عن التعليم بجوار البحيرة إذ جاء التعليم متفرِّقاً في (مر 4:1، 13:2، 3:7-9). ويعتقد العلماء الذين يبحثون وراء الكلمات والحركات والسكنات أن ق. لوقا وجد تقليداً إضافياً غير الذي أخذ منه ق. مرقس، وبالرغم من ذلك كان تحت تأثير شديد لرواية ق. مرقس.

والذي استرعى انتباه ق. مرقس في دعوة التلاميذ هو شدة الطاعة والاستجابة السريعة. أمَّا ق. لوقا فهو ليس مجرَّد قصَّاص ولا مسجِّل صور ولكنه جرى وراء خلفيات الدعوة وهذه الطاعة المذعنة، متأكِّداً أن وراءها ترقد حتماً دوافع أعطتهم هذا الإذعان والطاعة الشديدة. فبحث وعثر على قصة الصيد الوفير الذي خرّق الشباك فقطع خط الرجعة على التردد، والغرق الذي كاد أن يكون حتماً للسفينتين معاً الذي سهَّل تركهما على الشاطئ تحت إمرة أبيهما (يوحنا ويعقوب) أفضل من الغرق بما فيها وبمَنْ فيها، نعم كانت سبباً في رفع وعيهم الروحي لينظروا ما كان وما سيكون وأن الذي تركوه نفاية: من شباك تتخرّق ومراكب آيلة للغرق، وسمك يلقى مرَّة أخرى في الماء لرداءته وتعب طول الليل بلا طائل.

والعجيب أن ق. يوحنا يوافق ق. لوقا تماماً في المناظرة بين ليل انقضى في بؤس رمْي الشباك وجمعها، وفجر أشرق بالحسرات والأمل الضائع والشباك التي تثقّلت بخير الرب، ولكن الأسماء تتغيَّر. فهنا في إنجيل ق. يوحنا، نجد أنَّ ق. بطرس أيضاً بعينه صاحب فكرة الصيد في الوقت الضائع بعد قيامة الرب، في عودة إلى خيبة الأمل وصيد العدم: «قال لهم سمعان بطرس: أنا أذهب لأتصيَّد ـ بعد ترك المهنة لثلاث سنوات ونصف ـ قالوا له: نذهب نحن أيضاً معك (وكانوا توما ونثنائيل وابني زبدي). فخرجوا ودخلوا السفينة للوقت وفي تلك الليلة لم يُمسِكوا شيئاً. ولمَّا كان الصبح، وقف يسوع على الشاطئ. ولكن التلاميذ لم يكونوا يعلمون أنَّه يسوع ... فقال لهم: ألقوا الشبكة إلى جانب السفينة الأيمن فتجدوا. فألقوا، ولم يعودوا يقدرون أن يجذبوها من كثرة السمك» (يو 21: 3-6). أليس هذا عجباً من المسيح أن يتمشَّى مع الهاربين من الخدمة؟ ووقف على شاطئ الحياة الأخرى يداعب هؤلاء الهاربين من المدرسة ويستقبل بطرس كاستقبال السيد للعبد الآبق من

خدمته ليردّه وليشدِّد العبيد الأخر الذين أغواهم معه.

وفي قصة ق. لوقا واضح من انفعال ق. بطرس لضخامة المعجزة كصيَّاد، أنه أدرك مقدار هذا الوافد على المهنة جديداً فنظر وإذ هو "ربِّي"، ونظر إلى نفسه فإذ هو غير مستحق أن تحمله سفينته مع رب الحياة، فتجرأ ليقول: «اخرج من سفينتي يا رب لأني رجل خاطئ» (لو 8:5). فأنا لست أهلاً أن أقف أمامك وسجد متوسِّلاً. وقد كان أن خرج هو من سفينته ولم يعد إليها. وهكذا كانت دعوة الرب لبطرس بإقناع من صميم مهنته فكانت أجمل دعوة في مضمونها وإقناعها، ولسان حاله: إن كان هذا هو المسيح الذي يطيعه كل السمك فمالي أنا وصيد السمك.

1:5 **«وَإِذْ كَانَ الْجَمْعُ يَزْدَحِمُ عَلَيْهِ لِيَسْمَعَ كَلِمَةَ اللهِ، كَانَ وَاقِفاً عِنْدَ بُحَيْرَةِ جَنِّيسَارَتَ».**

سبق أن وصف ق. مرقس هذا المنظر في الأصحاح (7:3-9، 1:4) حيث يقف المسيح في مركب ملاصقة للشاطئ ويعلّم الجموع فلا يزحمونه. والقديس لوقا يدخل في هذا الوصف بالذات، ذاكراً أن المركب كانت لبطرس وأن دعوة بطرس جاءت بعد أن سمع كلمة المسيح متأثّراً بها، والتي سماها القديس لوقا **"كلمة الله"**، وهي التسمية التي غلبت على سفر الأعمال، وقد جاءت هنا لربط التعليم بين الإنجيل والرسل. وفي هذا الموضع بالذات تُحسب أول مرَّة في حياة بطرس يسمع فيها كلمة الله التي ستكون مذخراته وسلاح حياته وتعليمه.

«جنيسارت»: Gennhsaršt

وهي كلمة مدغومة من كلمتين بالأرامي وتعني: "جنة السرور"، وهي الاسم المحلّي للبحيرة.

2:5 **«فَرَأَى سَفِينَتَيْنِ وَاقِفَتَيْنِ عِنْدَ الْبُحَيْرَةِ، وَالصَّيَّادُونَ قَدْ خَرَجُوا مِنْهُمَا وَغَسَلُوا الشِّبَاكَ».**

هذا يعني أنها بعد رحلة صيد طويلة، علمنا بعد ذلك أنها استغرقت الليل كله ولم يصطادوا شيئاً. وعادة بعد العودة إلى الشاطئ يغسلون الشباك وينشرونها لتجف، والحزن يخيِّم على الوجوه المتعبة. وق. مرقس يزيد أن يعقوب ويوحنا أخذا يصلحان الشباك التي تمزّقت أثناء الطرح والجذب استعداداً لرحلة أخرى.

3:5 **«فَدَخَلَ إِحْدَى السَّفِينَتَيْنِ الَّتِي كَانَتْ لِسِمْعَانَ، وَسَأَلَهُ أَنْ يُبْعِدَ قَلِيلاً عَنِ الْبَرِّ. ثُمَّ جَلَسَ وَصَارَ يُعَلِّمُ الْجُمُوعَ مِنَ السَّفِينَةِ».**

كانت الوسيلة المحببة للمسيح حينما تزحمه الجموع، إمَّا أن يذهب إلى جبل أو تلّة عالية ويقف من

علٍ ليخاطب الجموع الجالسين على السفح، وإمَّا أن يدخل سفينة ويتكلّم منها والشعب واقف أو جالس على الشاطئ. ويقول ق. لوقا إن المركب كانت لبطرس، تمهيداً لكي يصنع خصيصاً أول معجزة صيد سمك لجذب انتباه بطرس جذباً شديداً، يسهّل عليه قراره بترك المهنة واتباع الرب باعتباره أبا الصيد وصاحب الأسماك في البحار. لم يحدّد ق. لوقا أي نوع من التعاليم، ولكنه اكتفى في بداية الآية الأولى أن يقول إنها كانت "كلمة الله" بمعنى كلمة الحياة، تعبيراً عن مفهوم "الخلاص". اخلصوا لحياتكم.

ويلاحظ أن المسيح كان من عادته أن يعلّم وهو جالس.

4:5 **«وَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الْكَلاَمِ قَالَ لِسِمْعَانَ: ابْعُدْ إِلَى الْعُمْقِ وَأَلْقُوا شِبَاكَكُمْ لِلصَّيْدِ».**

سيبتدئ هنا تركيز الانتباه على بطرس، الذي أمره المسيح بصفته قبطان Captain المركب أن يقلع إلى عمق البحيرة. وذلك طبعاً يحتاج إلى الطاقم كله مرَّة واحدة، واحد يرفع الهلب الذي يثبت المركب في مكانه، وآخر يستدير بالقارب، ثم يقوموا بالتجديف إلى أن تهب الريح فيفردوا الشراع. بالرغم من ذلك لم يذكر ق. لوقا أحداً غير بطرس، ليركز الانتباه أكثر إلى المعجزة ثم إلى الدعوة.

«ابعد إلى العمق»:

حسب أصول الصيد العمق ليس للشباك ولكن للصيد بالصنارة التي تتدلّى بثقل وفيها الشص به الطعم ليصطاد السمك الراقد في القاع يتغذى على حشائش الأرض في الأعماق. ولكن المسيح يصعّب احتمالات الصيد حتى إذا خرج الصيد الوفير تشكّلت المعجزة في ذهن الصيَّاد العارف بأصول الصيد فتُربك تفكيره وتجعله يتساءل: مَنْ هذا المعلّم الذي يطيعه السمك حتى في المستحيل؟

5:5 **«فَأَجَابَ سِمْعَانُ وَقَالَ لَهُ: يَا مُعَلِّمُ، قَدْ تَعِبْنَا اللَّيْلَ كُلَّهُ وَلَمْ نَأْخُذْ شَيْئاً. وَلكِنْ عَلَى كَلِمَتِكَ أُلْقِي الشَّبَكَةَ».**

«يا معلّم»: ™pist£ta = (rabb…)

يتحاشى القديس لوقا في إنجيله استخدام "رابي" بالأصل الأرامي لأنه يكتب إلى رجل يوناني أممي، وق. مرقس اختار الكلمة المرادفة did£skaloj.

«قد تعبنا الليل كله ولم نأخذ شيئاً»:

هنا ق. لوقا لا يلقى الكلام على عواهنه، فالمعنى دفين، فكأن ق. بطرس قبل أن يدخل في تلمذة الحياة الأبدية ويتعلّم حرفة الصيد الإلهي للنفوس، يحكي عن ليل العالم بالنسبة لإنسان العالم أو صيَّاد

البحيرة، الذي يقضي عمره وكأنه ليل طويل ولا يخرج في النهاية منه بشيء «عرياناً خرجت من بطن أمي وعرياناً أعود إلى هناك.» (أي 21:1)

«على كلمتك ألقي الشبكة»:

بمعنى ليس على أساس خبرتنا العريضة في الصيد التي تقول إنه من غير المعقول أن نصيد بالمرَّة، فما بالك بالعمق والعمق لا يستجيب معنا في الصيد بالشباك. هنا كلمة «على ...p™» تفيد اعتماداً على «قوة» كلمتك. هنا دخل في اعتبار فن الصيد شيء جديد لم يكن موجوداً قط: أن «كلمة الله» إذا دخلت في فن الصيد جعلت السمك لا ينجذب بعد إلى الشبكة بحكم مكر الصيَّاد وخبرته في مسك السمك، بل ينجذب بدافع الانصياع لقوة حاكمة جاذبة من فوق، ليست من الماء ولا من الصيَّاد ولا من الشباك ذات العيون الضيقة، ولكنها قوة الأرزاق إلى أفواه الجائعين من بني البشر.

وهكذا صارت هذه الآية آية كل إنسان يَئِسَ من تعب الليل أو العمر كله ولم يَفُزْ بشيء من هذه الدنيا العاصية، التي تعطي باليمين وتسلب بالشمال. أمَّا الله فملجأ لنا وقوة، يعطي أكثر مما نظن أو نفتكر، ويخبئ لنا وراء عبوس الدهر خيرات ومسرَّات. فنحن على كلمته نلقي كل يوم رجاءنا على يمين السيد حيث من الأعماق أعدّ لنا صيداً وفيراً.

6:5 **«وَلَمَّا فَعَلُوا ذلِكَ أَمْسَكُوا سَمَكاً كَثِيراً جِدًّا، فَصَارَتْ شَبَكَتُهُمْ تَتَخَرَّقُ».**

وفي إنجيل ق. يوحنا حدَّد جهة اليمين حيث تُلقى الشبكة. ولأنهم التزموا بقول السيد وعلى غير رجاء منهم ألقوا الشباك على يمين المركب. واليمين عند المسيح غير يمين الناس، فيمين المسيح يقف الله: «جعلت الرب أمامي في كل حين لأنه عن يميني فلا أتزعزع» (مز 8:16)، وذراعه اليمين ذراع العطاء والقوة، تكيل بالكيل المهزوز الملبَّد من عمق نِعَم الله وبفيض حتى لا متَّسع!!

فحينما قال السيد ألقوا الشبكة، سمع السمك وتزاحم تحت المركب، وما أن طُرحت الشبكة حتى تسابقت السمكات الجيدة لتكون عند حسن ظن السيد.

ونجحت التجربة الأولى لبطرس على بحيرة جنيسارت، وتعلَّم كيف يُلقي بعد ذلك شباك النعمة في العمق على كلمة السيد بقوة يمينه دائماً. وأول مرَّة اصطاد ثلاثة آلاف نفس في يوم الخمسين، ثم بعد ذلك اصطاد كرنيليوس وكل أهل بيته: سمكات كبيرات جيدات ليست من بحيرة جنيسارت بعد بل من البحر العظيم.

7:5 «**فَأَشَارُوا إِلَى شُرَكَائِهِمُ الَّذِينَ فِي السَّفِينَةِ الأُخْرَى أَنْ يَأْتُوا وَيُسَاعِدُوهُمْ. فَأَتَوْا وَمَلأُوا السَّفِينَتَيْنِ حَتَّى أَخَذَتَا فِي الْغَرَقِ**».

لقد نفَّذوا أمر المسيح فكان أن تمَّ وعد الله منذ القديم: «قال رب الجنود: إن كنت لا أفتح لكم كوى (طاقات) السموات وأفيض عليكم بركة حتى لا **تُوسَعَ**» (مل 10:3). وهنا اشترك كل من يوحنا ويعقوب أيضاً في هذا التدريب الروحي الفائق المثال إذ امتلأت سفينتهم أيضاً، لأن دورهم في ترك الصيد والشباك وتعب الليل كله كان وشيكاً. فالمعجزة هي دعوة مغطّاة بالسمك لترك كل شيء واتباع السيد الذي يُغني وغناه ليس معه تعب.

فلأول وهلة تبدو معجزة صيد السمك الوفير أنها معجزة استعراضية لسلطان المسيح على السمك الذي في قاع البحر، مع أنها معجزة الدخول إلى أعماق قلوب أربعة تلاميذ من أميز تلاميذ المسيح، الذين قام الإنجيل على أكتافهم، وكانوا أفضل التابعين. لقد تحادث المسيح في قلوبهم دون حديث هكذا: ما رأيكم: هل رأيتم في حياتكم صيداً كصيدي؟ فأيهما أفضل أن تتبعوني أم تعودوا إلى صيد الليل الذي أفلس عافيتكم وبيوتكم؟

ولكن المعجزة تكشف عن إبداع أسلوب المسيح في اختيار تلاميذه. ولكن واحسرتاه على الذين صنع معهم المسيح معجزة الشباك عينها وملأوا خزائنهم وبيوتهم وبنوكهم مالاً جمعه المسيح لهم سرًّا من عمق سوق العالم الشحيح؛ فحسبوه مهارة منهم وحذق إدارة وفن اقتصاد، فلا هم تتلمذوا ولا هم تبعوا ولا حتى هم صاروا من الشاكرين الشاهدين!!

بل وكم وكم صنع المسيح مع طلبة وطالبات أجهدوا أنفسهم الأيام والليالي في الدرس والتحصيل والاستذكار عن ظهر قلب، وما جاء من كل ما درسوه واستذكروه واستظهروه على قلوبهم سؤال واحد، وجاءت الأسئلة معقَّدة أشد التعقيد وخرجوا من الامتحان صُفر الوجوه وترقبوا النتيجة بقلب ميت إذ قطعوا أنهم راسبون راسبون. وإذ بالنتيجة تُعلن ويكونون من الناجحين والمتقدمين وينالون التعيين في أحسن الأماكن والمراكز، وينسون "المعلّم" الذي راجع وراءهم إجاباتهم وأصلح في عيون رؤسائهم خطهم الرديء وأسلوبهم السقيم ونسيانهم المعيب، فنالوا نصيب الذين كادت تغرق مراكبهم من صيد وقفوا أمامه مذهولين صارخين: نحن ما صدنا ولكن هذا صيد الله. وسرعان ما جرفهم بحر العالم وغرقوا في عطب وهمّ وأوجاع كثيرة.

والمعلّم هو هو لا يزال يكيِّل لأولاده بالكيل الملآن الملبَّد والمهزوز، وهم يكيلون للفقير والأرملة واليتيم بالشح والتقتير الشديد، أو لا يكيلون جملة!!

+ «هاتوا جميع العشور إلى الخزنة ليكون في بيتي طعام، وجرِّبوني، بهذا قال رب الجنود إن كنت لا أفتح لكم كوى السموات وأفيض عليكم بركة حتى لا تُوسَعَ.» (مل 10:3)

8:5 **«فَلَمَّا رَأَى سِمْعَانُ بُطْرُسُ ذَلِكَ خَرَّ عِنْدَ رُكْبَتَيْ يَسُوعَ قَائِلاً: اخْرُجْ مِنْ سَفِينَتِي يَا رَبُّ، لأَنِّي رَجُلٌ خَاطِئٌ».**

«سمعان بطرس»:

لم يأخذ "بطرس" هذا اللقب إلاَّ من فم الرب أثناء اختياره وتكريسه للتلمذة، لذلك أورد ق. لوقا هنا الاسم بالكامل في نهاية قصة الصيد الثقيل لينبِّه ذهن القارئ أن من هنا، من هذا الصيد الوفير دخل بطرس الإيمان بالمسيح "الرب"، كما دخله إحساس بالصغر والعدم أمام الرب القادر على كل شيء. فلم يهرب بطرس من أمام الرب جزعاً لأنه كان محاصراً في سفينته فطلب من الرب أن يغادر السفينة لأنه لم يحتمل أن يتواجد في مركبه الحقير المتواضع. هذا الإحساس صادق غاية الصدق حينما ينكشف عن عين الإنسان أنه واقف في حضرة الله. فكان اعتراف بطرس هذا برهاناً أيّما برهان على أن بطرس قد انفتحت عيناه على معرفة الرب معرفة إلهية حقًّا، مما يؤهِّله بلا نزاع للدعوة الوشيكة التي دعاه إليها الرب أن يصير كارزاً ورسولاً يجمع المؤمنين في شبكة الحياة ويقدِّمهم إلى رب الحياة.

9:5 **«إِذِ اعْتَرَتْهُ وَجَمِيعَ الَّذِينَ مَعَهُ دَهْشَةٌ عَلَى صَيْدِ السَّمَكِ الَّذِي أَخَذُوهُ».**

انفتاح الوعي على الله أو معجزاته الخارجة عن العقل والمعقول يصيب الإنسان بالدهشة. والدهشة q£mboj هي خروج عن اتزان العقل من لمسة فرح مفرط أو لمسة خوف، التي على أثرها صرخ بطرس: "اخرج يا رب من سفينتي"!!

هذه تُحسب أول خبرة رسولية للأربعة المختارين الأعزاء عند المسيح: بطرس وأندراوس ويعقوب ويوحنا. وهذه هي العتبة التي تخطُّوها بسهولة من المعقولات والمدركات اليومية إلى الدخول في مجال الروح والنعمة وأمور الله الفائقة على العقل والمعرفة. وإن كان ق. يوحنا انفتح عليها بالفكر: «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله» (يو 1:1)، فإن ق. بطرس عاشها ومارسها بالعمل والحركة واليقظة والمشي لما أيقظه الملاك في السجن ووقعت القيود من يديه وأمره أن يقوم فقام، وأن يتمنطق فتمنطق، وأن البس نعليك فلبسهما، وامش ورائي فمشي وخرجا من الباب الأول، والثاني انفتح أمامهما كما أمام ملك متوَّج. كل هذا وق. بطرس في أعلى حالات الوعي الروحي والجسدي معاً، فكان يظنها رؤيا وإذ هي حقيقة. هذه كلها خبرات

رسولية انعكست على الإنجيل فخرجت الكرازة الحية الملتهبة بالروح.

إن معجزة صيد السمك الوفير تُحسب مقدّمة للانفتاح على الإنجيل. وحينما قال بطرس في انفعاله الروحي: «اخرج من سفينتي يا رب **لأني رجل خاطئ**» هنا لا يمكن أن يغيب عن بالنا أن ق. لوقا يسلّط النور على انفتاح **الوعي اللاهوتي على الخلاص،** لأن الذي يعترف بخطيته هو إنسان بلغ أعلى نقطة توتر بين الخطية والخلاص. فهو يعترف بالخطية علناً، لأنه لم يعد يطيقها أو لأنه رأى المخلّص أمامه فرأى نفسه وصرخ يطلب الخلاص. لقد فاجأنا ق. بطرس باعترافه هذا مبكّراً للغاية قبل أن ينخرط في سلك الرسولية، فجاءت قوة المفاجأة على مستوى قوة مفاجأة ردّه على سؤال المسيح: «وأنتم مَنْ تقولون إني أنا فأجاب سمعان بطرس وقال أنت هو المسيح ابن الله الحي» (مت 16:16). فكان أول اعتراف علني بالمسيَّا في العهد الجديد برمَّته.

10:5 **«وَكَذلِكَ أَيْضاً يَعْقُوبُ وَيُوحَنَّا ابْنَا زَبَدِي اللَّذَانِ كَانَا شَرِيكَيْ سِمْعَانَ. فَقَالَ يَسُوعُ لِسِمْعَانَ: لا تَخَفْ! مِنَ الآنَ تَكُونُ تَصْطَادُ النَّاسَ!»**

أخيراً جداً أظهر ق. لوقا التلميذين الآخرين أصحاب المركب الأخرى بعد أن استوفى بطرس دوره كنموذج أول لدخول تلميذ إلى رفقة المعلّم. فأصبح الآخران بالمثل شريكين في صيد السمك وشريكين في الصيد على يدي المعلّم. ولكن لا يزال انتباه ق. لوقا مركّزاً على سمعان بطرس، إذ يعود إليه المسيح قائلاً رداً على سجوده بالقرب من ركبتيه (المسيح جالس والمركب ضيقة ومتحرّكة): لا تخف.

«لا تخف»: m¾ foboà

هذا الاصطلاح الصغير نسمعه في الرد على خوف التلاميذ لمَّا ظهر لهم بعد القيامة، فهو اصطلاح استعلاني يشرح كيف أن خوف بطرس كان بسبب أن عينيه انفتحتا وعرف حقيقة المسيح فاعتراه الخوف والدهشة معاً. على أن كلمة **«لا تخف»** تردّ هنا رداً عميقاً خلاصياً بديعاً على «أنا رجل خاطئ» كذلك ترد رداً على أمر بطرس الجهول: «اخرج من سفينتي يا رب لأني رجل خاطئ» فكان الرد: اتبعني أنت ولا تتركني. وفيها أعظم معاني الخلاص. فبدل أن يخرج الخاطئ من لدن الله أو يغيب الله عن وجه الخاطئ، يأتي الخاطئ إلى حضرة الله والله يُقبل على الخاطئ ويحتضنه!!

«من الآن»: ¢pÕ toà nàn

انتهى الزمان، لم يعد لبطرس وقت ولا دقيقة واحدة لحياة الليل الطويل بلا صيد، فقد صدر الأمر، وبصدور أمر الله لا يعود يُحسب زمان إذ تكون قد انفتحت الآنية الإلهية، زمن الله، الحياة

الأبدية، الخلود السعيد! لقد أخذ الفيش والتشبيه والبطاقة المختومة بالروح ليبرزها لدى الملائكة فتنفتح الأبواب الحديدية المغلقة وتسقط السلاسل، ويكشفها أمام الشيطان فيرتعب ويولّي هارباً حيث يبدأ الصيَّاد في التعميد!! يا لمجد الرب. يصطادهم أمواتاً ويُخرجهم من شبكته أحياءً.

«صيَّاد»: zwgrîn

كلمة من أصل «zw= الحياة، ومعناها ينتشلهم (يأخذهم) أحياء. والعجيب والمبدع حقًّا أن تكون الكلمة التي اختارها ق. لوقا لمعنى "يصطاد" باليونانية تعني يمسكهم أحياء (وهي تختلف عن كلمة صيَّاد التي وردت في الموضع المقابل من إنجيل ق. مرقس lie‹j؛ مر 1: 17). فهنا مهارة الصياد الذي ينعش الميت في الحال ويصيِّره حيًّا لأن صنارته فيها قوة الحياة والطُعم "كلمة" تحيي.

ويُلاحَظ أن ق. لوقا هنا طبيب يسمع دقات القلب.

11:5 **«وَلَمَّا جَاءُوا بِالسَّفِينَتَيْنِ إِلَى الْبَرِّ تَرَكُوا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعُوهُ».**

ولأول مرَّة نفهم أن المسيح اختار وأكمل الدعوة والتعيين داخل البحر، دخلوه صيَّادين بلا صيد وخرجوا من البحر يصطادون ويطرحون الشباك على الأرض.

«تركوا كل شيء وتبعوه»:

بلغوا النهاية قبل البداية. الفعل الأول: «تركوا كل شيء» عمل قلبي يتحتَّم أن يتم بالتمام قبل أن يبدأ الفعل الثاني بالخطوة الأولى، لأن الداعي هو بالحق والفعل الأول والآخر، البداية والنهاية، الألف والياء. هذا هو المسيح حقًّا، مَنْ يأتي إليه يكون قد ربح الأول والآخر البداية والنهاية والألف والياء: «مَنْ يُقبل إليَّ لا أخرجه خارجاً» (يو 37:6)، إذ يكون قد قبل الحياة الأبدية وفاز بالخلود.

هنا الترك للأشياء والأشياء كلها فانية، أمَّا القبول فليس فيه ما يتغيَّر أو يفنى أو يضمحل بل الباقي كما هو وإلى الأبد. الأربعة تركوا ما يفنى وقبلوا ما لا يفنى: الحق والحياة.

هنا شرح مختصر اختصاراً شديداً. فالمسيح لم ينتهز فرصة نهاية ليلة صيد شؤم حزينة ليدعوهم فتكون الدعوة عملية تبادلية أكثر ربحاً وفضلاً، ولكن فضَّل المسيح أن تكون الدعوة بعد صيد وفير لم يكن مثله قط لتبلغ المفاضلة آخر حرجها وتوترها حتى لا يأتي الإنسان إلى المسيح عن إفلاس وفقر بل عن ملء وقناعة.

(ب) بدء الحوار مع الفريسيين
(11:6-12:5)

يقدِّم ق. لوقا تحت هذا البند ست حوادث أثارتها أعمال متعدّدة انتبه إليها الفريسيون ونقدوها. وهي مأخوذة عن ق. مرقس، ولكنها تجيء في إنجيل ق. لوقا ذات ضغط بالنسبة لخدمة المسيح التي أثارت إحراجهم بسبب النعمة الظاهرة فيها والعمل الإعجازي الذي أثار الفرح والسرور عند الشعب.

والقديس لوقا يمسك بالخيط الذي كان في يده مرَّة أخرى قبل أن يدخل في دعوة التلاميذ الأربعة (مر 1:40-3:6)، ولكن بأسلوب ق. لوقا المتميِّز.

1 ـ شفاء الأبرص

(لو 5:12-16)

(مـت 8: 1-4)
(مر 1:40-45)

يبدأ هذا القسم بمعجزة شفاء الأبرص متتبعاً رواية ق. مرقس، ولكن بالرغم من أن الرواية عند ق. لوقا تأخذ شكل رواية القصة عند ق. مرقس، لكن يتخللها ملامح خاصة لأسلوب ق. لوقا. فالرواية تكشف أثر النعمة الذي طغى على الناس بسبب المعجزة. وبهذا يضغط ق. لوقا على الاتجاه المسيَّاني وتتميم المواعيد المنصوص عنها في النبوَّات التي من أخص أشكالها شفاء البُرْص (7:22)، دون ذكر النبوَّات الخاصة بذلك.

كذلك في قصة شفاء الأبرص، بينما هي إحدى علامات أعمال المسيَّا، إلاَّ أن المسيح هنا يأمر المريض بعد أن شُفي أن يتمِّم فريضة الناموس من ذبيحة وخلافه، واعتبرها المسيح أنها شهادة للكهنة بالعمل المسيَّاني. ولكنها هنا أيضاً بالنسبة للمريض حتمية، وإلاَّ لا يستطيع أن يعيش المريض الأبرص حتى ولو كان قد شُفي، بدون هذه الشهادة أنه تطهَّر من مرضه، وإلاَّ لن يقبل أحد أن يقترب منه ولا هو يقدر أن يقترب من أحد. ولكن بعد عرضه على الكاهن، والكاهن يكشف عليه

ويطمئن أن علامات البرص الحي لا أثر لها، يعطيه الشهادة ليتعامل مع المجتمع كإنسانٍ عادي.

12:5 **«وَكَانَ فِي إِحْدَى الْمُدُنِ، فَإِذَا رَجُلٌ مَمْلُوءٌ بَرَصاً. فَلَمَّا رَأَى يَسُوعَ خَرَّ عَلَى وَجْهِهِ وَطَلَبَ إِلَيْهِ قَائِلاً: يَا سَيِّدُ، إِنْ أَرَدْتَ تَقْدِرْ أَنْ تُطَهِّرَنِي».**

«رجل مملوء برصاً»: pl»rhj lšpraj

وصف طبي حقيقي، فهنا يصف ق. لوقا عوارض مرض البرص حينما تكون حالة المريض متقدِّمة، فهي فعلاً تملأ الجسم كله. ومعروف أن الشفاء من البرص كان قديماً كالإقامة من الموت. فهو كان مرضاً غير قابل للشفاء (لا 13و14). لذلك يعطينا ق. لوقا حالة انتباه في أول الآية: «فإذا رجل مملوء برصاً» بمعنى أن دخوله على المسيح كان مفاجأة وكان باقتحام لأنه ممنوع أصلاً من الاقتراب من الناس، فلمَّا واتته الفرصة أن يقترب مِمَّن هو قادر أن يشفيه كانت فرصته الوحيدة. ولأن الاعتقاد السائد عند اليهود أن هذا المرض هو بسبب الخطية، لذلك كانت في آمالهم أنه بمجيء المسيَّا سيرتفع هذا المرض، لذلك من أُولى معجزات المسيَّا هو شفاء الأبرص. وهذا هو الذي اعتمد عليه المسيح في إعطاء المعمدان صورة للحاصل الآن ليطمئن أن عصر المسيَّا قد أتى ولا داعي لينتظر آخر: «فأجاب يسوع وقال لهما: اذهبا وأخبرا يوحنا **بما رأيتما وسمعتما:** إن العمي يبصرون، والعرج يمشون، **والبُرص يطهَّرون**، والصم يسمعون، والموتى يقومون، والمساكين يُبشَّرون، وطوبى لمَنْ لا يعثر فيَّ.» (لو 7: 22و23)

«يا سيد إن أردت تقدر أن تطهرني»:

هنا الأبرص يستخدم أقصى الرقة والأدب في السؤال وهي نابعة من حالة الذلة التي يعيشها، ولكنه مزج هذه الرقة بإعلان إيمانه أن المسيح قادر فعلاً أن يشفيه. لذلك كانت استجابة المسيح فورية على إيمان واضح وقوي مثل هذا، علماً بأنه يدرك أن مرضه عديم الشفاء أصلاً.

13:5 **«فَمَدَّ يَدَهُ وَلَمَسَهُ قَائِلاً: أُرِيدُ فَاطْهُرْ. وَلِلْوَقْتِ ذَهَبَ عَنْهُ الْبَرَصُ».**

«فمدَّ يده ولمسه»:

نفس الاصطلاح الذي يُقدَّم لله في الصلاة "أن يمد يده ويشفي" (راجع أع 4:30). ولكن هنا بالنسبة لأن المرض هو البرص والعدوى باللمس، فقد صمَّم الرب أن يلمسه بيده ليعطيه الأمان النفسي، وفي نفس الوقت أن يسرِّب له قوة خاصة من عنده بالروح لإعطاء الصحة وتجديد ما تهرَّأ من الأنسجة والأعضاء التي تشوَّهت.

«أريد فاطهر»:

رداً على قول المريض «إن أردت» كصيغة مهذّبة حرّكت قلب المسيح، فردَّ عليها بما كانت تشتهي نفسه. وجميل حقًّا أن إرادة المسيح تنفذ في الحال. وهكذا كَسَرَ المسيح الحاجز الدهري الذي كان يفصل الأبرص عن المجتمع: «فإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً.» (يو 36:8)

وعين القديس لوقا على الأبرص الذي شُفي لأن خطيته قد غُفرت له، فالأبرص أراد الشفاء أولاً ولكن ما ناله أولاً في الحقيقة هو رفع الخطية، وهذا بحد ذاته يعطيه الشفاء والخلاص معاً وفوراً. لأن شفاء الأبرص في أيام المسيَّا مربوط بالدرجة الأُولى بمغفرة الخطايا. وهذا جعله ق. لوقا محور إنجيله.

14:5 **«فَأَوْصَاهُ أَنْ لاَ يَقُولَ لأَحَدٍ. بَلِ امْضِ وَأَرِ نَفْسَكَ لِلْكَاهِنِ، وَقَدِّمْ عَنْ تَطْهِيرِكَ كَمَا أَمَرَ مُوسَى شَهَادَةً لَهُمْ».**

لقد نبَّه المسيح هذا الأبرص أن لا يقول لأحد لسببين: الأول أنه يلزم في البداية أن يشكر الله ويقدِّم ذبيحة، ويأخذ من الكاهن الشهادة التي نصَّ عليها الناموس أنه قد صار طاهراً ولا مانع من مخالطته للناس، والسبب الآخر أن المسيح يريد أن يتَّقي الازدحام عليه ومحاصرته.

15:5 **«فَذَاعَ الْخَبَرُ عَنْهُ أَكْثَرَ. فَاجْتَمَعَ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ لِكَيْ يَسْمَعُوا وَيُشْفَوْا بِهِ مِنْ أَمْرَاضِهِمْ».**

يبدو أن شفاء مرض البرص يُحسب عند الشعب أمراً خطيراً لسببين: الأول أنه عديم الشفاء فالذي يُشفى منه كان عند الربيين كمَنْ يقوم من الأموات. والأمر الثاني أنه علامة أخروية لدى جميع الأنبياء أنه يصاحب زمن المسيَّا. لذلك حينما كان يسمع الشعب أن المسيح أبرأ أبرصَ كان بمثابة هلموا تعالوا انظروا المسيَّا قد حضر، بالإضافة إلى بقية الأمراض التي كانت تلح على الناس أن يقدِّموا أصحابها للمسيح طلباً للشفاء. وواضح هنا من قول ق. لوقا **أنه خرج الخبر عنه أكثر** تلميحاً أنه خبر "المسيَّا قد حضر"، وهذا هو السبب في خروج **"الجموع" الكثيرة ليسمعوا أولاً**، أو بمعنى آخر لينظروا ويسمعوا المسيَّا، والسمع يخص التحقق من المسيَّا أكثر منه التعليم بحد ذاته، بل وأسبق من الشفاء.

16:5 **«وَأَمَّا هُوَ فَكَانَ يَعْتَزِلُ فِي الْبَرَارِي وَيُصَلِّي».**

الباب الوحيد الذي يلجأ إليه المسيح حينما يزداد الضغط عليه هو الخروج سرًّا والالتجاء إلى البراري للصلاة المنفردة. ولكن ق. مرقس قصرها على الخلوة فقط (مر 35:1). وفي رأينا أن

المسيح ما صلَّى إطلاقاً لحاجة أو عوز أو ضيق، وما كانت صلاته إلاَّ نوعاً من التأمل الهادئ في رسالته وعلاقاته الحميمة مع الآب والصليب والموت المعد، والقيامة وتكميل الخلاص والوعد. فصلاة المسيح جزء من عمله والصورة غير المنظورة من رسالته. فهو كان بالنهار يعمل وبالليل يصلِّي. وكان هذا وذاك عمله الذي جاء ليكمِّله. أمَّا الجزء الخاص بصراعه السرِّي مع الشيطان، وعلاقته البنوية مع الآب فظلَّت من أشد خصوصياته، وإن كان قد ألقى عليها نوراً مبكِّراً وهو ابن اثنتي عشرة سنة: «ينبغي أن أكون في ما لأبي.» (لو 2:49)

2 ـ سلطان المسيح على مغفرة الخطايا

(لو 5:17-26)

(مت 9: 1-8)
(مر 2: 1-12)

استوفى القديس لوقا موضوع سلطان المسيح في الأعمال العظيمة والنعمة الخارجة من فمه في الآية (4:22). وأمَّا طبيعة هذا السلطان الفائق وعلى أي شيء، فظهرت في الآية (4:36). والآن يريد القديس لوقا أن يمتد بنا إلى نوع من الأعمال يكشف لنا ناحية جديدة من سلطانه الفائق إنما بصورة سرِّية غير منظورة ماهيتها، مع أن أثرها وفعلها منظور وهو سلطانه على مغفرة الخطايا. ولكن أراد أن يعطينا درساً لاهوتياً ثميناً وعميقاً بآن واحد يشرح لنا فيه خطورة الخطية وأثرها المدمِّر على جسد الإنسان، ومعنى غفرانها الخلاصي وما ينشأ من صحة وعافية في التو واللحظة!!

وهكذا ينكشف لنا بكل وضوح وبصورة عملية ماذا يعني خلاص الإنسان من الخطية، وما معنى وماذا يكون المخلِّص، ولكن والأعجب والأهم بماذا تُغفر الخطايا ومَنْ يكون المخلِّص، ثم أخيراً ما علاقة المخلِّص هذا ـ وهو المسيَّا بلا مواربة ـ بالإنسان؟ وكيف اقتحم الإيمان حضرة الله؟ ذلك كله في قصة واحدة ذات ألوان زاهية وخطوات جريئة.

ولكن لكي يستوفي ق. لوقا درسه اللاهوتي استغل وجود الفريسيين ورذالتهم في مؤاخذة المسيح في قول من أقواله، وكأن القول الذي لم يعجبهم تعدَّى على اختصاصات الله. فمن نقدهم نفسه أثبت لهم بالفعل أنه إنما يُؤتي اختصاصات الله عينها فيوقفهم حيارى ويوقفنا خيارى. فالإيمان ناطق على جسد المشلول! فالمسألة تعدَّت الشفاء إلى ما هو أعلى وأخطر من الشفاء.

17:5 «**وَفِي أَحَدِ الأَيَّامِ كَانَ يُعَلِّمُ، وَكَانَ فَرِّيسِيُّونَ وَمُعَلِّمُونَ لِلنَّامُوسِ جَالِسِينَ وَهُمْ قَدْ أَتَوْا مِنْ كُلِّ قَرْيَةٍ مِنَ الْجَلِيلِ وَالْيَهُودِيَّةِ وَأُورُشَلِيمَ. وَكَانَتْ قُوَّةُ الرَّبِّ لِشِفَائِهِمْ**».

التركيز الذي أبداه ق. لوقا في هذه القصة جاء على وجود الفريسيين ومعلمي الناموس. الفريسيون حفظة التقليد الآبائي حتى إلى أدق الأمور، ومعلمو الناموس حفظة الناموس حتى اليوطا. وقد جمعوا بعضهم بعضاً للمراجعة والمراقبة المشروعة من حقهم على كل مَنْ يعلّم بين اليهود. وهنا يذكر القديس لوقا أنهم جماعة ليست قليلة إذ جاءوا من قرى الجليل واليهودية وأُورشليم، فلو اقترحنا أن يكون ثلاثة من كل إقليم لكانوا عشرة جلسوا مترصدين الأقوال والأعمال. وعلى قدر تربصهم كانت بنفس هذا القدر القوة التي حلّت ساعتها للشفاء بنفس التحدّي والكثرة.

18:5و19 «**وَإِذَا بِرِجَالٍ يَحْمِلُونَ عَلَى فِرَاشٍ إِنْسَاناً مَفْلُوجاً، وَكَانُوا يَطْلُبُونَ أَنْ يَدْخُلُوا بِهِ وَيَضَعُوهُ أَمَامَهُ. وَلَمَّا لَمْ يَجِدُوا مِنْ أَيْنَ يَدْخُلُونَ بِهِ لِسَبَبِ الْجَمْعِ، صَعِدُوا عَلَى السَّطْحِ وَدَلَّوْهُ مَعَ الْفِرَاشِ مِنْ بَيْنِ الأَجُرِّ إِلَى الْوَسْطِ قُدَّامَ يَسُوعَ**».

الأسطح للبيوت الواطئة لها دائماً في وسط الدار فسحة كبيرة ذات سقف مفتوح "رَوْشَن"، يُغطّى في الشتاء ويُفتح في الصيف، هذا صعدوا إليه بالمفلوج ودلّوه منه بالحبال فنزل أمام المسيح. وغير هذا الوصف لا يُقبل وإلاّ يسقط التراب والطوب على الجالسين أسفله.

20:5 «**فَلَمَّا رَأَى إِيمَانَهُمْ قَالَ لَهُ: أَيُّهَا الإِنْسَانُ، مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ**».

هنا ولأول مرَّة يكشف ق. لوقا عن علاقة الإيمان بالشفاء؛ بل وإيمان أهل المريض الذين يعرضون بإيمانهم حالة مريضهم الذي ذاق وأذاقهم مرارة العجز والهوان في هذا المرض اللعين الذي يطرح الإنسان أرضاً، فما يعود يقدر أن يقوم وما يعود يقدر أن يخدم أعواز جسده.

وبعد ذلك ظهرت علاقة الإيمان بالمرض عند ق. لوقا في (9:7، 25:8و48، 19:17، 42:18). ولكن اختيار المسيح لواسطة شفاء المريض هنا جاء بكشف علاقة الخطية بالمرض: «مغفورة لكَ خطاياكَ» كاشفاً أن شفاء الإنسان جسدياً وروحياً إنما مصدره واحد وهو مغفرة الخطايا المعادل للخلاص والذي يستوجبه هو الإيمان. كما يكشف أن النعمة هي وسيلة المسيح في الشفاء. أمَّا علاقة مغفرة الخطايا بشفاء المرض فقد تكلَّم عنها داود بالروح قديماً: «الذي يغفر جميع ذنوبك. الذي يشفي كل أمراضك» (مز 3:103). وها هي بركات الإنجيل على يدي المسيح تربط ربطاً بين عمل النعمة بالشفاء والإيمان بقدرة الرب:

+ «توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا، فتقبلوا عطية الروح القدس.» (أع2:38)

+ «فتوبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم، لكي تأتي أوقات الفرج من وجه الرب.» (أع 3:19)

والعلماء يسألون: هل المسيح يقصد خطية معينة هي التي تسببت في إصابة هذا الإنسان بالشلل؟ على هؤلاء نرد ونقول: لا، بل الإنسان كله أصابه الشلل المحزن في علاقته بالله والملائكة والأرواح القديسة بسبب خطيته المعروفة وغير المعروفة. وها هو واضح أن الإنسان الذي خُلق ليحيا أصلاً مع الله يستمتع بقربه وبحبه ويسأله فيسمع صوته، ينصحه ويرشده ويسقيه من نهر الحياة الذي ينبع أمامه، وإذ به يختار الكبرياء والتعالي ويريد أن يكون كالله عارفاً الخير والشر، فسقط في الشر ولم يقم وانتهى إلى مرقد الأرض، عانقها ولم يفك عناقها بعد. فجاء الحُرُّ الذي لم يصنع خطية ولا وُجِدَ في فمه غش ومسك يده وأقامه على حساب آلامه وصليبه. ولمَّا سُدَّت المداخل إلى المسيح دلُّوه من السقف ليسمع كل الفريسيين ومعهم الناموسيون المتربصون أن النعمة والحياة عُرضت عليهم فاختاروا اللعنة والموت.

أمَّا المشلول فقام واستقام وحمل النعمة في حضنه والنعمة حملت عنه ثقل سريره بل ثقل ضميره، فذهب إلى بيته مُخلَّصاً مبرَّراً قبل أن يكون صحيحاً معافى.

21:5 «**فَابْتَدَأَ الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ يُفَكِّرُونَ قَائِلِينَ: مَنْ هذَا الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِتَجَادِيفَ؟ مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَغْفِرَ خَطَايَا إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ؟**»

نعلم من إنجيل ق. مرقس أنهم لم يتكلَّموا بل فكَّروا بقلوبهم، والمسيح يقرأ أفكارهم بأقوى مما يسمع كلامهم، لأنه حينما يقرأ الأفكار يقرأ معها ما استتر من المعاني وما قبح. الأمر الذي بيَّنه ق. لوقا بعد ذلك بقوله إنه شعر بأفكارهم، وكانت أفكارهم صحيحة مائة بالمائة، فالله وحده هو الذي يغفر الخطايا، ولكن هذا الجالس أمامهم هو هو ابن الله وهو والآب واحد، فما يغفره الآب يغفره الابن ليتمجَّد الآب والابن. وقولهم صحيح لأن الذي نُخطئ إليه هو وحده الذي يغفر الخطية، ونحن إن أخطأنا نكون قد أخطأنا لله وحده: «إليك وحدك أخطأت، والشر قدَّام عينيك صنعت» (مز 51:4). لذلك اعتبروه مجدِّفاً أو صاحب تجاديف بالجمع، لأنه اغتصب حق الله لنفسه وهو إنسان: «من هذا الذي يتكلَّم بتجاديف؟ «»كان منظره كذا مفسداً أكثر من الرجل وصورته أكثر (فساداً) من بني آدم» (إش 52:14)، «لا صورة له ولا جمال فننظر إليه ولا منظر فنشتهيه. محتقر ومخذول من الناس رجل أوجاع ومختبر الحزن ... محتقر فلم نعتد به.» (إش 53: 2و3)

رفضوني أنا الحبيب مثل ميت مرذول!!

22:5و23 «فَشَعَرَ يَسُوعُ بِأَفْكَارِهِمْ، وَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: مَاذَا تُفَكِّرُونَ فِي قُلُوبِكُمْ؟ أَيَّمَا أَيْسَرُ: أَنْ يُقَالَ مَغْفُورَةٌ لكَ خَطَايَاكَ، أَمْ أَنْ يُقَالَ قُمْ وَامْشِ؟»

إنها موهبة في متناول الإنسان المفتوح العقل، ويسميها العلماء تليباثي Telepathy أي تبادل الأفكار من بُعد. ولكن هنا وعند المسيح واضح أنها أكثر من موهبة لأكثر من موهوب. فبالرغم من أن المسيح هو الإنسان الكامل، والكامل في كل مواهب وصفات الإنسان الكامل، ولكنه ابن الله بآن واحد، فهو يدرك ما في قلب الله كما يدرك ما في قلب الإنسان. وهنا تتصاغر المواهب كلها فلا تعود تُذكر.

وعاد يسألهم: «أيما أيسر أن يُقال: مغفورة لك خطاياك، أم أن يُقال قم وامش؟» والرد الوحيد أن لا هذه ولا تلك في مقدور الإنسان، أي إنسان مهما كان! ولكن قالها المسيح تماشياً مع غبائهم. فإذا فرضنا فرضاً يتمشى مع غبائهم أن إنساناً صنع الواحدة يتحتَّم أن يصنع الثانية، لأن الحتمية هنا حتمية المستحيل، فالذي يعمل المستحيل هنا يعمله هناك. إذن فالذي يقول قُم وامش حتماً هو الذي يقول: مغفورة لك خطاياك. وبذلك مهَّد للمعجزة بإيمان حتمي يفرض نفسه على هؤلاء الهازئين المستهزئين. فالله وحده الذي يغفر الخطايا وهو هو وحده الذي يقدر أن يقول للمشلول قم واحمل سريرك وامش واذهب إلى بيتك. وهكذا قال المسيح للمشلول، كاشفاً ضمناً مَنْ يكون هو!

24:5و25 «وَلَكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لابْنِ الإِنْسَانِ سُلْطَاناً عَلَى الأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا، قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: لكَ أَقُولُ قُمْ وَاحْمِلْ فِرَاشَكَ وَاذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ. فَفِي الْحَالِ قَامَ أَمَامَهُمْ، وَحَمَلَ مَا كَانَ مُضْطَجِعاً عَلَيْهِ، وَمَضَى إِلَى بَيْتِهِ وَهُوَ يُمَجِّدُ اللهَ».

لقد أوقع المسيح الذين مسكوا عليه خطية تجديف في خطية التجديف عينها حينما قالوا عنه إنه مجرَّد إنسان وإنه يجدِّف على الله وهو الله! هنا أبرز المسيح سلطانه الإلهي على مغفرة الخطايا مبرهناً برهاناً عملياً لاهوتياً لا يقبل النقد ولا النقض، إذ قَرَنَ سلطان مغفرة الخطايا الذي هو عينه سلطان الخلاص الذي جاء ليكمِّله على الأرض، بسلطان الشفاء الفوري لإنسان مشلول محني ظهره وهو على فراشه، فحوَّله لإنسان يحني ظهره ليحمل ما هو قدْر ثقله، فهو لم يُشْفَ وحسب بل نال قوة الأصحاء الذين في عنفوان صحتهم ليمشي حاملاً سريره حتى إلى بيته.

وهكذا استطاع المسيح أن يجعل سلطانه على مغفرة الخطايا بقدر السهولة التي نطق بها نطق الشفاء: «لك أقول قم واحمل فراشك واذهب إلى بيتك» وقد سبق المسيح وألمح أن مغفرة الخطايا

بالنطق بالكلمة الواحدة هي أسهل على ذهن الإنسان من أن يقول لمريض مشلول قم واحمل سريرك واذهب إلى بيتك.

وبهذا يكون ق. لوقا قد رفع جميع معجزات الشفاء إلى مصدرها الحقيقي وهو مغفرة الخطايا، الذي هو الخلاص في مضمونه اللاهوتي الكامل. ونحن لا يمكن أن ننسى الكلمة الهادية التي نطق بها الملاك معرّفاً يوسف بمن هذا المولود من الروح القدس والعذراء القديسة مريم! «وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلّص شعبه من خطاياهم» (مت 21:1). هذا هو يسوع المسيح أولاً وقبل كل شيء. ونفس الشيء يقوله ق. لوقا أيضاً على فم الملائكة الذين بشّروا الرعاة بالخبر المفرح: «إنه وُلد لكم اليوم في مدينة داود مخلّص هو المسيح الرب.» (لو 11:2)

«وهو يمجِّد الله»:

مضى المشلول إلى بيته حاملاً سريره يلهج بلسانه وقلبه بالمجد لله، وشُلَّ لسان الفريسيين والناموسيين، فما استطاعوا أن يروا في هذا الذي جرى أمام أعينهم مجداً لله.

«ابن الإنسان»:

لقد نسب المسيح عملية المغفرة للخطية وعملية الشفاء معاً "لابن الإنسان"، مشيراً إلى نفسه في وضعه البشري الفائق الذي احتواه دانيال النبي في رؤياه، والذي في عرف الفريسيين والربيين أنه المسيَّا. والمسيح هنا إذ نسب لنفسه كابن الإنسان مغفرة الخطايا، فهذه أول مرَّة في التاريخ إذ لم يحدث قط في تاريخ ما قبل المسيح أن استُخدم هذا الاسم في مغفرة الخطايا(159). والمسيح هنا يحبس هذا اللقب على نفسه بصورة محكمة لا يمكن أن تذهب إلى أي تأويل آخر، فالمسيح يشير إلى نفسه وهو قائم في وسطهم وليس إلى شخصية اسخاتولوجية قادمة، ويشير إلى عمل المغفرة والشفاء معاً بسلطانه الذي مارسه في اللحظة والتو أمام أعينهم. ولكن أن يقرر المسيح وهو إنسان أمام أعينهم أنه وهو «ابن الإنسان» يعمل عمل الله، إنْ بمغفرة الخطايا أو الشفاء اللحظي لمشلول، يكون قد أشار إشارة واضحة أن سلطان مغفرة الخطايا قد صار للإنسان فيه نصيب بصورة ما مختبئة وراء ابن الإنسان الذي يعمل كل أعمال الله.

فعن طريق ابن الإنسان هذا نال التلاميذ أي الكنيسة هذا السلطان عينه: «مَنْ غفرتم خطاياه تغفر له ومَنْ أمسكتم خطاياه أُمسكت» (يو 23:20)، «الذي يسمع منكم يسمع مني.» (لو 16:10)

(159) Marshall, *op. cit.*, p. 215.

فما استكثره الفريسيون والناموسيون على المسيح أن يغفر الخطايا لم يستكثره المسيح على تلاميذه أن يكمِّلوه بسلطانه واسمه: «الحق الحق أقول لكم: مَنْ يؤمن بي فالأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضاً ويعمل أعظم منها.» (يو 12:14)

26:5 «**فَأَخَذَتِ الْجَمِيعَ حَيْرَةٌ وَمَجَّدُوا اللهَ، وَامْتَلأُوا خَوْفاً قَائِلِينَ: إِنَّنَا قَدْ رَأَيْنَا الْيَوْمَ عَجَائِبَ!**»

«**حيرة**»: œkstasij

هنا كلمة الـ «حيرة» لا تعطي المعنى الصحيح الذي تقصده الكلمة اليونانية، إذ أن هذه تأتي بمعنى "الدهشة الفائقة التي تذهب بالعقل"، ويلازمها دائماً إما فرح مفرط أو خوف زائد إزاء إدراك شيء يعجز العقل عن فهمه وتصوُّره، وهي المقابل الموازي للمعجزة. فالمعجزة هي التي يعجز العقل عن إدراكها، والمعجزة بالمقابل عند مَنْ يؤمن يلازمها تمجيدٌ وعند غير المؤمن تجديفٌ.

3 ـ انعطاف المسيح نحو الخطاة بصورة حبيَّة

(لو 5:27ـ32) (مت 9:9ـ13)
(مر 2:13ـ17)

حينما أعطى ق. لوقا قصة المشلول لاستعلان قوة مغفرة الخطايا، القوة الإلهية التي لله وحده وقد مارسها ابن الإنسان لاستعلان شخصيته أمام الكتبة والفريسيين، كان قد رتَّب أن يأتي بعدها بهذه القصة التي يظهر فيها المسيح محباً محبياً الخطاة والعشَّارين، مانحاً إياهم غفران خطاياهم في شركته الرمزية معهم في المائدة الواحدة علنياً. كذلك بدعوة المسيح أحد العشَّارين ليكون له تلميذاً، فإنه يوضِّح نوعية الذين يختارهم: فبطرس يرد على محبة المسيح ودعوته بأن «اخرج من سفينتي يا رب لأني رجل خاطئ» ثم قصة لاوي ـ وغالباً هو متى ـ ومعروف أنه عشَّار وأن فئة العشَّارين محسوبون أنهم خطاة على وجه العموم، إذ يطففون في المكيال ويتعاملون بعملة العدو المحتل للبلاد.

ثم يجمع المسيح هذه الخيوط معاً ليعبِّر عن معيار إرساليته للخلاص بقوله إن الطبيب لا يُستدعى إلاَّ للمرضى، هكذا أتى المسيح ليطلب الخطاة ويطلبه الخطاة فيُلبِّي دعوتهم. أمَّا الأصحاء فلا يحتاجون إلى طبيب.

وقد لمَّح ق. لوقا في قصة لاوي لمَّا دُعي أنه ترك كل شيء ليتبع المسيح، وأن الوليمة الكبيرة التي

صنعها للمسيح في بيته كانت دعوة مغطّاة للخطاة ليأتوا ويتوبوا على يد المسيح، أو على الوجه الأصح لينالوا **هبة التوبة** حسب تعبير ق. بطرس الرسول الذي جاء بيد ق. لوقا: « هذا رفَّعه الله بيمينه رئيساً ومخلّصاً، **ليعطي إسرائيل التوبة وغفران الخطايا.**» (أع 5:31)

وهنا لا يغيب عن بالنا لاهوت ق. لوقا الخلاصي، فهو يجمع بين هبة التوبة ومغفرة الخطايا والخلاص معاً.

5:27 **«وَبَعْدَ هذا خَرَجَ فَنَظَرَ عَشَّاراً اسْمُهُ لاَوِي جَالِساً عِنْدَ مَكَانِ الْجِبَايَةِ، فَقَالَ لَهُ اتْبَعْنِي».**

الظريف هنا بخصوص الاشتباه الواقع بين اسم لاوي واسم متى في هذه القصة، أن ق. متى في إنجيله هو الوحيد الذي قد حَسَمَ هذا الالتباس بقوله: إن هذا العشار اسمه متى.

«جالساً عند مكان الجباية»:

"العشار" = telènhj و"مكان الجباية" = telènion. وقد كانت الجباية أي الضرائب لها مركز معيَّن للتجار والفلاحين، وربما كان متى أحد الرؤساء المسئولين عن الضرائب التي تُجمع هناك.

«اتبعني»: ¢koloÚqei

نفهم من سياق الكلام في (5:11) أن المسيح دعا بنفس هذه الدعوة كلاً من بطرس ومَنْ معه. وقد اختص المسيح بدعوة الاتباع بعض التلاميذ دون الآخرين.

5:28 **«فَتَرَكَ كُلَّ شَيْءٍ وَقَامَ وَتَبِعَهُ».**

تنفيذ متى أو لاوي للدعوة الإلهية هنا لخَّصه ق. لوقا بكلمة "فترك" كل شيء وقام وتبعه، ولكن يقيناً إنها اتخذت إجراءات كثيرة لكي يترك موظفٌ في ضرائب الدولة عمله واختصاصاته المتسعة. وهي نفس النغمة التي سمعناها من ق. بطرس: «ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك» (لو 18:28). ولكن ليس كل مَنْ ترك ظاهراً يكون قد ترك، فيهوذا ترك كل شيء وتبع المسيح وكان يسرق الصندوق أولاً بأول. ويا ليته ما ترك وما تبع. إذ يرى الرب أنه كان خيراً له لو لم يولد! وقد ردَّ المسيح على ق. بطرس: «فقال لهم: الحق أقول لكم: إن ليس أحدٌ ترك بيتاً أو والدين أو إخوة أو امرأة أو أولاداً من أجل ملكوت الله، إلاَّ ويأخذ في هذا الزمان أضعافاً كثيرة، وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية »(لو 18: 29و30). وبعدها يروي ق. لوقا مباشرة تلميح المسيح عن التلميذ الذي سيسلّمه!

29:5 «وَصَنَعَ لَهُ لاَوِي ضِيَافَةً كَبِيرَةً فِي بَيْتِهِ. وَالَّذِينَ كَانُوا مُتَّكِئِينَ مَعَهُمْ كَانُوا جَمْعاً كَثِيراً مِنْ عَشَّارِينَ وَآخَرِينَ».

منظر بديع لا تصدِّقه عين يهودي: معلّم رابِّي جالس وسط خطاة منبوذين من المجتمع، عددٌ كبيرٌ ملفتٌ للنظر، والداعي شيخ عشّارين مرموق ذو بيت كبير يتّسع لعمل ضيافة لجمع كثير. والتركيز هنا على ما لم يركّز عليه ق. مرقس في قصته عن هذا اللاوي أنه هو الداعي للجمع الكثير في بيته، لأن المسيح لم يكن له بيت يدعو فيه أحداً؛ مما جعل القارئ يظن أن البيت بيت المسيح وأن العشّارين الآخرين كانوا يتبعون: «فقال له اتبعني: فقام وتبعه. وفيما هو متكئ في بيته كان كثيرون من العشّارين مع يسوع وتلاميذه لأنهم كانوا كثيرين وتبعوه» (مر 2: 14و15). فهنا ضمير الغائب في قوله: «وفيما هو متكئ في بيته» قد يظن القارئ أنه بيت المسيح، كذلك في بقية القصة عند ق. مرقس لا يظهر فيها هذا العشّار لاوي أنه صاحب الوليمة ولا هو الداعي للمسيح والتلاميذ وجمع العشّارين والخطاة. هذا أوضحه ق. لوقا من مصادره الأخرى فظهرت القصة ظهوراً باهراً. لم يحتمل الكتبة والفريسيون أن يكون مركز الخطاة عند المسيح بهذا القدر من الحب والألفة والمودة.

أمَّا كلمة: "وآخرين" التي استبدل بها ق. لوقا كلمة و"الخطاة" عند ق. مرقس فهي نوع من اللياقة، ولو أنها معروفة ضمناً أنهم قد يكونون خطاة لأنها وليمة عشّار يترفّع الأبرار عند أنفسهم من حضورها. ولهذا اعتبر الكتبة والفريسيون أن كل هؤلاء خطاة بحكم الطقس والعُرف اليهودي، لأنهم مخالطون للأمم ويتعاملون في أموال غير طاهرة.

وهكذا كانت فرصة نادرة للمسيح وللقديس لوقا بآن واحد أن يتسجَّل في الإنجيل هذا المشهد الإلهي الذي ينبغي أن يُكتب فوقه: «هكذا أحب الله "العالم" حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو 16:3). هذا المشهد البديع الذي تصدَّره طبيب البشرية الذي جاء ليحمل كافة أمراضها في جسده ويهبها الصحة الروحية والحياة الأبدية عوض الخطية والموت.

30:5 «فَتَذَمَّرَ كَتَبَتُهُمْ وَالْفَرِّيسِيُّونَ عَلَى تَلاَمِيذِهِ قَائِلِينَ: لِمَاذَا تَأْكُلُونَ وَتَشْرَبُونَ مَعَ عَشَّارِينَ وَخُطَاةٍ؟»

«فتذمَّر»: ™gÒgguzon

كما تذمَّر شعب إسرائيل على الله في البرية، وقد اعتاد الكتبة والفريسيون هذا التذمُّر كما نقرأه

في (لو 2:15): «فتذمَّر الفريسيون والكتبة قائلين: هذا يقبل خطاة ويأكل معهم» وهكذا يظهر من الآية التي نحن بصددها أنه ولو أن التذمُّر في ظاهره ضد سلوك التلاميذ ولكن الاعتراض والمعارضة موجَّهة للمسيح.

ولنا الآن ونحن نكشف الحقيقة الواضحة أن المسيح كان في سلوكه هكذا مع الخطاة بكل فئاتهم ووظائفهم، كان يطلب خلاصهم الذي كان قد دفع ثمنه مسبقاً في مشورة الله الأزلية: دمه وحياته فدية وخلاصاً. هكذا يظهر أمامنا تذمُّر هؤلاء الكتبة والفريسيين كم كان جهلاً وحُمْقاً وغباوة. لذلك نغبط موسى نبي العبور الذي لاقى منهم الأمرَّين حينما وضع تقريره الأخير عنهم هكذا : «إنهم أمة عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم. لو عقلوا لفطنوا بهذه وتأملوا آخرتهم. كيف يطرد واحد ألفاً ويهزم اثنان ربوة (10000) لولا أن صخرهم باعهم والرب سلَّمهم ... من جفنة (كرمة) سدوم جفنتهم ومن كروم عمورة، عنبهم عنب سم ولهم عناقيد مرارة. خمرهم حمة الثعابين وسم الأصلال القاتل.» (تث 32: 28-33)

31:5 **«فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: لاَ يَحْتَاجُ الأَصِحَّاءُ إِلَى طَبِيبٍ بَلِ الْمَرْضَى».**

«الأصحاء»: Øgia…nontej

الكلمة من أصل "الصحة" (هيجيين) المعروفة في اللغة الطبية. وأصلها في الأرامية قريب من اللغة العربية beriã بريء من البُرْء أي الشفاء التي تفيد الصحة أو العافية، وعكسها السقيم أو المريض kakîj œcontej. فهنا حوَّل ق. لوقا على لسان المسيح الخطاة والمخلّصين إلى مرضى وأصحاء. طبعاً يستخدم هنا ق. لوقا حذقه الطبي لوضع المقارنة الصحيحة بين الخطاة والمخلّصين في نظر الله. وهذا إبداع ما بعده إبداع، فالخاطئ لا يزيد عن كونه مريضاً في عين خالقه الذي يحمل همَّه ويسعى لشفائه. وما المسيح بالنسبة للخاطئ إلاَّ الله في هيئة طبيب جاء ليعيد إليه صحته وعافيته التي خلقها له وخلقه لها. نظرة حبيَّة فيها حنان ورأفة وبآن واحد فيها تحديد بديع لمعنى الخطية. فهي لا تزيد في عين الله عن المرض في أعيننا، فهي بذلك عنصر غريب عن طبيعتنا الأصلية، غرسه فينا عدو شرير في غفلة منَّا وإهمال.

ويضع القديس لوقا في إنجيله قصة المرأة المنحنية دليلاً ما بعده دليل على عمل الشيطان العدو في الإنسان. فبعد أن شفاها المسيح احتجَّ عليه رئيس المجمع لأنه صنع معجزة شفاء في السبت، فرد عليه المسيح: «يا مرائي ألا يحل كل واحد منكم في السبت ثوره أو حماره من المذود ويمضي به ويسقيه. وهذه وهي ابنة إبراهيم قد ربطها الشيطان ثماني عشرة سنة أما كان ينبغي أن تُحلَّ من هذا الرباط

في يوم السبت. وإذ قال هذا أخجل جميع الذين كانوا يعاندونه، وفرحَ كل الجمع بجميع الأعمال المجيدة الكائنة منه.» (لو 13: 15-17)

ولنا هنا عودة على منهج ق. لوقا في لاهوت الخلاص! فالقديس لوقا يراه من وجهة النظر الطبية الخالصة شفاءً إلهياً بيد الطبيب السماوي لجميع الأسقام التي غزت جسده ونفسه وربطت روحه فيه وأحنتها حتى إلى التراب، فجاء المسيح يخاطب النفس المنحنية فيه: «وقال لها يا امرأة إنك محلولة من ضعفك، ووضع عليها يديه ففي الحال استقامت ومجَّدت الله» (لو 13: 12و13). وكلمة الضعف هنا ¢sqene…aj هي بعينها عدم الصحة. وهنا نرى أن ق. لوقا لا يزال يرى في المرض ضعفاً والضعف عدم صحة، والصحة بيد الطبيب الذي هو وحده صاحب ملء الصحة في مفهومها المطلق، إذ لم يصنع خطية البتة ولا وجد في فمه غش، فهو البار الوحيد القادر أن يبرِّر كثيرين ببرِّه. فنازفة الدم حينما لمسته سرًّا فعوفيت في الحال كان تعليقه مستيكياً للغاية إذ قال: «إن قوة قد خرجت مني» (لو 8:46)، فهو من صحته وحياته يمنح المؤمنين به صحة وحياة. وما الخلاص الكلي الذي تمَّ على الصليب إلاَّ عطاء صحته كلها وحياته بملئها لجميع خطاة الأرض لينهلوا منها، بل لينهبوا ويختطفوا كلٌّ بقدر دلو إيمانه ورجائه، وبعدها أدركنا أن صحته وحياته هي بعينها صحة الله وحياته وهي باقية بملئها فيه بقاء الأبد.

32:5 **«لَمْ آتِ لأَدْعُوَ أَبْرَاراً بَلْ خُطَاةً إِلَى التَّوبَةِ».**

الجزء الأول من الإجابة ركَّزه المسيح على أساس عمل الطبيب الذي يختص بالمرضى دون الأصحاء. أمَّا الجزء الثاني من الإجابة فهو توضيح لعمله هو ليكشف به معنى المريض ومعنى الأصحاء. فجعل عمل الطبيب عمله هو كابن الله. وعرَّف المرضى بأنهم بالنسبة لله وله هم الخطاة، أمَّا الأصحاء فهم الأبرار عند أنفسهم الذين لا يحتاجون إليه في شيء باعتبارهم الأصحاء شكلاً، وسرطان الموت يسري فيهم وهم لا يشعرون.

هنا الأبرار يقصد بهم المسيح الفريسيين أنفسهم ولا يستزيد من صحة هذا الزعم من عدمه. لأنه لا داعي ولا قيمة لأن تقول لمَنْ هو بار في عيني نفسه أنت لست باراً، فهذا في عرف تعليم المسيح كإلقاء الدرر للخنازير، تدوسها وتعود فتمزِّق ناثرها.

والمسيح هنا جعل تركيز القول يقع مباشرة لدعوة الخطاة إلى التوبة. وكلام المسيح هنا لا يُفهم حرفياً، فهو يحوي أبعاداً مستيكية عميقة ذات دلالات لاهوتية وليتورجية عميقة.

فقوله "**لأدعو**" kalšsai تفيد هنا ليس مجرَّد دعوة كرازة بالصوت، بل دعوة إلى وليمة غذاء كالتي صنعها له لاوي ولكل العشَّارين معه وبقية الخطاة. وهذه تُحسب دعوة من باطن دعوة، فالدعوة الأصلية هي التي قام بها المسيح لمَّا قال له اتبعني!! فلم يحتمل لاوي العشَّار أن يقبل الدعوة من غير أن يقدِّم هو الشكر، فكانت دعوته لوليمة الشكر الكبرى التي جمع فيها الخطاة للمسيح، وكأن المسيح هو الداعي لهؤلاء جميعاً في شخص لاوي الذي قبل الدعوة بفرح. وهكذا قبل المسيح الدعوة وشارك فيها باعتباره أنه هو الداعي لوليمة محبته وهي تحمل سمات الفصح بأجلى معانيها. فكان المسيح في وسط إفخارستية هؤلاء العشَّارين والخطاة الحمل المذبوح بصورته السرِّية العجيبة التي تحتاج إلى عين ترى وأذن تسمع من بُعد!

وباختصار بليغ يكون قول المسيح هكذا: إن فصحي للخطاة وذبيحة حبي هي للذين يلبُّون دعوتي وجسدي ودمي لا يأكل منه إلاَّ التائبون!!

فلو عدنا قليلاً إلى القول الأول: «لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى» واعتبرنا أن مفهوم الدعوة هنا يخبِّئ المعنى المستيكي إلى دعوة إفخارستية الفصح العتيدة، نجد أن تلاحم حقيقة المرض بالخطاة والأصحاء بالأبرار الكذبة، ثم دعوة الخطاة وحدهم إلى وليمة محبته الفصحية، يُنشئ المعنى الأعمق لمفهوم أكل الجسد وشرب الدم بالنسبة للخطاة الذين هم المرضى المدعوين على مائدة حبه. إن الجسد والدم هو [ترياق عدم الموت][160] الذي وصفه الآباء الأماجد الأولون، بمعنى أنه دواء الشفاء من عضة الحية لقبول صحة الخلاص من بعد مرض الموت: «من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه ... فمَنْ يأكلني فهو يحيا بي ... هذا هو الخبز النازل من السماء لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت.» (يو 6: 56و57و50)

هذا هو لاهوت ق. لوقا الخلاصي الذي جعل مفهوم الخلاص الكلي لا يُستعلن إلاَّ على مائدة حية، حيث يتناوله المرضى المحبّون جسداً ودماً ويسبِّحون.

نعم المسيح يأكل مع العشَّارين والخطاة كطبيب يقود مرضاه إلى التوبة الحقيقية والخلاص. وهكذا سلَّم الكنيسة صداقة الخطاة، كل الخطاة تُشركهم في وليمة الرب كتائبين يطلبون الصحة والحياة. وهكذا ضمن المسيح قيام دعوة الخطاة إلى التوبة لوليمة حبه: «فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء.» (1كو 11:26)

(160) القديس إغناطيوس الأنطاكي، الرسالة إلى كنيسة أفسس 2:20.

4 ـ نظرة المسيح إلى الصوم

(39-33:5)

(مت 9:14-17)

(مر 2:18-22)

تتحدَّد نظرة المسيح إلى الصوم بالآيات التي جاء ذكر الصوم فيها:

(أ) الاتجاه الأول في الصوم عند المسيح:

+ «ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمُرائين، فإنهم يُغيِّرون وجوههم لكي يظهروا للناس صائمين. الحق أقول لكم: إنهم قد استوفوا أجرهم. وأمَّا أنت فمتى صُمتَ فادهُن رأسك واغسل وجهك، **لكي لا تظهر للناس صائماً، بل لأبيكَ الذي في الخفاءِ.** فأبوك الذي يَرى في الخفاءِ يُجازيكَ علانية.» (مت 6: 16-18)

وهنا يضع المسيح أول مبدأ مسيحي للصوم وهو أن:

1 ـ الصوم عمل يختص بالله وليس بالناس إطلاقاً.

2 ـ الصوم عمل داخلي للإنسان يمارسه سرًّا ـ في الخفاء ـ محترصاً أن لا يظهر للآخرين وإلاَّ فقد قيمته الروحية كعمل روحي وليس كعمل جسدي.

3 ـ ليس الصوم ـ في أي صورة له سواء كان فردياً أو جماعياً ـ عملاً لمجاراة الناس أو الكنيسة، بل هو عمل شخصي خاص للغاية يمارسه الإنسان بدوافع ذاتية داخلية روحية.

4 ـ الصوم لا ينبغي أن يكون منظوراً من الناس كشرط لكي يُنظر من الله.

فهو في أساسه عمل مقدَّم لله وحده، وكلام المسيح في هذا يوضِّح أن الله وعد على فم المسيح أن ينظر لصوم الإنسان كعمل ذبائحي يقدِّم فيه الإنسان جسده ونفسه وروحه في حالة صوم وتعفُّف وانقطاع عن طعام الجسد وحاجة النفس من المتعة أو اللذة أو المسرَّة، كصوم للنفس حقيقي عن الدنيا وكل ملذاتها بكل أنواعها. أمَّا الروح الصائمة فهي المرتفعة بالصلاة كحالة التصاق بالرب صوناً كاملاً من أي مجاذبات من الشيطان. فالجسد يصوم عن الطعام والشراب، والنفس عن الملذّات والشهوات، والروح عن مجاذبات الشيطان بالصلاة الدائمة.

وهكذا يُحتسب الصوم أنه حالة انقطاع عن الاتصال بالعالم بالجسد والنفس والروح للالتصاق بالله؛ أي حالة تخصُّص لله أو حالة تخصيص الجسد والنفس والروح لله، وهذا هو عين ما يسمَّى

بالتقديس. فالتقديس هو حالة تخصُّص لله.

ومن هنا نفهم جيداً لماذا ينظر الله إلى الإنسان الصائم وينظر إلى صومه الذي يقدّمه كذبيحة كاملة بالجسد والنفس والروح، لأنه حالة التصاق تام بالرب. فالجسد مستسلم لعمل الله. والنفس منفتحة لإيحاء النعمة والروح متصلة بالروح.

فعلى قدر الفقدان الذي يفقده الإنسان الصائم في الصوم من كافة النواحي الجسدية والنفسية، يستكمله الله للإنسان روحياً حفظاً ورعاية ومعونة وعزاءً مع مسرة روحية فائقة. إذن فهو ليس فقداناً في شيء.

بهذا نفهم أن الصوم هو اختبار هام وخطير في حياة الإنسان، إذ يُحسب نقلة إرادية من حالة جسدية متفقة مع العالم إلى حالة روحية متفقة مع الله والروح، فيها يتم للإنسان أنواع كثيرة من تكميل حياته روحياً ونموٌّ في معرفة الله والالتصاق به وبناء لحياته الروحية.

ولذلك لا نجد الصوم يقف وحده كعمل روحي مقدَّم إلى الله إذ يتحتَّم أن ترافقه الصلاة. فهي الوصلة الحية الروحية التي تصل الجسد والنفس بالله، لأن الصلاة هي عمل الروح في الصوم الجسدي. وفي نفس الوقت أصبح من الواضح جلياً أمام القارئ أن الصلاة بدون صوم تفقد كثيراً من مقوماتها. فالصلاة والصوم جناحان تطير بهما النفس نحو الله، فإذا فقدت الصلاة الصوم تكون وكأنها تطير بجناح واحد.

لذلك، فالكنيسة المرتشدة بالروح القدس وضعت حتمية الصوم لإقامة الصلاة. فما من صلاة تقيمها الكنيسة إلاّ ويأتي الشعب صائماً. وإن شذَّ في ذلك صلاة عشية السبت صابح الأحد فهو يكشف عن خطأ وقع فيه الطقس، إذ كان في الأصل وحسب المخطوطات الرسمية:

> [في يوم السبت يخرجون من قلاليهم وقت العشاء، ويأتون إلى المجمع وهم صائمون، لأنهم كانوا يتقرَّبون (أي يتناولون من الأسرار المقدَّسة) عشية السبت، طوال السنة صيفاً وشتاءً ... وبعد ما يتقرَّبون يدخلون المائدة. وبعد الأكل يقفون للصلاة ليلة الأحد ساهرين بلا نوم من العشية إلى باكر في خدمة المزامير والتسابيح وقراءة الكتب وتفاسيرها وما يسأله الإخوة ويرتبون بينهم المواعظ.] (عن القديس مار إسحق الميمر الأول من الجزء الأول)

وواضح للقارئ الباحث أن القداس يبدأ بعد المساء يوم السبت، حيث تدخل الكنيسة في يوم جديد حسب التقليد القديم (في العهد القديم). وكانت الكنيسة الأولى تصلّي بقداس الرب قبل أن

تسمع عن القداس الباسيلي أو غيره. فلمَّا أُدخلت هذه القداديس الجديدة للقديس باسيليوس وغريغوريوس وكيرلس (المرقسي أصلاً) وغيره، احتفظت الكنيسة المرتشدة بالروح القدس "بقداس الرب" وجعلته هو المعروف "بتقديم الحمل" وهو قداس كامل تماماً ـ (راجع كتاب: "الإفخارستيا والقداس" للمؤلِّف الطبعة الأولى 1977 صفحة 555 و613-621). ثم لمَّا أخذت الكنيسة في العالم عن طقس الشيوخ في البرية اضطرت ـ تمشياً مع حالة الشعب بنسائه وأولاده ـ إلى جعل عشية السبت صابح الأحد بدون صيام. فيأتي الشعب بدون صوم وهذا خروج عن الطقس القديم الذي يحتِّم عدم قيام صلاة بدون صوم، وبعد العشية يذهبون إلى منازلهم ثم يعودون صباح الأحد لإقامة القداس وهم صائمون، وبهذا انكسر طقس صوم السبت واعتُبر السبت تابعاً للأحد لا يصام فيه.

والذي نود أن نركِّز عليه في النهاية هو أهمية اقتران الصوم بالصلاة والصلاة بالصوم كوحدة عملية واحدة تقدَّم فيها الحياة برمتها أمام الله، مكشوفة وعريانة أمام عينيه، ليضع فيها نعمة ويصيغها لتكون حسب مشيئته. وهذا هو المجمل السرِّي من قصد المسيح أن لا تظهر للناس صائماً بل لأبيك الذي في الخفاء الذي يجازي علانية.

(ب) الاتجاه الثاني في الصوم عند المسيح:

اكتساب سلطان إخراج الشيطان بالصلاة والصوم على أساس الإيمان:

+ «ثم تقدَّم التلاميذ إلى يسوع على انفراد وقالوا: لماذا لم نقدر نحن أن نُخرجه؟ فقال لهم يسوع: لعدم إيمانكم. فالحق أقول لكم: لو كان لكم إيمانٌ مثل حبَّة خردَلٍ لكنتم تقولون لهذا الجبل: انتقل من هنا إلى هناك فينتقل، ولا يكون شيءٌ غير ممكنٍ لديكم. وأمَّا هذا الجنس فلا يخرج إلاَّ **بالصلاة والصوم**.» (مت 17: 19-21)

واضح من هذا الحوار الهام جداً أن الجبال يمكن أن تنتقل من مكانها بالإيمان بالله والمسيح. وأمَّا إخراج الشياطين من سكناها في الإنسان فلا يتم إلاَّ بالإيمان ومعه الصلاة والصوم.

فإذا سأل الإنسان: لماذا ينصاع الجبل لأمر الإيمان ولا ينصاع الشيطان إلاَّ بالصلاة والصوم فوق الإيمان؟ فالجواب واضح، لأن الجبل خليقة ترابية خُلقت لتكون تحت سلطان الإنسان: «فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه. ذكراً وأنثى خلقهم. وباركهم الله وقال لهم: أثمروا واكثُرُوا واملأوا الأرض **وأخضعوها ...**» (تك 1: 27و28). ولكن جنس الشيطان ليس خاضعاً لجنس الإنسان. ومعروف أن جنس الشيطان عدو مقاوم لأوامر الله، وبالتالي يُكِنُّ عداوة شريرة للإنسان الذي هو أعلى من جنسه، لأن الإنسان خُلق على صورة الله وبالتالي خُلق خاضعاً وتابعاً

ومريداً لله. لذلك تحتَّم على الإنسان لكي يُخضع الشيطان ويُخرجه عنوة من سكناه داخل الإنسان أن يلتجئ إلى الله. والتجاء الإنسان لله يتم بالإيمان أولاً ثم بالصلاة والصوم. فبالإيمان يلتصق الإنسان بالله وبالصلاة يتّحد وبالصوم يتفرَّغ الجسد من العالم وشهواته ليتخصَّص لله، أي يتقدَّس. ويكاد يكون الصوم هو العمل الوحيد المحروم منه الشيطان، خاصة حينما يقترن الصوم بالتواضع فهو يكاد يحرق الشيطان.

(ج) الاتجاه الثالث في الصوم عند المسيح:

35-33:5 «**وَقَالُوا لَهُ: لِمَاذَا يَصُومُ تَلاَمِيذُ يُوحَنَّا كَثِيراً وَيُقَدِّمُونَ طِلْبَاتٍ، وَكَذلِكَ تَلاَمِيذُ الْفَرِّيسِيِّينَ أَيْضاً، وَأَمَّا تَلاَمِيذُكَ فَيَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ؟ فَقَالَ لَهُمْ: أَتَقْدِرُونَ أَنْ تَجْعَلُوا بَنِي الْعُرْسِ يَصُومُونَ مَا دَامَ الْعَرِيسُ مَعَهُمْ؟ وَلكِنْ سَتَأْتِي أَيَّامٌ حِينَ يُرْفَعُ الْعَرِيسُ عَنْهُمْ، فَحِينَئِذٍ يَصُومُونَ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ**».

هنا تزدحم المعاني وتتفرَّق الأمثلة المضروبة، مفارقة شديدة، وتتباعد الفئات. فأين المعمدان من الفريسيين وأين الفريسيون من المسيح؟ فتلاميذ يوحنا يسعون خلف معلّم يسعى خلف الآتي من فوق وهو فوق الجميع ومن السماء هو ومن السماء يتكلّم. وأين المعمدان من الفريسيين الذين رفضوا مشورة الله من جهة أنفسهم، فماذا يكون بالنسبة للذين يترجُّون الخلاص! وهكذا يظهر السائلون عن عدم صوم تلاميذ المسيح وكأنهم يسألون عن تساوي الليل بالنهار أو الظلمة بالنور أو الأرض بالسماء!

عريس البشرية طرًّا جاء إلى أرض الأحزان ليقلب حزنها فرحاً وبهجة ونوراً وضياءً، وتلاميذه منهمكون في إعداد وليمة العرس، فأين يقع الصوم على مائدة الفصح وأين يوجد الصائمون بين خوارس العذارى الفرحات وملائكة النور المهلّلين؟

فإن لزم الصوم لأبناء النور فليصوموا لينسكب الروح القدس ويظلّل هاماتهم بالنور والمجد وألسنة الروح، ليتحوَّل صومهم إلى فرح أبدي لا يُنزع منهم. فعريسهم رُفع من الأرض ليجلس على عرش ملكه السماوي ليمزج آلامهم بعزاء لا يُنطق به وحزنهم بفرح مجيد.

فأولاد النور إن صاموا عطّروا شعر رؤوسهم بالطيب وغسلوا وجوههم بماء النعمة، ليعلنوا أن صومهم شركة حقيقية في مجد الجالس على عرشه وسط قديسيه.

نحن نصوم لا ليأتي المسيَّا بل لأنه أتى، ولا لكي يُرفع عنَّا ظلم الظالم بل لأننا دسنا الموت والظلم

والألم معاً ورأسنا رُفعت وطالت وجه السماء، فصومنا جزءٌ لا يتجزَّأ من ذبيحة الصليب التي جمعت بين الموت والحياة، والقبر والسماء، والظلمة والنور، والزمن والخلود. فإن كانت يدنا على المحراث فعيننا على الملكوت.

36:5 «وَقَالَ لَهُمْ أَيْضاً مَثَلاً: لَيْسَ أَحَدٌ يَضَعُ رُقْعَةً مِنْ ثَوْبٍ جَدِيدٍ عَلَى ثَوْبٍ عَتِيقٍ، وَإِلاَّ فَالْجَدِيدُ يَشُقُّهُ، وَالْعَتِيقُ لاَ تُوافِقُهُ الرُّقْعَةُ الَّتِي مِنَ الْجَدِيدِ».

هنا نقطة تداعي الفكر عند المسيح جاءت من ذكر العريس والعرس حيث يأتي بالتالي لباس العرس بالتبعية. فتلاميذ المسيح لباسهم هو لباس العرس الجديد kainÒn في أوج جماله وجلاله: «ولبستم الجديد الذي يتجدَّد للمعرفة حسب صورة خالقه» (كو 10:3)، حيث الجِدَّة هنا لا تأتي من مفهوم النسيج ولكن من واقع المعرفة بالله التي تتجدَّد بالروح كل صباح: «لأن مراحمه لا تزول هي جديدة في كل صباح» (مرا 23:3). كما تأتي الجدَّة من تثبيت النظر في وجه الله: «ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة نتغيَّر إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح.» (2كو 18:3)

أمَّا العتيق palaiÒn فهو بالمقابل حتماً يكون الناموس الذي عتق وشاخ وصار من نفسه قريباً من الاضمحلال (عب 8 : 13). وهنا يكون قد بلغ المسيح القصد: فلا تعليم يوحنا ولا تعليم الفريسيين بقادر أن يخضع لتعليم المسيح بأي حال من الأحوال، إذن وماذا يكون الحل؟ الحل هنا قاله ق. بولس في منتهى اليسر والبساطة ويدور على حتمية خلع القديم كلية ولبس الجديد:

+ «إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله ولبستم الجديد الذي يتجدَّد للمعرفة حسب صورة خالقه.» (كو 3: 9و10)
+ «وأمَّا أنتم فلم تتعلَّموا المسيح هكذا، إن كنتم قد سمعتموه وعُلِّمتُم فيه كما هو حقٌّ في يسوع، أن تخلعوا مِنْ جهةِ التصرُّف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهواتِ الغرور، وتتجدَّدوا بروح ذهنكم، وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق.» (أف 4: 20-23)
+ «قد تناهى الليل وتقارب النهار فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور.» (رو 12:13)

37:5-39 «وَلَيْسَ أَحَدٌ يَجْعَلُ خَمْراً جَدِيدَةً فِي زِقَاقٍ عَتِيقَةٍ لِئَلاَّ تَشُقَّ الْخَمْرُ الْجَدِيدَةُ الزِّقَاقَ، فَهِيَ تُهْرَقُ وَالزِّقَاقُ تَتْلَفُ. بَلْ يَجْعَلُونَ خَمْراً جَدِيدَةً فِي زِقَاقٍ جَدِيدَةٍ، فَتُحْفَظُ جَمِيعاً.

وَلَيْسَ أَحَدٌ إِذَا شَرِبَ الْعَتِيقَ يُرِيدُ لِلْوَقْتِ الْجَدِيدَ، لأَنَّهُ يَقُولُ: الْعَتِيقُ أَطْيَبُ».

لا يزال الذي يشغل بال المسيح هو التعليم الذي يقدِّمه الفريسيون الذي أخذ اسم يهوه وموسى ظلماً وهو تعليم الناس. فالزق من خارجه له رسم القدم وشكل العراقة، ولكن ما بداخله تجاوز زمانه وعتق وشاخ وقارب الاضمحلال. فهل يحتمل زق موسى القائل تحب قريبك وتبغض عدوك قول الجديد القائل أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم وأحسنوا إلى مبغضيكم؟ أو كيف يحتمل زق موسى القائل عين بعين وسن بسن، القول الجديد مَنْ ضربك على خدك الأيمن أدر له الآخر أيضاً؟

وما الزق هنا في عرف المسيح إلاَّ قلب أولئك الفريسيين الرافض لتعليم المحبة والحق والحياة. فقد أتلفت تعاليم المسيح قلب أولئك الفريسيين وعقولهم حقًّا فانقلبوا إلى أعداء مردة. فلمَّا ضيَّق عليهم المسيح بحبه ووداعته ضاقوا به وقتلوه!!

يقولون لا بل خمرنا عتيقة وكل عتيق شهي ولذيذ، وقال موسى عنهم: «من جفنة (شجرة العنب) سدوم جفنتهم ومن كروم عمورة. عنبهم عنب مر ولهم عناقيد مرارة، خمرهم حمة الثعابين وسم الأصلال القاتل.» (تث 32: 32و33)

☙✞☙

الأصحاح السادس:

5 ـ المسيح والسبت

(6:1-5)

(مت 12: 1-8)
(مر 2:23-28)

يبدأ الأصحاح السادس بمصادمة مع الفريسيين بسبب أكل التلاميذ سنابل القمح يوم السبت أثناء عبورهم المزارع. والقديس لوقا يركِّز على مصادمات الفريسيين لكسر يوم السبت الذي اعتاد المسيح أن يضعه عيِّنة لينبِّه ذهنهم أنه هو رب السبت، يهوه الذي وضع السبت والذي حوَّله لعمل الخير والرحمة وليس لطي اليدين والرقاد. وهذا سنجده يتكرَّر في (13:10-17 و14:1-6) أيضاً.

وهنا في أمر سنابل القمح يتبع ق. لوقا رواية ق. مرقس مع تغيير نحسبه هاماً للغاية يتناسب ومنهج ق. لوقا الإنجيلي. فبينما في إنجيل ق. مرقس كان الاعتراض على المسيح نفسه، نجد في إنجيل ق. لوقا الاعتراض يأتي من الفريسيين للتلاميذ، ولكن المسيح يتصدَّى ويدافع عنهم كما حدث أيضاً في الأصحاح السالف (5:30و31)، حينما اعترض الكتبة والفريسيون على التلاميذ كيف يأكلون مع عشَّارين وخطاة، فتصدَّى لهم المسيح نفسه وأفحمهم

بقوله إنه لم يأتِ ليدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة.

إنها لفتة هامة وخطيرة في منهج ق. لوقا لينبِّه ذهننا أننا إذا عُيِّرنا بمسيحنا أو مسيحيتنا، فهو حتماً المتصدِّي والمجاوب سواء بأفواهنا أو بعمله السرِّي عنَّا.

وقد يرى القارئ العادي أن هذا التغيير أو الاختلاف بين الروايتين اللتين للقديس مرقس والقديس لوقا يخلّ بوحدة فكر الإنجيل. والحقيقة أنه ليس تغييراً أو اختلافاً بل هو امتداد لتقليد واحد، فتقليد ق. مرقس الذي يؤكّد الآن أهم العلماء والباحثين أنه كان يلازم المسيح ويكتب من فمه، قدَّم لنا رواية الإنجيل كما سمعها ورآها دون أن يتدخَّل في شرحها أو التعليق عليها. ولكن يتقدَّم التقليد على زمان كتابة ق. لوقا لإنجيله وهو لا يقل عن أربعين سنة من زمن كتابة ق. مرقس لإنجيله. ابتدأ التقليد يشرح حوادث الإنجيل على ضوء الواقع. فالكتبة والفريسيون لم يعودوا يهاجمون المسيح مباشرة كما في إنجيل ق. مرقس، بل أصبحت المهاجمة مباشرة ضد التلاميذ والرسل

والذين استلموا منهم. لذلك حينما تعرَّض ق. لوقا لحوادث شاول واضطهاده وقتله للمسيحيين كان شاول واثقاً من غياب المسيح الذي يدافع عنهم، وكأنه يعيِّرهم كما يُعيَّر المسيحيون الآن من الذين يغتالونهم ويذبحونهم، وكأنهم يقولون أين مسيحكم الذي تعبدونه؛ ولكن شاول يسمع بأذنيه ويرى بعينيه المسيح من السماء يقول له مدافعاً عن أولاده الذين اضطهدهم: «شاول شاول لماذا تضطهدني؟» (أع 9:4). هنا ظهر المسيح أنه موجود حيّ كما كان ولكن لا يدافع عن ذويه بأن يرفع السيف عنهم بل **يحتمل آلامهم معهم**، فالمسيح بقوله لماذا تضطهدني يقول بآن واحد لماذا ذبحتني وقتلتني لأن «الذي يرذلكم يرذلني.» (لو 16:10)

فتقليد ق. لوقا في تحويله رواية ق. مرقس من هجوم الفريسيين المباشر على المسيح ودفاع المسيح عن نفسه، إلى هجوم الفريسيين على التلاميذ ودفاع المسيح عن التلاميذ، هو في الحقيقة نقلة تقليدية من واقع الحال تعبِّر عن مبدأ لاهوتي جديد تعيشه الكنيسة في ظل دفاع المسيح غير المنظور من السماء بشركته الواقعية السرية غير المنظورة أيضاً في كل آلام المسيحيين واضطهاداتهم وظلمهم وقتلهم، **كشريك لا يتحمَّل نصف الألم بل الألم كله.** لذلك، كان ولا يزال الشهداء يفرحون في آلامهم ويتقبَّلون الموت بتهليل وكأنه إكليل مجد.

لذلك، فنحن نعتبر هذا الاتجاه التقليدي عند ق. لوقا سرًّا لاهوتياً انفتح علينا من السماء كما على شاول، ليصير قوة جديدة للكنيسة وغنىً ومجداً وافتخاراً.

أدرك القديس بولس هذا بالحق فقال: «أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عري أم خطر أم سيف ... ولكننا في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا!!» (رو 8: 35و37)، وقد تُقرأ: "نحن في هذا أعظم من منتصرين"!!

أمَّا هنا في موضوع أكل سنابل القمح التي كان يفركها التلاميذ بين كفوف أيديهم ويأكلونها وهي خضراء ناضجة ذات طعم لذيذ شهي، فلمَّا عيَّرهم الفريسيون إذ كانوا حتماً يتربَّصون بهم من بعيد ويلاحظونهم وهم غافلون، تصدَّى لهم المسيح وأعطى مثل داود والرجال الذين كانوا معه لمَّا جاعوا كيف دخلوا خيمة الاجتماع وأكلوا خبز الوجوه الطازج، الذي لا يحل أكله إلاَّ للكهنة فقط. فإن كان داود رأى أن يكون له سلطان فوق طقس الناموس، ولم يستطع حَفَظَة الناموس أن يأخذوها عليه كنقيصة كونه مسيحاً للرب، فكم يكون المسيح ـ «وهنا أعظم من داود» ـ الذي دعاه داود "ربِّي"؟ هذه كلها كان يقصد بها المسيح أن يلتفتوا إليه ويتعرَّفوا عليه. ولكن لا حياة لمَنْ تنادي!! لهم عيون لا تبصر وآذان لا تسمع!!

ورداً على جماعة اللاهوتيين النقاد الذين يتعرَّضون ويقولون وما هي العلاقة بين فرك سنابل القمح في يوم السبت، وهو كسر واضح للناموس، وبين أكل داود خبز الوجوه ولم يكن يوم سبت، نقول إن العلاقة جد عميقة وسرِّية ومبدعة، إذ تقول إفخارستية الديداخي التي كان يصلّي بها الرسل:

[كما أن هذا الخبز المكسور كان مبعثراً على الجبال (سنابل القمح) وصار واحداً عندما التأمت أجزاؤه (حبوب القمح)، هكذا فلتكن كنيستك مجموعة من أقاصي الأرض للدخول إلى ملكوتك.] (الديداخي 4:9)

ولم تكن هذه الصورة الإبداعية المدهشة، التي كانت في ذهن التلاميذ في تصوُّر سنابل القمح المبعثرة كيف صارت في أيديهم خبزة واحدة يقدمونها أمام وجه الله كجسد يسوع المكسور عنهم، لم تكن هذه الصورة من فراغ أيها القارئ اللبيب! أفليس هذا التصوُّر عينه هو هو نفسه الذي جمعه المسيح في ذهنهم بين فركهم لحبات القمح داخل السنابل وأكلها في حضرته مع خبز الوجوه الذي ذكره المسيح بالتساوي تماماً تماماً عندما عيَّرهم الفريسيون بعملهم هذا في يوم سبت؟

ولا يخفى عليك أيها القارئ أن خبز الوجوه أو خبز الحضرة الإلهية هو الاثنا عشر رغيفاً الذي كان يخبزه اللاويون كل يوم سبت، ثم توضع الأرغفة على مذبح خاص ليظل يتراءى أمام وجه الله في خيمة الاجتماع اليوم كله ثم يأكله الكهنة فقط. فكان هذا تجسيداً نبوياً من التوراة لمجيء المسيح الذي سيقدّم جسده ليلة عشاء الفصح الأخير ليأكله الاثنا عشر أمام الله وفي حضرته، ليصبح المسيح خبز الحياة عن العالم كله يوم الجمعة على الصليب!

فالآن انظر أيها القارئ وتعجَّب كيف ربط المسيح أكل سنابل القمح يوم السبت بواسطة تلاميذه، بأكل داود ورجاله خبز الوجوه، وكأنه تكميل ما بعده تكميل لمنتهى قصد الناموس والطقس من جهة خبز الوجوه جملة وتفصيلاً. وحينما أردف المسيح القول بأن داود (وهو من سبط يهوذا) أكل خبز الوجوه الذي لا يحل أكله إلاَّ للكهنة فقط (سبط لاوي)، كشف القناع عن آخر صورة لانتقال حق أكل خبز الوجوه (خبز السماء الحي) من سبط لاوي لسبط يهوذا حيث يتركّز المعنى في المسيح وكل مَنْ اتحد به!!

ولم تبقَ أنشودة سنابل القمح الإفخارستية وقفاً على ديداخي الرسل بل ظلت الكنيسة تنشرها على المذابح، فنسمعها بحذافيرها في قداس القديس سيرابيون القبطي أسقف تمي الأمديد(161)، إذ يقول

(161) هي مدينة تمويس القديمة بمركز السنبلاوين بالدقهلية.

في الإفخارستيا المنسوبة له:

[كما أن هذا الخبز الذي كان فيما سبق **مبعثراً على الجبال، قد انجمع ليصير واحداً** (خبزة واحدة) هكذا اجمع كنيستك المقدَّسة من كل جنس وكل أمة وكل مدينة وكل قرية وكل بيت واصنع منها كنيستك الواحدة الحية الجامعة.] (قداس القديس سيرابيون)

وامتدت الأنشودة الإلهية الإنجيلية الخالدة ـ لسنابل القمح ـ حتى تسجَّلت في الدسقولية الفصل 28:36 فيقول:

[أنت يا ملكنا الضابط الكل، يا الله الأبدي
كما **افترق** هذا القمح **واجتمع** معاً وصار خبزاً واحداً
هكذا **لتجتمع كنيستك** من أقصى الأرض في ملكوتك.] (الدسقولية 28:36)(162)

والآن ماذا يقول القارئ المتعلّم الآن بعلم الكنيسة والتقليد الرسولي في أمر أُولئك اللاهوتيين الغربيين الناقدين وكيف ضلُّوا هم وأضلُّوا كل شباب متعلمي الغرب بإعطائهم تحليلات ميتة وحقائق مشوَّهة مبتورة وتأكيدات عقلية غير راسخة على حق المسيح والإنجيل؟ وأعتقد أنه قد آن الأوان أن يرد الشرق على كل لاهوتيي الغرب، ليعود بالعقل الغربي الذي خرج عن الإيمان والتقليد الصحيح إلى حق الإنجيل والمسيح واللاهوت الإنجيلي المبني على التقليد والتراث.

1:6 **«وَفِي السَّبْتِ الثَّانِي بَعْدَ الأَوَّلِ اجْتَازَ بَيْنَ الزُّرُوعِ. وَكَانَ تَلاَمِيذُهُ يَقْطِفُونَ السَّنَابِلَ وَيَأْكُلُونَ وَهُمْ يَفْرُكُونَهَا بِأَيْدِيهِمْ».**

وقد صار شرح كلمة السبت الثاني بعد الأول مشكلة عند العلماء وشُرَّاح الكتاب. ولكن استقر الفكر على أن القول يرجع إلى ذكر السبت الأول الذي هو السبت بعد 15 نيسان عيد الفطير، إذ يُحسب أنه سبت السبوت أو السبت الأول. وهكذا ستجد سبت الزروع هذا يقع بين 22 نيسان، 30 منه وهو السبت الثاني بعد الفصح. وفعلاً في هذا الميعاد يكون القمح قد نضجت سنابله ويمكن فركها وأكل حبَّاتها بسهولة.

«يفركونها»: yècontej
كلمة يقول عنها العلماء إنها مأخوذة من أصلها الطبي بمعنى يحكّ بشدة.

(162) انظر أيضاً كتاب: "المراسيم الرسولية" *Apostolic Constitutions*, VII, 25; ANF VII, 470.

ولكن الذي هو ممنوع حقًّا في هذه العملية هو حصد القمح، إذ لا يحل حصاد القمح يوم السبت. فاعتبر الفريسيون أن عملية قطف السنابل من أعوادها هي عملية حصاد بالفكر المحذلق. كذلك اعتبروا أن فرك السنابل بين أيديهم عملية مساوية للطهي أو إعداد الطعام للأكل وهو ممنوع بالناموس، حيث توصي كتب الناموس بضرورة إعداد طعام إضافي قبل السبت لاحتمال وصول ضيف قادم من سفر، حتى لا يُضطر إلى طهي طعام له في سبت (Peah 8:7).

2:6 «**فَقَالَ لَهُمْ قَوْمٌ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ: لِمَاذَا تَفْعَلُونَ مَا لاَ يَحِلُّ فِعْلُهُ فِي السَّبُوتِ؟**»

سؤال الفريسيين يوضِّح أنهم كانوا يترصَّدون من بعيد، فحينما اجتازوا الحقل واجهوهم بعملهم المخالف للناموس كما يتربَّص النمر بفريسته. لأن الفريسيين كانوا يعتبرون أنفسهم حفظة على الناموس ولهم حق القبض والعقوبة. فهذا السؤال كان يخفي وراءه روح النقمة. والقديس لوقا هنا ينفرد بجعل الانتقاد والمراجعة موجَّهة للتلاميذ وليس للمسيح، بعكس ما جاء في إنجيل ق. مرقس وهو التقليد الأقدم كما سبق وشرحنا في بداية الأصحاح (صفحة 250)، إذ أن ق. لوقايقدِّم للكنيسة تقليدها فيما بعد القيامة، حيث المسيح فوق في السماء لا يوجَّه له بل لنا النقد والاضطهاد والقتل، أمَّا المسيح فمن فوق يرى ويجازي.

3:6 «**فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: أَمَا قَرَأْتُمْ وَلاَ هذَا الَّذِي فَعَلَهُ دَاوُدُ، حِينَ جَاعَ هُوَ وَالَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ**».

المسيح هنا يراجع الفريسيين في أخص خصائصهم وهو تاريخ التوراة التي تُحسب مصدر أي شرح للناموس. ومراجعة المسيح كأنه يقول لهم: ألم تقرأوا دروسكم وتحفظوا مخصصات أعمالكم؟ لأنه إن كان داود كسر القانون والناموس حين جاع، فقد حلَّ لتلاميذي أن يأكلوا لمَّا جاعوا طالما الطعام الذي في أيديهم حلالٌ.

4:6 «**كَيْفَ دَخَلَ بَيْتَ اللهِ وَأَخَذَ خُبْزَ التَّقْدِمَةِ وَأَكَلَ، وَأَعْطَى الَّذِينَ مَعَهُ أَيْضاً، الَّذِي لاَ يَحِلُّ أَكْلُهُ إِلاَّ لِلْكَهَنَةِ فَقَطْ؟**»

هذه القصة مذكورة في سفر صموئيل الأول عندما كان داود هارباً من وجه شاول. والقصة جميلة:

+ «فجاء داود إلى نوب (المدينة التي بها خيمة الاجتماع) إلى أخيمالك الكاهن، فاضطرب أخيمالك عند لقاء داود ... والآن فماذا يوجد تحت يدك، أعط خمس خبزات في يدي أو الموجود. فأجاب الكاهن داود وقال لا يوجد خبز محلّل تحت يدي ولكن يوجد خبز مقدَّس

... فأعطاه الكاهن المقدَّس لأنه لم يكن هناك خبزٌ إلاَّ خبز الوجوه المرفوع من أمام الرب لكي يوضع خبز سخن في يوم أخذه.» (1صم 21:1-6)

ومن واقع القصة يُفهم تماماً أن داود وجد في نفسه ـ كمسيح الرب ـ السلطان أن يتجاوز الناموس وقانون الهيكل وقانون المقدس، فأكل دون أن يرتاب من خبز التقدمة أي خبز الوجوه المقدَّم أمام وجه الرب الذي لا يحل أكله إلاَّ للكهنة فقط. فأكل وأعطى الذين معه أيضاً. وعلى هذا القياس من الثقة في النفس وعلوها عن مستوى حدود رباطات الناموس جاء الرد من فم المسيح.

5:6 «**وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ هُوَ رَبُّ السَّبْتِ أَيْضاً**».

و"**أيضاً**" التي جاءت في نهاية الآية تكشف عمَّا كان يضمره المسيح من إعطاء التبرير لنفسه ولتلاميذه الذين كانوا يأكلون القمح أثناء عبورهم حقل الحنطة. فمعنى كلام المسيح: فإن كان داود رأى نفسه أعلى من قانون الهيكل والخبز المقدَّس، فإن ابن الإنسان، وهنا المسيح يتكلَّم عن نفسه، هو ليس مثل داود بل هو رب السبت أيضاً، أي سيد الناموس والمقدَّس والمحلَّل.

هنا نجد مفارقة اختزال واضحة بين ما جاء في إنجيل ق. مرقس وما جاء في إنجيل ق. لوقا. فالقديس مرقس يقول: «ثم قال لهم السبت إنما جُعل لأجل الإنسان لا الإنسان لأجل السبت. "**إذاً**" ابن الإنسان هو رب السبت أيضاً» (مر 2: 27و28). فهنا في تقليد ق. مرقس يعطي مقدِّمة جيدة ذات معنى سابق على قرار المسيح أن ابن الإنسان هو رب السبت أيضاً، إذ يقول المسيح على لسان ق. مرقس إن السبت جُعل للإنسان لا الإنسان لأجل السبت، بمعنى أن خلقة الإنسان كانت أساساً ثم خلق له الزمن وفي الزمن حدَّد له يوماً للراحة، ولكي يجعل الله الراحة ملزمة للإنسان جعل السبت مقدَّساً له ليُجبر الإنسان أن يكف عن العمل فيه. فتقديس السبت لله هو أصلاً لأجل راحة الإنسان. فلمَّا جاء الله في الجسد في شخص المسيَّا ابن الإنسان فبديهياً أن يكون ابن الإنسان هو رب السبت أي سيداً على كل حدود السبت ومتطلباته. وحرف "إذاً = éste" يفيد الحتمية المنطقية، بمعنى أنه إذا كان الله قد خلق السبت لراحة الإنسان وقدَّسه ليُلزم الإنسان بالراحة، تحتَّم منطقياً أن يكون المسيح (ابن الله = ابن الإنسان) وهو خالق الإنسان والزمن أن يكون هو ربّ السبت أيضاً.

والمعنى الواقعي هنا عميق، لأن المسيح بصفته «رب السبت» أي سيده وخالقه، هو الذي حوَّله من راحة الجسد لراحة الروح لمَّا وسّد الجسد القبر بعد الجلجثة يوم السبت، ثم قام فجر الأحد

ليمنح الروح الجديدة والحياة الأبدية للإنسان، ليصير يوم الأحد هو يوم الرب حقًّا ـ وليس السبت ـ لتقديس الروح، عوض راحة السبت الذي كان للجسد الترابي.

6 ـ شفاء صاحب اليد اليابسة يوم السبت

(11-6:6)

(مت 12:9-14)
(مـر 3: 1 - 6)

لمَّا انتهى القديس لوقا في بداية الأصحاح السادس (1-5) إلى هذه الحقيقة الإلهية كعقيدة ثابتة أن «ابن الإنسان هو رب السبت أيضاً» أراد بعد ذلك أن يبرهن على حقيقتها الإلهية بهذه المعجزة التي يقدِّمها هنا (6:6-11): كيف بكلمةٍ أَمَرَ اليد اليابسة أن تعود صحيحة فعادت صحيحة بأمره للتو حينما مدّها الرجل المريض، وذلك تحت ملاحظة ونظر الكتبة والفريسيين يوم السبت أيضاً. وهكذا وبهذا الإصرار أن يركّز المسيح على الأشفية المعجزية يوم السبت كان المسيح يقصد بها أن يلفت نظر أصحاب الناموس أن هنا مَنْ هو أعظم من السبت والناموس، أو بحسب تعبير المسيح نفسه: «رب السبت» ورب السبت يعني بالتالي رب الناموس، وبالأولى يهوه ذاته واضع السبت والناموس. وفي إنجيل ق. مرقس (3:1-6) بدء التقليد، يضعها المسيح هكذا مكشوفة عارية: «هل يحل في السبت فعل الخير أو فعل الشر: **تخليص نفس أو قتل.** فسكتوا. فنظر حوله **إليهم** بغضب حزيناً على غلاظة قلوبهم» لأن في نهاية هذه القصة في إنجيل ق. مرقس انكشفت ضمائرهم الشريرة **القاتلة** هكذا: «فخرج الفريسيون مع الهيرودسيين وتشاوروا عليه لكي يهلكوه» ! (مر 3:6). فالمسيح بحق ساءلهم بغضب: «هل يحل في السبت **تخليص أو قتل؟**» لأنهم أضمروا في قلوبهم أنه إن فعل المعجزة وشفى (خلَّص) فإنهم يقتلونه. وقد عبَّر ق. مرقس بصراحة وبلغة يونانية واضحة **تخليص حياة** أو تخليص نفس yuc¾n sîsai لأن الشفاء عند ق. مرقس وعند ق. لوقا بالأكثر هو تخليص أو فعل خلاص. وسوف نراها تتكرَّر في إنجيل ق. لوقا (7 : 50) في قصة المرأة الخاطئة وفي (8 : 48) في قصة المرأة نازفة الدم، وفي (لو 17 : 19) في قصة الأبرص السامري، وفي (لو 18 : 42) في أعمى أريحا، إذ أوضح ق. لوقا فيهم جميعاً فعل الخلاص المساوي والسائد على فعل الشفاء. وإذ ركّز هذا الفعل في السبوت كانت نبوَّة مسيحية عن الخلاص الذي سيتم بموت المسيح ودفنه يوم السبت والذي قام منه فجر الأحد مبرهناً حقًّا

وبالحقيقة أنه رب السبت، رب الراحة الحقيقية بالخلاص الأبدي.

أمَّا في بقية القصة التي جاءت واضحة عند ق. مرقس، التي يذكر فيها بوضوح في (مر 3 : 6) أنهم **تشاوروا ليقتلوه** في السبت إن فعل هذا الخير، أي أتمَّ فعل الشفاء أو الخلاص للنفس! يشرح ق. لوقا تأثير المعجزة على نفوس الفريسيِّين فيقول: «فامتلأوا حمقاً وصاروا يتكالمون فيما بينهم ماذا يفعلون بيسوع.» (لو 6:11)

والمُلاحَظ في إنجيل ق. لوقا أن المسيح في بداية خدمته كما في (4:31-37) يصنع الأشفية يوم السبت دون أن يكون هناك تربُّص أو محاولة للانتقاد الشديد، فكانت قوة المعجزة تغطِّي على كسر السبت. ولكن بتكرار هذا الأمر بدأ الكتبة والفريسيون يتربَّصون له ليأخذوا عليه خطأ كسر السبت، وجعلوها بعد ذلك إحدى الركائز في اتهامه بتغيير العوائد لتقديمه للصلب. وقد زاد هذا التربُّص لدرجة أن بعض العلماء(163) يعتقدون أن قصة الرجل ذي اليد اليابسة هي من صنع الكتبة والفريسيين وأنهم أحضروا الرجل ذي اليد اليابسة بتدبير سابق لامتحان المسيح.

6:6 **«وَفِي سَبْتٍ آخَرَ دَخَلَ الْمَجْمَعَ وَصَارَ يُعَلِّمُ. وَكَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ يَدُهُ الْيُمْنَى يَابِسَةً».**

«وفي سبتٍ آخر»:

مربوطة بالآية الأُولى في الأصحاح (1:6) «في السبت الثاني بعد الأول» وهي محاولة لربط الرواية بالحوادث المتشابهة وخاصة كسر السبت ومنازعة الفريسيين. أمَّا ق. مرقس فهو يعتبر هذه القصة التي وردت هنا مع التي وردت في قصة أكل السنابل أنهما حدثتا في نفس يوم السبت. والذي أضافه ق. لوقا على قصة الرجل ذي اليد اليابسة أنها اليد اليمنى، وأن لا حياة فيها بمعنى أنها عديمة الحركة والعصب لا يعمل فيها xhr£ أي **ضامرة،** والتي جعلت صاحبها يُحسب فاقد حركة اليد اليمنى، الأمر الذي جعل المسيح يتحنَّن عليه ويعطيه الشفاء الذي يغيِّر وجه حياته كلها، والتي اعتبرها المسيح حالة "خلاص نفس" أي فتح الطريق بين قلبه والله! وهنا نبتدئ نحن أن ننظر إلى معجزات الشفاء التي صنعها المسيح في ذلك الزمان، والتي يصنعها معنا حتى الآن، أنها تتم على مستوى خلاص النفس وليس سعادة الجسد؛ بمعنى أن معجزة الشفاء هي بمثابة فتح قلب الإنسان على الله ليقبل عطية الإيمان بالمسيح لنوال الحياة الأبدية. وهنا أيضاً نودّ أن ننبِّه أذهان شعبنا القبطي الذي انحرف بتقليده الإنجيلي الأصيل وذهب يطلب الشفاء **بقلب معلَّق**

(163) B. S. Easton, cited by H. Marshall, *op. cit.,* p. 234.

بأسماء قديسين سواء أحياء أو منتقلين أن هذا يُحسب انحرافاً في الإيمان وخسارة في النتيجة لا تعوَّض، فحتى لو شُفي الإنسان الذي يتعلّق بأسماء قديسين فهذا يُحسب شفاءً جسدياً وليس خلاصاً روحياً، يزيد الإنسان إعجاباً وإيماناً بالقديسين وليس إيماناً بقوة المسيح على خلاص النفس. فالقديس مهما علت قدرته لا يمكن أن يزيد عمله عن الشفاعة، ولن تزيد شفاعة قديس عن التوسُّل، ولكن المسيح هو الذي يعطي الشفاء (بدون شفاعة أو بشفاعة، إذ يتحتم أن نؤمن بأن المسيح هو الشفيع الأعظم أمام الله) على أساس واحد هو خلاص النفس، حيث ينفتح القلب على الله لتمجيد المسيح والالتصاق به.

7:6 **«وَكَانَ الْكَتَبَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ يُرَاقِبُونَهُ هَلْ يَشْفِي فِي السَّبْتِ، لِكَيْ يَجِدُوا عَلَيْهِ شِكَايَةً».**

من روح هذه الآية يستشف القارئ أن الكتبة والفريسيين هم الذين أحضروا هذا الإنسان المعوَّق وأجلسوه أمام المسيح وجلسوا هم من بعيد يراقبونه. إنها نصب شباك أتقنها أعداء المسيح حتى الصليب. ولكن شكراً لله، فأعمال الكتبة والفريسيين السلبية الحاقدة تحولت كلها بقوة المسيح إلى أعمال خلاصية وإيمانية وتعليمية ذات قيمة عظيمة جداً. وأصبحت كخطوات وعلامات على طريق الحياة، وعلى أساسها كُتب الإنجيل وتمَّت في النهاية نصرة المسيح وارتفاعه إلى السماء فاتحاً لنا نحن المؤمنين به طريقاً جديداً، بجسده المذبوح والإيمان به، حتى إلى الأقداس. فهم منذ البدء أرادوا قتل المسيح والمسيح أراد خلاص الذين يؤمنون به. والذي حدث هو أنهمنجحوا في النهاية في قتله فعلاً حسب ما أضمروا، وهو نجح في تكميل الخلاص الذي أضمره للذين آمنوا ويؤمنون به.

والعجيب أنه في كتاب تعليم الفريسيين المدعو "يوما *Yoma*"(164) مصرَّح عمل الشفاء للمريض إذا كان مدنفاً للموت أو إذا كان هناك عملية ختان أو ولادة. وهذه كلها تفيد أن حياة الإنسان وخلاصه أعلى من السبت وتدعو لكسره. ولكن يبدو أنه حتى على مستوى علمهم الذي كانوا يعلّمون به، لم يكونوا على مستوى العدالة والمنطق السليم في الحكم على أعمال أشفية المسيح التي كان يقصد فيها فعلاً حياة وخلاص الإنسان.

8:6 **«أَمَّا هُوَ فَعَلِمَ أَفْكَارَهُمْ، وَقَالَ لِلرَّجُلِ الَّذِي يَدُهُ يَابِسَةٌ: قُمْ وَقِفْ فِي الْوَسَطِ. فَقَامَ وَوَقَفَ».**

(164) H. Marshall, *op. cit.*, p. 235.

القديس مرقس يزيد على قول ق. لوقا أنه عرف أفكارهم بأنه «**نظر حوله إليهم بغضبٍ حزيناً على غلاظة قلوبهم**» (مر 5:3). هذا يكشف لنا أن معرفة المسيح بخطايا القلوب ليست على مستوى المعرفة وحسب، بل وتمتد إلى الفعل الذي ظهر هنا أنه **غضب وحزن** معاً. غضبٌ علينا وحزنٌ في نفسه!!

+ «لأننا قد فنينا بسخطك **وبغضبك** ارتعبنا، قد جعلت آثامنا أمامك، خفياتنا في ضوء وجهك. لأن كل أيامنا قد انقضت برجزك، أفنينا سنينا كقصة. أيام سنينا هي سبعون سنة، وإن كانت مع القوة فثمانون سنة وأفخرها تعب وبلية، لأنها تُقرَض سريعاً فنطير.» (مز 90: 7-10)

الشيء الذي يغيب عن جميعنا هو أن المسيح هو هو جالس في السماء يتفحَّص قلوب محبيه والمؤمنين به، يغضب على حماقات نفوسنا ويحزن على غلاظة قلوبنا.

وفي هذه القصة نجد المسيح يرد عملياً على ما أخفوه من مؤامرة فيأمر الرجل بأن يقف في الوسط. وهكذا يبدأ بأخذ المبادرة بالرد على خبثهم ويقتحم ظنونهم ويكمِّل عمله الذي جاء من أجله. فخِطط الأشرار لا تمنع المسيح من أن يكمِّل رحمته.

9:6 «**ثُمَّ قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: أَسْأَلُكُمْ شَيْئاً: هَلْ يَحِلُّ فِي السَّبْتِ فِعْلُ الْخَيْرِ أَوْ فِعْلُ الشَّرِّ؟ تَخْلِيصُ نَفْسٍ أَوْ إِهْلاَكُهَا؟**» والآن يقدِّم المسيح للغاضبين المترصدين لأخطاء المسيح سؤالاً منطقياً يقوم على بديلين: هل في يوم السبت المقدَّس يحل عمل الخير أو فعل الشر؟ هذا بديل ويماثله: تخليص نفس أو إهلاكها؟ وباليونانية تأتي: "**خلاص نفس** = yuc¾n sîsai" حيث "نفس" هنا هي ترجمة الكلمة الأرامية: nepas (نَفَسْ) وتعني "الشخص" أكثر منها "الحياة" (لا 30:23؛ عد 11:35)، حيث sîzw تعني الخلاص أكثر من الشفاء، أي خلاص الإنسان من الموت. ولكن من فم المسيح المخلص فهي على المستوى البعيد تعني الخلاص من موت اللعنة. وهذا يكشف عن صفة السبت التي قصدها الله من جهة خير الإنسان وخلاصه القائمة في عنصر المحبة.

ووضع المسيح بالنسبة للرجل ذي اليد اليابسة ليس كوضع الناموس أو الناموسيين ومعهم الكتبة والفريسيون الذين يقفون أمام صاحب اليد اليابسة وقفة العجز والصمت، إذ ليس لهم **اختيار** أن يعملوا الخير أو الخلاص بالنسبة لليد اليابسة. أمَّا المسيح فهو قادر أن يعمل الخير والخلاص. أمَّا الناموسيون والكتبة والفريسيون فهم غير قادرين على عمل الشفاء أو الخلاص يوم السبت، ولكن

قادرين على قتل المسيح أي قتل الخير والخلاص. وعدم القدرة على **عمل** الخير عموماً يوم السبت معناه ترك المتألّم يتألّم وهذا هو الشر عين الشر. بل وإزاء الخير والخلاص الذي عمله المسيح ليابس اليد يوم السبت لم يقوَ الكتبة والفريسيون أن يبقوا صامتين، فكان يمكن أن يُحسب لهم الصمت خيراً، ولكنهم تحركوا ليهلكوا يسوع! فأثبتوا أن الناموس على أيديهم لم يحتمل عمل الخير والخلاص والحياة يوم السبت ولكنه قادر فقط على عمل الشر وإهلاك النفس. وهذا كشفٌ لعوار الناموس وكل مَنْ يتحيَّز له تحيُّزاً أعمى.

10:6 «**ثُمَّ نَظَرَ حَوْلَهُ إِلَى جَمِيعِهِمْ وَقَالَ لِلرَّجُلِ: مُدَّ يَدَكَ. فَفَعَلَ هكَذَا. فَعَادَتْ يَدُهُ صَحِيحَةً كَالأُخْرَى**»

هنا وبهذا العمل في هذا الموقف كان يتحتَّم أن يتهلّل كل إنسان على الأرض، ويُعطي المجد لله الخالق الذي يعتني بخليقته حينما يفسد منها عضو ليُعيد له صحته بأحسن مما كان. فالعمل عمل خَلقي خالص ويتحتَّم أن يُنسب لله وحده! لأنه ليس طبيب ولا قوة في الوجود بقادرة أن تعيد إلى اليد الضامرة التي فقدت كل عناصر الحيوية صحتها إلاَّ الله وحده. هنا كان يتحتَّم أن يولد الإيمان بالمسيح أنه حقًّا ابن الله وأنه مسيًّا الخلاص والحياة، وعصر الأشفية والعجائب وإعادة الإنسان إلى قلب الله. ولكن عوض الإيمان عند الكتبة والفريسيين وُلِد الحقد وغلظة القلب وشهوة القتل.

11:6 «**فَامْتَلأُوا حُمْقاً وَصَارُوا يَتَكَالَمُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ مَاذَا يَفْعَلُونَ بِيَسُوعَ**»

أخذ ق. لوقا آية ق. مرقس وأعاد صياغتها بلغته حيث لم يذكر دور الهيرودسيين الذي أعطى لتقليد ق. مرقس الأصالة والقدم للنص، مع أن ق. لوقا لم يغب عنه عداوة هيرودس للمسيح إذ أنه ذكرها في (31:13). ولم يتمادَ القديس لوقا في المؤامرة التي اتفقوا عليها. ولكن من مجرى الحديث لم يكن في استطاعتهم عمل شيء، وظلَّ المسيح يعمل كما هو.

(ج) تعاليم المسيح لتلاميذه
(49-12:6)

بعد ما قدَّم لنا ق. لوقا صورة عامة عن خدمة المسيح، وأوضح العلاقة المتوترة التي تربطه بمقاوميه من الكتبة والفريسيين، بدأ يقدِّم عيِّنة من تعاليم المسيح لتلاميذه مبتدئاً بكيفية دعوتهم للرسالة (6:12-16)، وبعدها يصف حال نزوله من الجبل بعد أن أكمل اختيارهم، حيث كان في انتظاره حشد متزاحم من كافة الكور المحيطة يطلبون الشفاء لمرضاهم (6:17-19). ولكن وسط أعمال أشفية المسيح لم يكف ق. لوقا عن ذكر تعاليم المسيح لتلاميذه عن واجبات الرسالة التي دعاهم إليها.

ويرى العالِم إيلليس[165] أن ق. لوقا إنما يحذو في وصفه حذو سفر الخروج لمَّا صعد موسى على الجبل ليتكلَّم مع الله ويستلم الناموس، ثم نزل ومعه الناموس ليقدِّمه للشعب كما جاءت في (خر 19:32و34).

ولكن يرى عالِم آخر وهو شورمان[166] أن وصف ق. لوقا جاء صورة طبق الأصل من إرسال المسيح لتلاميذه قبيل ارتفاعه، بعد أن علَّمهم ليكرزوا للكنيسة في العالم كله.

1 ـ دعوة التلاميذ الاثني عشر
(16-12:6)

(مت 10: 1-4)
(مر 3:13-19)

واضح هنا أن المسيح ألقى عظته على الجبل (6:20-49) مباشرة بعد دعوة تلاميذه وأنه وجهها خاصة لتلاميذه، فهم المقصودون بالمساكين، مع أن جمهور الشعب كله كان حاضراً. ويؤكِّد هذا ق. لوقا هكذا: «ورفع عينيه إلى **تلاميذه** وقال: **طوباكم أيها المساكين** لأن لكم ملكوت الله، طوباكم أيها الجيَّاع الآن ... الباكون ... إذا أبغضكم الناس وإذا أفرزوكم

[165] E. E. Ellis, cited by H. Marshall p. 236.
[166] H. Schürmann, cited by H. Marshall p. 236.

وعيَّروكم ...» أمَّا عند ق. متى فلم يكن الكلام موجَّهاً للتلاميذ مما أعطى الإيحاء لكل الوعَّاظ أن يستخدموا العظة على الجبل ليطبِّقوها على جميع الناس: «ففتح فاه وعلَّمهم قائلاً: **طوبى للمساكين بالروح، لأن لهم ملكوت السموات.** طوبى للحزانى، لأنهم يتعزَّون ...» (مت 2:5)، مع أن ق. متى نفسه بعد قليل بدأ يواجه التلاميذ أنهم هم المقصودون بهذا الكلام هكذا: «أنتم ملح الأرض ... أنتم نور العالم ... فليضئ نوركم هكذا قدَّام الناس ... »(مت 13:5-16). وما كان يخص التلاميذ حينئذ هو ما يخص الكنيسة كلها الآن.

ولكن ميزة ق. لوقا بصدد تعيين الاثنـي عشر عن باقي الأناجيل أنه اهتم بوضع حادثة صعود المسيح إلى الجبل وكيف قضى الليل كله في الصلاة قبل البدء في تعيين التلاميذ وإلقاء عظة التكريس على التلاميذ والشعب معاً. وهنا كانت عين ق. لوقا مسلَّطة على كيفية اختيار الكنيسة للخدَّام، فهو يمثِّل التقليد المتأخِّر عن ق. مرقس وق. متى في كيفية تعيين المسئولين عن الخدمة. وهذا يُحسب للقديس لوقا لمحة إبداعية في تقليد الكنيسة فيما بعد القديس مرقس. فإن كانت عين ق. مرقس في تقليده الكتابي الكنسي اللاهوتي مسلَّطة منذ البدء، منذ أول آية حتى آخر آية على "يسوع المسيح ابن الله"؛ فعين ق. لوقا سُلِّطت منذ البدء على قيام الكنيسة وتاريخها وتسليمها التقليد الأول بكل تدقيق ليرفع معرفة الكنيسة والشعب إلى مستوى الدقة التاريخية واللاهوتية والتقليدية معاً.

12:6 «**وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ خَرَجَ إِلى الْجَبَلِ لِيُصَلِّيَ. وَقَضَى اللَّيْلَ كُلَّهُ فِي الصَّلاَةِ للهِ**»

هذه اللفتة المباركة في قصة اختيار التلاميذ الاثنـي عشر بقيام المسيح بالصلاة طول الليل على الجبل وحده يمتاز بها إنجيل ق. لوقا، وتنقص عند ق. مرقس وعند ق. متى. أما عادة المسيح في الصلاة على الجبال فنراها واضحة في (لو 28:9 و37:21؛ مر 46:6). وكأن الجبال بارتفاعها وهدوئها قريبة من الله.

وقول ق. لوقا بتشديد أن الرب أمضى الليل كله في الصلاة يُعتبر أصل التقليد الكنسي في إقامة طقس سهر الليل في بعض الأيام داخل الكنائس، وطقس السهر عند الرهبان في قلاليهم. وواضح أن طقس سهر الليل يلتزم بطول الليل كله، حيث يحوِّل بنو النور ظلام العالم إلى نور الحياة. هكذا نسمع عن تسبحة نصف الليل في طقس الصلاة. وتسبحة نصف الليل عند الرهبان تبدأ بالقول: "قوموا يا بني النور لنسبِّح رب القوات"، حيث يقدِّمون تسبيحهم كذبائح مقدَّمة على المذبح السمائي من ثمار شفاههم المعتبرة كذبائح شكر مقبولة تدخل إلى عظمة

الآب السمائي مع رائحة ذبيحة الجلجثة.

وقد أخذت الكنيسة المرتشدة بالروح القدس طقس سهر طول الليل قبل تعيين الاثنـي عشر كتقليد كنسي في رسامة الأساقفة والبطريرك اقتفاءً بتدبير المسيح من أجل كنيسته.

كما التجأت الكنائس والأديرة إلى إقامة صلوات السهر طول الليل في الضيقات والملمَّات التجاءً إلى الله الآب والمسيح، رافعة أمرها لتنال تدخُّلاً سريعاً من عند الرب. وقد عاينَّا وشاهدنا ونشهد بقوة هذه الصلوات والاستجابة السريعة والإعجازية التي أكملها المسيح معنا في ظروف متعدِّدة خرجت منها الكنيسة منتصرة.

وإيماننا بأن مسيح الجبل الساهر الليل بطوله لا يزال قائماً هو هو ساهراً على كلمته ليجريها وعمله في وسط السنين يحييه. وقد أوصى الرب بالسهر والصلاة: «اسهروا وصلُّوا لئلاً تدخلوا في تجربة» (مت 41:26)، «طوبى لأولئك العبيد الذين إذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين.» (لو 37:12)

13:6 «**وَلَمَّا كَانَ النَّهَارُ دَعَا تَلاَمِيذَهُ، وَاخْتَارَ مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ، الَّذِينَ سَمَّاهُمْ أَيضاً رُسُلاً**»

واضح أن عدد التلاميذ عموماً كان كبيراً، ربما سبعين أو أكثر، وهؤلاء دعاهم واختار منهم اثنـي عشر. وبهذا المعنى أيضاً ذكر ق. مرقس كيفية اختيار الاثني عشر الذين أرادهم. ويُظن من سياق الكلام أن بقية التلاميذ نزلوا من الجبل وبقي المسيح والاثنا عشر وحدهم. وواضح أن المسيح عيَّن الاثنـي عشر بطريق الاختيار الشخصي ™klex£menoj وهي طريقة الله منذ البدء (عد 16: 5و7).

وكون المسيح سمَّى çnÒmasen تلاميذه رُسلاً، فذلك لتوضيح عملهم بالنسبة للمسيح، بمعنى أنهم سيبقون مع المسيح ثم يُرسلهم ¢postšllw للتعليم وإخراج الشياطين. وهذه هي ميزتهم عن بقية التلاميذ. وفي إنجيل ق. لوقا وحده نسمع أن المسيح نفسه سمَّاهم رُسلاً. ويُعتقد أن لقبهم كرُسُل ذُكر أولاً بعد القيامة، أمَّا تحديد الرسل ليكونوا هم **"الاثني عشر"** بالتعريف كاصطلاح قائم بذاته فجاءت بعد ذلك.

ويُلاحَظ أن اللقب المعروف بالعبري Selihã والذي تنطقه الكنيسة القبطية سليح وتدعو به الرسل بالرسل السليحين فلا تعني أكثر من "إنسان يُرسَل". فهي ليست ذات اعتبار فنّي إنما تعني أن الرسل هم المعتبرين ممثلين للمسيح الذي أرسلهم بصفة خاصة.

والمُلاحَظ من جهة تلميح ق. لوقا للتقليد الكنسي التاريخي أنه يحدِّد هنا بدء قيام الكنيسة على

أساس الرسل باعتبارهم الاثنـي عشر ليوضّح فيها عملية استمرار خدمة المسيح على الأرض بتعيين الاثنـي عشر وإرسالهم، حيث إرساليتهم شملت جميع الأمم. وهذه لفتة بديعة من ق. لوقا.

16-14:6 «**سِمْعَانَ الَّذِي سَمَّاهُ أَيْضاً بُطْرُسَ وَأَنْدَرَاوُسَ أَخَاهُ. يَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا. فِيلُبُّسَ وَبَرْثُولَمَاوُسَ. مَتَّى وَتُومَا. يَعْقُوبَ بْنَ حَلْفَى وَسِمْعَانَ الَّذِي يُدْعَى الْغَيُورَ. يَهُوذَا أَخَا يَعْقُوبَ، وَيَهُوذَا الإِسْخَرْيُوطِيَّ الَّذِي صَارَ مُسَلِّماً أَيْضاً**».

إنجيل ق. مرقس (19-16:3)	إنجيل ق. متى (4-2:10)	إنجيل ق. لوقا (16-14:6)	سفر الأعمال (13:1)
«وجعل لسمعان اسم بطرس ويعقوب بن زبدي ويوحنا أخا يعقوب، وجعل لهما اسم بوانرجس أي ابني الرعد. وأندراوس وفيلبُّس وبرثولماوس ومتى وتوما، ويعقوب بن حلفى وتدَّاوس وسمعان القانوي، ويهوذا الإسخريوطي الذي أسلمه»	«الأول سمعان الذي يُقال له بطرس وأندراوس أخوه، يعقوب بن زبدي ويوحنا أخوه فيلبُّس وبرثولماوس، توما ومتى العشَّار، يعقوب بن حلفى ولباوس الملقَّب تداوس، سمعان القانوي، ويهوذا الإسخريوطي الذي أسلمه»	«سمعان الذي سمَّاه أيضاً بطرس وأندراوس أخاه يعقوب ويوحنا فيلبُّس وبرثولماوس، متى وتوما يعقوب بن حلفى وسمعان الذي يُدعى الغيور، يهوذا أخا يعقوب ويهوذا الإسخريوطي الذي صار مسلّماً أيضاً»	«بطرس يعقوب ويوحنا وأندراوس وفيلبُّس وتوما وبرثولماوس ومتى ويعقوب بن حلفى وسمعان الغيور ويهوذا أخو يعقوب»

من جهة ترتيب الأسماء نجد ق. لوقا يختلف عن ق. مرقس بوضع أندراوس ثانياً بعد بطرس، وهذا هو الوضع الطبيعي لأنه أخوه، وهو بذلك يتبع ق. متى. كذلك نجده يحذف تداوس الذي ذكره ق. متى تحت اسم لباوس أيضاً، ويضع أخيراً يهوذا أخا يعقوب الذي لم يذكره لا ق. مرقس ولا ق. متى.

والغريب أن هذه الأسماء تختلف قليلاً عن التي جاءت في سفر الأعمال (13:1) مع أن واضع الاثنين هو ق. لوقا وذلك من جهة ترتيب الأسماء فقط. ومن المُلاحظ أن سمعان يأتي في بداية

القائمة في الأربعة مواضع.

ولكن حاول ق. لوقا أن يخفّف من أسلوب ق. مرقس في ذكره لاسم بطرس بأن سمعان جعل له اسم بطرس فذكر أن المسيح سمَّاه أيضاً بطرس، وبقي ق. لوقا يسمّيه سمعان فقط حتى (8:5) حيث ذكره سمعان بطرس، وبعد ذلك صار يعطيه اسم بطرس فقط. ولكن في 31:22 و34:24 عاد يذكره باسم "سمعان".

وواضح أن الاسم الذي أعطاه المسيح لسمعان "Kepha كيفا" كان تأكيداً لدوره في وسط الاثنـي عشر كما ذكرها ق. متى: "الأول سمعان". واسم كيفا أوكيفاس أي الصخرة، التي رآها المسيح أنها تصلح أن يضع عليها الكنيسة باعتبارها **الإيمان** الذي نطقه ق. بطرس: **«أنت هو المسيح ابن الله الحي.»** (مت 16:16)

أمَّا الاسم الثاني أندراوس فهو مرفق باسم أخيه بطرس، ولو أن في سفر الأعمال وفي إنجيل ق. مرقس أيضاً نجد اسم أندراوس يأتي بعد اسمي يعقوب ويوحنا ابني زبدي ليأخذ ترتيبه حسب الأهمية. فبطرس ثم يعقوب ثم يوحنا ثم أندراوس. ولا يعود ق. لوقا إلى ذكره إلاَّ في سفر الأعمال (13:1)، مع أنه ذُكر في إنجيل ق. مرقس (3:13) وفي إنجيل ق. يوحنا (41:1و45، 8:6، 22:12).

واسما يعقوب ويوحنا أخيه يعطيهما ق. لوقا بدون العودة إلى نسبهما إلى أبيهما وبدون إعطائهما اسم بوانرجس الذي اختص به إنجيل ق. مرقس فقط. وق. لوقا يذكر يعقوب قبل يوحنا باعتباره الأكبر سناً ويجمعهما مع بطرس كثالوث منتخب من المسيح لمرافقته دائماً: « بطرس ويعقوب ويوحنا»

ولم يعتن ق. لوقا أن يذكر أسماء التلاميذ اثنين اثنين كما في إنجيل ق. متى وسفر الأعمال، بل ذكر كل واحد في الوضع اللائق به.

أمَّا فيلبُّس وبرثولماوس فيأتيان معاً، وفيلبُّس يبدو شخصية بارزة كما هو في إنجيل ق. يوحنا (43:1-48، 5:6-7، 2:12و21، 8:14 إلخ). أمَّا برثولماوس فلا نجد له أي دور في الأناجيل غير أنه يظهر في إنجيل ق. يوحنا في الأصحاح الأول باسم نثنائيل (يو 45:1-51 و2:21)، إذ أن في الأناجيل قد نجد للرسل أكثر من اسم. متى وتوما أخذهما ق. لوقا عن ق. مرقس ولكن لا أحد منهما ذُكر في إنجيل ق. لوقا بعد ذلك.

أمَّا اسم تداوس فقد حذفه ق. لوقا، وقدَّم اسم سمعان، ومع أن ق. مرقس يلقّبه القانوي واختصارها في الأرامية qan'anA، دعاه ق. لوقا "الغيور" ويعني به التصاقه بجماعة اليهود الوطنيين الذين صاروا

في مقدِّمة الحرب مع روما، وكانت هذه الحالة قد تلاشت أيام المسيح ولكن بقيت كمجرَّد لقب.

يهوذا أخو يعقوب وقد تحقَّق الاسم في إنجيل يوحنا «يهوذا ليس الإسخريوطي »(22:14). وقد وضعه ق. لوقا في قائمته عوض تداوس عند ق. مرقس، وحرَّكه ق. لوقا ليأتي مع يهوذا الإسخريوطي. وتداوس عند ق. مرقس Qadda…oj هو باليوناني QeÒdotoj وبالأرامية Tadda… ولكن ليس على مستوى المعنى ولكن النطق فقط.

وأخيراً يهوذا الإسخريوطي، وكلمة الإسخريوطي يختلف هجاؤها في المخطوطات، وذلك يرجع إلى عدم معرفة النُّسَّاخ بمعنى الكلمة، والتقليد يعطيها معنى يهوذا الذي من قريوت Kariot وقد تكون مختصراً لكلمة Sicorius التي تعني قاتل أو ذبّاح assassin. وقد تكون مجرَّد تخليق من كلمة seqar وتعني الغاش أو الفالصو The false one. وهذه المعاني كلها تجتمع لوصف الخائن. ولكن المعنى الأكثر لياقة يفيد "عديم الإيمان". وهنا يأتي من بعيد الظلُّ القاتم للآلام.

القيمة العظمى للاثني عشر في الإيمان المسيحي:

يحتل الاثنا عشر في الإيمان المسيحي وضعاً ذا قيمة لاهوتية عظمى، وهذه القيمة اللاهوتية تبرزها الآية: «مبنيين على **أساس الرسل** والأنبياء، ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية» (أف 20:2). وهنا يحتل الرسل مركز الأساس للكنيسة والإيمان المسيحي عامة، مرتكزين على المسيح نفسه. فالاثنا عشر محسوبون في التقليد الكنسي **"الكنيسة الأولى".** وعلى هذا يشكّلون لاهوتياً أول صورة لجسد المسيح على الأرض بعد المسيح نفسه. فالمسيح لمَّا عيَّن التلاميذ الاثنـي عشر رسلاً، امتد المعنى في الحال إلى مفهوم دوام بقاء المسيح على الأرض في الاثنـي عشر، فخدمة الرسل هي امتداد أصيل ولاهوتي لخدمة المسيح على الأرض. وبهذا نلمح في أسرار العشاء الأخير، المحسوب الفصح الأول المسيحي، نلمح سر عطاء المسيح نفسه للاثنـي عشر، إذ لمَّا قسَّم جسده وأعطى لتلاميذه، وكذا الدم، تقبَّل الاثنا عشر المسيح نفسه كاملاً مذبوحاً: «فمَنْ يأكلني فهو يحيا بي» (يو 57:6). وبذلك ضَمِنَ المسيح بقاءه على الأرض في التلاميذ، ومن يد التلاميذ أطعمت الكنيسةُ المسيحَ نفسه للمؤمنين به مأكولاً على مدى العصور. وعلى هذا نشأ في سر الإفخارستيا الأعظم أن المسيح يعطي جسده ودمه بيده من خلال الأسقف والكاهن، بمعنى أن كل إفخارستيا هي امتداد للفصح في عشاء الخميس. هذا بالإضافة إلى تسليم الاثنـي عشر النطق بفم المسيح: «**الذي يسمع منكم يسمع مني** والذي يرذلكم يرذلني، والذي يرذلني يرذل الذي أرسلني» (لو 16:10)؛ بل وقد حسب المسيح رسله كشخصه: «الحق الحق أقول لكم: الذي يقبل مَنْ أرسله (الرسل) يقبلني، والذي يقبلني يقبل

الذي أرسلني.» (يو 13:20)

وهنا يتحتَّم علينا أن ندرك القيمة العليا للاثنـي عشر في الإيمان المسيحي، إذ حُسبوا في جملتهم كشخص الرب، حاملين صلاحيات تمثل شخص المسيح: «فقال لهم يسوع أيضاً: سلام لكم. **كما** أرسلني الآب أرسلكم أنا» (يو 21:20). وهكذا ينكشف بقوة أن إرسالية الرسل هي على مستوى إرسالية الله الآب للمسيح، بمعنى أن الاثني عشر هم إرسالية المسيح للعالم ولهم مواهب وصلاحيات إرسالية المسيح نفسه حتى غفران الخطايا:

+ «ولمَّا قال هذا نفخ وقال لهم: اقبلوا الروح القدس. مَنْ غفرتم خطاياه تُغفر له ومَنْ أمسكتم خطاياه أُمسكت.» (يو 20: 22و23)

وهكذا امتد فعل الخلاص والكرازة به ليغطِّي كل الأرض بواسطة الاثنـي عشر ثم الكنيسة على مدى الدهور. والعجيب أن القيمة العظمى للرسل تظل على درجتها العظمى في السماء، إذ يقول المسيح إنهم سيجلسون على اثني عشر كرسياً يدينون أسباط إسرائيل الاثنـي عشر (لو 30:22)، بل ونسمع أنهم يشكلون أساسات أُورشليم السمائية. بمعنى أنهم كما هم هنا أساس الكنيسة، فهناك هم أساسها بالدرجة الأُولى: «وسور المدينة كان له اثنا عشر أساساً وعليها أسماء رسل الخروف الاثنـي عشر» (رؤ 14:21). لذلك أصبح من مفاخر إيماننا الآن أن نقتني علاقة حب للرسل وتكوين دالة واتصال بهم لتزداد معرفتنا بسر الإنجيل والمسيح.

2 ـ تجمُّع الشعب

(19-17:6)

(مت 23:4-25)
(مر 3: 7 - 12)

هنا يعود ق. لوقا إلى مبدأ الكلام الذي تجاوزه والذي يأتي في إنجيل ق. مرقس (3:7-12) أي قبل اختيار الاثني عشر، ويصيغ ق. لوقا الكلام باعتباره بدء العظة، موضِّحاً أنه كان يوجد مع التلاميذ جموع أُخرى كثيرة من الشعب لتسمع العظة (1:7). بمعنى أن العظة لم تُلقَ على التلاميذ فقط، مع أن الكلام في إنجيل ق. مرقس يوحي بذلك أي أن المسيح انتهى من كلامه مع الجموع ثم صعد إلى الجبل ودعا الذين أرادهم، وأقام اثني عشر ليكرزوا معه وليرسلهم ليكرزوا (مر 13:3-14).

ويوضِّح القديس متى باختصار أن المسيح رأى الجموع أولاً، ثم صعد إلى الجبل، ثم تقدَّم إليه تلاميذه وابتدأ يعلّمهم. وهكذا نستخلص من الثلاثة أناجيل اتصال العظة على الجبل بالجموع وبالتلاميذ، ولكن يختص ق. لوقا بالتأكيد على أن المسيح كان في موضع سهل بعد وجوده على الجبل: «ونزل معهم ووقف في موضع سهل هو وجمع من تلاميذه» (17:6). ويزيد عليها ق. لوقا حدوث أشفية لجميع أصناف الأمراض لجميع فئات الشعب الذين تجمهروا. وبعدها بدأ العظة موجِّهاً إياها نحو تلاميذه.

17:6 **«وَنَزَلَ مَعَهُمْ وَوَقَفَ فِي مَوْضِعٍ سَهْلٍ، هُوَ وَجَمْعٌ مِنْ تَلاَمِيذِهِ، وَجُمْهُورٌ كَثِيرٌ مِنَ الشَّعْبِ، مِنْ جَمِيعِ الْيَهُودِيَّةِ وَأُورُشَلِيمَ وَسَاحِلِ صُورَ وَصَيْدَاءَ، الَّذِينَ جَاءُوا لِيَسْمَعُوهُ وَيُشْفَوْا مِنْ أَمْرَاضِهِمْ».**

واضح أن المسيح نزل من الجبل هو وتلاميذه الجدد الاثنا عشر الذين عيَّنهم رُسُلاً، إلى حيث كان الشعب قد تجمَّع وتجمهر من بلاد كثيرة. وواضح أن ق. لوقا يحاول أن يصيغ الكلام على مستوى نزول موسى من الجبل وتقابله مع الشعب (خر 1:32، 7، 15-29:34). والفارق الكبير أن المرضى وحاملي المرضى جاءوا يطلبون الشفاء من طبيب البشرية المقتدر. وقد يكون وصف ق. لوقا للموضع السهل يفيد أنه في سفح الجبل ولا يزال أيضاً عالياً عن مستوى المدن. والمكان كان بالقرب من كفرناحوم وقد تجمَّع معظم تلاميذه مع جماعات الشعب، ويمكن رؤية ثلاث مجموعات بسهولة: تلاميذه الأخصاء الاثنا عشر وبقية تلاميذه ربما السبعين أو أكثر ومجموعات الشعب من كل المدن، يُضاف إليهم المرضى من كل نوع. ويذكر ق. لوقا أن الشعب جاء من كل اليهودية وأُورشليم وساحل صور وصيدا، ولو أن هذين الموضعين خاصين بالأمم، وقد امتنع ق. مرقس عن ذكرهما وذكر أُورشليم.

18:6 **«وَالْمُعَذَّبُونَ مِنْ أَرْوَاحٍ نَجِسَةٍ. وَكَانُوا يَبْرَأُونَ».**

بينما نجد ق. مرقس يعطي سبب تجمهر هذه الجماهير من المواضع المختلفة إلى كونهم قد سمعوا بما صنعه يسوع، نجد ق. لوقا يقول إنهم: «جاءوا ليسمعوه» وهذه إشارة ذكية ليقدِّم العظة التي ابتدأها يسوع، مفضِّلاً التعليم على الأشفية، وهو بهذه اللفتة إنما يحدِّد أن رأسمال الكنيسة الأكثر أهمية هو في التعليم أكثر منه في السعي للشفاء. الأمر الذي بدأنا بكل أسف نسمع عنه كثيراً في وضعه المعكوس في الكنائس الأخرى، خاصة في الخارج، إذ أصبح التركيز في الوعظ والاجتماعات

على حالات الشفاء أكثر جداً من السمع للكلمة والتعليم. في حين كان همّ المسيح الأول في إجراء المعجزات والأشفية هو لفت النظر لحقيقة الفداء والخلاص الذي جاء ليكمّلهما عن العالم؛ حتى أن ق. لوقا ـ كما جاء في صفحة 259 أعطى لكلمة الشفاء معنى الخلاص، باعتبار أن الشفاء يخلّص من الموت في صورته البدائية الجسدية، ولكن من جهة الروح فشفاء الجسد هدفه الأعظم خلاص الروح. لذلك نسمع كلمة الشفاء متعادلة بوضوح مع "اذهب **مغفورة لك خطاياك**" بالنسبة للإنسان المشلول الذي دلُّوه من السقف، فحمل سريره وذهب إلى بيته صحيحاً بالجسد مخلَّصاً بالروح.

لذلك يتحتَّم على الكنيسة أن تدرك أن عملية شفاء المرضى هي عملية غفران خطايا بالدرجة الأولى، كما نص عليها ق. يعقوب في رسالته: **«وصلاة الإيمان تشفي المريض والرب يقيمه، وإن كان قد فعل خطية تُغفر له.»** (يع 5:15)

فالشفاء والخلاص عند ق. لوقا تعبير واحد باعتبار أن الإنسان روح أكثر منه جسد. وهذا الأمر يظهر أكثر في حالات الذين كانوا معذبين من أرواح نجسة. فالذي يُشفى من تسلُّط الشيطان فهو يبرأ ويخلص بآن واحد.

19:6 **«وَكُلُّ الْجَمْعِ طَلَبُوا أَنْ يَلْمِسُوهُ، لأَنَّ قُوَّةً كَانَتْ تَخْرُجُ مِنْهُ وَتَشْفِي الْجَمِيعَ».**

كان معروفاً لدى الجميع أن الذي يلمس المسيح أو يلمسه المسيح كان يُشفى في الحال. وهنا يعبِّر ق. لوقا عن هذا السر بأن المسيح كان مصدر قوة فعَّالة تنتقل بسهولة باللمس تَشفي في الحال، ولكن يؤكِّد ق. لوقا هنا أن بهذه الطريقة شُفِيَ **الجميع**.

وفي الحقيقة يعتبر التعبير الذي عبَّر به ق. لوقا عن الشفاء بالقوة التي تخرج من المسيح باللَّمس، يُحسب تفسيراً لاهوتياً لعملية الشفاء مبنياً على ما تمَّ مع نازفة الدم: «فقال يسوع مَنْ الذي لمسني ... قد لمسني واحد لأني علمت أن قوة قد خرجت مني.» (لو 8: 43-48)

وواضح غاية الوضوح أن القوة التي يحملها المسيح هي لاهوته التي إذا تلامست مع جسد مريض يأخذ كمال صحته في الحال، أو مع جسد مسكون أو ممسوس بالشيطان يخرج صارخاً في الحال. فهي القوة الخالقة والمصحِّحة للخليقة والشافية لها من كل أسقامها.

3 ـ العظة في السهل
(49-20:6)

الجزء الأول من العظة:

(أ) صنفان من الناس:
التطويبات والويلات
(26-20:6) (مت 5:1-12)

تجيء عظة المسيح في إنجيل ق. لوقا مختصراً للعظة على الجبل التي وردت في إنجيل ق. متى (5-7). والمتفق عليه أن الخطوط الأساسية هي واحدة في العظتين، ولكن التي جاءت في إنجيل ق. متى تحمل سمات الإضافات الكثيرة.

والاختلافات بين نص العظتين ـ حسب رأي بعض العلماء ـ تعود إلى التغيير في النقل الشفاهي والتغيير في التقليد من إقليم لإقليم، ومن بيئة لبيئة. أمَّا الأساس عامة فهو واحد. والواضح أن ق. متى حظى بمجموعة أكبر من العظات وجمعها معاً.

ولم يستقر العلماء على تعليل الفوارق ولا استطاعوا أن ينتهوا إلى تحليل ثابت للعظة التي جاءت في إنجيل ق. لوقا، لذلك وجدنا أنه من الأفضل أن نركّز اهتمامنا على نص الآية ونشرحها أكثر من الجمع بين الآيات وتقسيم المقاطع.

20:6 **«وَرَفَعَ عَيْنَيْهِ إِلَى تَلاَمِيذِهِ وَقَالَ: طُوبَاكُمْ أَيُّهَا الْمَسَاكِينُ، لأَنَّ لَكُمْ مَلَكُوتَ اللهِ».**

بينما نجد المسيح في إنجيل ق. متى يوجِّه النظر والحديث للجموع، نجد أن النظر والكلام هنا عند ق. لوقا موجَّه نحو التلاميذ، وسيان فالتلاميذ هم مساكين المساكين فالكل مُخاطب.

«طوباكم أيها المساكين»: Mak£rioi of ptwco...

"طوباكم" (ماكاريي) تفيد السعادة الخالية من الهموم، وهي تُنسب خطأً للأغنياء في نظر

الفقراء، وتأتي هنا بمعنى: "يا لسعادة المساكين". وكلام المسيح ينصبُّ على السعادة الإلهية التي تكون من نصيب المساكين، حيث السعادة الإلهية هي في حقيقتها سعادة الخلاص الذي يكون من نصيب الذين تمسكنوا حقًّا جوعاً وعُرياً واعتازوا ولم يجدوا الكفاف ومدُّوا أيديهم لقبول الحسنة، راضين، ولكن في المقابل يكونون سعداء حقًّا فرحين راضين شاكرين، إذ يحسُّون متأكدين أنهم نالوا النصيب المقابل من الله.

ولكن توجد أيضاً كلمة باليونانية أكثر شيوعاً تعني الطوبى وهي eÙloghtÒj وتعني أيضاً مبارك (1 : 68)، ومقابلها بالعبري "باراك"، وهي تُستخدم بكثرة وتعني ما يسبغه الله على الإنسان من نعمة وسعادة وبركة سواء في العطايا الجسدية أو الروحية، ولكنها تُستخدم بالأكثر في موضع حرج وهي مباركة الإنسان لله: «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح» (أف 3:1) كنوع من التسبيح والمديح، في حين نادراً جداً ما تستخدم mak£rioj في مباركة الله.

وقد اختلف العلماء في أيهما أصح: ق. متى الذي يقول: "طوباهم" أم ق. لوقا الذي يقول: "طوباكم" مخاطباً التلاميذ، ولكن الأغلبية تستحسن ما قاله ق. متى في الثلاث تطويبات الأولى. ولكن يتفق كل من ق. متى وق. لوقا في توجيه الطوبى الأخيرة للتلاميذ (مت 11:5 = لو 22:6). أمَّا الويلات فهي موجَّهة للمخاطب في كل من ق. متى وق. لوقا.

«المساكين»: ...ptwco

والكلمة اليونانية تعني: مَنْ هو قد بلغ من الفقر حتى الشحاذة(167)، أي صار مُعْدَماً. والكلمة العبرية مشتقة من كلمة AnAh| (عناء) أي معاناة الفقر أو الفقر حتى المعاناة. وتُستخدم في المزامير حينما يخاطب بها الإنسان الله بإحساس من هو مسكين مُعدم فقير، ولكن لا يقف من يتحدَّث مع الله أنه هكذا فقير ومسكين ومُعْدَم إلاَّ الإنسان التقي. فأصبحت نفس كلمة إنسان مسكين في الأدب العبري تنم عن تقوى وورع باعتباره إنساناً لا يحمل العنف لأحد؛ بل هو فقير ومسكين ومُعْدَم من كل أدوات الجاه والسلطان والعظمة. فهو يدعو إلى الله والله يستجيب لأنه ليس له سوى الله: «أمل يا رب أذنك، استجب لي لأني مسكين وبائس أنا، احفظ نفسي لأني تقي، يا إلهي خلّص أنت عبدك المتكل عليك.» (مز 1:86و2)، «من اغتصاب المساكين، من صرخة البائسين الآن أقوم يقول الرب ...» (مز 5:12)

(167) H. Marshall, *op. cit.*, pp. 249-250.

وهذه الكلمة لهذه الفئة بالذات "المسكين والمساكين" تدخل في منهج المسيح للخلاص، فللمسكين يأتي الرجاء من قبل يهوه الرب في العهد القديم بواسطة هذا الذي سيمسحه يهوه ليأتي بالأخبار السارة للمساكين: «روح الرب عليَّ لأنه مسحني لأبشّر المساكين، أرسلني لأعصب منكسري القلوب ...» (إش 1:61)، «... إلى هذا أنظر إلى المسكين والمنسحق الروح والمرتعد من كلامي.» (إش 2:66)

واضح أن المسكين والمساكين لهم اعتبار في عمل المسيح للخلاص، ولكن ليس على مستوى الاحتكار كفئة تختص بالخلاص، بل كنموذج يُقاس عليه اتجاه الله في نجاة الإنسان وخلاصه. والقديس بولس يحوم حول هذا المعنى بنفس القوة والاتجاه: «فانظروا دعوتكم أيها الإخوة، أن ليس كثيرون حكماء حسب الجسد، ليس كثيرون أقوياء، ليس كثيرون شرفاء، بل اختار الله جُهَّال العالم ليخزي الحكماء. واختار الله ضعفاء العالم ليخزي الأقوياء. واختار الله أدنياءَ العالم والمُزدرَى وغير الموجودِ ليُبطِلَ الموجودَ» (1كو 1:26-28). كذلك عرَّج على هذا المعنى ق. يعقوب أخو الرب: «اسمعوا يا إخوتي الأحباء، أما اختار الله فقراء هذا العالم أغنياء في الإيمان، وورثة الملكوت الذي وعد به الذين يحبونه؟ »(يع 5:2)

إذن، فمطلع العظة صادق ومتين كأساس بنى عليه المسيح فعلاً الإيمان والكنيسة ككل. فالإنجيل هو البشارة المفرحة لمساكين الأرض ولكن ليس على مستوى فقر المال أو العقل أو الجسد، بل مسكنة الروح وفقر النفس في حضرة الله القوي. والتلاميذ لم يكونوا من فقراء الأرض، بل صيَّادين من الطبقة الكادحة المتوسطة والغنية أحياناً، فزبدي وولداه كانت لهم سفن وأجراء. ولكن مَنْ يقدر أن يقرأ إنجيل ق. يوحنا ولا يقول إن هذا الإنجيلي الفائق في الروح والذي حلّق في الأزل والأبد ورأى وكتب تمسكن بالروح وألغى اسم نفسه من كتابه واسم أخيه وأبيه وأمه، واكتفى لنفسه بلقب «مَنْ أحبَّه الرب» فجعل حب المسيح له عوض اسمه وهويته ورأس ماله على الأرض، فاكتسب لنفسه الاضطهاد والنفي. وهكذا بقية التلاميذ نعرف مسكنتهم عندما طاردهم اليهود وأذلُّوهم واقتفى أثرهم هؤلاء الحكّام والولاة فأعدموهم. وكان المسيح قد سبق وأعلمهم بنصيبهم على الأرض.

والمسكنة بمعنى الفقر الشديد والعَوَز إلى الله، أي المسكنة والفقر من أجل الله وحبًّا فيه، هو المؤهّل الأكمل لدخول ملكوت الله. ولا يدخل في ذلك معنى الفقر الجسدي المادي وإن كان هذا أيضاً له العوض من الله إن كان على مستوى الشكر والتمسُّك بالله. فقصة لعازر المسكين ماثلة للعيان، الذي طُرح عند باب بيت الغني مضروباً بالقروح، يشتهي أن يشبع من الفتات الساقط من

مائدة الغني. هذا يقول المسيح إنه مات وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم، فالله يعرف كيف يعوّض خليقته إذا أُذلّت أو فاتها الحظ وذاقت المر والشقاء على يد بني آدم.

ويُلاحِظ العالِم هوارد مارشال أن المسيح أعطى الوعد بالملكوت في صورة المضارع ™st…n (يكون) بالنسبة للطوبى للمساكين، في حين أن بقية التطوبيات جاءت في المستقبل، وهو في الأرامية لازمني، ولذلك أُخذ في اليونانية على المستقبل. وهذا يرفع بصيرتنا لندرك أن عطية الملكوت لتلاميذه الاثني عشر جاءت في الحال، وأنهم مارسوا عطية الملكوت في حياتهم بالقدر الذي يؤهلهم للكرازة بالملكوت كشهود عيان. وهذا يرفع من قدر الرسل في وعينا وإيماننا ورجائنا وعلاقتنا وحبنا وتقديسنا لهم، فقد سقونا كأس الرب الذي شربوه من يده مرتين (مرَّة في عشاء الخميس ومرَّة تحت سيف الجلاَّدين). أقول سقونا من كأس دم المسيح، وهذا سبق تذوق الملكوت كما ذاقوه خلال كلمة الإنجيل، ومن سيرتهم وأسمائهم المرصَّعة على أساسات أُورشليم الجديدة (رؤ 21 : 14).

ويمتاز إنجيل ق. متى ـ حسب رأي بعض العلماء ـ في موضوع "المساكين" أنه أضاف إلى الكلمة صفتهم "بالروح"، وهي بهذه الإضافة لا تُحسب أنها مزيدة بواسطة ق. متى، ولكنه أخذها عن التقليد السائد في أيامه بمعنى أن الكنيسة ناقشت موضوع هؤلاء المساكين كما ناقشناه نحن هنا، وانتهوا إلى حتمية أنهم يلزم أن يكونوا مساكين بالروح، الأمر الذي اختصره ق. لوقا ونسب صفة المساكين للتلاميذ مباشرة. وبهذا تكون قد وقَّت الشرط الأساسي ليرثوا الملكوت، وهو اتباع الرب بعد أن باعوا وتركوا كل شيء وتمسكنوا لحسابه. ولكن ق. متى بوضعه المساكين في الصيغة العامة بدون تحديد وفي شرط الروح يكون قد أغنى الكنيسة كلها بإمكانية أن يكون كل المؤمنين مساكين بالروح وتلاميذ الرب. ويقول أحد العلماء إنه يبدو أن المسيح وضعها هكذا مرَّة عامة ومرَّة خاصة لتلاميذه في موضعين وبهذا يكون قد رجَّح النصّ في الإنجيلين.

21:6 **«طُوبَاكُمْ أَيُّهَا الْجِيَاعُ الآنَ، لأَنَّكُمْ تُشْبَعُونَ. طُوبَاكُمْ أَيُّهَا الْبَاكُونَ الآنَ، لأَنَّكُمْ سَتَضْحَكُونَ».**

كون المسيح يجمع مع المساكين الجياع فهو أمر واقعي: «أن تكسر للجائع خبزك وأن تدخل المساكين التائهين إلى بيتك. إذا رأيت عرياناً أن تكسوه وأن لا تتغاضى عن لحمك »(إش 7:58)، «إن أنفقت نفسك للجائع وأشبعت النفس الذليلة، يشرق في الظلمة نورك ويكون ظلامك الدامس مثل الظهر، ويقودك الرب على الدوام ويُشبع في الجدوب نفسك، وينشّط عظامك فتصير كجنّةٍ ريًّا وكنبع مياهٍ لا تنقطع مياهه.» (إش 58: 10و11)

«الجياع الآن»: peinîntej nàn

واضح في المعنى الأول البسيط أنه جوع الجسد، ولكن على ضوء صوت الأنبياء في العهد القديم يأتي الجوع بالمعنى الروحي أيضاً، حيث يكون هو رغبة عارمة للشبع من الروح والامتلاء من معرفة الرب: «أيها العطاش جميعاً هلموا إلى المياه والذي ليس له فضة تعالوا واشتروا وكلوا، هلموا اشتروا بلا فضة ولا ثمن خمراً ولبناً ... كلوا الطيب ولتتلذّذ بالدسم أنفسكم، أميلوا آذانكم هلموا إليَّ استمعوا فتحيا أنفسكم.» (إش 55: 1-3)

واضح هنا أن صوت الله ينادي الجياع والعطاش إلى الله والبر والقداسة والحب الإلهي، وهو يدعوهم ليأتوا إليه لأنه سيوزّع عليهم مجاناً عطايا ثمينة جداً تُشبع روحهم كما من دسم، وتروي نفوسهم كما من لبن وعسل. وهي العطايا التي جاء المسيح ووهبها لنا بالروح القدس من كلمة الحياة والأخبار السارة بالخلاص المجاني والفداء الثمين.

وفي هذه الآية التي جاءت في عظة المسيح: «طوباكم أيها الجياع الآن لأنكم تُشبعون» رجاء حار حيٌّ يبثّه المسيح في قلوب تلاميذه وقلوبنا، بالنسبة للواقع الزمني الذي نحياه الآن، في جوع روحي عارم نستشعره كلما رفعنا قلوبنا وأعيننا إلى السماء، فنحس أننا في غربة طالت عن وطننا السماوي ولا يسند قلبنا في هذه الغربة إلاّ فتات لا تُشبع ولا تُغني عن جوع. فالمسيح يعزّي الجياع إلى الله وإلى النعمة في عظته بأن جوعنا الآن يُحسب لنا بالطوبى لأننا نشتهيه شهوة ولا يُشبع شهوتنا إلاّ وعده الأكيد بالآتي حتماً الذي سيفيض علينا. فمَنْ جاع إلى الله ونعمته هنا فله الطوبى على مستوى من سيشبع هناك حتماً، على وزن قول المسيح: «مَنْ يأكلني فهو يحيا بي» (يو 6:57)، بمعنى مَنْ يأكلني بالروح هنا بالجسد والدم فسيحيا في ملء شبع المسيح هناك.

«طوباكم أيها الباكون الآن لأنكم ستضحكون»:

هي على وزن طوباكم أيها الجياع، فالباكون الآن يبكون لأن عزيزهم غائب، والذي أحبوه ووهبوا له الحياة برمتها هو في سَفَر: «الذي ينبغي أن السماء تقبله إلى أزمنة رد كل شيء »(أع 3:21)، وجهه ماثل أمامهم كل حين ولكن كما في ظل أو في مرآة أو في ضباب، كلما اقتربوا إليه بَعُد عنهم، فأصبحت دموعهم هي عزاؤهم لاحتمال حرمان يمارسونه كل يوم وكل ساعة: حبيب وعد بالمجيء وطال الغياب وليس من حبيب آخر يقوى أن يُشبع شهوة حبهم، فدموعهم تجري الليل والنهار كنداء صامت تطلب من أحبُّوه ولا رجاء طالما الزمن قائم وهذا الجسد، فالحبيب وعد برؤيا خارج هذا الزمن وهذا الجسد حيث تراه الروح رؤيا العين وتمتلئ منه، لتدخل إليه لتحيا ملء فرحه

ولتضحك من شدة القربى وشدة الفرح. هذا وعد حبيب لمحبيه وهو ضامن مجيئه كما يضمن الإنسان مجيء الفجر بعد ليل يطول:

+ «لا تغيب بعدُ شمسُكِ وقمرُكِ لا ينقص لأن الربَّ يكون لكِ نوراً أبديًّا وتكمل أيَّامُ نوحِكِ.» (إش 20:60)
+ «لأعزِّي كل النائحين، لأجعل لنائحي صهيون لأعطيهم جمالاً عوضاً عن الرماد ودُهنَ فرح عِوضاً عن النوح ورداءَ تسبيح عوضاً عن الروح اليائِسة، فيُدعونَ أشجار البرِّ غَرسَ الربِّ للتمجيدِ.» (إش 61: 2و3)
+ «افرحوا مع أورشليم وابتهجوا معها يا جميع محبِّيها. افرحوا معها فرحاً يا جميع النائحين عليها.» (إش 10:66)
+ «حينئذ تفرح العذراء بالرقص والشبَّان والشيوخ معاً، وأحوِّل نوحهم إلى طرب وأعزِّيهم وأفرِّحهم من حزنهم.» (إر 13:31)
+ «ومفديو الرب يرجعون ويأتون إلى صهيون بترنم وفرح أبدي على رؤوسهم. ابتهاج وفرح يدركانهم، ويهرب الحزن والتنهد.» (إش 10:35)
+ «بل افرحوا وابتهجوا إلى الأبد في ما أنا خالق لأني هاأنذا خالق أورشليم بهجة وشعبها فرحاً، فأبتهج بأورشليم وأفرح بشعبي ولا يُسمع بعد فيها صوت بكاء ولا صوت صراخ.» (إش 65: 18و19)
+ «عندما رد الرب سبي صهيون صرنا مثل الحالمين. حينئذ امتلأت أفواهنا ضحكاً وألسنتنا ترنُّماً. حينئذ قالوا بين الأمم إن الرب قد عظَّم العمل مع هؤلاء. عظَّم الرب العمل معنا وصرنا فرحين.» (مز 126: 1-3)
+ «لأن الخروف الذي في وسط العرش يرعاهم، ويقتادهم إلى ينابيع ماءٍ حيَّةٍ، ويمسح الله كل دمعةٍ من عيونهم.» (رؤ 17:7)
+ «ولا يكون حزنٌ ولا صراخٌ ولا وجعٌ في ما بعد، لأن الأمور الأولى قد مضت.» (رؤ 4:21)

22:6 «**طُوبَاكُمْ إِذَا أَبْغَضَكُمُ النَّاسُ، وَإِذَا أَفْرَزُوكُمْ وَعَيَّرُوكُمْ، وَأَخْرَجُوا اسْمَكُمْ كَشِرِّيرٍ مِنْ أَجْلِ ابْنِ الإِنْسَانِ».**

هنا يدخل ق. لوقا مباشرة في تطويب التلاميذ إذا وقعوا في الضيق والمعاناة وكل صنوف الآلام. وواضح هنا أنها لائقة أكثر مما سبق لحالة التلاميذ بالذات، مع الوعد بالفرح القادم. وهذه

الطوبى هي من واقع رؤيا المسيح المستقبلية بالنسبة للتلاميذ بعد أن يكون هو قد عانى نفس الاضطهاد.

«أبغضكم الناس»: mis»swsin

وصف لمستوى معاملة المقاومين لأولاد الله: «اسمعوا كلام الرب أيها المرتعدون من كلامه. قال إخوتكم الذين **أبغضوكم** وطردوكم من أجل اسمي. ليتمجَّد الرب، فيظهر لفرحكم وأمَّا هم فيخزون» (إش 5:66)، الأمر الذي أشرق على ذهن زكريا والد المعمدان لمَّا حلَّ عليه روح الرب ورأى مستقبل الخلاص من يد الأعداء: «خلاص من أعدائنا ومن أيدي جميع **مبغضينا** ... أن يعطينا أننا بلا خوف منقذين من أيدي أعدائنا نعبده بقداسة وبر ...» (لو 1: 71و74و75)

«أفرزوكم»: ¢for…swsin

وتعني العزل بمعنى الإقصاء من شركة الجماعة كنوع من الحرم بعملية اضطهاد منظَّمة.

«وعيَّروكم»: Ñneid…swsin

وهي التي ذكرها بطرس الرسول بوضوح: «إن **عُيِّرتم** باسم المسيح فطوبى لكم لأن روح المجد والله يحل عليكم. أمَّا من جهتهم فيجدَّف عليه وأمَّا من جهتكم فيمجَّد» (1بط 14:4). وهذا التعبير يُفهم منه أنه واقع وجهاً لوجه.

«وأخرجوا اسمكم كشرير»: ™kb£lwsin tÕ Ônoma Ømîn æj ponhrÒn

وهي عملية إذاعة اسم رديء على الرسل يصيرون بمقتضاه مكروهين ومذلولين بين الناس. وهي صناعة السنهدرين في تلويث سمعة المسيحيين في ذلك الزمان.

وطبعاً كل هذا يدور حول السبب الوحيد الذي يُقلق رجال الدين والسنهدرين وهو اسم ابن الإنسان، والكنيسة أخذت تطويب المسيح وسلَّمته لأولادها الذين يُظهرون الأمانة والولاء لابن الإنسان الذي هو ليس بعد على الأرض بل هو في السماء قائم يمارس عمله كما كان على الأرض.

23:6 **«اِفْرَحُوا فِي ذلِكَ الْيَومِ وَتَهَلَّلُوا، فَهُوَذَا أَجْرُكُمْ عَظِيمٌ فِي السَّمَاءِ. لأَنَّ آبَاءَهُمْ هكَذَا كَانُوا يَفْعَلُونَ بالأَنْبِيَاءِ».**

«افرحوا في ذلك اليوم»:

«افرحوا»: c£rhte

فرح السلام الذي يملأ القلب والحياة إزاء ما يقدَّم لكم من عَنَتٍ واضطهاد وملاحقة وإخراج من الجماعة وإعطاء أسماء وصفات رديئة لتهزيئكم.

«في ذلك اليوم»: ™n ™ke…nV tÍ ¹mšrv

في ذلك اليوم أي حينما يبدأ هذا الاضطهاد والمطاردة وليس في اليوم الأخير.

«وتهلّلوا»: skirt»sate

لا تفيد معنى التهليل بمعناه الروحي أي التسبيح لله بالفرح كالتعبير الطقسي، ولكن تفيد الرقص أو بحسب التعبير البلدي "يتنطّط من الفرح"، وهو التعبير عن الفرح الفائق عن الحد الذي يجعل الجماعة ترقص معاً رقصة الفرح، ذلك حسب عادة أهل الشام. وقد جاء هذا المعنى في إشعياء هكذا:

+ «فرحاً أفرح بالرب تبتهج نفسي بإلهي ...» (إش 10:61)
+ «وكفرح العريس بالعروس ...» (إش 5:62)

وقد تمَّ هذا المشهد بالفعل في التلاميذ أنفسهم: «ودعوا الرسل وجلدوهم وأوصوهم أن لا يتكلّموا باسم يسوع ثم أطلقوهم، وأمّا هم فذهبوا فرحين من أمام المجمع لأنهم حُسبوا مستأهلين أن يُهانوا من أجل اسمه (ابن الإنسان).» (أع 41:5)

أمّا سبب هذا الفرح العظيم والتهليل بالرقص فيذكره ق.لوقا بوضوح: «فهوذا أجركم عظيم في السماء» أمّا هذا الأجر فلم يفصح عنه المسيح، ولكن يبدو أن هذا الأجر سيشعر به المتألّمون حال ما يتألّمون إحساساً واقعياً حقيقياً وكأنه منظور. إذ يستحيل على المتألّم والمظلوم والمُضطهد والمطرود والمعيَّر باسم المسيح أن يفرح ويتهلّل بالرقص إذا لم يُستعلن له في لحظات ظلمه وبؤسه هذا الأجر السمائي، حتى أنه بمجرَّد استعلانه بالرؤيا فقط أو بالانتباه العقلي الداخلي ينشأ هذا الفرح والتهليل العارم. حتى أنه يُقال عن ثقة إن الشهيد يُدعى شهيداً لأنه حينما يبلغ لحظات الألم الأخير يشاهد الرب نفسه أمامه ماسحاً جروحه وآلامه ومعطيه سلامه، فلأنه يشاهد الرب دُعي شهيداً، فهو يشهد ويشاهد معاً. لذلك جاءت كلمة شهيد بالتضعيف أو التكثير مثل فهيمّ أي كثير الفهم، فهو شهيد أي أكثر مَنْ شاهد. يؤيد هذا قول الرب لتلاميذه: «فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلّمون، لأنكم تُعطَونَ في تلك الساعة ما تتكلّمون به، لأن لستم أنتم المتكلّمين بل روح أبيكم الذي يتكلّم فيكم» (مت 10: 19و20). فإن كان بمجرَّد أن يُسلّموا للحُكّام والولاة يعطيهم الله روحه الخاص ليتكلّم فيهم، فماذا يكون وماذا يُعْطَون ساعة شهادة الموت إلاّ يسوع المسيح نفسه مشدّداً وعاضداً ومشجّعاً ومعطياً سلاماً وهدوءاً وفرحاً وتهليلاً!!

«لأن آباءهم هكذا كانوا يفعلون بالأنبياء»:

هنا يرقد في هذه الآية معنيان عظيمان: الأول أن ضريبة الشهادة لله هي الآلام والتعذيب والموت

حتماً، سواء كان في العهد القديم أو في العهد الجديد، ولكن النصيب المقابل هو الكرامة والمجد عند الله. أمَّا المعنى الثاني فهو أن التلاميذ المتألمين بسبب شهادتهم للمسيح هم على مستوى الأنبياء العظام في العهد القديم. وبقدر ما عظمت الشهادة عَظُم الاضطهاد والألم وعظم المجد والفرح بالمقابل. فالصورة الأرضية الزمنية للاضطهاد من أجل المسيح تُنشئ واقعاً سماوياً مجيداً تنعكس صورته على المضطهد والمظلوم فتحوِّل آلامه وضيقه إلى فرح وتهليل سمائي. هذا هو وعد المسيح الذي قاله في العظة على الجبل فتحقَّق على مدى ألفين من السنين بشهادة التاريخ. حتى أن صغار المؤمنين والمؤمنات دوَّخوا الملوك والولاة وأقسى الحُكَّام واستهزأوا بعظمتهم الكاذبة وسيوفهم المسلولة. قال الضابط وهو رافع سيفه: «انظر هذا السيف» وهو يلمع في يده لكي يُرهب الشهيد، فرد عليه الشهيد: ‘‘يا سيدي إنه "بجريدة" (فرع من شجر النخيل) يمكن أن تقتلني’’!!

24:6 **«وَلَكِنْ وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الأَغْنِيَاءُ، لأَنَّكُمْ قَدْ نِلْتُمْ عَزَاءَكُمْ».**

«ولكن»: pl»n

هنا يقدِّم ق. لوقا حرف المضادة لما قبل: «طوبى لكم» فهنا «ولكن» تفيد أن القادم هو العكس.

«ويل»: oÙa...

وتفيد حالة الحسرة والخيبة للذين خرجوا من تحت رحمة الله وعنايته بإرادتهم. وهنا المخاطَب غائب، لأن المسيح يتكلَّم أمام التلاميذ ومن حولهم من ضعاف ومرضى القوم. والمسيح يخاطب قوماً يظنون أنهم سعداء بغناهم وهم في خطر الحرمان من الله. الأمر الذي تعرَّضت له القديسة مريم العذراء في نبوَّتها: «أشبع الجياع خيرات وصرف الأغنياء فارغين» (لو 53:1). أمَّا لماذا الحسرة على الأغنياء ولماذا صرفهم (بعد الحياة) فارغين؟ يقول المسيح: لأنهم استوفوا أو نالوا جزاءهم، بمعنى أن تعب الإنسان وشقاءه في العالم إمَّا لا يُجازى عنه في العالم إلاَّ بالحرمان والاضطهاد بسبب اسم المسيح، وإمَّا يُجازى عن تعبه وشقائه في العالم بالمال والغنى والسعادة والراحة والكرامة ويخرج من الدنيا فارغاً.

السؤال الحرج هنا: لماذا يُجازى الغني بالحرمان من عطايا الله في السماء؟ الجواب لأن الغنى يوفِّر للإنسان سعادته على الأرض ولكن ليس مجاناً إنما هو يستخدم طرق العالم ويسترضي الرؤساء بالمال والرشوة والممالأة وعدم ذكر اسم المسيح، ولا مانع من اختلاس حقوق الضرائب وإخفاء أرقام الدخل الصحيحة التي تُحسب غشاً وعدم إعطاء قيصر حقَّه كما أوصى المسيح: «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله» (مر 17:12). ومهما أعطى الغني من ماله للفقراء والكنائس فلا تُحسب عطية

خالصة إنما هي جزء من مال اكتُسب بدون حق، فهو مال متسخ.

هذا لا يمنع وجود أغنياء حصلوا على أموالهم بالجهد الصادق وبدون رشوة وبلا اختلاس حقوق ضرائب أو التزامات الدولة الأخرى، هؤلاء هم العظماء في الأرض وفي السماء، وهم كما حُسبوا أغنياءَ في العالم هم أغنياء في نظر الله وعنده لأن أموالهم كانت أموال الله. أعطوا منها بلا حساب وأفاضوا على أولاد الله والمحتاجين في كل مكان. ولنا أمام أعيننا أمثلة منهم رأيناهم وعرفناهم واختبرناهم فوجدناهم رسل رحمة وقديسين في الخفاء.

25:6 **«وَيْلٌ لكُمْ أيُّهَا الشَّبَاعَى، لأنَّكُمْ سَتَجُوعُونَ. وَيْلٌ لكُمْ أيـُّهَا الضَّاحِكُونَ الآنَ، لأنَّكُمْ سَتَحْزَنُونَ وَتَبْكُونَ».**

الويل الثاني للذين يشبعون الآن، والمعنى يجر معه الأغنياء الذين يصرفون أموالهم على الأكل والتنعُّم بالأطعمة، فهم لا يأكلون أكل الشبع فقط ولكن يُفرطون في الشبع فوق المزيد، وإذ يشغلون وقتهم وحياتهم ومالهم في الأكل والتنعُّم بالأطعمة فقط يضيع منهم حتماً ذكر الله وإشباع الجائعين وتقنين أوقات الصوم. فإعطاء الويل للشباعى يشمل حتماً ما يترتَّب على الشبع الآن من مهام ومسئوليات تُهمل في الحياة من أجل ملذات الأكل والشبع.

وإشعياء النبي يذكر ذلك ولكن بعد أن ينتهي الشبع ويأتي زمن التعويضات:

+ «لذلك هكذا يقول الرب: هوذا عبيدي يأكلون وأنتم تجوعون، هوذا عبيدي يشربون وأنتم تعطشون، هوذا عبيدي يفرحون وأنتم تحزنون.» (إش 13:65)

أمَّا تفسيرها الروحي بحسب منطق العهد الجديد فهو شبع النعمة وريّ الروح القدس.

أمَّا **الضاحكون الآن** فهو ضحك الهزءِ والسخرية والاستخفاف بأمور الله وأولاد الله وأفكار الله، وهو ضحك الزهو والكبرياء والاعتماد على المال والجمال والجاه والسلطان والرئاسة والتشفّي. فهؤلاء مستقبلهم الذي ينتظرهم هو الحزن والبكاء والعدم والحسرة على عظمة ذوت مع التراب، ومجد وسلطان ورئاسة دَرَسَها الزمان وذهبت مع الريح. هؤلاء الذين نالوا الويل هم أُولئك المستهزئون الضاحكون لغير ما هو ضحك. ضحكهم ضحك شر وعلى الشر، يسخرون من الحق ورجال الحق، ويستهزئون بالذين تمسَّكوا بكمالهم المسيحي ولم يرافقوهم في فكر أو عمل، لا يعبأون بآلام الآخرين ولا يشاركون أوجاع الموجوعين. هؤلاء يحسب الله ضحكهم تفريغاً للحياة من مضمونها الرزين، فلا تصبح لهم قيمة عند قياس مصائر الناس وحظوظهم في ملكوته ويُحرمون من مسرات الحق

هناك. فلا يُجَازون إلاّ بالحسرات والبكاء وصرير الأسنان. فالحياة ليست للضحك الرخيص بل هي امتحان للقلوب والضمائر وفرصة لقياس قامات الناس إزاء الإيمان بالله وتقييم الحق وتقويم الضمائر.

26:6 **«وَيْلٌ لَكُمْ إِذَا قَالَ فِيكُمْ جَمِيعُ النَّاسِ حَسَنًا. لأَنَّهُ هكَذَا كَانَ آبَاؤُهُمْ يَفْعَلُونَ بِالأَنْبِيَاءِ الْكَذَبَةِ».**

هذا هو الويل الرابع: وهو من نصيب الناس ذوي الصيت الحسن الذين يلتف حولهم المدّاحون والممالئون الذين يكيلون لهم ألفاظ التمجيد والتفخيم وألقاب الله كلها تجوز عليهم.

ويُلاحَظ هنا قوله «**جميع الناس**»، فهنا يكشف عن نوعية أصحاب الويل الرابع أنهم رؤساء كبار يدين لهم الناس بالخضوع، **كل الناس.** فهم يُمدحون لأنهم تحت الإرغام وبمقتضى الخضوع اللازم، يُمدحون من جميع الذين يمدحونهم صاغرين، ويمجّدون علناً ويُلعنون سرًّا. والله يرى أن مديح هؤلاء على مستوى الجميع هو ابتزاز الكرامة واستعباد الرقاب، لأنه لا يمكن أن يَمتدح **كل الناس** بلا استثناء إنساناً إلاّ إذا كان ذلك تحت الخوف أو التهديد أو الإيذاء. فالحرية تحد من المديح ليبقى للأعمال الجيدة والمعاملة الصالحة، فإذا حدثت محاباة أو سوء استخدام السلطان، فلا ينجو رئيس من النقد والذم إن كانت هناك حرية حقّة، فإذا غابت الحرية ساد الرعب وزاد المديح واختفى النقد البنّاء. فكأن الله هنا يحدُّ من الصيت الحسن والمديح ليكون فقط في محيط العمل الصالح والقدوة الصالحة قولاً وعملاً، ويعطي الفرصة للذم والاحتجاج والنقد البنّاء إزاء القول أو العمل الفاسد.

والمسيح هنا يشبِّه الإنسان، كائناً مَنْ كان، الذي يمدحه **كل** الناس مُساقين ومُنساقين إمَّا عن جهل أو عن خوف أو عن ممالأة، بمديح بني إسرائيل قديماً للأنبياء الكذبة حيث لُعن النبي الكذاب ولُعن معه كل مَنْ هتف له أو صفَّق أو كال له المديح. وهكذا بكل بساطة شبَّه المسيح الإنسان الكبير الذي يمدحه الناس، كل الناس، بلا تفريق بين العمل الخاطئ الذي يأتيه والعمل الحسن، شبَّهه بالنبي الكاذب الذي فُتن به الشعب الساذج الأحمق. «ويل للحكماء في أعين أنفسهم، والفهماء عند ذواتهم» (إش 21:5)، أي أن حكمتهم بشرية وفهمهم فهم ليس من عند الله، الذين أقنعوا الناس أنهم حكماء فيما لله وهم ليسوا كذلك، وفهماء فهماً إلهياً وفهمهم ذاتي ترابي، وأقنعوا الناس زوراً أن يمدحوهم وهم ليسوا أهلاً لمديح: «صار في الأرض دَهَشٌ وقشعريرةٌ. الأنبياء يتنبَّأون بالكذب والكهنة تحكم على أيديهم، وشعبي هكذا أحب، وماذا تعملون في آخرتها.» (إر 5: 30و31)

لذلك كل الذين يمدحون ويهلّلون للباطل مصيرهم مصير الأنبياء الكذبة وكل المروّجين لهم، لأنهم أضلُّوا الشعب عن الحق والله. والقول هنا ينطبق على الفريسيين. ولكن ق. لوقا على عينه

المعلّمين الكذبة في الكنيسة. ولهؤلاء يقول يعقوب الرسول: «اكتئبوا ونوحوا وابكوا، ليتحوَّل ضحككم إلى نوح وفرحكم إلى غم» (يع 9:4)، «هلموا الآن أيها الأغنياء ابكوا مولولين على شقاوتكم القادمة.» (يع 1:5)

الجزء الثاني من العظة:

(ب) المحبة والرحمة

(38-27:6) (مت 5:38-48، 7: 1و2)

من المُلاحَظ والمؤكّد أنه منذ بدء عظة المسيح على الجبل، كان الشغل الذي يشغل بال المسيح أن يتكلّم عن المحبة التي ينبغي أن تكون عمل التلاميذ الأول. وهذا يتضح من الموضع الذي خصَّصه للمحبة كقلب للعظة كلها وهو ما جاء في الأصحاح السادس من إنجيل القديس لوقا من الآية (27-31). بدأ المسيح الكلام عن المحبة بداية درامية مذهلة، إذ بدأه بحتمية **محبة الذين يضطهدونهم،** على أن تقدَّم المحبة مجاناً وتتبع القاعدة الذهبية أي: «كما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا أنتم أيضاً بهم هكذا» (31:6). وبعدها يؤكّد المسيح أن مثل هذه المحبة لها الأجر العظيم في السموات ويُحتسب هؤلاء المحبُّون أنهم أولاد الله. وينبِّه المسيح أن مثل هذه المحبة التي يضع أصولها وشروطها هي معادِلة لمحبة الله لبني الإنسان. وهنا حتَّم أن لا يدينوا أحداً حتى تصبح محبتهم حقًّا وفعلاً متساوية بين الجميع، مؤكّداً أن المحبة تُقدَّم مجاناً لكي ينال الإنسان ما يقابلها مجَّاناً بذات القياس «أعطوا تُعطوْا » ويا لعجب الرب، فنحن نعطي توافه فانية، وفي المقابل يعطي هو حبًّا أبوياً خالداً قادراً أن يجدِّد خلقتنا.

27:6 **«لكِنِّي أَقُولُ لكُمْ أَيُّهَا السَّامِعُونَ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ، أَحْسِنُوا إِلى مُبْغِضِيكُمْ».**

هنا عودة إلى السامعين الأقربين أي التلاميذ، وهنا تأتي الوصية على مستوى قامة الذي تتلمذ للمسيح وحمل صليبه وسعى وراءه متشبِّهاً به. وتأتي في إنجيل ق. متى: «وأمَّا أنا فأقول لكم: أحبُّوا أعداءكم. باركوا لاعنيكم. أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلُّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم» (مت 44:5)، ردًّا على الآية السابقة لها في العهد القديم: « سمعتم أنه قيل: تحب قريبك وتُبغض عدوَّك» (مت 43:5). وهذا يكشف مضمون العظة ككل، فهي منهج العهد الجديد في مقابل الناموس القديم. وهنا يظهر سلطان المسيح العالي الذي يرتفع بسهولة وحق فوق الناموس. ولكن

اصطلاح ق. لوقا في توجيه الكلام بالقول: «**لكم أيها السامعون**»، لا تفيد الواقفين السامعين في لحظة الكلام، بل والغائبين أيضاً وهم في فكر يسوع. ولكن إن كان الكلام موجَّهاً لتلاميذه فاصطلاح: «أيها السامعون» يفيد في أسلوب المسيح السامعين المطيعين بالعمل، وهو الأقرب إلى المعنى والقصد.

"أحبوا أعداءكم":

محبة العدو أو المبغِض عند المسيح هي محك المسيحية. فالعدو إن عادَى أولاد المسيح فطوبى لهم، ولكن عليهم أن يحبُّوه إن كانوا مسيحيين حقًّا. وهنا نواجه أكبر علامة تكشف الإنسان المسيحي، وهي محبة الأعداء.

وإذا جمعنا الآيات من إنجيل القديس لوقا التي تنشغل بالمحبة بعد الآية (27)، نجدها:

(32:6) : «وإن **أحببتم** الذين يحبونكم فأي فضل لكم»

(35:6) : «بل **أحبُّوا أعداءكم ...**»

(5:7) : «لأنه **يحب** أمتنا وهو بنى لنا المجمع» بخصوص قائد المائة الذي شفى المسيح عبداً له.

(42:7) : «وإذ لم يكن لهما ما يوفيان سامحهما جميعاً. فقل: أيهما يكون أكثر **حبًّا له**»

(47:7) : «من أجل ذلك أقول لك: قد غُفِرَتْ خطاياها الكثيرة لأنها **أحبَّت** كثيراً ...»

(27:10) : «فأجاب وقال: **تحب** الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل قدرتك، ومن كل فكرك، وقريبك مثل نفسك»

(13:16) : «لا يقدر خادم أن يخدم سيدين، لأنه إمَّا أن يُبغض الواحد **ويحب** الآخر، أو ...»

فإذا فحصنا أنواع هذه المحبَّات كلها لا نجدها تَمُت إلى العاطفة، بل إلى الإرادة الفاعلة والرغبة الصادقة لعمل ما هو صالح وحق نحو الله والآخرين.

لذلك وعلى هذا القياس، يطلب المسيح أن نحوِّل إحساس العداوة الذي نشعر به من نحو الذين يُبدون العداء والنفور والاضطهاد لنا إلى المحبة، حيث وإن صعب أن تكون محبة العاطفة، يتحتَّم أن تكون محبة الإرادة، بمعنى تسخير إرادة المحبة **لأداء فعل المحبة.** بمعنى، إن تعذّر عليَّ أن أقبّله فعليَّ أن أمدحه وأرسل له هدية، التي هي أفعال المحبة الإرادية، لا عن رياء بل عن طاعة للوصية؛ وأجامله في ظروفه الصعبة، فتصبح أعمالي تنم عن محبة وليس عداوة، ولا يهم إن هو بادَل أعمال المحبة بالعداوة أيضاً، فأستمر أنا في أعمال المحبة لأني لا أطلب أجراً أو نتيجة أرضية من أعمال محبتي، ولكن رضا الله وحسب. ولكن بدوام ضبط إرادتي لمحبة الأعداء، تظهر فضائل هذه الوصية، فأنتقل إلى المحبة القلبية الصادقة، لأني لا أحسب حساب العواقب أو ردود الفعل.

فالمطلوب أن تبقى المحبة أقوى من العداوة وأقوى من تهديد الموت، لأن مصدر وغاية المحبة هو الله، والله يتحتَّم أن يبقى أقوى من الموت، لأنه مُعطي الحياة.

وإذا فحصنا وصية المسيح لنا أن يحب الإنسان المسيحي عدوَّه، نجد أن الوصية في وضعها البشري هي على مستوى الاستحالة؛ فالطبيعة البشرية هي على كل حال طبيعة حيوانية تعمل على أساس الفعل ورد الفعل، فالعداء يقابله عداء بصورة حتمية. فإذا أردنا أن نحوِّل العداء إلى محبة، فهنا يلزم بل ويتحتَّم أن **نغيِّر الطبيعة ذاتها،** فعلى هذا الأساس قال المسيح وصيَّته. فالمسيح يطلب أن نُبادِل العداء بالمحبة على أساس أننا نلنا طبيعة جديدة ليست على مستوى البشر، فهي طبيعة روحانية خالدة التي أخذها المسيح بالقيامة من بين الأموات، على أنها لن تعود تخضع للموت أو العداوة المؤدِّية للموت مرَّة أخرى، **فهي طبيعة حيَّة بالله مُحِبَّة خالدة.** بمعنى أن قوة تحويل العداوة التلقائية الطبيعية إلى محبة هي قوة روحية مستمدَّة من الطبيعة الجديدة التي قام بها المسيح ووهبها لنا، وهي طبيعة سماوية خالدة تستمد صفاتها وقوامها من الله والمسيح، وهي غالبة للموت!

إذن، حينما يطلب المسيح منا أن نحب أعداءنا، فهو يأمرنا على أساس أنه قد سبق ووهب لنا قدراته المجانية من صميم طبيعته هو، لذلك صارت وصية محبة الأعداء هي المحك الأعظم لكشف حقيقة مسيحيتنا وصدق إيماننا وتحقيق معموديتنا وممارسة تناولنا وانفتاح ذهننا للإنجيل؛ بل وكشف عن مستوى محبتنا للمسيح والآب، ومحبة الآب والمسيح لنا التي انسكبت في قلوبنا.

وبالتالي **فإن محبتنا للأعداء تكشف في الحال عن حقيقة انسكاب محبة الله في قلوبنا بالمسيح يسوع.** وهكذا تصبح هذه الوصية: "محبة الأعداء" أقوى محك عملي للتعبير عن الإيمان المسيحي، وشهادة مقروءة لحالة محبة قائمة بيننا وبين المسيح والله.

وهذا يكشف عن سر عطاء الله الأجر العظيم في السماء، ثم الحصول على التبنِّي لله الذي سيورده ق. لوقا في الآية (35): «بل أحبوا أعداءكم، وأحسنوا وأقرضوا وأنتم لا ترجون شيئاً، فيكون **أجركم عظيماً** وتكونوا **بني العليِّ**، فإنه مُنْعِمٌ على غير الشاكرين والأشرار»

لأن محبة الأعداء لا يقوى عليها إلاَّ الله بصفاته المنزَّهة عن العداوة. إذن، فمحبة الأعداء تُدخلنا حتماً في محبة الله **كمستحقين لها،** وهذا يُدخلنا في سر البنوَّة له.

وبنظرة واحدة فاحصة، نجد أن الإنسان المسيحي وإن كان ليس بأعماله قط ينال الخلاص أو الفداء أو التبنِّي لله، لكنه يُحسب "ابناً للعلي" (35:6) بعمل واحد عجيب - بحسب وصية

المسيح ـ أن يحب عدوه بإرادة كاملة واعية متحمِّلة كل الخسارات الباهظة، فإن الرب وعد وعداً صادقاً بأن مَنْ يُتمِّم هذه الوصية يكون ابناً له وينال أجراً سماوياً عظيماً. بمعنى أن **محبة العدو هي العمل الوحيد** الذي يأتيه الإنسان بإرادته ليرث مواعيد الله ومحبته وبنوَّته، بل هي العمل الأساسي لنشر ملكوت الله على الأرض.

28:6 **«بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ».**

«باركوا»: eÙloge‹te

وتعني أن يصلّي الإنسان إلى الله ليحدر البركة من الله على لاعنه. أمَّا ما هي البركة في تدبير الله؟ فيمكن إعطاء صورة لها في العهد القديم:

+ «وتأتي عليكَ جميع هذه البركات وتُدركُكَ إذا سمعت لصوت الرب إلهك: مُبارَكاً تكون في المدينة ومُبارَكاً تكون في الحقل، ومباركة تكون ثمرة بطنِكَ وثمرة أرضِكَ وثمرة بهائِمِكَ نتاج بقرِكَ وإناثُ غنمِكَ. مباركة تكون سلَّتُكَ ومعجنُكَ. مُبارَكاً تكون في دخولكَ ومُبارَكاً تكون في خروجِكَ. يجعل الربُّ أعداءَكَ القائمين عليك منهزمين أمامك، في طريقٍ واحدة يخرجون إليك وفي سبع طرق يهربون أمامكَ. يأمر لك الرب بالبركةِ في خزائنك وفي كل ما تمتدُّ إليه يَدُكَ. ويُباركُكَ في الأرض التي يعطيك الرب إلهُكَ. يُقيمكَ الربُّ لنفسهِ شعباً مقدَّساً كما حلف لكَ إذا حفظت وصايا الرب إلهكَ وسلكتَ في طرقهِ ...،

يفتح لك الرب كنزه الصالح السماء ليُعطيَ مطر أرضِكَ في حينهِ وليُبارِك كل عمل يدكَ ...، ويجعلُك الرب رأساً لا ذَنَباً وتكون في الارتفاع فقط ولا تكون في الانحطاطِ إذا سمعتَ لوصايا الربِّ إلهكَ التي أنا أُوصيكَ بها اليوم لتحفظ وتعمل.» (تث 28: 2ـ10و12و13)

هذه هي صورة البركة التي ينبغي أن تملأ ذهننا حينما نطلبها من أجل الذين يلعنوننا، وهي ليست كثيرة بالنسبة للبركة الروحية التي ننالها نحن من جراء طلبها للآخرين.

«لاعنيكم»: katarwmšnouj

الكلمة هنا مأخوذة عن الأصل العبري الذي يفيد الحرمان.

«صلوا لأجل»: ... proseÚcesqe per

وتأتي هنا بمعنى الشفاعة، حتى لا تأتي على المسيئين أية لعنة من الله أو ضرر. وهكذا نلغي أثر الإساءة.

«**يسيئون إليكم**»: ™phreazÒntwn Øm©j
وتأتي في اليونانية بمعنى "يَشْتِم"، وقد استخدمها ق. بطرس هكذا:
+ «ولكم ضمير صالح، لكي يكون الذين يشتمون ™phre£zontej سيرتكم الصالحة في المسيح يخزون، فيما يفترون عليكم كفاعلي شر.» (1بط 16:3)

ونحن لو تمعنّا الآية الأساسية «أحبوا أعداءكم» والأصول الإلهية التي تعتمد عليها، باعتبار أن محبة الأعداء هي من عمل الإنسان الجديد الروحاني ذي الطبيعة الجديدة المستمدة من روح الله والمسيح، أصبح واضحاً كيف ومن أين يستطيع الإنسان المسيحي أن يبارك الذي يلعنه ويتشفَّع من أجل الذي يسيء إليه ويشتمه. لأن **محبة العدو** تهب طاقة روحية متسعة تغطّي كل أنواع أعمال الاضطهاد والظلم والإساءة، وبالتالي تحييدها بمعنى إلغاء أثرها.

29:6 «**مَنْ ضَرَبَكَ عَلَى خَدِّكَ فَاعْرِضْ لَهُ الآخَرَ أَيْضاً، وَمَنْ أَخَذَ رِدَاءَكَ فَلاَ تَمْنَعْهُ ثَوْبَكَ أَيْضاً**».

لم يذكر القديس لوقا هنا ما جاء في إنجيل ق. متى: «مَنْ سخَّرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين» (مت 41:5)، نظراً لأن هذه الوصية تتعلّق بالدولة الغاصبة الرومانية التي تُمارس أعمال السُّخرة، لذلك لم يذكرها باعتبارها لا تخص كثيراً قُرَّاءه من سائر الأمم.

«**ضربك**»: tÚptonti
وهي لطمة الكف أو بقبضة اليد، وهي تصيب الخد siagÒna. والقديس متى يذكر الضربة التي على الخد الأيمن وهي الأكثر إساءة وإثارة، بينما أسقط القديس لوقا هذا الاتجاه اليهودي لأنه ليس سارياً في الأمم.

وهنا في الحال ينتبه الذهن نحو الذي احتمله المسيح كما جاء في إشعياء: «بذلت ظهري للضاربين وخدي للناتفين، وجهي لم أستر عن العار والبصق.» (إش 6:50)
+ «والرجال الذين كانوا ضابطين يسوع كانوا يستهزئون به وهم يجلدونه، وغطّوْه وكانوا **يضربون وجهه**.» (لو 63:22و64)
+ «ولمَّا قال هذا **لطم** يسوع واحدٌ من الخدَّام كان واقفاً، قائلاً: أهكذا تُجاوب رئيس الكهنة؟» (يو 22:18)

والعدو دائماً يبدأ بلطم الوجه لإظهار الاحتقار والحقد والتحدّي. فإذا اعترض الإنسان، يبدأ العدو في إساءة أكبر.

«فاعرض»: p£rece
وهو وضع الخد في استعداد للّطمة الثانية، وهذا أشد وأعظم مهانة يقبلها الإنسان على نفسه أكثر وأخطر من المهانة التي يقصدها المعتدي!! والقديس متى يذكرها مخففة نوعاً ما: «فحوِّل stršyon له الآخر أيضاً» (مت 39:5). وهنا لا يجد المعتدي الشجاعة لكي يستمر في الاعتداء بسبب قبولنا للطم الخد في هدوء وعدم تحدٍّ، بل في رضا كمَنْ يسلّم الأمر إلى الله في وداعة.

بعدها يصف ق. لوقا إنساناً مغتصباً أو سارقاً حاول أن **يأخذ بالقوة** a‡rontoj رداءك الخارجي، العباية مثلاً أو البالطو أو ما فوق الملابس fm£tion. «فلا تمنعه» أي قدِّم له الملابس الداخلية أيضاً من تحت البالطو، الجاكتة مثلاً، أو ما تحت العباية أي الجلابية citîna. والقديس متى يضعها في صورة خناقة أو مخاصمة للنهب: «مَنْ أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك ...» (مت 40:5)

واضح من هذه الآية أن غرض المسيح في تعريض الخد الآخر هو إظهار نية الإنسان المسيحي أنه يريد أن لا يدخل في المقاومة التي تنتهي بشرور كثيرة، وأنه مستعد للإهانة وليس مستعداً للعراك والخصومة. وتعريضه خده الآخر للضرب هو محاولة شُجاعة وجريئة مدفوعة الثمن لجذب الخصم إلى السلام والكفّ عن الشر، وهذا أقوى ما في هذه الآية، بل وفيها سر السلام للإنسان المسيحي.

والملاحَظ في هذه الآيات المتوالية أنها تبدأ بالحركة الداخلية من محبة، والبركة على اللاعنين والصلاة من أجل المسيئين، ولكنها تطوَّرت إلى الحركة الخارجية عند مدّ اليد بالضرب والإهانة، أو الاغتصاب والقسر والسرقة؛ ولكن في كلا الحالين، إنْ داخلياً أو خارجياً، يُطلب منّا أن نكون هادئين محتملين إيجابيين ولا نكون سلبيين. وكل ذلك اعتماداً على أننا أخذنا طبيعة روحية جديدة لا ينبغي أن تنفعل ضد الشر؛ بل هي دائماً منفعلة بالخير والصلاح والحب في أقصى الظروف السلبية.

لذلك بالرغم من صعوبة هذه الآيات في التنفيذ ظاهرياً، ولكن على مستوى العمل والفعل يجد الإنسان قوة داخلية كنعمة ليست من طبيعته تعطيه الحكمة والاتزان والصبر والاحتمال، بل والحب والصلاة والبذل. بمعنى أن المسيح أعطى هذه الوصايا على أساس أنه سيكون هو نفسه مسئولاً عن تكميلها بإعطاء الإنسان الطبيعة الروحية الجديدة، مع تدفُّق النعمة وعمل الروح القدس. ونكرِّر ما قاله المسيح مبرهناً على منهجه الذي وضعه هكذا:

+ «ومتى قدَّموكم إلى المجامع والرؤساء والسلاطين فلا تهتموا كيف أو بما تحتجُّون أو بما تقولون، **لأن الروح القدس يعلّمكم في تلك الساعة ما يجب أن تقولوه.**» (لو 11:12و12)

هكذا أخذ الله على عاتقه أن يدافع عن أولاده في الحرج والضيقة والمواقف الصعبة

والمآزق

العنيفة، والسبب في هذا التدخُّل من جهة الله هو أن المسيح جرَّد الإنسان المسيحي من استخدام الوسائل والأسلحة والقدرات الجسدية والطبيعية، عالماً أن هذه كلها أسلحة ووسائل يستخدمها الشيطان في الشر وهلاك الناس. وعِوَض ما للجسد والطبيعة أعطى المسيح في داخل الإنسان النعمة والمواهب الروحية ليتّقي الشر ويتجنّب كل المواقف التي تأتي منها الشرور المهلكة والخسارة للنفس. والآية التي وضعها الله من مبدأ تعامله مع الإنسان هي القائدة لكل تفكير الإنسان أن: «الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون» (خر 14:14)، وكل مَنْ جرَّب هذه الحقائق فاز بوعد الله وذاق صدقه.

لذلك نحن نوعِّي القارئ أن هذه الوصايا صعبة وهي مستحيلة التنفيذ إذا حاولنا تنفيذها بقدراتنا الطبيعية، والمسيح كان يَعْلم ذلك وهو يقولها، ولكنها هي نفسها الوصايا التي تفرّق بين مَنْ هو مسيحي حائز على التجديد وعمل النعمة والروح القدس، وبين الإنسان الطبيعي وغير المسيحي. من أجل ذلك **يتحتَّم عند تنفيذها الاعتماد الكلّي على المسيح والروح القدس، والإيمان بوعد المسيح** العامل فينا والعامل معنا والمرافق لنا مدى الحياة.

30:6 **«وَكُلُّ مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ، وَمَنْ أَخَذَ الَّذِي لَكَ فَلاَ تُطَالِبْهُ».**

الجزء الأول من الوصية يبدو هادئاً، فالسائل معروف أنه المحتاج. والمحتاج له حق العطاء الفوري مهما كان، كما يقول المَثَل العامي: (الحسنة تجوز على راكبي الخيل). لهذا تجيء الوصية بالصورة العمومية: كل = pant... .

ولكن الجزء الثاني من الوصية يبدو مثيراً، فهو يعطي الانطباع أن الآخذ يستخدم القوة أو فرض الإتاوة أو الاغتصاب بدون وجه حق. والمسيح هنا يعطي النصيحة كأنما نحن نعامل طالب الحسنة أو المساعدة، فلا نعامله أو نحاسبه على أسلوبه الخشن أو العدائي، بل نفترض فيه الحاجة أو العوز؛ فنعطيه، أو نتركه يسلب ما يريد ولا نعود نطالبه نحن ـ لو كان لنا الحق بالمطالبة، أو القدرة على المحاكمة، أو استخدام القوة لاستعادة المغتصَبْ منّا، أو نحسبه ديناً عليه أن يردَّه؛ بل على العكس نعتبره تماماً كأنه فُقِدَ، أو كأنه أخذ منّا ما يحتاجه هو فلا نطالبه.

هنا أراد المسيح أن يضع الإنسان المسيحي في موضع صاحب الكنز المفتوح للمحتاج والمغتصب على السواء بدون تفريق، معتبراً أن ما بداخل الكنز يستطيع هو أن يملأه كلما فرغ، فلا حق لنا أن نمنع مَنْ يُريد أن يأخذ، لأن المال الذي يغتصبه هو أصلاً ليس ملكاً لنا، ولكن نحن وكلاء وحسب. وهذا نسمعه يتم حرفيًّا أيام الرسل: «وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة، ولم يكن

أحد يقول إن شيئاً من أمواله له، بل كان عندهم كل شيء مشتركاً.» (أع 32:4)

نفهم من هذا أن صورة المسيحي الأصلية هي أن ليس له شيءٌ، بل هو من الله يأخذ ويعطي. فإن قال المسيح: «مَنْ أخذ الذي لك فلا تطالبه» فهو إنما يُحكّم الله الذي يتحكّم في ماله وليس مالك، وما عليك إلاَّ أن تطيع وحينئذ ستعرف أن ماله لا يفرغ. وهو يعطي الوصية على أساس قدراته وليس على أساس قدراتنا، وبمقتضى سخائه وليس بحسب شُحّنا - وبيني وبينك أيها القارئ العزيز إن كان هو قد جعل ملكوته نهباً يُغتصب «ملكوت السموات يُغصب، والغاصبون يختطفونه» (مت 12:11)؛ فليس كثيراً أن يجعلنا نحن نذوق ونمارس كيف تُغْتصب أموالنا برضانا، لكي نرتفع إلى مستوى اغتصاب ملكوته بسهولة. ويبدو أن بين الاثنين علاقة سريَّة.

31:6 **«وَكَمَا تُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمُ افْعَلُوا أَنْتُمْ أَيْضاً بِهِمْ هكَذَا».**

وهنا يحط المسيح على المبدأ الإنساني الراقي الذي يُحسب الوصية الذهبية لكافة البشرية بكل أجناسها وألوانها. أمَّا ق. متى فأخّرها جداً ليضعها في الأصحاح (12:7) كختام نهائي للجزء الأساسي من العظة. ولكن عجَّل بها ق. لوقا لتأتي في هذا الموضع الحساس من العظة.

«كما»: kaqèj
وهذا الحرف يأتي بالعربية كأصله العبري تماماً، فبالعبرية يُقال kama. وإن كان ق. متى يضعها فيما يفيد العطاء: «فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم، لأن هذا هو الناموس والأنبياء» (مت 12:7). وقالها المسيح في إنجيل ق. متى تعليقاً على القول: «فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة، فكم بالحري أبوكم الذي في السموات، يهب خيرات للذين يسألونه» (مت 11:7)، ولكن ق. لوقا يضعها على مستوى السلوك أو التصرُّف.

وتعتبر هذه الوصية إيجابية للغاية حتى بالنسبة للذين يتعدُّون علينا ويأخذون مالنا فنبقى نودّ لهم الخير كما نشتهي أن يعاملنا الناس بالخير. بمعنى أن هذه الوصية تتخطّى سلبيات الناس ضدنا، إذ نبقى إيجابيين نحوهم بالرغم من سالبيتهم. وباختصار أرادنا المسيح أن نكون إيجابيين دائماً بالرغم من سلبيات الناس. وهذه هي الصورة المصغَّرة لعمل الله الذي يشرق شمسه على الأبرار والأشرار، ويغدق الخير على الجميع دون تفريق. وهكذا يُدْخِلنا الله بهذه الوصية تحت دائرة خيريته المطلقة، الأمر الذي يُعدّنا منذ الآن لنحيا في بركاته الأبدية.

32:6 **«وَإِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأَيُّ فَضْلٍ لَكُمْ؟ فَإِنَّ الْخُطاة أَيْضاً يُحِبُّونَ الَّذِينَ يُحِبُّونَهُمْ».**

هنا يعود ق. لوقا ليكمِّل ما قاله في الآية (27): «أحبوا أعداءكم ...» حيث يوضِّح هنا ويفسِّر معنى وعظمة هذه الوصية الرائدة والخالدة: «أحبوا أعداءكم» موضِّحاً أنها لا تمتُّ إلى مستوى الخطاة بصِلةٍ، بمعنى أنها عمل محبوس ومخصَّص للمفديين الذين فازوا بغفران خطاياهم وقبلوا ناموس الروح في الإنسان الجديد المولود من الروح القدس وكلمة الله.

وهكذا يكشف المسيح عن هويَّة محبِّي الأعداء، إذ أوضح أنها للذين نالوا نعمة مغفرة خطاياهم وقبلوا عطية الله إذ صاروا أولاده، الذين وُهبوا أعمال أبيهم السماوي. فصفة المحبة وحدودها عند الخطاة غير المفديين، أي الذين لم يقبلوا الميلاد الجديد، لا تخرج عن محبة الذين يحبونهم وهي تلقائية حيوانية للطبيعة القديمة؛ أمَّا استطاعة الإنسان أن يحب عدوَّه فهي مستمدة من روح الله، وتُحتسب له فضيلة وبرًّا مكتسباً من بر المسيح، وتكشف في الحال عن عمل النعمة.

ويُلاحِظ القارئ أن في حالة الخطاة الذين يحبون مَنْ يحبونهم بالمثل لا يُعتبر ذلك عيباً ولا خطأً، ولكن محبة الأعداء تكشف عن قوة وسر المسيح فينا وتشهد لعمل الله في قلوبنا. فالمسيح هنا يخاطب تلاميذه أن يكشفوا عن نعمة الله فيهم بأن يحبوا أعداءهم، فهذه تُحسب شهادة علنية للتغيير العظيم الذي نالوه بالإيمان بالمسيح وبالتالي شهادة تمجِّد الله والمسيح.

وقد ألمح إليها ق. بطرس، ولكن في معنى احتمال الظلم بصبر وشكر: «لأن هذا فضل، إن كان أحد من أجل ضمير (مسيحي) نحو الله، **يحتمل أحزاناً متألِّماً بالظلم**. لأنه أي مجد هو إن كنتم تُلطمون (حينما تكونون) مخطئين فتصبرون؟ بل إن كنتم **تتألَّمون عاملين الخير** فتصبرون، فهذا فضل عند الله.» (1بط 2: 19و20)

نفهم من هذا أن الإنسان المسيحي يمجِّد الله والمسيح إن هو أحبَّ عدوَّه فعلاً وبالعمل، كذلك وبحسب ق. بطرس إن ظُلم واحتمل بصبر وشكر فهذه شهادة علنية تمجِّد الله والمسيح. وهكذا يصبح سلوك الإنسان المسيحي في الوضع الإيجابي بمحبة الأعداء وفي الوضع السلبي بتحمُّل الظُّلم بالشكر، هو سلوك على مستوى الشهادة لتمجيد الله والمسيح. هذه هي صميم الأخلاق للإنسان المسيحي.

6:33 **«وَإِذَا أَحْسَنْتُمْ إِلَى الَّذِينَ يُحْسِنُونَ إِلَيْكُمْ، فَأَيَّ فَضْلٍ لَكُمْ؟ فَإِنَّ الْخُطَاةَ أَيْضاً يَفْعَلُونَ هكَذَا».**

هذه الآية تأتي على نمط الآية السابقة، بمعنى أن المسيحي له منهج أعلى بكثير من منهج الخطاة، أي الأشخاص الطبيعيين الذين يعيشون بالفطرة، أي بطبيعتهم البشرية البدائية.

«أحسنتم»: ¢gaqopoiÁte

وتأتي باليونانية عملتم عملاً صالحاً أو طيباً، ولكنها تأتي في إنجيل ق. متى: «وإن سلّمتم على إخوتكم فقط» (مت 47:5)، حيث "سلّمتم = ¢sp£shsqe"، وهذه تُفهم على أنها سلام القبلة الأخوية. ولكن ق. لوقا حوّلها إلى العمل الصالح، لأنه يتعذّر بالفعل سلام القبلة للأعداء أو الخصوم وهي عادة يهودية (شرقية عموماً). علماً بأن كلمة «أحسنوا إلى مبغضيكم» في الآية (27) جاءت kalîj poie‹te بمعنى العمل الحسن، لذلك تُرجمت إلى العربية بكلمة "أحسنوا"، فهي تعني العمل الطيب أو الجيد أو الحسن، وليس حسنة الصدقة.

ولكن فكر المسيح هنا يظهر بوضوح عند ق. متى (5 : 20)، إذ يقول: «إن لم يزد برّكم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات» فهمّ المسيح الأول بالنسبة للمؤمنين به أن يضمن لهم دخولهم ملكوت الله، وهنا في (مت 20:5) يكشف جيداً أن برَّ الإنسان المسيحي لابد أن يتفوّق على بر الناموس الذي يتمسّك به الكتبة والفريسيون، حيث الناموس يخاطب الطبيعة البشرية في وضعها الحيواني البدائي: «تحب قريبك وتبغض عدوّك» (مت 43:5). أمَّا ناموس المسيحي، فهو ناموس روحي يرتقي بأعمال الجسد لتصير أعمالاً روحية مشابهة لأعمال الله، وبالتالي مستمدَّة منه، حيث يصبح الإنسان العدو أكثر احتياجاً إلى محبة الإنسان وإظهار الأعمال الحسنة والطيبة له، لأن منهج المسيح هو المحبة الباذلة التي جعلت الصليب لها عنواناً ومصدراً ومصبًّا. فحمل صليب المسيح يحوي حتماً وبالضرورة البذل الكامل دون فحص حبًّا للجميع بلا تفريق، **حيث يصبح حب الأعداء أقوى أفعال الصليب:** «يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون.» (لو 34:23)

لذلك ليتذكّر الإنسان المسيحي دائماً أنه مطالب بأعمال تُدخِله ملكوت الله، وليس من بين أعمال الإنسان قاطبة عملٌ واحدٌ يمكن أن يُدخله ملكوت الله مثل محبة الأعداء وتقديم الأعمال الصالحة والحسنة لهم بلا تمييز بين حبيب وعدو، فهنا يقول الكتاب: «فيكون أجركم عظيماً وتكونوا بني العلي. فإنه منعم على غير الشاكرين والأشرار.» (لو 35:6)

34:6 **«وَإِنْ أَقْرَضْتُمُ الَّذِينَ تَرْجُونَ أَنْ تَسْتَرِدُّوا مِنْهُمْ، فَأَيُّ فَضْلٍ لَكُمْ؟ فَإِنَّ الْخُطَاةَ أَيْضاً يُقْرِضُونَ الْخُطَاةَ لِكَيْ يَسْتَرِدُّوا مِنْهُمُ الْمِثْلَ».**

هذه الوصية لا نجد لها المقابل في إنجيل ق. متى، وتكاد تكون منقطعة الصلة بباقي الوصايا.

«أقرضتم»: dan…shte
وهي عملية إعطاء السلفة بفائدة أو بدون فائدة، ولكن يبدو من روح الآية أنه إقراض بدون فائدة، حيث يترجَّى الناس عودة القرض كما هو. كما يمكن أن يكون معنى هذه الآية أن الذي يُقرض ينتظر من الذي أقرضه أن يرد المثل أو خدمات أخرى موازية، كما كان متَّبعاً عند اليهود، إذ لا يحل أخذ الرِّبا.

وفي الحقيقة رأينا في عصور المسيحية الزاهرة أن الأغنياء كانوا يقرضون المحتاجين ولا يطلبون إرجاع القرض إلاَّ إذا تيسَّر حال المقترض، أو ربما لا يستردونها بنوع من المساعدة المستورة.

وها هي هيئات مسيحية وكنائس لا حصر لها بدأت تقدِّم على مستوى العالم قروضاً ميسَّرة أو حتى مساعدات لا تُردّ، وحذت الحكومات الغنية حذو الكنائس والهيئات المسيحية وأصبحت تساعد الجماعات وربما الدول، وذلك كله نتيجة تأصُّل روح المسيحية والإنجيل في الشعوب الراقية الغنية.

ولا يزال حتى الآن أن بعض الكنائس الغنية تقوم في العالم كله وفي مصر أيضاً ـ إنما في حدود ضيقة للغاية ـ بمساعدة المحتاجين بإقراض قروض لا تُردّ إلاّ إذا شاء المقترضون ردَّها.

35:6 **«بَلْ أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ، وَأَحْسِنُوا وَأَقْرِضُوا وَأَنْتُمْ لاَ تَرْجُونَ شَيْئاً، فَيَكُونَ أَجْرُكُمْ عَظِيماً وَتَكُونُوا بَنِي الْعَلِيِّ، فَإِنَّهُ مُنْعِمٌ عَلَى غَيْرِ الشَّاكِرِينَ وَالأَشْرَارِ».**

وهنا يُبرز ق. لوقا فكر المسيح في الآيات السالفة في وصية واحدة إيجابية كختام، وفي النصف الأخير من الآية يكشف ق. لوقا عن الجزء المنتظر لكل الذين يحفظون وصايا المسيح ويتمِّمونها. وبنظرة فاحصة نجد أنه بقدر صعوبة الأوامر الثلاثة: أحبوا أعداءكم، وأحسنوا، وأقرضوا، يجيء الجزاء عظيماً.

ولكن يا للفرق بين صعوبة ما نلاقيه في تتميم هذه الأوامر الثلاثة وعظم الجزاء من الله في السموات، لأنه بقوله: «وتكونوا بني العلي» معناه أن الله سيغمرنا **بمحبته الأبوية** الخاصة جداً التي تضعنا في الحال في موضع الأبناء. ولكن لا يخفى عنَّا سرّ هذا اللغز، إذ أننا حينما نحب أعداءنا ونُحسن إلى مبغضينا ونقرض مَنْ يقصدنا دون أن نرجو منه رد القرض، نكون في الحقيقة عاملين عمل الله نفسه مع البشر.

وهكذا يفسِّر المسيح نفسه اللغز بقوله: «فإنه مُنعم على غير الشاكرين والأشرار» وهذا يعني أن المسيح بإعطائه هذه الوصايا بالرغم من صعوبتها إلاَّ أنها محاولة جادة من جهته تحوي تصميماً أن يؤازرنا في تكميلها بروحه القدوس ونعمته، لكي نُظْهِرَ في العالم "صورة الله نفسه"، كيف يتعامل مع الناس؟ الأمر الذي لم يستطع أن يخفيه المسيح كثيراً، إذ في الآية الآتية بعد ذلك يقول: «فكونوا

رحماء **كما أن أباكم أيضاً رحيم**»

واضح، إذن، أن المسيح جاء ليعطي للعالم صورة كاملة للآب في شخصه، وأعطى تعاليم ووصايا لكي كل مَنْ يتممها يصير صورة أيضاً للآب. **لذلك فالمسيحية بجملتها هي استعلان الآب السمائي للعالم في شخص ابنه، وفي الذين يؤمنون به،** الذين يعطون بحياتهم وسلوكهم صورة للآب السمائي، ليس من فراغ ولا من قدرات بشرية؛ بل لأن الآب صيَّرهم بالفعل أبناءً له في شخص يسوع المسيح.

36:6 «**فَكُونُوا رُحَمَاءَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ أَيْضاً رَحِيمٌ».**

«**فكونوا رحماء»:** g…nesqe o„kt…rmonej

فعل أمر من كلمتين في اليونانية والعربية أيضاً، ولكن جاءت في إنجيل ق. متى: « فكونوا أنتم كاملين » tšleioi(مت 48:5)، والقديس يعقوب يصف الله: «لأن الرب **كثير الرحمة ورؤوفٌ**» (يع 11:5). وهكذا ينبغي أن تكون لنا صورة الله في تعامله مع الناس. وداود كم تغنّى برحمة الله: «الرب رحيم ورؤوف طويل الروح وكثير الرحمة »(مز 8:103). ويبدو أن ق. يعقوب ينقل لنا ما حفظه من مزامير داود.

وكل تعاليم العهد القديم تشدّد على أن الرب يُظهر رحمته على شعبه ليتعلّم شعبه الرحمة. وعلى مستوى رحمة الله لشعبه ينبغي أن يكون مقياس الرحمة عند الشعب، والمسيح يؤكّد ذلك في مثل السامري الصالح: «فأي هؤلاء الثلاثة تَرَى صار قريباً للذي وقع بين اللصوص؟ فقال: الذي صنع معه الرحمة (وهو المسيح نفسه في المَثَل). فقال له يسوع: اذهب أنت أيضاً واصنع هكذا» (لو 36:10و37). والعذراء القديسة أنشدت في نشيدها النبوي تمجّد رحمة الرب التي تدوم إلى جيل الأجيال لمتّقيه: «ورحمته إلى جيل الأجيال للذين يتّقونه.» (لو 50:1)

وليلاحظ القارئ ربط صفة الله "الآب" بصفة الله "الرحيم". فالأبوّة منبع الرحمة: «فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم (الأبوّة) عطايا جيدة (الرحمة). **فكم بالحري الآب** الذي من السماء يعطي الروح القدس للذين يسألونه» (لو 13:11)؛ حيث عطية الروح القدس تُحسب أعظم مراحم الرب. لأن الروح القدس هوضمين الإنسان لبنوّة الله ودخول الملكوت: «فإن هذه كلها تطلبها أمم العالم (الأكل والشرب). وأمَّا أنتم **فأبوكم** يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه. بل اطلبوا ملكوت الله، وهذه كلها تُزاد لكم» (لو 12: 30و31)، «لا تخف أيها القطيع الصغير، لأن **أباكم**

قد **سُرَّ** أن **يعطيكم** الملكوت» (لو 12:32): قمة مراحم الأبوَّة.

وإزاء هذه المراحم الأبوية، فالمسيح يطالبنا أن نكون نحن أيضاً، كأبناء، على نفس المستوى من الرحمة بعضنا لبعض، لإثبات بنوتنا واستعلان الآب الرحيم الذي نعيش تحت رحمته. وإن كان ق. متى بدل صفة "الرحيم = o„kt…rmwn" أعطى كلمة tšleioj أي "كامل"، فذلك ليصوِّر الله أنه غير ناقص في أي صفة، غير متجزئ أو منقسم، بمعنى كلّي الصفة، كلي الحب وكلي الرحمة وكلي الأبوَّة. فهو في حبه وخيريته ورحمته كلي مطلق، لا حد ولا نهاية لصفاته الأبوية.

وهكذا، فالمسيح يشجِّعنا أن نكون مثله، فتكون محبتنا غير متجزِّئة، ورحمتنا على الآخرين متسعة بلا تقسيم تستطيع أن تُدخل الجميع وبينهم الأعداء في المحبة والرحمة التي نستمدها من الآب.

وكلمة "كامل" تأتي بالأرامية بمعنى: التام tamim أو ساليم salem.
ويعتقد العلماء أن ق. لوقا في هذه الآية أكثر وضوحاً مما جاء في إنجيل ق. متى.

37:6 **«وَلاَ تَدِينُوا فَلاَ تُدَانُوا. لاَ تَقْضُوا عَلَى أَحَدٍ فَلاَ يُقْضَى عَلَيْكُمْ. اِغْفِرُوا يُغْفَرْ لَكُمْ».**

(لو 6:37-38) = (مت 7:1و2).

المسيح هنا يعطي أمرين سلبيين: لا تدينوا، لا تقضوا.

«لا تدينوا»: m¾ kr…nete

وهي تأتي باليونانية بمعنى: "تحكم أو تتهم اتهاماً"، والمعنى الباطني أن الشخص أخفق أن يُظهر أو يُعلن الرحمة نحو من أخطأ إليه. والمسيح هنا يهاجم غياب الرحمة التي سبق التأكيد عليها في الآية السابقة مباشرة، بمعنى أن الآيتين مربوطتين معاً بمعنى واحد. وهذا في نظر المسيح يعني أن الشخص تخطّى أصول الفهم الروحي. ولكن المسيح هنا لا يدعو إلى الانحلال والفوضى وتسيُّب الأشخاص المخالفين للعرف والتقليد والأصول المسلّمة، ولكنه يضبط مشاعر وإرادة الإنسان المسيحي حينما يخطئ إليه إنسان آخر حتى لا يقضي بنفسه أو ينتقم أو يترك الرحمة الواجبة، وإنما يسلّم القضاء لمَنْ له القضاء، والدينونة لمَنْ له الدينونة، وحينئذ تظهر العدالة ويتم التحقيق الدقيق وتسود الحكمة والمعرفة والفهم بقضاء الله الصحيح.

والمسيح يؤكّد وقوع القضاء والدينونة على الشخص الذي يقضي ويدين بنفسه لنفسه، حتى لا يقضي إنسان بقضاء فكره أو يدين بحسب رؤية عينيه. فالمطلوب هو تدخُّل الله وعنصر الرحمة

والعدالة، فلا يُظلَم إنسان أو يُهان بدون حق إلهي.

وهكذا يمتنع نهائياً تعظُّم أو سيادة الإنسان أو تصلُّب الرأي على قاعدة فاسدة نفسية أو التعامي عن حق المتهم عند الله. وهكذا يضمن المسيح في هذه الوصية عدم الخروج عن حدود الرحمة في التعامل، لأن الجزاء بالمرصاد في الدينونة الأخيرة.

أمَّا الجزء الثاني من الوصية فهي عملية توسيع للوصية الأُولى، فالدينونة في الجزء الأول من الوصية صارت هنا قضاءً، بمعنى الانتقال من مجرَّد الاتهام الشخصي إلى القطع بقضاء العقوبة.

أمَّا الجزء الثالث من الوصية بحكم التدرُّج من الأول إلى الثاني فهو يحتِّم المغفرة. فإن كان ليس من حقنا كمسيحيين أن ندين أو نقضي على الإنسان إذا أخطأ إلينا؛ إذن، فيلزم المغفرة له، حيث إذا بلغناها بقناعة شخصية فإننا نُعامَل بالمثل عند الله فيما نخطئ نحن فيه إلى الله. وهذه النتيجة توفِّر للجزء الأول والثاني من الوصية الأحقية، لأنه إن كان علينا في النهاية أن نغفر للإنسان خطأه نحونا على أساس أن مغفرتنا له ستنشئ مغفرة لنا نحن بالتالي من جهة الله؛ حقّ، إذن، علينا أن لا ندين أو نقضي، وإلاَّ فإننا سنُدان بالمثل وأكثر، وسيُقضَى علينا، وستمتنع مغفرة خطايانا.

وطبعاً المقصود من عدم الدينونة أو عدم القضاء أو مغفرة الخطأ، أن هذا كله محصور في دائرة الأخطاء التي يتورَّط فيها إنسان ضدنا، سواء بقصد أو بدون قصد مهما كان فيها من مهانة أو خسارة. فهذه يراها المسيح أنها لا تستحق الدينونة ولا القضاء، بل بالحري المغفرة العاجلة. والمسيح لا يستهين بمشاعر من أُخطئَ إليه ولا يستهين بالغدر الواقع علينا، ولكن عين المسيح على المحبة والرحمة التي تحتمل كل شيء وتصبر على كل شيء حتى نشابه الآب الذي يعاملنا بأكثر من هذا ويغفر لنا كثيراً جداً. والمسيح في النهاية عينه على المغفرة الكلّية التي ستكلّفه هو آلاماً وأحزاناً وصلباً وتمزيقاً لجسده وموتاً ثمناً لخطايانا الثقيلة جداً.

إذن، فمن حق المسيح أن يُوجِّه نظرنا بالأقل جداً أن لا ندين ولا نقضي على أحد، بل نسرع في الغفران الذي سنكتسبه من وراء طاعتنا لوصاياه وإيماننا بشخصه. علماً بأن المسيح، ولو أنه أُعطي الدينونة، إلاَّ أنه قال: «أمَّا أنا فلست أدين أحداً» (يو 15:8)، وارتضى أن يُقضَى عليه ويتحمَّل الصلب والموت لننال نحن البراءة، بل وبرّه الشخصي مع الغفران والمصالحة مع الله وقبول البنوّة والحياة الأبدية.

38:6 «أَعْطُوا تُعْطَوْا، كَيْلاً جَيِّداً مُلَبَّداً مَهْزُوزاً فَائِضاً يُعْطُونَ فِي أَحْضَانِكُمْ. لأَنَّهُ بِنَفْسِ الْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ».

آية بعيدة عن الوصايا السابقة الخاصة بالدينونة والغفران، إذ يركّز هنا على العطاء السخي، والعطاء السخي يُسترد عطاءً من الله. وقد وصفها بولس الرسول باستفاضة: «هذا وإن مَنْ يزرع بالشُّح فبالشُّح أيضاً يحصد، ومَنْ يزرع بالبركات فبالبركات أيضاً يحصد. كل واحد كما ينوي بقلبه، ليس عن حزن أو اضطرار. لأن المعطي المسرور يحبُّه الله. والله قادر أن يزيدكم كل نعمة، لكي تكونوا ولكم كل اكتفاء كل حين في كل شيء، تزدادون في كل عمل صالح.» (2كو 9: 6-9)

بهذا يؤكّد المسيح للإنسان المسيحي أن الذي يوزِّع عن سخاء بلا أنانية سوف يَلْقى من الله نفس السخاء.

وفي الحقيقة، لكي نستمد من هذه الآية قوة وقناعة لانفتاح قلوبنا وضمائرنا وبيوتنا ومخازننا، ينبغي أن نقرأ هذه الآية من الآخِر وهي: "تُعطوا كيلاً جيداً ملبَّداً مهزوزاً فائضاً يعطون في أحضانكم"!! وهذا مقابل: "أعطوا". فهنا عطاؤنا لم يذكره الله أن يكون سخياً أو فائضاً بل **"كيلاً"** وحسب، ولكن في المقابل نتلقّى في أحضاننا كيلاً جيداً ملبَّداً مهزوزاً فائضاً.

والوصف هنا إبداعي! فهو صورة طبق الأصل من إنسان يشتري قمحاً من السوق فيعطي الإنسان الشاري صاحب كومة القمح ثمن كيلة القمح ولكن بزيادة قليلاً، فإذا كانت بثمانين قرشاً أعطاه جنيهاً، فما من صاحب القمح إلاّ ويملأ الكيلة قمحاً ثم يعرّمها بأن يضع فوق الكيلة كمية زائدة (ملبّدة)، ثم يهزّها هزة معينة فينكبس القمح في الكيلة فتنقص الكيلة، فيعود ويضيف قمحاً آخر حتى يفيض القمح من الكيلة (فائضاً)، فيفتح الشاري حِجْره ويستقبل الكيلة الفائضة في حضنه فرحاً.

هنا الشاري هو أنت أيها القارئ حينما تسخو بعطائك على المساكين، وصاحب القمح هو الله الذي عوَّض ما أعطيت أنت، عطاءً جيداً ملبَّداً مهزوزاً فائضاً من النعمة والروح القدس. هنا الوصف والمنظر له سمة أهل الشرق. هذا الوصف جاء في إنجيل ق. مرقس بمنتهى الاختصار: «بالكيل الذي به تكيلون يُكال لكم ويُزاد لكم أيها السامعون.» (مر 4:24)

ومحور الجدّة في هذه الآيات يدور حول مكافأة الله للذين يتعاملون بالسخاء مع الناس في العطاء، فإن عطاء الله لهم هو بأزيد كثيراً جداً بحسب وصف ق. لوقا: **«جيداً ملبَّداً مهزوزاً فائضاً».** وهذا يُحسب إصراراً من المسيح لكي يشجِّع أولاده على السخاء في العطاء دون حساب، إغراء منه لكي يسخو هو عليهم فوق العقل بالعطايا السماوية.

الجزء الثالث من العظة:

(ج) تهذيب النفس الداخلية
(49ـ39:6)

(لو 39:6ـ42) = (مت 24:10،14:15ـ5،3:7ـ25)
(لو 43:6ـ45) = (مت 16:7ـ33:12،20ـ35)
(لو 46:6ـ49) = (مت 21:7و24-27)

ويهتم فيه المسيح بالحياة الداخلية للتلاميذ ليبلغ بالنفس الحالة التي أعطاها الطوبى، التي أُلغيت فيها الذات وصارت المحبة فعَّالة واستحقت المستقبل السعيد عند الله.

والمسيح يبدأ هنا بتصوير النفس القائمة بذاتها معتمدة على إمكانياتها بالعمى، وبالأكثر حينما تنبري لتعليم غيرها وهي على عماها، فالحفرة أو الهاوية مقر الاثنين، وهي تحتاج لمن يعلّمها أولاً، وقبل أن تبلغ تمام تعليمها ليس لها أن تدين غيرها (39ـ42). والذين استطاعوا أن يقبلوا التعليم الصحيح يثمرون ثمراً جيداً، والذين يرفضون التعليم ثمرهم رديء (43-45). فالذي يسمع للمسيح ويقبل تعليمه يبدأ يعمل به ويكون عمله قوياً متيناً كإنسان بنى على صخر، والذي لم يستمع للمسيح ولم يحفظ تعليمه فهو يبني على رمل، ولكن الأردأ هو مَنْ يسمع التعليم ولا يعمل به ثم يعمل من نفسه فهو يبني بلا أساس فتأتي السيول وتجرفه وينتهي إلى الخراب.

وكلام المسيح عموماً يلمِّح إلى التعليم على أيدي معلمين كذبة لهم صورة التعليم ولكن قلوبهم لم تتغير وتتجدَّد «أعمى يقود أعمى» كما فهمها ق. بولس: «لأني أعلم هذا أنه بعد ذهابي سيدخل بينكم ذئاب خاطفة لا تشفق على الرعية، ومنكم أنتم سيقوم رجال يتكلّمون بأمور ملتوية ليجتذبوا التلاميذ وراءهم. لذلك اسهروا متذكرين أني ثلاث سنين ليلاً ونهاراً لم أفتر عن أن أنذر بدموع كل واحد» (أع 20: 29-31). لذلك يلمِّح المسيح أن ينتبهوا ولا يتبعوا تعاليم غير تعليمه: «من ثمارهم تعرفونهم ـ ليس كل مَنْ يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات، بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات.» (مت 7: 20و21)

وهذه قدَّمها ق. لوقا في (6:44): «لأن كل شجرة تُعرف من ثمارها، فإنهم لا يجتنون من الشوك تيناً ولا يقطفون من العلّيق عنباً. الإنسان الصالح من كنز قلبه الصالح يُخرج الصلاح» وهذا كله ينصبُّ على تمييز المعلّمين من سلوكهم وأخلاقهم.

39:6 **«وَضَرَبَ لَهُمْ مَثَلاً: هَلْ يَقْدِرُ أَعْمَى أَنْ يَقُودَ أَعْمَى؟ أَمَا يَسْقُطُ الاِثْنَانِ فِي حُفْرَةٍ؟»**

يُلاحِظ القارئ أن الكلام في بدء هذه الآية مقطوع عن سابقه، فيبدو أنه مجموع من مكان آخر ومضاف إلى العظة. ولكن بعد الآية (39) نسمع عن القذى والخشبة في العين. فهذا يعطي الانطباع لماذا قال المسيح: «أعمى يقود أعمى» إذ يبدو أن المسيح يصوِّر المعلّم الذي يقود تلميذاً وهو في عينه خشبة لذلك لا يرى نفسه، والمسيح وصفه في المَثَل "بالأعمى" الذي يحاول أن ينير بصيرة الآخرين وهو فاقد البصيرة.

مع العلم بأن المسيح في موضع آخر قد وصف الكتبة والفريسيين بالعميان الذي يقودون عميان والحفرة تنتظرهم (مت 15:14)؛ حيث العمى هو الجهل بالله ومشيئته. وهو هنا يكشف هذا العوار حتى لا يقع فيه التلاميذ، وبالتالي يمتد تعليم المسيح إلى الكنيسة في كل العصور. فالمعلّم في الكنيسة إن كان هو غير قادر أن يُصلح عيوبه وعيوبه مكشوفة للشعب، صحَّ فيه القول: أخرج الخشبة التي في عينك قبل أن تُخرج القذى من عيون الناس.

40:6 **«لَيْسَ التِّلْمِيذُ أَفْضَلَ مِنْ مُعَلِّمِهِ، بَلْ كُلُّ مَنْ صَارَ كَامِلاً يَكُونُ مِثْلَ مُعَلِّمِهِ».**

صعوبة بالغة وقع فيها العلماء في تفسير هذه الآية في هذا الموضع. ووضعوا لها حلولاً كثيرة: ربما يريد أن يقول إنه يوجد معلّم واحد كامل فإذا توافق معه التلاميذ أصبحوا معلّمين؟ أو أنه لا يمكن للتلميذ أن يعرف إن كان معلّمه أعمى فإذا كان المعلّم هكذا فالتلميذ لن يكون أفضل منه؟ أو أن التلاميذ لا ينبغي أن يتصرّفوا غير ما تعلّموا من معلّمهم ولا يزيدوا عليه شيئاً؟ أو أن التلميذ مهما تعلّم فلن يتفوَّق على معلّمه وإنما هو سيردّد ما سمعه؟ أو أن التلاميذ ينبغي أن يحترسوا من المعلّمين الناقصين الكذبة الذين يحاولون أن يزيدوا على تعاليم المسيح؟

ولكن واضح أن المسيح يضع نفسه موضع المعلّم الكامل ليكون الحد الرسمي للتعليم في الكنيسة، ولا مزايدة عليه من جهة المعرفة أو التخريج. فيتحتَّم أن تؤخذ أقوال المسيح على المستوى الأعلى والثابت التي لا يمكن قبول أي خروج عنها. ويكفي لأي تلميذ يريد أن يتعلّم أن يتبع المسيح في تعليمه. ثم يفتح المسيح مجال التعليم بالروح لكي يبلغ تعليم التلاميذ والكنيسة إلى الكمال المسيحي

باعتبار أن مستوى المسيح نفسه في التعليم في الإنجيل تحدَّد بالروح القدس أن يكون على مستوى الكنيسة تماماً، أي على قدر النعمة وقدر انفتاح قلب وذهن المؤمنين للنعمة وليس أعلى من مستوى المؤمنين. فالإنجيل بهذا الاعتبار هو كتاب الكمال المسيحي المطلوب أن يبلغه كل مؤمن بالمسيح. وبذلك لا يمكن أن تقبل الكنيسة أي ادعاء أن وصايا المسيح وتعاليمه هي فوق مستوى المؤمنين.

وبهذا الخصوص علَّم المسيح: «تعلَّموا مني لأني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم» (مت 19:11). كما علَّم أيضاً: «**فكونوا أنتم كاملين** كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل» (مت 48:5). فمن جهة الاتضاع والوداعة فالروح القدس كفيل بذلك، ومن جهة الكمال فالروح القدس أيضاً هو كفيل بذلك. فالطبيعة الجديدة التي وهبها لنا المسيح بالقيامة من الأموات قادرة بالروح الذي فيها أن تماثل المسيح في اتضاعه وتماثل الآب في كماله، لأن الطبيعة الجديدة أُعطيت لنا لنكون بها شركاء المسيح والآب في ملكوته والحياة الأبدية.

41:6 «**لِمَاذَا تَنْظُرُ الْقَذَى الَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ، وَأَمَّا الْخَشَبَةُ الَّتِي فِي عَيْنِكَ فَلاَ تَفْطَنُ لَهَا؟**»

تسير على نهج الآية السابقة: لا تدينوا ولا تقضوا على أحد، لأن مَنْ يدين الآخرين على خطأ سيُدان على ذات الخطأ، والخطأ حتماً مشترك. فالإنسان هو الإنسان. أمَّا هنا فيجعلها المسيح أكثر وضوحاً وصفاءً، إذ قبل أن تعلِّم وتكشِف أخطاء الناس ابدأ بنفسك. وهنا تأتي "**لماذا**" في الأول للتوبيخ الشديد، فهي أقوى من **كيف،** فكيف للاستنكار أمَّا لماذا فللتعيير والتوبيخ من أمر واقع.

«**القذى**»: dokÒn ، «**الخشبة**»: k£rfoj

الأولى تعني **سُرّيقة** صغيرة من شظايا الخشب، ولكن الثانية تأتي باليونانية بمعنى "لوح" للتهويل. فالأولى صحيحة يمكن فعلاً أن تدخل العين خلسة، أمَّا لوح الخشب فهو للتهويل، لا يدخل ولكن للتصوير فقط حيث الاستحالة، وذلك لتضخيم خطأ الناقد ووضعه في موضع الهزأة والسخرية أو التحدِّي. والتعليم هنا للمسيح امتداد أو تخريج من الأعمى الذي يريد أن يقود ذا العين المطروفة. فالأول لا يرى تماماً أمَّا الثاني فبالكاد يرى الأشباح، وهذا يكشف بجاحة المعلِّم الفاقد البصيرة حينما يحاول أن يعلِّم ضعاف البصيرة، أو الناقد الذي ينقد أعمال الناس البسيطة في انحرافها أو خطئها وهو مثقَّل بأخطاء يجرّها وراءه. والقصد العام من هذه الآية تنظيف حقل الكنيسة التعليمي من الجهلة ومدَّعي المعرفة ومن النقد التافه غير البنَّاء على أيدي أدعياء الرؤية وبُعد النظر.

42:6 «**أَوْ كَيْفَ تَقْدِرُ أَنْ تَقُولَ لأَخِيكَ: يَا أَخِي دَعْنِي أُخْرِجِ الْقَذَى الَّذِي فِي عَيْنِكَ، وَأَنْتَ لاَ تَنْظُرُ**

الْخَشَبَةَ الَّتِي فِي عَيْنِكَ. يَا مُرَائِي! أَخْرِجْ أَوَّلاً الْخَشَبَةَ مِنْ عَيْنِكَ، وَحِينَئِذٍ تُبْصِرُ جَيِّداً أَنْ تُخْرِجَ الْقَذَى الَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ».

هنا الكلام بدأ يأخذ شكل نقد الآخرين ومحاسبتهم على الأخطاء، ذلك على مستوى الزملاء أو ربما التدخُّل في شئون الآخرين بدون لياقة أو كفاءة. والمسيح هنا يقصد تهذيب الجماعة المسيحية لكي لا يأخذ المعلّم أو الموجّه أو الأب أو الرئيس مسئولية التعليم أو التوجيه أو الرعاية أو تدبير الأمور إلاَّ بعد أن يكون قد بلغ مستوى التهذيب النفسي والخلقي الكامل. والمسيح يقول ذلك وعينه على الكتبة والفريسيين فإنهم هم المعتبرون مرائين عند المسيح، ولكن الكلام موجَّه للتلاميذ والرؤساء المحيطين به. أي أن المسيح يطلب أن يتنقَّى الوسط المسيحي أو الكنيسة من المراآة ومحاولة تصيد أخطاء الناس ومحاسبة الناس على الهفوات والتشدُّد في مسك الأخطاء، والمعلّمون أنفسهم مثقَّلون بالخطايا، مما يضعف روح التقوى وينفّر الشعب من التعليم والمعلّمين. فالمسيح يطلب أن لا يقرب التعليم إلاَّ الذين طهَّروا أنفسهم أولاً من العثرات والعيوب.

43:6 **«لأَنَّـهُ مَا مِنْ شَجَرَةٍ جَيِّدَةٍ تُثْمِرُ ثَمَراً رَدِيًّا، وَلاَ شَجَرَةٍ رَدِيَّةٍ تُثْمِرُ ثَمَراً جَيِّداً. لأَنَّ كُلَّ شَجَرَةٍ تُعْرَفُ مِنْ ثَمَرِهَا. فَإِنَّـهُمْ لاَ يَجْتَنُونَ مِنَ الشَّوْكِ تِيناً، وَلاَ يَقْطِفُونَ مِنَ الْعُلَّيْقِ عِنَباً».**

في هذه الآية يتحوّل المعنى من حالة الصحة الجيدة وحالة الصحة الرديئة لنفس الصنف من الشجر إلى النوع، إذ يوجد أنواع أشجار ذات ثمار تؤكل، جيدة، وأشجار لا تُخرج ثماراً بل شوكاً.

وانحصر المثل بين الشوك والعليق وهما نوعان من النباتات الفاقدة لأي قيمة، بل وجودهما يبشّر بخراب الحقل كله. فالشوك لابد أن يُقلع ويُحرق والعليق كذلك. فانحصار المثل في هذين النباتين الرديئين جداً يوضح أن الناس الأشرار لا يُرجى منهم ثمرٌ على الإطلاق، بل ولا يُرجى فيهم إصلاح ولا تهذيب ولا تعليم، فالشوك مهما أعطيته من المخصبات والأدوية النباتية لن يتغيَّر عن صفته الشائكة الشريرة.

ولكن لهذا المثل معنى آخر أكثر قوة وإيجابية: وهو أن الإنسان بقدر النعمة ومستوى الروح والإنجيل يقدر أن يثمر في الآخرين نعمة وذات المستوى من الإنجيل، ومن المستحيل أن يستطيع أن يرفع الآخرين إلى مستوى أعلى من مستواه. فالتينة تثمر تيناً ولا تعطي تفاحاً. فيستحيل على الإنسان أن يوصّل إلى الآخرين إلاَّ ذات الثمر الذي نما فيه ونضج. والثمر هنا يشير إلى قدرة التأثير التي يستطيع أن يقدّمها، فإذا كانت أخلاقه جيدة فسيجعل المحيط الذي يخدم فيه جيداً.

وبقول المسيح إن الإنسان الصالح يُخرج الصالحات من قلبه الصالح، والفم ينطق بما في القلب، هنا دعوة ضمنية هامة جداً، هي محاولة تجديد القلب والحياة ومَلْئه بصلاح الإنجيل وقوة النعمة **لتجديد الطبيعة ذاتها** التي تثمر حينئذ ثمراً مخالفاً لطبيعتها القديمة الأولى. ونحن كم رأينا أشراراً تغيروا وصاروا قديسين وقديسات ووعَّاظاً جدَّدوا ألوف وملايين الناس. فتغيير الطبيعة لتغيير الثمر وارد في الإنسان جداً.

45:6 «الإِنْسَانُ الصَّالِحُ مِنْ كَنْزِ قَلْبِهِ الصَّالِحِ يُخْرِجُ الصَّلاَحَ، وَالإِنْسَانُ الشِّرِّيرُ مِنْ كَنْزِ قَلْبِهِ الشِّرِّيرِ يُخْرِجُ الشَّرَّ. فَإِنَّهُ مِنْ فَضْلَةِ الْقَلْبِ يَتَكَلَّمُ فَمُهُ».

هنا استقر المسيح على الغاية المطلوبة: وهو التفريق بين الأعمال الصالحة والأعمال الشريرة، ومن أين ينبع كل منها؟ فالشجرة الجيدة المنزرعة في تربة جيدة ونالت من الكرَّام الصالح العناية اللائقة بها من غذاء وماء ومخصبات وأدوية للعلاج ومواد أخرى لتنمية الصفات الجيدة هذه تثمر ثمراً جيداً. هكذا الإنسان بلغ صلاحه بالفلاحة في الكتاب المقدَّس واستقى من نبع الروح القدس ومسحته النعمة بأدواتها للشفاء المقدَّس، وتهذَّب بحمل الصليب وشارك الرب آلامه، فصحَّت نفسه واستنار قلبه وتقدَّس ضميره، وهكذا تهيأ القلب لكي يُخرج أعمال الصلاح كنبع لا يجف ماؤه. أمَّا الإنسان الذي اختار أن يعيش بين عشراء السوء ومارس أعمال الظلمة فانعمى قلبه وفقد البصيرة؛ فأصبحت الحياة الروحية عنده مستغربة غير مستساغة، وانقطع عن الكنيسة وقاطع أصدقاء النور ومحبِّي المسيح، فسار في طريق السوء وعبَّ من وحل الخطية حتى انسدَّت ينابيع الحياة، فما عاد قادراً أن يعمل إلاَّ أعمال الشر وهو لا يدري إذ يصير ألعوبة في يد الشيطان.

ومن كلام الإنسان ندرك المخبئات في القلوب، فأولاد الله لا يكف فمهم عن تمجيد صاحب المجد، والأشرار يتندَّرون بألفاظ السوء ولا يكفُّون عن المزاح والاستهتار بقيم الحياة.

والمسيح هنا يضع أمام تلاميذه والكنيسة إلى مدى الأجيال طريق الصلاح وطريق الشرور، والقلب كنز الصالحات أو كنز الشرور، والفم يكشف عمَّا في الصدور.

46:6 «وَلِمَاذَا تَدْعُونَنِي: يَا رَبُّ يَا رَبُّ، وَأَنْتُمْ لاَ تَفْعَلُونَ مَا أَقُولُهُ؟»

وهنا نأتي إلى الجزء الأخير من العظة (46-49) وهو دعوة للسامعين أن يطيعوا أوامر المسيح ولا يكتفوا بالسماع فقط. وهذه الوصية التقطها ق. يعقوب أخو الرب وسجَّلها في رسالته: «ولكن كونوا عاملين بالكلمة، لا سامعين فقط خادعين نفوسكم. لأنه إن كان أحدٌ سامعاً للكلمة

وليس عاملاً، فذاك يشبه رجلاً ناظراً وجه خلقته في مرآةٍ، فإنه نظر ذاته ومضى، وللوقت نسي ما هو» (يع 1: 22-24). فسماع الكلمة لأنها أوامر إلهية يُحسب طاعة حقيقية قادرة أن تقف بحد ذاتها كمعين للإنسان في حياته وخاصة في شدائده. وهنا في هذه الآية يحذّر الرب من أن ندعوه ربًّا ولا نطيع أوامره، فهذا يُحسب إنكاراً لربوبيته، لأن في دعوة الرب "بالرب" اعترافاً بربوبيته، ثم عدم العمل بأوامره يُحسب رجعة أو حنثاً بالاعتراف. وهذه الحالة أصعب وأخطر من أن نسمع الكلمة ولا نعمل بها.

ويُلاحَظ هنا أن المسيح يكرّر يا رب يا رب لكي يؤكّد حالة اعتراف به على مستوى تأكيد المجد والكرامة. وربّي في الأرامية تُنطق mari التي أخذتها اللغة العربية في كافة الترجمات ككلمة تكريم لأي قدّيس (مار جرجس). وقد أوردها ق. متى هكذا: «ليس كل مَنْ يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات، بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات» (مت 21:7). بمعنى الإيمان والاعتراف معاً بالمسيح ربًّا، أو دعاءً له بالمجيء الذي تنتظره الكنيسة بفارغ الصبر.

ويُلاحَظ أن قبول أو طاعة التعليم دون الاعتراف بربوبية المسيح لا قيمة له. واعتراض العلماء على أن المسيح لا يليق به أن يدعو نفسه ربًّا مردود عليه بشدة، لأن كل أعماله التي كان يعملها هي لتأكيد ليس ربوبيته فقط بل ولاهوته. فهو لا يمكن أن يطالبنا بطاعته دون أن يكشف لنا عن ربوبيته ولاهوته. والتلاميذ لم يكونوا يدعونه رابي كمجرَّد معلّم بل ربًّا بمعنى الآتي من الله: «أنت هو المسيح ابن الله الحي» (مت 16:16). ونطقها باليونانية kÚrie يعبّر عن ما هو أعلى من سيد. ويُلاحَظ أن ما ورد في إنجيل ق. متى في قوله يا رب يا رب يتبعه ما يؤكّد علاقته بالله: «يفعل إرادة **أبي** الذي في السموات»

6:47و48 **«كُلُّ مَنْ يَأْتِي إِلَيَّ وَيَسْمَعُ كَلاَمِي وَيَعْمَلُ بِهِ أُرِيكُمْ مَنْ يُشْبِهُ: يُشْبِهُ إِنْسَاناً بَنَى بَيْتاً، وَحَفَرَ وَعَمَّقَ وَوَضَعَ الأَسَاسَ عَلَى الصَّخْرِ. فَلَمَّا حَدَثَ سَيْلٌ صَدَمَ النَّهْرُ ذلِكَ الْبَيْتَ، فَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يُزَعْزِعَهُ، لأَنَّهُ كَانَ مُؤَسَّساً عَلَى الصَّخْرِ».**

«كل مَنْ يأتي إليَّ»: p©j Ð ™rcÒmenoj prÒj me

كانت خدمة المسيح قائمة على دعوة الناس إليه، وهي لا تزال قائمة، فالمسيح حتى هذه الساعة يدعو الناس إليه: «تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم» (مت 28:11)، وكل مَنْ يَلْتَجِىء إليه بالصلاة يكون قد قبل الدعوة، كذلك كل مَنْ التجأ إلى الإنجيل.

«وَيَسْمَعُ كلامي ويَعْمَلُ بهِ»: ¢koÚwn mou tîn lÒgwn

نحن هنا بصدد فن بناء النفس في الحياة المسيحية، حيث يقوم البناء على أساس تعليم المسيح أي الإنجيل والعمل به أي تطبيق كلام المسيح أي وصاياه أول بأول. فكل يوم يقرأ الإنسان المسيحي الإنجيل ويستوعب وصايا الرب استيعاباً فكرياً وقلبياً بانتباه ووعي حيث الوعي هو انفتاح الذهن لتقبُّل الحقائق الإلهية. وانطباع الحقائق الإلهية على القلب يرفع من قوة الإدراك فتصبح الحقيقة الإلهية من مذخرات النفس التي تضيئها وتقودها. فتبتدئ النفس **تعمل** بهذه الحقائق وكأنها أصبحت مرشد ومعلّم. ومن هذا ينتج انطباق المعرفة التي أصبحت مذخرة في النفس من القراءة وترديد الآيات على العمل أول بأول وهذا هو بناء النفس يوماً بيوم والنتيجة التي يراها الإنسان في نفسه ويراها الآخرون فيه هي تجديد النفس والفكر لتزداد المعرفة تأصُّلاً من واقع الخبرة العملية وبعد مدة يظهر البناء الجديد واضحاً أمام الآخرين ويزكيه شدة الالتصاق بالإنجيل والمسيح.

هذا هو الذي سمع وحفر وعمَّق ووضع الأساس راسخاً فينا على أساس الإنجيل والمسيح. ومن شأن بناء النفس القائم على المعرفة والعمل كخبرة حيَّة من الإنجيل بموازرة المسيح أنه لا يهتز أمام التجارب والضيقات التي يسوقها الشيطان والعالم.

وكلمة السر هنا في بناء النفس على أساس الإنجيل والمسيح هي: "حَفَرَ وعمَّقَ" كناية عن السهر والاهتمام والمثابرة على فهم واستيعاب الإنجيل بلا كلل، ثم تطبيق الوصايا والتمسُّك بكلمة الإنجيل بالعمل في الحياة يومياً بلا كلل.

49:6 «وَأَمَّا الَّذِي يَسْمَعُ وَلاَ يَعْمَلُ، فَيُشْبِهُ إِنْسَاناً بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الأَرْضِ مِنْ دُونِ أَسَاسٍ، فَصَدَمَهُ النَّهْرُ فَسَقَطَ حَالاً، وَكَانَ خَرَابُ ذلِكَ الْبَيْتِ عَظِيماً».

أخطر ما في هذا الجزء المقابل للمثل هو غياب الأساس وهو الإيمان. فالكلام قُبل أحسن قبول وفُهم أحسن فهم، ولكن لم يهتم السامع أو القارئ أو الباحث أن يعمل علاقة بين ما سمع أو قرأ أو ما انتهى إليه من البحث مع الإيمان، فيصبح الكلام وكأنه ليس على رمل فقط كما دوَّنه ق. متى في إنجيله، ولا على سطح الأرض كما دوَّنه ق. لوقا، بل في الحقيقة يكون وكأن الكلام في الهواء أو مجرَّد الفكر الذي يصوِّر الكلام في الذهن، وسرعان ما يُنسى وكأنه سقط سقوطاً عظيماً. لأن الذي لم يبن الكلام على أساس الإيمان يصبح عديم النفع في مواجهة صعاب الحياة والضيقات ومقاومات الشيطان والأعداء، فلا يصمد أمام الهزَّات العنيفة وينتهي الكلام إلى لا شيء وتكون الخسارة عظيمة حقًّا.

وأمامنا الآن بحسب شقيْ هذا المَثَل عمليتان كبيرتان للغاية حتى نصل بسماع الإنجيل أو قراءته إلى حالة من الرسوخ والثبات:

العملية الأولى: تظهر في الشق الأول من المَثَل في إنجيل ق. لوقا وهي تتوقَّف كما قلنا في كيفية السمع أو القراءة ومعنى الحفر والتعميق للكلام ذاته.

العملية الثانية: وهي تظهر في الاثنين وقوامها العمل بما انتفعنا من الإنجيل في الحياة اليومية، أي تطبيق كلام المسيح عملياً في مواجهة الضيقات والتشكيك.

وواضح أن الذي انتفع من كلام المسيح بأن حفر وعمَّق ووضع الأساس هو الذي سيقوى على مواجهة كل الصعاب.

وبهذا يكون المسيح قد جعل كلامه هو القوة والبناء الثابت الذي يستطيع أن نواجه به كل صعاب الحياة. فمن ذا يغلب العالم إلاَّ مَنْ بنى على الإيمان من أقوال المسيح ما يصلح لكل ضيقة وكل مقاومة:

+ «مَنْ هو الذي يغلب العالم إلاَّ الذي يؤمن (بكلام المسيح) أن يسوع هو ابن الله.» (1يو 5:5)

الأصحاح السابع:

(د) تحنُّنات الرب يسوع
(50-1:7)

هذا الأصحاح مليء بصور لعاطفة المسيح حينما ينسكب حنانها على كل مَنْ يأتي إليه أو حتى يقابله، ولكن أشدُّها وضوحاً التي نالها قائد مائة في تحاور بديع على أثره رفع المسيح إيمان هذا الأممي أكثر مما رأى في كل إسرائيل. أما أشدُّها قوة وبأساً تلك التي نالتها الأرملة في ابنها الوحيد الميت، حينما لمس المسيحُ النعشَ فوقف وأمر الميت أن يقوم فقام. فلمَّا رأى ذلك تلاميذ يوحنا أخبروه: أيكون هو المسيَّا الآتي؟ فقال لهم: اذهبوا واسألوه وما كان داعٍ لسؤال، فالعمي يُبصرون والصُم يسمعون والعُرج يمشون والبُرْص يُطهَّرون والموتى أيضاً يقومون، أفليس هذا هو عمل المسيَّا؟ وهاجت نفس المسيح الحسَّاسة وفاضت مراحمه تجاه يوحنا وما حدث له فأخذ يُنشِد له أنشودة مديح رفع بها يوحنا فوق جميع الأنبياء.

لكنَّ الفرِّيسيين ما رأوا ولا سمعوا ولا اعتمدوا ولا شهدوا؛ بل رفضوا الخلاص واحتقروا مشورة الله البادية لعيون العُمي. فأخذ المسيح بالتالي يندب حظ هذا الجيل الذي ما ساوى متفرجي سِيرك الأسواق والأعياد، فيوحنا جاءهم ناسكاً عابداً لا يأكل ولا يشرب

فقالوا عليه: به شيطان، وجاءهم المسيَّا على مستوى الإنسان يأكل ويشرب فنعتوه بالبطنة والإغراق في شرب الخمر. وهكذا ماتت الحكمة من إسرائيل.

ثم يقصُّ ق. لوقا قصة فرّيسي غني متعظّم بفرّيسيَّته وغناه، دعا المسيح ليأكل معه، وجاءت امرأة خاطئة متجرّئة على الرب، لأن الرب أحبَّ الخطاة فأحبُّوه، وانتهزت فرصة انشغال القوم بالأحاديث فجاءت متخفّية من وراء الرب وبكت بكاء التوبة على رجلي الرب فبلّلتها بدموعها ثم مسحتها بشعر رأسها تبرُّكاً من الجسد المقدَّس. ولكن يبدو أن الفرّيسي كان يعرف هذه المرأة والله يعلم متى وأين؟ فلام الرب لجهله كيف لم يعرف أنها خاطئة. أمَّا المسيح فأكرم المرأة وأعطاها

غفراناً بقدر حبها، كثيراً بكثير، ولمَّا لام المتكئون كيف لإنسان أن يغفر الخطايا، فقال للمرأة كلمة سر المسيَّا: «إيمانكِ خلَّصكِ» اذهبي وسلام الرب معكِ، وهذا هو الرب.

والعجيب يا إخوة أن مثل هذه الخاطئة تُدرك أن المسيح جاء من أجلها فجاءت إليه مطمئنة (إيمانك)، فخرجت بكل بركات الصليب والقيامة: الغفران والخلاص معاً، وكسب صاحب الوليمة الدينونة لنفسه.

1 ـ شفاء عبد قائد المائة

(10-1:7) (مت 8:5-13)

حادثة هامة يقدِّمها ق. لوقا لخزانة الإنجيل لتدخل تقليد الكنيسة من جهة التعامل مع الغرباء والذين يدينون بغير الدين. هو أممي قائد مائة، ولكن بحسب اعتراف شيوخ إسرائيل بنى مجمعاً لهم. شيء غريب على مسامعنا أن أجنبياً يبني مجمعاً لليهود، فإما أنه كان رجلاً غنياً جداً، وإمَّا أنه كان له سلطان أن يفعل ذلك بأمر الملك (هيرودس)، ولكن كان فوق ذلك مُحبًّا لأُمة غريبة عليه وعلى عبادته. هذا كله أدركه المسيح، ولكن الغريب في الأمر أن قائد المائة هذا أظهر إيماناً بالمسيح يستحق فعلاً ما مدحه به المسيح، وشرح إيمانه أن المسيح بسلطانه الذي من عند الله يأمر أن يُشفى عبده فيكون، دون أن يتحرَّك المسيح، على مثال ما يأمر هو عسكره فيذهب هذا ويأتي ذاك. فكان له ما أراد تماماً إذ شُفي العبد الذي له دون أن يذهب المسيح أو حتى يجيء قائد المائة، إذ اعتبر نفسه غير مستحق أن يَمْثُل بين يدي المسيح. شيء من التواضع لا يليق بضابط ذي رتبة، فإيمانه كان أعلى من كل إسرائيل، واتضاعه كان أكثر من عبد: «ففتح بطرس فاه وقال: بالحق أنا أجد أن الله لا يقبل الوجوه. بل في كل أُمة الذي يتَّقيه ويصنع البر مقبول عنده.» (أع 10: 34و35)

ولكن نستشف من توسُّط شيوخ يهودٍ بين قائد المائة والمسيح رائحة تنصُّر يهود مقبلة، ومن حالة إيمان قائد المائة انفتاح باب الخلاص للأُمم على سعة. فالقديس لوقا يرسم في قصصه إرهاصات بناء الكنيسة العتيد أن يكون، وفي نفس الوقت يشير إلى ما يجب أن يكون.

أما المشكلة الحقيقية التي واجهت العلماء فهي الفوارق الكبيرة في قصة ق. لوقا (7:1-10)، وذات القصة لقائد المائة نفسه كما جاءت في إنجيل ق. متى (8:5-13). فالقديس متى يضغط

القصة ويختصرها في أقل كلمات، وق. لوقا يفردها ويضيف ويعلّل. ولكن الذي استقر إليه رأي العلماء أن كلاً من ق. متى وق. لوقا أخذ من مصدر مختصر للغاية، وقام كل منهما بحسب قراءات أخرى بتكميل القصة كما بلغته وكما سمعها وقرأها. فالتقليد الأصلي والقديم جداً واحد.

1:7 **«وَلَمَّا أَكْمَلَ أَقْوَالَهُ كُلَّهَا فِي مَسَامِعِ الشَّعْبِ دَخَلَ كَفْرَنَاحُومَ».**

واضح أن ق. لوقا أراد أن ينتقل من جو العظة، إلى بقية رواية الإنجيل، ونرى هذه النقلة أيضاً بعينها في إنجيل ق. متى: «فلمَّا أكمل يسوع هذه الأقوال بُهِتَت الجموع من تعليمه لأنه كان يعلّمهم كمَنْ له سلطان وليس كالكتبة.» (مت 7: 28و29)

2:7 **«وَكَانَ عَبْدٌ لِقَائِدِ مِئَةٍ، مَرِيضاً مُشْرِفاً عَلَى الْمَوْتِ، وَكَانَ عَزِيزاً عِنْدَهُ».**

«قائد مئة»: ™katont£rcou

وهو اللقب اليوناني لقائد المئة، ويضعها ق. مرقس باللاتينية kentur…wn (مر 15: 39). ولكن يقول العلماء: إنه لم يكن هناك ضبَّاط رومانيون في الجليل قبل سنة 44م، لذلك يقول العالِم مارشال(168) إنه يلزم أن يكون هذا القائد من جند هيرودس الملك الذين تدرَّبوا على النمط الروماني. وهو على كل حال ليس يهودياً ولا حتى يُعتبر "بروزيليت" أي دخيلاً.

وكان المريض "عبداً doàloj" عند قائد المائة الذي تشفَّع من أجله، وكان مشرفاً على الموت ولذلك لم يُحمل ويُذهب به إلى المسيح مما دعا القائد لإرسال وساطة. غير أن إنجيل ق. متى يقول: إن قائد المائة ذهب إلى المسيح بنفسه. وكان هذا العبد محبوباً = œntimoj لديه. والكلمة اليونانية تُظهر أن القائد يُكنُّ له احتراماً وحبًّا وقرباً، وهذا يكشف لهفة القائد عليه. ولكن لا يفوت علينا إلى أين يرمي ق. لوقا بهذا، فهو يريد أن يُظهر للكنيسة أن العبد ليس وضيعاً ولا منبوذاً في البيت بل ينبغي أن يكون على حد لغة ق. لوقا intimate عزيزاً قريباً كريماً محبوباً كصديق أو كابن.

3:7 **«فَلَمَّا سَمِعَ عَنْ يَسُوعَ، أَرْسَلَ إِلَيْهِ شُيُوخَ الْيَهُودِ يَسْأَلُونَهُ أَنْ يَأْتِيَ وَيَشْفِيَ عَبْدَهُ».**

«شيوخ اليهود»: presbutšrouj

وهم الطبقة العلمانية التي تترأس على الشعب، أو ربما يكوّنون أعضاء السنهدرين. ولكن في

(168) H. Marshall, *op. cit.*, p. 279.

البلاد الصغيرة يكوّنون جماعة تساعد السنهدرين(169). وجاءت هنا خلواً من "أل" التعريف، لذلك تعني بعضاً منهم، لأن هذه الجماعات كانت تتكوَّن من سبعة أعضاء.

«يشفي عبده»: diasèsV

وهنا أيضاً يستخدم ق. لوقا هذا الفعل الذي يصلح أيضاً لمعنى الخلاص، ولكنه هنا يفيد الخلاص من الهلاك، أو أن يقيمه بسلام. وجاءت بهذا المعنى في سفر الأعمال: «وأن يقدما دوابَّ ليُركبا بولس **ويُوصِلاه سالماً:** » diasèswsi(أع 24:23). واختيار هذه الكلمة ربما كان لخطورة المرض. وهو اصطلاح يوناني بديع، لأننا نحن كلنا نحتاج إلى هذه "الدياسوزين" أي أن نصل بسلام، لأن وضعنا في العالم يشكّل نفس الخطورة المحيقة بهذا العبد المحبوب.

4:7 **«فَلَمَّا جَاءُوا إِلَى يَسُوعَ طَلَبُوا إِلَيْهِ بِاجْتِهَادٍ قَائِلِينَ: إِنَّهُ مُسْتَحِقٌّ أَنْ يُفْعَلَ لَهُ هذا».**

«طلبوا إليه باجتهاد»: parek£loun aÙtÕn spouda…wj

يأتي فعل طلبوا إليه باليونانية في الصيغة الدائمة ليوضِّح مدى إلحاح شيوخ اليهود في الضغط على الطلب، لا كأنَّ المسيح يرفض الطلب، ولكن رغبة منهم لتزكية السؤال. وبعدها تأتي كلمة باجتهاد لأن الأمر يخصهم نوعاً ما، إذ أنهم أفصحوا بعد ذلك أن هذا القائد الشريف بنى المجمع الذي يعبدون فيه، وإلى هذا الحد أصبحوا مديونين لهذا الرجل الكريم. وهنا تتضح العلاقة الحميمة بين هؤلاء الشيوخ الذين يخدمون في هذا المجمع وبين هذا الضابط المنفتح والسخي.

«مستحق»: ¥xioj

الاستحقاق بالحقيقة يليق بالله وحده، ولكن تُستخدم هذه الكلمة للتعبير عن مدى استحقاق الإنسان ولكن فيما هو دون الله. فهي هنا بعيدة كل البعد عن القيمة اللاهوتية التي لها. وإنما تشير إلى ذيوع صيت هذا الإنسان بين الشعب وزملائه. وينصبُّ الاستحقاق هنا على «أن يُفعل له هذا» أي أن يذهب المسيح ويشفي عزيزه الذي على شَفَا الموت.

5:7 **«لأَنَّـهُ يُحِبُّ أُمَّتَنَا، وَهُوَ بَنَى لَنَا الْمَجْمَعَ».**

«أمّتنا»: tÕ œqnoj ¹mîn

وهو اصطلاح يستخدمه اليهود بالمفرد ليرفعوا من قدر اليهودية فوق بقية الأمم (بالجمع):

(169) G. Bornkamm, *TDNT,* VI, 660 f.

«فقالوا إن كرنيليوس (قائد مئة آخر) قائد مئة رجلاً باراً وخائف الله ومشهوداً له من كل **أُمَّة** œqnouj اليهود ...» (أع 22:10)، وخاصة أنه بنى المجمع في موضعهم (كفرناحوم). ومعروف في التاريخ القديم أن الأمم كانت تتبارى في إصلاح المجامع اليهودية(170). ولكن أن يبني رجل أممي مجمعاً بأكمله لليهود فهذه أول مرَّة نسمع بها، ولكن معروف أنه كان بين رجال البوليس والأمن من الأمم رجال أغنياء. وقد انتقل هذا إلى الكنيسة على يد كرنيليوس الذي اعتمد على يد ق. بطرس: «وهو تقيٌّ وخائف الله مع جميع بيته، يصنع حسناتٍ كثيرةً للشعبِ، ويُصلّي إلى الله في كل حين.» (أع 2:10)

6:7 **«فذهَبَ يَسُوعُ مَعَهُمْ. وَإِذْ كَانَ غَيْرَ بَعِيدٍ عَنِ الْبَيْتِ، أَرْسَلَ إِلَيْهِ قَائِدُ الْمِئَةِ أَصْدِقَاءَ يَقُولُ لَهُ: يَا سَيِّدُ، لاَ تَتْعَبْ. لأَنِّي لَسْتُ مُسْتَحِقًّا أَنْ تَدْخُلَ تَحْتَ سَقْفِي».**

استجابة المسيح تعني قبول وساطة شيوخ المجمع، وبالأكثر استعداده للذهاب بل ومعرفته المسبقة بما سيتم من جهة شفاء ذلك العبد المحبوب، بل إن مجرَّد تحرُّك المسيح نحو بيت قائد المئة يعني تماماً شفاء العبد في مفهومنا الروحي واللاهوتي. لأن تحرُّك المسيح هو في الحقيقة في وزنه اللاهوتي أكثر من قُلْ كلمة فيبرأ الغلام! ولكن هنا لمَّا عرف قائد المئة بتحرُّك المسيح لم يقوَ على ضبط أعصابه إذ هاج عليه اتضاعه: كيف يتعب المعلّم الذي كان في نظره صاحب سلطان أقوى من سلطانه، فأرسل على عجل سفارة من بعض الأصدقاء يتوسَّلون لدى المسيح أن لا يتجشَّم تعب الذهاب إلى بيته، معلّلاً رجاءه هذا بأنه غير مستحق أن يحل المسيح تحت سقفه، وهذا شعور عجيب حقًّا من إنسان أممي ضابط بوليس.

«أصدقاء»: f…louj

كلمة محبوبة عند ق. لوقا صدَّر بها إنجيله إلى إنسان يحمل الاسم منسوباً إلى الله: «العزيز ثاوفيلس» أي: "مُحب الله" أو "عزيز الله". وواضح أنهم أصدقاؤه هو وغالباً من بني جنسه. وقد جاءت هذه الكلمة في نفس الأصحاح: «جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب فتقولون ... إنه مُحب f…loj للعشَّارين والخطاة.» (لو 34:7)

«يا سيد لا تتعب»: kÚrie m¾ skÚllou

اصطلاح دارج عند ق. لوقا والأناجيل الأخرى (مر 35:5، مت 36:9). وهذا القول شبيه

(170) J. M. Creed, *St. Luke*, London, 1930, p. 101.

بقول ق. بطرس: «أخرج من سفينتي يا رب لأني رجل خاطئ» (لو 8:5)، وقرين لقول المعمدان: «لست أهلاً أن أحل سيور حذائه» (لو 16:3). لأن سلطان المسيح باعتباره الآتي من الله صورة مرعبة للنفس التي تستطيع أن تميِّز الإلهيات. لذلك كان المسيح يتمادى في ودّه ووداعته وبساطته حتى يرفع عن الناس هذا الإحساس: «تعلّموا مني لأن وديع ومتواضع القلب» (مت 29:11)، «أنا إنسان قد كلّمكم بالحق» (يو 40:8). ولكن استطاع المسيح بالحق أن يترك لنا صورته والإحساس به حاملاً الإحساسين معاً: وداعته ولطفه وبساطة نفسه، وعظمة وسلطان مجده معاً وبآن واحد. وكل مرَّة نقف أمامه يجرفنا أحد الإحساسين: فإمَّا وداعته الشديدة حين نكون في حالة الوداعة، وإمَّا سلطانه القاهر مع مجده حينما نقع في الضيقة ونحتاج منه المعونة سريعاً. عجيب هو الرب فهو يستطيع أن يقترب إلينا برفع الفوارق، ويستطيع بآن واحد أن يتراءى كالله بلا فارق.

7:7 «**لِذلِكَ لَمْ أَحْسِبْ نَفْسِي أَهْلاً أَنْ آتِيَ إِلَيْكَ. لكِنْ قُلْ كَلِمَةً فَيَبْرَأَ غُلاَمِي**».

للأسف لم يذكر ق. متى في إنجيله شيئاً من هذا بل قال إن قائد المئة جاء إلى المسيح بنفسه، وقد سبق وعللنا السبب في هذه المفارقة الواضحة وهي أن كلاً من ق. متى وق. لوقا أخذ من مصدرٍ واحدٍ القصة مختصرة للغاية فملأها كل منهما من مصادر أخرى، فاختلفت القصة في مفرداتها ولكن جوهرها واحد؛ إذ يتركّز قلب القصة في أن قائد المئة في إنجيل ق. متى اعتبر أنه ليس أهلاً أن يأتي المسيح تحت سقف بيته، أمَّا في إنجيل ق. لوقا فأضاف قائد المئة أنه هو أيضاً ليس أهلاً أن يأتي إلى المسيح، لذلك رأى أن كلمة واحدة يقولها المسيح تكفي أن تَشفي الغلام. ويبدو أن هذا التقدير الفكري الإيماني كان أحد مواريث إسرائيل عن عمل الله بالكلمة، فداود يصرِّح بها: «أرسل كلمته فشفاهم ونجَّاهم من تهلكاتهم» (مز 20:107)، الأمر الذي نفّذه المسيح أمام تلاميذه المنزعجين من هياج البحر وعنف الرياح: «يا معلّم يا معلّم إننا نهلك» (لو 24:8)، فالمسيح بكلمة واحدة نجَّاهم من هلاك أكيد إذ صرخ في البحر أن اِبكم والريح أن تخرس فتوقّف البحر وصمتت الريح. وهذه المعجزة من أهم البينات التي تكشف عن المسيح كخالق، وفي أمر قائد المئة كمُحْي من الموت.

8:7 «**لأَنِّي أَنَا أَيْضاً إِنْسَانٌ مُرَتَّبٌ تَحْتَ سُلْطَانٍ، لِي جُنْدٌ تَحْتَ يَدِي. وَأَقُولُ لِهذَا: اذْهَبْ فَيَذْهَبُ، وَلآخَرَ: ائْتِ فَيَأْتِي، وَلِعَبْدِي: افْعَلْ هذَا فَيَفْعَلُ**».

الصورة التي تصوَّرها قائد المئة عن المسيح مبدعة حقّاً، فقد رأى في نفسه أنه مرتّب تحت سلطان وله سلطان أن يأمر فيُطاع في الحال، والفكر واضح في رأس هذا الضابط المتسع الخيال

والإيمان، أولاً إذ اعتبر أن المسيح هو من الله وهذا هو السلطان الأعظم الذي يتحرَّك المسيح بمقتضاه، وثانياً، أن المسيح هو نفسه صاحب نفس السلطان. فالله إذ هو قادر أن يقول كلمة فيخلق ويُحيي ويُميت، فالمسيح جاء وله هذا السلطان عينه، فأصبح من العبث أن يتعب هذا الرب المبارك ويأتي إلى بيت قائد المئة، أو حتى يأتي إليه قائد المئة إذ المسيح قادر أن يقول كلمة فيكون كل ما يُريد المسيح وكل ما يتمناه ذلك الضابط التقي. صورة صادقة أقوى ما يكون الصدق، فلمَّا سمع المسيح هذا التفسير تعجَّب حقًّا لأنه حق.

9:7 «**وَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ هذا تَعَجَّبَ مِنْهُ، وَالْتَفَتَ إلى الْجَمْعِ الَّذِي يَتْبَعُهُ وَقَالَ: أَقُولُ لَكُمْ: لَمْ أَجِدْ وَلاَ فِي إِسْرَائِيلَ إِيمَاناً بِمِقْدَارِ هذا**».

حينما استمع المسيح إلى قول هذا الضابط العجيب اندهش من قدرة اتساع خياله وإيمانه الذي به قيَّم قدرة المسيح على مستوى الجندية الشديدة الانضباط والخضوع والطاعة، الأمر الذي لمَّا تميَّزه المسيح وجده على نوع من الصحة الإيمانية الفريدة من نوعها، لأن هذا النظام الذي يحكي الضابط عنه أنه مستوى التعامل الذي يحياه مع مرؤوسيه ربما يكون أقرب ما يمكن إلى حقيقة التدبيرات السماوية. غير أن المسيح هو بذاته الكلمة الإلهية التي تخضع لها السموات والأرض بلا جنود أو توسطات من أي نوع. ولكن سرعان ما قاس المسيح هذا الإيمان لهذا الضابط بإيمان الكتبة والفرِّيسيين والعلماء ورؤساء اليهود فوجد أن الموازنة منعدمة، فأعلى وصف إيماني سمعه المسيح من نيقوديموس، وهو رئيس كبير من معلمي الناموس الفرِّيسيين، بخصوص شخصية المسيح هو ما قاله: «نعلم أنك قد أتيت من الله مُعَلِّماً» (يو 2:3). وانتهى الحوار مع نيقوديموس على أساس يائس: «إن كنت قلت لكم الأرضيات ولستم تؤمنون، فكيف تؤمنون إن قلت لكم السماويات؟» (يو 12:3)، وقبلها: «الحق الحق أقول لكَ: إننا إنما نتكلَّم بما نعلم ونشهد بما رأينا، **ولستم تقبلون شهادتنا**» (يو 11:3)!!

ومن هذه النوادر التي قابلتنا في الإنجيل من أشخاص أمميين سواء الكنعانية التي قال لها المسيح: «عظيم إيمانكِ» (مت 28:15)، أو هذا الضابط الذي قال له إنه ولا في إسرائيل وجدت إيماناً بمقدار هذا، من هذا نُدرك أن الأُمم شاركوا حقًّا في استقبال المسيح وأكرموا مجيئه فتأكد لنا لماذا «**أحب الله العالم** حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية» (يو 16:3). وقول الرب: «لي خراف أُخر ليست من هذه الحظيرة ينبغي أن آتي بتلك أيضاً فتسمع صوتي وتكون رعية واحدة وراع واحد!! »(يو 16:10). وكان همُّه الأعظم

يوم تراءى لتلاميذه بعد القيامة للمرَّة الأخيرة: «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمِّدوهم ...» (مت 28:19).

10:7 **«وَرَجِعَ الْمُرْسَلُونَ إِلى الْبَيْتِ، فَوَجَدُوا الْعَبْدَ الْمَرِيضَ قَدْ صَحَّ».**

لقد تمَّ شفاء العبد كما أراد قائد المئة ودون أن يذهب المسيح ولا نسمع أنه قال كلمة، ولكن بمجرَّد إرادة المسيح تمَّ الشفاء مثلما حدث للأرملة الفينيقية السورية التي شفى المسيح ابنتها بسبب إيمانها وبدون كلمة (مر 7: 24-30).

2 ـ إقامة ابن الأرملة من الموت

(7:11-17) (إنجيل القديس لوقا وحده)

قصة قدَّمها ق. لوقا ليبني عليها بعد ذلك الرد الاستعلاني فيما يخص مجيء المسيَّا، لإثبات حقيقة مَنْ هو لتلاميذ يوحنا المعمدان: «والموتى يقومون»

وفي هذه القصة يكشف المسيح عن مدى حنانه وعطفه على أرملة فقدت زوجها، وابنها وحيد محمول على نعش. وتصادف أن المسيح كان داخلاً المدينة ومودِّعو الميت خارجون به، فتقدَّم المسيح بدون أن يسأله أحد ولمسَ النعش فتوقَّف سير الحاملين وابتدر الشاب بأن قُمْ فقام. وهكذا استُعلن المسيح في هذه القصة كحامل لسلطان الله على الإقامة من الموت. لذلك نجد القوم في النهاية يعتريهم الخوف ويعطون المجد لله. ولكن الذي يهم ق. لوقا في هذه القصة هو أن يكشف أن الناس قد تمهَّد ذهنهم بأن هذا هو زمان افتقاد الله وقيام نبي عظيم، الأمر الذي سيرُدُّ به المسيح على سؤال المعمدان: هل هو الآتي أم ينتظرون آخر؟

ولكن لا نعدم رؤيا تخص حاضرنا وكنيستنا، فالمنظر يتراءى وكأن الكنيسة قد أصابها ما أصاب أرملة نايين، تودِّع أولاداً أعزاءَ إلى مصيرهم المحتوم، ليس إلى القبر بل إلى ما هو أصعب من القبر: إلى حياة بلا مسيح ولا رجاء. وإذ بنا نرى المسيح يوقف هذا المشهد الحزين ويلمس روح الضياع واليأس فتتوقف مسيرة الموت ويأمر بكلمة فينهض شباب الكنيسة لنهضة تملأ أطراف الدنيا.

ألا يتحنن قلبك يا سيد وتفتقد الكنيسة وهي متغرِّبة وحدها تبكي قتلاها ضحايا موبقات العصر التي أتقن الشيطان صنعها؟

11:7 «**وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي ذَهَبَ إِلَى مَدِينَةٍ تُدْعَى نَايِينَ، وَذَهَبَ مَعَهُ كَثِيرُونَ مِنْ تَلاَمِيذِهِ وَجَمْعٌ كَثِيرٌ**».

«**نايين**»: Na‡n

مدينة يقول عنها يوسيفوس المؤرِّخ إنها أدومية تقع في شرق الأُردن(171)، ولكن هي الآن مدينة صغيرة تُدعى نن Nen في سهل يزرعيل على بعد 6 أميال جنوب شرق الناصرة على الحافة الشمالية لجبل حرمون الصغير. وكان يرافق المسيح عدد كبير من تلاميذه مع جمع كثير وكل هؤلاء صاروا شهوداً لهذه المعجزة. وكان منظراً مألوفاً أن يُرى المسيح سائراً في الطرقات ومن مدينة إلى مدينة، يحيط به جمع كبير من تلاميذه وبقية التابعين للمسيح بصورة دائمة.

12:7 «**فَلَمَّا اقْتَرَبَ إِلَى بَابِ الْمَدِينَةِ، إِذَا مَيْتٌ مَحْمُولٌ، ابْنٌ وَحِيدٌ لأُمِّهِ، وَهِيَ أَرْمَلَةٌ وَمَعَهَا جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمَدِينَةِ**».

كانت القبور لكل مدينة توجد خارجها، وفعلاً فإن آثار قبور لا تزال موجودة ناحية الجنوب الشرقي لمدينة نايين. والمشكلة أن التقليد لا يقول إن المدينة كان لها باب ولكن لا توجد أي أبحاث أثرية في هذه المنطقة. كان الحزن يلف كل الجماعة التي خرجت مع الميت المحمول، والتأثُّر البادي على الجماعة يكشف فداحة الخسارة بالنسبة لهذه الأرملة، فالابن كان وحيدها والزوج قد مات. لذلك كان البكاء والنحيب مؤلماً للغاية.

وقول القصة إنه كان مع الأرملة التي خرجت تدفن وحيدها جمع كثير يعطي الانطباع عن مركز هذه الأرملة العزيز جداً عند أهل المدينة وفداحة خسارتها.

13:7 «**فَلَمَّا رَآهَا الرَّبُّ تَحَنَّنَ عَلَيْهَا وَقَالَ لَهَا: لاَ تَبْكِي**».

«**الرب**»: Ð kÚrioj

هذا اللقب يُستخدم للتعبير عن الله وعن المسيح في مواضع متبادلة. ولقب الرب رَسَخَ في الكنيسة الأُولى للتعبير عن المسيح إذ أقامه الله ليكون هو الرب: «فليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم **ربًّا** ومسيحاً» (أع 36:2) بمعنى مسيًّا الرب. وأول مرَّة ذُكر فيها اسم "الرب" منسوباً للمسيح بالمفهوم الكامل أي بمفهوم الله كان من فم المسيح نفسه في إنجيل ق. مرقس: «وإن قال لكم أحد لماذا تفعلان هذا فقولا الرب محتاج إليه فللوقت يرسله إلى هنا.» (مر 3:11)

(171) من الصعوبة بمكان تحديدها بالمدينة التي يدعوها يوسيفوس نايين لأنها تقع على حدود أدومية (حرب 4:9:4و5).

«**تحنَّن عليها**»: ™splagcn…sqh
ويبدو أن ق. لوقا أخذ هذا الاصطلاح عن ق. مرقس (41:1 و34:6 و2:8 و22:9).

«**وقال لها: لا تبكي**»:

ويمكن أن يقول هذه الكلمة التوسُّلية أي إنسان وهو لا يملك ما يعزّي، ولكن المسيح قالها لأنه عالم أنه سينزع عنها الدموع بل والحزن كله، فهو المعزّي الوحيد الذي ينزع الدموع والأحزان كلها بأن يجتث أصولها وأسبابها ودواعيها، فهو المحيي ومعطي الحياة مع بهجة الخلاص وأفراح الأبدية.

وهو حينما قال: «فتفرح قلوبكم ولا ينزع أحد فرحكم منكم» (يو 23:16)، قالها وهو عالم أنه هو سيكون فرح الحياة التي لن يكون فيها حزن لموت بعد! «مَنْ كان حيًّا وآمن بي فلن يموت إلى الأبد.» (يو 26:11)

14:7 «**ثُمَّ تَقَدَّمَ وَلَمَسَ النَّعْشَ، فَوَقَفَ الْحَامِلُونَ. فَقَالَ: أَيُّهَا الشَّابُّ، لَكَ أَقُولُ قُمْ**».

بعد أن قال للمرأة لا تبكي كان حتماً سيصنع عملاً ينهي على البكاء، وبتؤدة تقدَّم المسيح حتى صار بجوار النعش المحمول. وهكذا وقفت الحياة بجوار الموت فأصبح من المحتَّم أن يفر الموت ويخلي السبيل للحياة. ولكي يكمّل المسيح فعل الحياة في الجسد الميت لمس النعش، فسرت الحياة في الحال وأزاحت الموت، وقام الشاب يستفسر ماذا حدث لأن روحه استُدعيت من الهاوية لتلبس جسدها وتستعيد حياتها. كان النعش بدون غطاء كعادة اليهود، فلمَّا قَبِلَ الجسد الروح قام للتو فكان أول مَنْ وقعت عينا الشاب عليه هو المسيح الذي تحنَّن عليه.

15:7 «**فَجَلَسَ الْمَيْتُ وَابْتَدَأَ يَتَكَلَّمُ، فَدَفَعَهُ إِلَى أُمِّهِ**».

لقد أطاعت الروح كلمة صاحب القيامة من الأموات، قامت في الحال وأقامت معها الجسد المسجَّى والملفوف بلفائف الموت. ولماذا يتعجَّب القوم أو يندهش القارئ، فالمسيح دفع ثمن هذه القيامة بموته الذي كان مزمعاً أن يموته فكان ثمناً لكل قيامة منذ آدم وإلى آخر الدهور. لأن الموت الذي ماته المسيح كان فعلاً متغلغلاً في جسد البشرية فائقاً على المكان والزمان لأنه كان فعلاً إلهياً. فالذي مات هو ابن الله بالجسد من أجل كل جسد كان وسيكون. بل إنه بموته داس الموت وألغى سطوته، فمن آمن بالمسيح ومات فهو لا يموت ولا يسود عليه الموت بل هو لقيامة محقَّقة بالروح: «إني أنا حي فأنتم ستحيون» (يو 19:14)، «مَنْ آمن بي ولو مات فسيحيا، وكل مَنْ كان حيًّا (بالروح) وآمن بي فلن يموت إلى الأبد.» (يو 11: 25و26)

نعم لقد أقام الشاب من الموت ربُّ القيامة، وتكلَّم الشاب شهادة لروح القيامة الناطق في لسانه. أمَّا القول أنه دفعه إلى أُمه، فعودة إلى معجزة إيليا وابن الأرملة (1مل 23:17)، والمقيم من الموت في القديم هو هو الذي أقام في الجديد وهو الذي سيُقيمنا جميعاً في ملء مجيئه للمجد.

16:7 **«فَأَخَذَ الْجَمِيعَ خَوْفٌ، وَمَجَّدُوا اللهَ قَائِلِينَ: قَدْ قَامَ فِينَا نَبِيٌّ عَظِيمٌ، وَافْتَقَدَ اللهُ شَعْبَهُ».**

إزاء هذا العمل الفائق على الطبيعة والذي لم يألفه الناس قط أخذ أهلَ الميت والمشيِّعين خوفٌ، ولكن لم يعجزوا عن إدراك أن الله هو العامل هذه المعجزة العظمى أن يقوم ميت بالأمر وبكلمة واحدة، فاعتبروا الله هو الذي افتقد شعبه وأرسل هذا النبي العظيم. لم يطرأ على ذهنهم أن يكون نبي قد قام من الأموات مثل إيليا مثلاً الذي عُرف عنه أنه أقام ميت أرملة صرفة صيدا. ولكن تيقَّنوا أن الله افتقد شعبه بقيام هذا النبي العظيم. ولكن الذي يسترعي اهتمامنا أنهم قيَّموا هذا النبي بأنه عظيم لأن المعجزة التي تمَّت أمام أعينهم عظيمة جداً وبكل معنى، وتفوق قدرة كل الأنبياء خاصة أن المسيح أمر الميت بسلطان وليس بتوسُّل لدى الله، الشيء الذي لم يُسمع به قط والذي فيه إشارة خفية أن الناطق نَطَقَ بقوة الله.

«افتقد الله شعبه»: ™peskšyato

الكلمة اليونانية تفيد معنى الزيارة، أي أن الله زار شعبه، وهي أقوى من كلمة الترجمة العربية "افتقد"، فالافتقاد يمكن أن يتم عن بُعد. فالله يفتقد شعبه وهو في السماء. ولكن هنا تعني أن الله قام بزيارة شخصية لشعبه. والحقيقة أن الشعب كله كان على أشد الانتظار أن يحدث هذا: أن يفتقدهم بنفسه.

17:7 **«وَخَرَجَ هذَا الْخَبَرُ عَنْهُ فِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَفِي جَمِيعِ الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ».**

وطبعاً هذا الخبر هو إقامة الميت ابن الأرملة. وطبعاً كل اليهودية يُضاف إليها الجليل فهي جميع الكورة المحيطة بمكان المعجزة وهي مدينة نايين التي يُظن أنها خارج اليهودية وقريبة من الأُردن. والقصد من هذا هو وصول خبر المعجزة إلى مكان سجن يوحنا المعمدان حيث كان مسجوناً في منطقة ماخيروس شرق الأُردن، وخارج اليهودية. الذي إذ سمع هذه الأخبار فكَّر أن يكون هذا هو المسيح وأراد أن يستوثق من هذه الأخبار وصحة نسبتها "للمسيَّا" الذي جاء يوحنا مُرسلاً أمامه ليعدّ له الطريق.

ويمتاز الأصحاح السابع بتدوين العلاقة بين المسيح والمعمدان. فالجزء الأساسي في هذا الأصحاح

ينقسم إلى ثلاثة أجزاء تختص بذلك:

الجزء الأول: (7:18-23): رد المسيح على سؤال المعمدان.

الجزء الثاني: (7:24-28): شهادة المسيح ليوحنا المعمدان.

الجزء الثالث: (7:29-35): الرفض الكبير: رفض يوحنا المعمدان ورفض المسيح أيضاً.

وتأتي هذه التسجيلات مطابقة تقريباً لما جاء في إنجيل ق. متى (11: 2-19) مما يوحي بأن كلاً من ق. متى وق. لوقا أخذ من مصدر واحد.

الجزء الأول:

3 ـ رد المسيح على سؤال المعمدان

(7:18-23) (مت 11:1-6)

حينما جاء تلاميذ يوحنا يسألون المسيح هل أنت الآتي أم ننتظر آخر كان رد المسيح من واقع ما رأوا وسمعوا من الآيات ذات القوات العظيمة حتى إلى أن الموتى يقومون، وأن المساكين يُبشَّرون. وهذا بدوره يأتي تتميماً لقول إشعياء النبي: «حينئذ تتفقَّح عيون العمي، وآذان الصم تتفتَّح، حينئذ يقفز الأعرج كالأيَّل (الغزال) ويترنَّم لسان الأخرس» (إش 35: 5و6)، «ومفديو الرب يرجعون ويأتون إلى صهيون بترنُّم وفرح أبدي على رؤوسهم، ابتهاج وفرح يدركانهم، ويهرب الحزن والتنهُّد» (إش 35:10). وهنا يمتاز ق. لوقا كونه يقدِّم تلاميذ يوحنا بسؤالهم واضحاً، ويصف المعجزات التي تمَّت في حضرتهم.

ويأخذ العلماء على المعمدان كونه يناقض ما سبق أن قاله وامتدح به المسيح. ولكن في رأينا أن الذي أجبر المعمدان على هذا السؤال الحال الذي تردَّى فيه نتيجة اضطهاد هيرودس وسجنه، مما زعزع فكره. ولم يكن يدري المعمدان أنه بسجنه وقطع رأسه كان يتنبَّأ عن صليب المسيَّا.

7:18 **«فَأَخْبَرَ يُوحَنَّا تَلاَمِيذُهُ بهذا كُلِّهِ».**

كانت أخبار أعمال المسيح والقوات التي صنع قد بلغت يوحنا المعمدان بواسطة تلاميذه لأنه كان في السجن. فقد كان يوحنا وقتئذ مسجوناً كما يخبرنا ق. متى: «أمَّا يوحنا فلمَّا سمع في

السجن بأعمال المسيح أرسل اثنين من تلاميذه وقال له: أنت هو الآتي أم ننتظر آخر؟ »(مت 11: 2و3). وقد سبق ق. لوقا أيضاً وأخبر عن سجن المعمدان (لو 20:3). وواضح من كلام ق. متى أن تلاميذ المعمدان كان متيسِّراً لهم زيارة معلّمهم المعمدان في السجن بدون صعوبة.

19:7 «**فَدَعَا يُوحَنَّا اثْنَيْنِ مِنْ تَلاَمِيذِهِ، وَأَرْسَلَ إِلى يَسُوعَ قَائِلاً: أَنْتَ هُوَ الآتِي أَمْ نَنْتَظِرُ آخَرَ؟**»

الشرح الذي نقدّمه هنا هو من واقع الحال كما سجَّله الإنجيل بأن يوحنا قد أُلقي في السجن بانتظار الموت المحتَّم، والتلاميذ من حوله في فزع لأن معلّمهم كان عزيزاً وكبيراً في أعينهم. فإن كان الآباء الأوائل قد تجاوزوا الواقع المرّ وقالوا بأن يوحنا إنما أرسل التلميذين ليشدِّد قلبيهما برؤية المسيح، وأنه هو لم يكن يشك في مَنْ مدحه ووصفه بأنه الحمل الذي يرفع خطية العالم والعريس الذي جاء لتفرح به البشرية، وهو الصديق للعريس الذي يفرح بفرحه. كذلك جاء بعض العلماء في عهد الإصلاح ليقولوا بقول الآباء. ولكن جمهرة العلماء واللاهوتيين الكبار رأوا في هذا الشرح محاولة لتقديس الأشخاص وإخفاء نقائصهم، الأمر الذي لم يمارسه الكتاب المقدَّس منذ البدء حتى النهاية، منذ توبيخ موسى بشدة إلى توبيخ بطرس بشدة أكثر بسبب انحراف أفكارهم عن حق الله. لذلك لا نرى في هذه القصة إلاَّ عثرة من العثرات الكثيرة التي واجهها المسيح من الكتبة والفرِّيسيين والكهنة ورؤساء الكهنة ورؤساء الشعب والتلاميذ والأقارب وحتى أهل بيته.

إرسالية حزينة من داخل سجن مظلم وأخبار انتقام ورائحة موت، نفسية المعمدان أسد البرية الصارخ برجاء الآتي وإنذارات التوبة وقوة المغفرة بدأت تنهار تحت ظلم هيرودس وكيد نساء القصر. فإن كان يوحنا هو إيليا، فإيزابل جاءت وراءه والموت بين يديها. لقد ارتاع المعمدان من الأخبار التي كانت تصله كل يوم، فرفع نظره نحو مَنْ جاء يكرز لحياته، الأقوى منه والعريس الذي جاء ليفرح به قبل أن يعتزل وينقص. أين هو؟ وأين أنا؟ ألم يسمع بما ألمَّ بي في سجني وهو القادر وبالروح القدس يعمل؟ فلماذا أهملني بهذا المقدار؟ ألعله يكون ليس هو الآتي الذي ننتظره؟ وهل علينا أن ننتظر آخر؟

لقد أدرك يوحنا كل شيء عن المسيح ولكن شيئاً واحداً أُخفي عن عينيه: الصليب!! فالموت الذي كان يخشاه المعمدان كان هو مسرَّة المسيَّا. فإن كان المسيح يرى في الصليب تكميل الرسالة، فليس كثيراً على مَنْ أعدَّ له الطريق أن يُلقى في سجن، والخلاص الذي جاء المسيح يسعى إليه ليس هو الخلاص من السجون وأيدي الملوك والولاة!

ولكن لم يحتمل المعمدان أكثر من هذا، فأرسل تلميذين يسأل: أنت هو الآتي أم ننتظر آخر يأتي ليُخلّصنا من الضيقة! وهكذا عثر الجميع في يسوع ويسوع وحده كان بلا عثرة.

20:7 «**فَلَمَّا جَاءَ إِلَيْهِ الرَّجُلاَنِ قَالاَ: يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ قَدْ أَرْسَلَنَا إِلَيْكَ قَائِلاً: أَنْتَ هُوَ الآتِي أَمْ نَنْتَظِرُ آخَرَ؟**»

القديس لوقا وحده هو الذي يذكر وصول الرجلين إلى المسيح وتقديم سؤال معلّمهما الحزين، وربما شفعاه بوصف حال المعمدان في السجن. وقد أوضح التلميذان بقولهما: «أم ننتظر آخر» بالمتكلّم في صيغة الجمع أنهما انضما إلى معلّمهما بذات السؤال. لأنه إن كان المعمدان قد أصابه القلق من الوضع السيئ الذي تردّى فيه، خاصة وأنه حدث نتيجة لقول الحق الذي جاء ليعلنه للجميع، فتلاميذه لا بد أنهم قد بلغوا نفس الوضع، بالرغم من ولائهم لمعلّمهم.

21:7 «**وَفِي تِلْكَ السَّاعَةِ شَفَى كَثِيرِينَ مِنْ أَمْرَاضٍ وَأَدْوَاءٍ وَأَرْوَاحٍ شِرِّيرَةٍ، وَوَهَبَ الْبَصَرَ لِعُمْيَانٍ كَثِيرِينَ**».

كان من العسير على التلميذين أن يصلا في الحال إلى المسيح، فالجمع الواقف حشد كبير، مرضى وحاملو مرضى بالمئات ومتألمون يتوجّعون وعمي يصرخون ويهتفون. فوقف التلميذان ينظران ويتأمّلان ويفحصان ساعة من ساعات المسيّا. وكأن إشعياء يتلو صفحاته على عجل، وكل ما ينطقه إشعياء يرسمه المسيح بيديه وبكلمة من فمه. وكان المنظر أخّاذاً ورهيباً، فالمحمولون على الأذرع وعلى النقّالات بلمسة أو بكلمة يقومون ويقفزون ويجرون، كذلك كل أنواع الأمراض التي تُوْقِف الحركة أو تَشِلُّ الأعضاء أو تَصمُّ الآذان أو تُعمي العيون، بالإضافة إلى الأرواح الشريرة التي كان كثير منها يخرج صارخاً بلا لمسة وبلا كلمة، فحضرة المسيح آكلة. فلمّا وصلا إلى المسيح وكلّماه كان قد حدث مئات من الأشفية والمعجزات.

22:7 «**فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمَا: اذْهَبَا وَأَخْبِرَا يُوحَنَّا بِمَا رَأَيْتُمَا وَسَمِعْتُمَا: إِنَّ الْعُمْيَ يُبْصِرُونَ، وَالْعُرْجَ يَمْشُونَ، وَالْبُرْصَ يُطَهَّرُونَ، وَالصُّمَّ يَسْمَعُونَ، وَالْمَوْتَى يَقُومُونَ، وَالْمَسَاكِينَ يُبَشَّرُونَ**».

يشترك الإنجيليان ق. متى وق. لوقا في نفس كلمات المسيح التي قالها للتلميذين. ونُلاحِظ أن المسيح قدَّم شفاء العمي: «العُمي يُبصرون» كأكبر علامة سُجِّلت في الأنبياء وخاصة إشعياء على عمل المسيح: «حينئذ تتفقّح عيون العمي وآذان الصم تتفتّح، حينئذ يقفز الأعرج كالأيَّل (كالغزال)

ويترنَّم لسان الأخرس» (إش 35: 5و6). ويعود إشعياء ويكرِّر شفاء العمي والصُم في أيام المسيَّا: «ويسمع في ذلك اليوم الصمُّ أقوال السفر وتنظرُ مِنَ القتام والظُّلمة عيون العمي ويزداد البائسون فرحاً بالرب ويهتف مساكين الناس بقدوس إسرائيل.» (إش 29: 18و19)

أمَّا تأكيد المسيح على بشارة المساكين بالفرح الإلهي فكانت ذات قيمة خلاصية قائمة بحد ذاتها توازن جميع معجزات الأشفية من كل الأمراض. وهذه أيضاً ذكرها كعلامة أُولى وعُظمى على عمل مسحة الله لقدوس إسرائيل: «روح السيد الرب عليَّ لأن الرب مسحني لأُبشِّر المساكين ...» (إش 61:1). أمَّا قيامة الموتى فكانت من أهم القوات التي عملها المسيح في حياته، لأنها كانت تأكيداً لقوة القيامة التي حملها المسيح في طبيعته: « والموتى يقومون» وهذه أيضاً لم تغب عن إشعياء: «تحيا أمواتك تقوم الجثث (بعد نتن) استيقظوا ترنَّموا يا سُكَّان التراب.» (إش 26:19)

أمَّا المرض الوحيد الذي فات على نبوات إشعياء ولم يذكره، وكان من الأمراض الهامة التي شفاها المسيح، فهو "البرص" وهو الداء عديم الشفاء. وكون البرص يُطهَّر يعني أن لا تكون له علاماته المميزة ظاهرة.

والآن ما معنى حدوث هذه الأحداث الجليلة من جهة شفاء الأمراض العديدة وإقامة الموتى التي ذكرها إشعياء كعلامة لمجيء أيام الخلاص وعمل المسيَّا، وها هي تُجرى تباعاً وبلا عدد؟ إن المسيح نفسه يعرضها بأسمائها ليؤكِّد بنفسه أن الخلاص قد بدأت أيامه والملكوت قد انفتحت أبوابه. ولكن كان غاية ما ينتظره يوحنا أن تبدأ أيام الدينونة لتحصد الخطاة كتبن يُحرق بالنار، ولكن عوض الدينونة سمع المعمدان أن المساكين يُبشَّرون. وهذه أعظم علامات المسيَّا حتى اليوم!

23:7 **«وَطُوبَى لِمَنْ لاَ يَعْثُرُ فِيَّ».**

«يَعثُرُ فيَّ»: skandalisqÍ

العثرة إمَّا أن يكون لها المعنى المتعدِّي أي أن تكون سبباً في إعطاء أفكار أو أعمال أو أقوال تُزل الآخرين إلى الخطية أو تجعلهم يسقطون عن الحق أو الإيمان، أو يكون لها معنى الفعل اللازم، أي أن الإنسان يعثر بنفسه أي يُخطئ في حق الله أو المسيح أو القديسين فيزل عن الحق الذي فيهم وبهذا يسقط عن الإيمان. وهذه هي التي قصدها المسيح «يعثر فيَّ» أي يُخطئ إلى رسالتي أو ينكر الإيمان بي أو يستنقص من تعليمي، أو بأكثر توضيح أن لا يقبل أنني "الآتي" الذي تنبأ عنه الأنبياء، لأن علامات مجيئي ومسيَّانيتي معمولة ومنظورة ومسموعة ينطق بها العمي والصم والذين أقامهم المسيح

من الموت!! وبهذا تكون العثرة فيَّ تساوي عدم الإيمان بي.

وهكذا أصبح المسيح نفسه حجر عثرة وكل مَنْ عثر فيه سقط ويُدان في اليوم الأخير، بل ولا يزال وإلى أن يجيء المسيح، وسيبقى الإيمان بالمسيح هو المحك الذي يؤدِّي إلى قبول الإيمان والخلاص أو العثرة والسقوط. وحينئذ سيستعلن في النهاية كل مَنْ آمن وخلص، وكل مَنْ عثر ورُفض.

ولكن قول المسيح: «وطوبى لمَنْ لا يعثُرُ فيَّ» هو كلمة سرِّية مُرسلة للمعمدان تبشِّر بأن المسيح يدرك مسبقاً أنه سيقبل الرسالة ويؤمن لأن الوعد والنبوَّة بقداسته لن تخيب، خاصة وأن المسيح أفرغ جزءاً كبيراً من الأصحاح السابع لمديح يوحنا من الآية (24) إلى الآية (35).

الجزء الثاني:

4 ـ شهادة المسيح ليوحنا المعمدان

(28-24:7)　　　(مت 11:7-15)

لقد حرص المسيح بنوع من العاطفة الحميمة أن يقول هذا الجزء من التعليم الخاص بمديح يوحنا المعمدان على أعلى مستوى من الصراحة والوضوح في غياب تلميذيه حتى لا يؤثِّر عليهما أو على يوحنا بمديحه من جهة "الإيمان"، وهذه هي عادة المسيح، ألاَّ يستجدي الإيمان ولا يضغط. والكلمات التي قالها المسيح هنا متشابهة في كل من إنجيل ق. متى (11:7-15) والقديس لوقا (7:24-28).

والذي حرص المسيح أن يعلنه عن يوحنا المعمدان هو سمو أخلاقه كونه نبيًّا بالحقيقة وقدِّيساً، صاحب قوة إيمان ورسالة وإقناع، مما يستحق انتباه الشعب فعلاً. وهو يقصد بذلك أن يرد على مَنْ يتشكَّكون في شخصه وخاصة تلاميذه وسامعيه لمَّا رأوا وسمعوا كيف جزع المعمدان في السجن وأرسل يسأل إن كان هو الآتي. فالمسيح يرد بوضوح على المتشكِّكين بقوله: ماذا خرجتم لتنظروا، هل قصبة تحرِّكها الريح، بمعنى أن المعمدان ليس إنساناً ذا رأيين أو هو شخصية مهزوزة تهزُّه الظروف أو السجن. فالحقيقة المضمرة هي أن المعمدان لمَّا رأى نفسه قد أُلقي في السجن فَهمَ أنه قد توقَّف عن أن يعدَّ الطريق للآتي أمامه، فهوذا الطريق قد انسدَّ وتوقَّف مرَّة واحدة في السجن. فالسؤال ليس عن حقيقة الآتي وكأنه في شك من المسيح ولكن إن كنت أنت الآتي وأنا بالتالي

الذي يعد الطريق أمامك وأنت ابن الله والملك السماوي المقتدر، فلماذا أنا في السجن الآن؟ فهل يوجد آتٍ آخر وطريق آخر؟ فالشك أصاب العملية برمَّتها، لأنه إن كان هو المُرسَل أمامه ”فلماذا أنا في السجن إن كنت أنت الآتي“؟

أمَّا لماذا لم يُسرع المسيح لنجدته، فلأن المسيح كان يرى في سجنه وموته إعداداً عالياً في الطريق نفسه للجلجثة: «ولكنني أقول لكم: **إن إيليا قد جاء ولم يعرفوه بل عملوا به كل ما أرادوا**، كذلك ابن الإنسان أيضاً سوف يتألَّم منهم.» (مت 12:17)

وإن كان الآباء الأوائل قد تباروا في نفي الخطأ عن المعمدان في سؤاله عن هل المسيح هو الآتي أم ننتظر آخر كعادة الآباء في تقديس الأشخاص، إلاَّ أن المسيح أعطانا الطريق الأصح في شرح مثل هذه المواقف الصعبة، بأن لا نتهيَّب أن ننسب الخطأ للقديسين ولكن نبحث عن الأسباب والدوافع، ففيها الدفاع الأقوى لوضع خطأ القديسين في مركز الصواب!! فيبقى القديسون قديسين ويبقى الخطأ خطأً؛ بل تمادى المسيح في تزكيته للمعمدان بأن رفعه إلى أكثر من نبي لأنه جاء ليكمِّل نبوَّة ملاخي النبي (1:3) من جهة مجيء المُرسل من قِبَل الرب الذي أُنيط به إعداد طريق الرب أي المسيح. وبسبب هذه الرسالة اعتبره المسيح أنه أعظم إنسان وُلد من امرأة، علماً بأن عمل المعمدان كان لإعداد الدخول إلى الملكوت، فهو بالتالي بعد المسيح مباشرة، فالمعمدان أعدَّ والمسيح فتح الملكوت.

والقديس لوقا عاد في الأصحاح (16:16) وذكر علانية بفم المسيح أن المعمدان كان سبباً مباشراً لاغتصاب الملكوت: «كان الناموس والأنبياء إلى يوحنا ومن ذلك الوقت يبشَّر بملكوت الله وكل واحد يغتصب نفسه إليه» (لو 16:16). والقديس متى يذكر كرازة المعمدان بملكوت الله بمنتهى الوضوح: «وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية قائلاً: توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات.» (مت 3: 1و2)

وواضح من كلام المسيح أنه يحاول أن يرسم أمام الجموع الحركة الكبيرة والخطيرة التي قام بها المعمدان في إعداد ملكوت المسيَّا القادم منذ بدء خدمة المعمدان، مما لا يماثله في هذا أعظم نبي آخر.

وقول ق. لوقا في (16:16) من فم المسيح، الذي كرَّره ق. متى في (12:11) يكشف المعنى المقصود: أي أن يوحنا بواسطة إعداد القلوب بالتوبة والعودة إلى الله جعل اشتياق الناس يهتاج لدخول ملكوت المسيَّا الذي أعلن عنه، والاشتياق للملكوت يصاحبه جهد وعبادة وتقوى وتغصُّب بلغ الاغتصاب بالعراك الروحي كما رأينا في سمعان الشيخ وحنة النبية، كنموذج لألوف غيرهم أعدُّوا أنفسهم للملكوت وبقوا في انتظاره بفارغ الصبر. وقول المسيح أن مِن أيام يوحنا الملكوت

يُغصب والغاصبون يختطفونه يصوِّر لنا عاصفة جامحة من الروح اجتاحت قلوباً تمسَّكت بالله حتى الموت في عبادة كما سمعناها في حنّة: «لا تفارق الهيكل عابدة بأصوام وطلبات ليلاً ونهاراً» (لو 37:2). هؤلاء اختطفوا الملكوت اغتصاباً، فاليهود إن أخلصوا لله فقدوا التعقُّل في اقتحام السموات، فما بالك ويوحنا قد أوصلهم إلى قلب الله حقًّا وفي حضرة المسيح صاحب الملكوت؟ فبإيمانهم تخطُّوا الحواجز واختطفوه من يد المسيح. والمسيح وهو يقولها كان في غاية الارتياح والافتخار بإيمانهم وقدراتهم التي فاقت كل الحدود.

24:7 «**فَلَمَّا مَضَى رَسُولاَ يُوحَنَّا، ابْتَدَأَ يَقُولُ لِلْجُمُوعِ عَنْ يُوحَنَّا: مَاذَا خَرَجْتُمْ إِلَى الْبَرِّيَّةِ لِتَنْظُرُوا؟ أَقَصَبَةً تُحَرِّكُهَا الرِّيحُ؟**»

بعد ما عرض المسيح على تلميذي المعمدان ما يؤكّد لهما وليوحنا أنه الآتي بحسب الأنبياء بمقتضى أعمال حُجزت منذ الأزل للمسيَّا، لم ولن يعملها أحد غيره: فالعمي يُبصرون والصم يسمعون والموتى يقومون؛ شيء لم تسمع به أُذن بشر ولا خطر على قلب بني آدم، ولمَّا اطمئن المسيح أن التلميذين قد ذهبا إلى حال طريقهما، ابتدأ المسيح بعاطفة حانية لم نعهدها فيه تجاه نبي آخر أو إنسان، ليمدح المعمدان بكلمات غاية في الوضوح والقوة والوثوق وكأنها نياشين مرصَّعة بالنجوم، ويكشف أخلاق المعمدان المقدَّسة وعمله الذي عمله، ليقطع خط الرجعة لأي انحراف في تقدير شخصية المعمدان يظهر في زمانه أو أي زمان جاء بعده.

وفي الاستفهام الذي وضعه يبدأ ينفي المسيح عن المعمدان الشخصية المهزوزة التي تتحرَّك في اتجاه الريح كالقصب (البوص) النامي على شاطئ الأُردن. وصف متقن سبق أن وصف به الرب حال إسرائيل: «ويضرب الرب إسرائيل كاهتزاز القصب في الماء ويستأصل إسرائيل عن هذه الأرض الصالحة التي أعطاها لآبائهم ...» (1مل 15:14)

25:7 «**بَلْ مَاذَا خَرَجْتُمْ لِتَنْظُرُوا؟ أَإِنْسَاناً لاَبِساً ثِيَاباً نَاعِمَةً؟ هُوَذَا الَّذِينَ فِي اللِّبَاسِ الْفَاخِرِ وَالتَّنَعُّمِ هُمْ فِي قُصُورِ الْمُلُوكِ**».

ومن السؤال الأول الذي يختص بعدم اتزان الشخصية إلى السؤال الثاني الذي يختص بأولئك الذين لا عمل لهم إلاَّ تغيير مراكزهم ووظائفهم كالذين هم في مناصب عالية تحت إمرة الملوك. من مركز حسن إلى مركز مرموق أو من حال ضيق إلى حال سعة. والمسيح يسأل أُولئك الذين خرجوا بالفعل يستفسرون عن حال هذا النبي الصارخ في البرية، وماذا رأوه فيه من لباس خشن وشخصية

سامقة وإرادة حديدية. لأن من لباس إيليا الخشن ومنطقته الجلد التي يأتزر بها تبيَّن أنه ناسك عابد لا يميل ولا يلين، يستهزئ بالتهديد ولا يبالي بالصعاب حتى ولو كانت بيد ملك وامرأة غانية شريرة كإيزابل.

26:7 **«بَلْ مَاذَا خَرَجْتُمْ لِتَنْظُرُوا؟ أَنَبِيًّا؟ نَعَمْ أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْضَلَ مِنْ نَبِيٍّ!»**

لأول وهلة خرجوا بالفعل فرأوا نبيًّا صارخاً في البرية يوعِّي إسرائيل بالآتي الذي يحمل مستقبل إسرائيل كله في يديه. ولكن في نظر المسيح كان المعمدان أفضل من نبي لأنه لم يجئ ليتنبَّأ كباقي الأنبياء، ولكن ليختم على النبوَّة ويسلِّمها ليد الذي هو بذاته روح النبوَّة: «فإن شهادة يسوع هي روح النبوَّة» (رؤ 10:19). فكل الأنبياء تنبَّأوا عن مجيء المسيَّا، أمَّا المعمدان فسار أمامه ليعد طريقه. وكل الأنبياء تكلَّموا في ضباب الرؤيا، أمَّا المعمدان فحمل مصباح النور وأضاء بيده الطريق للنور الحقيقي الآتي من بعده. وكل الأنبياء أعطوا الويل لإسرائيل عمَّا عملت يداه واقترفت كهنته والرؤساء، أمَّا المعمدان فجاء ليبشِّر بقرب الملكوت والتوبة والإعداد للدخول. وكل الأنبياء خدموا الآتي من بعيد، أمَّا المعمدان فوضع يديه عليه ورأى الروح نازلاً عليه وشهد له أن هذا هو ابن الله.

27:7 **«هذَا هُوَ الَّذِي كُتِبَ عَنْهُ: هَا أَنَا أُرْسِلُ أَمَامَ وَجْهِكَ مَلاَكِي الَّذِي يُهَيِّئُ طَرِيقَكَ قُدَّامَكَ!»**

يشير المسيح إلى قول النبي ملاخي (1:3) وهو نقلاً عن الأصل العبري وليس السبعيني حيث يتكلَّم يهوه عن ملاكه الذي سيرسله أمام نفسه!! وهو هنا يخاطب مسيًّا، ولكن كلمة ملاكي هنا تفيد **"مُرسل" وليس الملاك ذو الأجنحة،** لذلك من الخطأ رسم المعمدان بأجنحة. والمعنى المقصود حرفياً أن يهوه سيُعِدُّ مرسلاً أمام وجهه كما ظهر بوضوح في (مت 3:3): «فإن هذا هو الذي قيل عنه بإشعياء النبي القائل صوت صارخ في البرية أعدوا **"طريق الرب"** اصنعوا سبله مستقيمة» وأكَّد هذا القول المعمدان نفسه في ردِّه على الكهنة واللاويين: «أنا صوت صارخ في البرية: قوِّموا **طريق الرب،** كما قال إشعياء النبي» (يو 23:1). والمسيح نفسه يتكلَّم عن نفسه بصيغة الغائب ولكن يقصد نفسه: «هذا هو الخبز النازل من السماء، لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت» (يو 50:6)، كذلك قوله: «هذا هو الخبز الذي نزل من السماء (متكلِّماً عن نفسه). ليس كما أكل آباؤكم المن وماتوا. مَنْ يأكل **هذا الخبز** فإنه يحيا إلى الأبد» (يو 58:6). فيهوه يتكلَّم عن نفسه حينما يقول يعدّ طريقك قدَّامك مشخِّصاً بالمسيا، وحقًّا قد استعلن المسيَّا يهوه في نفسه: «الذي رآني فقد رأى الآب» (يو 9:14)، «أنا والآب واحد.» (يو 30:10)

وفي الحقيقة نجد قول ملاخي النبي: «هاأنذا أُرسل ملاكي (المُرسل) فيهيئ الطريق **أمامي،** ويأتي بغتة إلى هيكله السيد الذي تطلبونه **وملاك العهد الذي تُسرَّون به** هوذا يأتي قال رب الجنود» (مل 3:1)، نجد أن الإشارة واضحة أن المُرسل هو إيليا نفسه (مل 5:4). سيأتي أمام يهوه **"أمامي"** الذي تحقَّق في "المسيح" باعتباره المكني عنه بيهوه.

ويُلاحَظ أن المسيح نفسه قد وافق على قول ملاخي هذا بقوله عن المعمدان (ملاك العهد = يوحنا): «كان هو السراج الموقد المنير وأنتم أردتم أن تبتهجوا (أن تُسرُّوا به) بنوره ساعة.» (يو 35:5)

28:7 **«لأنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ بَيْنَ الْمَوْلُودِينَ مِنَ النِّسَاءِ لَيْسَ نَبِيٌّ أَعْظَمَ مِنْ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ، وَلَكِنَّ الأَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ اللهِ أَعْظَمُ مِنْهُ».**

هنا يلزم أن نلاحظ أن التعميم في المولودين من النساء عاد وخصَّصه المسيح في الأنبياء فقط فالمعنى: ليس في الأنبياء المولودين من النساء أعظم من المعمدان، حيث العظمة هنا هي عظمة الأخلاق والسلوك والمسئوليات التي سلَّمها الله لأصحابها، وهي هنا الكشف عن وعد الله المكتوم منذ الدهور في شخص المسيَّا القادم والمناداة له.

ثم معنى الأصغر في ملكوت الله تفيد الإنسان الذي أُنعم عليه بالميلاد من فوق من الروح القدس أي قَبِلَ التبني لله في ملكوت الله. فمهما كان هذا صغيراً بمعنى الرتبة والمواهب والمسئولية، ومهما كانت هذه قليلة وصغيرة فهو أعظم من يوحنا لأن يوحنا يتبع العهد القديم، عهد الناموس. فالفارق هنا هو الفرق بين مستوى العهد القديم ومستوى العهد الجديد، حيث العهد الجديد يمتاز بالمجانية المطلقة وعطية الروح القدس والشركة مع الآب والابن، الأمور التي لا يعرفها وبالتالي لا يحصل عليها أصحاب العهد القديم. فلو أن المعمدان هو أعظم شخصية في العهد القديم ولكنه بالنسبة لملكوت الله الذي دَعَا إليه وبشَّر به يُحسب خارجه. وهو نفسه عبَّر عن ذلك أعظم تعبير: «مَنْ له العروس (أبناء الملكوت) فهو العريس (المسيح) وأمَّا صديق العريس (العهد القديم بكل أنبيائه وقديسيه) الذي يقف ويسمعه فيفرح فرحاً من أجل صوت العريس. إذاً فرحي هذا قد كمُل. ينبغي أن ذلك يزيد وأني أنا أنقص» (يو 3: 29و30). بمعنى أن المعمدان بلغ منتهى عظمته بأن رأى المسيح النور الأعظم وحسب، وبعدها انحدر راجعاً إلى ضباب العهد القديم. أمَّا تعبير المسيح عن النسبة بين المسيح أي الملكوت والمعمدان أي قمة العهد القديم فهي هكذا: «كان هو السراج الموقد المنير وأنتم أردتم أن تبتهجوا بنوره **ساعة**» (يو 35:5) ـ أمَّا أنا (المسيح): «أنا هو نور العالم مَنْ يتبعني فلا يمشي في الظلمة» (يو 12:8). وكأنها مقارنة بين الظل والنور، أو نور المصباح في ضياء

نور الشمس، حيث المصباح هو الضوء المنبعث من الأرض والشمس هي النور المنبعث من السماء بمفهومها الإلهي كما عبَّر عنها المعمدان نفسه: «الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع والذي من الأرض هو أرضي ومن الأرض يتكلّم. الذي يأتي من السماء هو فوق الجميع.» (يو 31:3)

والقصد المضمر عند المسيح من قول هذه الآية الحارسة هو أن مديح يوحنا بأنه نبي وأفضل من نبي وأنه أعظم المولودين من النساء، هذا المديح كله لا يقارن بإنسان صغير يدخل ملكوت الله، بمعنى أن الذي يهم ليس المديح ولا العظمة بل الدخول إلى ملكوت الله. لأنه يقيناً إن المعمدان سيدخل ملكوت الله حسب الآية: «متى رأيتم إبراهيم وإسحق ويعقوب وجميع الأنبياء في ملكوت الله وأنتم مطروحون خارجاً» (لو 28:13). والمعنى الأكثر شمولاً هو أنه ليس بكرازة يوحنا يمكن أن يدخل أحد ملكوت الله بل بكرازة الصليب. فمهما كان يوحنا عظيماً ولكن خدمته بدون الصليب لا تكفي شيئاً.

الجزء الثالث:

5 ـ الرفض الكبير
رفض يوحنا المعمدان ورفض المسيح أيضاً

(35-29:7) (مت 16:11-19)

هذا هو الجزء الثالث من المقطع الرئيسي في الأصحاح السابع. وفيه يعطي المسيح حكم قضاء على رجال هذا الجيل الذين رفضوا المعمدان لأنه ناسك، ثم رفضوا المسيح لأنه مجامل يأكل ويشرب مع محبيه ومريديه. ووصفهم ببعض صبية السوق الذين يزمِّرون ليرقص سامعوهم ثم ينوحون لهم ليولولوا. فلمَّا زمَّروا لم يرقصوا، ولمَّا ناحوا لم يولولوا. هكذا ما استجابوا لنسك المعمدان وصرامته، ولا استجابوا للطف المسيح وحلو معشره وفرح مجلسه!

ثم قال المسيح مثلاً أو حكمة تقول إن الحكمة تبررت من بنيها، أي بالرغم من جهالة هؤلاء وأولئك الذين رفضوا المعمدان والمسيح، فهناك مَنْ كان حكيماً مذعناً للحكمة والحكماء فقبلوا المعمدان وقبلوا المسيح. بمعنى أن أولاد الجهالة هم أصحاب الرفض وأولاد الحكمة هم أصحاب القبول والإيمان.

وقد أوضح المسيح أن الذين رفضوا هم الكتبة والفرِّيسيون المدعوون حكماء إسرائيل أصحاب الحكمة التي فقدت مصدرها إذ تجنُّوا على الله وعبادته الصادقة، في حين أن العشَّارين والخطاة وبقية عبَّاد الله من الشعب الفقير المزدرى قبلُوا ورحَّبوا.

والذي يُلفت نظرنا هنا أن المسيح بقوله هذا وضع المعمدان في المحك الشعبي على مستوى نفسه، فالذي قبِلَ الأول قبِلَ الثاني، والذي رفض الأول رفض الثاني. وهذا يثبت عَرَضاً أن المعمدان نجح في الإشارة الصحيحة نحو المسيَّا فتقبَّلوه. والمسيح هنا لم يُشِرْ لا من قريب ولا من بعيد إلى سمو مركزه عن المعمدان. ولكن مضمون الحكمة التي قالها المسيح إن هؤلاء الرافضين لا قبلوا المناداة بالتوبة والندم اللازمين للغفران، ولا قبلوا الدعوة إلى الفرح والبهجة التي للخلاص. وهذا صحيح ومنطقي، فالذي لا يتوب لا تُغفر خطاياه ولا يخلص ولن يفرح بل يحل عليه غضب الله.

29:7 **«وَجَمِيعُ الشَّعْبِ إِذْ سَمِعُوا وَالْعَشَّارُونَ بَرَّرُوا اللهَ مُعْتَمِدِينَ بِمَعْمُودِيَّةِ يُوحَنَّا».**

هنا يختتم المسيح هذه الرواية التاريخية الخاصة بيوحنا (علماً بأن يوحنا كان في السجن)، لكي يدخل في الآيات (31-35) التي سيصف بها حال رجال هذا الجيل.

ولكن في هذه الآية يسبق المسيح ويمتدح الذين سمعوا للمعمدان وخضعوا وأطاعوا واعتمدوا وتابوا وغُفرت لهم خطاياهم بحسب الناموس القديم، وهم عامة فقراء الشعب والعشارون، ولكن ق. لوقا يذكر هنا كلمة «جميع الشعب » laÒj Ð p©jتجاوزاً، إذ يقصد عامة الشعب البسيط ولكن يخصِّص العشَّارين هنا لأنهم صورة تزكِّي خدمة المعمدان الذي جاء ليدعو الخطاة إلى التوبة. ويذكر المسيح هنا حال الذين خضعوا واعتمدوا أنهم برَّروا الله، لأن كل مَنْ يعترف بخطاياه ويعتمد إذ يقرِّر أنه خاطئ يبرِّر الله بالمقابل. ولكن يبدو أن المعنى أكثر عمقاً إذ يعني أن الذين سمعوا المسيح يمتدح المعمدان هكذا أعطوا المجد لله لأنهم قد سبق واعتمدوا من يوحنا هذا.

30:7 **«وَأَمَّا الْفَرِّيسِيُّونَ وَالنَّامُوسِيُّونَ فَرَفَضُوا مَشُورَةَ اللهِ مِنْ جِهَةِ أَنْفُسِهِمْ، غَيْرَ مُعْتَمِدِينَ مِنْهُ».**

هنا الموقف المخالف للفرِّيسيين والناموسيين، حيث الناموسيون هم المشتغلون بالناموس، وإذ الناموس هو القانون فالكلمة تعني محاميِّي وقضاة الأُمة The Lawyers وباليونانية ...nomiko كما جاءت أيضاً في (لو 10 :25). وعبارة «مشورة الله t¾n boul¾n toà qeoà »تعني: "خطة الله للخلاص"، إذ أن عمل المعمدان وهو مكمِّل لعمل المسيح، فهُمَا معاً خطة الله للخلاص. وذلك فيما

يخص أنفسهم فقط، ولكن مَنْ ذا الذي يعطِّل خطة الله للخلاص!![172] وهكذا رفضوا العماد من يوحنا، وقد احتُسب هذا رفضاً ليوحنا والمسيَّا معاً.

31:7و32 «**ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ: فَبِمَنْ أُشَبِّهُ أُنَاسَ هذَا الْجِيلِ، وَمَاذَا يُشْبِهُونَ؟ يُشْبِهُونَ أَوْلاَداً جَالِسِينَ فِي السُّوقِ يُنَادُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً وَيَقُولُونَ: زَمَّرْنَا لَكُمْ فَلَمْ تَرْقُصُوا. نُحْنَا لَكُمْ فَلَمْ تَبْكُوا».**

فإذا وضعنا في الاعتبار قول المسيح السابق في الآية (29:7) أن «**جميع الشعب** إذ سمعوا والعشَّارون برَّروا الله معتمدين بمعمودية يوحنا» يكون معنى قول المسيح من كلمة «هذا **الجيل**» هو جيل الرافضين أو الذين أغلقوا قلوبهم من جهة الإيمان بالمسيح والمحسوبين أنهم «جيل فاسق وشرير»

كلمة «أُشبِّه moièsw» تعني: "أمثِّل" كَمَثَل، وجعل الشبه هنا أو التمثيل بأولاد يلعبون في السوق لعبة فريق يُزمِّر فالآخر يرقص، ثم يعود فينوح فالفريق الآخر يبكي، بمعنى أن اللعبة تقوم على الفعل ورد الفعل المناسب، ولكن عصى الفريق الآخر فلم يرد على الفعل. وهنا بدأ الفريق الأول يوبِّخ الفريق الآخر. ويبدو أن كلمة "زمَّرنا" تُفيد اللعب بآلات الطرب مثلما في الأفراح فيرقص الفريق الآخر للطرب. ثم "نحنا" تفيد أصوات الحزن والولولة كما في المآتم فيبكي الفريق الآخر. والبكاء هنا يبدو أصلاً القرع على الصدر مع إخراج صوت البكاء.

والمعنى أن المعمدان جاء بنبرات الحزن والبكاء والندم والتوبة فلم ينصاع الجيل الشرير، ثم جاء المسيح بالحب والفرح والبهجة فلم يمتثل الجيل الشرير للفرح والبهجة لأنهم لم يمتثلوا أولاً للتوبة، ولم ينصاعوا للخضوع والطاعة لصوت الله، لا في التوبة ولا في الفرح. وهكذا رفض الجيل الشرير مشورة الله للخلاص.

33:7-35 «**لأَنَّهُ جَاءَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ لاَ يَأْكُلُ خُبْزاً وَلاَ يَشْرَبُ خَمْراً، فَتَقُولُونَ: بِهِ شَيْطَانٌ. جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ، فَتَقُولُونَ: هُوَذَا إِنْسَانٌ أَكُولٌ وَشِرِّيبُ خَمْرٍ، مُحِبٌّ لِلْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ. وَالْحِكْمَةُ تَبَرَّرَتْ مِنْ جَمِيعِ بَنِيهَا».**

وها المسيح هنا يشرح المثل الذي ضربه عن الأولاد الذين يلعبون في السوق، فالمعمدان معروف عنه أن طعامه كان جراداً وعسلاً برِّيًّا، وهكذا امتنع هذا الناسك العملاق عن طعام الناس فلا خبز ولا لحم وخمر. ويُلاحَظ أن كلمة "خبز" بالأرامي هي: "لحيم Lehem".

---

[172] J. M. Creed, *St. Luke*, p. 108.

ويبدو أن النُّساك قديماً في العهد القديم كانوا يمتنعون عن أكل الخبز (اللحم) والخمر بناءً عن تدبير الله في البرية مع بني إسرائيل حتى تنفتح عيون قلوبهم لمعرفة الرب:

+ «ولكن لم يعطكم الرب قلباً لتفهموا وأعيناً لتبصروا وآذاناً لتسمعوا إلى هذا اليوم. فقد سِرتُ بكم أربعين سنة في البرية لم تَبْلَ ثيابكم عليكم ونعلُكَ لم تَبْلَ على رجلِكَ. لم تأكلوا خبزاً ولم تشربوا خمراً ولا مُسكِراً لكي تعلموا أني أنا الرب إلهكم.» (تث 29: 4-6)

وأيضاً فليكن في علم القارئ أن النبوَّة التي قيلت عن المعمدان حتى قبل أن يُولد تتضمَّن أنه سيُعطى من الله أن لا يشرب خمراً أو مسكراً لأنه سيكون عظيماً أمام الله: «لأنه يكون عظيماً أمام الرب وخمراً ومسكراً لا يشرب ومن بطن أُمه يمتلئ من الروح القدس» (لو 15:1). وهنا نحن أيضاً أمام تعليم سرِّي غاية في العمق وهو أن الروح القدس يوازن الخمر والمسكر، فالراحة والعزاء الذي يسبِّبه الخمر والمسكر يعطيه الروح القدس. لذلك يعطي بولس الرسول بإلهام الله وصيته الروحية السرِّية العجيبة: «ولا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة بل امتلئوا بالروح» (أف 18:5). فالروح القدس في العهد الجديد كفيل أن يملأ القلب والفكر والروح بالفرح والعزاء والراحة النفسية عوض الخمر والمسكر في العهد القديم. فإن كان الخمر يريح الجسد فالروح يريح النفس، غير أن الخمر ليست من المحرمات في العهد الجديد فهي قد تكون ضرورية للجسد: «لا تكن فيما بعد شرَّاب ماءٍ بل استعمل خمراً قليلاً من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة» (1تي 23:5). ولكن إذا حل الروح القدس في الخمر بالدعاء ™p…klhsij صار الخمر لخلاص النفس والجسد والروح إذ يتحوَّل بالسرِّ إلى دم المسيح، فلا نعود نشرب خمراً بعد (مقدار ملعقة واحدة صغيرة) بل روحاً وحياة أبدية، فالمادة التي كانت قديماً تعزِّي للخطية والهلاك صارت في العهد الجديد بالروح القدس تغفر الخطايا وتهب الحياة الأبدية.

وبذلك وعليه، يبدو أن المعمدان كان لا يشرب خمراً ومسكراً ليعدَّ الطريق إلى مَنْ سيضع الروح القدس في الخمر ليتحوَّل إلى مغفرة وحياة.

غير أن الكلام ضد الخمر والمسكر لدى الجهلاء هو خبل وهلوسة، لذلك لم يتورَّع اليهود من أن ينعتوا المعمدان ـ لأنه لا يأكل الخبز (اللحم) ولا يشرب الخمر ـ أن به شيطاناً، خاصة أنه يدعو إلى التوبة، والتوبة مكروهة جداً لدى المعتزين بعلمهم ودرجاتهم وسيادتهم على الشعب. وهكذا رفضوا مشورة الله من جهة أنفسهم.

أمَّا قولهم في المسيح إنه محبٌّ للعشارين والخطاة، فلماذا يعيِّرونه بالمحبة وهي رد فعل محبة هؤلاء

العشَّارين للمسيح؟ وهذا هو قانون المحبة عند المسيح: «أحب الذين يحبونني ... والذين يحتقرونني يصغرون» (أم 17:8؛ 1صم 30:2). ولو أنه أثبت أنه سبَّاق في حبه: «نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً» (1يو 19:4). ويكفي عاراً على إسرائيل أن المسيَّا لمَّا جاءهم، لم يستقبله بالترحاب والحب وسار وراءه وآمن به إلاَّ العشَّارون والخطاة، وهذه المحبة هي شهادة التأهيل للملكوت التي أعطاها للمرأة الخاطئة: «قد غُفرت خطاياها الكثيرة لأنها أحبت كثيراً» (لو 47:7). إن محبة المسيح للعشَّارين والخطاة وحبهم له هوَّنت عليه عار الصليب وآلام الموت!

ولكن يعود المسيح فيزكّي الحكمة لدى الذين خضعوا للمناداة بالتوبة وغفران الخطايا إذ جعلهم من بني الحكمة لأنهم بالنهاية قبلوا المسيح وصاروا مخلَّصين فتبنَّاهم الله لنفسه. وبقول المسيح إن الحكمة تبرَّرت من بنيها إنما يلفت ق. لوقا نظرنا للآية (29:7) عن الذين لمَّا سمعوا المسيح يمتدح المعمدان **«برَّروا الله»**، بمعنى أن الذين برَّروا الله إنما هم الذين صاروا أبناء الحكمة وبالضرورة تبنَّاهم الله بالنهاية.

ثم ما هي الحكمة بمقتضى ما شرح المسيح في هذه الآيات السالفة إلاَّ **"مشورة الله"** التي رفضها الفرِّيسيون والناموسيون، والتي قبلها أولئك الذين **برَّروا الله** معتمدين بمعمودية يوحنا فقبلوا الآتي؟

6 ـ المرأة التي كانت خاطئة

(50-36:7) إنجيل القديس لوقا وحده

هذه هي القصة التي يقدِّمها ق. لوقا كختام لهذا الفصل من الأصحاح السابع كنموذج لما أخرجه اليهود على المسيح من أنه محبٌّ للخطاة، الأمر الذي جلب عليه استهزاء المتزمتين المرائين الذين وصفهم المسيح في إنجيل ق. متى: «قال لهم يسوع: الحق أقول لكم: إن العشَّارين والزواني يسبقونكم إلى ملكوت الله، لأن يوحنا جاءكم في طريق الحق فلم تؤمنوا به وأمَّا العشَّارون والزواني فآمنوا به، وأنتم إذ رأيتم لم تندموا أخيراً لتؤمنوا به.» (مت 21: 31و32)

والقصة هنا تقوم على أساس العلاقة التي ربطت المسيح بالخطاة من ناحيته بالعطف الشديد ومن ناحيتهم بالحب الجارف الذي ورَّثهم الخلاص. ولكن وفي أثناء الرواية أورد المسيح مثلاً صار معياراً لما تمَّ مع هذه المرأة السعيدة. ويقوم المثل على مديونية اثنين أحدهما دينه ثقيل جداً والثاني خفيف،

فسامحهما الدائن معاً إذ ليس لكليهما ما يوفيه. وللأسف وقع المثل بحذافيره على الفرِّيسي الذي عمل للمسيح وليمة دعاه إليها ولم يوفِ للمسيح حق الضيف بل أهمله، ثم جاءت هذه المرأة السعيدة وقدَّمت للمسيح مشاعرها الفيَّاضة بالانسحاق والحب معاً مع تذلُّل شديد ففازت دون المضيف بالمديح والحب الكثير والغفران الأكثر مع شهادة بخلاص يوازي إيمانها!

كل هذا والفرِّيسي المضيف كان مشغولاً في فكره كون المسيح ليس نبيًّا بالضرورة لأنه سمح لهذه النجسة أن تلمسه، بينما انشغل المحيطون بفكر تجديف نسبوه للمسيح كونه غفر لها خطاياها، فالله وحده غافر الخطايا. وهنا كشف المسيح سر إيمان المرأة الذي اجتذب لها الغفران من قلب الله وكان هو سر حبها!!

وعلى هذه القصة قامت أبحاث ومناقشات كثيرة بين العلماء: جون براون، ودوود، وزاهن، وشورمان، وولهوزن، وبولتمان، وبراومان، وولكنس، وهورد مارشال، واحتدم النقاش والنقد للقصة من كل نواحيها، ولكن في النهاية برهن العالم مارشال صدق القصة ومناسبتها الصحيحة(173).

36:7 **«وَسَأَلَهُ وَاحِدٌ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ أَنْ يَأْكُلَ مَعَهُ، فَدَخَلَ بَيْتَ الْفَرِّيسِيِّ وَاتَّكَأَ».**

دعوة غريبة على أفهامنا نوعاً ما، لأننا لم نتعوَّد على رقة المعاملة أو المجاملة من الفرِّيسيين، ولكن الحقيقة أن كثيراً من الفرِّيسيين كانوا يحبون المسيح ويؤمنون به. وغالباً هذه الدعوة تأتي بعد خدمة المجمع يوم السبت، حيث يتبارى أغنياء الفرِّيسيين في دعوة كبار الحاضرين في المجمع لمشاركتهم اللقمة، وغالباً بنوع من الدعاية وتزكية الذات. وربما تكون المجاملة هنا صحيحة، ولكن يتضح من القصة أن هذا الفرِّيسي قد أهمل ضيافة المدعو نوعاً ما. وكان المدعوون يجلسون حول مائدة أرضية (بدون أرجل طويلة) وجلوسهم يكون على أرائك، أي مقاعد أرضية وكانت تسمَّى الديوان divans وكانوا يتكئون عليها katakl…nw. والملاحَظ أن المسيح قبلَ الدعوة لأن الكرازة لم يحجزها المسيح عن أحد وإن كان قد اختص بها الخطاة الذين يطلبون الخلاص. ولمَّا اتكأ المسيح كان يجلس حسب العادة على جانبه بحيث تصبح رجلاه خلفه وهو جالس.

37:7 **«وَإِذَا امْرَأَةٌ فِي الْمَدِينَةِ كَانَتْ خَاطِئَةً، إِذْ عَلِمَتْ أَنَّـهُ مُتَّكِئٌ فِي بَيْتِ الْفَرِّيسِيِّ، جَاءَتْ بِقَارُورَةِ طِيبٍ».**

(173) I. H. Marshall, *op. cit.,* pp. 304-307.

واضح من نص الآية أن المرأة التي نحن إزاء قصتها ليست خاطئة بل كانت خاطئة، بمعنى أنها كانت تمارس الخطية علناً، لأن القول «امرأة في المدينة» يعني أن الجميع يعرفونها. ولكن حدث أن هذه المرأة استطاعت أن تقلع عن سيرتها وهي الآن لا يجوز أن نسمّيها خاطئة بل كانت خاطئة. والذي تضمره القصة أنها تقابلت مع المسيح وأعانها على استرداد عافيتها الروحية فتابت وسارت في خوف الله، ولكنها صمّمت أن تكافئ مَنْ أعانها على التوبة بهدية تعبّر بها عن شكرانها، فذهبت وباعت ما باعته واشترت قارورة طيب، وبحثت عن المسيح حتى علمت أنه في بيت هذا الفرّيسي، فتجرأت ودخلت الدار ـ وهذا غير جائز بالمرّة ـ ولكنها اعتماداً على مَنْ يدافع عنها اقتحمت غير هيَّابة.

38:7 **«وَوَقَفَتْ عِنْدَ قَدَمَيْهِ مِنْ وَرَائِهِ بَاكِيَةً، وَابْتَدَأَتْ تَبُلُّ قَدَمَيْهِ بِالدُّمُوعِ، وَكَانَتْ تَمْسَحُهُمَا بِشَعْرِ رَأْسِهَا، وَتُقَبِّلُ قَدَمَيْهِ وَتَدْهَنُهُمَا بِالطِّيبِ».**

الذي نريد أن نلفت النظر إليه في البداية أنه لا يصح أن نوازن أو نقارن بين هذه القصة عند القديس لوقا التي جاءت بعيداً عن رواية الآلام، وما جاء في إنجيل ق. مرقس أو إنجيل ق. يوحنا، والأفضل جداً أن نأخذ كل قصة بحدّ ذاتها. وعمل هذه المرأة عند ق. لوقا واضح أنه ليس بداية توبة بل نهاية توبة وثمرتها، فلولا توبتها ما تجرأت ودخلت بيت الفرّيسي الذي لم يسمع عن توبتها إذ يعرفها معرفة سابقة أنها خاطئة. ولولا توبتها ما تجرأت وحملت قارورة الطيب لتدهن رجلي الرب. فهنا عرفان بالجميل وذكران بالفضل السابق وإعلان عن توبة كملت جهاراً نهاراً وأصبحت للفخر وليس للخزي. أمَّا الدموع فهي دموع التوبة الحلوة التي هي عند المسيح أثمن من قارورة طيب. أمَّا مسحها بشعر رأسها لرجلي السيد المبتلّتين بالدموع فهو أغلى ما تملك المرأة من تكريمها، فشعر رأسها هو قمة كرامة المرأة (1كو 15:11). ولكنها بنوع من الخبث المحمود نالت قوة بلمسها لجسد المسيح واحتوت في رأسها قداسة وبركة لم تزل تقدّسها حتى اليوم.

وإن كان القديس غريغوريوس الكبير (الروماني) في الكنيسة الغربية قال إن هذه المرأة هي بعينها مريم المجدلية(174)، ولكن إذ ليس من برهان، نقول نحن إن مريم المجدلية لم تكن أكثر من هذه المرأة خطية وتوبة وقداسة. وعلى كل حال فقد قدَّمت هذه المرأة نموذجاً فاخراً لحب الخطاة للمسيح وفرصة لإعلان حب المسيح للخطاة. أمَّا تقبيل المرأة لقدمي المخلّص فهي علامة عهد أن تظل أمينة لقدَم الذي انتشلها من طريق الضلال. والعجيب أن الرب لم ينتهرها لأنه أحبَّ الخطاة. أمَّا دهن

(174) J. M. Creed, *op. cit.*, p. 110.

القدمين بالطيب فهو أعجب مسحة، لأن المسحة تكون للرأس كما نعرفها عند ق. مرقس: « وفيما هو في بيت عنيا في بيت سمعان الأبرص وهو متكئ جاءت امرأة معها قارورة طيب ناردين خالص كثير الثمن فكسرت القارورة وسكبته على رأسه ...» (مر 3:14). ولكن يشترك في دهن القدمين إنجيل ق. يوحنا: «فأخذت مريم منًّا من طيب ناردين خالص كثير الثمن ودهنت قدمي يسوع ومسحت قدميه بشعرها» (يو 3:12). والعجيب أن يقول أحد العلماء (زاهن)(175): إن دموع المرأة كانت دموع الفرح بسبب التوبة والغفران.

39:7 **«فَلَمَّا رَأَى الْفَرِّيسِيُّ الَّذِي دَعَاهُ ذلِكَ، تَكَلَّمَ فِي نَفْسِهِ قَائِلاً: لَوْ كَانَ هذَا نَبِيًّا لَعَلِمَ مَنْ هذِهِ الامَرْأَةُ الَّتِي تَلْمِسُهُ وَمَا هِيَ! إِنَّهَا خَاطِئَةٌ».**

العجيب بالنسبة لنا الآن أننا نعرف متأكدين أنه أكثر من نبي، لأن المسيح عَلِمَ ما يتكلّم به هذا الفرّيسي في قلبه. فحتى النبي لا يعرف ما يتكلّم به الناس في قلوبهم إلاّ بإعلان سماوي خاص وطبعاً وصلتنا هذه الحقيقة من أحد الذين تابعوا القصة من شهود العيان.

كان معروفاً في الناموس أن مَنْ يلمس الزانية يتنجَّس، فالفرّيسي إذ رأى المسيح يتقبَّل من المرأة ما صنعته به أخذها شهادة ضد المسيح أنه ليس نبيًّا كما كان يُذاع عنه، وإلاّ كان قد أدرك بالشفافية النبوية أنها زانية، غير عالم أن المسيح كان يقرأ ما يدور بذهنه، وهنا بادره المسيح بما يثبت أنه قد قرأ ما في ضميره.

42-40:7 **«فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: يَا سِمْعَانُ عِنْدِي شَيْءٌ أَقُولُهُ لَكَ. فَقَالَ: قُلْ يَا مُعَلِّمُ. كَانَ لِمُدَايِنٍ مَدْيُونَانِ. عَلَى الْوَاحِدِ خَمْسُمِئَةِ دِينَارٍ وَعَلَى الآخَرِ خَمْسُونَ. وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا مَا يُوفِيَانِ سَامَحَهُمَا جَمِيعاً. فَقُلْ: أَيُّهُمَا يَكُونُ أَكْثَرَ حُبًّا لَهُ؟»**

لقد ضاعت حسابات الفرّيسي وخسر الرهان فيما قرره في نفسه، فقد أثبت المسيح أنه ليس نبيًّا فقط بل وعالماً ما في الصدور، وأنه يدرك مَنْ هذه المرأة وما هي وأنها خاطئة، ولكن بالرغم من ذلك لم يقبل فقط أن تلمسه بل وقد رحَّب بكل ما فعلته أكثر مما رحَّب بضيافة هذا الفرّيسي، لأن الذي صنعته المرأة أعظم مما صنعه هو.

وبمخاطبة المسيح للفرّيسي باسمه يا سمعان يظهر أمامنا خطأ أن ق. لوقا يأخذ عن ق. مرقس،

(175) Zahn, T., *Das Evangelium des Lucas,* p. 322, cited by H. Marshall, *op. cit.,* p. 309.

لأن هناك استحالة أن يكون سمعان هذا في إنجيل ق. لوقا هو سمعان الأبرص عند ق. مرقس، لأن الأبرص لا يصبح فرِّيسياً حتى ولو كان قد شُفي من برصه. غير أن إجابة الفرِّيسي على المسيح بقوله: «قُل يا معلِّم (رابي)» فيها أدب واحترام كثير.

أمَّا المثل من جهة الدائن والمديونَين فهو مثل من صميم الحياة اليهودية، وقلَّ أن يداين اليهودي دون أن يأخذ الربا فهو ليس دائناً بل مُرابٍ. ولكن الدائن هنا يبدو كريماً بما لا يعرفه اليهود لأنه لا يأخذ الربا وحسب بل ويتنازل عن الدين جميعه لمَّا وجد أن المديونَين مُعدمان وليس لهما ما يوفيانه. فالمثل هنا ينصبّ على المسيح بحذق ماهر، والتناسب بين ترك الدين الثقيل والخفيف معاً ينطبق على مغفرة الخطايا انطباقاً لا نظير له، حيث الكثرة في الخطية تتساوى مع القلة فيها في عين الله، لأن المسيح هو الدافع لكل الديون ودمه يحتوي خطايا العالم كله ولا يترك خطية واحدة. فالثقيل الخطايا ينال الغفران بقدر قليل الخطايا، سيان، لأنه غنيٌّ للجميع.

ولا يستغرب القارئ من قول المسيح: «أيهما يكون أكثر **حبًّا** له» لأنه في الواقع تكون الكلمة الأكثر لياقة هي مَنْ يشكره أكثر. ولكن لا يتعجَّب القارئ فلا يوجد فعل "الشكر" في اللغة العبرية والأرامية(176). لذلك استخدم المسيح المحبة عوض الشكر عندنا. وفي نظرنا أنه مهما كان الشكر فيه اللياقة ولكنه إن خلا من المحبة فهو كعدمه.

43:7 «**فَأَجَابَ سِمْعَانُ وَقَالَ: أَظُنُّ الَّذِي سَامَحَهُ بِالأَكْثَرِ. فَقَالَ لَهُ: بِالصَّوَابِ حَكَمْتَ**».

وطبيعي أن يكون رد الفرِّيسي أن الحب سيتحرَّك في قلب صاحب الدين الأكثر! ولكنه لم يقلها صراحة بل قال: «**أظن** الذي سامحه بالأكثر» وبها يظهر الفرِّيسي حريصاً في الإجابة أكثر من اللازم. والسبب طبعاً لأن اليهود لم يعتادوا قط مثل هذا السخاء المسيحي!! ولكن على كل حال فقد نجح الفرِّيسي في الإجابة وأعطاه المسيح درجة "الصواب".

44:7-46 «**ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى الْمَرْأَةِ وَقَالَ لِسِمْعَانَ: أَتَنْظُرُ هذِهِ الْمَرْأَةَ؟ إِنِّي دَخَلْتُ بَيْتَكَ، وَمَاءً لأَجْلِ رِجْلَيَّ لَمْ تُعْطِ. وَأَمَّا هِيَ فَقَدْ غَسَلَتْ رِجْلَيَّ بِالدُّمُوعِ وَمَسَحَتْهُمَا بِشَعْرِ رَأْسِهَا. قُبْلَةً لَمْ تُقَبِّلْنِي، وَأَمَّا هِيَ فَمُنْذُ دَخَلْتُ لَمْ تَكُفَّ عَنْ تَقْبِيلِ رِجْلَيَّ. بِزَيْتٍ لَمْ تَدْهُنْ رَأْسِي، وَأَمَّا هِيَ فَقَدْ دَهَنَتْ بِالطِّيبِ رِجْلَيَّ**».

(176) H. Marshall, *op. cit.*, p. 331.

مقارنة مُحكمة ببيان وإبداع والمسيح يضع نفسه بين الاثنين: بين سمعان المُضيف والمرأة المذمومة. ويرفع القضية على سمعان بصفته المُضيف والمتَّهمْ في قلبه لسوء سلوك المرأة وهو مُسيء للاثنين: للمسيح الضيف والمرأة المظلومة. فثلاثة واجبات أهملها سمعان في حق ضيفه يقابلها ثلاث مجاملات قامت بها المرأة. فأولاً لم يقدّم سمعان الواجب للضيف عند دخوله بيته بعد رحلة تبدو طويلة بغسل رجليه المتعبتين بالماء الدافئ، والترحاب بقبلة المحبة ثم دهن الرأس بزيت الزيتون المعطّر لإراحة الأعصاب من وعثاء السفر كعادة القوم في تكريم الضيف.

وفي مقابل إغماط حق الضيف في أصول الضيافة لدى سمعان جاءت المرأة ووفَّت بدلاً من سمعان هذه الواجبات الثلاثة، إذ غسلت رجْلي المسيح بالدموع وقامت بمسحهما بشعر رأسها لمزيد من التكريم، وعوض قبلة المحبة التي رفعها الضيف عن غير حق قامت المرأة بتقبيل قدمي المسيح لا مرَّة بل مرَّات ومرَّات، وعوض دهن الرأس للتكريم الذي أغفله سمعان قدَّمت المرأة طيبها الفاخر وقامت بدهن القدمين حبًّا وكرامة وتواضعاً. فقد تمنّعت عن تكريم الرأس، التي أهان واجب تكريمها المضيف.

بهذا الحكم المحكم في أدب الضيافة ومعاملة المسيح قامت القضية بدون قضاء على سمعان فوُضِع موضع المدين ذي الدين الأصغر، أو الخاطئ ذي الخطايا الأقل إذ وُجد حبه قليلاً مسحوقاً لم يتعدَّ الدعوة إلاَّ واجباتها. وهي قضية تحمل المضمون في باطن الكلام لا الإعلان المكشوف، لا يستشعرها إلاَّ صاحبها. لم يُجبر المسيح على رفعها أمام ضمير المضيف إلاَّ تبجُّح الفرّيسي في إدانة المرأة في حضرة الديَّان.

47:7 **«مِنْ أَجْلِ ذلِكَ أَقُولُ لكَ: قدْ غُفِرَتْ خَطايَاهَا الكَثِيرَةُ لأنَّهَا أحَبَّتْ كَثِيراً. وَالّذِي يُغْفَرُ لهُ قلِيلٌ يُحِبُّ قلِيلاً».**

«من أجل ذلك»:

عودة على ما قاله المسيح مقارناً بين ضيافة سمعان العرجاء ومجاملة هذه المرأة السعيدة، يصدر الحكم من ديَّان العدل الذي يقيس أعمال الضمائر ويزن أقل الصغائر، الذي قاس الأرض بشبره وكال الماء بكفّه: بكَوْن أن خطاياها الكثيرة التي استكثرتَها لها وازدريتَ بها قد غُفرَت وعاد قلبها قلبَ طفل وجسدها جسد عذراء، ذلك لأنها أحبَّت كثيراً والحب هو ميزان الأعمال وقياس النيَّات والضمائر عند الله ـ والمسيح أضمر ذلك بقوله: «غفرت» كفعل مبني للمجهول والفاعل هو الله طبعاً.

ولكن بالنسبة لذوي الحب القليل فليعلموا مسبقاً أن الغفران يكون بالكيل الضيِّق، فلا يَلومَنَّ أحدٌ الله. فرزق الإنسان عند الله يتحدَّد بمدى اتساع قلبه للمحبة. فالذي ضاق قلبه ضاق رزقه وضاق خلاصه. والكلام يعود حتماً على صاحب الوليمة، فعلى قدر ضيق حبه يكون الأجر عند الله. ولكن على كل حال لن يضيع أجره، فليس الذي أكرم وفادة المسيح وأطعمه من عرق جبينه كمن رذله وأفاض في رذالته ودبَّر إيذاءه. فكون فرِّيسي يستضيف المسيح فهذا عجب في إسرائيل.

وإن كان المسيح قد قلب وضع الغفران وجعله سابقاً على المحبة فهو تحقيق لعمل الله الذي يسبق عمل الإنسان على أساس ما قاله ق. بطرس بشأن دم المسيح المعروف قبل تأسيس العالم: «بدم كريم كما من حملٍ بلا عيب ولا دنس دم المسيح معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم ولكن قد أُظهر في الأزمنة الأخيرة من أجلكم» (1بط 1: 19و20). هكذا صار غنى غفران الله سابقاً على حقارة حُبِّنا.

48:7 **«ثُمَّ قَالَ لَهَا: مَغْفُورَةٌ لَكِ خَطَايَاكِ».**

كانت مفاجأة جميلة رفعت انتباه صاحب الضيافة وكل المتكئين ليروا المسيح يصدر حكم الله بسلطان، وليروا المرأة المنكسرة وقد نالت وسام الطهارة. ويُلاحِظ القارئ أن الفعل اليوناني المقابل لـ"المغفرة" يأتي في زمن الماضي التام ليبدو أنه فعل صدر وانتهى في الماضي. والمسيح هنا يطبِّق القانون الذي صاغه عن الغفران والحب وقياس هذا على قياس ذلك.

وربما يخرج القارئ بغنيمة من هذه القصة وهذا الحكم لأن ما اعتدنا عليه هو أن نقيس الغفران بالأعمال، وهذه آفة التعليم الذي طوَّح بنا في مجاهل الجهاد الذي لا قيمة له بجوار المحبة. فالقصة التي أمامنا بصريح العبارة لزانية محترفة ضيَّعت عمرها في اللهو الحرام، امرأة فاجرة معروفة في المدينة، يعرفها الفرِّيسي وقد تعرَّف عليها من أول وهلة، فهي عَلَمٌ في المدينة لأنها كانت امرأة الكل. تابت ولا نعرف ظروف توبتها ولكنها كانت تعرف المسيح وتابعت حركاته. إذن فهي تتلمذت بالنية وأكملت توبتها عند قدميه وقدَّمت إيمانها مع طيبها فاشتمَّه المسيح وجميع الحاضرين. وهكذا نضحت سيرتها بالبهجة بعد حزن مقيم وفرَّحت قلب الله والمسيح ونالت وسام الاستحقاق للخلاص من الطبقة الممتازة لأنه غُفر لها كثيرٌ. لقد تزاملت مع اللص اليمين ونالت معه الخلاص بكلمة.

انظروا يا إخوة فليس أكثر من هذا خطية وليس أكثر من هذا غفران، والمحبة هي التي قلبت

الموازين، والمسيح هو هو وقوله قائم كما هو «والذي يحبني يحبُّه أبي وأنا أحبّه» (يو 21:14). فبيعوا حياتكم واشتروا محبة، ولا تسوِّفوا العمر باطلاً. فاليوم يوم خلاص والساعة ساعة مقبولة.

49:7 **«فَابْتَدَأَ الْمُتَّكِئُونَ مَعَهُ يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ: مَنْ هذَا الَّذِي يَغْفِرُ خَطَايَا أَيْضاً؟»**

لقد قدَّم ق. لوقا في بدء هذه القصة السؤال عن المسيح: «لو كان هذا نبياً» في ضمير سمعان الفرِّيسي، أمَّا الآن فالسؤال الذي يقدِّمه هو عن مسيَّانيته: «مَنْ هذا الذي يغفر خطايا أيضاً» وكلا السؤالين استنكاري، ويتركها ق. لوقا للقارئ ليرى كيف تصوَّر المسيح في ذهن إسرائيل: مرَّة أقل من نبي ومرَّة أقل من الله، كالأعمى الذي لمسه المسيح أول مرَّة فرأى الناس كأشجار يمشون بانتظار اللمسة الأخيرة التي غابت عنهم كثيراً.

50:7 **«فَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: إِيمَانُكِ قَدْ خَلَّصَكِ! اِذْهَبِي بِسَلاَمٍ»**.

ويعود المسيح يكلِّم المرأة ليعطينا الدرس الأخير، فإن عسر على الفهم الكليل أن يكون المسيح هو غافر الخطايا كمَنْ أُعطي أن يعمل أعمال الله، فليكن إيمان المرأة هو الذي خلَّصها من عارها وخطاياها. ولكن لم يخرج حكم المسيح عن أساسه أنه هو الذي يغفر وهو الذي يخلِّص، فإن عسر هذا على فهمهم فيكون **"إيمان"** المرأة بالمسيح أنه غافر ومخلِّص، هو الذي "خلَّصها" أو "شفاها" سيَّان فهي كلمة واحدة يونانية = sšswken. ولكن يختار ق. لوقا دائماً "الخلاص" مشيراً إلى عمل المسيح الأساسي.

ولكي يكوِّن القارئ فكرة سليمة عن نظرية ق. لوقا في مفهوم الخلاص الذي يؤكِّد عليه أكثر من مفهوم الشفاء حتى ولو كان الشفاء هو الذي يلح على الفكر، ليذكر قول المسيح للأبرص الذي شُفي: «ثم قال له: قُم وامض **إيمانك خلَّصك** = ¹ p…stij sou sšswkšn se.» (لو 19:17)

الأصحاح الثامن:

(هـ) المسيح يعلِّم بالأمثال
(21-1:8)

إنجيل القديس لوقا وحده

1 ـ المرافقون
(3-1:8)

كان يتبع المسيح رفقة من المخلصين المحبين للغاية يشتركون مع المسيح في ترحاله

وأسفاره، جعلهم الله شهوداً لأعماله الفائقة. وها هو ق. لوقا هنا يعود ويذكرهم بالتحديد في بداية هذا الجزء الجديد من سيرة المسيح العطرة. فالاثنا عشر بأسمائهم، والنسوة التقيات والتائبات واللاتي شفاهن من أمراضهن تبعنه ويخدمنه من أموالهن الخاصة بفرح وطيب خاطر كما يشتركن في أعمال الله، إذ كانت النسوة جزءاً هاماً في ظعنه(177) وإقامته. وبهذه الجماعة الصغيرة استمر المسيح في رحلاته، ووعظ وكرز بالإنجيل أي بالأخبار السارة في كل ريف البلاد.

وغرض ق. لوقا من هذا القسم من إنجيله أن يقدِّم لنا عيِّنة من خدمته ووعظه وتعاليمه مبتدئاً بالعشر مدن، وفي نهاية الفصل قصة إرساله لتلاميذه للخدمة وحدهم وبقية رحلات المسيح. ونحن نعلم أن ق. لوقا لم يكن تلميذاً، لا من الاثنـي عشر ولا من السبعين ولا من التابعين، وإنما ينقل عن أصول مكتوبة أمامه واستفسارات شفاهية من شهود عيان كانوا حاضرين سامعين وناظرين، وحفظوا ما سمعوا وما رأوا في قلوبهم إلى يوم الميعاد، حيث تسجَّل في الإنجيل ليدخل خزانة الكنيسة كدرر غالية الثمن لكل الأجيال القادمة، ولسعداء نحن إذ بلغنا جيلاً سمع وقرأ ووعى ودرس وتعلَّم وعلَّم وصار من الكارزين.

على أن ق. لوقا أخذ ليس بالقليل من إنجيل ق. مرقس، فكما علمنا أن هذا الإنجيل يُعتبر أول

(177) ظَعنه: أي ارتحاله.

وثيقة مسيحية دخلت خزانة الكنيسة في الأربعينات وربما قبل ذلك، واكتحلت عين كنيسة الإسكندرية برؤياه وسمعت كرازته وتعلّمت بتعاليمه. ثم هذا الإنجيل الذي للقديس لوقا أخذ قرابة 50% من محتوياته عن ق. مرقس والباقي أخذه من إنجيل ق. متى ومن وثيقة أخرى ضائعة سمَّاها العلماء بحرف Q. وفي هذا القسم من إنجيل ق. لوقا أخذ من المدعو Q، هذا ما يضاهي (مت 35:9)، (مت 23:4)، (مت 1:11) وهي غير موجودة في إنجيل ق. مرقس. وذلك عن أبحاث العالم شورمان(178).

وعند ق. لوقا نجد المسيح حرًّا يتبع خط كرازته غير منفعل بشيء، في حين في إنجيل ق. مرقس نجده ملتزماً بكرازة تردّ على الفرّيسيين المعاندين، خاصة في المجامع التي كان يكرز فيها(179).

ونجد إصرار ق. لوقا على تسجيل وجود النساء واتّباعهن الرب ومشاهدة أعماله وتعاليمه يرجع إلى أخذ شهادتهن بقيامة الرب إذ تبعنه من الجليل حتى أورشليم، ورأين الصليب والقبر وشاهدن القيامة وكرزن وبشَّرن وصرن جزءاً حيًّا من إنجيل المسيح (لو 55:23). كما سجَّل وجودهن وعملهن في سفر الأعمال (14:1). وواضح أن سبب ذكرهن بالذات في هذا الجزء من الأصحاح يرجع إلى أنه ينقل من الوثيقة Q كما جاء فيها في هذا المكان دون اختيار خاص، لأن ق. مرقس ذكرهن في (40:15) في نهاية إنجيله. وق. لوقا نفسه عاد وذكرهن مرّة ثانية في نهاية إنجيله (حسب وثيقة ق. مرقس) في (49:23و55، 24:1-5و10). ولكن كان قصد ق. لوقا واضحاً أيضاً لماذا ذكرهن هنا في بدء خدمة المسيح وأثناء ترحاله، ذلك لكي يعطي التقليد الكنسي ترتيباً طقسياً حيًّا عمل به المسيح، وهو خدمة النساء في الكنيسة بالشهادة والكرازة والخدمة الخاصة بجنسهن من رعاية وحنان أمومة على مدى السنين. لأن خدمة النساء كانت عند المسيح ذات اعتبار هام بل وذات تأثير ونتائج باهرة.

كما يرى العالم جروندمان(180) أن للقديس لوقا نفسه تسجيلات خاصة به أسماها "L" أو "ل"، حصل عليها من مصادره الخاصة الشفاهية والمكتوبة التي بحث ونقّب عنها.

وقد استأنف ق. لوقا هذا الفصل (8:1-3) عند الأصحاح (51:9) حيث دسَّ بينهما كل ما أخذه من ق. مرقس، وقد جاء صحيحاً في محلّه المناسب.

(178) H. Schürmann, cited by Marshall, *op. cit.*, p. 315.

(179) G. B. Baird, *St. Luke*, 1963, p. 115 f.

(180) Grundmann, cited by I. H. Marshall, p. 316.

1:8 «**وَعَلَى أَثْرِ ذَلِكَ كَانَ يَسِيرُ فِي مَدِينَةٍ وَقَرْيَةٍ يَكْرِزُ وَيُبَشِّرُ بِمَلَكُوتِ اللهِ، وَمَعَهُ الاِثْنَا عَشَرَ**».

واضح هنا في إنجيل ق. لوقا ـ بدراسة ما جاء في كل من ق. مرقس وق. متى وحتى Q التي كان يرجع إليها ـ أن المسيح غيَّر خطة خدمته فأصبحت غير هادفة لمدينة أو قرية معيَّنة، وأنه غادر مركز خدمته في كفرناحوم من هذه اللحظة حتى باقي خدمته، إذ لم تعد إقامته في كفرناحوم ولا عاد إليها. وهكذا بدأ المسيح ينتقل من مكان إلى مكان. وقد وجد ق. لوقا أنه حتى لهجة كرازة المسيح بدأت تأخذ صيغة أخرى وهي صيغة الكرازة الحرّة في كل مكان، التي رآها ق. لوقا نموذجاً جيداً لخدمة الكنيسة الأولى. وقد أوضحها مرَّة أخرى في (22:13): «واجتاز في مدن وقرى يعلّم ويسافر نحو أورشليم» ولكي يظهر ذلك بوضوح أمام القارئ نجد ق. لوقا نفسه يستخدم نفس أسلوب المسيح في التسجيل لحساب الكنيسة الأولى هكذا: «وإذ كانوا يجتازون في المدن كانوا يسلّمونهم القضايا التي حكم بها الرسل والمشايخ الذين في أورشليم ليحفظوها» (أع 4:16). من هذا نفهم أن ق. لوقا ليس مؤرِّخاً وحسب، بل مدرِّساً كنسياً حافظاً للتقليد وواضعاً أسسه الراسخة في الكنيسة.

«**يكرز ويبشِّر**»: khrÚsswn ka^ eÙaggelizÒmenoj

كلمتان متقاربتان في المعنى: الأولى وهي الكرازة تعني التعليم، أما الثانية وهي البشارة بالملكوت فهي كشف سر الملكوت الآتي وهو مصدر الأخبار السارة والمفرحة للغاية، إذ لنا بعد أحزان العالم أفراح سماوية لا نهاية لها. التعليم فيه إنذار وتوجيه وتوبيخ ومعرفة صعاب الطريق والخلاص منه، أمَّا البشارة فهي النتائج للذي عبر الطريق بسلام وغلب وعاد إلى وطنه: الملكوت، وعلى رأسه ابتهاج وفرح. وقد أوضح ق. لوقا أن الكرازة شيء والبشارة شيء آخر حينما قال المسيح ما يُفهم منه أن الكرازة أي التعليم هو للناس، أمَّا لكم فالبشارة، هكذا: «فقال: لكم قد أُعطي أن تعرفوا أسرار ملكوت الله وأمَّا للباقين فبأمثالٍ ...» (لو 10:8). وواضح أن احتفاظ المسيح بالاثني عشر ليكونوا معه دائماً هو عملية إعداد لمستقبل خدمتهم لتأسيس الكنيسة. فمنذ بدء هذا الترحال تُعتبر الكنيسة أنها بدأت تتشكَّل من الأساس.

2:8و3 «**وَبَعْضُ النِّسَاءِ كُنَّ قَدْ شُفِينَ مِنْ أَرْوَاحٍ شِرِّيرَةٍ وَأَمْرَاضٍ: مَرْيَمُ الَّتِي تُدْعَى الْمَجْدَلِيَّةَ الَّتِي خَرَجَ مِنْهَا سَبْعَةُ شَيَاطِينَ، وَيُوَنَّا امْرَأَةُ خُوزِي وَكِيلِ هِيرُودُسَ، وَسُوسَنَّةُ، وَأُخَرُ كَثِيرَاتٌ كُنَّ يَخْدِمْنَهُ مِنْ أَمْوَالِهِنَّ**».

وهكذا يظهر لأول مرَّة مركز المرأة عند المسيح وفي تأسيس الكنيسة، ومقامها مع الاثني عشر بالكيل الواحد. وذكر الشفاء من الأرواح الشريرة سبق أن مررنا عليه في (21:7)، والشفاء من

الأمراض في (39:4). ثم ذكر على وجه الخصوص ثلاث منهن: مريم التي من مجدالا (10:24)، وهنا يخصّها ق. لوقا بالأولوية بين النساء بسبب ذيوع صيتها كشاهدة أُولى للقيامة يُعتد بها حسب التقليد. ولا يوجد أي تلميح لا في إنجيل ق. لوقا ولا في المصادر الأخرى التي رجع إليها ما يوحي أنها المرأة الخاطئة التي غسلت رجلي الرب بدموعها ومسحتهما بشعرها ودهنتهما بالطيب، أي أن مريم المجدلية لا علاقة لها بالخاطئات اللاتي تُبن.

ثم يأتي ذكر يونّا Iw£nna ' وبالعبرية Yôhãnã وهي تأنيث اسم يوحنا، وهي امرأة رجل غير معروف لدينا اسمه "خوزي ©Couz" - وهو اسم من نباطية، وكان ضابطاً عند هيرودس أنتيباس، ربما مديراً لأعماله أو متقدّماً على خَدَمِهِ وهذا معنى كلمة "وكيله"، وقد ذكر هذه الكلمة ق. متى في (10 : 8). وهذا مَثَلٌ لخدمة المرأة في الأوساط الارستقراطية.

والثالثة هي سوسنة Sous£nna بمعنى زنبقة Lily. واليهود كانوا يطلقون الأسماء الجميلة من الزهور والشجر على البنات. فمثلاً رودا هي وردة، وثامار تعني ثمر، ... وسوسنة غير معروفة إلاَّ من اسمها.

والعجيب أن تقوم هؤلاء السيدات الثلاث بالصرف على الاثني عشر ومعهم المسيح، لأنهن كنَّ من الأغنياء. بمعنى أنهنَّ كن ذوات أموال خاصة وضعن أموالهن رهن رحلات المسيح والاثني عشر بكل مصاريفها. ولكن وضع كلمة "يخدمن dihkÒnoun" تفيد أنها خدمات كنسية أيضاً كما استلمتها الكنيسة كخدمات مسيحية بعد ذلك.

ولكن من دقة البحث والفحص نجد استعانة المسيح بخدمة المرأة على هذا المستوى من التداخل والمسئولية هو أمر يُستغرب له جداً حتى من التلاميذ أنفسهم: «وعند ذلك جاء تلاميذه وكانوا يتعجَّبون أنه يتكلَّم مع امرأة» (يو 27:4)، بمعنى أن المسيح فتح الباب المغلق على المرأة بصورة عامة رسمية وهامة وخطيرة لتكون المرأة مسئولة عن الخدمة على مستوى الرجل وأكثر، فالذي يصرف على الخدمة هو مستأمن على الخدمة بالدرجة الأُولى. ويخطئ أشد الخطأ مَنْ يقول إن الكنيسة أخذت الانفتاح على المرأة تقليداً من البيئة اليونانية، فالمسيح هو الذي فتح بنفسه الباب على المرأة وحرَّرها من الانغلاق والتقهقر خلف الرجل والتبعية للرجال على مستوى الأطفال أو العبيد عديمي المسئولية. فهنا يُسلِّم المسيح المرأة مقاليد الخدمة والصرف عليها من مركز المسئولية **في** الكنيسة ولكن ليس **عليها.**

وهذا الإجراء الجديد الذي افتتحه المسيح الذي يجعل المرأة تخدم مع الرجل في الكنيسة هو منطقي بحسب الروح إلى أقصى حد. فالبشارة بالملكوت تخص الرجل كما تخص المرأة، والدخول واحد للاثنين. فإن كان وضع المرأة كوضع الرجل في الملكوت لا فرق على الإطلاق، فيصبح من حق المرأة

أن تخدم الملكوت كما يخدمه الرجل على نفس المستوى، فلو علمنا أكثر أن في الملكوت لا يزوَّجون ولا يتزوَّجون، فأصبحت عثرة الجنس ـ وما يحيط به من الظروف التي جعلت المرأة موضع ملاحقة واشتهاء وعثرات ـ غير موجودة، وهذا الوضع في الملكوت الذي بلغ فيه التساوي بين الرجل والمرأة أقصى غايته عاد بأثر رجعي على الحال في الكنيسة داخل الزمن، فأصبحت الحياة المسيحية داخل الكنيسة تطبيقاً عملياً لما سيكون، لأن الكنيسة تحيا الملكوت منذ الآن وتخدمه بآن!! وهذا قاله بولس الرسول: «ليس ذكرٌ وأنثى لأنكم جميعاً واحدٌ في المسيح» (غل 28:3)، «ولا المرأة من دون الرجل في الرب.» (1كو 11:11)

ويلزم أن نعرف أن هاته النسوة ظلت تسير وتخدم مع المسيح والاثنى عشر حتى دخل أُورشليم وحضرت جميعهن الأيام الأخيرة للمسيح وشاهدن الصلب وشهدن للقيامة كما هو مكتوب: «وكانت أيضاً نساء ينظرن من بعيد بينهن مريم المجدلية ومريم أُم يعقوب الصغير ويوسي وسالومة اللواتي أيضاً تبعنه وخدمنه حين كان في الجليل **وأخر كثيرات اللواتي صعدن معه إلى أورشليم**» (مر 15: 40و41). أمَّا ق. لوقا فذكر أيضاً أخيراً هؤلاء النسوة دون تنصُّل: «وكان جميع معارفه ونساء كُنَّ قد تبعنه من الجليل واقفين من بعيد ينظرن ذلك» (لو 49:23). والامتياز في تسجيل ق. لوقا للنسوة هو أنه تتبَّعهن منذ البدء، أي بدء الترحال من الجليل في أسفار المسيح المستمرة من مدينة إلى مدينة حتى دخل أُورشليم، وبقين هناك حتى شاهدن الختام. فهنا تتضح لنا حاسة التاريخ عند ق. لوقا وتتبُّع كل شيء من الأول بتدقيق كما ذكر في مطلع إنجيله.

2 ـ مَثَل الزارع

(8-4:8)

(مت 13: 1-9)
(مـر 4: 1-9)

4:8 **«فَلَمَّا اجْتَمَعَ جَمْعٌ كَثِيرٌ أَيْضاً مِنَ الَّذِينَ جَاءُوا إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ مَدِينَةٍ، قَالَ بِمَثَلٍ».**

يهم القارئ أن يعلم لماذا بدأ المسيح يعلّم متخذاً الأمثال كطريقة جديدة للتعليم. فالمسيح في بداية خدمته كان يعلّم الشعب بغاية البساطة والوضوح كالعظة على الجبل، بحيث أن السامع البسيط يمكنه أن يفهم ويتعلّم. ولكن وقد اعتاد الشعب على التعليم ولم يعطِ استجابة، بدأ المسيح يفرِّق في طريقة تعليمه بين الإنسان الجاد والمهتم بالسمع والفهم، والإنسان الذي يستخف بالتعليم

وليس له قلب مفتوح للمعرفة. فالتعليم بالأمثال يعطي فرصة لذوي العقول المفتوحة للجري وراء المعنى والتقاطه بفرح وحفظ المعاني في قلب واع، أمَّا الذين يتزاحمون على السمع بغير نيَّة للفهم والحفظ والعمل فيسقط دونهم المعنى المقصود ولا يفهمون شيئاً، هؤلاء هم الذين قال عنهم مراراً وتكراراً إن لهم آذاناً للسمع ولكنهم لا يسمعون، كما أسماهم بأصحاب القلوب الغليظة والبطيئي القلب في السمع والإيمان. وللعجب فإن أول مثل قاله المسيح كان يخص هذا الموضوع بالذات، وفيه يفرِّق المسيح بين أنواع السماع.

علماً بأن أصل المثل كما سبق وقلنا (انظر كتاب شرح إنجيل ق. مرقس صفحة 217-240) لم يقدِّم المسيح له تفسيراً، فكان يقول المثل ولا يعلّق عليه ولا يشرحه، ولكن الأمثلة التي يجد لها القارئ شرحاً أو تفسيراً معها فهو لم يلقِهِ المسيح على الجموع، ولكن سجَّله الإنجيل بعد أن دخل المثل في صميم خدمة الرسل أو الأساقفة داخل الكنيسة وقُدِّم له الشرح.

وهذا المثل «خرج الزارع ليزرع» قاله المسيح للجموع وتركهم يفسرونه بأنفسهم، معتقداً أن تلاميذه لابد أن يكونوا قد فهموه، فلمَّا أخذوه على انفراد وقالوا له فسِّر لنا مثل الزارع، اندهش المسيح لأنه كان من المفروض أن يكونوا قد فهموه بسبب الوعي الذي تربَّى عندهم من كثرة التعليم، لذلك بادرهم بالإجابة قائلاً: «ثم قال لهم أما تعلمون هذا المثل؟ فكيف تعرفون جميع الأمثال؟» (مر 13:4). وهكذا كان المسيح يفترض في تلاميذه أن يفهموا الأمثال دون شرحه أو تفسيره الخاص من واقع وعيهم الروحي المدرَّب. ولقد فات على ق. لوقا هذا التأنيب الذي واجه به تلاميذه فلم يذكره.

5:8 «خَرَجَ الزَّارِعُ لِيَزْرَعَ زَرْعَهُ. وَفِيمَا هُوَ يَزْرَعُ سَقَطَ بَعْضٌ عَلَى الطَّرِيقِ، فَانْدَاسَ وَأَكَلَتْهُ طُيُورُ السَّمَاءِ».

لم يذكر القديس لوقا فاتحة المثل، وهذه الفاتحة تعتبر محور التعليم بالأمثال جميعاً، وهي: «وقال لهم في تعليمه **اسمعوا ...**» (مر 2:4). والمسيح يقصد منها أمرين غاية في الأهمية والعمق:

الأول هو التنبيه المُسْبَق قبل الكلام لكي تنفتح آذانهم للسماع الروحي وللتفريق بين كلام الناس وكلام الله. أمَّا الأمر **الثاني** وهو في غاية الأهمية والإحكام، فالمسيح بدأ تعليمه الرسمي الثابت هنا كبداية تعليم الله في القديم بالوصية: «اسمع يا إسرائيل ...» (تث 4:6)، وقد سمَّاها اليهود بـ"الشِمَاع" أي "السمع" التي تُعتبر سر بدء الوصايا والتي يتعلّق بها كل تعليم الله. فإن انفتحت الأذن الروحية لسماع الله فالكلمة تدخل القلب وتُختزن فيه للحياة. وفي قول المسيح: «خرج

الزارع ليزرع» لم يكن هذا الزارع إلاَّ المسيح نفسه، فهو يلقي كلماته كما يلقي الزارع بذاره. إذن فالمثل يختص بكلمة الله!

«سقط بعض على الطريق»:

كلمة "الطريق" هنا ليست أكثر من المدق الذي يخترق الحقول للسير بالقدم، فالمدق لا يزيد عرضه عن متر واحد، والحقل تخترقه مدقات كثيرة، لذلك حتماً تقع البذار أثناء نثرها على الطريق عفواً. وبالتالي إمَّا تدوسها الأرجل أو تلتقطها طيور السماء، التي لم تكن من واقع المثل إلاَّ الشيطان نفسه، فهو يتتبَّع الكلمة عند السامع محاولاً أن يخفي أهميتها أو يصعِّب من مفهومها أو يخنقها بالشكوك أو يطمس معالمها باللامبالاة. أمَّا الدوس بالأقدام فهو الإهمال الذي يبديه السامع لكلمة الله فتموت في سمعه: «فكم عقاباً أشر تظنون أنه يُحسب مستحقاً مَنْ داس ابن الله (كلمته) وحسب دم العهد الذي قُدِّس به دنساً وازدرى بروح النعمة.» (عب 10:29)

6:8 **«وَسَقَطَ آخَرُ عَلَى الصَّخْرِ، فَلَمَّا نَبَتَ جَفَّ لأَنَّهُ لَمْ تَكُنْ لَهُ رُطُوبَةٌ».**

أرض فلسطين ملآنة بالحجارة، والغيطان نفسها ملآنة بالحجارة، وحتماً تسقط البذار على الصخر كما تسقط على الأرض الجيدة، والصخر عليه طبقة رقيقة من التراب فإذا نزل المطر وابتلت البذرة تنبت، ولكن إذ ليس للجذر عمق فحالاً تجف وتموت النبتة. والشرح لا يغيب عن أي ذهن، فالتطبيق يكون على أصحاب القلوب غير المستعدة لحفظ الكلمة والاهتمام بها، فيتأثر الإنسان من سماع الكلمة ولكن إذ ليس له مسرَّة في وصايا الله وأعماله تموت الكلمة في قلبه.

7:8 **«وَسَقَطَ آخَرُ فِي وَسْطِ الشَّوْكِ، فَنَبَتَ مَعَهُ الشَّوْكُ وخَنَقَهُ».**

هنا الوصف يجيء في منتهى الحبك إذ أنها حالة واقعة نراها دائماً، ولكن تطبيقها عميق ومحزن لأنه يستقطب غالبية الناس التي تسمع الكلمة وتقبلها وتحاول الاحتفاظ بالتعليم، ولكن هموم العالم والسعي وراء الرزق وضياع النهار كله في الجري وراء اللقمة وما بعد اللقمة من منازعات مع الرؤساء والمرؤوسين والزملاء وضيق الحال وصعوبة التعامل مع الناس، كل هذا يخنق الكلمة مهما كان الإنسان راغباً في الحفظ والعمل. ولكن لا يأس لأولاد الله، فعين المسيح على أحبائه يرعاهم في الضيق، ومهما ضغط العالم بهمومه فإن المتكلين عليه والشاكرين والمسبِّحين له تجدهم في أشد ساعات التعب والضيق يترنمون ونفوسهم راضية مبتهجة، لأن روح الله يعين التعابى ويعزِّي صغيري القلوب ويمسح الدمع من عيون مختاريه.

8:8 «وَسَقط آخَرُ فِي الأرْضِ الصَّالِحَةِ، فلمَّا نَبَتَ صَنَعَ ثمَراً مِئةَ ضِعْفٍ. قالَ هذا ونَادَى: مَنْ لهُ أذنَانِ لِلسَّمْعِ فليَسْمَعْ!»

والجزء الرابع من البذار سقط على الأرض "**الصالحة** n«gaq¢" وهي نفسها "الجيدة kal»n" (مر 4:8) التي أثمرت مئة ضعف، وق. لوقا هنا يجمع الدرجات معاً، فالثلاثين والستين ضمَّهم على المئة ليتلافى تقسيم المؤمنين إلى درجات والتفريق بين أعمال الناس، فجعل الذي يثمر يثمر ثمراً كاملاً. وذلك على نمط المثل الذي قدَّمه المسيح للأجراء الذين تفاوتت ساعات عملهم ولكنهم أخذوا جميعاً أجراً واحداً كاملاً بالنهاية لأن قلبه "صالح". وفي نهاية المثل أعطى ق. لوقا ما يعوِّض غياب البادئة "اسمعوا" بأن نادى لتنفتح الآذان القلبية حتى تستوعب الحكمة من المثل ويدرك كل إنسان ما فاته.

وإليك يا صديقي القارئ أقول: إن أسعد الناس هم الذين انفتحت قلوبهم وتعمَّق وعيهم الروحي فأصبحت الحياة كلها ذات معنى، فإذا التفتوا وراءهم وتدارسوا جميع الظروف التي عبروها والآلام والأتعاب والضيقات التي أتت عليهم فإنهم يكتشفون كم كانت يد الله معهم. كم مرَّة نجَّاهم، وكم مرَّة عبر بهم الأهوال بأقل تعب، وكم كان الرب عظيماً وعظَّم الصنيع معهم. إذن فللمسيح الحق أن يوعِّينا دائماً: «مَنْ له أذنان للسمع فليسمع» إنه صوت الله وراء كل خطوة من خطوات الحياة لنمسك بالوصية.

3 ـ المسيح يشرح لماذا يعلِّم بالأمثال

(8:9و10)

(مت 13:10-17)
(مر 4: 10-13)

8:9و10 «فسَألهُ تلامِيذهُ قائِلِينَ: مَا عَسَى أنْ يَكُونَ هذا المَثلُ؟ فقالَ: لكُمْ قدْ أُعْطِيَ أنْ تَعْرِفُوا أسْرَارَ مَلكُوتِ اللهِ، وَأمَّا لِلبَاقِينَ فبأمْثالٍ، حَتَّى إنَّهُمْ مُبْصِرِينَ لا يُبْصِرُونَ، وَسَامِعِينَ لا يَفْهَمُونَ».

بعد ما قال المسيح مثل الزارع سأله تلاميذه عن معنى هذا المثل، والقديس لوقا لم يذكر ما جاء في إنجيل ق. مرقس رداً على سؤال التلاميذ، إذ اندهش الرب أنهم لم يفهموا المثل، ثم استطرد الرب: وكيف إذن تعرفون بقية الأمثال؟ لأن المسيح قال المثل بصورته المخفية ظنًّا منه أن تلاميذه

سيفهمون قصده. وهكذا ابتدأ يشرح لهم أنهم أُعطوا نعمة ليفهموا بها سر الملكوت المختفي في تعاليم الرب، خاصة الأمثال. وقد شرح الرب كل ما يختص بملكوت الله عن طريق الأمثال. ويلاحظ أن المسيح كان يقول المثل ولا يشرحه أو يفسِّر ما جاء فيه حتى لا يفهمه إلاَّ الذين أعطوا أسرار الملكوت، أمَّا للباقين الذين لم يعيَّنوا للملكوت فهم يسمعون ولا يفهمون. وبهذا أصبحت تعاليم الرب بالأمثال قادرة أن تفرز بني الملكوت عن بني العالم والهلاك. على أن فهم المثل وحده لا يفيد شيئاً، ولكن العبرة في اكتشاف ما فيه من السر الذي يتحوَّل إلى إيمان ورجاء وقوة، لأن أمثال الملكوت وضعها الرب خاصة للساعين في طريق الحياة الأبدية حتى تعينهم على اقتحام صعاب الحياة غير مبالين بعثرات العالم: « لأنهم ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم. لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير» (يو 17: 14و15). وهذا الكلام يوافق ما قاله الرب في الختام: « فانظروا كيف تسمعون لأن مَنْ له سيُعطى. ومَنْ ليس له فالذي يظنه له يُؤخذ منه »(لو 8:18)، والمعنى هنا واضح أن مَنْ له سر الملكوت سيُعطى الملكوت، ومَنْ ليس له سر الملكوت فالذي عنده من فهم وذكاء ومعرفة تُؤخَذ منه، أي يفقدها على طول المدى، إذ ليس لها عمل إلاَّ في السعي في طلب الملكوت.

والآن السؤال: ما قيمة أن يشرح المسيح أو الإنجيلي ق. مرقس أو ق. لوقا المثل ومفتاح المثل ليس في فهمه ولكن في عطية سر الملكوت؟ من هنا لا يبالي المسيح بأن الجموع لم تعرف معنى المثل، ولكن الأمر بالنسبة للتلاميذ خطير للغاية إن كانوا لم يعرفوا المثل لأن عندهم سر الملكوت.

هكذا يحذّر المسيح في النهاية: «انظروا كيف تسمعون!» أتسمعون سمع أصحاب سر الملكوت، أم تسمعون سمع الجاهلين عديمي الإيمان والرجاء. وهكذا أيضاً أصبح "المَثَل" عند المسيح يفرز مَنْ له أُذنان للسمع ومَنْ ليس له قلب يحمل سر الملكوت فيسمع ولا يسمع. لأن النية في الأعماق رافضة الخلاص وتخشى التوبة وتعشق الخطية. وهكذا أصبح تعليم المسيح وقفاً على بني الملكوت: «سرِّي لأهل بيتي»

والقديس بولس الرسول يعبِّر عن هذا الكلام بقوة وانفتاح:

+ «أنه بإعلانٍ عرَّفني **"بالسرِّ"**. كما سبقت فكتبت بالإيجاز. الذي بحسبه حينما تقرأونه، تقدِرونَ أن تفهموا **درايتي بسرِّ المسيح** (الملكوت). الذي في أجيالٍ أُخر لم يُعرَّف به بنو البشر، كما قد أُعلِنَ الآنَ لرُسُلِهِ القديسينَ (لكم قد أُعطي أن تعرفوا أسرار ملكوت الله) وأنبيائه بالروح.» (أف 3: 3-5)

ولكن عوض الاصطلاح الكنسي الذي أورده ق. مرقس نقلاً عن التقليد داخل الكنيسة في شرح الأمثال: «أمَّا الذين من **خارج ...**» هنا يقولها ق. لوقا: «أمَّا **للباقين** فبأمثال ...»

والسؤال الذي يقدِّمه العلماء: وهل المسيح يقصد ذلك فعلاً؟ هذا يوضِّحه العهد القديم في إشعياء الذي ورد فيه عن السماع وعدم السماع والنظر وانعدام النظر بقوله: «فقد تمَّت فيهم نبوَّة إشعياء القائلة: تسمعون سمعاً ولا تفهمون. ومبصرين تبصرون ولا تنظرون، لأن قلب هذا الشعب قد غلظ وآذانهم قد ثقل سماعها، وغمضوا عيونهم لئلاَّ يبصروا بعيونهم ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم» (مت 13: 14و15). وواضح أن نيَّة الشعب على عدم السماع والنظر هي التي حتَّمت بالأمثال المخفى فيها معرفة الملكوت. ومثل الزارع الذي ضربه المسيح على كلمة الله وتعدُّد ظروف استقبالها والانفعال بها يوضِّح هذا القول.

4 ـ المسيح يشرح مَثَل الزارع

(15-11:8)

(مت 13:18ـ23)
(مر 4: 14 ـ 20)

هنا يبدأ ق. لوقا يقدِّم شرح المثل متخذاً إنجيل ق. مرقس أساساً له. والمعنى يتمشَّى مع حال الذين يسمعون كلمة الله ولهم رؤية وسماع قلبي لأسرار ملكوت الله ـ والمثل عندنا بولس الرسول ـ وقد أُعطوا من المسيح وتعاليمه مزيداً من الدراية بسر المسيح. والمثل مجازي أو استعارة أي تشبيه شيء بشيء، وهنا تشبيه تعليم كلمة الله بالزارع الذي ينثر البذور على الأرض. والمناسبة بين كلمة الله والبذرة شديدة للغاية، فقدرة الاستقرار في التربة هي نفسها استقرارها في القلب، وقدرة الإنبات واحدة هنا وهناك، والقدرة على النمو وضرب الجذور واحدة، ثم الارتفاع عن الأرض والظهور بمظهر جديد واحد، ثم في النهاية الإثمار هو أيضاً مطابق. وباختصار فإن سماع الكلمة يتحتَّم أن يأتي بثمار وإلاَّ فالكلمة تكون قد ماتت في القلب. فتمثيل المسيح هنا أن "الزرع هو كلمة الله" غاية في الإحكام.

وهنا احتار العلماء: هل الشرح الذي قدَّمه كل من الأناجيل الثلاثة هل هو للمسيح؟ أم للقديس مرقس وحده والكل أخذ منه؟ وق. مرقس نعلم علم اليقين أنه يستحيل أن يشرح شيئاً من عنده بل هو ينقل التقليد الجاري في الكنيسة ويسجِّل ما تُعلِّم به الكنيسة في سِنِيها الأولى العشرة. وقد اتفق

بعض العلماء أن المسيح لم يقدِّم الشرح المذكور في الأناجيل(181)، ولكن أثبت كرانفيلد(182) وموول أن الشرح الذي جاء في إنجيل ق. مرقس وأخذه عنه ق. لوقا وق. متى لا يوجد ما ينفي صحته ونسبته للمسيح. لذلك في إنجيل ق. لوقا هنا لا يوجد ما يغيِّر هذا القرار، فالقديس لوقا أخذ عن ق. مرقس في تحرير إنجيله والتزم برأي ق. مرقس، معلناً أن الكنيسة الأُولى أخذت عن ق. مرقس وأعادت صياغة الإنجيل بلغتها. والنتيجة هي أن نأخذ بما انتهى إليه ق. مرقس. غير أن الكنيسة امتدت بالشرح عن المسيح ككلمة الله: «من أجل ذلك نحن أيضاً نشكر الله بلا انقطاع لأنكم إذ استلمتم منا كلمة خبر من الله قبلتموها لا ككلمة أُناس بل كما هي في الحقيقة ككلمة الله التي تعمل أيضاً فيكم أنتم المؤمنين به» (1تس 13:2). وهكذا ينتهي الحكم بأن كل مَنْ التزم بكلمة الله وآمن بها فإنه يخلص، ومَنْ لم يؤمن بكلمة الله ويلتزم بها فإنه لا يخلص. هذا ما يود ق. لوقا أن يقدِّمه للقارئ في إنجيله من جهة هذا المثل كتعليم المسيح دون زيادة.

11:8 **«وَهذَا هُوَ الْمَثَلُ: الزَّرْعُ هُوَ كَلاَمُ اللهِ».**

لقد أسقط ق. لوقا توبيخ المسيح للتلاميذ كونهم لم يقدروا أن يفهموا المَثَل وأرادوا منه أن يشرحه لهم. وضحَّى ق. لوقا بأهمية هذا التوجيه من المسيح، لأنه يكشف عدم استخدام التلاميذ عطية السر التي أخذوها من الله لمعرفة أمور ملكوت الله. وكان قصده من ذلك أن لا يسجِّل على التلاميذ هذه الجهالة.

ويُلاحَظ أن ق. لوقا قد ألغى وظيفة الزارع وقصر المثل على الزرع أي الكلمة وعلى السامع مباشرة. وبهذا يضم ق. لوقا مفهوم الزارع إن كان هو المسيح أو أحد أتباع المسيح. في حين أن دور المسيح لا يقتصر على قول الكلمة، أي إلقاء البذار وحسب بل هو وراء توجيه الكلمة إلى القلوب، فهو الساهر على كلمته ليجريها، وعمله في وسط السنين يُحييه!! (إر 12:1، حب 2:3). فالكلمة بدون المسيح لا وجود ولا عمل لها!!

وحتى سامع الكلمة فإن هو عمل بالكلمة صار متصلاً ومتحداً بالمسيح نفسه صاحب الكلمة بنوع الشركة السرِّية: «فأجاب وقال لهم: أُمي وإخوتي هم الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها» (لو 21:8). إذن فالقديس لوقا يجعل عبارة «الزرع هو كلام الله» تتضمن أن المسيح هو

(181) J. Jeremias, *The Parables of Jesus*, pp. 77-79.

(182) C. E. B. Cranfield, *St. Mark*, pp. 158-161, & C. F. D. Moule, cited by I. H. Marshall, *op. cit.*, p. 324.

بالضرورة الزارع ولو أنه لم يذكرها.

وهنا ينبري ق. مرقس بآيته التي ساوى فيها بين المسيح وكلمة الله حينما قالها مرتين من فم المسيح: «من أجلي ومن أجل الإنجيل» (مر 35:8، 29:10). فالذي يمسك بالإنجيل ويتمسَّك به هو يمسك بالمسيح ويتمسَّك به. وفيها يعطي المسيح في إنجيل ق. مرقس تشخيصاً للكلمة على مستواه حتى مَنْ لم يَرَ المسيح يراه في كلمته، ومن تمنَّى أن يرى المسيح في حياته ولو مرَّة واحدة، عليه أن يلتصق بكلمة الإنجيل ليراه كل يوم وساعة. ومَنْ يحب الكلمة ويخضع لها كمَنْ أحبَّ ذات المسيح وأتمر بأمره.

12:8 «**وَالَّذِينَ عَلَى الطَّرِيقِ هُمُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ثُمَّ يَأْتِي إِبْلِيسُ وَيَنْزِعُ الْكَلِمَةَ مِنْ قُلُوبِهِمْ لِئَلاَّ يُؤْمِنُوا فَيَخْلُصُوا**».

هنا انطلق ق. لوقا مرَّة واحدة واستعاض عن البذار التي سقطت على الطريق بالذين يعيشون على قارعة طريق العالم، والشيطان بالمرصاد، عندما يسمعون الكلمة يأتي وينزعها منهم لئلاَّ يخلصوا، كما تأتي طيور السماء وتلتقط الحَب حال وقوعه على الأرض الجافة. وهكذا ربط كل من ق. لوقا وق. متى عمل الطيور بعمل الشيطان، بسبب شدة يقظة الطيور لالتقاط الحبة بمجرد وقوعها على الطريق. بهذه المهارة يقف الشيطان بالمرصاد لسامعي الكلمة وهم على طريق العالم المكشوف بقلوب لا تعرف كيف تخبِّئ كلمة الله في خزانتها الخصوصية. ولا يلوم الذي يخرج من دائرة الإنجيل صفر اليدين، فالعلة ليست في الله الذي تركه بل في الشيطان الذي نهب حياته وأكل ميراثه: «طول النهار بسطت يديَّ إلى شعب معاند ومقاوم» (رو 21:10؛ إش 2:65)، «حولوا نحوي القفا لا الوجه» (إر 27:2)، «قائلاً اذهب إلى هذا الشعب وقُل: ستسمعون سمعاً ولا تفهمون وستنظرون نظراً ولا تبصرون لأن قلب هذا الشعب قد غلظ وبآذانهم سمعوا ثقيلاً وأعينهم أغمضوها لئلاَّ يبصروا بأعينهم ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم. فليكن معلوماً عندكم أن خلاص الله قد أرسل إلى الأمم وهم سيسمعون» (أع 28: 27و28). وبهذه الآية ختم ق. لوقا سفر أعمال الرسل!!

ويسأل سائل لماذا هكذا غضب الله على هذا الشعب؟ الجواب: لأنهم تمادوا في رفضه حتى آخر لحظة، لذلك تمادى الله في رفضهم حتى آخر فرصة: «رفضوني أنا الحبيب مثل ميت» ! (مز 21:37 حسب النسخة القبطية) «هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً» (مت 28:23)!! إنهم قتلوه!!

فيا ويل مَنْ يزدري بخلاصه!! لأنه بمثابة من يدوس النعمة ويزدري بدم ابن الله.

13:8 **«وَالَّذِينَ عَلَى الصَّخْرِ هُمُ الَّذِين مَتَى سَمِعُوا يَقْبَلُونَ الْكَلِمَةَ بِفَرَحٍ. وَهؤُلاَءِ لَيْسَ لَهُمْ أَصْلٌ، فَيُؤْمِنُونَ إِلَى حِينٍ، وَفِي وَقْتِ التَّجْرِبَةِ يَرْتَدُّونَ».**

إذا وقع الحَبُّ على الصخر وعليه تربة خفيفة ينمو سريعاً ولكن بعد ذلك يجف إذ ليس له عمق يضرب فيه جذوره. هذا اختصره ق. لوقا ليتكلّم عمَّا يقابله في البشرية عند الذين يسمعون الكلمة بفرح ولكن إذ ليس لهم عمق واختزان في القلب للكلمة، ولا يوجد ما يرويها لكي تتأصَّل في القلب، حيث هنا غياب الماء وغياب عمق التربة هو المقابل، فإن الجذر يتوقّف عن النمو ويذبل الزرع ويموت إذا طلعت الشمس. ويضع المسيح لها المقابل وهو عدم الاستمرار في الإيمان بسبب المعاناة إزاء التجربة، وحينئذ يرتد المؤمن عن إيمانه. والسرّ في ذلك بحسب الواقع هو عدم الاستعداد لتحمُّل الآلام إزاء التجارب، حيث النفس تكون جزعة وجبانة وتأخذ القرارات بخفة واستهانة فتفرح وتتهلّل عند قبول كلام الوعظ دون أي رصيد داخلي في قبول دفع ثمن الإيمان وامتحانه. لذلك وضع المسيح الشرط الأول لاتباعه وهو حمل الصليب من أول الطريق، بمعنى الاستعداد للآلام والموت ثمناً للإيمان دون مراوغة: «يا ابني إن أقبلت لخدمة الرب الإله فاثبت على البر والتقوى وأعدد نفسك للتجربة» (ابن سيراخ 1:2)، «لأن يسوع من البدء علم من هم الذين لا يؤمنون ومَنْ هو الذي يسلّمه.» (يو 64:6)

أمَّا النصيحة الذهبية التي نسوقها لذوي النفوس الجزعة التي تخاف من التجارب والآلام باستعداد الهروب والتسليم للإخفاق: إن "الكلمة" تحمل قوة التنفيذ، ووصايا المسيح تحمل المسيح نفسه ضامناً لها ومكمّلاً لكل واجباتها، وإن الذي يتقدَّم بشجاعة لحمل الصليب يحمله المسيح هو وتجربته معه، والذي قرَّر أن يبذل نفسه حتى الموت أمانة للمسيح وكلمته يستحيل أن يفرّط فيه المسيح بل يهبه النصرة على الضيقات وغلبة الآلام والاضطهادات ويجعله عموداً في بيته: «الله لنا ملجأ وقوة. عوناً في الضيقات وُجِدَ شديداً »(مز 1:46)، «يعلم الرب أن ينقذ الأتقياء من التجربة» (2بط 9:2)، «لا تخف أيها القطيع الصغير لأن أباكم قد سُرَّ أن يعطيكم الملكوت!!» (لو 32:12)

14:8 **«وَالَّذِي سَقَطَ بَيْنَ الشَّوْكِ هُمُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ، ثُمَّ يَذْهَبُونَ فَيَخْتَنِقُونَ مِنْ هُمُومِ الْحَيَاةِ وَغِنَاهَا وَلَذَّاتِهَا، وَلاَ يُنْضِجُونَ ثَمَراً».**

الإنسان الذي انغمس في العالم، سواء الذين زجّوا بأنفسهم في حمل هموم أثقل من إمكانياتهم، أو الذين أغراهم العالم بمسراته الوهمية وملذاته وأمجاده فانزلقوا في شهواته، هؤلاء حينما يسمعون الكلمة يتحمَّسون لها ولا يستطيعون أن يكمّلوا مشوارها، فالهموم والملذات تضغط عليهم كل

واحدة منها بثقلها الرهيب فتعوِّق الإنسان عن تكميل آماله وخضوعه لمطالب الكلمة. وهكذا تنحل قوته ولا يثابر في طريق الإنجيل ويتوقف عن أن يبلغ الغاية ويتوقَّف دون النتائج دون ثمر. ويبتدئ يتحسَّر على أيامه الأولى كيف كان حراً قوياً ناجحاً قبل أن تركبه هموم العالم التي ارتضى بها وحمل نيرها دون نير المسيح. هذا وضع محكم من مثل المسيح الشديد الانطباق على الواقع الحي لا يمكن أن يُنسى.

15:8 «وَالَّذِي فِي الأَرْضِ الْجَيِّدَةِ هُوَ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْكَلِمَةَ فَيَحْفَظُونَهَا فِي قَلْبٍ جَيِّدٍ صَالِحٍ وَيُثْمِرُونَ بِالصَّبْرِ».

والآن في القسم الرابع من المثل حيث تقع الحبات في أرض طيبة، وصفهم المسيح بالذين يسمعون الكلمة ليحفظوها في قلب صالح أمين وشريف، وله طموحات في غايات نبيلة وشريفة يسعى نحوها، في صبر بتأنٍ ووثوق غير مزعزع بضيقات أو اضطهادات أو آلام ومعاناة العالم الكثيرة، يعبر عليها جميعاً بقلب راضٍ وشاكر ومحتمل من أجل الهدف العظيم الموضوع أمامه. لا يلين ولا يتهاون ولا يسوِّف العمر باطلاً، بل يتجه بكل القلب والنية نحو الغاية السعيدة فيبلغها في أوانها ويثمر فيها ثماراً تُفرِّح قلب الله والناس، فيصير شاهداً على صدق أقوال الله وأميناً فيما لله. فإذا نظرنا إلى أشخاص الإنجيل نجد مريم التي جلست تحت قدميْ المسيح ولم تضطرب بأمور كثيرة تسمع وتعي وتفكِّر وتصمِّم، كم هي انتفعت وأرضت قلب المسيح. كذلك كرنيليوس الضابط قائد المئة غريب الجنس كيف كرَّم الله واشتهى شهوة أن يكون مسيحياً ويُهان مع المهانين في وسط شعب مذلول، فكان له وحل عليه الروح القدس وعلى مَنْ معه بصفة خاصة جداً حتى قبل أن يقبل العماد ووضع اليد، شأنه في ذلك شأن الرسل يوم الخمسين. أو برنابا الشخص الوقور خادم الإنجيل الهادئ الوديع الصامت صاحب الكلمة والمدعو ابن الوعظ. هؤلاء صاروا زهوراً يانعة في صحبة المختارين المدعوين للخلاص بسبب أمانتهم للكلمة. وأكثرهم وأعظمهم جميعاً هذه العذراء القديسة التي بسبب تقواها وقلبها الكامل في الأمانة والوداعة الطفولية قبلت كلمة الله، لا في قلبها وحسب بل وفي أحشائها، وحبلت بها بالروح القدس وولدت المسيح الكلمة، والتي كانت تحفظ كل أمور الله نحوها في قلبها بهدوء وصمت وحكمة، فاستأهلت أن تكون أم النور الحقيقي ووالدة الإله التي أرضعت من ثدييها ابن الله.

وهكذا كما أن الخطية إذا حبلت تلد إثماً، كذلك "الكلمة"، كلمة الله، إذا حُبل بها تلد إنساناً جديداً: «مولودين ثانية لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد» (1بط 23:1)

5 ـ مَثَلُ المصباح الموقد

(18-16:8)

(مت 5: 15)
(مر4:21-25)

الجزء الباقي من تعليم مثل الزارع، وهو خاص بتلاميذه، غير أنه في إنجيل ق. مرقس يوجِّه المسيح الكلام إلى الجموع (مر 4:21ـ32). وهو هنا يبدأ بالآية (16) ويلحقها آية أخرى (17) تتبعها، ثم آية أخيرة للتوجيه. والقديس لوقا يأخذ هذه الآيات الثلاث عن إنجيل ق. مرقس (4:21-25) ولكنه أسقط الآية (4:23) عند ق. مرقس كما أسقط الآية (4:24) لأنه سبق وذكرها في (8:8، 6:38). والقديس لوقا يقدِّم الآية (8:18) كختام لهذا الفصل التعليمي، إذ يعود على التلاميذ منبِّهاً أن هذه الخفيات التي يتكلَّم عنها بخصوص سر ملكوت الله وقد أُعلنت لهم، فقد استنارت عقولهم بها وأصبحوا مصابيح العالم لإنارة كل الداخلين إلى الإيمان. فعليهم أن يجولوا العالم ومن أهم مواقعه يعلنون النور لكل الداخلين، على أن كل ما علَّمهم به المسيح سراً عليهم أن يعلنوه علناً. وأن الذي يأخذ بالفيض عليه أن يعطي بلا كيل، أما الذي يخفي النور يختفي عنه النور.

16:8 **«وَلَيْسَ أَحَدٌ يُوقِدُ سِرَاجاً وَيُغَطِّيهِ بِإِنَاءٍ أَوْ يَضَعُهُ تَحْتَ سَرِيرٍ، بَلْ يَضَعُهُ عَلَى مَنَارَةٍ، لِيَنْظُرَ الدَّاخِلُونَ النُّورَ».**

«سراجاً»: lÚcnon ، **«منارة»:** lucn…aj

وهذا الاسم معروف جداً للرهبان الذين يسبِّحون كثيراً للعذراء إذ يدعونها المنارة الذهب التي كان يشعلها هارون. والمنارة هي حامل النور، والسراج كان في العصور الأولى يوقد بالزيت. والمسيح هنا يعطي صورة لعمل مخالف للعقل والمنطق، فالمصباح يحمل النور والنور ينير للناس، ولكن أن يُخفى المصباح تحت مكيال أو تحت السرير فهذا هو المنطق المقلوب. هكذا يوجِّه المسيح نظر الذين أضاء عليهم بنور المعرفة وأصبحوا مصابيح للمسكونة لينيروا لكل الداخلين إلى الله يطلبون الإيمان والحب والمعرفة. صحيح أن المسيح علَّمهم بأمثال حتى لا يعرف الناس غير المختارين سر ملكوت الله، ولكن عليهم هم الذين عرفوا السر واستناروا أن يظهروا للناس ليذيعوا سر الملكوت، لأنه لم يعد سر الملكوت مخفياً بعد، إذ أن المسيح مات وقام وفتح أبواب الملكوت للعالم كله، كل

مَنْ يؤمن. والمنارة هنا هي الكنيسة بلا منازع، والخدَّام المباركون هم مصابيح العالم التي أشعلها الله بروحه القدوس وامتلأت بزيت النعمة ليضيئوا العالم: «أنتم نور العالم.» (مت 14:5)

17:8 **«لأَنَّهُ لَيْسَ خَفِيٌّ لاَ يُظْهَرُ، وَلاَ مَكْتُومٌ لاَ يُعْلَمُ وَيُعْلَنُ».**

المسيح يتكلَّم هنا عن سر الملكوت بما يحوي من سر الفداء والخلاص الذي صار مجاناً للجميع، الأمور التي لمَّا بُدئ بها كانت كلغز وغير مفهومة، لأنها كانت مخفية وراء الصليب وأذاعتها القيامة، فصارت على المشاع لدى كل إنسان وكل فكر. كل هذا تعليقاً علىسر الملكوت الذي به يفهم أولاد الله كل معنى التجسُّد والفداء والخلاص. وكان في أيام التلاميذ يُطرح عليهم في ألغاز الأمثال في الخفاء، ولكن المسيح عقَّب على المثل بما سيصير عليه سر الملكوت فيما بعد من المعرفة العامة والعلانية، بحيث لا يصبح هنا عذر لأي إنسان في عدم التعرُّف عليه لأنه أصبح كنور الشمس يضيء على العالم كله: « فليضئ نوركم هكذا قدَّام الناس.» (مت 16:5)

18:8 **«فَانْظُرُوا كَيْفَ تَسْمَعُونَ! لأَنَّ مَنْ لَهُ سَيُعْطَى، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ فَالَّذِي يَظُنُّهُ لَهُ يُؤْخَذُ مِنْهُ».**

هنا التركيز كله على "السمع". «اسمع يا إسرائيل» = "الشِمَاع" التي هي أقدس كلام عند اليهود. فهنا يعود المسيح ويجدِّد خطورة "الشِمَاع"، لأن الذي اقتنى انفتاح الذهن في فهم كلام الله أصبح هو المؤتمن على أسرار الملكوت. والذي لم ينفتح ذهنه لكلام الله، أي لم يصر عنده قوة السمع الروحي، فقد ضاع منه كل سر الملكوت والله. فالذي عنده السماع الروحي عنده الملكوت بالضرورة. والذي ليس عنده السماع الروحي فقد خسر كل الذي عنده، الذي اقتناه بالحفظ والمذاكرة والتلاوة لأنه سيفقده قليلاً قليلاً حتى يخرج من العالم بلا حصيلة لتصبح حياته على الأرض بلا فائدة، كتاجر خسر تجارته كلها ووقف الدائنون على الباب يطالبونه بما ليس عنده!!

وليفهم القارئ قوة الكلام، فمفتاح غنى الإنسان الروحي يتوقَّف على انفتاح ذهنه وبصيرته لفهم ومعرفة كلام الله ووصايا المسيح. وهذه لن تأتي بالراحة والميوعة والدروس الخصوصية كتحصيل علم الهندسة أو علم الطب أو علم التجارة، لأن انفتاح الوعي على أقوال الله وحكمته ووصاياه تحتاج إلى التقوى وطهارة القلب وصدق النية وإخلاص الجهد والصلاة الحارة للوقوف أمام الله بدالة البنين. فميراث السموات محجوز للبنين: «لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله.» (رو 14:8)

6 ـ أقارب الرب الروحيون
(الذين يسمعون الكلمة ويطيعونها)

(21ـ19:8)

(مت 12:46-50)
(مر 3: 31-35)

تأتي هذه الحادثة والتعليق عليها في إنجيل ق. مرقس في موضع سابق (3:31ـ35)، ولكن استحسن ق. لوقا أن يذكرها هنا لشدة مناسبتها مع نصيحة الرب أن «انظروا كيف تسمعون» لأن الذي يسمع كلمة الله بقلب مفتوح وذهن مفتوح يصبح قريباً من الله والمسيح. وهذا هو موضوع هذا الجزء «مَنْ أمي وإخوتي» !

وفي قول المسيح عن الذين يحسبهم أقاربه هم الذين يسمعون الكلمة ويعملون بها، نجد السمع والعمل معاً هما حصيلة الإيمان بالرب بكل تأكيد، لذلك بحذق مكشوف حوّل ق. لوقا ما جاء في إنجيل ق. مرقس عن «الذين يصنعون مشيئة الله» باعتبارهم أقاربه إلى « الذين **يسمعون** الكلمة ويعملون بها» حتى تصير محكمة ومطابقة لقوله في (8:18) مباشرة.

والقديس لوقا لم يكتفِ بهذا التوضيح الجيد للعلاقة بين سماع كلمة الله والحصول على القربى من المسيح، بل عاد مرَّة أخرى وذكر هذه المناسبة بنوع من الحذق: «وفيما هو يتكلّم رفعت امرأة صوتها من الجمع وقالت له: طوبى للبطن الذي حملك والثديين اللذين رضعتهما. أمَّا هو فقال: بل طوبى للذين **يسمعون** كلام الله ويحفظونه.» (لو 11: 27و28)

19:8 **«وَجَاءَ إِلَيْهِ أُمُّهُ وَإِخْوَتُهُ، وَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَصِلُوا إِلَيْهِ لِسَبَبِ الْجَمْعِ».**

يقص علينا ق. لوقا هذه القصة عن قصد لكي يعطي الكنيسة النظرة الصحيحة في المسيحية للأصل والأقارب، وإذ ليس ألصق إلى الإنسان من أمه وإخوته فجعلهم هو هنا المثل الذي أراد أن يبلغ به القصد، إذ يقول إن «أمه وإخوته» جاءوا إليه. وإخوته هؤلاء من زوجة أخرى كانت ليوسف ـ كما استقر الرأي عند معظم الآباء ـ وماتت فأراد يوسف أن يربِّي أولاده ويرعاهم لذلك خطب القديسة مريم لتكون زوجة له، ولكن حذّره الملاك في الحلم أن يقربها لأنها حملت من الروح القدس لتلد القدوس ابن الله. وهكذا بقيت العذراء تحت رعايته دون أن يقربها كل أيام

حياتها. هؤلاء جاءوا إلى يسوع ليفتقدوه كعادة الأسرة. ولكن بسبب الجمع المحيط بالمسيح لم يستطيعوا أن يشقُّوا طريقهم إليه.

20:8 **«فَأَخْبَرُوهُ قَائِلِينَ: أُمَّكَ وَإِخْوَتُكَ وَاقِفُونَ خَارِجاً يُرِيدُونَ أَنْ يَرَوْكَ».**

هنا لا يذكر ق. لوقا «أخواتك» إذ يحذفها كعادة اليهود أن يسقطوا المرأة من حساباتهم. ويبدو أن المسيح كان في مكان مغلق، ربما أحد البيوت لأنهم قالوا له إنهم واقفون خارجاً، وربما هذا هو الذي جعلهم لا يدخلون بسبب حيائهم أن يدخلوا بيتاً غريباً عليهم. وفي الحقيقة لم يوضِّح الإنجيل سبب مجيء الأسرة. ولكن الذي نستشعره من مجريات الأمور أن إخوته لم يكونوا يؤمنون به حسب إنجيل ق. يوحنا (5:7)، فلابد أنه كان هنا نوع من الغيرة والحقد عليه كما حدث في القديم مع يوسف تجاه إخوته لأن يسوع كان ناجحاً وموفّقاً، وصيته ملأ البلاد، وكان هو من جهته لا يعبأ بإخوته لأن رسالته كانت خارج مضمون الأسرة كليَّة. ولم يحدث أن لانت قلوبهم نحوه إلاَّ بعد القيامة عندما خصَّهم باستعلان ورآه يعقوب وآمن. كذلك نعلم أن ضمائر إخوته امتلأت تجديفاً نحوه وحسبوه به شيطان كما ظنَّ الفرِّيسيون أيضاً (يو 20:7). أمَّا أُمه القديسة فجاءت مع إخوته ليطمئن قلبها على الذي خرج من أحشائها بإعجاز الله بسبب الأخبار المتضاربة التي نقلها إخوته لها.

21:8 **«فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: أُمِّي وَإِخْوَتِي هُمُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ كَلِمَةَ اللهِ وَيَعْمَلُونَ بِهَا».**

ردَّ المسيح هنا على الذين قالوا له عن أُمه وإخوته ردًّا لاهوتيًّا عميقاً للغاية، إذ يستعلن لنا حقيقة وطريقة مَنْ تكون أُمه ومَنْ يكون إخوته بالحق، وهي أن يسمع الإنسان كلمة الله ويعمل بها. فليست القرابة الجسدية كافية للخلاص أو الانتماء إلى المسيح. فالمسيح أصبح المصدر الوحيد للإنسان عامة ليقترب إلى الله وإلى شخصه، لأن المسيح هو كلمة الله الوحيدة القادرة، إن استمع إليها الإنسان بالروح ودخلت وسكنت أحشاءه، فإنها تلد الإنسان من جديد، تلده لله ليكون ابناً أو ابنةً لله، والله يكون أباً للجميع.

أمَّا ولادة الإنسان الجديد من الكلمة فيحققها ق. بطرس هكذا: «مولودين ثانية لا من زرع يفنى (أي من أُم وأب) بل مما لا يفنى (بالإيمان والعماد) بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد» (1بط 23:1). هكذا بواسطة السماع القلبي للكلمة بانفتاح الوعي تستقر الكلمة الحية والمحيية وتصنع في أحشاء الإنسان إنساناً جديداً لله يقع منه موقع البنوَّة، وبالتالي يصير للمسيح أخاً وأختاً وابناً لله بالروح. وقد شرح هذا الوضع الجديد الرفيع الشأن ق. بولس هكذا: «لأن به لنا كلينا (يهود

وأُمم) قدوماً في روح واحدٍ إلى الآبِ. فلستم إذاً بعد غُرباءَ ونُزلاً (كل أجيال العهد القديم)، بل رعيَّةٌ مع القديسين **وأهل بيتِ الله**» (أف 2: 18و19). فالمسيح هنا بصفته ابن الله القدوس ينفي نفياً باتاً أن يكون له أُمٌّ أو أخٌ إلاَّ بالإيمان عبر الفداء والخلاص والمصالحة والتبني لله!!

ولكن إن كان المسيح قد أعطانا هذا الحق أن تكون لنا قرابة إلى الله على مستوى الأُم والأخ للمسيح، فإننا لا يمكن أن نبلغ إلى تحقيق هذا الوضع إلاَّ بالسماع الحي للكلمة التي تلدنا جديداً لله وانقياد الروح القدس لكي نصنع مشيئة الله: «انظروا أيَّة محبةٍ أعطانا الآبُ حتى نُدعى أولاد الله!» (1يو 3:1)

ويا قارئي العزيز إنه أمر يذهل العقل: نحن المرذولين بسبب قبح حياتنا وسلوكنا أن نصبح بواسطة التعبُّد للحب وكلمة الإنجيل أقرباء وأهل بيت الله. هذا يعني أننا نخلع عنَّا جنسنا الآدمي المرذول ونتجنَّس بجنس الله، فلا يعود العالم هذا عالمنا: «لأنهم ليسوا من العالم» (يو 14:17). ولا يعود إنساننا الجديد ذا صلة بالطبيعة البشرية الميتة، بل يتجنَّس بجنس الطبيعة الفائقة للمسيح القائم من الأموات. فلا نرتعب بعد من موت وخطية ودينونة وقضاء الله، بل عوض هذه المرعبات نرث مع المسيح الابن ميراث الله للفرح والبهجة وإكليل المجد.

(و) أعمال المسيح الفائقة
(56-22:8)

1 ـ المسيح سيد على الهواء والماء
(25-22:8)

(مت 8:23-27)
(مر 4: 35-41)

يبدأ ق. لوقا هنا يحكي لنا كيف في اليوم العاصف والمياه المتلاطمة يقف المسيح وبكلمة منه يصمت البحر وتهدأ العاصفة. ويأخذها ق. لوقا ليكشف بها عن شخصية المسيح مَنْ هو. كما يصف التلاميذ في انزعاجهم كيف يهرعون في الضيقة إليه، وهوكان قد نام قبل أن تقوم العاصفة. وق. لوقا هنا يحاول أن يقلّل من شدة العنف الذي واجه به المسيح تلاميذه بسبب خوفهم. فبدل أن يضعها مثل ق. مرقس: «كيف لا إيمان لكم» (مر 40:4)، جعلها: « أين إيمانكم» ولكن على

العموم لم يخرج ق. لوقا عن تسجيل ق. مرقس كثيراً. وخلاصة القصة هي ظهور المسيح كرب الهواء والماء، تأتمر كل منها بأمره فيبدو المسيح بصورته الإلهية كيهوه رب الطبيعة كلها كما يصفه داود النبي في مزاميره: «أنت متسلّط على كبرياء البحر. عند ارتفاع لججه أنت تسكتها ... لك السموات لك أيضاً الأرض المسكونة وملؤها ...» (مز 89: 9و11)

ويصف داود عظمة يهوه وقوته على الطبيعة وكأنه يصف رحلة المسيح في البحيرة: « أمر فأهاج ريحاً عاصفة فرفعت أمواجه، يصعدون إلى السموات يهبطون إلى الأعماق. ذابت أنفسهم بالشقاء. يتمايلون ويترنحون مثل السكران وكل حكمتهم ابتُلعت. فيصرخون إلى الرب في ضيقهم ومن شدائدهم يخلّصهم. يهدّئ العاصفة فتسكن وتسكت أمواجها. فيفرحون لأنهم هدأوا فيهديهم إلى المرفأ الذي يريدونه. فليحمدوا الرب على رحمته وعجائبه لبني آدم وليرفعوه في مجمع الشعب وليسبحوه في مجلس المشايخ» (مز 107: 25-32). وكأن داود من وراء الأزمنة كان في السفينة وشاهد وشهد.

22:8 **«وَفِي أَحَدِ الأَيَّامِ دَخَلَ سَفِينَةً هُوَ وَتَلاَمِيذُهُ، فَقَالَ لَهُمْ: لِنَعْبُرْ إِلى عَبْرِ الْبُحَيْرَةِ. فَأَقْلَعُوا».**

تعمَّدَ ق. لوقا اختزال وصف ق. مرقس لذلك الحادث الذي افتتحه ببانوراما متسعة ذات حواشٍ جميلة أعطت القصة نبرة روحية عالية، إذ وصف الوقت أنه كان الغروب وبعد أن صرف الجموع. ولكن ق. لوقا هنا يروي القصة منفردة وليس لها صلة بالسابق، لأن اهتمام ق. لوقا هو ما حدث أثناء الرحلة من هياج البحر وشدة العاصفة وحسب، لأن الغرض الأساسي هو تصوير المسيح وهو يأمر الطبيعة فتنصاع.

23:8 **«وَفِيمَا هُمْ سَائِرُونَ نَامَ. فَنَزَلَ نَوْءُ رِيحٍ فِي الْبُحَيْرَةِ، وَكَانُوا يَمْتَلِئُونَ مَاءً وَصَارُوا فِي خَطَرٍ».**

بمجرَّد أن تلقّى التلاميذ الأمر بالإقلاع فردوا الشراع وانطلقت السفينة تجاه العبر، أمَّا المسيح فدخل الخن، وهو جزء في مؤخّرة المركب حيث يمكن للملاح أن ينام. فنام المسيح بالرغم من حركة السفينة. وبعد قليل هبَّت ريح. والنوء هنا هو العاصف الشديد الذي لا يُعرف فيه اتجاه الريح، فهي تصبح كدوَّامة تكتسح كل ما في طريقها، لأن البحيرة محاطة بجبال تهب منها الرياح التي تسمَّى hurricane وهي العاصفة الشديدة. وهكذا أصبح وضع السفينة ومَنْ فيها في خطر لأن الأمواج ارتفعت وكانت تلطم السفينة فيدخل الماء داخل السفينة. هذا ولا يذكر الكاتب كيف كان المسيح نائماً في هدوء غير مبالٍ بالرياح والأمواج والخطر. وهنا النقطة الحرجة في القصة التي

أراد بها ق. لوقا أن يعطي للكنيسة صورة حيَّة لموقف المسيح منَّا أثناء مخاطر الحياة التي تواجهنا. فهو يتراءى لنا كنائم لا يبالي بالمخاطر التي تحيط بنا حتى إلى درجة الخطورة، وسرعان ما نعرف بعد ذلك أنه إنما يترك المخاطر في أيدي إيماننا، **لأنه بإيماننا يوجد المسيح** ويتعامل مع المتاعب والمخاطر أيًّا كانت. فهو لا يغيب عن مواقفنا التي نتصارع فيها مع الطبيعة والأعداء، ولكن حضوره إنما يكون من داخل إيماننا.

24:8 «**فَتَقَدَّمُوا وَأَيْقَظُوهُ قَائِلِينَ: يَا مُعَلِّمُ، يَا مُعَلِّمُ، إِنَّنَا نَهْلِكُ! فَقَامَ وَانْتَهَرَ الرِّيحَ وَتَمَوُّجَ الْمَاءِ، فَانْتَهَيَا وَصَارَ هُدُوٌّ**».

يصوِّر القديس لوقا هنا لهفة التلاميذ على النجاة بترديد اسم المعلِّم لسرعة إيقاظه لتدارك الموقف. هنا تصوير حال الكنيسة وسط العالم، تتقاذفها الأمواج وتتلقَّفها الرياح العاتية ونحن في داخلها نواجه الهلاك كل يوم، ولكن المسيح في مؤخِّرة الكنيسة نائم وممكن أن نوقظه إن فرغ إيماننا لنسمعه يؤنِّبنا: أين إيمانكم؟

هنا انتهار المسيح للريح ولأمواج البحر باسمها في إنجيل ق. مرقس يبدو كأنه يتكلَّم مع قوة معادية وراء الريح والموج، هذه يختزلها ق. لوقا حتى لا تبدو وكأنه ينتهر الشيطان من وراء الطبيعة. ونحن نفهم أن قوات الطبيعة بكل صنوفها وحركتها أصبحت خارجة عن طاعة الإنسان منذ ذلك اليوم الذي لُعنت فيه الأرض بسبب خطية آدم وحواء: «ملعونة الأرض بسببك» (تك 17:3). فأصبحت منذ ذلك اليوم غير خاضعة للإنسان بل وتعمل ضد إرادته، غير أن الإنسان اخترع الطرق والوسائل التي يضبط بها الرياح أو يتحاشى جبروتها في الهواء والبحار.

25:8 «**ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَيْنَ إِيمَانُكُمْ؟ فَخَافُوا وَتَعَجَّبُوا قَائِلِينَ فِيمَا بَيْنَهُمْ: مَنْ هُوَ هذَا؟ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ الرِّيَاحَ أَيْضاً وَالْمَاءَ فَتُطِيعُهُ!**»

وهنا يأتي ق. لوقا إلى النقط الأساسية في القصة وهي **أولاً:** أن المسيح كان نائماً والرياح تهب والموج يتلاطم، **ثانياً:** أن التلاميذ يلتجئون إليه في الضيقة، **وثالثاً:** أن المسيح يسألنا: أين إيمانكم؟

فهي قصة تقليدية للكنيسة تعطي درساً أن وقوعنا في الضيقات والخطر ليس معناه أن الرب غير موجود بل هو موجود وعالم بكل ما يأتي علينا، وأن الضيقات يسوقها المسيح علينا ليختبر مدى إيماننا، وأخيراً أن نتعلَّم أن نلتجئ إليه بإلحاح فهو قادر على كل شيء، كما الله أيضاً كذلك المسيح!! ولكن استجابة المسيح لصراخ التلاميذ في الحال أمر بديع للغاية، فهو يقدِّر ما نقدِّره ويرى

ما نراه ويحس بما نحسه ويستجيب لصراخنا مهما كان إيماننا ضعيفاً، وهو يهمّه فعلاً أننا لا نهلك. فهو قريب منّا قرب الأب الحنون والراعي اليقظ والطبيب المقتدر والمخلّص الفائق القوة: «**الله لنا ملجأ وقوة. عوناً في الضيقات وُجِدَ شديداً.**» (مز 1:46)

2 ـ حدثٌ في كورة الجدريين

(العشر مدن قبالة الجليل: أرض الأمم)

(39-26:8)

(مت 8:28-34)

(مر 5: 1 ـ 20)

ينقلها ق. لوقا عن ق. مرقس، لكن في إنجيل ق. مرقس تظهر بالصورة المحيطة وظروفها، فتبدو ذات بانوراما متسعة. وق. لوقا يضمها هنا لهياج البحر وعصف النوء الشديد كجزء من الطبيعة حينما تتمرَّد على الإنسان وتقترب من هلاكه. ولكن نحن هنا في أرض الأمم، وهكذا كأننا أمام الآية: «بمخاوف في العدل تستجيبنا يا إله خلاصنا يا متكل جميع أقاصي الأرض والبحر البعيدة، المثبّت الجبال بقوته المتنطّق بالقدرة، المهدئ عجيج البحار عجيج أمواجها وضجيج الأمم.» (مز 65:5-7)

عيّنة من خدمة الأمم يقدّمها ق. لوقا لتقليد الكنيسة ليكشف لها مستقبل عملها كله الذي سينفرش على وجه الأرض كلها. ويضعنا هنا أمام حالة استحواذ شيطان مارد على إنسان مسكين أسكنه القبور وعرّاه من كل شيء حتى مما يكتسي به، وكأنه ينتقم من جنس آدم في هذا الإنسان التعيس. ويظهر المسيح هنا كمخلّص مقتدر يملأ المشاهدين رهبة وخوفاً وعجباً حينما يأمر الشيطان فينصاع ذليلاً. ولأول مرَّة يذكر لنا ق. لوقا مقر الهاوية كمكان ينتهي إليه خط الشيطان.

يرفض العلماء تفسير دخول الشياطين في الخنازير، ولكن هذا قصور في فهم أعمال الشيطان، فهو مهلك وقتّال، والمسيح سمح للشياطين أن تخرج من الإنسان المستحوذ عليه وتدخل الخنازير وتموت الخنازير أفضل من أن تؤذي الإنسان المسكين: «أنتم أفضل من عصافير كثيرة.» (لو 7:12)

26:8 **«وَسَارُوا إِلى كُورَةِ الْجَدَرِيِّينَ الَّتِي هِيَ مُقَابِلَ الْجَلِيلِ».**

«وساروا» هنا غير متوافقة، والأصح أنهم أبحروا لأنهم لا يزالون في السفينة، حتى وصلوا إلى

كورة الجدريين وهي الآن مدينة جَرَشْ Jerash[183] حوالي 30 ميلاً من الجنوب الشرقي من بحر الجليل أو ربما تكون هي كرشا Kersha. والكلام لدى العلماء في اسم هذا المكان كثير ومتضارب ولم ينتهوا إلى شيء.

27:8 **«وَلَمَّا خَرَجَ إِلَى الأَرْضِ اسْتَقْبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمَدِينَةِ كَانَ فِيهِ شَيَاطِينُ مُنْذُ زَمَانٍ طَوِيلٍ، وَكَانَ لاَ يَلْبَسُ ثَوْباً وَلاَ يُقِيمُ فِي بَيْتٍ بَلْ فِي الْقُبُورِ».**

قصة حزينة لإنسان بائس وقع فريسة للشيطان ليسكن جسده، وهنا السؤال الهام جداً: كيف ولماذا يدخل الشيطان جسد إنسان ويقيم فيه؟ الرد نجده من وجهة نظر التقليد اليهودي وبالذات على لسان يوسيفوس المؤرِّخ والعالم اليهودي المشهور، إذ يقول: إنما هي أرواح بشرية شريرة هي التي بعد خروجها من أصحابها تعود وتلبس أجساداً أخرى[184]. وهذا التفسير يعتقد به بعض العلماء المحدثين المتخصصين في علم الباراسيكولوجي. والروح (الشرير) حينما يُطلب منه أن يقول اسمه فإنه يعطي اسم الإنسان الذي كان سابقاً فيه. بهذا المفهوم تكون الأرواح الشريرة قد وُجِدَت لما وُجِدَ الشر بين الناس، وهذه الأرواح الشريرة غير الشياطين التي هي ملائكة ساقطون من رتبهم. والروح الشرير أهون في تعذيبه لجسم الإنسان من الشيطان، وقد أمكن الآن شفاء الذين عليهم أرواح شريرة في مصحات عالمية تابعة لكليات الطب. وكون هذا الإنسان البائس الذي استولى عليه الشيطان، بل عدة شياطين، كان لا يسكن في بيت، ذلك لأن راحة الشياطين والأرواح الشريرة هي في الأماكن القفرة والنجاسة.

وحينما يفسِّر بعض العلماء أن دخول الشيطان أو الروح الشرير في جسد إنسان هي خرافة، هذا راجع إلى قلة الخبرة وعدم الدراية بأحوال الشيطان والأرواح الشريرة. والذي يستحوذ عليه شيطان أو روح شرير تظهر عليه علامات الخلل العقلي ويظهر كأنه مجنون، ولهذا يميل الأطباء إلى القول بأنها حالة جنون، وهي بالفعل إذا شُخِّصت فسيولوجياً تدخل تحت حالة الجنون، ولكن إذا ما خرج الروح الشرير أو الشيطان ينال الشخص شفاءً تاماً وفي الحال، مما يثبت أنها كانت حالة مرتبطة بالأرواح. أمَّا مسألة العري وعدم لبس الثوب فهو عمل شيطاني كمحاولة لفضح الإنسان والاستهزاء به.

(183) H. Marshall, p. 337.

(184) Joseph., *Bell. Jud.* VII 6.3, cited by H. D. M. Spenle, *The Gospel according to St. Luke*, p. 206.

28:8 «**فَلَمَّا رَأَى يَسُوعَ صَرَخَ وَخَرَّ لَهُ وَقَالَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: مَا لِي وَلَكَ يَا يَسُوعُ ابْنَ اللهِ الْعَلِيِّ! أَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ لاَ تُعَذِّبَنِي**».

مجيء الرجل المعذّب إلى المسيح، وكما يصفها ق. مرقس أنه جرى نحوه، معناه أن الإنسان أدرك من أين سيجيء إليه الخلاص. فبالرغم من سيطرة الشيطان عليه ولكن ظهور المسيح أعطى قوة للرجل أن يجري ويطلب الخلاص، أمَّا صراخ الشيطان الذي يطلب فيه أن لا يعذّبه المسيح فهو يبدو ردًّا على أمر أصدره المسيح ـ كما في إنجيل ق. مرقس ـ أن يخرج منه. ويبدو أنه كان أمراً قاطعاً مصيره التعذيب. وق. لوقا هنا يعطي معلومة جديدة وهي أن مكان تعذيب الشياطين هو الهاوية.

أمَّا صراخ الشيطان ناطقاً باسم يسوع ابن الله العلي، فهذا يكشف عن رؤية الشيطان المتفوّقة عن رؤيتنا، كملاك ساقط، في معرفة حقائق الله التي أخطأها وأساء إليها فصار إلى ما صار إليه. ومن كلام الشيطان يظهر سمو درجة المسيح وتفوُّقه المعروف علناً في السماء أنه ابن الله العلي.

29:8 «**لأَنَّهُ أَمَرَ الرُّوحَ النَّجِسَ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الإِنْسَانِ. لأَنَّهُ مُنْذُ زَمَانٍ كَثِيرٍ كَانَ يَخْطَفُهُ، وَقَدْ رُبِطَ بِسَلاَسِلٍ وَقُيُودٍ مَحْرُوساً، وَكَانَ يَقْطَعُ الرُّبُطَ وَيُسَاقُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَى الْبَرَارِي**».

وكانت طريقة إخراج الروح النجس عند يسوع هي مجرَّد أمر بسلطان لا يعارض قط، وكان الشيطان دائماً يخر معترفاً ويخرج بصراخ. وهنا تضيف القصة أن الرجل له زمان طويل وهو تحت هذا الشقاء، لذلك لا نستغرب قيام المسيح بهذه الرحلة البحرية ورسو المركب عند النقطة التي فيها هذا الرجل المعذَّب بالذات.

أمَّا مسألة قطع الربط الحديدية التي كان يُربط بها، فهنا معلومة يلزم أن يعرفها القارئ وهي أن الأرواح عموماً، شريرة أو غير شريرة، بل أي روح لأي إنسان إن هي خرجت من الجسد تستطيع أن تنفذ من خلال الحائط حتى ولو كان من فولاذ، وتقطع وتفك السلاسل والأقفال دون أي عناء. فالمادة مهما كانت صلابتها لا وجود لها على الإطلاق بالنسبة للروح أو الملاك. وقصة ق. بطرس في السجن والملاك الذي قطع السلاسل وفتح الأبواب وكسر الأقفال توضّح أن عالم الروح شيء وعالم المادة شيء آخر بالمرَّة. من هذه النقطة بالذات نفهم بسهولة كيف سينتهي عالم المادة بكل قوتها وأثقالها وشموسها ومجرَّاتها، فهي تصبح لدى الروحيين لا وجود لها مادياً، ولكن تحتفظ بكيانها اللامادي الذي هو طبق الأصل من كيانها المادي. فالعالم المادي هو في حقيقة مظهره ظلال، مجرَّد ظلال وأشكال وأقنعة تؤدّي دورها في صندوق الدنيا كلعب الأطفال، غير أن حقيقته غير

المنظورة والمدركة للروح أبهى وأعظم من ذلك بكثير.

30:8 **«فَسَأَلَهُ يَسُوعُ قَائِلاً: مَا اسْمُكَ؟ فَقَالَ: لَجِئُونُ. لأَنَّ شَيَاطِينَ كَثِيرَةً دَخَلَتْ فِيهِ».**

سأله المسيح عن اسمه ليوضّح للواقفين أنه يتكلّم بالفعل مع شخص روح ساكن داخل جسد الإنسان البائس، وهذا نوع من السيادة الآمرة للمسيح على الشيطان، أمَّا كلمة "لجئون" فتعني الكثرة وهي أصلاً كلمة لاتينية = *legio* وتعني طابوراً من العساكر يقدَّر عدده بخمسة آلاف[185]. ويقول المفسِّرون إنه لذلك لمَّا طلب منهم الخروج من الإنسان دخلوا بحسب إنجيل ق. مرقس ألفين من الخنازير اختنقوا وماتوا في البحيرة. فإزهاق الروح صنعة الشيطان لأنه عدو الحياة: «ذاك كان قتّالاً للناس من البدء.» (يو 44:8)

31:8 **«وَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ لاَ يَأْمُرَهُمْ بِالذَّهَابِ إِلَى الْهَاوِيَةِ».**

«الهاوية»: abyss = ¥busson

والكلمة تعني العمق، تحت الأرض وهي سجن القوات الشريرة. وفي إنجيل ق. متى يطلب اللجئون أن لا يعذبهم المسيح، بمعنى أن الهاوية مكان تعذيب حقيقي، ينتظرهم حتماً. لذلك أيضاً في إنجيل ق. متى يطلب أن لا يعذبهم **قبل الوقت** المحدَّد لهم وهو انتهاء العالم.

32:8 **«وَكَانَ هُنَاكَ قَطِيعُ خَنَازِيرَ كَثِيرَةٍ تَرْعَى فِي الْجَبَلِ، فَطَلَبُوا إِلَيْهِ أَنْ يَأْذَنَ لَهُمْ بِالدُّخُولِ فِيهَا، فَأَذِنَ لَهُمْ».**

وكان لا يزال الخنزير مكروهاً جداً عند اليهود اسماً ولحماً، وكان يعتبر حيواناً نجساً، كل مَنْ يلمسه يتنجَّس. فكان من المناسب جداً للفكر اليهودي أن تطلب الشياطين أن تدخل فيه. وعلى عكس اليهود فالمسيحيون في الغرب يميلون جداً إلى تربيته وأكل لحمه على أصناف متعددة. ويكاد لحم الخنزير يكون أفضل اللحوم عند رجال الغرب، ربما لأنه ذات لحم سمين للغاية فهو يكون ملائماً للأجواء الباردة الشمالية.

33:8 **«فَخَرَجَتِ الشَّيَاطِينُ مِنَ الإِنْسَانِ وَدَخَلَتْ فِي الْخَنَازِيرِ، فَانْدَفَعَ الْقَطِيعُ مِنْ عَلَى الْجُرُفِ إِلَى الْبُحَيْرَةِ وَاخْتَنَقَ».**

---

(185) I. H. Marshall, *op. cit.*, p. 339.

كان لدخول الشياطين في الخنازير علامة واضحة، إذ تسابقت الخنازير في الجري من فوق الجرف نحو البحيرة بدون إرادتها كمساقة للهلاك. وهذا منظر تعليمي خطير، لأن هذا هو العمل الطبيعي الذي يعمله الشيطان إذا دخل في إنسان فهو إنما يقوده للهلاك رغماً عن إرادته، إذ يسوق الإنسان سوقاً إلى موارد التهلكة، سواء كانت خمراً أو مخدرات أو فاحشة أو كل الأعمال التي تستنزف دم الإنسان وأعصابه لينهي الشيطان عليه. وهذا منظر حزين للغاية أن يصبح الإنسان العاقل بلا عقل ولا إرادة أمام سطوة الشيطان الذي يعمل أعماله في الداخل في الخفاء فلا يُرى. ولكن دخول الشيطان في الخنازير كان نموذجاً خطيراً لما يعمله في الإنسان الذي يقبل سكناه.

وطبعاً نحن الآن في أرض أممية، فالعشر مدن غير تابعة لإسرائيل وكان أهلها يأكلون الخنزير، لذلك كانت الخسارة جسيمة للغاية. فالقطيع كان نحو ألفين من الخنازير. وإن كان موقف المسيح تجاه رعاة الخنازير وأصحابها صعباً، ولكن كان الرجل واقفاً صحيحاً متعافياً يشهد لهذه الموقعة الشرسة للغاية. فهذا العدد من الشياطين كان كافياً ليسكن أهل تلك القرية كلها.

والمعروف في حوادث إخراج الشياطين أن الشيطان إذا خرج لا بد أن يؤذي الإنسان الذي كان ساكناً فيه، فإذا خرج من عينه فإنها تفقد قوتها على النظر. لذلك يلزم أن يكون المسيطر على إخراج الشيطان ذا بأس وسلطان ويأمر الشيطان أمراً أن يخرج منه ولا يمسّه بسوء. كذلك نسمع المسيح أنه يأمر الشيطان أن يخرج من الإنسان ولا يعود له مرَّة أخرى. والمُلاحَظ أنه في أيام ما قبل المسيح حتى إلى الصليب كان الشيطان له سلطان فائق الحد، وكان مجاله في الإنسان لا يعيقه عائق. ولكن بعد مجيء المسيح "الأقوى" الذي ربط "القوي" فقد خرَّب داره ونهب كل مخصصاته وسلب سلطانه، بل ربطه وأذلّه على الصليب ونزل إلى الهاوية وفك أسر المأسورين تحت سلطانه.

34:8 «**فَلَمَّا رَأَى الرُّعَاةُ مَا كَانَ هَرَبُوا وَذَهَبُوا وَأَخْبَرُوا فِي الْمَدِينَةِ وَفِي الضِّيَاعِ**».

منظر مُرعب ارتعب لهوله الرعاة. فرزقهم انقطع ومسئوليتهم خطيرة، فذهبوا وخبَّروا في المدينة وما حولها ولم يكونوا يدرون ما جرى للخنازير، ماذا دهاها حتى لاقت حتفها منصاعة بهذا المنظر الرهيب. وما علموا عن الرجل المصاب بالشياطين شيئاً.

35:8 «**فَخَرَجُوا لِيَرَوْا مَا جَرَى. وَجَاءُوا إِلَى يَسُوعَ فَوَجَدُوا الإِنْسَانَ الَّذِي كَانَتِ الشَّيَاطِينُ قَدْ خَرَجَتْ مِنْهُ لاَبِساً وَعَاقِلاً جَالِساً عِنْدَ قَدَمَيْ يَسُوعَ، فَخَافُوا**».

أمر يُدهش العقل فعلاً، لأن هذا الإنسان كان ميتاً فعاش وفاقداً وعي إنسانيته فاستردها ومعها

هدوء وتعقُّل، بل وأقبل على المسيح كمَنْ يريد أن يعلم ويتعلّم جالساً عند قدميه كتلميذ بعد أن كان مطيَّة للشيطان ولعبة في يديه. درس لنا لا يُستهان به. فلو أخذنا كل هذه الاعتبارات وفحصنا كل ما يجري في غير المنظور مع الذين أسلموا ذواتهم لإغراءات الشيطان، نجد التطبيق حادثاً تماماً ولكن دون أن يدروا، ودون أن يقيّموا هذه القوة الشريرة الطاغية التي إذا استلمت إنساناً لا تُبقي فيه ما يمكن أن يُدعى إنساناً. فالشيطان قتّال منذ البدء، أدمن إهلاك الناس وليس مَنْ يعي.

أمَّا قول ق. لوقا في نهاية الآية أن القوم بعد أن رأوا وعلموا خافوا، فهو خوف جاء متأخراً، فلو يخاف الناس هذا المصير ما أسلم إنسان نفسه لألاعيب الشيطان التي يتقن صنعتها كثيراً في هذه الأيام.

36:8 «**فَأَخْبَرَهُمْ أَيْضاً الَّذِينَ رَأَوْا كَيْفَ خَلَصَ الْمَجْنُونُ**».

«**فأخبرهم**»: ¢p»ggeilan

يستخدم القديس لوقا هنا فعل البشارة "**أبينجيلان**" باليونانية ليأتي بمعنى الإخبار، ولكنه إخبار ليس كإخبار عن أمور عادية بل لأنه خبر خلاص صحَّ في المفهوم الإنجيلي واللاهوتي أن يستخدم ق. لوقا هنا فعل البشارة والإخبار بالخبر السار. فالإنسان الذي كان تحت سلطان الشيطان فاقد عقله وإرادته وفكره وراحته وسلامه، استعاد كل ما له وجلس متعلماً تحت رجلي المعلّم يسمع الإنجيل.

وجميل جداً من ق. لوقا صاحب لاهوت الخلاص أن يعتبر المجنون قد خلص. فهو ليس مجرَّد شفاء بل شفاء ومعه خضوع للإنجيل. وهنا يعطي ق. لوقا فعلاً هو فعل الخلاص بكل معنى ™sèqh.

37:8 «**فَطَلَبَ إِلَيْهِ كُلُّ جُمْهُور كُورَةِ الْجَدَرِيِّينَ أَنْ يَذْهَبَ عَنْهُمْ، لأَنَّهُ اعْتَرَاهُمْ خَوْفٌ عَظِيمٌ. فَدَخَلَ السَّفِينَةَ وَرَجَعَ**».

لهم آذان سمعت ورفضت كبقية الرافضين، وعينان نظرت وأنكرت الرؤية، ففضَّلوا أن يعيشوا مع خنازيرهم أفضل من أن يتعلّموا عن الخلاص. حالهم حال رؤساء الكهنة ورؤساء الشعب الذين فضَّلوا أن يعيشوا في خطاياهم وحريتهم في الاستمتاع بمالهم وسلامهم الكاذب من أن يقبلوا ثمن الخلاص. وكما قال المسيح لهؤلاء: «هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً» (مت 38:23)، هكذا حدث لهذه البقاع أيضاً، إذ يقول العلماء الذين زاروا المنطقة أنها مليئة بالخنازير البرية التي تفتك بمَنْ يدنو منها(186)،

(186) Dr. Thomson, cited by H. D. M. Spence, The Pulpit Commentary.

فضلاً عن أنها دخلت في أيام الحصار على أورشليم نفس التخريب ولم يعد فيها ساكن[187]. وكأنما خطية الإنسان يحملها الحيوان معه والأرض أيضاً: «ملعونة الأرض بسببك.» (تك 17:3)

38:8 **«أَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي خَرَجَتْ مِنْهُ الشَّيَاطِينُ فَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ، وَلكِنَّ يَسُوعَ صَرَفَهُ قَائِلاً».**

هؤلاء طلبوا من يسوع أن يمضي عنهم فمضى، وهذا طلب منه أن يبقى. وهكذا نحكم على أنفسنا بأقوالنا، لأن ذلك الذي قبل المسيح، قبله المسيح، ولكن استحسن أن يرسله ليبشِّر أهل بيته بالنعمة التي صارت إليه فيكون سبباً لخلاص الآخرين. هذه حالة نادرة، إذ الأفضل جداً أن يبقى مع المسيح. ولكن هنا استحسن المسيح البشارة بالخلاص أكثر من أن يتتلمذ تحت رجلي المسيح.

39:8 **«ارْجِعْ إِلى بَيْتِكَ وَحَدِّثْ بِكَمْ صَنَعَ اللهُ بِكَ. فَمَضَى وَهُوَ يُنَادِي فِي الْمَدِينَةِ كُلِّهَا بِكَمْ صَنَعَ بِهِ يَسُوعُ».**

المفهوم الذي يدور حوله هذا التصرُّف من جهة المسيح هو أن مَنْ يصنع الله معه آية للخلاص أيًّا كان نوعها، فعليه في المقابل أن يخبِّر بها مبشِّراً بكم صنع الله به. فالله أصلاً حينما يصنع رحمة مع إنسان لا يريد أن تصبح محصورة في الذي تقبَّلها فقط، إذ يلزم أن تُعلن لكثيرين لتعم النعمة كل مَنْ يسمع عنها ويقبلها. لأن السبب الرئيسي الذي من أجله يعمل المسيح المعجزة وخاصة الشفاء هو استعلان قوة الله ليؤمن الجميع أن المسيح أُرسل من أجل خلاصنا.

3 ـ ابنة يايرُس والمرأة نازفة الدم

(56-40:8)

(مت 9:18-26)
(مر 5: 21-43)

هنا يقتفي ق. لوقا نفس الترتيب في رواية ق. مرقس، ويصنع من آيتين متداخلتين معاً قصة واحدة. تبدأ أولاً برئيس مجمع المدينة الذي جاء ساجداً يطلب أن يدخل بيته ليشفي ابنته المريضة، وفي أثناء مسيره والجموع تزحمه جاءت امرأة في ستر ولمست هدب ثوبه، وكانت مريضة تنزف دماً فأحسَّ بها المسيح. وهنا قصد ق. لوقا أن يكشف لنا عن طبيعة فائقة للمسيح، فإذا زحمته الجموع

(187) Joseph., *Bell. Jud.* III 7.1 - IV 7.4.

لا يحس شيئاً، ولكن أن يلمس أحد هدب ثوبه وهو مريض فيُشفَى يحس في الحال أن قوة خرجت منه. هنا إبداع ما بعده إبداع لتحقيق أن الرب يسوع لم يكن شخصاً عادياً بل كياناً إلهياً في هيئة إنسان.

ونلاحظ أن هندسة التقاء الحديثين معاً: شفاء ابنة يايرُس ونازفة الدم، رسخت في ذهن الرسل وكان ق. مرقس أول مَنْ رواهما معاً في التقليد. ولكن أن يكون المسيح مصدراً سرياً كل مَنْ يلمسه وله إيمان يُشفى من مرضه، فهذا توضيح ما بعده توضيح أنه صاحب طاقة لا يحوزها إلاَّ الله وحده. ولكن أن يضم ق. مرقس وبعده ق. لوقا هذين الحديثين معاً فالقصد واحد: أن المسيح هو المصدر الإلهي الفائق الذي يشع شفاءً وحياةً.

كذلك لا يغيب عن بالنا أن المسيح لم يقصر شفاء المرأة نازفة الدم على قدرته الإلهية الشافية، بل جعل إيمان المرأة هو العلّة الأولى والسبب المباشر لقوة المسيح كي تعمل عملها. وهذا هو جوهر القصة. فالمسيح طبيب شافٍ نعم، ولكنه لا يستطيع أن يشفي إلاَّ في حضور الإيمان. والمسيح إله قادر أن يقيم الصبية من الموت بكلمة، ولكن لابد من إيمان المسئول عن حياتها. ثم ألا نرى من هذا أن العلاقة بين المسيح والإنسان علاقة صميمية جوهرية مغروسة في صميم طبيعة المسيح وطبيعتنا، فهو لا يشفي إلاَّ مَنْ يؤمن به، والذي يؤمن به ولو مات فسيحيا. فليست المسألة تختص بالإنسان وحده، لا، بل وتختص بالمسيح أصلاً!! لأن إيماننا بهذا المعنى يكون هو الذي يسلب أو يختطف قوة الشفاء منه، وإيماننا يظل معنا حتى ولو متنا، فهو يسلب حياة من المسيح ويحيينا!؟ ونقول "نسلب" لأن كل ما حزناه هو بدون استحقاق. ما معنى هذا؟ أليس معناه أن للإنسان وجوداً عند المسيح والله بقدر وجود الله والمسيح عند الإنسان؟ وهذا أيضاً معناه أننا بإيماننا نأخذ ما لنا من عند الله والمسيح، فليس هو أخذاً ـ إن كان شفاء أو صحة أو حياة ـ بل وكأنه استرداد ما كان عنده لنا ورد ما كان له عندنا. يا لعظمة المسيح وسرّه الذي كشف لنا عمق الصلة التي كانت تربطنا بالله فأحياها بعد أن فقدناها وردها لنا وكأنها حقٌّ من حقوقنا التي ضيَّعناها!!

الآن نرى أنه كان من المحتم بحسب الحق والواقع والعدل معاً أن يولد ابن الله من عذراء قديسة ويصير بشراً حتى ببشريته يتآخى معنا، وبها نفسها يكشف لنا مَنْ هو الله أبوه بالنسبة لنا: «الله لم يره أحدٌ قط. الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبَّر» (يو 18:1). وبعد أن يعرِّفنا بكل ما عند الآب نتيقَّن أنه أبٌ حقيقيٌّ ومحبٌّ حبًّا أبوياً لنا: «الآب نفسه يحبكم، لأنكم قد أحببتموني، وآمنتم أني من عند الله خرجت.» (يو 27:16)

نازفة الدم هي مبشِّرة البشرية بأن لنا عند المسيح والله حقوقاً وإمكانيات وقوات مخفية يمكن أن

نختلسها منه بإيماننا ورجائنا دون أن نخاف أو حتى نستشيره إذا لمسنا فقط هدب ثوبه ـ كالنازفة ـ وهو مشغول يتكلّم مع الجماعة.

لقد أخذ المسيح كل ما عند الآب ووهبه لنا فصرنا لسنا عارفين فقط بالآب بل وحاصلين على أبوته بدالة الأبناء المحبوبين. هذا الاتحاد الفائق الوصف نشأ أصلاً لمَّا تجسَّد الابن الوحيد إذ صار ابن الله ابناً للإنسان، فأدخل الله العنصر البشري في كيان الابن وبهذا حاز الإنسان على وجود في الابن أمام الله الآب: «**الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به، لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا. وأمَّا شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح**» (1يو 3:1). هذه الدالة عند الآب التي ربحها الابن لحسابنا بذبيحة نفسه، وهذا الوجود المتبادل مع المسيح الابن أمام الله، وهذه الشركة التي صارت للإنسان مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح، هذا كله الذي صار للبشرية، أعطى الإنسان الذي يؤمن به وزناً عالياً جداً إذ أدخل الإنسان تحت سقف بيت الله أهلاً وأقارب بكل ما للقربى من معنى روحي عند الله. والمسيح بدأ ـ بكرازته وتعامله مع المؤمنين به ـ تطبيق هذا المنهاج العظيم القدر، فنازفة الدم، لا نعجب إن كانت قد اقتحمت دائرة النور التي تحيط بالله في شخص المسيح لتختلس قوة بلمس هدب ثوبه، وهكذا رئيس المجمع إذ آمن بالمسيح عبر الحواجز الضيقة والميتة التي كانت تفصل هيئة رؤساء السنهدرين ومعها المجامع عن المسيح، اختطف حياة لابنته الميتة بدالة لم يبلغها إبراهيم ولا موسى أو داود.

فنازفة الدم هي أول مَنْ باشر اغتصاب الحقوق الضائعة مِن قِبَل الله منذ آدم. وابنة رئيس المجمع هذا هي أول إنسان داس الموت وقامت بإيمان أبيها. وهذا وذاك يدخل دائرة النداء الجديد: «توبوا لأنه قد اقترب (منكم) ملكوت السموات.» (مت 3:3)

والآن إن كان هذا كله فيما **قبل** موت الابن على الصليب، فماذا يكون لنا **بعد** أن دسنا معه الموت وقمنا لحياة في صميم الملكوت؟ «الحق الحق أقول لكم مَنْ يؤمن بي فالأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضاً ويعمل أعظم منها لأني ماضٍ إلى أبي. ومهما سألتم باسمي فذاك أفعله ليتمجَّد الآب بالابن. إن سألتم شيئاً باسمي فإني أفعله.» (يو 14: 12-14)

40:8 «**وَلَمَّا رَجَعَ يَسُوعُ قَبِلَهُ الْجَمْعُ لأَنَّهُمْ كَانُوا جَمِيعُهُمْ يَنْتَظِرُونَهُ**».

من صيغة الكلام يبدو أن الجموع كانت متأثِّرة به ومتلهِّفة لرؤياه، بعضهم من المرضى، والآخرون من الذين تعلّقت قلوبهم بتعليمه. وقول ق. لوقا "جميعهم" هنا تفيد أن الجموع كانت

منفعلة جداً بالمعجزات التي أكملها. والعودة هنا هي العودة من كورة الجدريين الأممية إلى أرض الجليل.

41:8 «**وَإِذَا رَجُلٌ اسْمُهُ يَايِرُسُ قَدْ جَاءَ ـ وَكَانَ رَئِيسَ الْمَجْمَعِ ـ فَوَقَعَ عِنْدَ قَدَمَيْ يَسُوعَ وَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَهُ**».

يايرُس اسم عبري yAIr وتعني: "المضيء". ورؤساء المجمع كانوا إمَّا ثلاثة أو سبعة بحسب كبر المجمع وكثرة الشعب. وواضح جداً أن الحاجة الشديدة هي التي أملت عليه أن يسجد أمام المسيح ويتوسَّل إليه أن يدخل بيته ويضع يديه على الصبية لتُشفَى. وصحَّ في هؤلاء قول الرب: «لا تؤمنون إن لم تروا آيات.» (يو 48:4)

42:8 «**لأَنَّهُ كَانَ لَهُ بِنْتٌ وَحِيدَةٌ لَهَا نَحْوُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، وَكَانَتْ فِي حَالِ الْمَوْتِ. فَفِيمَا هُوَ مُنْطَلِقٌ زَحَمَتْهُ الْجُمُوعُ**».

هنا القصد كله من القصة واقع في عبارة «زحمته الجموع» وهذا يعني أن الركب يسير ببطء شديد، وهذا ليعطي فرصة للمرأة المباركة الخجولة أن تنتهز فرصة هذا الجمع الكثير الضاغط وتندس بينهم وتلمس هدب ثوبه في خفية، ولا مَنْ رأى ولا مَنْ سمع. وهذا مشتهى كل لص أن يسرق في خفية ولا يراه أو يسمعه أحد. ولكن احتراف اللصوصية في سرقة المسيح لا يمكن أن يسير دون إعلان، لأن غنى الله مؤمَّن عليه لا يسرقه إلاَّ مَنْ كان له رصيد في بنك الإيمان مسجَّل فيه اسمه ويوم خلاصه.

43:8 «**وَامْرَأَةٌ بِنَزْفِ دَمٍ مُنْذُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، وَقَدْ أَنْفَقَتْ كُلَّ مَعِيشَتِهَا لِلأَطِبَّاءِ، وَلَمْ تَقْدِرْ أَنْ تُشْفَى مِنْ أَحَدٍ**».

في الديانة اليهودية نزف الدم عند المرأة يُحسب لها نجاسة. وعلى القارئ أن يتصوَّر بؤس هذه المرأة إذ أمضت هذه السنين كلها في حالة تمنعها من الصلاة أو دخول الهيكل. وهنا يتدخَّل ق. لوقا بنفسه كطبيب يرفع الخطأ والعجز عن الأطباء ويضعه على المرأة. فبدلاً مما قاله ق. مرقس ـ وهو مصدر القصة الوحيد ـ أنها صارت إلى أسوأ على أيدي الأطباء، يقول هو هنا أنها هي المسئولة عن الخطأ إذ يقول: إنها **لم تقدر** أن تُشفى! فهو هنا يتحيَّز لمهنته.

44:8 «**جَاءَتْ مِنْ وَرَائِهِ وَلَمَسَتْ هُدْبَ ثَوْبِهِ. فَفِي الْحَالِ وَقَفَ نَزْفُ دَمِهَا**».

نيَّة المرأة واضحة في التخفّي، فجاءت من ورائه دون أن يراها ودون أن يلحظها أحد، كأحد الزاحمين. ولمست هدب ثوبه أي طرفه النهائي بمعنى بعيداً جداً عن إحساس المسيح حتى لا يشعر بها. ولكن المسيح ليس كأي إنسان لابساً ثياباً بأهداب، فالمسيح لا يتحدَّد وجوده وطاقته داخل الثوب الذي يلبسه، فمجال المسيح يملأ الوجود كله، وطاقته تعمل في كل الخليقة التي خلق. وهذه المرأة وما عملته يكشف طاقة المسيح الفاعلة في مجالها اللامحدود إذ وقف نزفها، لأن علة مرضها توقَّفت في الحال بدخولها مجال المسيح الشافي والمحيي من الموت.

تقول يا ليتني كنت موجوداً أيام المسيح لألمس هدب ثوبه، ولكن كما قلنا إن أهداب ثوب المسيح لا تمثل حدود وجود المسيح، فالمسيح حيٌّ موجود بروحه الكلي المالئ الكون، يعمل كل ما يحتاجه الإنسان لخلاصه وحياته: «أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر »(مت 20:28). فالمشكلة العظمى هي ليست في عدم وجود المسيح كما نريد لنلمسه بل المشكلة في الإيمان الذي يقودنا إلى المسيح. لأن الذي شَفَى المرأة ليس وجود المسيح وحده بل وجود الإيمان القادر أن يُدخلها في مجال شفاء المسيح فشفيت.

45:8 «**فَقَالَ يَسُوعُ: مَنِ الَّذِي لَمَسَنِي! وَإِذْ كَانَ الْجَمِيعُ يُنْكِرُونَ، قَالَ بُطْرُسُ وَالَّذِينَ مَعَهُ: يَا مُعَلِّمُ، الْجُمُوعُ يُضَيِّقُونَ عَلَيْكَ وَيَزْحَمُونَكَ، وَتَقُولُ مَنِ الَّذِي لَمَسَنِي!**»

يقيناً إن المسيح رأى المرأة وعرف محتوى ضميرها ولاحظ لمسها لأهداب ثوبه، ولكن لم يشأ أن يفاجئ المرأة بذلك، ولكن أعطاها فرصة لتعترف ليكشف عن قوة إيمانها الذي كرَّمه المسيح فيها. دخول بطرس في القصة كان من الضروري لكي يفهم الجميع أن المسألة ليست لمس يد ولا زحمة ناس، ولكن إيمان حي مبدع لامرأة هدَّها النزيف اثنتي عشرة سنة لم يختل إيمانها فيها من رحمة الله وانتظرته فكان لها كل ما آمنت به.

46:8 «**فَقَالَ يَسُوعُ: قَدْ لَمَسَنِي وَاحِدٌ، لأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّ قُوَّةً قَدْ خَرَجَتْ مِنِّي**».

أمر عجيب حقَّا أن يقول المسيح مؤكّداً إن قوة قد خرجت منه لمَّا لمسته المرأة عن طريق هدب ثوبه، والقوة كانت لشفاء مرض المرأة في الحال. نفهم من هذا أن المسيح لمَّا يشفي إنساناً لا يشفيه بمجرَّد خروج كلمة من فمه، بل علمنا الآن أن مع الكلمة تخرج منه قوة لتصنع الشفاء أيًّا كان نوعه أو المعجزة أيًّا كان نوعها. هذا يعني في الحال أن المسيح بذاته وجسده طاقة إلهية فائقة القوة تعمل بمجرَّد إرادة المسيح أو إيمان المتقدِّم إليه. هذا يترجمه بولس الرسول: «الله ظهر في الجسد»

(1تي 16:3). فالمسيح هو إصبع الله الذي يوجِّه الطاقة الإلهية كيفما يشاء: «ولكن إن كنت بإصبع الله أُخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله» (لو 20:11). ولكن لا يظن أحد أن بالتوصيل الجسدي يعمل المسيح الأشفية والمعجزات، بل إن القوة أو الطاقة الإلهية عملها لا حدود له وإلى منتهى الأرض والزمن، فمعجزة شفاء عبد قائد المائة والمسيح على بعد منه يوضح ذلك (لو 7: 1-10).

47:8 **«فَلَمَّا رَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّهَا لَمْ تَخْتَفِ، جَاءَتْ مُرْتَعِدَةً وَخَرَّتْ لَهُ، وَأَخْبَرَتْهُ قُدَّامَ جَمِيعِ الشَّعْبِ لأَيِّ سَبَبٍ لَمَسَتْهُ، وَكَيْفَ بَرِئَتْ فِي الْحَالِ».**

إحساس المرأة هنا «أنها لم تختفِ» يوضِّح أنها أدركت أن المسيح قد عرفها، وعلى هذا الأساس سجدت وأخبرته عن حالها وكيف برئت أمام كل الجمع. واضح أن المسيح لم يُرِد أن تبقى هذه المعجزة مجهولة، لأن القصد من عمل البشارة هو إخبار الناس بأعمال الله العجيبة وقوة وقدرة الروح في المسيح لكشف كل ما في القلوب. من هذا نفهم أن كل ما كان يضمره السنهدرين والكتبة والفرِّيسيون ضده كان يعلمه أولاً بأول، بل وعلم ماذا كانوا قد أعدُّوا له، فكشف أسرار النفوس كان واضحاً عنده. ومرَّات كثيرة كان يسبق المسيح ويرد على أسئلة ما في قلوبهم دون أن يسألوها. ثم هذا الوعي الإلهي الكاشف المستورات هو عينه الذي كان يعرف المستقبلات.

48:8 **«فَقَالَ لَهَا: ثِقِي يَا ابْنَةُ. إِيمَانُكِ قَدْ شَفَاكِ. اِذْهَبِي بِسَلاَمٍ».**

أراد المسيح أن يقرن شفاءها الذي أخذته منه خلسة بإيمانها بأن يوثِّقه حسب إرادته، وأضاف إليها حالة السلام الذي ستحياه إلى الأبد. ويُلاحَظ أن شفاءها دون موافقة المسيح وبركته كان سيظل شفاءً جسدياً، أمَّا بعد أن وثَّقه بإرادته فقد صار شفاءً هو الخلاص بعينه: sšswkšn se = قد شفاك = قد خلَّصكِ. وهنا أيضاً لا يفوتنا قول المسيح: «إيمانكِ قد شفاكِ» إذ جعل الإيمان العنصر الأساسي الذي يستدر أمر الله في إعطاء الشفاء. فالمسيح هنا يسلِّمها الشفاء كحق لها اكتسبته بإيمانها.

49:8 **«وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ، جَاءَ وَاحِدٌ مِنْ دَارِ رَئِيسِ الْمَجْمَعِ قَائِلاً لَهُ: قَدْ مَاتَتِ ابْنَتُكَ. لاَ تُتْعِبِ الْمُعَلِّمَ».**

وهنا نعود إلى القصة الأولى بارتفاق بديع مأخوذ عن ق. مرقس، وكان المفروض أن يَضْعُف إيمان رئيس المجمع في إمكانية المسيح من شفائها. وهنا يقول ق. لوقا إنها «قد ماتت» (في زمن

الماضي التام) بدل القول في إنجيل ق. مرقس إنها: «ماتت» (في زمن الماضي البسيط)، بمعنى أن في إنجيل ق. لوقا الأمر قد قضى وانتهى وصار ذا يأس مقيم. والقول في لا تتعب المعلّم انتقاص شديد من أي أمل في قدرة المسيح. ومن هنا تبدأ القصة لتأخذ أقصى معنى لقوة المسيح على الشفاء حتى ولو مات الإنسان: «مَنْ آمن بي ولو مات فسيحيا.» (يو 25:11)

50:8 **«فَسَمِعَ يَسُوعُ وَأَجَابَهُ قَائِلاً: لاَ تَخَفْ. آمِنْ فَقَطْ، فَهِيَ تُشْفَى».**

هنا تتكشف القوة الفائقة للرب يسوع، فمن أراد أن يعرف مَنْ هو يسوع المسيح هذا فليقرأ هذا الحوار: «قد ماتت ابنتُك. لا تُتعب المعلّم ... آمن فقط فهي تُشفى» ! هنا يتخطّى المسيح حد الموت وبقوة فائقة يسترد الروح إلى الجسد، ليضعه على سرير المرض بدلاً من نعش القبر كما كان، ليعمل المسيح عملين: يقيم من موت مثل هذا، ويقيم من مرض مثل ذلك؛ ليبقى المسيح دائماً الشافي والمعطي الحياة بآن واحد. هنا يترفّق المسيح بمشاعر يايرُس ويَرُدّ له رجاءه حتى يرد له إيمانه. فالمسيح أعطى يايرُس مرَّة أخرى فرصة للرجاء لمَّا قال: **«فهي تُشفى»** وكأنها بحال المرض، لكي يطالبه بما هو أكثر من الرجاء، يطالبه بالإيمان **«آمن فقط»!!** وعلى هذا المنوال فنحن جميعاً كل من مات وكل مَنْ سيموت مجرَّد مرضى وهو قادم ليشفينا. فالموت ملغي في مفهوم المسيح وقدرته!! «أين شوكتك يا موت أين غلبتكِ يا هاوية.» (1كو 55:15)

آمين تعالَ أيها الرب يسوع، فقد أنْتَنَت أجسادنا ونحن نتلهَّف صوتك: ارفعوا الحجر!! هل تأتي سريعاً؟ أسرع، نعم أسرع لأن أعداءنا شمتوا بنا يا حبيب!! كلنا لعازر ولكن ليس لنا مريم تبكي علينا!!

51:8 **«فَلَمَّا جَاءَ إِلَى الْبَيْتِ لَمْ يَدَعْ أَحَداً يَدْخُلُ إِلاَّ بُطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا، وَأَبَا الصَّبِيَّةِ وَأُمَّهَا».**

كان المنزل مليئاً بالذين أتوا ليواسوا أهل المريضة التي ماتت، فالحزن والبكاء والعويل يملأ أصداء البيت. والمسيح أمامه مهمة عظمى، فعليه أن يسترجع الحمامة الصغيرة من بين أظفار الموت ويحضرها سليمة ومعافية. وفي المهام العظمى كان يختار الثلاثة تلاميذ الأكثر قرباً إلى قلبه الكبير، إنه أراد أن يستودع الكنيسة قصة إقامة من موت، فلابد من ثلاثة شهود أخذهم ودخل لمواجهة سلطان الموت.

52:8 **«وَكَانَ الْجَمِيعُ يَبْكُونَ عَلَيْهَا وَيَلْطِمُونَ. فَقَالَ: لاَ تَبْكُوا. لَمْ تَمُتْ لكِنَّهَا نَائِمَةٌ».**

هذا معيار الموت عند المسيح، غير موجود! أمَّا أصدقاء الموت وأبناؤه فلابد أن يقدِّموا له التحية بالصراخ والعويل والرقص الحزين على دقة الطبول تكريماً لوفادته!

المسيح يقول: «لا تبكوا لم تمت لكنها نائمة» إنه يتكلّم الحق، بل ولو سألوا روح البنت لقالت إني لم أمت. المسيح يقولها عن يقين الواقع الذي أتى به وأتى ليعلنه. المسيح هو الحياة بالحق: «أنا هو الطريق والحق والحياة» (يو 6:14). كيف تموت الصبية والأمر مرفوع إليه، لو لم يرفعوا أمر الصبية إلى المسيح لكانت ماتت، ولكن الآن الأمر مرفوع إليه ودخل إلى حضرته، وحضرته هي الحياة، والحياة أُظهرت بالمسيح وفيه الموت اختفى من أمام وجه الرب.

حضور المسيح لبيت الصبية هو حضور الحياة فأين يوجد الموت؟ الحياة في المسيح رهن إرادته، هو أراد الحياة للصبية فلابد أن تحيا، بل مجرَّد أن رُفع إليه أمر موت الصبية وتقبَّله المسيح هرب الموت كهروب الظلام عند مشرق الشمس. الحياة التي في المسيح كانت مخفية عند الآب، فلمَّا أرسل ابنه مولوداً من عذراء أُظهرت الحياة ودخلت إلى العالم: «فإن الحياة أُظهرت وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة (المسيح) الأبدية التي كانت عند الآب وأُظهرت لنا.» (1يو 2:1)

الخطية دخلت إلى العالم فدخل معها الموت، والمسيح لمَّا دخل العالم دخل ومعه الحياة الأبدية. كل مَنْ هو لآدم واقع تحت حكم الموت لا محالة، وكل مَنْ آمن بالمسيح وقبلهُ ارتفع مع المسيح وقام لحياة أبدية. لمَّا آمن أبو الصبية انتقلت الصبية من الموت إلى الحياة.

53:8 **«فَضَحِكُوا عَلَيْهِ، عَارِفِينَ أَنَّهَا مَاتَتْ».**

حينما يقع صحن من الخزف (الصيني) على الأرض ويصير قطعاً صغيرة جداً ويقول أحد الجالسين إنه صحيح لم ينكسر فالأمر يثير الضحك، وحينما يبلغ شيخٌ من العمر مائة سنة ويقول واحد إن فلاناً صار طفلاً صغيراً مولوداً جديداً فالأمر يكون مضحكاً، أو حينما نكون في منتصف الليل وواحد يقول الشمس ظهرت فالأمر يثير الضحك، لأن الأمور الطبيعية لها منطق ثابت إذا خرجت عنه صارت خرافة أو ضحكاً. هذا هو ما عمله المسيح في عالم الإنسان، كسر المنطق الثابت إذ ألغى منطق أن بعد الشيب موت إذ جعل الحياة تتجدَّد ولا يوجد موت بعد يتهدَّد الإنسان، فقد رفع كل أسباب الموت، فلم يعد موت. هذا أمر يخالف منطق الإنسان. فالذي يعيش مع المسيح يعيش مع الحياة الأبدية، فمع الحياة لا موت، لأن المسيح هو الحياة الأبدية التي كانت مخفية عند الآب وأُظهرت لنا وأعطانا أن نشترك فيها معه. فمع المسيح لا موت بعد أيًّا كان، لا مرض ولا شيخوخة ولا ضعف ولا أي حدث يتهدَّد الإنسان مع المسيح. والسبب واضح أن الذي يحيا مع المسيح لا تنطبق عليه قوانين الأرض ومنطق الحياة الأرضية. فالمسيح حياة أبدية والذي يدخل في شركة المسيح يدخل الحياة الأبدية ويصير بمعزل عن كل قوانين ومنطق الأرض. على أن الشركة مع

المسيح أي في الحياة الأبدية يعطيها المسيح مجاناً من طرفه لكل مَنْ يَرضى أن يعيش مع المسيح:

(أ) «أنا هو خبز الحياة. مَنْ يُقبِل إليَّ لا يجوع، ومَنْ يؤمن بي فلا يعطش أبداً.» (يو 6: 35)

(ب) «أنا هو خبز الحياة ... هذا هو الخبز النازل من السماء، لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت.» (يو 6: 48و50)

(ج) «أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء. إن أكل أحدٌ من هذا الخبز يحيا إلى الأبد.» (يو 6: 51)

(د) «الخبز الذي أنا أُعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم.» (يو 6: 51)

(هـ) «مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية، وأنا أُقيمه في اليوم الأخير.» (يو 6: 54)

(و) «مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه ... فمَنْ يأكلني يحيا بي.» (يو 6: 56و57)

إذن، هذا هو سر عدم الموت!!

هذه الحقيقة الإلهية عند البعيدين عن المسيح هي أمر مضحك، وأمَّا بالنسبة للقريبين من المسيح الذين لم يذوقوا الرب بعد: «فقال كثيرون من التلاميذ إذ سمعوا: إن هذا الكلام صعبٌ! مَنْ يقدر أن يسمعه؟ ... ولكن منكم قوم لا يؤمنون. لأن يسوع من البدء عَلِمَ مَنْ هم الذين لا يؤمنون ... من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه إلى الوراء، ولم يعودوا يمشون معه!!» (يو 6: 60و64و66)

وبعد أن طرح المسيح على العالم قضية الموت والحياة، لا يزال قوم يتحيَّزون لقضية الموت وقوم يتحيَّزون لقضية الحياة: الأولون يضحكون الآن مع أهل الصبيَّة ليبكوا إلى الأبد عندما تُرفع القضية للحكم، والآخرون يبكون الآن على الذين يضحكون ليضحكوا إلى الأبد عندما تُرفع القضية وتُعرف الحياة الأبدية.

فماذا أنت: أضاحك مع الضاحكين أم باكٍ على الذين يضحكون؟

54:8 **«فَأَخْرَجَ الْجَمِيعَ خَارِجاً، وَأَمْسَكَ بِيَدِهَا وَنَادَى قَائِلاً: يَا صَبِيَّةُ قُومِي».**

وقد قالها ق. مرقس بأصلها الأرامي: «طاليثا قومي.» (مر 5: 41)

للموت هيبة ولكن للقيامة من الأموات رهبة، إن أصعب لحظة في حياة الإنسان هي أن يواجه الموت في نفسه أو في غيره، حيث الروح تنسلت من الجسد وتتركه جثة هامدة. ويرى الإنسان ويشاهد ويرتعب كيف تنتهي الحياة ويسكت النَفَسْ إلى الأبد.

إن خروج الروح من الجسد أقوى أنواع الحقائق المبهمة والبعيدة جداً عن فهم الإنسان! ولكن أن تعود الروح مرَّة أخرى للجسد وأن يتحرَّك الجسد ويتنفَّس ويقوم بأمر المسيح وفي الحال دون أي وضع وسيط، فهذا لا يتبع أي حقيقة في هذا الدهر. لقد جاء المسيح بهذه الحقيقة إلى العالم في أقوى وأبلغ صورة لها لمَّا قام هو من الأموات وتراءى لتلاميذه أربعين يوماً يظهر ويتكلَّم ويوضح حقيقة قيامته.

المسيح هو الوحيد الذي أدخل قوة القيامة إلى عالم الإنسان وباشرها، وباشرها تلاميذه. لقد أنهى المسيح على الموت وصاحب سلطان الموت وسلَّم الكنيسة هذه الحقيقة الجديدة: القيامة من الأموات كحق لكل مَنْ آمن بالذي غلب الموت وداسه وقام: «وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليَّ الجميع» (يو 32:12). ولكن أن نغلب الموت ونقوم لنحيا في هذه الحياة العالمية مرَّة أخرى فبئس هذه القيامة، إنها قيامة لمزيد من أتعاب وأوجاع وهموم العالم.

المسيح أمام ابنة يايرُس ليقنع فقط الضاحكين أنها ماتت وأنه هو الذي أقامها من الموت لتشهد لسلطان المسيح فوق الموت وفوق مَنْ له سلطان الموت. المسيح أعدَّ لنا حياة أخرى هرب منها الحزن والكآبة والتنهد، حياة في نور الله والقديسين، حياة كلها تسبيح وتهليل وتمجيد إلى ما لا نهاية، حياة كلها أفراح الله. وقال لنا:

+ «أنا أمضي لأُعد لكم مكاناً، وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً آتي أيضاً وآخذكم إليَّ حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً.» (يو 14: 2و3)
+ «أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا لينظروا مجدي الذي أعطيتني.» (يو 24:17)

وهكذا أثبت المسيح بموته وقيامته أنه كما أنه توجد حقيقة اسمها الموت، أوجد حقيقة جديدة اسمها القيامة من الموت، ولكن بحقيقة القيامة التي أدخلها المسيح إلى العالم أنهى على الموت كحقيقة. الحقيقة الوحيدة التي نعيش فيها ونعيش لها هي حقيقة القيامة، أمَّا الموت الملغي والمُداس فقد فقدَ قوته ورعبته ووجوده البتة، ذلك بالنسبة للذين أُعطوا حق القيامة من الموت، أُولئك الذين يؤمنون بأن المسيح جاء ليبطل الموت والفساد ويجدِّد الحياة ومعناها، إذ يعبر بها من حياة محدودة تحت سلطان الحواس إلى حياة لا محدودة فوق الحواس، التي تحسب أنها الحق الإلهي الذي صرنا نشترك فيه.

55:8

«فَرَجَعَتْ رُوحُهَا وَقَامَتْ فِي الْحَالِ. فَأَمَرَ أَنْ تُعْطَى لِتَأْكُلَ».

+ «الإنسان الأول من الأرض ترابي، والإنسان الثاني (المسيح) الرب من السماء.» (1كو 47:15)
+ «صار آدم الإنسان الأول نفساً حية وآدم الأخير روحاً مُحيياً.» (1كو 45:15)

وها هو المسيح يُعطي صورة لنفسه أنه رب الحياة وأبو الأرواح يأمر فتطيعه في الحال. وبأمر المسيح لروح الصبية لتعود فعادت أظهر أن للأرواح وجوداً وكياناً وحواساً فائقة لتسمع بها أمر روح الله والمسيح. وعادت روح الصبية كاملة عاقلة كما كانت ولها خبرة جديدة، خبرة العبور على الموت والوجود في عالم الأرواح، ثم العودة مرَّة أخرى.

وفي أمر لعازر وإقامته من الموت بعد أن تهرأ جسده ولأربعة أيام في القبر وقد أنتن، ظهر المسيح في إقامته من الموت إعادة خلقة الجسد **كما كانت** فكانت خلقة وإقامة من موت بآن واحد. أمَّا في القيامة العامة فلن نُقام بأجسادنا المادية التي كانت، بل بأجساد روحانية غير قابلة للموت لخليقة جديدة لها صورة الجسد الترابي ولكن كيانها روحاني متجلٍّ Transfigurated وليس من عناصر الأرض الجامدة: «يُزرع في فساد ويُقام في عدم فساد ... يُزرع جسماً حيوانياً ويُقام جسماً روحانياً.» (1كو 15: 42و43)

فالقيامة العتيدة أن نجوزها ستكون بمثابة خلقة جديدة لحياة جديدة، نبدأها هنا بالمعمودية وأخذ الجسد والدم ونكمِّلها بالقيامة من الأموات.

أمَّا إعطاء الأكل للصبية فهو لكي يؤكِّد استمرار حياتها الأُولى ويرفع عنها كل مظنَّة الموت. فـ"طليثا" بكلمة المسيح سخرت من الموت وتخلَّصت من براثن الموت وقامت حالاً:

- [نؤمن بقيامة الأموات وحياة الدهر الآتي] (قانون الإيمان).
+ «أنا هو القيامة والحياة.» (يو 25:11)

56:8 **«فَبُهِتَ وَالِدَاهَا. فَأَوْصَاهُمَا أَنْ لاَ يَقُولاَ لأَحَدٍ عَمَّا كَانَ».**

ليس حزن مثل حزن الوالد على موت ابنه، وليس حزن مثل حزن الأُم على بنتها! بعد أن عصر الحزن قلب الرجل وتمزَّق قلب الأُم وكبدها. فجأة وليس ككل المفاجآت في الوجود، وجداها بين

أيديهم هي بعينها طاليثا الحلوة المحبوبة بنظراتها الحانية نحو الأب والأم، وكأن الموت أضغاث أحلام ولّت بعد نور الحياة الذي ملأ بيتهما من جديد.

هذا هو يسوع المسيح وقدراته الإلهية ورقة أحاسيسه وخفقات قلبه، يحب كل مَنْ احتاج إلى حبه. شفى مرضاهم وأقام موتاهم ثم حكموا عليه كمجرم!

كيف كرهوه؟ كيف قتلوه؟ لماذا اشتدت أحقادهم حتى صلبوه؟

+ «تركوني أنا الحبيب مثل ميت.» (مز 37:21و22 حسب النسخة القبطية)

الأصحاح التاسع:

(ز) المسيح والاثنا عشر
(1:9-50)

بصفة عامة كانت الأصحاحات السالفة تُعنىَ بأعمال المسيح للشعب. وقد علّمهم وعمل المعجزات لكي يتعرّفوا عليه بمقتضى ما سبق وقاله الأنبياء، ومن واقع مشاهدتهم لأعماله وشخصه الفائق. وكان التلاميذ في كل هذا يسيرون معه ليستوعبوا ما قاله وما عمله، لأن الدور قد وقع عليهم في النهاية. ولكن ومن هذا الأصحاح يبدأ المسيح يركّز على العلاقات القائمة والتي لابد أن تقوم بينهم وبينه، وخاصة عندما كان يوجّه الكلام والتعليم لهم.

ولكن لحزن المسيح ولحزننا أنهم في معظم الأحيان لم يكونوا على مستوى من يتتلمذ بالحق ويحمل مسئولية البشارة بما رأى وسمع. وبسبب شدة التأكيد والتركيز على نفسه، فهموا أخيراً أنه "الرب" حتى في اعتبار الله نفسه بالقيامة من الأموات: «فليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم **رباً ومسيحاً**.» (أع 36:2)

هذا ما وصل إليه إيمان التلاميذ أخيراً إذ تذكّروا كل ما قال وعمل.

وينتقي ق. لوقا بعض الحوادث والأقوال مما ذكره ق. مرقس بقصد التركيز على استعلان المسيح لتلاميذه. ويبدأ الأصحاح بإرسالية المسيح لتلاميذه ويتبعها معجزة إشباع الجموع (1:9-17) ويليها اعتراف ق. بطرس بمن هو المسيح (18:9-20)، الذي عوَّل عليه ق. مرقس في إنجيله ليكون بداية الدخول في إنجيل الآلام. ويتخذ ق. لوقا نفس الهدف بتدوين تنبؤ المسيح عن آلامه ووصيته لتلاميذه أن يسيروا في نفس طريق الآلام (21:9-27). كما يشمل هذا الفصل حادثة التجلّي (28:9-36) كجزء هام وخطير من خطة استعلان المسيح لنفسه بالنسبة لتلاميذه. ويركّز ق. لوقا بعد ذلك على استعلان المسيح

كصاحب قوة واقتدار بالنسبة لإخراج الشياطين في (9:37-45). ولكن من الوجه الآخر لم يفت على ق. لوقا تقديم الصورة المتضعة للمسيح التي تتناسب مع تجسُّده

وموته بجوار ارتفاع قوته وسلطانه كابن الله، وبعدها يُعدُّ طريق الآلام الذي سوف يعبره المسيح خطوة خطوة، مع نداء لتلاميذه أن يعدُّوا أنفسهم لذات المصير سواء في الخدمة بآلامها أو الموت في النهاية.

ومن ملاحظتنا في شرح هذا الأصحاح نُدرك أن ق. لوقا لا يقدّم مجرَّد تعليم الكنيسة أو تقليدها، ولكن يدور الأصحاح كله حول اكتشاف شخصية المسيح في سموّها وفي اتضاعها بما يتناسب مع لقبه كابن الله وكابن الإنسان بآن!

1 ـ إرسالية الاثني عشر

(6-1:9)

(مت 10:5ـ15)
(مـر 6: 7-13)

ابتدأ المسيح في هذا الأصحاح يضع أُسس وشروط الإرسالية. أولاً يذهبون دون الاعتماد على المال، أي لا يحملون أموالاً ليصرفوا منها؛ بل يعيشون على ما يعيش عليه الذين يكرزون لهم. وهذه لفتة من أهم اللفتات التي تقوِّم عظمة الخدمة، فعوض المال سيكون الاتكال بالإيمان على الله الذي يُجري الأمور ويسهِّل كل الطرق. كذلك كون المُرسل يأكل ويشرب ويجلس ويبيت عند الذين يخدمهم، فذلك ينشئ علاقة أخوية وروحية فائقة التأثير على المخدومين، إذ يكونون أقرب لنفسية الخادم، كما أنها تفتح مجال المحبة والود وتكوِّن مع الخادم صلات قوية تدوم ربما طول العمر ويسمع الأولاد والبنات قصص المُرسل عن المسيح وعن الإيمان وعن الله، فتنفتح آذانهم ويتسع وعيهم ويشبُّون حافظين هذه الذكريات ويسلّمونها لمَنْ بعدهم.

والمسيح يؤكّد ضرورة عدم التنقُّل كثيراً بل يكون لهم بيت يكون مركزاً لخدمتهم، وهذا توكيد لعمل صلة وثيقة بالجماعة المحيطة التي ستكون فيما بعد أساساً للكنيسة في كل حيّ.

وجعل المسيح الدرس الأهم كموضوع للخدمة هو الكرازة بملكوت الله، بمعنى الأخبار السارة بالحياة الأبدية، لإعطاء الشعب القدرة على النقلة الأساسية من الاندماج الشديد في هذا العالم وتركيز كل الحياة والجهد والمال لتحصيل حياة أرضية فانية إلى الانتماء لحياة روحية مبدأها هنا مع الله والمسيح تمهيداً للحياة الدائمة في السماء. وهذه أخطر نقلة يواجهها المؤمن المسيحي وينبغي أن ينجح فيها: أن ينقل عواطفه وأفكاره وحنينه من بيته وأسرته وأبيه وأُمه وإخوته ورفاق الصبوة أو أصدقاء الشباب أو زمالة الرجولة إلى ما هو أثبت، أي المسيح والحياة مع الله تمهيداً لفك رُبُط

الإنسان من عالم فانٍ إلى عالم الحياة الدائمة مع الله. لأن حنين النفس البشرية إلى الأمومة وإلى حضن الأب وملعب الصبوَّة وزمرة الأصدقاء ولهو الشباب والرجولة، حرم الملايين من الانتباه إلى أن هذا عالم فانٍ، وكل ما حصَّلوه سيذهب مع الزمن ولن يعود أو يكون له عائد. فمهارة الكارز تتركّز في كيفية ربط النفس البشرية بالله والمسيح كحضن دافئ يعوِّض الإنسان عن ملايين الملذات والتعزيات الأرضية؛ وكشف الرؤية عن ملكوت الله الذي ينتظرنا ليكون لنا وطناً أبدياً، وهناك نكوِّن فيه علاقاتنا الدائمة مع المسيح والقديسين، يكاد يكون العزاء الوحيد الذي يغنينا عن ملاهي وملاذ هذا العمر، إضافة إلى ارتفاعنا فوق هموم وأتعاب ومضايقات وأحزان هذا العالم الكاذب.

لذلك، فتركيز المسيح على الكرازة بملكوت الله يصبح الملاذ الأعظم لنفسية الإنسان الذي يغنيه عن مباهج الدنيا الكاذبة وعواطف الأسرة والوطن من ناحية، ومن الناحية الأخرى والأهم يجعله يحتقر أتعاب هذا الزمن وهموم السعي في أكل اللقمة والأحزان التي تتربَّص بالإنسان في كل عمل وكل خطوة. فإزاء الارتباط بالله وحب المسيح وشهوة الاتصال به والحياة معه، يجد أعظم تعويض عن حياة كاذبة كل سعادتها وهمية وكل رجائها خائب بالنهاية.

لذلك، فالكرازة بملكوت الله والآب والمسيح هي أعظم قوة قادرة على تمليص الإنسان من براثن هذا العالم وإعطائه قوة التحدِّي والغلبة لكل مغرياته الوهمية.

1:9 **«وَدَعَا تَلاَمِيذَهُ الاِثْنَيْ عَشَرَ، وَأَعْطَاهُمْ قُوَّةً وَسُلْطَاناً عَلَى جَمِيعِ الشَّيَاطِينِ وشِفَاءِ أمْرَاضٍ».**

كان المسيح يكرز بقوة وسلطان فكان هذا أمراً تعجَّب له الذين سمعوا، لأنهم لم يروا أو يسمعوا عند الكتبة والفرِّيسيين مثل هذه القوة ولا هذا السلطان، فظهرت شخصية المسيح أنه يدعو لأعظم مما يدعو إليه هؤلاء الكتبة والفريسيون. وكم مرَّة بُهتوا من تعليمه بسبب هذا السلطان. وظهر بوضوح أنه أكثر من رسول أو نبي أو إنسان. ولكن هنا نرى المسيح يسلِّم القوة ذاتها والسلطان أيضاً لتلاميذه الاثني عشر ليكرزوا بما كرز به المسيح!! فالآن نحن أمام مصدر القوة والسلطان! وفرق هائل بين إنسان يعمل بقوة وسلطان، وشخص يُعطِي القوة والسلطان. هنا هذا الشخص هو بلا جدال مصدر السلطان ومركزه ومنبع الوجود الفعَّال.

وهذه هي المرَّة الأولى التي نسمع فيها أن إنساناً يأمر بسلطان الله الشياطين فتنصاع وتخرج صارخة.

2:9 **«وَأَرْسَلَهُمْ لِيَكْرِزُوا بِمَلَكُوتِ اللهِ وَيَشْفُوا الْمَرْضَى».**

هنا لا يذكر ق. لوقا من رواية ق. متى وق. مرقس أنهم كانوا اثنين اثنين، كما لا يذكر القول:

«أنه قد اقترب ملكوت السموات» (مت 7:10). وواضح أن رؤية ق. لوقا هنا أكثر وضوحاً لأن الواقع الزمني أيام ق. لوقا كان يخالف هذا القرب. ولكن من هذا الاختزال، وبالأكثر حذف القول الذي في إنجيل ق. مرقس أنهم كانوا يدهنون المرضى بزيت فيشفوا (مر 13:6)، يتضح أن ق. مرقس كان أكثر تمسُّكاً بتقليد الكنيسة العملي، وعدم ذكر ق. لوقا لهذه العملية التقليدية تمسَّك به غير الأرثوذكس مع أنها لا تزيد عن رؤية مناسبة للأمم. ونقرأ في رسالة ق. يعقوب الذي كان ألصق إيماناً بعوايد اليهود أنه أشار إليها كجزء هام في الصلاة على المرضى (يع 14:5). والمعروف قطعاً أن المسيح هو نفسه الذي أوصى بهذا. وربما كان السبب لإسقاط الدهن بالزيت في شفاء المرضى أنه لم يكن له الأهمية الكافية بسبب أن الصلاة، مجرَّد الصلاة، كانت تأتي بالشفاء. ولمَّا ضعفت قوة الصلاة الفعَّالة رجعت الكنيسة للدهن بالزيت بتمسُّك شديد وهو الحاصل حتى اليوم. أمَّا حذف دهن المرضى بالزيت كطقس صلاة للشفاء فقد توقَّف هذا الطقس عدة عصور من الكنيسة الكاثوليكية ربما لملاحظة أنه لم يُجْدِ نفعاً للمرضى، فألجأته لنهاية حياة الفرد ليُدهن بالزيت باعتباره المسحة الأخيرة قبل الموت، ثم عادت مؤخراً إلى ممارسته باعتباره سر مسحة المرضى.

ومعلوم أن طقس مسحة الزيت في العهد القديم كان معترفاً به ومُمَارساً، وواضح من قول الإنجيل في (مر 13:6) أن دهن الزيت يعمل على شفاء المريض وأن الرب جعل في الزيت فرصة لتوصيل شفاء للمريض، مما جعل الكنيسة تعتبر أن في دهن الزيت للمريض إنما يعمل الروح القدس بالسر، إذ لابد بسبب قول المسيح ذلك أنه أصبح دهناً إلهياً على اسم الرب يسوع صاحب الأمر بالدهن بالزيت. وقد حدث بالفعل شفاءٌ من الصلاة والدهن بالزيت دائماً وفي كل العصور. ولا يؤخذ عدم استخدام المسيح نفسه للزيت حجَّة لعدم أهمية الزيت لأن الرب لم يكن في حاجة لوساطة للسر المقدَّس. ونحن نعتبر أن الدهن بالزيت باسم الرب يسوع وساطة إلهية سرِّية فعَّالة باسم المسيح.

3:9 **«وَقَالَ لَهُمْ: لاَ تَحْمِلُوا شَيْئاً لِلطَّرِيقِ، لاَ عَصاً وَلاَ مِزْوَداً وَلاَ خُبْزاً وَلاَ فِضَّةً، وَلاَ يَكُونُ لِلْوَاحِدِ ثَوْبَانِ».**

هنا يعطي المسيح انتباهة هامة جداً أن الكرازة بالمسيح لا تحمل هماً من أي نوع، لا من أكل أو لبس أو حاجة لشراء شيء، إذ الكرازة باسم المسيح يتكفَّل المسيح بكل همومها ومتطلباتها. فكلمة اذهبوا للكرازة لا تحمل معها كلمة أخرى، وذلك يرفع من الاعتماد على المسيح بإيمان وثيق ويحس الكارز أنه مجرَّد تابع للمسيح وليس صاحب خطة.

«لا عصاً»: `r£bdon

ولو أن ق. مرقس يوردها وحدها للطريق: «لا يحملوا شيئاً للطريق غير عصاً فقط »(مر 8:6)، إلاَّ أن ق. لوقا يلغيها. ويبدو أن ق. مرقس قصد بها الاستناد عليها في المشي فقط، ولكن ق. لوقا رفضها باعتبارها كسلاح للدفاع عن النفس.

«ولا مزوداً»: p»ran

بمعنى المخلة أو الجراب الذي يحمل فيه الإنسان أدواته في السفر وأهمها الخبز، ولغى بعدها حتى الخبز ليكون الله هو المتكفِّل بإطعام الكارز.

«ولا فضة»: ¢rgÚrion

وهي من أصلها جاءت كلمة "أرجيرون" أي الفضة بمعنى العملات الفضية. وتجيء في إنجيل ق. مرقس "نحاساً". فهذه عملة رخيصة وتلك عملة غالية، فلا غالٍ ولا رخيص مرخَّص حمله أثناء النداء بكلمة الله، لأنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بما يخرج من فم الله، وبما أنه هو المنادي بالخارج من فم الله استحال معه حمل أي عملة.

«ثوبان»: citînaj

ومعناها القميص الذي يقي الإنسان من حر وبرد. وهنا فرض المسيح على الكارز أن لا يهتم بتغيير الطقس وحاجة الإنسان لإراحة الجسد فهذا أيضاً سيتكفَّل به الله.

هذه الخبرة الفريدة من نوعها: أن يخرج الكارز ليكرز وهو لا يحمل همّ الحياة اليومية من كل نوع، يقع موقع خروج الشعب من مصر الخيرات إلى البرية القاحلة، فالله تكفَّل في الحال بكل أعواز الإنسان القصيرة والدائمة: «ثيابك لم تَبْلَ عليك ورجلك لم تتورَّم هذه الأربعين سنة» (تث 4:8)، «فقد سرتُ بك أربعين سنة في البرية لم تَبـْلَ ثيابكم عليكم ونعلك لم تبل على رجلك.» (تث 5:29)

كما لا يغيب عن بالنا ونحن من زمرة الذين خرجوا من الدنيا وليس معهم أو عليهم شيئ من أشياء الدنيا ـ فالمسيح جعل هذه الشروط تفصل بين مَنْ له إيمان بوصية الله ومَنْ ليس له من أول خطوة على الطريق. ولا يستهين القارئ أن يأخذ الإنسان خبرة ناجحة من استيفاء الوصية وهو واضعٌ رجله على أول الطريق لأنها ستكون خبرة ملازمة لحياته.

وقد رأيت واختبرت من نفَّذوا هذه الوصية بمنتهى الإتقان فكانت حياتهم ناجحة معطَّرة بأريج المسيح، ومَنْ له أذن تسمع فليسمع.

+ خَلَعَ ثياب المملكة .:. وَشَرف العالم رماه
وشرف العالم رماه .:. وشرف العالم رماه!!(188)

4:9 **«وَأَيَّ بَيْتٍ دَخَلْتُمُوهُ فَهُنَاكَ أَقِيمُوا، وَمِنْ هُنَاكَ اخْرُجُوا».**

واضح أن الوصية الأولى في عدم حمل أي مساعدة للطريق: لا ملابس ولا أكل ولا شرب أو حتى العصا تُلزم الكارز بالإلتجاء ضرورةً للمكوث في المنزل الذي يكرز له، بمعنى أن خادم الإنجيل من الإنجيل يأكل، فحينئذ سيتحقّق الكارز أن الله يعتني به على طول مدى مسيرته وخدمته. وهذا الشعور والإحساس ينعكس حتماً على كلمة الله إذ يعطي الله قوة غير عادية لإقناع السامعين، بل هيبة ووقاراً شديداً من نحو الكارز، إذ يشعرون من الكلام أنه ينطق بفم الله والمسيح. لذلك ليت القارئ والدارس يُدرك الحكمة العظمى من الوصية الخاصة بالتجرُّد الكامل من كل معونة للكارز ليختبر عمل الله بنفسه، ثم من هذا الاختبار تنبع قوة كرازته. كذلك لا يمكن أن تفوتنا قيمة اقتناع أصحاب البيت أن الكارز لم يحمل لنفسه أي ما يدَّثر به أو يأكله فيزداد إحساسهم بواجبهم المادي، لا لكي ينتهز هذه الفرصة ليطلب لنفسه شيئاً بل تزداد أواصر المحبة والود بين الكارز وأهل البيت. وفي هذا نقرأ في الديداخي: وصية تقول بضرورة إيواء الكارز (رسول أو نبي) يومين إذا زادهما الكارز يُعتبر أنه نبي كاذب، وإذا طلب لنفسه مالاً أو زاداً يُعتبر كاذباً، وإذا أمر بإقامة مائدة إن هو أكل منها يُعتبر كاذباً. وهكذا كان التقليد الكنسي يشدِّد للغاية على نزاهة الكارز وسلوكه حتى يوعِّي الشعب من خدَّام الكلمة الكاذبين. يُحكى ـ والعُهدة على التاريخ المسجَّل بالأسماء ـ أن أحد الأباطرة استودع أسقفاً بالقسطنطينية أحد أسراه ثم عاد يسأله عن الوديعة، وبعد التحقيق وجد أنه أخذ رشوة ذهبية كبيرة ففكّ أسر الشخص، فما كان من الوالي إلاَّ أن حصل على كمية الذهب التي بحوزته وأمر فسيَّح الذهب، ثم أمر بأن يُمسك الأسقف ويُصَبّ الذهب المنصهر في فمه!! قصة حزينة. فما أسهل سرقة أموال الله، هكذا يتهيأ للذين أصابهم شهوة المال والعمى الروحي. ولكن في لحظة الموت يُواجَه الإنسان بعاره عياناً وفي السماء يدفع الثمن مرارة وعلقماً.

وفي إنجيل ق. متى يقول المسيح في هذا الموضع أمراً هاماً للغاية وهو التدقيق الشديد في اختيار المنزل الذي يبدأ فيه الكارز ليكرز: «وأية مدينة أو قرية دخلتموها فافحصوا مَنْ فيها مستحق وأقيموا هناك حتى تخرجوا ...» (مت 11:10). ونحن نعرف تماماً أن بداية حركة الكنيسة بدأت من داخل بيوت مختارة صارت مركزاً للخدمة كبيت فيلبُّس وبيت ليديا بائعة الأرجوان، ونفس

(188) عن أحد الترانيم الشعبية المتداولة بين أفراد الكنيسة القبطية.

العلية في صهيون التي كانت أول كاثدرا في التاريخ المسيحي.

والفارق في هذا القول كما ورد عند ق. مرقس: «فأقيموا فيه (في ذلك البيت) حتى تخرجوا من هناك» (مر 10:6)، يقصد به إلى أن يخرجوا من الكورة أو المدينة، أي يكون ذلك البيت مقر كرازة. ولكن هنا في إنجيل ق. لوقا يقصد أن الكرازة تكون موضعية في كل بيت يُكرز فيه. وليلاحِظ القارئ هنا أنه لم تكن قد أُقيمت الكنائس بعد، فكانت الخدمة تكمَّل في البيوت (أع 40:16 و46:2).

5:9 «**وَكُلُّ مَنْ لاَ يَقْبَلُكُمْ فَاخْرُجُوا مِنْ تِلْكَ الْمَدِينَةِ، وَانْفُضُوا الْغُبَارَ أَيْضاً عَنْ أَرْجُلِكُمْ شَهَادَةً عَلَيْهِمْ**».

الكلام هنا تداخل في بعضه، لأن الخروج يكون من البيت وليس من المدينة كلها، وهذا حدث للمسيح نفسه إذ لم يقبله أهله في الناصرة فخرج من المدينة كلها ولم يستطع أن يعمل آيات هناك بسبب عدم إيمانهم. هكذا يعطي المسيح تلاميذه كيف يشهدون على البيت أو المدينة التي رفضتهم. أمَّا نفض الغبار من أرجل التلاميذ بسبب رفضهم ورفض كرامتهم باسم المسيح فهو بمثابة إعلان أو شهادة لتبريء الذمة، كما يغسل القاضي يديه براءة من دم المجرم، بمعنى تحميل المذنب وزر ذنبه وبراءة ضمير القاضي كما فعل بيلاطس. ولكن المعنى به مرارة، فهو حلول لعنة على هذا البيت وهذه المدينة كما لعن الله آدم ولُعنت الأرض بسببه. ولكن هذا في حالة واحدة إن كان الكارز قديساً مُرسلاً من الله ويستلم تصرفه هذا من الله. وعلى عكس ذلك يحمل هو اللعنة إن كان مُغْرِضاً ولا يفعل ذلك دفاعاً عن الإيمان بالمسيح. تماماً على وزن: «وحين تدخلون البيت سلّموا عليه (شالوم إليكم) فإن كان **البيت مستحقاً** فليأتِ سلامكم عليه (سلام الله) ولكن إن لم يكن مستحقاً فليرجع سلامكم إليكم.» (مت 10: 13و14)

علماً بأن قانونية تكوين كنيسة لا يقوم على البناء والتجميل بالرخام والذهب بل باجتماع اثنين أو ثلاثة باسم المسيح في حرارة الروح. هنا تقوم الكاثدرا الحقيقية حيث أسقفها هو هو الرب يسوع نفسه. مما يدعونا لجعل ثقل المناداة ببناء الكنائس ليس هو المعبِّر عن الحاجة إلى العبادة، إذ أن الحاجة إلى واحد وهي أن يجتمع اثنان أو ثلاثة باسم المسيح.

6:9 «**فَلَمَّا خَرَجُوا كَانُوا يَجْتَازُونَ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ يُبَشِّرُونَ وَيَشْفُونَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ**».

هنا وفي هذه الآية الأولى والعظمى بل والخالدة، بدأ تاريخ الكنيسة وبدأ الروح القدس قيادته للتلاميذ للخدمة الجهارية والكرازة باسم يسوع المسيح. وكان التلاميذ بروح واحدة، ليس بينهم

كاثوليكي ولا أرثوذكسي ولا بروتستنتي، بل بالروح الواحدة بدأت شرارة الخدمة على الأرض. ويهمنا جداً قول ق. لوقا هنا: «**يبشِّرون ويشفون** في كل **موضع**» هنا التحمت البشارة بمعجزات الشفاء، ثم وفي كل موضع بلا استثناء. هنا روح العمومية لائقة جداً بروح المسيح واسمه.

ولكن الآن لم يعد اسم الكنيسة واحداً للمسيح الحي بل انقسمت الكنيسة على نفسها ألواناً وأسماءً من الصعب حصرها في أعداد. وطبعاً وبالتالي انقسم المسيح، واسم المسيح صار وقفاً على هذا وخاصاً بذلك. ولم يعد مسيحاً واحداً لعالم واحد! لماذا؟ لأن عظماء الكنائس[189] ورؤساءها في القرون الأُولى ذوي الألقاب العظيمة والفخمة والتيجان المرصَّعة بحصاوي الزمرُّد والماس رأوا ذلك وتمسَّكوا برأيهم، لم يستشيروا لحماً ولا دماً بل أخرجوا المشورة من قلوب غليظة ورقاب قاسية لا تشفق على الرعية التي تبدَّدت وتعادت وتحاربت لحفظ ألقاب السادة العظام أصحاب التيجان. وبدأ الشيطان نشاطه وصنع له مراكز خدمة ممتازة وخُدَّاماً ممتازين في كل مدينة وقرية وفي كل موضع بلا استثناء، واختلط المحال بالمستحيل، اختلط الظلام بالنور حتى عمَّ الضباب الدنيا.

\+ «يا حارس ما مِنَ الليل (ماذا بقي من الليل)؟
يا حارس ما مِنَ الليل (ماذا بقي من الليل)؟
قال الحارس: أتى صباحٌ وأيضاً ليلٌ!!» (إش 21:11)

2 ـ سؤال هيرودس عن المسيح

(9:7-9)

(مت 14:1-2)
(مر 6:14-16)

ملأ ق. لوقا الفراغ بين إرسالية التلاميذ ثم عودتهم بقصة هيرودس الملك الذي كان يسأل عن المسيح وإجابات الشعب المتعدِّدة عن ذلك، والمعلومة التي تناقلتها الناس عن هيرودس من هو يسوع الذي كان يسمع عنه كثيراً. وقد حوَّل ق. لوقا هذا السؤال إلى المسيح نفسه كيف كان يعلِّم تلاميذه حقيقة مَنْ هو، وهو الجزء الواقع بين (9:18-27). ولكن الكلام عن هيرودس والمسيح جاء أخيراً في (13:31-33، 23:6-12) كيف أن طِلْبة هيرودس أن يرى المسيح قد تمَّت له ورآه وكانت دينونة له أكثر. ولكن ق. لوقا حذف كل جوانب قصة المأساة التي تمَّت بقطع رأس يوحنا

(189) **ملاحظة هامة**: حينما يتكلَّم الكاتب عن حال الكنيسة فهو يقصدها في كل العالم وعلى مدى التاريخ.

المعمدان التي جاءت في (مر 6:17-29)، واكتفى ق. لوقا بكيف ألقى هيرودس يوحنا في السجن (3:19).

ولكننا نجد في الإنجيل وقفة مفاجئة بعد «وكان يطلب أن يراه» ثم فراغ تركه الناسخ عن الناسخ وغالباً عن المؤلِّف وهو ق. لوقا إذ لم يطق المنظر واستكثر أن تُقطع رأس مَنْ هو أعظم من نبي وأعظم من ولدته نساء الدنيا، ثمناً لرقصة بنت هيروديا التي راهنت على رأس قديس ودفع الملك الماجن الرهان؛ الأمر الذي إذ سمعه يسوع المسيح كفَّ عن الخدمة في اليهودية كلها، لا خوفاً من هيرودس بل احتراماً للذكرى.

9:7 «**فَسَمِعَ هِيرُودُسُ رَئِيسُ الرَّبْعِ بِجَمِيعِ مَا كَانَ مِنْهُ، وَارْتَابَ لأَنَّ قَوْماً كَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ يُوحَنَّا قَدْ قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ**».

ق. لوقا هنا يوافق ق. متى أن هيرودس رئيس ربع وليس ملكاً، اللقب الذي أعطاه له ق. مرقس على وجه ما يقوله الناس. والمقصود هنا ما عمله المسيح من معجزات أرعبت قلب القاتل، وخاصة بعد ما جاء التلاميذ يحكون عن أعمالهم أيضاً فذاع صيت المسيح بالأكثر. فارتاب هيرودس خوفاً على نفسه. ولكن ما شاع عن قيامة يوحنا من الموت جاء في غير موقعه ومعناه، إذ لم يُسمع من قبل مثل هذا، ولكنها رُعبة أدخلها الله في قلبه نظير ما اقترفت يداه.

9:8 «**وَقَوْماً: إِنَّ إِيلِيَّا ظَهَرَ. وَآخَرِينَ: إِنَّ نَبِيًّا مِنَ الْقُدَمَاءِ قَامَ**».

واضح أن قول الناس إن إيليا "ظهر"، كان بسبب أن إيليا لم يمت ولكنه أُخذ إلى السماء حيًّا. فاليهود كانوا يترقَّبون ظهوره تتميماً للنبوات أن إيليا سيأتي قبل مجيء مسيًّا كقول ملاخي. ولكن الشعب ظنَّ أن المسيح أخذ عمل إيليا لكي يبشِّر بالنهاية، وليس هنا مكان تصحيح لأفكار الناس. أمَّا قولهم إنه أحد الأنبياء القدامى قد قام ففي إنجيل ق. مرقس قال تلاميذه هذا القول بالنسبة للمسيح حسب قول الناس (مر 8:28).

9:9 «**فَقَالَ هِيرُودُسُ: يُوحَنَّا أَنَا قَطَعْتُ رَأْسَهُ. فَمَنْ هُوَ هذَا الَّذِي أَسْمَعُ عَنْهُ مِثْلَ هذَا! وَكَانَ يَطْلُبُ أَنْ يَرَاهُ**».

مما زاد اضطراب هيرودس قول الناس إن يوحنا قد قام من الأموات، فكان ردُّه المباشر أنه قطع رأسه فمن أين يقوم. ثم أنَّ توقُّف ق. لوقا عند هذه الكلمة يفيد أن ق. لوقا توقَّف أيضاً عن

التفكير أو أنه أفاد إفادة عاد ومحاها، أو حطَّم قلمه!! وجلس ينعي هذا القديس البار. إنها لعنة البشر إراقة الدماء البريئة بل الشريفة بل القديسة.

3 ـ إطعام الخمسة آلاف

(17-10:9)

(مت 21-13:14)
(مر 6: 30 - 44)

هنا نقدِّم رؤية متسعة لمعجزة إطعام الخمسة آلاف رجل من الخمسة أرغفة. فبعد عودة الاثني عشر الذين كنَّا ندعوهم بالتلاميذ، ابتدأ ق. لوقا بعد ذلك عند رجوعهم بالأخبار السارة أن يدعوهم **بـ"الرسل"** للمسيح. وبعد أن استمع إليهم المسيح أخذهم جانباً ربما للراحة والمراجعة وسماع بقية أعمالهم، ولكن منعتهم الجموع المتراصة التي اعترضت طريقهم إلى الراحة. وهكذا قبِلَ المسيح الوضع وبدأ يخدمهم بالكلمة والأشفية. وهناك في نهاية النهار لمَّا حاول التلاميذ الحصول على طعام لم يجدوا، فالمكان كان قفراً، فكانت ورطة بالنسبة لهم وللجموع المحيطة بهم. ولم يحسبوا حساب الرب وكنوزه التي لا تفرغ والتي لا تزيد إلاَّ عند الحاجة وتفيض لمزيد من الإيمان ليكتبه التاريخ ويقرأه إلى الآن. اثنان وأربعون جيلاً يقرأون قصة الخمسة آلاف والاثنتي عشرة قفة!! ولكن مع قصة الخمسة آلاف رجل والخمس خبزات بقيت لنا العقيدة وبقي لنا مَنْ هو هذا!! وبقيت لنا العلاقة السرِّية بين المن السماوي الذي أشبع شعب إسرائيل بأكمله أربعين سنة والخمس خبزات والسمكتين التي أشبعت خمسة آلاف رجل وفضل عنهم اثنتا عشرة قفة، ثم ينكشف السر أكثر وإذا هو نفسه الخبز الحي النازل من السماء الذي يأكله الإنسان ولا يموت. الخبز في القديم أي المن كان لقوام الجسد، فلمَّا مات الجسد كفَّ المن، وهنا الخبز الحي: يموت الجسد ويبقى الإنسان حيًّا به.

هذه القصة تُردِّدها الأناجيل الأربعة ويضعها ق. مرقس في الربيع على مسافة بعيدة من الصليب (مر 39:6) وفي إنجيل ق. يوحنا (4:6).

وهنا لا تفوتنا الملاحظة أن التلاميذ راجعون من التبشير بملكوت الله، فأكمل لهم المسيح الحديث عن ملكوت الله. فهنا في إشباع الجموع صورة للملكوت من الخارج، كيف يُطعِم الراعي الصالح قطيعه بالكلمة، فبالخبز وحده لا يحيا الإنسان ولكن الخبز وعليه كلمة الله يصير خبز الحياة يُشبع الجسد في مفهوم القصة ويُشبع الروح في مفهوم السر. لأن الكنيسة جمعت بين الملكوت والخمس

خبزات في سرٍّ واحد. وعندنا التقليد الكنسي مرسومٌ على حجارة من القرن الثالث مُشيراً إلى الإفخارستيا بالخمس خبزات والسمكتين. فهكذا يسندنا التقليد مع الإيمان الحي بصدق القصة وصدق التفسير.

ويلزمنا أن نعرف أن هناك ست روايات لإكثار الخبز والسمك وإطعام الجموع، اثنتان للقديس مرقس واثنتان للقديس متى وأخرى للقديس يوحنا والسادسة للقديس لوقا، مع الفروقات في الرواية وفي هدفها.

ففي قصتي إشباع الجموع عند ق. مرقس، الهدف واضح أن المسيح يطعم الجموع كصدى لعمل العهد القديم في إرسال المن من السماء، ونجد في إنجيل ق. يوحنا أن المسيح فسَّرها هكذا بنفسه، أمَّا في إنجيل ق. لوقا فالهدف كان إظهار مسيَّانية المسيح، وقد مهَّدت هذه الآية لاعتراف ق. بطرس بعد ذلك أنه هو المسيَّا.

واستطاعت الكنيسة في كل عصورها أن ترى قصة إطعام الخمسة آلاف رجل من الخبزات الخمس مثالاً حيًّا للإفخارستيا، وأن الذي كسَّر الخمس خبزات بعد أن باركها، وأعطى كل الناس لتأكل هو هو الذي قدَّم جسده على الصليب كذبيحة تؤكل في سرّ خبزة المحبة التي للشكر. كما رآها آباء كثيرون أنها كانت وليمة ملكوت الله بلا نزاع، وبالأخص كما رآها ق. لوقا (15:14): «طوبى لمن يأكل خبزاً في ملكوت الله» وفي رأينا، تُعتبر قصة الخمس خبزات والسمكتين بكل ملابساتها ونطقها خاصة كسر الأرقام سواء الخمسة آلاف أو الاثنتي عشرة لتمتد إلى ما لا نهاية، هي أعظم تعبير عمَّنْ هو المسيح الذي أمامنا ولماذا جاء وماذا أعدَّ لنا عند الآب؛ بل لم يَفُتْ هذا المعنى عن نفس الجموع إذ قاموا واحتاطوا به ليعملوه ملكاً بالقوة، الأمر الذي راود أذهان التلاميذ أيضاً مما جعل المسيح **"يأمر"** التلاميذ في الحال بالإبحار تواً وصرف الجموع. صحيح كانت نظرة الشعب ماديّة ولكن كان مصدرها روحياً بكل تأكيد، بمعنى أن هذا هو الملك الآتي ليعمل لنا أعمال الخلاص والسلام عوض عبودية الرومان ونكد الزمان.

فالمسيح في قصة إشباع الجموع بهذه الأرقام يصلح بكل تأكيد أن يكون ملك العالم كله في نظر بؤس الإنسان، لأنه أثبت حقًّا وعلى مستوى الأرقام أنه قادر أن يجعل العالم لا يجوع، ومقتدر أن يذلّل هيجان الطبيعة ويشفي كل أنواع الأمراض. لأنه لو أردنا أن نقول الحق فالمسيح بما صنعه على مستوى المادة فتح أعيننا على ماذا سيكون على مستوى الروح، وإن كانت قدراته على أمور العالم والجسد هكذا تَسخر من المحدوديات وتتحدَّى الآلام والأمراض بل وتتحدَّى الموت نفسه بكل

دوافعه وآثاره، فنحن نكون عمياناً فاقدي البصر إن لم نهتف: هذا هو ملكوت الله على الأرض يتجلَّى ويُلمس ويُؤكل ويُسمع. فماذا يتبقَّى للإنسان ليؤمن بالمسيح الآتي وملكوت الله بعد ذلك في السماء في موطن اللازمن واللامحدود واللامعقول التي نسميها الأبدية السعيدة أو مطلق الحب والسعادة والحياة.

والمسيح لمَّا قال: «ملكوت الله داخلكم» (لو21:17)، لم يقصده أنه موجود على مستوى أشكاله ومظاهره، بل على مستوى الوعي بالمطلق، فالمسيح فتح ذهننا لندرك المكتوب ولندرك ما هو ليس مكتوباً، ندرك في وعينا كيف ينكسر من الآن قانون الجاذبية وقانون الأرقام والزمان والألم والموت. ومن هنا جاءت الصعوبة الرهيبة التي تواجهنا في تصوُّر ملكوت الله وحقيقة المسيح في الله. لأننا ولدنا وعشنا وأخذنا بالميراث أن نحيا في المحدود لا نقوى أن نتخطَّاه وإلاَّ قيل عنَّا أننا مجانين. هذه القوانين المادية والأرضية طوق من حديد أُغلق على عقلنا وعلى تصوراتنا. وأمَّا الحياة بالروح أو الأبدية السعيدة أو ملكوت الله فهي تتخطَّى كل ما عرفه وأدركه الإنسان إلى ما لا نهاية، والإحساس بما لا نهاية هو المستحيل بعينه. إذن، أصبح على المسيح أن يسير على الماء وأن يقيم من الأموات ويشفي كل مرض ويطرد الشياطين من أجساد الناس، ولكن فوق ذلك كله أن يكسر رقم خمسة ويكسر من بعده رقم اثنتي عشرة. إذن، ممكن لك الآن بكل سهولة أن تجعله خمسين مليوناً أو بليوناً أو العالم كله ليأكل من الخبزات الخمس التي كسرها المسيح، وبعد ذلك يُرفع الفائض فإذ هو لا يسعه العالم!! كان لابد أن يصنع المسيح هذا ليجعلنا نحس أو نفهم أو نؤمن بأنه هو ابن الله، وأنه جاء ليدعونا لنحيا في حياة الله التي ليس فيها حزن بعد ولا كآبة ولا تنهد ولا شمس تنير ولا قمر يضيء لأن الله هو النور!!

والعالم كله يصرخ: هناك نقص في الغذاء والعالم مهدَّد بالجوع، وهناك نقص في الماء والعالم والزرع مهدَّد بالعطش والموت. أبداً هذه رؤية مزيَّفة، فالعالم محتاج لله **فقط** ولا يظن ظان أن العالم ممكن أن يفنى من جوع أو عطش أو بالقنبلة النووية، بل الذي سيقتله هو نقص المحبة وأخاف أن أقول انعدامها، والقضاء كما يقول الروح في العهد القديم يبدأ من بيت الله، فرجال الله هم المسئولون عن كارثة العالم!! وإلاَّ فمنذا يقول إن العالم يخلو من خمس خبزات وسمكتين، ولكن العالم خلا حقًّا من الذي يبارك ويكسر الخبز. وهنا أرسلهم محمَّلين بقوة الكلمة للكرازة وعمل المعجزة سواء بالشفاء أو إخراج الشياطين.

ويلاحَظ أن ق. لوقا وهو يأخذ من إنجيل ق. مرقس حذف موضوع تعب التلاميذ وقَصْد

المسيح للراحة عندما طلب أن يذهبوا إلى مكان بعيد، فيظهر أن ق. لوقا كان متعجّلاً دائماً لينقل للقارئ ما للمسيح، وعين ق. لوقا مسلّطة في هذه المعجزة على سر العشاء الرباني أو الإفخارستيا، معتبراً أن هذه القصة تحمل كل عناصرها بألفاظها "**فكلمات التأسيس**" = الصلاة على الخبز والخمر، موجودة بحذافيرها: "ونظر إلى فوق وبارك وكسر وأعطى".

وبالتالي يكون مَنْ مدَّ يديه وكسر الخبز هو الذي مدَّ يديه على الصليب ليكرّس الجسد للذبيحة، ثم إلى إطعام الكنيسة وإعطائها السر لتكرّره ويظل هو في وسطها يكسر الخبز لأنه حقّق وعده: «أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (مت 20:28). يكسر الخبز ويسقي الكأس بيده كما تؤمن بذلك الكنيسة الملهمة بالروح أن المسيح نفسه هو الذي يُطعم جسده للشعب بيديه ويسقيهم دمه بالكأس، وإنما تحت صورة يد الأسقف أو الكاهن حينما يكسر الخبز أو يسقي من الكأس. فجوهر سر الإفخارستيا مهيب بسبب أن المسيح هو الذي يقتطع من جسده ويعطي، ومن دمه المهراق في الكأس يسقي. لذلك ففي منطق اللاهوت أن الكاهن أو الأسقف ليس هو الذي يمارس السر بل المسيح. فسيَّان كان الأسقف أو الكاهن قدّيساً أو غير قديس، طاهراً أو غير طاهر، فهو يحمل دينونة نفسه، ولكن السر لا يتأثّر لأنه في عرف اللاهوت الأرثوذكسي عن يقين أن المسيح هو الذي يبارك ويكسر ويُطعم، ومن الكأس يسقي بنفسه الخاطئ ويفرح بكل خاطئ يأتي إليه.

لذلك في منطق سر الإفخارستيا الإلهي أنه طعام عدم الموت أو خبز الحياة الأبدية، وبالتالي هو من خصائص وأساسيات سر الملكوت، هنا على الأرض. فالذي يتعاطى سر الإفخارستيا بالروح فهو يتعاطى المسيح ويشترك معه في كل ما يخص المسيح عند الآب أيضاً.

وهكذا يتحدَّى الإنسان الذي يحيا حسب الروح وليس حسب الجسد بتناوله من هذا السر، يتحدَّى العالم والموت وكل ضيقات الحياة. فهو في الملكوت يعيش ولا تفصله عن المسيح أي قوة شريرة، ولا الشيطان نفسه بقادر أن ينزع حب الله منه أو يمس إنسانه الجديد في كيانه. فالإفخارستيا "ترياق عدم الموت" تأتي هنا بمعنى التحصين الإلهي، أو بمعنى أوضح وأوقع: أن مَنْ ينال المسيح في أحشائه كيف يموت؟ ألم يقل هو: أنا هو خبز الحياة فمَنْ يأكلني يحيا بي ولا يموت إلى الأبد ولا يأتي إلى دينونة؟!! (يو 24:5، 48:6، 57، 58)

فما هو عذرك أيها الإنسان الذي تقول لو كنَّا في أيام المسيح ورأيناه وأمسكناه بأيدينا. هذه الأمنية حقّقها المسيح بجعل جسده ودمه في متناول كل الكنيسة وكل إنسان، و «طوبى للذين آمنوا ولم يروا» (يو 29:20)، «الذي وإن لم تروه تحبونه، ذلك وإن كنتم لا ترونه الآن لكن تؤمنون به

فتبتهجون بفرح لا يُنطق به ومجيد.» (1بط 8:1)

10:9و11 «**وَلَمَّا رَجَعَ الرَّسُلُ أَخْبَرُوهُ بِجَمِيعِ مَا فَعَلُوا، فَأَخَذَهُمْ وَانْصَرَفَ مُنْفَرِداً إِلَى مَوْضِعِ خَلاَءٍ لِمَدِينَةٍ تُسَمَّى بَيْتَ صَيْدَا. فَالْجُمُوعُ إِذْ عَلِمُوا تَبِعُوهُ، فَقَبِلَهُمْ وَكَلَّمَهُمْ عَنْ مَلَكُوتِ اللهِ، وَالْمُحْتَاجُونَ إِلَى الشِّفَاءِ شَفَاهُمْ**».

القديس لوقا حذف هنا علة أخذ المسيح للتلاميذ إلى مكان قفر بعيداً عن الناس، إذ كانوا قد جاءوا متعبين. وهذا هو أسلوب ق. لوقا: يصفّي الحدث بما يكفي لإظهار جوهر القضية، وهو هنا في اعتبار ق. لوقا أولاً إعطاء صورة لملكوت الله ثم صورة للإفخارستيا، وذلك صدى لخبرة التلاميذ العملية الآن من نحو عمل الله بقوة معهم. والكنيسة التي يمثّلها هنا الاثنا عشر تُقدِّم هاتين الحقيقتين: فالكنيسة تُجسِّم معنى وحقيقة ملكوت الله بتوضيح قوة الله في الحياة اليومية، ثم سر الخبز والخمر في معنى قوة الخلاص التي أحبوها واندهشوا لها. أمَّا الشفاء الذي كان يجري على أيديهم فهو لأن قوة المسيح كانت معهم، وهذه الثلاثة هي أركان خدمة المسيح والكنيسة معاً على الأرض.

12:9 «**فَابْتَدَأَ النَّهَارُ يَمِيلُ. فَتَقَدَّمَ الاِثْنَا عَشَرَ وَقَالُوا لَهُ: اصْرِفِ الْجَمْعَ لِيَذْهَبُوا إِلَى الْقُرَى وَالضِّيَاعِ حَوَالَيْنَا فَيَبِيتُوا وَيَجِدُوا طَعَاماً، لأَنَّنَا ههُنَا فِي مَوْضِعٍ خَلاَءٍ**».

الميعاد تأخَّر وهو ميعاد أكل الناس عموماً، وهنا نلاحِظ ظلاً واقعاً من بعيد على ميعاد عشاء الرب الأخير، وهو نفسه كان في الكنيسة الأولى حين كان يُقام سر الإفخارستيا في العشاء[190] وليس في الصباح (ارجع إلى صفحة 245). واضح هنا للقارئ أن الجموع التي تبعت المسيح ليست من سكّان المكان، والمكان فعلاً قفر لا يصلح لمبيت ولا يوجد فيه ما يؤكل. وربما كان المكان أيضاً ليس أرضاً يهودية بل قفراً تابعاً لأراضي المدن العشر الأممية، حيث يعزّ الضيافة والمبيت.

13:9 «**فَقَالَ لَهُمْ: أَعْطُوهُمْ أَنْتُمْ لِيَأْكُلُوا. فَقَالُوا: لَيْسَ عِنْدَنَا أَكْثَرُ مِنْ خَمْسَةِ أَرْغِفَةٍ وَسَمَكَتَيْنِ، إِلاَّ أَنْ نَذْهَبَ وَنَبْتَاعَ طَعَاماً لِهذَا الشَّعْبِ كُلِّهِ**».

هنا الظرف المتحكّم حيث هم في القفر، والمكان ليس مأهولاً باليهود، ليعطي إشارة من بعيد أننا وكأنَّا في برية سيناء. ولا يصعب على القارئ أن يطبِّق في الحال ما سيكون. فإن كانت السماء هذه المرَّة لا يمكن أن تُنزل منَّا، لأن المن الحقيقي في وسطهم، إذاً حتماً سيأكل الشعب بمعجزة. ولكن

(190) في قوانين القديس أثناسيوس جاء ذكر الجسد والدم في سر الإفخارستيا الذي كان يُصنع في المساء هكذا:
[القانون 78: أنهى عن إبقاء شيء من الجسد المقدَّس من المساء إلى باكر.] (مصباح الظلمة لابن كبر صفحة 143)

عين التلاميذ لم تكن لمَّاحة إذ لم تلحظ التعليم في أعماقه إذ تحرَّكت أفكارهم نحو الشراء، وحتى الشراء يتعذَّر إذ ليس معهم نقودٌ. هنا قصور عقل الإنسان أمام مواقف سمائية وإلهية مهيبة. وهنا الدرس الذي يريد ق. لوقا المعلّم أن يعطيه للكنيسة ليدخل رسمياً إلى تقليدها: أن الكنيسة مسئولة عن إطعام الشعب الجائع حتى ولو كانت فقيرة وليس لديها فلسان ولا لحسة زيت ولا شيءٌ في كُوَّار الدقيق. فهنا يؤسِّس الرب مبدأ على استفسار التلاميذ أن الكنيسة مسئولة وليس لها أن تتجاهل منابع الزيت والدقيق الذي وضعته أرملة صرفة صيدا في خزانة الكنيسة، أو تتجاهل صنارة ق. بطرس فهي سند كبير يمكن أن يُطعم ويملأ الخزانة بالمال، هذا بجوار الاثنتي عشرة قفة التي أمر المسيح أن تستودع في مخازن الكنيسة لوقت الحاجة. لأننا نحن، بالرغم من النعمة التي نحن فيها مقيمون، ولكن نحتاج لبواقي وفضلات القديسين نسند بها قلبنا إن جفَّ نبعه الجديد. كذلك شبكة ق. بطرس التي كانت قد طُرحت على يمين السفينة موجودة في خزانة الكنيسة يمكن أن تنفع ساعة القحط وتعب الليل كله ولا يوجد الإدام.

آه لو دريتْ الكنيسة مقدار غناها!! وحقيقة دورها في عالم اليوم! فعالم اليوم يصرخ بلسان عجز التلاميذ: ليس عندنا في خزينة الأمم المتحدة إلاَّ 200 دينار. وما هذا بالنسبة للمسكونة كلها. وما أشبه اليوم بالبارحة، ولكن المُثُل التي وضعها المسيح لم يستغلها الأمناء فباتت تنعي أصحابها.

«ليس عندنا أكثر من خمسة أرغفة وسمكتين، إلاَّ أن نذهب ونبتاع طعاماً لهذا الشعب كله»:

إن أرقام رئيس مالية كل كنيسة لا تكذب فهي دائماً أقل ودائماً لا تكفي لشيء، هذا كله يسمعه الله ويتعجَّب ويقول: ألا يوجد في وسطكم صبي تكون أُمه قد دسَّت في مخلاته خمسة أرغفة وسمكتين؟ فقبل أن يعلن الرؤساء إفلاسهم ينبغي أولاً أن يصرخوا إلى الرب، فالرب لا يمطر من نفسه ذهباً ولا فضة ولكنه يضعها في مخلاة صبي. فلتبحث الكنيسة عن الإيمان الذي فيها، فرُبَّ صبياً له عند المسيح دالة، فالمسيح سبق وألهم الصبي أن يطالب أُمه بالخبزات والسمكات قبل أن يجري مع الرفاق ليلحقوا بالمسيح، أو تكون أُمه وضعتها في مخلاته متوسلة أن يستخدمها وقت الجوع. فالنعمة تتكفَّل من ذاتها بترتيب كل شيء وليس علينا إلاَّ أن نبحث عن المُلهَمين الذين أعطتهم النعمة مسئولية الجماعة كلها وهم لا يدرون.

الكنيسة لا يعيبها المالية الفقيرة سواء كان لها يهوذا أو هي من ذاتها وُلدت فقيرة، ولكن يعيبها جداً أن تستهين بالمُلهَمين وأصحاب القلوب المفتوحة للصلاة وأصحاب المواهب، فهؤلاء قادرون أن يملأوا الكنيسة ذهباً بل وكل الكنائس والعالم.

14:9و15 «لأَنَّهُمْ كَانُوا نَحْوَ خَمْسَةِ آلاَفِ رَجُلٍ. فَقَالَ لِتَلاَمِيذِهِ: أَتْكِئُوهُمْ فِرَقاً خَمْسِينَ خَمْسِينَ. فَفَعَلُوا هكَذَا وَأَتْكَأُوا الْجَمِيعَ».

كان ترتيب الشعب فرقاً مئات وخمسينات وعشرات قد تمَّ لأول مرَّة أيام موسى (خر 21:18). أمَّا الخبز فيذكّرنا بالمن السماوي.

أمَّا الأمر بجلوس الشعب فجيد، أمَّا أن يجعلوهم صفوفاً والعدد خمسين فهذا رفع من اندهاش كل من الناس والتلاميذ، أين الطعام؟ فالشعب يعرف أنه ليس من خبز ولا إدام (غموس) فمن أين يأتي بالطعام؟ وهنا في الحال استحضر الشعب ذكرى المن السماوي، بل وحتى المن غير منتظر لأن المن كان يسقط والشعب في خيامه، وفي الصباح كل واحد يجمع لنفسه. وهذه أول إشارة لسرِّية القصة التي ستتعجَّب عليها البشرية كل الأيام والسنين. لأن وضع هذا الشعب هكذا صفوفاً صفوفاً وكل خمسين معاً يعني أن المن في وسطهم ولن يقوموا ليبحثوا عنه لا في السماء ولا على الأرض، إذ حتماً سيأتيهم وهم جلوس!!

16:9 «فَأَخَذَ الأَرْغِفَةَ الْخَمْسَةَ وَالسَّمَكَتَيْنِ، وَرَفَعَ نَظَرَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَبَارَكَهُنَّ، ثُمَّ كَسَّرَ وَأَعْطَى التَّلاَمِيذَ لِيُقَدِّمُوا لِلْجَمْعِ».

كل عيون الشعب مسلَّطة على الرغيف الذي في يد الرب، والكل رآه وهو يرفع عينيه نحو السماء فابتدأ الشعب يحس بالسرِّ لأن هنا الآن الخبز أخذ السر، سر البركة، من فوق من الآب ومن يد المسيح وقوة الروح القدس التي بدأت تكسر وتعطي الشعب، وإذ بالرغيف الذي انكسر لا يريد أن ينقص. هنا القوة والسر في الكسر katšklasen، هنا فعل سماوي روحي لاهوتي أزلي أبدي معاً، مطلق بمعنى فعل لا ينتهي. لقد ابتدأ سر الإفخارستيا كفعل بركة وشكر من فم المسيح وهو يدعو الآب ليشترك بالروح! "سر الكسر" كفعل خَلْق مستتر في الكسر وفي اليد التي تكسر، يملأ كل تلميذ حجره، وبمجرَّد ما يستدير ويعطي المسيح ظهره ليمشي يعود الرغيف بكماله الذي كان عليه. الخبز حقيقي خبز قمح ولكن الكسر فعل إلهي لا يتأتَّى منه نقص، فبمجرَّد أن ينكسر يعود الرغيف صحيحاً وكأنه لم ينكسر. وهذه سمة الروح لا ينكسر ولا يتغيَّر ولا يزول وفيه القوة غير المنظورة وغير المحسوسة، يأخذها المتناول في فمه لتدخل أحشاءه لتصنع عملها الروحي، وهي بآن واحد خبزة تُؤكل وتُهضم ولكن أثرها الروحي باقٍ في الإنسان. اللقمة الصغيرة كالكبيرة لأن الخواص الطبيعية لا تهم، ولكن عمل الروح الذي فيها يعمل عمله في الإنسان الذي يقبلها بالروح والإيمان: «فمن يأكلني فهو يحيا بي.» (يو 57:6)

كل لقمة خرجت بالقسمة تخرج حيَّة ولها سمات الروح الأبدي الذي ليس له أي صفة مادية أو حسِّية من أي شكل. كل لقمة مهما صغرت هي بحد ذاتها تعبِّر عن المسيح ككل لأنها خبزة حيَّة بالسر روحية بالجوهر، والحياة والروح لا يتجزَّآن، فهي تعبِّر عن الكمال الذي في المسيح وتحمل قوة من قوَّته للشفاء ولكل عمل روحي تعمل. «اثبتوا فيَّ وأنا فيكم.» (يو 4:15)

17:9 **«فَأَكَلُوا وَشَبِعُوا جَمِيعاً. ثُمَّ رُفِعَ مَا فَضَلَ عَنْهُمْ مِنَ الْكِسَرِ اثْنَتَا عَشْرَةَ قُفَّةً».**

يُلاحِظ القارئ أن هناك فعلان "شبع"، و"فضل"، الامتلاء والفيض. وهذا هو سمة العمل السماوي «الكيل الملبَّد المهزوز» أي الملآن الفائض، لأن كل هزَّة في الملء تجعله يفيض. أتوا إلى المسيح جائعين فارغين فذهبوا شباعى، والذي فاض عنهم يملأ اثنتي عشرة قفة.

مثال الخمس خبزات والخمسة آلاف ثم الشبع حتى يفضل اثنتا عشرة قفة ملآنة يعبِّر تعبيراً سرِّياً بديعاً عن مدى اتساع التحوُّل من المادي إلى الروحي، لأن في هذه الأرقام بلاغة ومنطق، فالمسيح بروحه كَسَرَ حدود الأرقام ليحوِّلها إلى أرقام أخرى تتصل باللانهائي. فالخمس خبزات حينما انكسرت بالسر على يد المسيح أطعمت خمسة آلاف، فعلى أقل تقدير أخذ كل واحد رغيفاً وسمكة، فالخمسة صارت خمسة آلاف. والسؤال هنا، ولو فُرض أنهم كانوا خمسة آلاف مليون أو المسكونة كلها بأكملها، بل نحن نطمع في اللانهائي هنا والمطلق، فالخمسة ممكن أن تمتد حتى إلى اللانهائي والمطلق. وهنا المسيح أثبت نفسه أنه الإله الأبدي والأقنوم الأزلي واللانهائي، الأول والآخر، البداية والنهاية. ألا يليق بالمسيح بهذا أن يكون ملكاً على العالم بل وصاحب الملكوت؟ فالرجال الذين شبعوا رأوا هذا في إنجيل ق. يوحنا وأرادوا بالفعل أن يمسكوه بالقوة لينصِّبوه ملكاً، وحتى التلاميذ مالوا إلى رأيهم لولا أن المسيح قد أنهى هذه المؤامرة اللطيفة وأمر التلاميذ أن يركبوا السفينة وبارك هو الجموع وصرفهم وذهب يصلِّي وحده. لأنه قبل أن يقبل الملكوت لابد أن يقبل الموت أولاً ويدفع ثمن خسران الإنسان ليُكسبه الحياة الأبدية معه، وإلاَّ فكيف يكون صاحب ملكوت يغيب عنه الإنسان، وعلى مَنْ يملك؟!

والإنسان اللبيب الحكيم يرى أن قصة الخمس خبزات والخمسة آلاف، وهي القصة التي انكسر فيها رقم (5) ليمتد إلى اللانهائية بلا توقُّف ولا حدود، تمثِّل سر تحول المادة في يد المسيح إلى روح، والزمن إلى أبدية وخلود، الأمر الذي تجسَّد ليكمِّله في نفسه والإنسان معه.

4 ـ اعتراف بطرس
(9:18-20)

(مت 16:13-16)
(مر 8: 27 - 29)

حقَّ للمسيح جداً بعد هذه القصة أن يسأل تلاميذه: تُرى مَنْ أكون أنا؟ التي جاءت إجابتها متفرِّقة بين (18-20، 21و22، 23-27، 28-36) ويظل هذا السؤال يُفَسَّر في (9: 37-50). وردًّا على سؤال المسيح أعطى التلاميذ له انطباعهم عنه ولكن آخذين برأي العامة من الناس، لأنهم هم أنفسهم لم يصلوا بعد إلى معرفة شخصية معلّمهم، إذ عسر عليهم أن يصلوا إلى قرار من أنفسهم، فأعطاهم الله من فوق ما يقولون لكي يكون هذا أول كشف عن شخصية المسيح ينطقها إنسان وهو لا يدري بما ينطق. لأن التلاميذ وقف تفكيرهم عند اعتقادهم فيه أنه نبي ولكن يعمل أعمالاً لم يعملها نبي، أن يقيم ابنة يايرُس من الموت شيء جديد جداً على أذهانهم، وأن يُطعم خمسة آلاف من الرجال ما عدا النساء والأولاد في برية من خمس خبزات وسمكتين رفع تقديرهم للمسيح عن ما هو أكثر من نبي، ولكن ماذا يكون؟ ولكن بقي أمر واحد في ذهنهم أن مَنْ ينتظره الشعب ليخلّص الأُمة يتحتَّم أن يكون أكثر فعلاً من نبي، ولكن ماذا يكون؟ لذلك فالإيحاء الذي سمح به الله أن يملأ فكر ق. بطرس وإيمانه أنه هو المسيَّا الآتي لم يكن مصادفة ولا من فراغ، فالتلاميذ جمعوا من الأدلة في حياة المسيح ما يؤكّد لهم أنه المسيَّا، ولكن كل مرَّة يحاولون أن يثيروا هذا الافتراض يمنعهم المسيح حتى يمكنه أن يتمِّم خدمة "ابن الإنسان" أو "العبد المتألّم"، ويحمل بالفعل خطايا الأُمة وازدراءها من واقع حي، بمعنى كشف واقع الشعب والرؤساء في علاقتهم المتدهورة بالله. لذلك تركهم المسيح ليتصرَّفوا بتلقائيتهم دون أن يُظهر نفسه ليتحمَّل بالفعل ما كان يتحمَّله الله في سلوكهم وضمائرهم حتى النهاية. فإخفاء المسيح لمسيَّانيته أرهق العلماء للغاية وقالوا فيه ما قالوا، ولكن الأمر واضح، إذ يلاحظ القارئ أن المسيح كرَّر كثيراً وعن عمد أنه يعمل أعمال الله ويقول أقوال الله ولا يعمل أو يقول شيئاً من نفسه:

+ «أنا أتكلّم بما رأيت عند أبي ... أنا إنسان قد كلّمكم بالحق الذي سمعه من الله.» (يو 8: 38و40)
+ «فقال لهم يسوع: متى رفعتم ابن الإنسان فحينئذ تفهمون أني أنا هو ولست أفعل شيئاً من نفسي بل أتكلّم بهذا كما علّمني أبي. والذي أرسلني هو معي ولم يتركني الآب وحدي لأني

في كل حين أفعل ما يرضيه.» (يو 8:29)

+ «تعليمي ليس لي بل للذي أرسلني. إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم هل هو من الله أم أتكلّم أنا من نفسي.» (يو 7: 16و17)

بل هو إنما جاء ليعطي صورة كاملة لله عملياً في كل شيء، ذلك لينبِّه الشعب الجاهل أنهم برفضه يرفضون الله، وبعدم السماع له فهم يسدُّون آذانهم عن صوت الله. وبمعنى أعمق فإن الله أرسل ابنه متجسِّداً وله كل ما لأبيه، أولاً ليكشف عصيان هذه الأمة لله وعقوقها وعدم صلاحية رجال الدين ورؤساء الشعب أن يحملوا الأمانة للعهد الجديد، ذلك قبل أن يعمل عملية الفداء العظمى ليُدخل ملء الأمم إلى حظيرة الله. وهذا الكلام واضح تماماً في مَثَل الكرَّامين الأردياء الذين قتلوا أنبياء الله وعادوا وقتلوا ابنه الوحيد فأصبحوا مرفوضين، وقد أحرجهم المسيح بهذا المثل حتى نطقوا هم بأنفسهم الحكم على أنفسهم، إذ بعد أن قال مثل الكرَّامين قال للكتبة والفريسيين: «فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرَّامين؟ قالوا له أُولئك الأردياء يهلكهم هلاكاً ردياً ويسلّم الكرم (ملكوت الله) إلى كرَّامين آخرين (الأمم) يعطونه الأثمار في أوقاتها ...» فرد المسيح عليهم بعد أن فضحهم: «لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله يُنزع منكم (بمعنى أن ملكوت الله في العهد الجديد هو أصلاً لهم حسب الوعد) ويُعطى لأمة تعمل أثماره.» (مت 21: 33-41)

9:18 **«وَفِيمَا هُوَ يُصَلِّي عَلَى انْفِرَادٍ كَانَ التَّلاَمِيذُ مَعَهُ. فَسَأَلَهُمْ قَائِلاً: مَنْ تَقُولُ الْجُمُوعُ أَنِّي أَنَا؟»**

يُلاحَظ هنا أن ق. لوقا لاعتباره أن ما سيأتي من اعتراف بإيمان المسيَّا ربما يكون أخطر عملية في مراحل التعليم، لذلك وضعها في موضع الصلاة، في حين أن ق. مرقس جعل هذا الاختبار وهم سائرون في الطريق نحو قيصرية فيلبُّس. من ذلك نفهم أن التقليد الذي أخذ منه ق. لوقا أحاط هذه القصة بهيبة الصلاة لخطورة أهميتها. ويُلاحَظ أنه يبدو أن المسيح كان يصلّي مع التلاميذ، وهذه أول مرَّة نسمع بها أن المسيح كان يصلّي مع تلاميذه. وواضح أن هدف صلاة المسيح للآب في حضرة التلاميذ أن يفتح بصيرتهم ويعرِّفهم ما هو الملكوت الذي يسعون إليه ويخدمونه، ويكشف عن بصائرهم حقيقة يسوع! وقد جاءت استجابة الصلاة في الحال. والمسيح جعل سؤاله تدريجياً إذ ابتدأ من معرفة الناس عنه لأن رسالة المسيح بالأساس قائمة على مدى إدراك الشعب للمسيح. فإن استقرت معرفتهم على أنه "المُرسل" من الله والحامل لصورة جوهره: «الذي رآني فقد رأى الآب» (يو 14:9)، يكونون قد أدركوا في الحال أنه هو الآتي الحامل لهم الخلاص والحياة الأبدية: «إلى مَنْ نذهب. كلام الحياة الأبدية عندك» (يو 6:68). فرسالة المسيح متوقّفة على قبول إدراكهم لحقيقته وبالتالي رسالته.

19:9 «**فَأَجَابُوا وَقَالوا: يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ. وَآخَرُونَ إِيلِيَّا. وَآخَرُونَ إِنَّ نَبِيًّا مِنَ الْقُدَمَاءِ قَامَ**».

القول بأنه يوحنا المعمدان هو الذي كان يملأ أفكارهم، وواضح أنه نفس ما وصل آذان هيرودس القاتل، والسبب طبعاً أن موت المعمدان فجأة أحدث هزة قوية وسط الشعب، وكانوا ينتظرون ماذا سيحدث بعد ذلك، فقيامة المعمدان من الموت كانت منتظرة، وهو ما فهمه هيرودس أيضاً. أمَّا قولهم عن إيليا فهو تقليد يهودي قديم، وهو هنا يتناسب مع أعمال المسيح الإعجازية التي رأوها بالعين الكليلة أنه ربما يكون إيليا، وهذا معناه أن رسالة المسيح لازالت تحبو في قلوبهم بإيمان بدائي. أمَّا قولهم بأن أحد الأنبياء القدماء قد قام، فهو أيضاً تقليد قديم عن قيامة جزئية تكون أيام المسيَّا.

ولكن المسيح بسماعه هذه الاحتمالات علم أن رسالته المسيَّانية لا تزال مخفية.

20:9 «**فَقَالَ لَهُمْ: وَأَنْتُمْ، مَنْ تَقُولُونَ أَنِّي أَنَا؟ فَأَجَابَ بُطْرُسُ وَقَالَ: مَسِيحُ اللهِ**».

واضح أن إعادة المسيح للسؤال نفسه على تلاميذه معناه أنه غير راضٍ عن استجابة الشعب لشخصه: والآن يطلب من التلاميذ ما هو أصح باعتباره معهم ليل نهار.

استجابة بطرس كانت أسرع من بقية التلاميذ، ولكن يبدو أنه كان ينطق بلسان كل التلاميذ. «مسيح الله » cristÒj وقالها ق. يوحنا في إنجيله: «قدوس الله Ð ¤gioj »(يو 69:6). ولكن لم يكن بطرس أول المعترفين، فالملاك قالها ساعة البشارة: «إنه وُلِدَ لكم اليوم في مدينة داود مخلِّص هو **المسيح الرب**» (لو 11:2)، وعرفها سمعان الشيخ القديس وأعاد روايتها عنه ق. لوقا: «وكان قد أوحى إليه بالروح القدس أنه لا يرى الموت قبل أن يرى **مسيح الرب**» (لو 26:2). كذلك فإن الشياطين عرفوه: «فانتهرهم ولم يدعهم يتكلَّمون لأنهم عرفوه أنه المسيح.» (لو 41:4)

ويُلاحَظ أن ق. لوقا أضاف أكثر من ق. مرقس وق. متى أنه ليس "المسيح" فقط، بل "مسيح الله tÕn cristÕn toà Qeoà" معتبراً أنه ممسوح من قبل الله لعمل الله. ويصر ق. لوقا دائماً على إضافة المسحة لله، فنسمعها في نهاية الخدمة: «خلَّص آخرين فليخلِّص نفسه إن كان هو المسيح مختار الله» (لو 35:23)، وتأتي في اليونانية "إن كان هو مسيح الله المختار"، وكأن مسيح الله أو مختار الله ممسوحٌ ومختارٌ للآلام والموت، الأمر الذي أوضحه المسيح في إنجيل ق. لوقا بعد اعتراف ق. بطرس بقوله: «ينبغي أن ابن الإنسان يتألَّم كثيراً ويُرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويُقتل وفي اليوم الثالث يقوم» (لو 22:9). وهذه حقيقة لصقت باسم المسيح، فمعروف لنا عن إحساس قوي أن كلمة مسيح الله تعني طريق الفداء بالآلام والموت. فكلمة "مسيح" تحمل عندنا

رنين الألم والموت، هذه أظهرها لنا ق. لوقا بوضوح وكأنه سلّمها للكنيسة لتكون تقليداً وقد كان. ففي فكرنا دائماً أن اسم "المسيح" يعني حامل الألم والدم وليس مجرَّد الموعود أو صاحب الوعد. وقد انتقل هذا التقليد إلى الرسَّامين، فأهم صور **"المسيح"** تأتي في موضع الألم وإكليل الشوك والدم والمسامير في اليدين والرجلين، ولا يُذكر مسيح الفرح والمجد إلاَّ في حدود القيامة.

والذي أعطانا هذا التقليد ليكون هو إيماننا بالدرجة الأُولى هو تعليق المسيح المباشر على اعتراف بطرس أن المسيح ينبغي (must) **"يتحتَّم أن يتألَّم كثيراً ..."** بمعنى أن اسم "المسيح" يحمل الآلام الكثيرة. ولكن العجيب والمهم أنه انتقل إلينا: فاسم الإنسان **"المسيحي"** معناه حتماً حامل الصليب الذي يتمادى القوم ويُوشِمِوه على الذراع والكف، بمعنى أن الإنسان قد دخل في زمالة الآلام مع المسيح، ووصفها المسيح قانوناً روحياً: «إن أراد أحد أن يأتي ورائي (أي يدخل الملكوت) ... يحمل صليبه كل يوم ويتبعني» (لو 23:9). فالجلجثة دخلت ضمن قصة ميلادنا الثاني بالروح القدس، فهي برزخ العبور إلى الملكوت.

5 ـ رد المسيح على اعتراف بطرس

(9:21و22)

(مت 16:17-21)
(مر 8: 30 و 31)

تمهيد:

هذه اللحظات التي دعت المسيح أن يسأل عن رأي الناس فيه ثم رأي تلاميذه خاصة، تعبِّر عن دخول المسيح في منطقة حرجة للغاية من حياته وعمله. فهو بحسب إنجيل ق. مرقس (الذي نأخذه دائماً كقائد للتحرُّك العام المسجَّل في الإنجيل)، نجد أن هذا الحرج بدأ يظهر في منتصف إنجيل ق. مرقس تماماً في الأصحاح الثامن العدد (22)، أي منتصف الإنجيل وبالتالي منتصف الرواية المأساوية. فالمسيح سأل تلاميذه عن رأي الآخرين ورأيهم ليتحسَّس مدى احتمالهم للبدء في الإعلان عن آلامه وموته. وبالفعل ما أن نطق ق. بطرس بالحقيقة «أنت هو "مسيح الله"» حتى وضح أن العلامة قد بدأت، وهي استعداد التلاميذ أولاً. لأن كلمة "المسيح" كما سبق وقلنا تحمل معنى الآلام والدم. فأول عمل عمله المسيح أن انتهرهم أي أوصاهم بشدة أن لا يذكروا ذلك لأحد حتى لا يثيروا حوله الجو وتتعكَّر الكرازة الهادئة التي كان يقودها المسيح. ويُلاحِظ القارئ أن المسيح بدأ يسأل ذلك بعد

حادثة إطعام الجموع التي بعدها هاج الجمع وأرادوا أن يمسكوه بالقوة ويعلنوه ملكاً لإسرائيل (يو 15:6)، الأمر الذي يبدو أن تلاميذه أيضاً شاركوا الشعب في رأيهم، لولا تدخُّل المسيح السريع وأمره للتلاميذ أن يركبوا السفينة ويعبروا البحيرة وحدهم، وأسرع هو وفضَّ الجماعة وصرفها بسلام وذهب يصلّي على الجبل. لم تذكر الأناجيل كلها هذه الأمور، لكنها واضحة للغاية لمن يحلّل الحركات والكلام.

هنا في إنجيل ق. لوقا يبدو أن ق. لوقا قد فهم ذلك إذ أسقط الكلام الذي يفصل بين الخمس خبزات والخمسة آلاف وبين سؤال المسيح للتلاميذ عن مَنْ يقول الناس عنه، فظهر هذا السؤال بعد معجزة الخمس خبزات والخمسة آلاف مباشرة بنوع من الوعي الروحي الشديد حتى ينتبه ذهن القارئ دون أن يتدخَّل هو بالشرح. فواضح أن الجمع الذي أكل وشبع بهذه الطريقة المذهلة من خمس خبزات وسمكتين، فهمَ أن هذا هو المسيَّا دون أي شك. ولكون التلاميذ شاركوهم في هذا الرأي، عاد المسيح ـ بعد فترة لم يذكرها ق. لوقا ـ يسألهم عن رأي الناس ورأيهم. فبهدوء أعطاهم الفرصة أن يعبِّروا عن فكرهم، ولكن حذَّرهم من الإثارة لئلاً يفسدوا عليه المسيرة.

ثم أسرع المسيح وفي الحال أعطاهم فكرة عن ماذا يعني أن يكون المسيح هو "المسيَّا"، لأنهم فهموا ذلك عن طريق المعجزة والكلام وأراد أن يعلن لهم كيف يمكن أن مسيًّا يصير ملكاً. وبدأ يكشف لهم سر آلامه وموته، ولكن لئلاً يخوروا أكَّد لهم قيامته بعد ثلاثة أيام. ثم أردف بعد ذلك مباشرة بحقيقة أن عليهم هم وعلى كل مَنْ أراد أن يتبعه ويصير من مختاريه الذين يملك عليهم، أن يحمل أيضاً صليبه، بمعنى يتلقَّى الاضطهاد والآلام والموت ليدخل مملكة المسيَّا الحقيقية في السماء. فبدون صليب ليس إكليل.

بقي أن نشرح التحوُّل السريع من الاعتراف بالمسيح أنه مسيًّا على فم بطرس ثم الرد مباشرة من المسيح باعتباره ابن الإنسان، فقد لُوحِظ أن المسيح يلجأ لوصف نفسه بلقب ابن الإنسان كلما جاء ذكر الآلام أو وصف اتضاعه أو الإساءة إليه أو الرفض عوض الاعتراف به كابن الله.

21:9 **«فَانْتَهَرَهُمْ وَأَوْصَى أَنْ لاَ يَقُولُوا ذلِكَ لأَحَدٍ».**

«انتهرهم وأوصى»: ™pitim»saj ... par»ggeilen

وتجيء هنا بمفهوم الشدَّة، بمعنى: عنَّف، ولكنها أتت في (56:8): «فأوصاهما par»ggeilen أن لا يقولا لأحد» وقد جاءت سابقاً في (35:4) بالنسبة للشياطين بنفس العنف ™pet…mhsen.

ولكن هنا كلمة انتهرهم pitim»saj™ لا تأخذ صورة التعنيف بل القصد منها التوعية بشدة أو التوجيه، خاصة وأنه أورد معها كلمة أوصى «فانتهرهم وأوصى par»ggeilen » وهنا يلزم أن يأتي الكلام بعد ذلك في صيغة المصدر وليس فعل الأمر أن لا يقال ذلك لأحد، لأنه اعتبر أن الذي عرفه بطرس وقاله هو على مستوى الاعتراف وغير قابل للإشاعة، لا لأنه غير حقيقي ولكن لأنه حق، وإنما ليس هو ميعاد إذاعته وهو الآن فوق قدرة الاستيعاب عند الناس.

22:9 **«قَائِلاً: إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يَتَأَلَّمُ كَثِيراً، وَيُرْفَضُ مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلُ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ».**

إن الكلام هنا متصل مباشرة بما قيل في الآية السابقة، لذلك جاء الاتصال في "قائلاً" أي شارحاً سبب عدم إذاعة الحقيقة السالفة. ويجيء هنا لقب ابن الإنسان لأن العمل هنا يختص "بالمسيَّا" أو استعلانه أنه هو المسيَّا، وهذا سبب انتهاره لهم لأن زمان استعلان المسيَّا لم يأتِ بعد، ويُلاحَظ عادة فيما يختص بالآلام المزمعة وهي مسيانيته أنه فضَّل أن ينسبها لنفسه كابن الإنسان أي في حالة استعلانه، وإن كان قد نسب الآلام إلى نفسه كـ"يسوع المسيح" في (لو 26:24): «أما كان ينبغي أن المسيح يتألَّم بهذا ويدخل إلى مجده» كما نسبها إلى نفسه شخصياً كيسوع المسيح بعد قيامته هكذا: «وهكذا كان ينبغي أن المسيح يتألَّم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث» (لو 46:24)، فهو إنما يذكر صميم عمل يسوع المسيح حسب المشيئة الإلهية.

«يتألَّم كثيراً»: poll¦ paqe‹n

وتعني يتألَّم بأشياء كثيرة، ولهذا فإنها تجمع معاً ما عامله به اليهود والكتبة والفرّيسيون مع ما لاقاه من معاملة السنهدرين بالضرب والإهانة بجميع صورها، فجميع الآلام معاً استحضرها المسيح بكلمة poll£، لذلك أضاف إليها مستدركاً الرفض على طول المدى ¢podokimasqÁnai . فالآلام والرفض تجيء في وصف المسيح معاً، لأن آلام الرفض إذا شعر بها القارئ يجدها مفجعة وموجعة أكثر من الآلام بالنسبة لنفسية المسيح الذي جاء ومعه الأخبار السارة والمصالحة والتبني!! «محتقر **ومخذول** من الناس» (إش 3:53)، وقد جاءت في النسخة العبرية بما يتوافق مع الرفض(191).

«ويُقتل»: ka^ ¢poktanqÁnai

وقد تحوَّلت هذه الكلمة في الطقس لكلمة "يُصلب staurÒw" لأن كلمة يُقتل غير مقبولة

(191) Marshall, *op. cit.*, p. 370.

تقليدياً، فهو لم يُقتل ولكنه صُلب حتى الموت في التعبير الكنسي.

«يقوم»: ™gerqÁnai

وصحتها في الترجمة: "يُقام" وبآن واحد "يُرفع".

هنا جاءت هذه الكلمة عوض التي جاءت في إنجيل ق. مرقس ¢nastÁnai. وقد جاءت في المبني للمجهول ولم يلتفت إليها المترجم "يُرفع أو يُقام" للتعبير عن تدخُّل الآب.

6 ـ موقف التلاميذ من الصليب بعد ارتفاع المسيح

(27-23:9)

(مت 16:24ـ28)

(مـر 8: 34ـ9:1)

الكلام هنا للتلاميذ وكل مَنْ سيتبع المسيح. وهو يختص بموقفنا جميعاً من الصليب والآلام، فهي رسالة المسيح التي جاء ليمررنا فيها معه لحساب قيامته وصعوده ونصرته وملكوته، فنحن إن أردنا أن نشترك في قيامته وصعوده ونصرته يتحتَّم علينا أن نجوز معه آلامه وصليبه **التي هي أصلاً لنا وحدنا ولكنه حملها معنا.** فنحن نكون أمناء لصليب المسيح وموته إن كنَّا قد وضعنا في قلوبنا أن **نموت معه كل يوم باستعداد الشهادة** والاستشهاد: «فلينكر نفسه ويحمل صليبه (استشهاد) **كل يوم** ويتبعني» ولكن **استعداد بذل الذات كل يوم يؤكِّد خلاصها كل يوم،** أمَّا الذي يتهرَّب من الشهادة واستعداد الاستشهاد متوهِّماً أنه يخلِّص نفسه، فإنه يكون في الواقع قد حضَّرها للدينونة والهلاك لأن ذاته لن تخلِّصه، وتفضيله الحياة الحاضرة على الحياة الأبدية ينزع عنه الحياة الأبدية كحق لمن يؤمن بموت المسيح ويشهد لإيمانه باستعداد موته معه، فإنه لا يبقى له حق في القيامة والبقاء لحياة أبدية. إنها خدعة هذا العالم التي يبثها الشيطان بحكمته القاتلة، فالهروب من الضيقة والموت هو بعينه الهروب من الحياة والسعادة الأبدية، فخدعة الشيطان تكشفها حقيقة موت المسيح وحصوله للإنسان بموته على حياة أبدية: **فهروب الإنسان من إماتة الذات واحتمال آلام هذا الزمان معناها "مسيحياً" الهروب من شركة آلام المسيح وموته وبالتالي ضياع حق الحياة الأبدية.** فالسؤال الذي يضعه المسيح في الآية (25) جدير بأن يكون قاعدة تفكير أساسية في علاقتنا بالمسيح والعالم!! لأنه إن قبلنا المسيح وبعنا العالم صارت لنا حياة أبدية، ولكن إن قبلنا العالم حتى صار لنا كل ما في العالم ورفضنا المسيح نكون قد حكمنا على أنفسنا بالهلاك الأبدي. والسؤال المصيري يضعه المسيح هكذا:

هل العالم أم المسيح؟ قرِّر من الآن والذي تقرِّره سيحكم لك أو عليك.

ثم يعود المسيح في الآية (26) يحكي عن مصير إنسان اختار العالم وباع المسيح لأنه استحى بأن يُدعى مسيحياً ورفض أن يحمل عار الصليب والمصلوب، إذ بالنهاية يرفض المسيح أن يعتبره ابنه أو تلميذه أو حتى تابعه. وهكذا فإن جحد المسيح هو جحد الحياة الأبدية، والعالم ورئيس العالم لا يعوِّض الإنسان عن حبه للعالم وجحده للمسيح، بل يذهب الإنسان من يوم إلى يوم يحس بشناعة اختياره ويطلب الموت باختياره. أفما كان من الأفضل أن نحتمل تهديد الموت ونقبل أن نموت ونحن أمناء للمسيح الذي فدى حياتنا من الموت بموته؟

وفي الحقيقة حينما يفرِّط الإنسان في حياته ويقبل الموت إيماناً وحباً للمسيح، فهو في الحقيقة يسلِّم للمسيح حياته ويقدِّم للمسيح موته شهادة إيمان وحب، وبهذا تُقبل حياته وتُعوَّض بالأبدية ويُقبل إيمانه ويُعوَّض بشركة الحياة مع المسيح.

ثم عاد المسيح أخيراً ليعطي توكيداً: كما أن الإنسان في حاضر حياته الآن لا يرى ما يعوِّضه عن أن يُهلك ذاته ويقبل الاستشهاد لحساب المسيح، كذلك يؤكِّد أنه الآن يوجد بعض التلاميذ وفي حياتهم الحاضرة يرون الملكوت ويتحقَّقون صدق قول المسيح!

23:9 «وَقَالَ لِلْجَمِيعِ: إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي، فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ كُلَّ يَوْمٍ، وَيَتْبَعْنِي».

يتبع المسيح يعني أن يدخل الطريق المؤدِّي إلى الملكوت، أي يقبل دعوة الشركة في الحياة الأبدية مع الآب ويسوع المسيح، ولكن ليس الألم مجرَّدكارت دخول بل هو التعبير الصادق عن الإيمان، الإيمان بمن نتألَّم معه ونسعى إليه. ولكن الذي يريده المسيح من إعلانه الصعب هذا هو أن الملكوت الذي يتخيَّله التلاميذ على أنه مجد وعظمة بحد ذاته إنما الطريق إليه هو عبر آلام كثيرة ورفض، وأنني سائر إليه وأنا عالم بآلامه، والموت يشكِّل لي باباً أدخل منه إلى الحياة الأبدية. **لذلك تحتَّم إن أتيتم وراء المسيح أن تعبروا الآلام وتدخلوا من نفس الباب.**

فالألم في المسيح تزكية وإيمان، واحتماله بصبر برهان أكيد على استحقاق الراحة الأبدية، وقبول الموت بالمشيئة مسبقاً داخل القلب يؤكِّد الدخول إلى الحياة الأبدية. إن السر الأعظم في حياة المسيح هو ارتضاؤه بالمشيئة أن يتألَّم بالألم الذي يؤدِّي إلى الموت. وعمق هذا السر فائق وعسير جداً أن نستوعبه ومستحيل علينا استحالة كلية أن ندرك عمقه ومعناه إلاَّ إذا عبرناه. **لأن شرح سر الصليب بآلامه لا يمكن أن نبلغ حقيقته الجوهرية إلاَّ إذا عبرنا عليه ونلنا ما وراءه.** فسر المجد والخلاص والحياة

الأبدية والشركة مع الابن الوحيد في ما هو ميراث الآب، هذه السعادة الأبدية تحمل وحدها قوة الصليب والآلام. لذلك لا يطمع الإنسان مهما كان أن يعرف سر الصليب إلاَّ إذا حمله بآلامه، ولكن لكي يدرك قوته الفائقة فهي قائمة في نوع السعادة والفرح الأبدي الذي ينتظره بالإيمان والرجاء.

وإني انتهز هذه الفرصة أيها القارئ العزيز لأكشف سر وصايا المسيح كلها، فوصية المسيح تجدها بالأمر، وهذه الصيغة هي أول حركة سرّية في وصايا المسيح إذ تعني أنه لا مفر للإنسان إن هو أراد الله والحياة الأبدية فلابد أن يخضع للوصية لأنها أمر. ولكن من الوجه الآخر الله لا يُعطي أوامره جزافاً، بل إن كان الله قد أمر أمراً فهو حتماً قابل للتنفيذ، وبالتالي يحمل سر قوة الآمر، أي يحمل قوة الله نفسه الذي أمر أمراً أن تُصنع هذه الوصية أو تلك. بمعنى أنه بمقدار ما أن وصية الله هي إلزامية فهي حتماً تحمل سر قوة تنفيذها داخلها ـ فمثلاً إن سمعت المسيح يقول: أحبب عدوك وبارك لاعنك، فإذا قرأتها على أنها مجرَّد تعليم فمن البداية تجدها صعبة ومستحيلة حتى لمجرَّد قبولها شكلاً، ولكن إذا أخذتها باعتبارها وصية إلهية خرجت من فم الله تبتدئ تحس أولاً أنها وصية مهيبة حقًّا وتحمل أفكاراً وتدبيراً ومستقبلاً للإنسان أعجب ما يكون حيث لا يبقى للإنسان عدو! بعد ذلك إذا بدأت بالضمير أولاً أن تقبلها، بمعنى أن تحاول أن تنفذها تجد ما هو أعجب، إذ أنها تنفتح عليك ككلمة الله لتعطيك قوة على التنفيذ، فإذا تشجَّعت معتمداً على صدق وعود الله وابتدأت تنفيذها تنجح وتخرج بتجارب وتدرك شيئاً من سر حب الله الأعظم الذي قال هذه الوصية وغيرها، **كمن يقول لك نفّذ وأنا أعطيك القوة، نفّذ وأنا ضامن نجاحك،** نفّذ وسينكشف في قلبك معنى الحب الحقيقي والحياة الأبدية: «ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب.» (مز 34: 8)

ومن هنا يظهر لنا بقوة معنى "**تنكر ذاتك**"، فالمسيح وضع إنكار الذات قبل "حمل الصليب"، فعلى أساس الكلام الذي قلناه والذي انتهينا فيه إلى أن الوصية هي أمر صدر من الله وهي تحمل قوة تنفيذها لمن صدَّق وآمن أن أوامر الله صالحة وللخير المطلق، فإن أنت اعتمدت على الله وبدأت تنفيذ وصية «احمل صليبك واتبعني» تجد الوصية نفسها تعطيك القوة المطلوبة لتنفيذها حتى النهاية. وهذا هو بعينه إنكار الذات!! فإنكار الذات هو الاعتماد الكلّي على الله!! في كل وصية بل وفي كل شيء. وطبعاً الآن يتضح لنا مَنْ الذي سينجح في حمل الصليب ومَنْ سيفشل، فكما هو واضح هنا، إن سر وصية المسيح «احمل صليبك واتبعني» واقع كله بكل ثقله على "إنكار الذات". والآن أيضاً عرفنا تماماً أن «انكر ذاتك» **أو إنكار الذات هو بعينه الاعتماد الكلي على الله.** لذلك نجد أن الإنسان الذي يعتمد على المسيح ويلتجئ إليه في كل حياته هو الإنسان الذي ينكر ذاته دائماً.

وجيد أن يكون هذا اختبارنا المسيحي الأول أن نمارس الاعتماد على الله قليلاً قليلاً حتى نسلّمه الحياة برمتها: «لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله.» (رو 8:14)

كذلك لا يفوتنا هنا أن نفحص الوجه الآخر: فإذا "لم تنكر ذاتك" ماذا يكون؟ حتماً لا تحتمل الصليب في أقل ألم أو أقل مهانة أو خسارة، وبالتالي فالطريق إلى الملكوت مسدود، قد سدّته "الذات" بشهواتها وغرورها وجبنها.

24:9 **«فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي فَهذَا يُخَلِّصُهَا».**

هذه الآية مرتبطة بالسالفة وشارحة لها، وبمنتهى البساطة يقول المسيح: إن الذي يضحّي بأمر الحياة الحاضرة من أجل المسيح حبًّا وكرامة، ومن أجل فقراء وضعفاء المسيح، ومن أجل الإنجيل أي الكرازة بالبشارة المفرحة، فإنه يُحسب أنه احتفظ لنفسه بالحياة الأبدية. أمَّا الذي احتفظ بصحته وماله وقوته لذاته فقط حتى لا يخسر شيئاً من حياته الأرضية فهو قد حكم عليها في الدينونة بالهلاك الأبدي. أو بمنتهى الاختصار هي معادلة: إمَّا حياة هنية هنا وإمَّا حياة هنية هناك. هذا هو التصوُّر الأول ولكن الحقيقة المدهشة أن الذي عاش بالتقوى هنا وبذل من فكره وعمله وحياته وماله للإنجيل ومن أجل الإنجيل فقد انتهى إلى حياة هنية هنا وأقصى الهناء هناك. ومثل هذا الحكيم تحتاج إليه الكنيسة أشد الاحتياج فهو كنزها الروحي الإنجيلي الذي في الحقل، وهو كنزها المادي الذي يكيِّل للفقير بالكيل الملبَّد المهزوز بنفس الكيل الذي يُكَيَّل به له من الروح والنعمة والسعادة والصحة. إنهم قليلون جداً ولكنهم عظماء جداً.

25:9 **«لأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ، وَأَهْلَكَ نَفْسَهُ أَوْ خَسِرَهَا؟»**

هنا يرفع المسيح نظره فجأة نحو إنسان عملاق استطاع أن يغتني بكل غنى العالم بقوته ومهارته وفنه وذكائه فيجيء المسيح هامساً في أُذنه: ماذا فعلت من أجل نفسك؟ وهنا: «أهلك نفسه أو خسرها» يقصد بهما المسيح أن الإنسان مال نحو الخطية والفساد. فهلك وخسر الحياة الأبدية.

لاحِظ عزيزي القارئ أن المسيح لا يزال يخيِّرك بين الربح والخسارة، ووضع الربح على مستوى كل غنى العالم وأمجاده، ووضع أمامه نفسك العظيمة التي على صورة الله خُلقت، والتي ثمَّنها المسيح بدمه ففداها لتصبح غنيمته يرثها له ويورِّثها ما له. نعم، فوجد أن نفسك أعظم من العالم كله!! هذا عنده هو بحساب دمه الذي سفكه على الصليب من أجلك.

علماً بأن الذي ربح المسيح يكون قد ربح الحياة هنا وربح نفسه وربح الحياة الأبدية، وكأن الاختيار هو: مَنْ هو الذي تضعه هدف حياتك؟ نفسك أم المسيح؟ فإن كان نفسك فقد خسرت

المسيح وخسرت نفسك أمَّا إذا كان الذي تضعه هدفاً لك هو المسيح فتكون قد ربحت المسيح حقًّا وربحت نفسك والحياة الأبدية.

والمسيح أعطانا درساً شامخاً مجيداً حينما خيَّره الشيطان بين أن يعطيه ممالك العالم كلها بأن يسجد له ولو سجدة واحدة أو الموت الزؤام على الصليب؟ فاختار الصليب، وإذ بهذا الاختيار يخلّص العالم كله، كل مَنْ لا يسجد للشيطان ولا سجدة واحدة، يخلّصه من الخطية والموت والهلاك، ويورّثه الحياة الأبدية.

26:9 «لأنَّ مَنْ اسْتَحَى بِي وَبِكَلاَمِي، فَبهذا يَسْتَحِي ابْنُ الإِنْسَانِ مَتَى جَاءَ بِمَجْدِهِ وَمَجْدِ الآبِ وَالْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ».

إن عملية القضاء (الدينونة) العظمى التي إمَّا يرتفع فيها الإنسان إلى مصاف الملائكة بالفعل أو ينحط عن مركزه الإنساني المجمَّل بالملامح الإلهية ليهبط إلى مستوى الحرمان الكلي من كل مراحم الله ونعمه، نقول إن هذه العملية، عملية الدينونة الأخيرة، هي وليدة عملية أخرى أعظم، هبط فيها المسيح وهو ابن الله إلى مستوى العبد وسلَّم نفسه بإرادته إلى الموت ليحمل خطايا العالم على الصليب الذي حُسب أنه أعظم عار بحسب التقليد اليهودي. والإنسان منذ أن يتحرك وجدانه ويدرك مركزه من الله والعالم وهو يوازن بين هاتين العمليتين، لأن موت المسيح على الصليب صار هو الكفَّارة عن كل الخطايا وبالتالي أساس كل النعم في الحياة الأبدية، ولكن هذا الصليب نفسه الذي تمَّ به الخلاص هو بذاته موت العار والفضيحة التي قبلها المسيح بالجسد من أجل كل خطاة العالم. فإمَّا أن نؤمن بالمسيح ونشترك في هذا العار لننال غفران الخطايا والحياة الأبدية، وإمَّا أن نستثقل هذا الإيمان على خلفية العار أي الصليب فتبقى خطايانا في عنقنا نقف بها في مجلس القضاء والدينونة العظمى لتشتكينا أمام عدل الله.

والآن على الإنسان أن يختار: إمَّا قبول عار الصليب والإيمان بمن صُلب عليه وتخليص كل دين ودينونة الخطية: «لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح» (رو 1:8)، وإمَّا يستحي الإنسان من عار الصليب واسم المصلوب وإنجيله، وبهذا يختار لنفسه بقاء كل دين خطاياه غير مغفورة حيث تُرفع لميعاد قضاء الدينونة.

ومن الآن أعطانا المسيح الخيار: إمَّا الصلح مع الآب بالصليب، وإمَّا دخول الدينونة بدون مُصالح حيث يأتي المسيح في استعلان مجده الذي كان قد أخفاه عن عيوننا، ومجد أبيه الذي اختفى وقت الصليب مع جوقات الملائكة مسبِّحين يرنمون لعدل الله ورحمته. فأولاد المسيح حينئذ يجرون نحوه فرحين هاتفين مجداً مجداً والمسيح وجهه نحوهم أكثر فرحاً، أمَّا الذين استحوا منه ورفضوه ورفضوا إنجيله فلا

يمكن أن يتصوَّر أحد مقدار خزيهم بل وخزي المسيح منهم كونهم أهانوه وفضحوه ونكّلوا بأولاده مجاناً.

27:9 «**حَقًّا أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مِنَ الْقِيَامِ ههُنَا قَوْماً لاَ يَذُوقُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يَرَوْا مَلَكُوتَ اللهِ».**

وبعد هذه التلميحات عن ملكوت الله أصبح اشتياق التلاميذ شديداً أن يروه أو حتى يعرفوا ما هو. صحيح أنهم آمنوا أن كلام الحياة الأبدية هو عند المسيح وحسب (يو 68:6)، فما هو ملكوت الله؟ المسيح هنا سبق استعلان المجد النهائي وأعطى بعضاً منهم أن يروه وهم بطرس ويعقوب ويوحنا في رؤيا التجلّي، حيث ظهر المسيح ممجَّداً وسط قديسَيْه موسى وإيليا.الأول يمثّل الناموس والثاني يمثّل النبوَّة، والاثنان يشهدان للمسيح.

ولكن أيضاً حدثت رؤيا عامة أخرى بقيامته من الأموات إذ ظهر للاثني عشر والمريمات ويعقوب خاصة وأكثر من خمسمائة آخرين. ويكون بهذا أن المسيح نفسه هو ملكوت الله أو استعلان مملكة الله.

ويُلاحَظ أن المسيح يقول: «حقًّا أقول لكم» بعد أن أعطى توصيف لملكوت الله، بل وبعد أن أعطاهم سر معرفة الملكوت هذا: «لكم قد أعطي أن تعرفوا ملكوت الله» (لو 10:8). وقد أوضح ق. بطرس أنه يعرف سر ملكوت الله حينما قال للرب أنت هو «مسيح الله»

ثم عندنا ركيزة جيدة في قوله للفريسيين: «لا يأتي ملكوت الله بمراقبة» (لو 20:17)، إذاً فهو حدث فائق عن الزمن والملاحظة، ثم قوله لهم: «ها ملكوت الله داخلكم.» (لو 21:17)

فقول المسيح: «ها ملكوت الله داخلكم» هو الموازي لقول ق. بولس: «المسيح يحيا فيَّ »(غل 20:2)، والموازي لقول المسيح نفسه: «أنتم فيَّ وأنا فيكم» (يو 20:14). فحين يقول المسيح إن ملكوت الله داخلكم فهذا يعني قبول المسيح ليملك على القلب والحياة: «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غل 20:2). وحين يقول المسيح إن: «ملكوت الله لا يأتي بمراقبة » يعني أن افتقاد الله بروحه والإحساس بوجود المسيح أمر لا يمكن أن نتتبعه، فزيارات النعمة كالروح القدس يهب حيث يشاء (يو 8:3). بمعنى أن الله دائماً هو صاحب المبادرة ومن العسير على الإنسان أن يضع لأعمال الله وزيارات نعمته ترتيباً زمنياً أو أصولاً أو حتى وسائل. ولكن في ظننا أن كثيراً منا ذاق حال زيارة النعمة وامتلاك الله للقلب. فهذا ملكوت الله داخلنا.

وقصد المسيح الأساسي من هذه الآية هو إعطاء صورة واقعية للملكوت حتى لا نظن بسبب ضعفنا أن الملكوت بعيد أو صعب أو أنه ليس للإنسان أن يراه أو يذوقه. فملكوت الله رُئيَ في التجلّي بلا نزاع ورُئيَ في القيامة بكل تأكيد ورُئيَ لاستفانوس حيث رأى المسيح قائماً عن يمين الله!!

7 ـ تجلّي المسيح

(36-28:9)

(مت 17:1-8)
(مر 9: 2 - 9)

لا نستطيع أن نفرّق بين ما فات من الآيات الخاصة بملكوت الله وهذا الحدث العظيم: التجلّي. والمُلاحَظ بشدة أن المسيح أراده أن يكون في دائرته الخاصة جداً مع ثلاثة تلاميذ فقط حينما أخذهم وصعد بهم إلى قمة الجبل، على نمط قمة جبل موسى حينما تراءى لموسى ليضع أسس العلاقة بين يهوه الله العظيم وبين شعب إسرائيل بعد أن أخرجه من أرض مصر. والموضوع يتكرَّر، فنحن على أبواب خروج أعظم وأعلى، خروج من أُورشليم القديمة بذكرياتها وتاريخها الذي قارب أن يدخل في اللاموجود، ونحن سمعنا الآن وعلى التو أن موسى وإيليا قد ظهرا مع المسيح وتحدَّثا عن "الخروج" المزمع أن يعمله المسيح خارج أُورشليم. الخروج الأول صاحبه ذبيحة حمل الفصح التاريخية والرمزية بآن واحد، وها هو الخروج الثاني والأصيل يقوم ويتأسَّس على حمل الله الذي يرفع خطية العالم كله وليس فقط خطايا شعب تنكّر لإلهه.

التجلّي هنا هو حدث مُسْبَق للصليب يشرحه بالسر ويعلنه في العلانية، فالحمل الوديع على وشك أن يُرفع، والشعب برؤسائه يصرخون اصلبه اصلبه. وما كان واجباً أن يرافق الصليب من مجد التجلّي كذبيحة إلهية عظمى قُدِّمت للفدية في أعلى وأوسع معانيها، سَبَقَ المسيح وقدَّمه في التجلّي كاستعلان ما كان لابد أن يكون على الصليب. ومن جهة أخرى فإن النور والبهاء والمجد المرافق للتجلّي حُسب جزءاً منظوراً ومُسْبَقاً لاستعلان مجيئه الثاني بعد أن يكون قد أعدَّ لمختاريه مكاناً ليأتي ويأخذهم ليكونوا معه في مجده. فحضور نخبة من التلاميذ في التجلّي كان إيذاناً لاستعداد قديسيه وملائكته للحضور في الظهور الثاني بكل أمجاده.

على أن موسى وإيليا خرجا من العالم خروجاً خاصاً جداً، الأول رقد فوق جبل نبو، والثاني أُخذ في مركبته النارية حيًّا، باعتبار أن موسى كان لابد أن يموت فهو ممثّل الناموس الذي يتحتَّم عليه أن يُوْقف ليُشاهِدَ تكميله على يدي آخر مثله، أمَّا إيليا فهو يمثّل الشعلة النارية النبويَّة التي ستظل حيَّة لتحضر في المعمدان في الظهور الأول في العالم لتأسيس الملكوت بالروح في صورته الزمنية.

كان لابد أن يأتي بعد موسى نبيٌّ آخر مثله يسلّمه الناموس ليضع مع تلاميذه كماله ويضع ختمه

عليه، وكان لابد أن تتجمَّع النبوَّات كلها في يدي الآتي بروح إيليا لتشهد للنبي الآخر المحسوب أن شهادته «هي روح النبوَّة» (رؤ 19:10)، ويكمِّل معها بدوره تأسيس الكنيسة لتحمل الملء: المسيح والرسل والأنبياء «ملء الذي يملأ الكل في الكل» (أف 23:1)، « مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية.» (أف 20:2)

وإن كان لحزننا أن التلاميذ لم يستطيعوا استيعاب كل علامات خروجه الذي أكمله في أورشليم، ولا حتى استطاعوا أن يفهموا تجلّيه معهم، ولكن كان يلزم أن تؤسَّس هذه الأساسات، لتستلمها كنيسة الدهور ليعيش فيها وبها جميع الذين تأهَّلوا للملكوت:

+ «ضعوا أنتم هذا الكلام في آذانكم: إن ابن الإنسان سوف يسلَّم إلى أيدي الناس. وأمَّا هم فلم يفهموا هذا القول وكان مُخفىً عنهم لكي لا يفهموه. وخافوا أن يسألوه عن هذا القول.» (لو 9: 44و45)
+ «وأخذ الاثني عشر وقال لهم: ها نحن صاعدون إلى أورشليم وسيتم كل ما هو مكتوب **بالأنبياء** عن ابن الإنسان. لأنه يسلَّم إلى الأمم ويُستهزأ به ويُشتم ويُتفل عليه ويجلدونه ويقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم. وأمَّا هم فلم يفهموا من ذلك شيئاً وكان هذا الأمر مُخفىً عنهم ولم يعلموا ما قيل.» (لو 18: 31-34)

وكل الذي رأوه هو مجد الزائرَيْن السمائيَيْن مع مجد المسيح في وهج أقنومه المتجلّي، فانحصروا في ما رأوا وطلبوا عمل المظال للتكريم كعادة الإنسان ولم يكلّفوا أنفسهم أن يسألوا المعلّم عمَّا حدث. ولكن لكي لا تعبر هذه الحوادث المحسوبة كتأسيس للكنيسة ولعالم الأجيال التي قاربت الآن على الأربعين(192) جيلاً، فنحن الآن على أبواب سنة 2000م، جاءت خصيصاً سحابة نيِّرة وشملت الموقف كله تعبيراً عن حضور الله وهو في أعلى حالات تجلّيه على الأرض، تصحيحاً لفكر بطرس المتعثّر في مجرَّد تكريم أمكنة وأسماء، مما دعا الصوت من السماء أن يرن في قلوبهم أن هذا هو ابني الحبيب له اسمعوا!! تأكيداً لشخصية يسوع أنه "المسيح" المختار من الله القادم ليكمِّل عمله، حيث يطلب الصوت أن يخضعوا ويسمعوا له. وفي هذه اللحظة ظهر يسوع واقفاً وحده.

والآن، نفهم جيداً لماذا سأل المسيح تلاميذه عمَّا يقول القوم عنه وماذا يقولون هم أيضاً؟ لأنه قد ابتدأ بالفعل الإعلان عن آلامه وصليبه وقيامته حتى لا ينفصم هذا المشهد الإلهي عن أنه هو الابن الوحيد المحبوب «له اسمعوا» هذه محسوبة شهادة مؤازرة من السماء مع شاهدَيْن ظهرا خصيصاً

(192) إذا اعتبرنا الجيل خمسين سنة.

لتقوم الكلمة، وليفهم العالم أن الألم والصليب والموت بحوادثهم الجسام هي جزء حي من خطة الله لتكميل عمل الخلاص الذي تجسَّد الابن ليكمِّله.

وإذا انتبه القارئ يُلاحِظ أن ق. لوقا قدَّم حادثة التجلّي هذه بعد سؤال المسيح مباشرة عمَّنْ يقول الناس إني أنا، ذلك لكي يرد عليهم بحقيقة نفسه من واقع سماوي وشهادة الناموس على يد صاحبه، وشهادة الأنبياء على يد ممثّلهم الأعظم. ثم بعد هذا كله بل وقبل ذلك كله صوت الآب من السماء: «هذا هو ابني الحبيب له اسمعوا» هذا يُحسب للقديس لوقا حبكاً في تصنيف الحوادث ورواية الإنجيل، محاولاً باستماتة من أول الإنجيل إلى آخره أن يقدِّم للقارئ من وراء صياغة الحوادث كما هي ـ ولكن منسَّقة من حيث زمانها وموضعها ـ شرحاً قوياً لا يتدخَّل هو فيه وإلاَّ أفسد الإلهام. وفي هذا وفي ذاك لم تغب النعمة عن عملها. فالذي يقرأ الإنجيل بتروٍّ وبالاستعانة بالروح فإنه يكتشف أعماقاً منه تغيب عن أعظم العلماء والمعلّمين.

وهنا يؤسفنا جداً أن نعقّب على معظم العلماء الذين خطّأوا ق. لوقا في موضع التجلّي وقالوا أن موضعه الصحيح هو بعد القيامة. وكالعادة أهملوا التأمُّل وأعوزهم الإلهام بشدة. فإن التجلّي يحكي عمَّا هو آتٍ من القيامة، فمجيء التجلّي قبل القيامة ضرورة قصوى تؤكّد أن الذي سيرفعونه على خشبة ويصلبونه هو أعظم من موسى وجميع الأنبياء، بل إن حضورهما والحديث معه عن الخروج (الصلب والقيامة) العتيد أن يكمّله خارج أُورشليم يجعل الناموس خادماً للصليب والأنبياء شاهدة للقيامة. فلو كان التجلّي قد وُضع بعد القيامة لأضعف القيامة جداً بالثوب اللامع، ولأصبح حضور الناموس والأنبياء فاقداً معناه ومضمونه، في الصلب والقيامة.

28:9 **«وَبَعْدَ هذا الْكَلاَمِ بِنَحْوِ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ، أَخَذَ بُطْرُسَ وَيُوحَنَّا وَيَعْقُوبَ وَصَعِدَ إِلى جَبَلٍ لِيُصَلِّيَ».**

هنا نشعر برغبة ق. لوقا في ضم قصة التجلّي إلى الأقوال السابقة بخصوص ملكوت الله بنوع من اللهفة والإصرار، ليلفت نظر القارئ بأن التجلّي هو عيِّنة شَاهَدَهَا ثلاثة تلاميذ بأنفسهم. والقصد المباشر هو تغطية الحديث عن آلامه الكثيرة وموته مصلوباً بهذه الرؤية العينية حتى لا يرتاع التلاميذ للآلام الوشيكة والصلب بصورته المرعبة، وليعطي وعداً مخفيًّا بأن الذي سيحمل صليبه ويتبعه ناكراً ذاته سيكون عضواً في هذا الملكوت. ولكن لا توجد مشكلة لدى المدققين في أن ق. مرقس حدَّد المدة المذكورة بستة أيام فقط، مما يكشف لنا أن ق. لوقا هنا يتبع تقليداً مكتوباً غير ما يتبعه ق. مرقس. ولكن في إنجيل ق. لوقا أعطى كلمة "**نحو**" ثمانية أيام فجعلها مفتوحة للزيادة والنقصان فلم تعد مشكلة ولكن تحقيقاً من مصادر أخرى. ويقول العلماء إن ق. مرقس إنما اختار

السنة أيام ليعطي المثيل لعدد الأيام التي مكثها موسى على الجبل ليقابل الله في القديم (خر 16:24): «فصعد موسى إلى الجبل فغطّى السحاب الجبل وحلّ مجد الرب على جبل سيناء وغطّاه السحاب ستة أيام وفي اليوم السابع دُعي موسى من وسط السحاب» (خر 24: 15و16). فالقديس مرقس أعطاها ستة أيام، وق. لوقا أعطاها نحو ثمانية أيام اجتهاداً لكي تصير معجزة موسى على الجبل كمعجزة المسيح مع التلاميذ. ولكن المشترك في الحادثتين هوالذي يعنينا جداً وهو أن مجد الرب حلّ على الجبل هذا الذي هو ليهوه في القديم، جاء نفسه ليسوع المسيح على الجبل تعبيراً عن تنازل الله ليصنع مقابلة مع الإنسان استعلاناً لمجده. وظهور موسى مع المسيح في التجلّي يشير إشارة بليغة إلى التوازي البديع، ورفع الفكر في الحال إلى أن المسيح هو هو يهوه في استعلانه الجديد للعهد الجديد. كذلك هنا تلميح لمقابلة اليوم الثامن عند ق. لوقا باليوم الذي خلق فيه المسيح الخلقة الجديدة بقيامته بعد السبت الأخير في الزمن العتيق، لأن يوم الأحد الذي قام فيه الرب من الأموات لا يُحسب من أيام الزمن العتيق، فهو اليوم الثامن إذا أردنا أن ننسبه للزمن، وهنا خروج واضح عن الزمن إلى اللاعودة، فاليوم الثامن الذي قام فيه المسيح هو بدء الخلود أو الزمن الإلهي المحسوب الأول والآخر معاً!!

ثم ندخل في الحال في المطابقة العددية مع العهد القديم إذ أمر الله يهوه موسى أن يصعد هو وهارون وناداب وأبيهو للترائي أمام الله، هكذا نجد التطابق العددي أيضاً في التجلّي حيث أخذ الرب معه بطرس ويوحنا ويعقوب وصعدوا إلى الجبل مع المسيح. وقد حدَّد العلماء جبل حرمون أنه هو الذي تمَّ فيه التجلّي، وغيرهم رأوا أن جبل تابور في الجليل هو الأقرب إلى الظن. أمَّا القول بأن المسيح صعد "ليصلّي" فهو التعبير المسيَّاني الأقرب إلى التعبير إذ هو في حقيقته مقابلة مع الله وحسب، أمَّا المجد الذي ظهر فيه المسيح فهو للحاضرين معه بطرس ويعقوب ويوحنا. ولكن في حقيقة الأمر هو التعبير العتيق الذي اقترحه دانيال: «... أتى وجاء إلى القديم الأيام فقرَّبوه قدَّامه فأُعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً» (دا 7: 13و14). فهنا منظر من مناظر المقابلة على مستوى الفكر البشري حيث يتقابل المجد مع المجيد، حيث التجسُّد هو الذي صنع هذه الثنائية غير الموجودة، فهو في حقيقته وجوهره مجد الله انعكس على يسوع الابن المتجسِّد. فالمجد هنا لله وللمسيح بآن واحد، لأن المجد والممجَّد واحد!! ولكي نوضحها أكثر نقول: إن الآب والابن ذات واحدة هو الله، ولكن الابن تجسَّد، فالمجد الذي انعكس على الابن المتجسِّد يسوع هو مجد الله وهو مجد المسيح بآن واحد. فالذي ينظر مجد المسيح هنا ينظر مجد الله. فهنا ظهر المسيح على حقيقته الإلهية أنه هو والله واحد.

29:9 **«وَفِيمَا هُوَ يُصَلِّي صَارَتْ هَيْئَةُ وَجْهِهِ مُتَغَيِّرَةً، وَلِبَاسُهُ مُبْيَضًّا لاَمِعاً».**

هنا نواجه شركة جوهرية معبَّر عنها برؤية جسدية بين الله الآب والابن المتجسِّد. هنا للأسف لا يزال ق. لوقا على خلفية موسى والله على الجبل، حيث وُجِدَ بعد ذلك وجه موسى متغيِّراً لأنه كان يتكلَّم مع يهوه: «وكان لمَّا نزل موسى من جبل سيناء ولوحا الشهادة في يد موسى عند نزوله من الجبل أن موسى لم يعلم أن جلد وجهه صار يلمع في كلامه معه» (خر 29:34). أمَّا ق. مرقس فلم يكن على هذه الخلفية في سرده لقصة التجلّي إذ يعبِّر عنها تعبيراً خالصاً من أي تشبيه فيقول: «وتغيَّرت هيئته metemorfèqh قدَّامهم »(مر 2:9) التي تُرجمت بالتجلّي. والمعنى الروحي العميق يقصد أن المسيح أخذ هيئته الحقيقية.

والمعنى الذي يكشف حقيقة تغيُّر أو تجلّي هيئة المسيح وليس وجهه فحسب، هو أن المسيح هو ابن الله الوحيد صاحب الجوهر الواحد مع الآب والمجد الواحد الفائق، الذي تخلّى عن مجده ليأخذ جسد إنسان. فهنا وقد وقف الابن المتجسِّد مع الله استعاد بالضرورة مجده الذي له لحظة من الزمان لينظره تلاميذه على حقيقة مجده. فالتغيُّر هنا بمعنى التجلّي هو في الحقيقة تغيُّر إلى الأصل، تغيُّر إلى وضعه الأول كصاحب المجد. هنا تغيُّر أو تجلّي المسيح لا يقارن أبداً بتجلّي وجه موسى، لأن وجه موسى مهما تجلّى فقد دُفن في النهاية في التراب، أمَّا مجد المسيح الذي له الذي رآه التلاميذ لحظة التجلّي فهو المجد الدائم الذي له، ولكن إذ أخلى نفسه منه بإرادته استطعنا أن نراه ونتكلَّم معه.

لذلك نستطيع أن نقول: إن تقليد ق. مرقس أشد وضوحاً وأكثر جلاءً دون محاولة المقارنة مع موسى، الأمر الذي أخذ به ق. متى فأخذ عنه ق. لوقا، فهو لم يُضَفْ عليه مجدٌ بل استرد لنفسه مجده. ولكن عاد ق. لوقا واسترد حقيقة التجلّي بسرعة في الآية (32) إذ قال: «فلمَّا استيقظوا رأوا مجده والرجلين الواقفين معه»

أمَّا أن لباسه كان مبيضاً لامعاً، فمبيضاً هنا جاءت باليونانية leukÒj وهو تعبير يُقال عن ملابس الملائكة السمائيين، فهو لا لون له ولكن بلمعان وصفاء.

وهنا يزداد أمامنا معنى التجلّي، فالمادة في الملابس أصابها التغيير على نمط ما سيتغيَّر به العالم والخليقة:

+ «عندك أسماء قليلة في ساردس لم ينجِّسوا ثيابهم، فسيمشون معي في ثيابٍ بيضٍ leuko‹j لأنهم مستحقون.» (رؤ 4:3)
+ «مَنْ يغلب فذلك سيلبس ثياباً بيضاً leuko‹j، ولن أمحو اسمه من سفر الحياة، وسأعترف باسمه أمام أبي وأمام ملائكته.» (رؤ 5:3)

+ «ولمَّا دخلن القبر رأين شاباً جالساً عن اليمين لابساً حُلَّة بيضاء leuk»n .» (مر 5:16)

+ «وفيما كانوا يشخصون إلى السماء وهو منطلقٌ، إذا رجلان قد وقفا بهم بلباسٍ أبيض leuka‹j .» (أع 10:1)

ولكن ق. مرقس يزيد على لون ملابس المسيح بقوله "تلمع st…lbonta"، ولكن عاد ق. لوقا في موضع آخر ووصف البياض ليس بلمعان ولكن بصورة برَّاقة مشعَّة: «وفيما هن محتارات في ذلك إذا رجلان وقفا بهن **بثياب برَّاقة** » ¢straptoÚsV(لو 4:24). لذلك يبدو أن حتى اللباس الخارجي له هيئة ولمعان خاص لكل فئة من الملائكة.

30:9 **«وَإِذَا رَجُلاَنِ يَتَكَلَّمَانِ مَعَهُ، وَهُمَا مُوسَى وَإِيلِيَّا».**

في إنجيل ق. مرقس يضع إيليا قبل موسى ولا سبب لذلك إلاَّ أن المعروف في التقليد أن إيليا يأتي أولاً (مر 11:9). ولكن ق. لوقا يضعهما هنا حسب ترتيبهما الزمني. ويضيف ق. مرقس أنهما كانا يتكلَّمان مع يسوع. علماً بأن موسى كان يمثِّل الناموس وإيليا الأنبياء، ومعروف في التقليد اليهودي أنه مذكور عنهما أنهما يأتيان بمجيء المسيَّا الثاني في نهاية العالم. ولكن ذكرهما هنا في التجلِّي واضح السبب منه، فهما يقدِّمان الشهادة كلٌّ في اختصاصه، فموسى يشهد للمسيح بأنه النبي الآخر الذي يأتي بعده، وإيليا يقول عنه ملاخي إنه سيأتي ليعيد قلوب الآباء على الأبناء والعكس، قبل مجيء المسيَّا (مل 5:4)، فظهورهما معاً يؤكِّد دور المسيَّا.

31:9 **«اللَّذَانِ ظَهَرَا بِمَجْدٍ، وَتَكَلَّمَا عَنْ خُرُوجِهِ الَّذِي كَانَ عَتِيداً أَنْ يُكَمِّلَهُ فِي أُورُشَلِيمَ».**

«ظهرا بمجدٍ»: ™n dÒxV

يبدو أن هذا المجد الذي ظهرا به هو أيضاً انعكاس المجد الذي ظهر به المسيح بمعنى مجد الله: «وإذا ملاك الرب وقف بهم ومجد الرب أضاء حولهم» (لو 9:2). والمعنى أنهما زائران سماويان.

ويعطي ق. لوقا هنا موضوع الحديث الذي دار بينهم وهو خروج المسيح œxodon بمعنى مغادرة، ولكن بمفهوم النهاية إذ تحمل رنة الموت كما عرَّفها ق. بطرس: «فاجتهد أيضاً أن تكونوا بعد خروجي تتذكَّرون كل حين بهذه الأمور» (2بط 15:1). ذلك كعمل خلاص: موت وقيامة.

«يكمِّله»: plhroàn

وتعني هنا مشوار حياته حتى أكمله على الصليب: «قد أُكمل» (يو 30:19)، تعبيراً عن

اكتمال خدمة المسيح للخلاص.

32:9 «**وَأَمَّا بُطْرُسُ وَاللَّذَانِ مَعَهُ فَكَانُوا قَدْ تَثَقَّلُوا بِالنَّوْمِ فَلَمَّا اسْتَيْقَظُوا رَأَوْا مَجْدَهُ، وَالرَّجُلَيْنِ الْوَاقِفَيْنِ مَعَهُ**».

لقد عوَّدنا بطرس والذين معه أن ينعسوا نعاس الاستغراق في النوم أثناء صلاة المسيح، وهي عادة معظم الناس عند الصلاة أو سماع العظات. لأن النفس التي لا تستطيع أن تنفعل بروح الله عسير عليها أن تتيقّظ لمتابعة كلمات الخلاص أو الحديث عن الأمور الروحية عامة. فالتثاؤب وتغميض العينين بإلحاح وتدنّي الرأس قليلاً قليلاً نحو الصدر، وربما سماع صوت شخير، وهذا سلوك مرذول، كلها تحكي عن عزوف النفس عن سماع كلمة الله. وهذه الخصال الرديئة ضيَّعت على آلاف الناس قبول توجيهات النعمة وعمل الروح القدس والتقدُّم في الحياة الروحية. أمَّا السبب الأساسي في ذلك فهو إحساس الإنسان بالاكتفاء بحالته أو عدم إحساسه بضرورة الحياة الروحية وأهمية الخلاص لنفسه، وهذه مصيبة هذا الدهر: «تقول إني أنا غني وقد استغنيت ولا حاجة لي إلى شيء ولست تعلم أنك أنت الشقي والبائس وفقير وأعمى وعريان» (رؤ 17:3). ونلاحظ حزن المسيح وتألُّمه جداً من هذه الحالة التي كان عليها التلاميذ أثناء صلاته في جثسيماني والتي تُحسب لحظات وداع للعالم والتلاميذ، وقد عنَّفهم المسيح على ذلك: «أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة» (مت 40:26). ومعروف أن الروح النشيطة الساهرة لا تستطيع النعاس ولا ثانية واحدة. فالقلب ملتهب والفكر يقظ والروح نشيطة تطلب المزيد من القوة والحب والحياة.

«رأوا مجده»: dÒxan aÙtoà

هنا تعبير سرِّي من تعبيرات الروح في الحياة الروحية، فهو تعبير عن المجد العتيد في الحياة الجديدة، وهي رؤية ترفع الإنسان من واقعه الميت إلى بهجة ونور الحياة الآتية، فهو سبق تذوُّق حياة الروح في المجد الآتي. وربما هذا كل ما قصده المسيح من أخذهم وصعودهم معه وحضور صلاته لكي يتعرَّفوا على حقيقة المسيح في ذاته كرب المجد، لكي يسند إيمانهم ساعة الصليب الذي كان على بعد ساعات معدودة، ولكنهم خيّبوا أمل المسيح وظنه، إذ لمَّا بدأت ساعة الخطر «تركه التلاميذ كلهم وهربوا.» (مت 56:26)

لذلك نقول يا عزيزي القارئ إن الانتباه ساعة الصلاة والوعظ هو ذخيرة عظيمة تُعرف قيمتها ساعة الخطر والضيق. فمطلوب منَّا أن نختزن قوة لساعة الضعف.

ومجد المسيح الذي رآه الثلاثة والذي رآه الاثنا عشر ويعقوب والمائة والخمسمائة أخ في القيامة هو الميراث الذي ورَّثه المسيح لنا جميعاً: «وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني» (يو 17:22)، لكي يبقى لنا ذخيرة حيَّة نستمد منها قوة متجدّدة إزاء أهوال العالم وضيقاته، فلا يضعف إيماننا بالمسيح، لأنه وعد أنه سيكون معنا حتى النهاية. وهكذا يتضح لنا أن مجد المسيح هو طاقة ألوهة ممنوحة لنا لتزيد إيماننا دائماً بربوبية المسيح ولاهوته للحياة الجديدة، في عالم عتيق ينتمي إلى الخطية ويقوده العدو.

33:9 «**وَفِيمَا هُمَا يُفَارِقَانِهِ قَالَ بُطْرُسُ لِيَسُوعَ: يَا مُعَلِّمُ، جَيِّدٌ أَنْ نَكُونَ ههُنَا. فَلْنَصْنَعْ ثَلاَثَ مَظَالَّ: لَكَ وَاحِدَةً، وَلِمُوسَى وَاحِدَةً، وَلإِيلِيَّا وَاحِدَةً. وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ مَا يَقُولُ**».

في عيد المظال يصنع اليهود مظالاً من جريد النخل والبوص وبها يمجِّدون الله ويشكرونه على حضوره بنفسه معهم في سيرهم بسيناء، وحفظهم وسترهم بالسحاب أثناء ترحالهم حتى لا تؤذيهم الشمس على مدى الأربعين سنة بكاملها حتى دخولهم أرض الميعاد. ويوجد تقليد مسلَّم أن في آخر الأيام سيحدث مثل هذا أيضاً كعلامة.

وهكذا تذكَّر بطرس الشاكيناه (السكنى) في البرية تحت ظل السحاب الذي يعني روحياً حضرة الرب الدائمة معهم: «إن لم يسر وجهك (أمامنا) فلا تصعدنا من ههنا» ردًّا على وعد الله: «فقال وجهي يسير فأريحك» (خر 33: 15و14). هذا الحضور الإلهي ظل الشعب ينتظره ويجدّد رجاءه كل سنة في عيد المظال حتى يجيء. وعلى أساس هذا التقليد قال بطرس اقتراحه بعمل ثلاث مظال. ولكن للأسف الشديد لم يدرك بطرس الفارق بين المسيح وموسى وإيليا. فهذه سقطة فكر وإيمان واستنارة، لذلك لم تفت على كاتب التقليد أن يقول: «وهو لا يعلم ما يقول» ولكن أخذ بطرس والتلاميذ فرصة أخرى عظمى لكي يعرفوا أن يفرِّقوا بين المسيح وموسى وإيليا، بقيت لنا ذخراً إيمانياً.

34:9 «**وَفِيمَا هُوَ يَقُولُ ذلِكَ كَانَتْ سَحَابَةٌ فَظَلَّلَتْهُمْ. فَخَافُوا عِنْدَمَا دَخَلُوا فِي السَّحَابَةِ**».

كان رد الله من السماء سريعاً على خطأ بطرس أن يجعل ابنه الوحيد على مستوى موسى خادم الرب أو إيليا النبي، ويصنع مظالاً من جريد وبوص، فكشف عن أعينهم فرأوا سحابة تظلّلهم وهي طبعاً الحضرة الإلهية التي تناسب تجلّي المسيح أو استعلانه على حقيقته الإلهية. أمَّا القول بأنهم خافوا عندما دخلوا في السحابة فهذا دليل على أن السحابة لم تكن أقل من حضور المجد الإلهي الذي استجابت له أرواحهم فخافوا. ولم يقل إنهم ارتاحوا أو سرُّوا لذلك؛ بل خافوا رهبة للمفارقة الشديدة تجاه حضرة الله. وهكذا يوبِّخ الله بطرس الذي اقترح للمسيح مظلّة من بوص فإذا هي سحابة مجد.

35:9 **«وَصَارَ صَوْتٌ مِنَ السَّحَابَةِ قَائِلاً: هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ. لَهُ اسْمَعُوا».**

الصوت صوت الآب، وهنا وضح لنا أن الله الآب كان في السحابة التي ظلّلتهم، والخوف كان لوجود يهوه بإحساس الروح بالرغم من جهالة الفكر. لأن الذي لا يفهم بالكلام يفهم بالإحساس فيما يخص الإلهيات. وهنا يشهد الآب لابنه الرب يسوع أن «هذا هو ابني الحبيب» ليس كموسى ولا إيليا بل هو ابن الله الذي له كل الكرامة والمجد مع أبيه الصالح. وهكذا يتكلّم الله معنا إن لم يكن بالكلمة المسموعة منا فبحضرته المخيفة على مثال ما عمل مع إسرائيل الذي رفض كلمة الله، فنزل بنفسه متجسّداً ليصنع مع الإنسان عهداً جديداً ليس بالكلمة فقط بل وبالدم المسفوك أخيراً. ويُلاحَظ هنا أن الله يتكلّم عن ابنه بضمير الغائب. وقول الله للتلاميذ: «له اسمعوا» يفيد الطاعة والخضوع.

وللعالم كريد(193) هنا قول جيد إذ يقول إن صوت الله في المعمودية كان للمسحة وكان موجَّهاً للمسيح نفسه، أمَّا هنا فالصوت للتلاميذ لكي يطيعوا ويخضعوا لمن مسحه الله على الأردن.

وإذا انتبهنا إلى تسلسل الكلام نجد أن الله ألهم بطرس منذ قليل أن يقول من هو يسوع "هو المسيح"، فهنا يكمّل الله بالصوت المسموع أن يخضعوا ويطيعوا "المسيح" بعد أن عرفوه. على أن الترجمة العربية التي ترجمت «هذا هو ابني الحبيب» يترجمها العلماء حسب بعض المخطوطات القديمة: «هذا هو ابني المختار » ™klelegmšnoj وهو لقب يعطي نفس المعنى، وهو يكرَّر كثيراً في العهد القديم. وفي قوله: **«له اسمعوا»** تلميح لما قاله موسى: «يقيم لك الرب إلهك نبيًّا من وسطك من إخوتك مثلي **له تسمعون**» (تث 15:18)، أمَّا مَنْ لا يسمع له فكأنه يقاوم الله نفسه: «ويكون أن الإنسان الذي **لا يسمع** لكلامي الذي يتكلّم به باسمي أنا أطالبه.» (تث 19:15)

36:9 **«وَلَمَّا كَانَ الصَّوْتُ وُجِدَ يَسُوعُ وَحْدَهُ، وَأَمَّا هُمْ فَسَكَتُوا وَلَمْ يُخْبِرُوا أَحَداً فِي تِلْكَ الأَيَّامِ بِشَيْءٍ مِمَّا أَبْصَرُوهُ».**

القديس مرقس يوضّح أن المسيح هو الذي أمرهم أن لا يقولوا لأحد إلاَّ بعد أن يقوم من الأموات. هنا يجعلها ق. لوقا كأنها من أنفسهم سكتوا ولم يخبروا أحداً، ولكن لنا شهادة بديعة من ق. بطرس الرسول يحكي فيها قصته مع المسيح على جبل التجلّي: «لأننا لم نتبع خرافات مصنّعة، إذ عرّفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه، **بل قد كنّا معاينين عظمته (مجده).** لأنه أخذ من الله الآب كرامة ومجداً، إذ أقبل عليه صوتٌ كهذا من المجد الأسنى: هذا هو ابني الحبيب الذي أنا سررت به.

(193) J. M. Creed, *op. cit.*, p. 143.

ونحن سمعنا هذا الصوت مقبلاً من السماء، إذ كنَّا معه في الجبل المقدَّس.» (2بط 1: 16-18)

8 ـ شفاء المسيح لشاب به روح شرير

(9:37-43 " أ ")

(مت 17:14-21)
(مر 9: 14-29)

وعودة للمسيح بعد التجلّي إلى حقل الخدمة وهموم البشر، ويستمر في خدمته بين هتاف التهليل والترحيب وبين الهجوم والتحدّي، بين القبول والرفض، وحتى أهله والأخصاء وكل الجليل كادوا يستودعونه في يد الشامتين. أمَّا في التجلّي فأظهر أقصى ما يمكن أن يوجِّه قلب تلاميذه إلى رسالته كلها بعد تأكيدها من اعتراف الله من المجد الأسنى بأنه مختاره وابنه، ويوصي بأن "له اسمعوا" أي أطيعوا واخضعوا. ولكن حتى تلاميذه ظلوا غير فاهمين وغير قابلين المصير المرسوم من الله في طريق الآلام والصليب. ولكن لكي يعفيهم الوحي الإلهي من الغباوة الكلية عاد يعطيهم العذر رسمياً بقوله: «وأمَّا هم فلم يفهموا هذا القول وكان مُخفىً عنهم لكي لا يفهموه» (لو 9:45)!! ونحن لو انتبهنا لهذا التقرير الخطير: **«وكان مُخفىً عنهم لكي لا يفهموه»**، نجده وكأنه جزءٌ حيٌّ صادقٌ للإيمان بالمسيح على مدى الأجيال ليجعل الإيمان بالمسيح لا يرتكن على الفهم والتحليل وموافقة العقل والمنطق، وإنما يُعطي فرصة للروح في الداخل لتأخذ دورها الأعظم وتقبل عطية الروح القدس للنمو والتعرُّف على الحياة الأبدية التي وُهبت لها. وتظل الطوبى على المدى للذين «آمنوا ولم يروا» (يو 20:29)!! «الذي وإن لم تروه تحبونه. ذلك وإن كنتم لا ترونه الآن لكن تؤمنون به فتبتهجون بفرح لا يُنطق به ومجيدٍ.» (1بط 1:8)

وفي وسط الكلام يوضِّح الروح أن التلاميذ فعلاً لم يصلوا بعد إلى مواجهة العدو السافر، إذ أخفقوا في شفاء صبي استحوذ عليه روح شرير وأخذ يلقيه على الأرض من حين إلى حين، وهو التشخيص الدقيق لمرضى الصرع. ولكن هذه هي حيل الشيطان لتظهر وكأنها طبيعية وليست من شغل يديه، بدليل شفاء الصبي بكلمة من المسيح الذي انتهر الروح النجس.

وفي قول المسيح للتلاميذ والجموع: «أيها الجيل غير المؤمن والملتوي إلى متى أكون معكم وأحتملكم» يظهر بوضوح أنه الزائر السماوي الذي هبط إلى أرض شقائنا ليطيِّب أمراضنا ويرتقي بإيماننا. وطبعاً غنيٌّ عن القول أن هذا الإعلان البديع موافق أيَّما موافقة لنزوله للتو من فوق جبل

التجلِّي ورؤى المجد وسماع صوت أبيه من المجد الأسنى. وكأن حنينه إلى الصليب قد زاد وتاقت روحه للذهاب إلى الآب والجلوس عن اليمين في عرشه الممجَّد، عوض الجهاد مع الكتبة والفرِّيسيين الأراذل الذين آذوا نفسه الوديعة وجعلوه يشتهي النهاية.

ومن قصة عجز التلاميذ عن أن يشفوا مريضاً به روح نجس وضح كيف كانت خدمة المسيح ملقاة بضغطها الشديد على المسيح وحده، إذ يظهر التلاميذ في مواقف الخطر أو الصعوبة موقف المتفرِّج المستعد للجري والهروب. وكأن القصة وراء القصة تحكي على مَنْ قامت المسيحية وما هو حدود إيماننا بالمسيح وحده، **الذي بكل قوتنا ينبغي أن نلقي رجاءنا عليه: «وليس بأحد غيره الخلاص»** (أع 12:4)، «أنا هو الطريق والحق والحياة. ليس أحد يأتي إلى الآب إلاَّ بي» (يو 6:14)، «أنا هو الباب» (يو 9:10)، «أنا هو القيامة.» (يو 25:11)

37:9 «وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي إِذْ نَزَلُوا مِنَ الْجَبَلِ، اسْتَقْبَلَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ».

ونحن لا نندهش من قوله وفي اليوم التالي لأن هذا هو طقس الأيام عند اليهود، فإذا غربت الشمس صار يوماً ثانياً ولو بدقيقة، ولكن هنا يبدو أنهم نزلوا من الجبل في وقت الصباح. ويُلاحَظ أن التلاميذ الأُخر الذين لم يصطحبهم معه بَقوا على سفح الجبل منتظرين، حيث اجتمع معهم جمع كبير من المرضى والشعب الذي يريد أن يراه ويسمعه.

38:9 «وَإِذَا رَجُلٌ مِنَ الْجَمْعِ صَرَخَ قَائِلاً: يَا مُعَلِّمُ، أَطْلُبُ إِلَيْكَ. اُنْظُرْ إِلَى ابْنِي، فَإِنَّهُ وَحِيدٌ لِي».

القديس لوقا يضع القصة هنا خالية من البيانات المرافقة التي ظهرت عند ق. مرقس، فلا إشارة إلى إيمان الرجل ولا إشارة إلى عدم إيمان التلاميذ ولا انبهار الشعب لما حدث إذ أجَّله إلى نهاية القصة. وهنا لا ينبغي أن تفوت علينا ملاحظة في غاية الدقة اقتبسها ق. لوقا من إنجيل ق. مرقس وهي عدم إيمان الجيل «الجيل غير المؤمن» (لو 41:9)، (مر 19:9). هنا تقرير المسيح هذا ـ الذي هو بمثابة إعلان الرفض بالرغم من المعجزات المتوالية ـ يشير إشارة بليغة إلى أن خدمة الجليل قد قاربت النهاية، وبالتالي تشير إلى بداية الطريق الصاعد إلى أُورشليم والنهاية.

39:9 «وَهَا رُوحٌ يَأْخُذُهُ فَيَصْرُخُ بَغْتَةً، فَيَصْرَعُهُ مُزْبِداً، وَبِالْجَهْدِ يُفَارِقُهُ مُرَضِّضاً إِيَّاهُ».

في إنجيل ق. لوقا يزيد في وصف الأعراض للمرض أكثر من إنجيل ق. مرقس. فيصف ق. لوقا هنا كيف يعتري الولد نوبات من تسلُّط الروح عليه بصورة عنيفة، وكيف يصرعه فيقع ويترضَّض على

الأرض، وهذه كلها أعراض مرض الصرع الذي يصعب شفاؤه. ولكن الحقيقة أن الشيطان يستطيع أن يغيِّر في عمله بالنسبة لمن يحتل جسده، فيظهر بأي صورة يراها الشيطان، وقد يعدِّد الصور فتتعدَّد الأعراض لتُربك أعظم طبيب. وبالرغم من ذلك كله من الممكن ألا يوجد في المصاب أي نوع من المرض أو الخلل الفسيولوجي، ويكون صحيح الجسم تماماً بالاختبار والفحص. فالشيطان أبو جميع الأمراض وبلا استثناء. لذلك كان أول عمل ينبغي أن يقوم به أهل المريض هو الالتجاء إلى الله والصلاة وبعد ذلك يأتي دور الطبيب. ففي هذه الحالة بالذات أضاف الشيطان على الصرع أيضاً صمماً، أي عدم سمع نهائياً فسمُّوه "روح أخرس" (مر 17:9). والشيطان يلتجئ إلى هذه الحيلة حتى يهرب من سماع أي صلاة عليه بالكلمات التي تجبره على مفارقة الجسد، وإذا سئل لا يَرُدَّ، لأن أذنه تكون مشلولة ولسانه أيضاً مشلولاً. وهكذا استبد هذا الروح بالولد وأرهقه من كثرة السقوط الذي يرضِّض جسده، وحينما يصيبه الدور يضغط على أسنانه ويُخرج رغاوي من فمه وقد يقطع لسانه أثناء الضغط عليه. ولكن للأسف لم يذكر ق. لوقا كل هذه الأوصاف ولكنها جاءت في إنجيل ق. مرقس وبعضها أتى في إنجيل ق. لوقا ولم يأتِ في إنجيل ق. مرقس.

40:9 **«وَطَلَبْتُ مِنْ تَلاَمِيذِكَ أَنْ يُخْرِجُوهُ فَلَمْ يَقْدِرُوا».**

توجد أرواح شريرة عاتية جداً يعسر جداً إخراجها بالقوة، فإذا لم يكن المصلِّي عليها مقتدراً بالروح فالشيطان قد يستهزئ به هو. ولكن شكراً لله فقد جاء الأقوى ونهب بيته وفكَّ أسراه وغَنِمَ غنائمه، وأصبح ولد صغير يحمل الصليب يقتدر في عمله كثيراً.

41:9 **«فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ: أَيَّهَا الْجِيلُ غَيْرُ الْمُؤْمِنِ وَالْمُلْتَوِي، إِلى مَتَى أَكُونُ مَعَكُمْ وَأَحْتَمِلُكُمْ؟ قدِّم ابْنَكَ إِلى هُنَا».**

الجيل كله غير مؤمن، فأبو الولد لا يؤمن بالتلاميذ أن يكون لهم قوة للشفاء، والتلاميذ لا يؤمنون أنهم قادرون باسم المسيح على الشفاء، والولد نفسه لضعف إيمانه يهزمه الشيطان. فوقوف الشيطان هكذا وهو يهزأ بهم جميعاً ضايق المسيح، إذ أن ضعف إيمانهم هو الذي أعطى الشيطان هذه القوة على إهانة خليقة الله. وهو نفس شعور يهوه تجاه الشعب في البرية بنفس الصفات، "فإلى متى أحتملك" طال أمدها جداً، فهنا ثلاثة آلاف سنة!! والمسيح يتكلَّم كضيف سماوي نزل يفتقد شعبه فوجد الشعب كله "إنساناً" مريضاً استولى عليه الشيطان وهزأ به ولم يعد في الأرض إيمان بعد، فقال لملائكته قدِّموه إليَّ، فحمل عن الناس ضعفهم ووضع خطاياهم وآثامهم على جسده، ودخل

إلى الشيطان كرجل واحد، فاستضعفه الشيطان وجمع عليه كل كتيبته من كتبة وفريسيين وصدوقيين ورؤساء كهنة وشيوخ الشعب جميعاً وقال لهم: اصلبوه فصلبوه، وإذ هو رب الحياة، مات بالبشرية التي فيه وأحياها لله خليقة جديدة، ولم يعد للشيطان عليها سلطان إن هي أمسكت باسمه وصليبه.

واضح أن عدم الإيمان بالله وعدم الالتزام بوصاياه هو الذي يفتح الباب للشيطان للدخول والعربدة في الجسم كما رأينا، فالمسيح كشف أن عدم إيمان الأب والعائلة والتلاميذ هو العلة في عدم شفاء هذا الولد البائس، لأن الشيطان إذا تملّك في الجسد يصيبه بأنواع أمراض وعذاب أليم. والقصة كما ظهرت في إنجيل ق. لوقا أن الشيطان يريد هلاكه. وهنا يبدو أن المسيح قد ضم هذه الحالة إلى كل الحالات الأخرى ووصفها بأنها حالة عدم إيمان في الجيل كله. وطبعاً سؤال «إلى متى أحتملكم» ردَّه: إلى الصليب! و «إلى متى أكون معكم؟» فهو كل الأيام وإلى نهاية كل الدهور!

+ «رجل أوجاع ومختبر الحزن ... فلم نعتد به، ... وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه ... والرب وضع عليه إثم جميعنا، ظُلم أمَّا هو فتذلَّل ولم يفتح فاه ... ضُرب من أجل ذنب شعبي وجُعل مع الأشرار قبره ... على أنه لم يعمل ظلماً ولم يكن في فمه غش. أمَّا الرب فَسُرَّ بأن يسحقه بالحزن، إنْ جعل نفسه ذبيحة إثم ... سكب للموت نفسه وأُحصي مع أثمة وهو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين.» (إش 53: 3-12)

42:9 **«وَبَيْنَمَا هُوَ آتٍ مَزَّقَهُ الشَّيْطَانُ وَصَرَعَهُ، فَانْتَهَرَ يَسُوعُ الرَّوحَ النَّجِسَ، وَشَفَى الصَّبِيَّ وَسَلَّمَهُ إِلَى أَبِيهِ».**

هنا أراد الشيطان أن يُظهر قوته وسلطانه أمام المسيح، فصرع الولد وجعله يتلوَّى كمن يمزِّق ثوباً. وفي إنجيل ق. مرقس يقف الولد أمام هذا المنظر المرعب طالباً المعونة. فهنا يكشف المسيح مسئولية الأب في هذه المحنة، إذ كان رد المسيح بعد أن سأله عن مدَّة مرضه وقال منذ صباه، فأرجع هذه الحالة إلى عدم إيمان الأب وأوقف شفاء الولد على مقدار إيمان الأب، فصرخ الأب يطلب قوة لإيمانه: «فقال له يسوع: إن كنت تستطيع أن تؤمن كل شيء مستطاع للمؤمن. فللوقت صرخ أبو الولد بدموع وقال أُومِن يا سيد فأعن عدم إيماني» (مر 9: 23و24). الإيمان الأول الذي يقوله أبو الولد هو الإيمان الفكري والذي نكرره باللسان، أمَّا اعترافه بعدم إيمانه فهو الإيمان القلبي غير الموجود نتيجة البعد عن مصدر الإيمان. فالإنسان يستمد إيمانه الفكري من الإنجيل والوعظ، ولكن الإيمان القلبي يستحيل أن يستلمه الإنسان إلاَّ من الله مواجهة، الذي يسكب سكيب نعمته على كل الطالبين الآتين إليه رافعين قلوبهم باستعداد العمل بالإيمان والسلوك بمقتضاه. ولكن ق. لوقا يختزل

القصة ليأتي إلى النهاية أنه شفى الصبي وسلّمه لأبيه. ونحن نجد أن رواية ق. مرقس ترتكز بشدة وتدور حول محور الإيمان ومسئولية الأب والأسرة ثم التلاميذ، كدرس أدخله ق. مرقس ببراعة مدهشة في خزانة الكنيسة ليكون عبرة للجميع. أمَّا ق. لوقا فكانت وجهة نظره نحو قوة المسيح ومقدرته على إخضاع هذا الشيطان العاتي وإعجاب الشعب.

43:9 (أ) «**فَبُهِتَ الْجَمِيعُ مِنْ عَظَمَةِ اللهِ**».

هنا غاية ق. لوقا من سرد هذه القصة ليضاهيها بالمجد والعظمة في التجلّي.

«**فَبُهِتَ**»: ™xepl»ssonto - «**عظمة الله**»: megaleiÒthti

والقديس لوقا يستعرض بهاتين الكلمتين عظمة الله التي تبهر الإنسان في مواجهة عظمة الله التي تجلّت على الجبل لتلاميذه. فالذي رآه الثلاثة تلاميذ على جبل التجلّي رآه الشعب كله جهاراً على مستوى الفعل المقتدر. لذلك، فإن كان ق. مرقس يسعى وراء الإيمان بتركيز زائد، فالقديس لوقا بنفس هذا التركيز يسعى وراء مصدر الإيمان.

9 ـ المسيح يُعلن عن آلامه مجدّداً

(9: 43 "ب" - 45)

(مت 17: 22و23)
(مر 9: 30-32)

للأسف أسقط ق. لوقا من روايته سؤال التلاميذ السرّي لماذا لم نستطع نحن أن نُخرج الشيطان، فكان ردُّه إن «هذا الجنس لا يمكن أن يخرج بشيء إلاَّ بالصلاة والصوم» (مر 29:9)، وبهذا سقط هذا التقليد عند ق. لوقا. ومعروف أنه كان يقدّم إنجيله للأُمم فلم يجعل الإيمان باهظ الثمن. ولكن نحن لسنا من الأُمم الآن بل من أهل بيت الله، والصوم عندنا هو القاعدة الصلبة التي نبني فوقها دستور إيماننا، لأن الإيمان يحتاج إلى قلب باع الدنيا ودفنها: «دع الموتى يدفنون موتاهم وأمَّا أنت فاذهب وناد بملكوت الله» (لو 60:9). وبيع الدنيا ومشتهياتها مع إغراءات العالم والجسد التي لا حدَّ لها ولا ضابط لا يكون إلاَّ بالصوم. فإذا أراد أي إنسان أن يبدأ الطريق عليه أن يضع الصوم كأغلى درَّة في إكليل خلاصه، لأن إيمان الإنسان الذي تدرَّب على الصوم جيداً وضبط الجسد وشهواته قادر بالحق أن يُخرج الشيطان بكلمة صلاته، وينصاع الشيطان صارخاً لأن ليس له في

هذا الإنسان مأخذ. أمَّا إيمان بلا صوم عن شهوات الدنيا فلا يخيف الشيطان ولا يُخرجه بل يجعله يستدير على المصلّي ويعيِّره بشهواته. فمرَّة ذهب راهب ليُخرج شيطاناً وكان يحب أمه كثيراً، ومرتبطاً بحبه لها أكثر من عبادته، فلمَّا نادى الشيطان ليخرج من الإنسان المريض ناداه الشيطان: "ماما ماما"، فخزي الراهب وذهب إلى ديره ليتعلّم كيف يبيع الدنيا بأهلها أولاً.

بعد حديث المسيح مع تلاميذه أخذهم وانطلق متجهاً إلى أورشليم عبر الجليل سرًّا، وفي الطريق كرَّر المسيح عليهم موضوع الآلام التي سيجوزها، وقد اعتاد المسيح أن يلجأ إلى تذكار آلامه بعد أن يكون قد أدى المعجزات وانبهر الناس والتلاميذ. وهنا تمَّ هذا بالفعل، فبعد أن «بهت الجميع من عظمة الله» على يد المسيح عاد مجدَّداً يكلّمهم عن آلامه، وإنما في هذه المرَّة عرضها بمنتهى الاختصار: «ابن الإنسان سوف يُسلّم إلى أيدي الناس» ولكن كالعادة عبرت هذه الكلمات الخطيرة من فوق رؤوسهم دون أن يعوها أو يسألوا حتى عن معناها. ولكن لم يهتم المسيح بضعف فهمهم لكلمات المأساة العظمى التي سيجوزها إذ انتظر إلى ما بعد حدوثها، بعد القيامة، ليكونوا على خلفية تقيهم من الخوف: «أيها الغبيان والبطيئا القلوب في الإيمان بجميع ما تكلّم به الأنبياء. أما كان ينبغي (حتماً) أن المسيح يتألّم بهذا ويدخل إلى مجده» (لو 24: 25و26)، هذا كان حديث المسيح لتلميذي عمواس بعد قيامته من الأموات. فانظر يا عزيزي القارئ كيف أن المسيح لا يزال حافظاً في نفسه بطء قلوبهم في الإيمان حتى بعد قيامته.

ويُلاحَظ عند ق. لوقا أن موضوع الآلام كلما يطرقه المسيح يوصي بحفظه سرًّا وعدم إذاعته، في مقابل موضوع "المسيَّا" وسرِّيته عند ق. مرقس. والقديس لوقا يقدِّم لنا هذا الاتجاه السرِّي عند المسيح في عدم الإعلان عن الآلام والصلب والموت إلاَّ بعد القيامة، حتى يستطيع التلاميذ أن يعادلوا الصليب والآلام بالقيامة من الأموات، فتفوز القيامة باحتضانها لكل أنواع الآلام والعذاب الذي تحمَّله المسيح من أجل الخلاص.

43:9 (ب) و44 **«وَإِذْ كَانَ الْجَمِيعُ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ كُلِّ مَا فَعَلَ يَسُوعُ، قَالَ لِتَلاَمِيذِهِ: ضَعُوا أَنْتُمْ هذَا الْكَلاَمَ فِي آذَانِكُمْ: إِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ سَوْفَ يُسَلَّمُ إِلى أَيْدِي النَّاسِ».**

هنا يحاول المسيح أن يلقّن تلاميذه سرَّ الملكوت الآتي على أساس الآلام والصليب، وفي الحال يظهر أمامنا الآن مقارنة واضحة بين الشعب المتعجِّب والمتهلّل للآيات والمعجزات؛ وفي نفس الوقت لا يعرف عن سرِّ الملكوت وثمنه شيئاً، وبين التلاميذ الذين الآن على دراية بالآتي سرًّا. ولكن يُلاحَظ أن المسيح يضغط على ضرورة حفظ هذا الكلام سرًّا بقوله: « ضعوا أنتم هذا الكلام في

آذانكم (المقصود بها في قلوبكم)» فوضعها في الآذان هو كنايةعن سمع الكلام السرّي؛ وهو أن «ابن الإنسان سوف يسلَّم إلى أيدي الناس» والعجيب أن ق. لوقا يحذف هنا بقية الجملة الرسمية: «ويُصلب ويقوم في اليوم الثالث» ويرى العلماء أنه لا يوجد أي داعٍ ليختزل ق. لوقا جملة السر كلها بما فيها من آلام وصلب وقيامة، إلاَّ أن ق. لوقا تسلَّم هذا التقليد من مصدر وثيق وأن المسيح فعلاً اختصر الرواية في هذه الجملة القصيرة.

45:9 **«وَأَمَّا هُمْ فَلَمْ يَفْهَمُوا هذَا الْقَوْلَ، وَكَانَ مُخْفىً عَنْهُمْ لِكَيْ لاَ يَفْهَمُوهُ، وَخَافُوا أَنْ يَسْأَلُوهُ عَنْ هذَا الْقَوْلِ».**

لقد نفَّذ المسيح خطته بالفعل في جعل أخبار آلامه سرِّية بأن قالها لتلاميذه، ولكن حبسها عن فهمهم حتى يتذكَّروها فقط بعد القيامة. إنه عمل عجيب حقًّا إذ جعلهم يسمعون بآذانهم عن صلبه وآلامه وموته، وحَبَسَها عنهم حتى لا ينزعجوا الآن، أمَّا بعد القيامة فسيتذكَّرون كل ما قاله لهم. وبهذا يكون المسيح قد أعطانا بواسطة تلاميذه جميع تنبؤاته عن الصلب قبل الصلب، ثم تتميمها بالحرف الواحد، ليكون هذا عند تلاميذه وعندنا أن المسيح إنما أسلم نفسه لأيدي الناس، وأسلم نفسه للآلام، وأسلم نفسه للصلب والموت بإرادته، ثم قام من الأموات. وبذلك يكون قد جعل الآلام والصلب والموت عملاً إرادياً تمَّمه حسب مشيئة أبيه بالحرف الواحد. وهذا هو السر في تكراره مرَّات ومرَّات عمَّا سيحدث له، حتى بعد حدوثه يفهمون أنه إنما عمله بإرادته حسب خطة الآب لخلاصنا.

10 ـ عراك على مَنْ يكون الأول بين التلاميذ

(48-46:9)

(مت 18: 1-5)
(مر 9: 33-37)

يُلاحِظ القارئ في المقارنة بين سرد ق. مرقس وسرد ق. لوقا للحوادث، أن في الثلاث مرَّات التي ذكر فيها المسيح شيئاً عن آلامه القادمة، حدث بعد كل منها تلميحٌ أن التلاميذ لم يدركوا ما قاله المسيح، وفات عليهم أن الحديث عن الآلام حسب قول المسيح هو عن بذل الحياة، فأعقبوا كل حديث بما يثبت عالمية فكرهم القاصر مثل: «وقال القول علانية (عن آلامه) فأخذه بطرس إليه

وابتدأ ينتهره، فالتفت وأبصر تلاميذه فانتهر بطرس قائلاً اذهب عني يا شيطان لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس» (مر 8: 32و33)، هذا عند ذكر آلامه أول مرَّة. أمَّا المرتان الثانية والثالثة فكان العراك بينهم على مَنْ يكون الأول أو الأعظم أيضاً، مما يكشف قصور فهمهم عن لماذا الآلام التي يتكلَّم عنها المسيح، إذ لم يربطوا أبداً بين ذكره لآلامه وملكوت الله الذي يكرزون به، مما اضطر المسيح أن يعيد فكر ملكوت الله وحتمية تواضع الفكر والقلب وبساطة الروح كأساس للدخول إلى الملكوت. فعوض النزاع بينهم فيمن هو الأعظم ينبغي أن يكون العكس فيمن هو أبسط وأقل وأصغر. والخدمة تقاس بمقياس ما توفَّر للكارز من خصال وصلاحية وليس بمستوى قيمته الشخصية. كذلك اضطر المسيح أن يعبِّر لهم عن ما هو حمل الصليب، فهو يُحمل ليس على أكتاف محبِّي الرئاسة والمتَّكأ الأول؛ بل على الظهور المنحنية في الخدمة المتواضعة لحمل آلام الناس والاشتراك في أوجاعهم وأحزانهم.

أمَّا فلسفة إقامة ولد في وسطهم وقوله: «مَنْ قبل هذا الولد باسمي يقبلني، ومَنْ قبلني يقبل الذي أرسلني» فهي ليست واضحة ولكنها عميقة. ففي أيام المسيح كان مَنْ يهتم بولد يُحسب إنساناً تافهاً، هكذا تماماً يطلب المسيح أن مَنْ يقبله لابد أن يكون عند ذاته إنساناً تافهاً، وهذا هو الذي ينفتح أمامه باب الملكوت. ولكن لاحظ أنه يجب أن يكون شعور البساطة أو الصغر أو عدم الاستحقاق لشيء هو عند الإنسان ذاته بالنسبة لنفسه هو، وليس بين القوم، لأن التصاغر أمام الناس مذموم أمَّا التصاغر في ضمير الإنسان لنفسه فهو ممدوح، وهو الذي يجعله يستحق ملكوت السموات كوَلد.

كذلك نجد ق. لوقا ينتبه إلى هذا الأمر ويورده هنا بعد ذكر المسيح لآلامه ويتوسَّع فيه، ولكن من المُلاحَظ في كل هذه أن المسيح يلتقطها من نفسه بالإيحاء دون أن يسمعهم ويرد عليهم. وهنا في هذه المرَّة أحضر ولداً صغيراً في وسطهم وابتدأ يعطي درسه العجيب عن التصاغر المؤدِّي إلى الملكوت، على غرار المسيح نفسه الذي أخلى ذاته من مجد الألوهة وصار كإنسان حقير عبد، ومن تحت هذه الحقارة وانسحاق النفس كعبد ربح العالم كله للملكوت بالصليب!! فالتصاغر لكسب الملكوت هو تصاغر إلهي لا تدانيه عظمة أعظم الناس. ويعطينا مثالاً في هذا التصاغر العجيب المهيب داود النبي والملك لمَّا خرج ليستقبل تابوت العهد، فكان يمشي ويرقص أمامه، فلمَّا عيَّرته ميكال زوجته وهي ابنة شاول الملك السابق قال لها: «فقال داود لميكال، إنما أمام الرب الذي اختارني دون أبيكِ ودون كل بيته ليقيمني رئيساً على شعب الرب إسرائيل، فلعبتُ أمام الرب. وإني أتصاغر دون ذلك وأكون وضيعاً في عيني نفسي وأمَّا عند الإماء التي ذكرتِ (عيَّرته كيف ترقص أمام العبيد

والإماء) فأتمجَّد.» (2صم 6: 21و22)

عزيزي القارئ، إن العظيم حقًّا هو مَنْ يستطيع أن يتصاغر. وهذا يكون مستوى الداخلين إلى ملكوت الله الصغار حقًّا والمتصاغرين بالحق!! لهذا قال: إن باب الملكوت ضيِّق.

ويبدو أن العراك كان بين يهوذا وق. بطرس، إذ يبدو أن يهوذا كان ذا شخصية معتدًّا بنفسه!

46:9 **«وَدَاخَلَهُمْ فِكْرٌ مَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ أَعْظَمَ فِيهِمْ؟»**

لقد أدرك المسيح هذا الذي دار بينهم وبادرهم بالتعليم. وقد أكَّد المسيح هذا في مواضع كثيرة لأن هذا النقاش والعراك على مَنْ يجلس أولاً ومَنْ يكون فيهم أعظم تكرَّر منذ بداية التلمذة، وظلَّت هذه النقيصة لاصقة بهم وربما بسبب يهوذا حتى إلى وقت العشاء الأخير. أمر مؤسف وهو إسفين الشيطان الذي طعن به الكنيسة ولا زالت تعاني منه، وهذا الفكر لم يفارق أي هيئة دينية في العالم أو في الكنيسة حتى في الأديرة بين الرهبان. وهكذا استطاع الشيطان أن يشغل فكر الكنيسة ورؤسائها وكل العاملين فيها ـ مَنْ هو الأول، مَنْ هو الرئيس، مَنْ هو الأعظم ـ عن أن تؤدِّي دورها التواضعي بين الناس، واختفى قول الرب: «تعلَّموا مني لأني وديع ومتواضع القلب.» (مت 11:29)

47:9 **«فَعَلِمَ يَسُوعُ فِكْرَ قَلْبِهِمْ، وَأَخَذَ وَلَدًا وَأَقَامَهُ عِنْدَهُ».**

لقد أحس المسيح بالروح فيما كانوا يتحاورون به دون أن يُعلِمه أحد، ولكنه في هدوء انتقى من الواقفين ولداً صغيراً وأوقفه بجواره، وكان هذا العمل وحده فيه عظة لمن له قدرة أن يتَّعظ من لفتات المعلّم المملوءة توجيهاً، فكونه في بداية الدرس يوقف الولد بجواره فهذا نوع من تكريم الصغير، بمعنى أن تعليمي ليس على مستوى العظماء ولكن بواسطة هذا الولد سأعطيكم درسي.

48:9 **«وَقَالَ لَهُمْ: مَنْ قبِلَ هذَا الْوَلَدَ بِاسْمِي يَقْبَلُنِي، وَمَنْ قبِلَنِي يَقْبَلُ الَّذِي أَرْسَلَنِي، لأَنَّ الأَصْغَرَ فِيكُمْ جَمِيعاً هُوَ يَكُونُ عَظِيماً».**

لقد قال المسيح في مسألة مَنْ هو أول أو أعظم، مثلين:
المَثَل الأول: ضرورة أن يصير الإنسان مثل ولد حتى يدخل ملكوت الله.
المَثَل الثاني: أن مَنْ يَقبَل ولداً باسمي يقبلني.

والقديس متى ضم الاثنين معاً هكذا: «فدعا يسوع إليه ولداً وأقامه في وسطهم وقال: الحقَّ أقول

لكم: إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات. فمَنْ وضع نفسه مثل هذا الولد فهو الأعظم في ملكوت السموات. ومَنْ قَبِلَ ولداً مثل هذا باسمي فقد قبلني.» (مت 18: 2-5)

والقديس لوقا ذكر أيضاً قبول الملكوت مثل ولد: «الحق أقول لكم: مَنْ لا يقبل ملكوت الله مثل ولد فلن يدخله.» (لو 17:18)

والحقيقة أن هذا الموضوع أصبح على ثلاثة أوضاع:

الوضع الأول: «**إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد** فلن تدخلوا ملكوت السموات.» (مت 3:18)

الوضع الثاني: «**مَنْ قبلَ ولداً واحداً** مثل هذا باسمي فقد قبلني.» (مت 5:18)

الوضع الثالث: «**مَنْ لا يقبل ملكوت الله مثل ولد** فلن يدخله.» (لو 17:18)

ولكن الشرح الذي يتضمَّن هذا كله يمكن أن يكون هكذا:

إن مَنْ يتصاغر حتى إلى مستوى هذا الولد من أجل اسمي يعتبر أنه قَبِلَ المسيح ذاته، بمعنى أن مستوى فهم وقبول الملكوت هو على مستوى تصاغر القلب والروح والنفس حتى إلى مستوى الطفولة. لأن العكس من ذلك أن يتصرَّف الإنسان إزاء الملكوت والمسيح كعالِم متعلّم بكل علم الفلاسفة. فالمسيح هنا جعل قبوله على مستوى قبول ولد، فالقبول هنا هو الإدراك والإيمان معاً، بمعنى أن يكون خالياً من التعقيد، خالياً من الذاتية على أساس من الشعور بالصغر وعدم الاستحقاق لشيء، ولكن في آن واحد يكون له ثقة الولد في الطلب وثقته في الأخذ، بمعنى أن يثق أن ما يطلبه يناله بالدالة التي فيه دون أي شعور منه بالاستحقاق لشيء، لأنه ليس إنسان في الوجود يشعر بصغر ذاته إلاَّ الأولاد. والمسيح يطلب أن الذي يأتي إليه يكون بهذا الشعور الذي للولد: شعور بالصغر، شعور بعدم الاستحقاق، وبآن شعور بالدالة، شعور بأن ما يطلبه يناله، مع ثقة بكل وعد وانتظار تتميم الوعد. وفوق هذا كله الافتخار الشديد بالحظوة عند المسيح والله مع الفرح الغامر الذي يحوِّل حياته إلى نعيم يملأ قلبه ومخيلته. وطالما قد وصل إلى حضرة المسيح فليس هناك قوة على الأرض تنتزعه من حضن يسوع.

وأمَّا معنى هذه الآية بحسب ما يقول العالِم أليس عن العالِم كريد(194) فهو أن [خدمة المحبة إنما تُختبر بمستوى سلوكها تجاه المحتقرين والمستضعفين].

(194) E. E. Ellis, *op. cit.*, p. 145; Creed, *op. cit.*, p. 138.

ولكن يلزم أن نزيد عليها أن استحقاق المحبة في المسيح أو للملكوت إنما يكون على مستوى المحتقرين والمستضعفين أيضاً.

وهنا قد اختزل كل من العالِم كريد والعالِم أليس موضوع قياس الولد بالنسبة للإيمان بالمسيح وقبوله، وبالتالي قبول ملكوت الله، إلى أنَّ قصد المسيح هو مجرَّد إعطاء مثال الأقل أو الأصغر The least. ولكن الطفولة ليس أبرز ما فيها الصغر، فيها الصغر نعم ولكن بدون الوداعة والحب والدالة واستجابة النداء والثقة الزائدة والفرح الشديد لا تُحسب طفولة ولا تُحسب قياساً يُقاس عليه. وأعظم مَثَل لرغبة المسيح في قياس سيكولوجية الولد قدَّمته أعظم شخصية روحية في القديم، وهو داود الملك لمَّا رقص أمام التابوت، ولمَّا عيَّرته زوجته (بنت شاول) ردَّ عليها بما يرغبه ويتمنَّاه المسيح لنا: «... أمام الرب، **وإني أتصاغر دون ذلك وأكون وضيعاً في عيني نفسي** وأمَّا عند الإماء (مؤنث العبد) التي ذكرتِ فأتمجَّد» (2صم 6: 21و22) وبهذه الصفة الملكوتية قال عنه الله: «وجدتُ داود بن يسَّى رجلاً حسب قلبي.» (أع 13:22)

هذا هو داود الأعظم والأصغر بآن واحد. ولكن: ومَنْ يكون داود إزاء مَنْ ترك عرشه في السماء، وأخلى نفسه من مجده، وأخذ شكل العبد وأطاع حتى الموت موت الصليب؟

11 ـ مَنْ ليس علينا فهو معنا

(9:49و50) (مر 9:38ـ40)

9:49و50 «**فَأَجَابَ يُوحَنَّا وَقَالَ: يَا مُعَلِّمُ، رَأَيْنَا وَاحِداً يُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ بِاسْمِكَ فَمَنَعْنَاهُ، لأَنَّهُ لَيْسَ يَتْبَعُ مَعَنَا. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: لاَ تَمْنَعُوهُ، لأَنَّ مَنْ لَيْسَ عَلَيْنَا فَهُوَ مَعَنَا**».

بعد تعريف يسوع للتلاميذ بمن هو الأعظم، يبتدئ ق. لوقا بعد ذلك بموضوع أثاره ق. يوحنا عن إنسان يحترف إخراج الشياطين مستخدماً اسم يسوع المسيح فمنعوه لأنه لا يتبع التلاميذ. ولأهمية هذا الموضوع جعلناه وحده منفرداً لأن الكنيسة تعاني كثيراً بسبب غياب هذا المبدأ. فقول المسيح أن مَنْ ليس علينا فهو معنا يفتح الباب لمزيد من أن يكون هذا الإنسان معنا لو فتحنا له باب المحبة. فالمسيحية لا تؤمن بالعداوة ولا المقاومة ولا التحزُّب، خاصة وأن اسم المسيح هنا مشترك، فالكنيسة عانت المرارة من القطع والحرمان والصدود ولم تستخدم المحبة قبل القطع. فالذي يقبل المسيح ولا يقبلنا ليس هو

عدوّنا بالضرورة. وإن كانت الفُرقة حادثة في عدم الاتفاق على الاسم، اسم يسوع المسيح، فالسر في ذلك في نقص المحبة، لأن المحبة تقرِّب القلوب، وإذا اقتربت القلوب اقتربت المبادئ والأفكار والاعتقادات. فإذا قبلنا هذا البعد أو عدم الاتفاق لأي سبب مهما كان فالمحبة قادرة أن تلغيه، خاصة إذا كانت على مستوى التواضع في ضوء المَثَل السابق أن نصير كأولاد حتى ندخل معاً ملكوت الله.

والإنسان يتعجَّب من العلماء الذين وضعوا كل همهم في كيفية إخراج الشيطان، ولم يعالجوا هذا المبدأ الخطير الذي أتعب الكنيسة على مدى التاريخ كله، إذ كان فرض العداوة قبل ممارسة المحبة هو سياسة الكنيسة بالنسبة للذي يختلف معها في "الاسم"، اسم يسوع. والإنسان يتعجَّب هل من أجل إخلاصنا لاسم يسوع ننقسم ونحارب بعضنا بعضاً ونعيش في بغضة وقطيعة ونحن نخدم اسماً واحداً مات صاحبه على الصليب من أجلنا نحن جميعاً؟!

فانظر عزيزي القارئ جيداً إلى هذا القانون الذي وضعه المسيح للتلاميذ أي للكنيسة: « مَنْ ليس علينا فهو معنا» أليس هذا باباً مفتوحاً: طالما الذي يكرز باسم المسيح **ليس ضدنا** فعلينا أن نقترب إليه بالمحبة وهو يقترب إلينا بالمحبة حتى نخدم معاً اسماً واحداً. لأن انقسامنا أحدث انقساماً في اسم المسيح أمام العالم. فإن كنّا نخدم اسم المسيح **حقّاً** واسم المسيح واحد غير منقسم، أصبح انقسامنا بسبب الاسم عاراً علينا وعلى اسم المسيح. وإنه لأمر مستحيل أن يعبد اثنان المسيح بحق وإخلاص وهما متخاصمان وأعداء لبعضهما. الكنيسة المنقسمة في العالم اليوم استطاعت بسلطانها وقوانينها أن تُدخل العداوة والفرقة والقطيعة في صميم الإيمان والعقيدة وتجعل الشعب يؤمن مرغماً بأن عقيدته هي الحق وعقيدة الغير خطأ ويلزم الفرقة والبعد بل والحرص والقطيعة بل والعداوة حتى يظل كل شعب على حق!!

ليس المطلوب الآن وحدة العقيدة والنطق الواحد بكل مفردات الإيمان، بل المطلوب قبول كل واحد للآخر على أنه حق لنفسه وعلى أن له إيماناً حقيقياً صادقاً لنفسه وعلى أساس محبة صادقة من القلب. هذا يمهِّد للمسيح الموجود في الوسط أن يمارس سلطان وجوده. لأنه أن تتصالح كل الكنائس وتتفق بالمداولات على إيمان وعقيدة موحَّدة أمر مستحيل للطاقة البشرية، ولكن يستحيل أن يجتمع الجميع بحضور المسيح ولا يوحِّد المسيح الإيمان والعقيدة بحضوره. لأن ما أفسده الإنسان لا يصلحه إنسان، ولكن طبيعة المسيح ووظيفته أن يصالح المضادات ويجعل الاثنين واحداً (أف 2:14).

يبدو أن المسيح متعوِّق في مجيئه بسبب عدم المصالحة في كنيسته،
إذ يقول ملاخي النبي إن الصلح حتمي لمجيء الرب وإلاَّ إذا جاء
علىخصومه فإنه سيضرب الأرض باللعن (مل 4:6).

خامساً: نحو الصليب
(10:19-51:9)

عند نهاية الآية (50:9) توقَّف ق. لوقا عن أن ينقل عن القديس مرقس، ولكنه سيعود إليه عند الآية (15:18) التي عند ق. مرقس هي (13:10)، وقد أسقط من روايته مجمل الجزء من مرقس 41:9 إلى 12:10 إلاَّ أنه كان يتقابل مع بعض محتوياته في مواضع قليلة لا نريد أن نرهق القارئ بمتابعتها.

على الطريق:

تعاليم المسيح لتلاميذه:
(أ) واجبات التلمذة وتميزها وامتيازاتها
(24:10-51:9)

1 ـ المسيح تجاه قرية السامريين
(56-51:9)

القديس لوقا وحده

أول جزء من الحديث يختص بالتلاميذ الذين يرافقونه في طريقه الصاعد إلى أورشليم. من أول الحديث يعطينا ق. لوقا فكرة عامة عن أين المسيح وإلى أين. فنحن في الجليل الآن والمسيح يتخذ طريقاً خاصاً ليسير فيه لا يعرفه فيه أحد إذ أراد أن يعبر في السامرة صاعداً إلى أورشليم. والعداوة المرَّة بين السامريين واليهود معروفة. ولكن يبدأ ق. لوقا الحديث بقوله: «وحينما تمَّت الأيام لارتفاعه ثبَّت وجهه لينطلق إلى أورشليم» **وبقوله: «حينما تمَّت الأيام لارتفاعه»؛** يقصد أن الزمن المحدَّد للكرازة والمحدَّد من الآب قارب على الانتهاء. وهكذا نحس أن الأيام لا تسير ببطء كما في بداية الإنجيل، ولكن توقيع الحوادث والأيام يجري بسرعة. وكل ما نستخلصه من الأحاديث هو

الإصرار الهادئ الذي يعلنه المسيح بوضوح لتقبُّل النهاية بثبات ووجهه متَّجه نحو أورشليم. وأهم الحوادث هي بعض المضايقات والمقاومات التي كان يعبر عليها المسيح كمسافر. فالهدف لا يحتمل أن تثنيه عنه مقاومات. وهنا تظهر روح المسيح المتزنة الفائقة السمو، خاصة في مواجهة العداوة كسبق تذوُّق بسيط إذا قيس بما ينتظره هناك في أورشليم من آلام مروّعة. وقد سبق أن رفضته الناصرة فعبر عليها بهدوء في بداية خدمته. وقد أغراه يوحنا ويعقوب أخوه للانتقام من السامريين الذين أظهروا لهم روح العداء، ولكن المسيح تخطَّاها دون انفعال وظهرت روحه الهادئة المنتصرة على الشر دون مصاريف. فوضح الفارق الهائل بين روح إيليا لما طلب أن تنزل نار من السماء وتأكل المضادين، وبين المسيح الذي أعطى تلاميذه درساً **فيما ينبغي أن يكون عليه المسيحي من محبة وتسامح تجاه الأعداء.** فشكَّلت قصة السامريين ورفضهم حتى لا يعبر المسيح في أرضهم أول صورة للكنيسة وقد نزلت بحر العالم لتعبر بالمسيح الأهوال، وكانت هذه القضية للتلاميذ هادياً في طريق إرسالية الخدمة ونصحاً غالي القيمة للذين يبادلون الشر بالشر.

وواضح أن ق. لوقا اهتم بأن يضع هذه القصة في موضعها هنا في بداية الرحلة الأخيرة لأورشليم، لأن روح التعليم في هذه القصة واضح جداً أنه ليؤسّس للكنيسة منهجاً واضحاً في المعاملات. علماً بأن ق. لوقا هو الوحيد الذي اهتم بهذه القصة **ليقطع بها خط الرجعة على الكنيسة كمؤسَّسة سلام ومحبة أن تمارس النقمة أو ترد على المقاومة.** ويسرد ق. لوقا هذه القصة كتوجيه مقدَّم من المسيح خصيصاً هنا للتلاميذ الذين أرسلهم أمامه في ذهابه لأورشليم. لهذا تظهر بوضوح شديد أنها جزءٌ حيٌّ من أصول الكرازة وواجباتها.

51:9 **«وَحِينَ تَمَّتِ الأَيَّامُ لاِرْتِفَاعِهِ ثَبَّتَ وَجْهَهُ لِيَنْطَلِقَ إِلَى أُورُشَلِيمَ».**

«تمَّت الأيام»: sumplhroàsqai

كلمة تشير إلى أن ما هو قادم في الكلام خطة إلهية سبق تحديد زمانها ومكانها، وكانت خدمة المسيح السالفة كلها تمهِّد وتشير وتسير نحو ما سيحدث في أورشليم. كذلك تشير كلمة "تمَّت" إلى أن النهاية في حياة المسيح وخدمته قد تمَّت حسب تدبير الله السابق. وتأتي كلمة "ارتفاعه ¢nal»myewj" لتوضّح أنها هي المقصودة من قبل، والتي من أجلها سار المسيح طريقه منذ البدء. يعني هنا أن الصعود هو الغاية التي ينتهي الزمان والطريق معاً إليها، ولكن كلمة "ارتفاعه" تتضمَّن أصلاً نزوله: «وأمَّا أنه **صَعِدَ**، فما هو إلاَّ إنه **نزل** أيضاً أولاً إلى أقسام الأرض السفلى» (أف 9:4)، وهنا إشارة سرِّية للموت والنزول إلى القبر. إذن، «تمت الأيام» هو اصطلاح عجيب غزير المعنى

وعميق، وقد استخدمه المسيح نفسه (يو 23:12و1:17، مت 18:26) إشارة إلى نهاية العملية برمّتها: الآلام والموت والقيامة ثم الارتفاع. ومجيء اسم إيليا حالاً بعد ذلك يعطينا فكرة أن مقصد الارتفاع هو حاضر في ذهن التلاميذ لأن إيليا صعد إلى السماء حيًّا (2مل 10:2 إلخ) وكأن من ضمن الطريق الذي بدأه المسيح بالسير نحو أورشليم هو كمالة الطريق إلى فوق.

52:9 **«وَأَرْسَلَ أَمَامَ وَجْهِهِ رُسُلاً، فَذَهَبُوا وَدَخَلُوا قَرْيَةً لِلسَّامِرِيِّينَ حَتَّى يُعِدُّوا لَهُ».**

تعتبر السامرة الفاصل الطبيعي بين اليهودية والجليل، وعاصمة اليهودية هي أورشليم، ولكن بسبب عداوات قديمة أصبح من العسير أن يعبر إنسان عبر السامرة متجهاً نحو أورشليم، لدرجة أن المسافر لابد أن يأخذ معه طعامه على طول الرحلة لأنه لا يتمكن من شراء شيء أو طلب طعام إن كان يهودياً. واليهود يعتبرون السامريين دنسين، لا يتصلون بهم بأي وسيلة، ولذلك فإن اليهودي لا يأكل طعاماً من السامرة.

من أجل هذه الأسباب أرسل المسيح رسلاً ليعدّوا له الطريق من طعام وخلافه. ولكن كان قصد المسيح لو أمكن أن يسمحوا له بالخدمة في إحدى قراهم التي على الطريق، لهذا أرسلهم ليعدّوا له مكاناً بينهم، ولكن للأسف الشديد رفضوا.

53:9 **«فَلَمْ يَقْبَلُوهُ لأَنَّ وَجْهَهُ كَانَ مُتَّجِهاً نَحْوَ أُورُشَلِيمَ».**

عداوة جنس ودين واحتكاك دائم وبغضة شديدة من الناحيتين وخاصة بين العاصمتين، لأن أورشليم حسب ادّعاء السامريين اغتصبت كرامة السامرة ومركز العبادة، لذلك تأصّلت العداوة وقامت المناوشات المحلية باستمرار، وهذا يحكيه يوسيفوس المؤرّخ(195)، وكان من العسير أن يمر يهوديٌّ في أرض السامرة خاصة إن كان متجهاً نحو أورشليم.

54:9 **«فَلَمَّا رَأَى ذلِكَ تِلْمِيذَاهُ يَعْقُوبُ وَيُوحَنَّا، قَالاَ: يَارَبُّ، أَتُرِيدُ أَنْ نَقُولَ أَنْ تَنْزِلَ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتُفْنِيَهُمْ، كَمَا فَعَلَ إِيلِيَّا أَيْضاً؟».**

وهنا ينتهز ق. لوقا قصة إيليا والنار التي أكلت رسل الملك والذين معه المذكورة في (2مل 10:1)، ينتهز هذا الحادث ويضعه هنا كتعليم للكنيسة كي **لا تستخدم الكنيسة سلطانها الروحي ولا**

(195) Joseph. *Ant.* xx. 6.1; J. M. Creed, *op. cit.*, p. 141.

الزماني للدعاء ضد الأعداء، أو حتى تمنّي الشر للناس مهما قدَّموا من رفض وإهانة. وفعلاً صارت هذه القصة جزءاً لا يتجزّأ من التقليد التعليمي في الكنيسة الحية. ويُلاحَظ أن ق. لوقا يعطي اسمي يعقوب ويوحنا اللذين اسمهما بوانرجس أي ابني الرعد (مر 17:3)، ربما تعليقاً على قولهما هذا. ونحن نتعجَّب لأن درس المسيح الأول للتلاميذ كان واضحاً فيه مثل هذا التعامل وكيفية معالجته: «وكل مَنْ لا يقبلكم فاخرجوا من تلك المدينة ...» (لو 5:9). ولكن الذي يبدو لنا أن رد يعقوب ويوحنا لم يكن مجرَّد مجاملة أو لغو كلام، لذلك ردّ عليهم المسيح في الحال.

55:9 **«فَالْتَفَتَ وَانْتَهَرَهُمَا وَقَالَ: لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مِنْ أيِّ رُوحٍ أنْتُمَا!»**

اتفق هنا جميع العلماء وبلا استثناء أن هذه الآية أُضيفت مبكّراً جداً بواسطة أحد النُّسَّاخ لأن النص الأقدم لم يحتويها. على كل حال هي توافق الموقف والمعنى. والكلام ينتهي في المخطوطات القديمة عند: "وانتهرهما".

56:9 **«لأنَّ ابْنَ الإنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُهْلِكَ أنْفُسَ النَّاس، بَلْ لِيُخَلِّص. فَمَضَوْا إلى قَرْيَةٍ أُخْرَى».**

يتفق العلماء أن هذه القرية ليست في السامرة، إذ يبدو أنهم بعد الرفض قد عبروا من جديد إلى الجليل ثم إلى بيرية، كما عاد ق. لوقا وذكرها في الآية (11:17): «وفي ذهابه إلى أورشليم اجتاز في وسط السامرة والجليل» وبهذا نفهم أن المسيح أكمل وصيته أنه إذا رفضوكم في مدينة فاذهبوا إلى أخرى.

2 ـ تكلفة التلمذة

(62-57:9) (مت 8:19-22)

بعد أن رُفضوا في السامرة وابتدأوا يعبرون في الجليل، تقدَّم إليه بعض الأشخاص يطلبون التلمذة للمسيح بينما كان متجهاً نحو أورشليم، غير أنهم لم يكونوا على قدرٍ كافٍ من تحمُّل تكلفة التلمذة للمسيح. وأجاب يسوع على كل واحد منهم ـ وقد كانوا ثلاثة ـ بالإجابة التي تناسب وضعه. فكشف المسيح لهم صعوبة الطريق وصرامة حياة التلمذة، فالذين يتبعونه أينما ذهب يتحتَّم عليهم أن يستعدوا ليكونوا بلا مأوى كما ارتأى المسيح أن يعيش، كذلك يجب أن يضع الإنسان التلمذة فوق حاجات الأسرة وواجباتها ويكافح للنهاية.

فالمتقدِّمون أو المدعوون لملكوت الله، كما هو واضح من الآية (62:9)، يتحتَّم عليهم أن يكون ملكوت الله عندهم أولاً وأخيراً، إذ هم مدعوون أن يتبعوا مَنْ هو الأول والآخر (رؤ 17:1). ولا يُسمح لشيء أن يعوق الطريق إلى الملكوت أو يَفْضُلها حتى ولو كان إلى دفن الأب الميت في البيت. إلى هذا الحد يوضِّح المسيح خطورة السعي في طلب ملكوت الله، لأنه يُعتبر المحك للحياة أو الموت بالنسبة للإنسان الساعي في طريق الله.

وهكذا تبدو المطالب في مجموعها أن يكون الإنسان بلا قيد وتتخطَّى بهذا مطالب التلمذة للربيين والفريسيين. ويُلاحَظ أن ق. لوقا امتاز عن ق. متى بأن اختار هذا الوضع لهذه الحالات المسجَّلة أمامه ووضعها قبل إرسالية المسيح لتلاميذه السبعين مباشرة كدستور حياة، كذلك ق. لوقا أضاف على ما في إنجيل ق. متى الحالة الثالثة من مصدر آخر.

وهذا الجزء من الإنجيل يهمنا جداً لأنه يعطي الأصل أو المنبع الذي أخذت منه الكنيسة شروط الحياة الرهبانية التي تفرَّعت منها خدمة الكهنوت بدرجاته، أي أخذت الجزئين الأساسيين اللذين تأسَّست عليهما الكنيسة الأولى منذ أول يوم بعد الخمسين، حينما قسَّمت خدمة البشارة ككل إلى رُسُل يتخصَّصون للصلاة وخدمة الكلمة (أع 4:6)، وشمامسة يقومون بأعواز الشعب الأخرى وأهمها الحياة الروحية، فالتقطت الرهبنة الجزء الأول وهو الصلاة وخدمة الكلمة وذلك **بالانقطاع الكلِّي** في مكان واحد على أساس البتولية الدائمة. وتطوَّرت خدمة الشموسية إلى كل درجات الكهنوت التي تخدم الشعب في كل مكان. ثم بدأت الكنيسة تلتفت إلى الرهبانية لتأخذ منها خُدَّامها، ولكن ظلت وإلى الآن الرهبانية مستقلة عن الكنيسة. ولكن أخيراً تغيَّر هذا النظام بأكمله لمَّا بدأت الكنيسة تقيم للمجموعات الرهبانية أُسقفاً على كل مجموعة فدخلت الرهبنة تحت نظام الكنيسة، وأضعف جداً هذا النظام التلمذة بجزئيها الرهبانية والكهنوت فلم تعد وصايا المسيح الثلاثة: بلا مأوى، بلا اهتمام بأسرة، بلا ارتباط بأسرة ـ إلاَّ في الحالات الرهبانية المتحفِّظة جداً. لذلك كان آباؤنا الشيوخ القدامى يقولون لنا عند الرسامة للرهبانية: "يا ابني احسب النفقة" لأنها في عرف العالم باهظة جداً.

ولكن وصايا المسيح لا تُحسب باهظة التكلفة للتلمذة وخدمة ملكوت الله وبالتالي ليست الكنيسة مغالية في ترتيب طقس الرهبانية فيها، لأن الله في العهد القديم طالب بني لاوي المنوط بهم خدمة خيمة الاجتماع ـ التي توازي في الماضي الهيكل في أُورشليم والآن الكنيسة أو الدير ـ بما يتوازى مع هذه الوصايا. ويكفي أن نعطي لمحة خفيفة عن الوصايا التي كان اللاويون يحرص قديماً

عليها بأمر الله ـ علماً بأن اللاويين منهم الكهنة أولاد هارون. وهنا موسى يعطي البركة لسبط لاوي فيقول: «وللاوي ... الذي قال عن أبيه وأمه لم أرهما وبإخوته لم يعترف وأولاده لم يعرف، بل حفظوا كلامك وصانوا عهدك. يعلّمون يعقوب أحكامك وإسرائيل ناموسك. يضعون بخوراً في أنفك ومحرقات على مذبحك. بارك يا رب قوته وارتض بعمل يديه. أحطم متون مقاوميه ومبغضيه حتى لا يقوموا.» (تث 33: 8-11)

هذا قانون حياة اللاوي كاهن العهد القديم: **«عن أبيه وأمه لم أرهما»** أي انقطع لدرس التوراة وصان عهد الله، وأيضاً **«بإخوته لم يعترف»** أي كأنهم غير موجودين لديه، **«وأولاده لم يعرف»** وحتى أولاده كأنهم ليسوا له، هذا كله ليتفرَّغ لدراسة كلمة الله ونساختها وشرحها وتعليمها للشعب. علماً بأن اللاوي أبوه لاوي مثله وقد يكون كاهناً ابن كاهن ولكن ليس لأبيه حقوقٌ عنده وكأنه ليس أباه، ليتفرَّغ لكلمة الله وصون عهود الله المكتوبة ومتطلباتها.

لذلك لا يظن أحد أن وصايا المسيح الثلاثة للتلمذة التي ذكرناها هي ثقيلة بل تبدو الآن أهون قليلاً. ولكن على مستوى العموم فإن خادم الرب على أي مستوى وعلى كل حال وُضع عليه أن يتفرَّغ كلية لكلمة الله وصيانة عهد الله. كذلك لا يظن أحد أن الرهبنة اخترعت قوانينها بل هي ـ كما هو واضح ـ مأخوذة من وصايا الله للاوي خادم الله. فاللاوي واضح من بركة موسى له أن واجبه الوحيد هو خدمة الله، وليس للأب أو الأم أو الإخوة والأخوات حقوقٌ عنده. أليست هذه بالنص هي قوانين الرهبنة، علماً بأن اللاوي متزوِّج وينجب أولاداً لكي لا يعدم الله خادماً يخدم مقادسه.

والجميل للغاية أن في الثلاثة نماذج من التلاميذ الذين جاءوا يطلبون التلمذة لدى الرب يسوع، اثنان منهما جاءا باختيارهما وواحد ناداه الرب، وهذا يعني أن يسوع المسيح الذي وضع قانون التلمذة ويعلم بمشقّته يدعو إليه تلاميذاً ويا لطوبى لمَنْ يدعوه الرب.

ومَنْ يدعو؟ يدعو الذي هو وحيد أبيه ويموت أبوه ولا يعود ليدفنه، وهذه منتهى الجفوة بحساب الناس والعالم، ولكن هذه تأخذ صداها من قول الرب: «ليس أحد ترك بيتاً أو إخوةً أو أخواتٍ أو أباً أو أُمًّا أو امرأةً أو أولاداً أو حقولاً، لأجلي ولأجل الإنجيل، إلاَّ ويأخذ مئة ضعف الآن في هذا الزمان، ... وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية» (مر 10:29و30). فإذا سألتني لماذا الكنيسة ضعيفة؟ أقول لك لأن التلمذة فقدت طريقها.

57:9و58 «**وَفِيمَا هُمْ سَائِرُونَ فِي الطَّرِيقِ قَالَ لَهُ وَاحِدٌ: يَا سَيِّدُ، أَتْبَعُكَ أَيْنَمَا تَمْضِي. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: لِلثَّعَالِبِ أَوْجِرَةٌ وَلِطُيُورِ السَّمَاءِ أَوْكَارٌ، وَأَمَّا ابْنُ الإِنْسَانِ فَلَيْسَ لَهُ أَيْنَ يُسْنِدُ رَأْسَهُ**».

إزاء طلب الشخص الأول الذي تقدَّم من ذاته طالباً أن يتبع المسيح أينما يمضي (بمعنى التبعية وليس ليكون كأحد التلاميذ وإنما ليكون من التابعين وكفى)، كان رد المسيح على هذا المشتاق للتبعية أن اتباع الرب معناه ترك كل شيء جملة ـ أي مرَّة واحدة ـ كمن قطع التذكرة في الطريق الصاعد إلى السماء بعيداً عن الأهل والوطن والأحباء والمال والغنى وأوهام العالم الباطل. وأشار المسيح إلى انعدام فرص إراحة الجسد وتنعيمه، ولا حتى إلى درجة أين ينام الإنسان وأين يستريح، كالطائر الذي يخرج من البيضة ويتعلَّم الطيران فيطير ولا يعود يذهب إلى عشه. وحتى الطائر أُعطي الغريزة أن يبني لنفسه عشاً، أمَّا الساعي وراء المسيح أو الملكوت فقد فَقَدَ هذه الغريزة، إذ يكون كإبراهيم الذي دعاه الله ودعا نفسه لاتباع الله بالإيمان فخرج من وطنه وبيته وعشيرته حسب الصوت الذي دعاه، وسار في الأرض ولا يعلم أين يذهب (عب 11:8)، وصار متغرِّباً في أرض غريبة ممتدة بطول بلاد فلسطين وعرضها من مكان إلى مكان يضرب خيمته وينام، فأقسم الله أن يعطيه كل الأرض التي تغرَّب فيها وطناً لنسله تعبيراً عن استيطان السماء التي افتتحها واحد من نسله وهو المسيح. فالذي يريد أن يستوطن السماء عليه أن يعيش متغرِّباً عن أهله ووطنه وبيته، وحتى جسده، لأن مَنْ يتمسَّك بجسده كمَنْ يبيع وطنه السماوي، ومَنْ تغرَّب عن جسده يكون قد استوطن السماء. لأن الجسد في الإيمان المسيحي يمثِّل الوطن والأهل والعشيرة والدنيا والعالم؛ بل ويمثِّل التفاهة واللاشيء، بل والموت والفناء، لأنه هو وكل ما له وكل أعماله من التراب وإلى التراب يعود: «فإذ نحن واثقون كل حين وعالمون أننا ونحن مستوطنون في الجسد، فنحن متغرِّبون عن الرب ... فنثق ونُسرُّ بالأولى أن نتغرَّب عن الجسد ونستوطن عند الرب.» (2كو 5: 6ـ8)

وهكذا جاء المسيح وأعطى نفسه مثالاً حتى إلى الحرمان من راحة الجسد، أو غفوة يغفوها وهو متعب في مكان يريح رأسه فيه. حتى وبهذا الجسد المتعب والرأس التي لم تعرف راحة الإغفاءة وقت التعب الشديد استطاع أن يتقدَّم إلى الصليب ليقدِّم هذا الجسد ذبيحة عن كل تعابى الأرض، ليهبهم لا راحة جسدية بعد ولا راحة زمنية، بل راحة هي الراحة العليا بجسد جديد خلقه لنا من صليبه وقيامته، جسداً روحياً لا من تراب الأرض بعد بل من طبيعة جسد قيامته، مؤهَّلاً لملكوت الله الذي تجسَّد ليدعونا إليه.

59:9 «**وَقَالَ لآخَرَ: اتْبَعْنِي. فَقَالَ: يَا سَيِّدُ، ائْذَنْ لِي أَنْ أَمْضِيَ أَوَّلاً وَأَدْفِنَ أَبِي**».

دفن الموتى من المهام الأساسية جداً في الحياة الاجتماعية عند اليهود، بجانب أنه واجب ديني حتى لا يُعدَى أحدٌ إن كان الموت بمرضٍ ما. ولهذا يُعتبر سؤال ذلك المبتدئ للتلمذة وكأنه سؤال معقولٌ وهامٌّ. فلماذا لم يلتفت المعلّم لأهمية هذا الاعتذار؟ الحقيقة أن المسيح أبرز ولأول مرَّة أولوية الدخول إلى ملكوت الله فوق كل مهمة أيًّا كانت، ولكن الأكثر أهمية منطقياً هو أن الآخرين الذين لا يسعون إلى الملكوت هُم الأولى والمنوط بهم هذا الواجب المادي، الذين أسماهم المسيح بالموتى بمعنى أنهم غير طالبين الحياة الحقيقية.

60:9 **«فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: دَعِ الْمَوْتَى يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ، وَأَمَّا أَنْتَ فَاذْهَبْ وَنَادِ بِمَلَكُوتِ اللهِ»**.

المسيح هنا يضع حدًّا فاصلاً بين مهام هذا العالم وبين ملكوت الله، أي الخلاص والحياة الأبدية، وقد أوضحها جداً في قوله: «أنا لست من العالم» (يو 17:14). ثم يطبِّق هذا النص على تلاميذه: «ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم» (يو 17:16). المسيح قطع هنا قطعاً بأن مسيرة الملكوت أو الحياة الأبدية ذات أولوية مطلقة على أي مطلب لهذا العالم، حتى ولو كان هو أن يدفن الإنسان أباه الميت أمامه. هذا القطع الشديد لم يسنّه المسيح من فراغ، بل من خبرة شعب على مدى ألفي سنة تحت وصايا معتدلة لم يستجيبوا لها وخسروا علاقتهم بالله. فابتدأ في العهد الجديد يضع حدًّا فاصلاً بين ما هو لهذا العالم والجسد بكل مطالبهما وبين الدعوة إلى ملكوت الله، وقد طبقها المسيح منذ أول حركة في تدبير ملكوت الله في رسالته. فقد نادى تلاميذه وهم في وسط معمعة العالم وطالب الصيَّاد أن يلقي بصيده ومهنته ويتبعه، ونادى موظّف الضرائب أن يترك مهنته ويتبعه، فلمَّا لبُّوا الدعوة صاروا رُسُلاً للكنيسة توضع حول رؤوسهم الهالات ويُقدِّم لهم الملوك الخضوع والطاعة. إذن فدعوة المسيح للملكوت تختص بصميم حالة الإنسان ومستواه، ترفعه من المزبلة وتُجلسه مع الرؤساء. بمعنى أن دعوة المسيح ليست ضد الإنسان ولكن ضد العالم!! ليست لحرمان الإنسان من أسرته وأفراحه الدنيوية بل ضماناً لمسرته وفرحته الأبدية التي لا يمكن أن تُنزع منه.

وحينما يقول المسيح: «دع الموتى يدفنون موتاهم وأمَّا أنت فاذهب وناد بملكوت الله» فهي دعوة للحياة الأبدية، بمعنى الكرازة والمناداة بالملكوت للناس لكي لا يموتوا موتهم الأبدي، أي أن الموت الجسدي بما يحيطه من أحزان وواجبات لا يُقاس بالموت الأبدي والحرمان من الحياة مع الله. والمسيح هنا لا يقصد أن يُترك الميت لينتن في مكانه، إذ يوجد مَنْ هو مستعد لدفنه، بل يقصد خدمة موت الجسد التي لا يمكن أن تُقاس بخدمة الواقعين في الموت الروحي ودعوتهم إلى الحياة الأبدية. هذا طريق وذاك طريق آخر تماماً، فالخدمة الدنيوية طريقها إلى الزوال بكل مجاملاتها، أمَّا خدمة الملكوت

فهي حياة وبقاء ودوام أبدي.

ويُلاحَظ أن المسيح هنا هو الذي يدعو الإنسان أن يتبعه لينادي بملكوت الله، وليس ذلك فرضاً وضعه على كل الناس. فهي حالة فريدة من نوعها حينما يسمع الإنسان دعوة الله له ليحيا معه في ملكوته. وكم من أشخاص دعاهم الله فتشكّكوا وانهزموا وأعطوا القفا لله وفضّلوا خدمة العالم، وبعدها ندموا ندماً شديداً، بل عضُّوا على نواجذهم(196) حينما أحسُّوا وتيقّنوا أنهم لم يحسنوا الاختيار. فالله لا يغتصب إنساناً قط بل أعطى الله للإنسان أن يغتصب ملكوته لكثرة حنانه وحكمته ولشهوة قلبه أن يملأ قلبه بمحبيه. لذلك دعوة الله لا تأتي عارمة وكأنها تهزم إرادة الإنسان، بل تأتي بصوت خفيف خفة نسيم الصباح يكاد الإنسان لا يحسّها ولكنه لحظة أن يقبل تزداد ويزداد رنينها حتى تملأ كل كيانه وحياته، بل وتسد عليه كل المنافذ.

فالله يدعو برقّة شديدة غير محسوسة ولا مسموعة لكي تلتقطها الروح فقط وتستجيب لها دون إجبار، لتبقى للإنسان حريته الكاملة في الاختيار دون تدخُّل زائد من طرف الله. نعم نقول إنه بمجرَّد أن تقبل روح الإنسان الدعوة تصير فيه كطاقة من نار تأكل كل ما حواليها ويظل صوت الله الخفيف يتتبع الإنسان حتى يتأكَّد أنه من الله، وبعدها يتواجه الإنسان مع الملكوت مواجهة ويحس بحب الله وفضله وإحسانه كل أيام حياته.

على أن دعوة الله للإنسان أن يتبعه إلى ملكوته تُحسب بحساب الربح والخسارة أنها تعادل كل أمجاد العالم ومشتهياته بكل كراماته وغناه، ثم تتخطّاه لتلغيه وتلغي وجوده من قلب الإنسان وروحه وفكره، وينتهي الإنسان إلى ما انتهى إليه شاول المدعو بولس: «بل إني أحسب كل شيء ... نفاية (أي زبالة) لكي أربح المسيح.» (في 8:3)

61:9 **«وَقَالَ آخَرُ أَيْضاً: أَتْبَعُكَ يَا سَيِّدُ، وَلكِنِ ائْذَنْ لِي أَوَّلاً أَنْ أُوَدِّعَ الَّذِينَ فِي بَيْتِي».**

هنا ولهذا أيضاً سبق المسيح وقيَّم أعداء الإنسان الحقيقيين أنهم هؤلاء «الذين في بيتي» إذا قُيِّمت العداوة على المستوى الروحي، إذ قال صراحة: «أعداء الإنسان أهل بيته» (مت 36:10). حنين الأسرة والعشيرة والوطن طوَّح بعظماء كثيرين وجعلهم يفضّلون العالم عن الله، وخدمة الأسرة عن خدمة الروح. وقد حاول ذلك الإنسان المربوط بأهل بيته أن ينطلق وراء المسيح ليخدم الملكوت على شرط بقاء الحنين إلى الأهل والأصدقاء والتراب، فيمشي ينادي بملكوت الله وأهل بيته يشدّون

(196) النواجذ هي أقصى الضروس (ضرس العقل).

عقله وقلبه وعواطفه من خلف، فتخرج خدمة الملكوت ملوَّثة بخدمة الجسد تسيطر عليها عواطف اللحم والدم، فتخرج العظات ولها رنين أرضي لا تستطيع أن ترتفع بقلوب سامعيها إلاَّ إلى ما دون السقف. لذلك أسرع المسيح وكشف ذلك الخيط الذي يربطه من خلف ليظهر في الحال أنه لا يصلح إلى أمام ولا إلى فوق!!

62:9 «**فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: لَيْسَ أَحَدٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْمِحْرَاثِ وَيَنْظُرُ إِلَى الْوَرَاءِ يَصْلُحُ لِمَلَكُوتِ اللهِ**».

هنا يستخدم المسيح حذق الفلاحة وخدمة حرث الأرض وتخطيطها بالمحراث. فالفلاح الخبير الماهر حينما يخرج بزوج من البقر على المحراث ويبدأ يخطِّط الأرض خطوطاً طويلة قد يزيد طولها عن مئات الأمتار، والخط بجوار الخط لا يخل ولا إلى شبر واحد وإلاَّ صار مهزأة بين الفلاَّحين والغادين والرائحين وتتراكم بعد ذلك البذار فوق بعضها فلا تنبت. فالفلاَّح الماهر بعد أن يكمل حرث حقله تنظره من بعيد وتتعجَّب لهذه المهارة، إذ ترى الأرض مرسومة بخطوط المحراث باستقامة لا تأتي بها في زماننا هذا إلاَّ الآلات الدقيقة. فإذا لاحظت فلاحنا هذا وجدته واقفاً على مؤخِّرة المحراث يسوق البقرات وعينه إلى الأمام لا تميل يمنة أو يسرة، وكأن وجهه قد تصلَّب في اتجاه الخطوط والملكوت ـ وواحسرتاه على فلاح الإنجيل الخائب الذي وقف على المحراث يحرث حقل الله وهو ناظر إلى خلف، إلى أهل بيته ومشدود بمَنْ فيه، تخرج كلماته وعظاته فاقدة استقامة الإنجيل، والروح تميل إلى هنا وهناك لتجامل هذا وذاك ولا تستطيع أن تربط القلوب بالله.

الأصحاح العاشر:

3 ـ إرسالية السبعين رسولاً
(16-1:10)

القديس لوقا وحده

نحن مديونون كثيراً للقديس لوقا بهذا الجزء الفريد من كرازة المسيح وهو تعيين سبعين رسولاً آخرين غير الاثني عشر، الأمر الذي لم يذكره أيٌّ من الأناجيل الأخرى ولو أنه لم يذكر لنا أسماءهم. وقد احتفظ لنا التقليد الكنسي بهذا الخبر وذُكرت أسماؤهم في كتب الأبوكريفا أي المدوَّنات الكنسية غير القانونية(197)، ويُقال إنهم اثنان وسبعون. على أن

(197) لقد أورد العلاَّمة ابن كبر في كتابه: "مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة" (الباب الرابع) قائمتين لأسماء هؤلاء السبعين رسولاً، الواحدة بحسب تقليد الكنيسة القبطية والأخرى بحسب تقليد الكنيسة اليونانية. وقد استقاها من الكتابات الكنسية السابقة له.

التقليد احتفظ أيضاً بأتعابهم كتلاميذ للرب. وللأسف لم يصلنا أي شيء من تعاليمهم أو خدماتهم الكنسية خارج أورشليم. وقد أعطاهم المسيح بعض التعليمات وهي موازية للتي جاءت في إنجيل ق. متى بخصوص الاثني عشر.

والأمر المستغرب له أن ق. لوقا ذكر شيئاً من تعاليم المسيح لهم في الآية (35:22)، وهي نفسها التي جاءت في هذا الأصحاح الذي نحن بصدده (4:10). ونحن لا نعلم من أي مصدر استقى ق. لوقا هذه الأخبار عنهم. على أن الإطار الذي يحوي أخبارهم يقع في (10: 1و17-20)، وربما يكون ق. لوقا قد اعتنى بأخبارهم ليقدّم لنا فصلاً جديداً موسَّعاً كعينة من امتداد خدمة المسيح، قاصداً أن ينبِّه أذهاننا أن تلاميذ المسيح لم يقتصروا على الاثني عشر. ولا يفوتنا أيضاً أن تعيين المسيح للسبعين رسولاً هو تطبيق واضح لما صنعه يهوه العظيم مع موسى: «فخرج موسى وكلّم الشعب بكلام الرب وجمع **سبعين رجلاً** من شيوخ الشعب وأوقفهم حوالي الخيمة. فنزل الرب في سحابة وتكلّم معه وأخذ من الروح الذي عليه وجعل على السبعين رجلاً الشيوخ. فلمَّا حلّت عليهم الروح تنبأوا ولكنهم لم يزيدوا، وبقي رجلان في المحلة اسم الواحد ألداد والآخر ميداد فحلَّ عليهما الروح وكانا من المكتوبين (أي عددهم 72)» (عد 11: 24-26). وهكذا في التقليد

القديم كان العدد سبعين بالإضافة إلى اثنين. وللعجب يحدث هذا الأمر نفسه في موضوع السبعين رسولاً، إذ وُجِدَت مخطوطات مثل النسخة الفاتيكانية وبعض النسخ القبطية والسريانية(198) تقرِّر أنهم كانوا اثنين وسبعين.

ولكن يلاحظ القارئ أن حديثنا قد توقَّف في نهاية الأصحاح التاسع عند وجود المسيح والتلاميذ في رحلتهم نحو أُورشليم، وقد غيَّروا خط السير بناءً على رفض السامريين أن يجعلوهم يمرُّون إلى أُورشليم، فاتجهوا إلى تخم الفلسطينيين. لذلك نندهش إذ أن ق. لوقا لا يزال يعطي أخبار السبعين (أو الـ 72) وكأنه في الجليل.

على أن ما يسرده ق. لوقا هنا هو مجموعة من التعاليم والأقوال غير مرتبطة ببعضها، مما يدل على أنها عملية تجميع جديدة مكمِّلة لما فات، إنما تحوي من الدرر الإنجيلية ما يُبهج قلبنا. وهنا يذكر المسيح (2:10) أن الحصاد كثير والفعلة قليلون حتى بعد تعيين السبعين (أو الـ72)، ملمِّحاً إلى حتمية امتداد الكنيسة لتواجه حاجة الخدمة الشديدة. ثم يذكر المسيح بشيء من الأسى ما سيتعرَّض له السبعون من المخاطر (3:10)، وكما سمعنا في توجيهات المسيح للاثني عشر عن مستلزمات خدمة الملكوت الهامة، يعود هنا ويوصي السبعين أن لا يحملوا معهم أي زاد أو (زُوَّاد) أي من الحاجيات، لكي يختبروا الإيمان بالله الذي سيوفِّر لهم كل ما يحتاجون إليه (4:10). وابتدأ الرب يعلّمهم عن بروتوكول أو أصول آداب الخدمة في البيوت بضرورة إعطاء السلام (5:10)، على أنه لو رُفض السلام عليهم أن ينسحبوا إلى بيت آخر، ولكن متى قوبلوا بالترحاب فعليهم أن يعتمدوا على ما يُقدَّم لهم لأن هذا استحقاق الخدمة. غير أنه أوصاهم أن لا ينتقلوا من بيت إلى بيت، والذين يرفضون الدعوة ينذرونهم بأن ملكوت الله قد قرب وهم سيحرمون أنفسهم بأنفسهم وسيكونون تحت السؤال في الدينونة. وفي النهاية يبدأ المسيح يكشف بحزن عن مصير المدن التي سترفض الملكوت المقدَّم لها. ولكن أخيراً يعلن هذه الحقيقة الإلهية التي ترفع من قيمة الخدمة إلى السماء، إذ أن كل ما يُعمل معهم إنما سيكون موجَّهاً له شخصياً (16:10). وبعودة الرسل في الأعداد (17-20) يتجلَّى الفصل كله، حيث تظهر النصرة من داخل الرفض كطبيعة حتمية للرسالة.

وقصد ق. لوقا أن يعطي تعاليم المسيح فيما قبل القيامة لتكون مثالاً لما يجب أن تتبعه الكنيسة، وواضح من إرسالهم اثنين اثنين أنه لتكميل الخدمة بالمعجزات. ولا يفوت علينا إصرار المسيح وعنه ق. لوقا في تقديم خدمة السبعين رسولاً كعيِّنة لانفتاح الكنيسة لتكون إسرائيل الجديدة مشدَّدة

(198) Marshall, *op. cit.*, p. 415.

بالسبعين الجدد، كتصوير أخروي لانفتاح الكنيسة على أمم كثيرة (حيث عدد أمم الأرض المذكورة في سفر التكوين الأصحاح العاشر هو سبعون أمة بالذات). وهذه الحملة الكرازية القوية الجديدة جدَّدت فكرنا من نحو خدمة المسيح التي اختُزلت في الأناجيل لتُقرأ في ساعة، مع أنها قد ملأت ثلاث سنوات ونصف، وهذا ما عبَّر عنه المسيح بنفسه حينما قال: إن الحصاد كثير والفعلة (72) قليلون، إشارة للملايين القادمة. ولكن تدخل الكنيسة رسمياً في هذه المسئولية إذ يقول المسيح: صلُّوا واطلبوا من رب الحصاد أن يُرسل فعلة على قدر الاتساع، الأمر الذي أهملناه، لأنه على أكتاف الكنيسة الحية يُستعلن الملكوت، لأنه حتماً بقوة الروح ستنتصر الكنيسة وتمزِّق قوى الشيطان.

وهكذا مثَّل لنا ق. لوقا بقصة السبعين صورة حيَّة لامتداد الكنيسة الأخروي ليوقظ فكرنا أننا سائرون والسلام على أكتافنا، ومنتصرون منتصرون لأن قوة المسيح ستكتسح برودة الكنيسة لتشهد الشهادة الأخيرة، بحسب قول ق. لوقا الذي استلمه من المصدر الزمني الذي ربما رأى بعينه كيف رجع السبعون فرحين ومنتصرين: «**حتى الشياطين تخضع لنا باسمك**» (17:10) لا عن رضى بل بالقوة الغالبة التي غلب بها الرب.

هذه الصورة البهية التي يقدِّمها ق. لوقا لخدمة الكنيسة المتَّسعة بالسبعين الراجعين بالفرح والانتصار هي المطابق الحي الناطق بنفس الصورة التي يقدِّمها إشعياء النبي عن تصوُّره الرؤيوي لكنيسة آخر الأيام: «ومفديو الرب يرجعون ويأتون إلى صهيون بالترنُّم وعلى رؤوسهم فرح أبدي. ابتهاج وفرح يدركانهم. يهرب الحزن والتنهُّد. أنا أنا هو معزِّيكم.» (إش 51: 11و12)

1:10 «**وَبَعْدَ ذلِكَ عَيَّنَ الرَّبُّ سَبْعِينَ آخَرِينَ أَيْضاً، وَأَرْسَلَهُمُ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ أَمَامَ وَجْهِهِ إِلَى كُلِّ مَدِينَةٍ وَمَوْضِعٍ حَيْثُ كَانَ هُوَ مُزْمِعاً أَنْ يَأْتِيَ**».

لغة القديس لوقا في افتتاحية هذا الأصحاح تنطق بالأصالة وبلغة التقليد الكنسي السائد وقتها، فهي تحمل خبراً جديداً لم يذكره أي من الإنجيليين الثلاثة الآخرين، إلاَّ أن اللغة تقليدية بروح الكنيسة؛ فهو هنا إنما ينقل إمَّا عن مصدر شفاهي أو عن أصل مكتوب يحمل الخبر بلغة التأكيد.

«**سبعين آخرين**»: ~bdom»konta

وتُقرأ في بعض المخطوطات كالفاتيكانية وبعض النسخ القبطية والسريانية اثنين وسبعين [dŮo] ~bdom»konta، والعلماء يؤكِّدون حسب معظم المخطوطات أنها كانت في الأصل اثنين وسبعين، ولكن لسهولة الكتابة والقراءة جعلوها سبعين. وذلك بحسب عدد الشعوب التي

ستستقبلها الكنيسة الجديدة كالمذكورة في سفر التكوين (10) حينما كانت الأرض تتكلم بلسان واحد (تك 11 : 1)، وحسب عدد شيوخ إسرائيل السبعين (خر 24 : 1) مضافاً إليهم ألداد وميداد ليكونوا اثنين وسبعين، كذلك أعضاء السنهدرين أيضاً كانوا سبعين. والعجيب أيضاً أن عدد الذين قاموا بترجمة التوراة إلى اليونانية كانوا اثنين وسبعين. كما أرسلهم المسيح اثنين اثنين وهي دعوة دائماً لحضور المسيح كالثالث بينهما. وقد عيَّن لهم المسيح المدن التي سيمر عليها ليعدُّوا له مكاناً حيث يكون القوم قد استعدوا لقبوله.

2:10 **«فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ الْحَصَادَ كَثِيرٌ، وَلكِنَّ الْفَعَلَةَ قَلِيلُونَ. فَاطْلُبُوا مِنْ رَبِّ الْحَصَادِ أَنْ يُرْسِلَ فَعَلَةً إِلَى حَصَادِهِ».**

يجيء القول عن الحصاد هنا موافقاً وكأن المسيح قد وضع البذار وهو يجول جولته الأخيرة، ولكن فكر المسيح في الكنيسة وهي على امتداد الزمن. فالذي يزرع الكلمة عليه أن يرعاها إلى أن يحصد الثمار لحساب المسيح، حيث الحصاد هنا يعني انتهاء موسم الأرض وبداية الجمع في الأهراء لحساب ملكوت الله. فالكلام فيه تلميح واضح لخدمة الملكوت. أمَّا أن يضع على الكنيسة أن تطلب من رب الحصاد، أي رب الملكوت، أن يرسل فعلة لحصاده فهي دعوة ملحَّة لعمل الخدمة وتكميل الرسالة. لأن اقتراب الملكوت يكون معه مباشرة اقتراب النهاية والدينونة، فالكنيسة مسئولة لإعداد الحصاد للنهاية السعيدة. فالذي لا تحصده الكنيسة يحصده العدو، فالمسألة في حقيقتها الزمنية صراع بين الكنيسة ورئيس هذا العالم. فالكثرة في عدد الفعلة ضرورة حتمية لزيادة نصيب الرب في الحياة الأبدية وملكوته الذي أعدَّ، قبل أن يأكل المنجل: «ثم نظرت وإذا سحابة بيضاء وعلى السحابة جالس شبه ابن إنسان له على رأسه إكليل من ذهب وفي يده منجل حاد ... فألقى الجالس على السحابة منجله على الأرض فحُصدت الأرض.» (رؤ 14: 14و16)

ويُلاحِظ القارئ أن المسيح يقول: إن «رب الحصاد يرسل فعلة إلى حصاده» نعم قبل أن يأتي المنجل، فهي فرصة ليكون الحصيد لحسابه، ولكن إنه لأمر محزن أن يقع الحصيد على الأرض لقلة الفعلة.

3:10 **«اِذْهَبُوا. هَا أَنَا أُرْسِلُكُمْ مِثْلَ حُمْلاَنٍ بَيْنَ ذِئَابٍ».**

اعتراف جيد من جهة الله أن يقول ذلك، فهو عالم أننا ضعاف جداً أمام شراسة العالم المحيط. ولكن الأمر الإلهي: "اذهبوا" جعل ذهابنا على حساب الراعي الأعظم الذي يَعُدُّ غنماته كل لحظة، يجمع الضعيف على منكبيه ولا يستكدّ السير من أجل الحوامل، وديع ولكنه أسد على الذئاب، عيناه

على القريب وعلى البعيد لا تخطئ الرؤية، وفي يده أن يرد الضال عن ضلاله. يقول: «ها أنا أُرسلكم» وهو يسبق ويُعد الطريق ويسير في المقدِّمة نتبعه بقلوبنا ونفوسُنا مطمئنة، نصمت وهو يحارب عنَّا، ومهما طال الطريق وضاقت الدنيا فلن نعيا ولن نكلَّ فأمامنا الراحة العظمى. فإن كان قد ضمن لنا النهاية فنفوسنا ملك يديه، وماذا تعمل الذئاب ونحن محمولين على كفيه؟ لقد بعنا الحياة والموت لنا ربح، فلا خوف لنا من قاتل أو من ذئب. كلمة الحياة التي نقولها تضيءلنا الطريق وهي سلاحنا الوحيد الذي عليه نتكل. وما أصغر ذئاب الغاب أمام ذئاب البشر، فأسنان الذئب أرحم من لسان البشر. ولولا أن الرب راعينا ما كرزنا وما علّمنا وما بقينا.

4:10 **«لاَ تَحْمِلُوا كِيساً وَلاَ مِزْوَداً وَلاَ أَحْذِيَةً، وَلاَ تُسَلِّمُوا عَلَى أَحَدٍ فِي الطَّرِيقِ».**

الرب رفع عن خادمه والكارز باسمه همّ الدنيا الذي غَرِقَ فيه الكثيرون، فلا مال يعتمد عليه ولا مزود يضمن له ملء بطنه، ولا أحذية تقيه العثرات. عجيب هو طريق الكارز باسم يسوع، فقد وُضِعَ على مَنْ يكرز باسمه أن يجوز اختبار من يحيا في الملكوت حقًّا، حيث لا يكون عمل إلاَّ التسبيح والمديح والشكر المتواصل، أمَّا حاجات الإنسان فيتكفَّل بها رب الملكوت. فالذي اغتذى من يديه خمسة آلاف رجل من خمس خبزات أيقصر عن أن يقيت إنساناً مما له وهو خبز الحياة؟ لقد أكلناه مرَّة وها نحن نحيا به كل يوم.

لقد أراد المسيح فعلاً أن يجعل الإنسان الذي يؤمن به وقد سلّمه حياته، أن يذوق سرّه الإلهي ويتحقّق بروحه أنه هو الحياة وخبز الحياة، وقد غلب الموت وضمن لنا الحياة. فعندما يختبر مَنْ يؤمن به كيف يعتمد عليه، يرى بعينه كيف يعتني به وقد صار وكأنه ليس من هذا العالم حقًّا. فعندما قال: «ليسوا من العالم» (يو 16:17) فقد ضمن لنا كيف نحيا وكيف نأكل ونشرب ونلبس من يديه إن صدَّقنا وإن قلنا لقولته هذه: آمين.

هي وصايا ليست لأهل هذا العالم، بل هي وصايا للذين آمنوا وصمَّموا وعاشوا على أنهم ليسوا من هذا العالم، وقد تحقّق ذلك لألوف وملايين من خدَّامه في كل أنحاء الدنيا كيف يعيشون حقًّا على كلمته هذه. لهذا أراد المسيح لخدَّامه والكارزين باسمه أن يكون لهم أول ما يكون خبرة حيَّة تسند قلبهم وروحهم لينطلقوا بالروح ويكرزوا بالحق. وإذ يكونون قد أخذوا هكذا من روح المسيح يستطيعون أن يُسلّموه للآخرين كخبرة حياة سابقة ولاحقة: «ثيابك لم تبلَ عليك ورجلك لم تتورَّم هذه الأربعين سنة.» (تث 4:8)، «والرب سائر أمامك، هو يكون معك، لا يهملك ولا يتركك. لا تخف ولا ترتعب.» (تث 8:31)

وأمَّا قوله: «لا تسلّموا على أحد في الطريق» لا تفيد إلاَّ حفظ القلب والفكر منحصرين في الله وكلمته. لأن معظم إيحاءات النعمة تجيء للإنسان أثناء المسيرة الهادئة ورفع القلب لله. فالكارز يرفع قلبه وهو يسير فليس عنده لا المكان ولا الزمان ليقف ويعطي السلام الكاذب الذي لأهل العالم. فسلام الكارز يحمله الروح القدس ليحل على مَنْ يقبله. لذلك أصبح من المحتَّم على الكارز أن يتحفَّظ على كلامه وعلى سلامه لأنه يعطي كلمة الرب وسلامه.

5:10 **«وَأَيَّ بَيْتٍ دَخَلْتُمُوهُ فَقُولُوا أَوَّلاً: سَلاَمٌ لِهذَا الْبَيْتِ».**

هنا السلام لم يَعُدْ مجرَّد شالوم اليهودي، بل سلام مسيَّا الذي يهدي قلوب الناس إلى ملكوت الله، سلام دفع ثمنه المسيح دماً ذكياً مسكوباً على الصليب ليرفع العداوة التي تأصَّلت في قلب الإنسان ضد الله والناس. فهو سلام للحياة الأبدية وليس سلاماً لراحة النفس على أرض الشقاء التي لا تعرف سلاماً. هو سلام وَصَفَهُ ق. بولس أنه سلام يفوق كل عقل، أي سلام رؤيوي يستمد كيانه من فوق، من الحياة الأبدية التي ليس فيها حزن بعد ولا كآبة ولا تنهد. ولكن الذي يهمنا جداً أن نقوله إنه بمجرَّد إلقاء السلام يكون معه نعمة الله العاملة في القلوب، فإذا لم ينفتح قلب السامعين إلى السلام فقد حرموا أنفسهم من النعمة، لذلك يُحسب أن إلقاء السلام على أهل البيت هو بمثابة اختبار حي واقعي متدخل فيه الله، حتى إذا ارتاح سلام الله ونعمته في القلوب حينئذ تتم بعد ذلك الكرازة، وإلاَّ فاخرجوا من هذا البيت. وقد عبَّر المسيح عن الإنسان الذي يقبل السلام ومعه نعمة الله «بابن السلام» وابن السلام يعني أنه مختار لتحل عليه النعمة والبركة ويقبل رسالة الخلاص. لهذا سبق المسيح ومنع الكارز أن يلقي سلامه على الناس في الطريق لأنه سلامٌ خاصٌ بالله والخلاص لا يُعطى إلاَّ لابن السلام.

6:10 **«فَإِنْ كَانَ هُنَاكَ ابْنُ السَّلاَمِ يَحُلُّ سَلاَمُكُمْ عَلَيْهِ، وَإِلاَّ فَيَرْجِعُ إِلَيْكُمْ».**

هذا هو الاختبار الإلهي الذي سلّمه المسيح للكارز باسمه لحساب الملكوت: إنه سلام محمول على النعمة، فلن يقبله إنسان شرير أو مقاوم لله ولاسمه، أمَّا مَنْ يقبله فيكون ذلك في الحال علامة على أنه أو أنهم على مستوى النعمة وعملها الإلهي، حينئذ على الكارز أن يسلّم وديعة الإيمان والخلاص بلا خوف ولا حذر. وفي حالة رفض السلام الذي هو بالتالي رفض نعمة الله، يقول المسيح شيئاً عجيباً: إن سلامكم يرتد إليكم، فما معنى هذا؟ هنا عمق بديع، لأن الإنسان وهو إنسان حينما يُرفض أو يُرفض سلامه قد يفقد سلامه ويمتلئ غضباً. لذلك فالمسيح وهو يريد أن يضمن لأولاده

الكارزين باسمه أن يحتفظوا بهدوئهم وسلامهم كشرط أساسي في الخدمة، فقد وعد أن النعمة التي رُفضت برفض السلام تعود إلى الكارز لتملأه سلاماً ومزيداً من النعمة.

7:10 **«وَأَقِيمُوا فِي ذلِك الْبَيْتِ آكِلِينَ وَشَارِبِينَ مِمَّا عِنْدَهُمْ، لأنَّ الْفاعِلَ مُسْتَحِقٌّ أُجْرَتَهُ. لاَ تَنْتَقِلُوا مَنْ بَيْتٍ إِلى بَيْتٍ».**

هذا المبدأ أن الفاعل مستحق أجرته يبدو في البداية أنه منطق دنيوي؛ أن الذي يعمل لابد أن يأكل فلابد أن يأخذ أجرته: «ألستم تعلمون أن الذين يعملون في الأشياء المقدَّسة، من الهيكل يأكلون؟ الذين يلازمون المذبح يشاركون المذبح؟ هكذا أيضاً أمر الرب: أن الذين ينادون بالإنجيل، من الإنجيل يعيشون» (1كو 9: 13و14)، حيث "يخدم المذبح" في العهد القديم يعني: يقدّم ذبيحة على المذبح لإنسان عليه أن يقدّم ذبيحة، وبذلك فكل الذين يقدّمون الذبائح لهم فيها جزء حدَّده الناموس شرعاً أن يأخذه إلى بيته ويأكله هو وأولاده، إذ أن سبط لاوي الذي يخرج منه الكهنة لا نصيب له في تقسيم الأرض لأنه يخدم الله وليس الأرض، لذلك وجب أن يكون له نصيبٌ من كل الشعب الذي يأتي للرب. ولكن انتقل الوضع إلى حال المسيحية حيث مذبح الرب ليس على الأرض بل في السماء، لذلك كل مَنْ يخدم اسم المسيح أصبح له نصيب من كل الشعب لأن نصيب الخادم هو الرب: «الرب نصيبي قسمتي وكأسي» (مز 5:16)، «مَنْ لي في السماء ومعك لا أريد شيئاً في الأرض» (مز 25:73). وانتقل مذبح الرب القديم إلى السماء لأن عليه صُلب المسيح كذبيحة حب وسلام وخلاص، ونحن شركاء هذه الذبيحة: «لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه» (أف 30:5)، «مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه» (يو 56:6)، «جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق» (يو 55:6). فإن كان الخادم والكارز يكرز بالخلاص بجسد المسيح ودمه للشعب فقد أصبح نصيبه الأعظم في المسيح، ولكن أن يعوله الشعب من جهة حاجيات الجسد الأرضي أصبح حقًّا له. فإن كانت الكنيسة أصبحت بالحق مسئولة عن خلاص الشعب وتعطيه بالفعل نصيباً في الخلاص من جسد المسيح ودمه، أصبح خدَّام الكنيسة لهم الحق أن يعولهم الشعب: «أمَّا الشيوخ (الكهنة) المدبِّرون حسناً فليُحسبوا أهلاً لكرامة مضاعفة، ولا سِيَّما الذين يتعبون في الكلمة والتعليم، لأن الكتاب يقول: لا تَكُمَّ ثوراً دارساً، والفاعل مستحق أجرته» (1تي 5: 17و18)، كذلك: «مَنْ تجنَّد قط بنفقة نفسه؟ (الجيش والملك يعطيه لبسه وأكله) ومَنْ يغرس كرماً ومن ثمره لا يأكل؟ أو مَنْ يرعى رعية ومن لبن الرعية لا يأكل؟» (1كو 7:9)

وقوله: «لا تنتقلوا من بيت إلى بيت» ذلك لأن هذا تبديد في الوقت والجهد، فإذا تركَّزت

الإقامة في بيت أصبح مركزاً للخدمة والتعليم ويسهل على جميع الأسر الحضور وسماع كلمات الخلاص. علماً بأن هذا كان أيام المسيح ولم تكن قد وُجِدَتْ كنائس، ولكن صارت البيوت التي تقبل الكارز محوراً للخدمة ككنيسة. وبالفعل بدأت الكنيسة بعد ذلك مركَّزة في البيوت التي أخذت على عاتقها خدمة الكرازة والكارزين.

وعلى هذا الأساس جاء في إنجيل ق. متى ما يوضِّح هذا الأمر أكثر إذ تقول الآية: «وأية مدينة أو قرية دخلتموها فافحصوا مَنْ فيها مستحق وأقيموا هناك حتى تخرجوا» (مت 11:10). وهذا يوضِّح كيف بدأت الكنائس في كل مدينة وقرية كبيوت ثم تطوَّرت إلى كنائس. وهذا الفكر أيضاً مأخوذٌ من إنجيل ق. مرقس (10:6) وهو أصلاً أقدم تقليد.

8:10 **«وَأَيَّةَ مَدِينَةٍ دَخَلْتُمُوهَا وَقَبِلُوكُمْ، فَكُلُوا مِمَّا يُقَدَّمُ لَكُمْ».**

هنا يأتي على مستوى المدينة ما سبق أن جاء على مستوى البيت. ويلزم أن نفهم معنى: «كلوا مما يُقدَّم لكم» إذ القصد هو عدم العودة إلى الطاهر والنجس لأن الكرازة هنا تشمل اليهود والأمم. لذلك جاءت في موضع آخر: «غير فاحصين من أجل الضمير.» (1كو 27:10)

9:10 **«وَاشْفُوا الْمَرْضَى الَّذِينَ فِيهَا، وَقُولُوا لَهُمْ: قَدْ اقْتَرَبَ مِنْكُمْ مَلَكُوتُ اللهِ».**

هنا ندخل في صميم عمل الإرسالية حيث تصبح المدينة التي قبلت المُرسل أهلاً لعمل المعجزات. أي أن هناك قاعدة إيمانية بالمسيح والملكوت، عليها يمكن إجراء مواهب الشفاء عن استحقاق. لأن قبول الدعوة إلى الملكوت مقابله في الحقيقة قبول عمل النعمة على أعلى مستوى مؤيِّداً لإيمان هذه المدينة، فالمعجزة، كالشفاء، تأتي مدعِّمة لإيمان أهل المدينة. هنا إيمان أهل المدينة هو الأساس الذي يبتدئ به الله يُظهر ذاته علناً في المعجزة ليزداد الإيمان ويتقوَّى. فمعجزة الشفاء التي سيعملها الكارز تصير جزءاً هاماً جداً من كرازته وتحقيقاً لكل وعودها وتأكيداً على صدق مجيء ملكوت الله. وقد كانت الكرازة في أيام الكنيسة الأُولى يلازمها دائماً المعجزة كتدبير من الله لغرس الإيمان الوثيق في قلوب الناس، ولكن من جهة مفهوم الإيمان اللاهوتي لا يصح أن يقوم صدقه على المعجزة والآية: «طوبى للذين آمنوا ولم يروا» (يو 29:20). ولكن في البداية كان يتحتَّم أن يلمس الشعب شيئاً فوق الطبيعة ليؤمنوا بإيمان المسيح الذي هو فوق الطبيعة: «ولكن إن كنت بإصبع الله أُخرج الشياطين (المعجزة) **فقد أقبل عليكم ملكوت الله.**» (لو 20:11)

ولكن جاءت المعجزة الموازية والمؤازرة للكرازة بملكوت الله هنا في إنجيل ق. لوقا مقصورة على

الشفاء، ولكننا نجد في إنجيل ق. متى عرضاً لمعجزات أكثر: «العُمي يُبصرون، والعُرج يمشون، والبُرص يُطهَّرون، والصُمُّ يسمعون، والموتى يقومون، والمساكين يُبشَّرون. وطوبى لِمَنْ لا يَعْثُرُ فيَّ.» (مت 11: 5و6)

«اقترب منكم ملكوت الله»:

«اقترب»: ½ggiken

وهذه الكلمة تعني أيضاً باليونانية: "وصل إلى" أي على المستوى العملي: "الملكوت وصل إلينا" ويمكن أن نمسكه: «أمسك بالحياة الأبدية التي إليها دُعيت» (1تي 12:6). هذا يعطي للإيمان بملكوت الله الإحساس الشديد بالقرب والتحريض على الإمساك فعلاً لا باليد بل بالقلب كما يمسك الإنسان بحمامة طائرة ويظفر بها: «قد كمل الزمان **واقترب ملكوت الله**» (مر 15:1). والقرب هنا أيضاً على مستوى **الوصول إلى** ½ggiken، هنا: «كمل الزمان» أي: "بلغ نهايته"، فأصبح الواقع ملتصقاً بالملكوت أي أصبح ملكوت السموات حاضراً تماماً. لأن انتهاء الزمان حقّق بالفعل بلوغ الملكوت. وهذا شرحه المسيح بوضوح حينما قال: «فقد أقبل عليكم ملكوت الله» (لو 20:11). كل هذا يعطينا وعياً إلهياً يتحتَّم علينا أن نمسك به مسكاً وهو أن ملكوت الله ـ أي قوة المسيح للخلاص والحياة الأبدية ـ حاضرة الآن حضوراً صادقاً واعياً لا يحتاج من الإنسان إلاَّ الإمساك بها بالإيمان في القلب. ولكن يلزم أن نفرّق بين الاقتراب الزمني والاقتراب الإلهي، فالاقتراب الإلهي أقوى وأوثق وهو يعني المسافة الروحية التي بينك وبين المسيح!! وفي الفهم الروحي البسيط تعني: "حضرة المسيح" أي حضوره اللازمني، فهو عينه الملكوت. لذلك فمفهوم الكرازة التي أرسلهم المسيح ليكرزوا بها أن ملكوت الله قد اقترب أو قد وصل، مضمونه أنه اقترب ووصل بنفس كرازة التلاميذ. وبمعنى بسيط عملي يكون المفهوم هو أن التلاميذ يحملون لهم حضور المسيح بالفعل. وهنا يصبح القرب والحضور زمنياً أيضاً بوصول التلاميذ[199]. إذن، فعمل الكرازة في حقيقته أمر إلهي خطير!

وإن أردنا أن نمثّلها، نمثّلها بأن الملكوت حمامة طائرة فوق رأسك إن لم تمسكها طارت. فأنت عليك أن تمسك بالحياة الأبدية وتحضرها زمنياً لك وإلاَّ عبر زمانك فارغاً! والزمان إذا امتلأ بالحضور الإلهي أصبح لا زمن، أصبح لمحة من الخلود، وهذا هو: « لكم قد أُعطي أن تعرفوا أسرار ملكوت الله» (لو 10:8) والذي يعنينا منه الآن هو سر الخلاص! والكرازة بالملكوت هي عرض

(199) Marshall, *op. cit.*, p. 422.

حالة حضور إلهي في شخص يسوع المسيح، إمَّا تُقبل أو تُرفض. لذلك كان قبولها أعظم غنيمة ورفضها أفدح خسارة. لذلك لا نستكثر العبارات المريعة التي يصدرها المسيح الآن بالنسبة للرفض: «رفضوني أنا الحبيب مثل ميت» (مز 37: 21و22)، وهي بعينها جريمة إسرائيل، تتكرَّر في الذين يرفضون الخلاص بالمسيح في وجه الكارزين.

10:10و11 **«وَأَيَّةُ مَدِينَةٍ دَخَلْتُمُوهَا وَلَمْ يَقْبَلُوكُمْ، فَاخْرُجُوا إِلَى شَوَارِعِهَا وَقُولُوا: حَتَّى الْغُبَارَ الَّذِي لَصِقَ بِنَا مِنْ مَدِينَتِكُمْ نَنْفُضُهُ لَكُمْ. وَلَكِنِ اعْلَمُوا هذَا إِنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مِنْكُمْ مَلَكُوتُ اللهِ».**

هذا التعبير بديع حقًّا أن المدينة التي لا تقبل كرازة الرسل باسم المسيح لا يتركونها في جهلها، أو كأنه بلا شاهد يكون عقابها، بل ليخرجوا إلى أوسع شوارعها ويقولوا رافعين صوتهم بما هو حادث لأن الحدث خطير: إن ملكوت الله قد اقترب منكم وجاء إليكم وانتهى إلى مدينتكم، كإعلان تحذيري ضروري وهام. لأن بعد ذلك سيحل بها عقاب شديد، فلابد أن يكون قد تمَّ إعلامهم على يد شهود. على أن القول بأن الملكوت قد اقترب إليكم يعني أنه قد أصبح عندكم وقد جاءكم لتأخذوه إن أردتم وهو الحياة المعروضة عليكم، إن آمنتم بها مدُّوا أيديكم واقبلوها وافتحوا قلوبكم لتأخذوها. أمَّا الغبار الذي لصق بأرجلهم ومسحوه ونفضوه فهو مجرَّد شهادة كغسل القاضي ليده قبل الحكم بالإعدام، الذي عمله بيلاطس إعلاناً لبراءته من دم إنسان بريء يُسفك ظلماً وحراماً.

12:10 **«وَأَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ يَكُونُ لِسَدُومَ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ حَالَةٌ أَكْثَرُ احْتِمَالاً مِمَّا لِتِلْكَ الْمَدِينَةِ».**

هنا عودة على لماذا صار لسدوم ما صار؟ لقد ضُربت كلها بخطية الزنا القبيح وإهانة أجسادهم بين ذواتهم وارتضوا بالفجور عملاً وصناعة. وإلى هنا يلزم أن نفهم أن رؤية العهد القديم بالنسبة لرفض الله والارتماء في أحضان الأوثان بكل طقوسها الفاجرة أن هذا زنا روحي لا خلاص له ولا شفاء منه، إذ معناه تعاهد رسمي مع الشيطان لإغاظة الله. وتحليله كالآتي: الإنسان الذي يؤمن بالمسيح ويحبه يلتصق به بروحه ويكون واحداً مع المسيح، ويُحسب ذلك حالة زيجة مقدَّسة مع المسيح: «خطبتكم لرجل واحد لأقدِّم عذراء عفيفة للمسيح» (2كو 11:2)، وتُحسب عهداً أبدياً بين الإنسان والله. وهكذا أصبح رفض عبادة الله والازدراء بالمسيح واحتقار الخلاص والجنوح إلى الشر والخطية هو الآخر زنا نجس لحساب الشيطان كزيجة أبدية لا خلاص منها.

أمَّا لماذا يكون نصيب المدينة التي ترفض المسيح وبالتالي الملكوت والحياة الأبدية أكثر من سدوم،

فذلك لأن سدوم لم يُرسِل لها الله كارزاً ولم ترفض عرضاً مقدَّساً مقدَّماً لها، ولكنها شبَّت بالفطرة مولعة بالنجاسة والفجور الذي أغضب الله خالقها. أمَّا المدينة التي ترفض الكرازة باسم المسيح لحساب الملكوت الذي اقترب إليهم فعقابها أشر من عقاب سدوم لأن الدعوة أتتها وملكوت السموات أُعلن لها جهاراً. وفي الحقيقة عزيزي القارئ يلزم أن نفهم ونتيقَّن أن ما قِيل لمدينة هو مصوَّب للإنسان، أي إنسان.

13:10 **«وَيْلٌ لكِ يَا كُورَزِينُ! وَيْلٌ لكِ يَا بَيْتَ صَيْدَا! لأنَّهُ لوْ صُنِعَتْ فِي صُورَ وَصَيْدَاءَ الْقُوَّاتُ الْمَصْنُوعَةُ فِيكُمَا، لتَابَتَا قدِيماً جَالِسَتَيْنِ فِي الْمُسُوحِ وَالرَّمَادِ».**

قبل هذه الآية نجد فراغاً أو بَدْءًا لفقرة جديدة لينبِّه القارئ أن هنا نقلة إلى موضوع آخر غير الإرسالية التي للرسل السبعين. فهنا يعود المسيح على كرازته هو في هاتين المدينتين التعيستين. ولأول مرَّة نسمع هنا بكُورزَين فلم يأتِ ذكرها في الأناجيل، ويبدو أن المسيح قد صنع في هاتين المدينتين كثيراً من معجزاته ولم تستجيبا لدعوة الخلاص. فهنا يضمّهما ق. لوقا تحت غضب الله مع المدن التي رفضت كرازة المسيح. وبيت صيدا هي مدينة رفضت كرازة المسيح، والآيات التي صُنعت فيها لم تؤثِّر في شرها. ويبدو أن نصيب المدن المستهترة ومواطن الإثم والفجور سيكون لها نوع من العقاب العلني في اليوم الأخير. ولكن الكلام معظمه موجَّه لنا نحن الذين عاصرنا كثيراً من الكارزين والخدَّام ولم ننتفع بكلمات التوجيه ولا كلمات التحذير. فهل يمكن أن ننجو؟

«جالستين في المسوح والرماد»:

حالة التوبة التي كان الإنسان يقدّمها لابساً ثوباً من شعر الماعز الخشن جداً على لحم عريه، ليقتصّ من جسده الذي جرَّه للخطية والإثم. والرماد هو بقايا الحريق وهو تراب أسود ناعم يمسح به التائب نفسه، إمعاناً في ظهور الحقارة والمهانة لجسده، لعلّه يفوز برحمة الله. ولكن المسيح أغنانا عن هذا العقاب اليدوي، فالرب قدَّم نفسه ذبيحة إثم ليرفع كل خطايا الخطاة لكي لا يكون لإنسان ما آمن بالمسيح الفرصة أن يعود إلى هذه الأعمال التي لا قيمة لها من جهة الخلاص وغفران الخطايا.

14:10 **«وَلَكِنَّ صُورَ وَصَيْدَاءَ يَكُونُ لهُمَا فِي الدِّينِ حَالةٌ أكْثرُ احْتِمَالاً مِمَّا لكُمَا».**

صور وصيداء مدينتان للأمم سيُدانان بسبب شرِّهما، ولكن سيكون لهما حالة أكثر احتمالاً مما لتلك المدينتين، لأن خدمة المسيح فيهما رُفضت ورفضوا الخلاص والحياة الأبدية، وأمَّا صور وصيداء

فلم يكرز فيهما المسيح ولم يكن لهما فرصة للتوبة. فمدن الجليل التي رفضت كرازة المسيح ستكون عبرة. وقد كانت، لأن يوسيفوس المؤرِّخ(200) يحكي أن أيام الحرب السبعينية نالت صور وصيدا بلاءً فظيعاً مع كفرناحوم وكانت الجثث تملأ شوارعها وليس مَنْ يدفن. ومن هذه الآية نفهم تماماً أن هناك درجات في عقاب الدينونة للأشخاص والمدن على السواء.

15:10 **«وَأَنْتِ يَا كَفْرَنَاحُومَ الْمُرْتَفِعَةَ إِلى السَّمَاءِ، سَتُهْبَطِينَ إِلى الْهَاوِيَةِ».**

نحن نذكر تماماً أن كفرناحوم كانت مركز خدمة المسيح وموطناً له ولأقربائه بالجسد، ونالت من الإعزاز وعمل الآيات ما لا حدَّ له. ولكن انقلبت على المسيح ورفضته. ويحكي المؤرِّخ يوسيفوس(201) الذي عاش هناك زمناً بعد الحرب السبعينية أنها خُرِّبت وهُجِرَت، وسواحلها على البحيرة التي كانت تسمَّى هناك جنيسارت أي جنة السرور امتلأت خراباً وعفناً، ومئات الجثث مطروحة للفساد.

«الهاوية»: sheol - hades = toà ¯dou
وتعني موطن الموتى. ويقول الرحَّالة إن مكانها أصبح مهجوراً يحكي عن أمجاد سابقة ولعنة لاحقة. ويصفها الزائرون كوصف إشعياء: «أُهبط إلى الهاوية فخرك رنّة أعوادك. تحتك تُفرش الرمَّة وغطاؤك الدود.» (إش 11:14)

هكذا يكون، وويل لمن يخاصم جابله ويا حسرتاه لمن أتاه الخلاص وأعرض عنه.

16:10 **«الَّذِي يَسْمَعُ مِنْكُمْ يَسْمَعُ مِنِّي، وَالَّذِي يُرْذِلُكُمْ يُرْذِلُنِي، وَالَّذِي يُرْذِلُنِي يُرْذِلُ الَّذِي أَرْسَلَنِي».**

عودة مرَّة أخرى إلى المُرسَلين وكرازتهم. وهنا رفع من سلطان الرسل رفعاً غير متوقع فجعلهم مثل شخصه، فكل مَنْ يكرز باسم المسيح يكون المسيح هو الكارز به، ويكون الله هو السامع له والمستجيب. فكل عملٍ حسن يُعمل لهم كأنه قد عُمل للمسيح، وكل إساءة تصيبهم كأنها أصابت المسيح بل الله، هكذا ارتفعت قيمة الكرازة بحد ذاتها، فمن يقبلها كأنه قبلَ المسيح بل الله أيضاً، ومن يرفضها يكون قد رفض الله والمسيح.

(200) Josephus, *Bell. Jud.* iii, 32.
(201) Josephus, *Bell. Jud.* iii, 108.

هكذا سلَّم المسيح بعد القيامة سلطانه الخاص للكنيسة لتعمل به وتتقبَّل عنه المجد والإهانة. فهو الممجَّد فيها وهو المهان، فإذا تمجَّدت لا تَحْسب أن المجد لها وإذا أُهينت فليس هي التي أُهينت بل هو. نعم فالكرامة للمسيح في أعمال الكرامة التيتُقدَّم لخدَّام المسيح، أمَّا الإهانة فإن كنا نحن السبب فيها فهو يهان ونحن نُحرم من مجده، أمَّا إن كانت الإهانة لاسمه ولم يكن اللوم علينا فنحن نتمجَّد بها وهو أيضاً يمجدنا.

يا ويلنا يا إخوة إن تعالينا عن الإهانة ونحن سبب لها،
ويا لبؤس حالنا إن طالبنا بالمجد ونحن لسنا أهلاً له.

لقد وهب المسيح الكنيسة كل حبه وكل مجده وكل سلطانه لربح النفوس، فإن هي لم تربح فسيُطالِب!

4 ـ رجوع السبعين رسولاً

(20-17:10) القديس لوقا وحده

17:10 «ÝóÑóÌóÚó السَّبْعُونَ بفَرَحِ قائِلِينَ: يَارَبَّ، حَتَّى الشَّيَاطِينُ تَخْضَعُ لَنَا باسْمِكَ».

فرح السبعين هنا لم ينتبه المُرْسَلُون عن سببه ومصدره، فسببه ليس أن الشياطين خضعت لهم بل أن أسماءهم قد كتبت في السموات بمعنى سفر الحياة الأبدية. هذه الحقيقة يمكن أن تغيب عن الإنسان بالرغم أنه فيها ويمارسها لأنها تتم من قِبَل الله دون أن يعلم بذلك، مثل هؤلاء الرسل. أمَّا كون أسماؤهم قد كُتبت في السموات فلأنهم قد قبلوا الدعوة وتبعوا الرب وشاركوه في تعب الخدمة: «أنتم الذين ثبتوا معي في تجاربي. وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتاً.» (لو 22: 28و29)

وهنا يتدخَّل المسيح في أمر إخراجهم للشياطين قائلاً إنه آزرهم هو أيضاً بقوته وسلطانه، ورأى الشيطان ساقطاً من السماء. ولكن إن كان فرحهم أو إن كان خضوع الشيطان لهم، فهذا له تفسير واحد مبدئي أنهم نالوا الخلاص الذي سجَّل اسمهم في سفر الحياة. لاحظ هنا هذه الثلاث ركائز: الفرح، والقوة الروحية والسلطان الذي نالوه قبل قيامهم، وأسماؤهم التي كُتبت في سفر الحياة. هذه مفردات تُجْمَع معاً لتوضِّح أن ق. لوقا يقدِّم هنا فصلاً منسجماً للاهوت الخدمة والإرسالية.

+ «íÓæÚ ááã ÝÞÇá (ÇáÞíÇãÉ) ÈÚÏ áßã ÓáÇã .ÃíÖÇð ÃÑÓáäí ßãÇ
ÃäÇ ÃõÑÓáßã ÇáÂÈ.» (يو 21:20)

ولكن لو عُدنا نحن إلى حقيقة أنفسنا نجد أن الفرح موجود حقًّا، واسمنا نثق أنه مكتوب في السموات، ولكن لا نعمل قوات لأن عمل القوات إنما يلازم الكرازة في حقول بدائية تحتاج إلى المعجزة.

أمَّا كيف تعرَّف ق. لوقا على لاهوت الكرازة بالنسبة للمُرسَلين فهو انتخابه ليكرز مع القديس بولس الرسول، لذلك فهو يكتب من خبرة حيَّة. لذلك أحتُسِبَ هذا الجزء من الكلام في غاية الأهمية بالنسبة لنا سواء كنا كارزين "بالاسم" أو خداماً له. وينبغي أن لا ننسى أن دخول المختارين للخدمة وبدء الكرازة بـ"الاسم" إن كان حقًّا باختيار النعمة، فالملاحظ أن سلطان المسيح يؤازرهم، إذ يتحرَّكون في مجاله القوي الفعَّال والمؤثِّر فيهم وفي الذين يخدمونهم. ونجاح الخدمة متوقِّف بالفعل على هذا المجال الروحي الذي يُحتَسب كحضرة دائمة للمسيح يمكن أن يتم فيها عمل المعجزة بلا جهد.

18:10 «**فَقَالَ لَهُمْ: رَأَيْتُ الشَّيْطَانَ سَاقِطاً مِثْلَ الْبَرْقِ مِنَ السَّمَاءِ**».

هنا يكشف المسيح علناً أن قوة اسمه التي كرز بها الرسل السبعون أحدرت الشيطان من علو السماء بحالة سقوط مُخزٍ. ومعروف أن الشيطان له اسم لوسيفورس أو حامل النور، لأنه رئيس ملائكة عصى أمر الله فانحجب عنه نور الله وأصبح نوره مزيَّفاً قابلاً للزوال. ولأنه ملاك أصلاً وذو قوة فإن الملائكة تحترس منه لأنه يقاومها ولا تستطيع أن تغلبه لأنه كان رئيساً عليها بقوته وسلطانه ـ بحسب ما جاء في التوراة قديماً سواء مع ملاك دانيال (دا 10: 12-14) أو الملاك المدافع عن جسد موسى (يه 9). ويصف إشعياء النبي سقوط الشيطان كنبوَّة، وهي التي تمَّت بواسطة المسيح: «كيف سَقَطْتَ مِن السماء يا زُهَرَة بنت الصبح» (إش 12:14)، وبالسبعينية: "كيف أن لوسيفر هذا الزهرة في الصبح سقط من السماء" (إش 12:14)، وكمالتها هكذا: «كيف قُطِعتَ إلى الأرض يا قاهر الأمم. وأنت قلت في قلبك أصعدُ إلى السموات أرفع كرسيَّ فوق كواكب الله وأجلس على جبل الاجتماع في أقاصي الشمال» (إش 14: 12و13)، وأصلها في السبعينية: "ذلك الذي أرسل أوامر إلى كل الأمم قد تحطَّم حتى إلى الأرض، ولكنك قلت في قلبك سأصعد إلى السماء وأجعل عرشي فوق نجوم السموات وأرتفع على جبال الشمال العالية وأذهب فوق السحب وأكون مثل العلي. ولكن الآن سوف تذهب إلى الجحيم حتى إلى أسس الأرض (السفلى)." (إش 14: 12-15)

والعلماء (مثل كيتل) إذ يحلِّلون هذه اللغة يقولون إن قول المسيح يرجع إلى رؤية له قبل التجسُّد،

ولكن الأصح الذي يقول به العالِم شميد(202) إنها تعبير رمزي. ولكن في اعتبارنا أن إشعياء كتب رؤيته على أساس المستقبل الذي يتناسب مع المسيَّا وما سيصنعه بهذا الملاك الساقط "لوسيفر"، فهي رؤية حاضرة ومستمرة والآن هي في تكميلها.

وكلمة "شيطان Satan©n" توضِّح أننا في جو يهودي تقليدي حيث يرى المسيح بالرؤيا الروحية الشيطان وهو في حالة سقوط من السماء. وقول الآية "كالبرق" ـ تُتَرْجَم كشعاع من نور ـ يعبِّر عن سقوط مفاجئ له. فتشبيه الشيطان هنا بالبرق ليس بسبب شدة ضوئه بل بسبب سقوطه السريع، حسب ما يقول العالِم فورستر(203).

هذا كله يردِّده سفر الرؤيا كتقليد يهودي موروث للمستقبل:

+ «وحدثت حربٌ في السماء: ميخائيل وملائكته حاربوا التنين، وحارب التنين وملائكته ولم يقووا، فلم يُوجد مكانهم بعد ذلك في السماء. فطُرِحَ التنين العظيم، الحية القديمة المدعو إبليس والشيطان، الذي يُضِلُّ العالم كله، طُرِح إلى الأرض، وطُرِحت معه ملائكته. وسَمعتُ صوتاً عظيماً قائلاً في السماء: الآن صار خلاص إلهنا وقدرته ومُلكه وسلطان مسيحه، لأنه قد طُرِح المشتكي على إخوتنا، الذي كان يشتكي عليهم أمام إلهنا نهاراً وليلاً. وهُم غلبوه بدم الخروف وبكلمة شهادتهم، ولم يحبوا حياتهم حتى الموت. من أجل هذا، افرحي أيتها السماوات ...» (رؤ 12: 7-12)

وإخراج الشياطين باسم يسوع يوضِّح أن الشيطان مهزوم وفاقد سلطانه القاتل: وسيقابلنا في الآية القادمة مباشرة ما يوضِّح أكثر جداً علاقة المسيح بسقوط الشيطان.

19:10 **«هَا أَنَا أُعْطِيكُمْ سُلْطَاناً لِتَدُوسُوا الْحَيَّاتِ وَالْعَقَارِبَ وَكُلَّ قُوَّةِ الْعَدُوِّ، وَلاَ يَضُرُّكُمْ شَيْءٌ».**

يعتبر هذا القول الثاني الذي يمنح فيه المسيح سلطات فائقة للمرسلين السبعين: «لتدوسوا الحيَّات والعقارب» وأنه بعد سقوط الشيطان تعتبر أن قواته الأخرى قد وطأوها بأقدامهم. أمَّا الحيات فهي منسوبة للحية القديمة التي تمثِّل المكر والخداع والمرواغة والانقضاض ودفع السم في جسم الإنسان بالعض لأن أسنانها تحوي السم. وطبعاً كحيوانات مؤذية أخذوا عليها سلطاناً أنهم إذا داسوا عليها لا تؤذيهم: «إذا أرضت الربَ طرقُ إنسان جعل أعداءه أيضاً يسالمونه» (أم 16:7). وفي المقابل

(202) Marshall, *op. cit.*, p. 428.
(203) W. Foerster, *TDNT*, I, 505.

كل الخطط الخبيثة المدبَّرة للإنسان للإيذاء والضرر به يعبرون عليها دون أن تلحقهم أذيَّة. أمَّا العقرب فهو رمز الشر المستتر وسرعة الإيذاء مع سرعة الاختفاء، وسُمُّه مميت. والعقارب تقابل الحيل والخطط المدبَّرة للضرر والإساءة الشديدة. وكثير من الناس يحكون أن فلاناً أو فلانة "ده عقرب"، ليس مثل عقرب بل هو عقرب إذ يتقمَّص كل مؤذيات العقرب وصفاته. وقد اعتاد الكتاب المقدَّس أن ينسب صفات الحيَّات والعقارب للإنسان (حز 6:2 ومز 4:58 و3:140)، والناس أخذوها أيضاً للذم والشتيمة أو للنصيحة والاحتراس من أشخاص لهم صفاتها. والآية تقول إنها محسوبة مع غيرها أنها قوات العدو أي مصادر الإيذاء والضرر.

وتحقيقاً دقيقاً لهذا الوعد تمَّ مع ق. بولس عند جزيرة مالطة لمَّا أمسكت الحية في ذراعه والتفَّت عليه لكي تعضَّه وتفرز سمّها، فقذفها عن ذراعه فوقعت في النار (أع 28: 3-5).

ولكن أشد ما يقصده المسيح من هذه النعمة المعطاة للتلاميذ هي أرواح الشر التي لها هذه الصفات، فهي محسوبة بالفعل أنها قوات العدو لتخريب الإنسان، وإن الحية والعقرب مجرَّد رمز لشدة الفتك بالإنسان بالحيلة والغدر. فهي أصلاً أرواح للعدو ثم تتقمَّص الناس فيصير الناس لهم ذات الصفات وذات القوة على الإيذاء. سُئل إنسان كبير ذو حيثية عن لماذا ترفع قضايا كثيرة تضر بالناس، فأجاب للمناوأة فقط!! إذ توجد شخصيات صناعتها أن تمثِّل دور الحية وآخرون دور العقارب بنفس الصفات والحركات حتى ليَعْجَبُ الإنسان كيف تتقمَّص الشخصيات روح العدو على كل المستويات المؤذية. «على الأيدي يحملونك لئلاَّ تصدم بحجر رجلك، على الأسد والصل (الحية الكبيرة الخبيثة) تطأ، الشبل والثعبان تدوس» (مز 91: 12و13). هذه هي قوَّات العدو التي أبطل المسيح مفعولها بقوته وأعطى لأولاده أماناً ضدها: «يلعب الرضيع على سرب الصل (أي فوق جحر الثعبان المؤذي جداً) ويمد الفطيم يده على جحر الأفعوان، لا يسوؤون ولا يفسدون ...» (إش 11: 8و9)

20:10 **«وَلَكِنْ لاَ تَفْرَحُوا بِهَذَا أَنَّ الأَرْوَاحَ تَخْضَعُ لَكُمْ، بَلِ افْرَحُوا بِالْحَرِيِّ أَنَّ أَسْمَاءَكُمْ كُتِبَتْ فِي السَّمَوَاتِ».**

المسيح هنا يرفع من التوعية الروحية للتلاميذ لئلاَّ يظنوا أن هذه المساعدات التي أعطاها لهم لها قيمة بالنسبة لخلاصهم، لأن كثيرين تاهوا بسبب ما كان لهم من مواهب مثل هذه. ولكنه ثبَّت نظر قلوبهم إلى فوق إلى الحياة الأبدية والسفر المكتوب، وأن اسمهم يُكتب في سفر الحياة. هذا هو الفرح العظيم المقيم والفرح الوحيد الذي يدوم. لأن كثيرين يجرون وراء المواهب فإذا نالوها بأي طريقة

تسبَّبت في ضياع حياتهم. فالمواهب مهما ارتفعت قوتها وقيمتها إن لم تُدَعَّم على قاعدة الخلاص والإنجيل والصليب فهي تطوِّح بالإنسان بعيداً عن خلاصه هو!!

فيا ليت كل إنسان يقرأ هذا ويتدبَّر حتى لا يمد رجله وينزلق في طريق المواهب التي تباع وتُشترى وهي عمل العدو المتخفِّي لاقتناص الأقوياء والطامحين.

«أن أسماءكم كُتبت في السموات»:

أول مرَّة نسمع عن كتابة الأسماء في السماء جاءت في سفر الخروج حينما صنع الشعب عجل الذهب وعبدوه، ولمَّا جاء موسى وسمع ما سيعمله الله في الشعب إذ مات ثلاثة آلاف رجل، فوقف موسى أمام الله يتذلَّل لئلاَّ يفني الشعب، وبدأ الحوار مع الله هكذا:

+ «والآن إن غفرت خطيتهم وإلاَّ فامحني **من كتابك الذي كتبت.** فقال الرب لموسى: مَنْ أخطأ إليَّ أمحوه من كتابي. والآن اذهب اهدِ الشعب إلى حيث كلَّمتُك. هوذا ملاكي يسير أمامك، ولكن في يوم افتقادي أفتقد فيهم خطيتهم.» (خر 32: 32-34)

وقد ذكر دانيال في رؤياه بوضوح:

+ «وفي ذلك الوقت يقوم ميخائيل الرئيس العظيم القائم لبني شعبك ويكون زمان ضيق لم يكن منذ كانت أُمة إلى ذلك الوقت. وفي ذلك الوقت يُنجَّى شَعْبُك، كل مَنْ يوجد **مكتوباً في السفر.**» (دا 12:1)

وقد ذُكرت عدَّة مرَّات في العهد الجديد:

+ «نعم أسألك أنت أيضاً يا شريكي المخلص ساعد هاتين اللتين جاهدتا معي في الإنجيل مع أكليمندس أيضاً وباقي العاملين معي الذين أسماؤهم **في سفر الحياة.**»(في 4:3)

+ «بل قد أتيتم إلى جبل صهيون وإلى مدينة الله الحي أُورشليم السماوية وإلى ربوات هم محفل ملائكة وكنيسة أبكار **مكتوبين** في السموات.» (عب 12: 22و23)

+ «مَنْ يغلب فذلك سيلبس ثياباً بيضاً ولن أمحو اسمه من **سفر الحياة** وسأعترف باسمه أمام أبي وأمام ملائكته.» (رؤ 3:5)

هكذا نجد أن هذا التقليد ابتدأ من أيام موسى حتى إلى نهاية العهد القديم، ثم ظهر في العهد الجديد بصورة غامرة.

أمَّا هنا فوضع الفرح بأن يكون اسمنا **معروفاً ومكتوباً** أي مسجَّلاً عنده في السماء حتى يكون

أيضاً هو فرحنا منذ الآن الذي يشدّد قلوبنا، **ولا نفرح قط بمواهب تُعطى وتُؤخذ.** ونعتقد أن هذا التقليد وصلنا من فم المسيح نفسه ليكون هو فرحنا الحقيقي والوحيد في حال توقُّف عمل المواهب والمعجزات، كما هو الحال.

وكتابة الاسم في سفر الحياة يوضّح لنا جداً أن الخلاص فردي وليس في قوائم. على أن كلمة "سفر الحياة" أو "المكتوبين في السماء" أو "في الكتاب الذي كتبت" يلهب حنين الإنسان جداً إلى المكان الذي ذهب المسيح وأعدَّه، حيث الدخول بالاسم والمكان أيضاً بالاسم:

+ «فقال له واحد: يا سيد أقليل هم الذين يخلصون؟ فقال لهم: اجتهدوا (والأفضل لغوياً اجهدوا) أن تدخلوا من الباب الضيق!!» (لو 13: 23و24)

5 ـ المسيح يقدِّم الشكر لله الآب

(10:21-24) (مت 11:25-27، 13:16و17)

إن عودة التلاميذ فرحين بانتصارهم على الشيطان وإتيان المعجزات أبهج قلب المسيح أن الرسالة سُلّمت لأيْدٍ تستطيع حملها. فبعد أن حذّرهم من الكبرياء ليظل فرحهم بأن أسماءهم مكتوبة في سفر المخلّصين للحياة الأبدية هو فرحهم الوحيد، بدأ المسيح يقدّم الشكر أمام تلاميذه ليعلموا من أين أتت المعونة، وكيف يفرح الله الآب والابن بخلاص أي فرد. بعدها طمأنهم جداً أن كل شيء، وطبعاً كل سلطان، دُفع ليده وأنه هو والآب واحد في معرفة ذاتية واحدة غير منقسمة، وفي النهاية فاضت أحشاؤه بالحب الأبوي وباركهم وبارك عيونهم وآذانهم التي سمعت صوته ورأته، الأمر الذي لم يوهب لكل الملوك السابقين وكل الأنبياء بلا استثناء. وهذا يعني أن درجة التلاميذ ارتفعت لتكون بعد المسيح مباشرة وفوق كل قوة وسلطان ومجد آخر. وهذا سبب تهليله الذي توجَّه به إلى الآب يشكره أنه انفتحت عيونهم باستعلان الآب خاصة، الأمر الذي كان يشتهيه كل حكماء إسرائيل وملوكها ولم يروه ولم يسمعوه.

والقديس لوقا لا يسرد علينا هنا خبراً تاريخياً أو لاهوتياً؛ بل يسلّمنا هنا ككنيسة تسليماً سجَّلته السماء يوم كُتب وظلَّ قائماً فوق كل قوى التخريب والحرق والإتلاف، تتسلّمه الكنيسة من يد ليد ومن فم لفم ليصبح أفخر تقليد فيها وضعته الكنيسة كصلاة قبل كل قراءة للإنجيل كالتزام، وأثناء ذلك يبخّر الكاهن من حول الإنجيل وأمامه ومن فوقه كأنها تشكرات الكنيسة مع تشكرات الابن

الوحيد مقدَّمة للآب كل يوم وكل مساء وكل صباح إلى نهاية الأيام.

أوشية الإنجيل: وتُتلى في رفع بخور عشية وباكر وفي القدَّاس:

[أيها السيد الرب يسوع المسيح إلهنا: الذي قال لتلاميذه القديسين المكرَّمين ورسله الأطهار: إن أنبياءَ وأبراراً كثيرين اشتهوا أن يروا ما أنتم ترون ولم يَرَوْا، وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا، أمَّا أنتم فطوبى لأعينكم لأنها تبصر ولآذانكم لأنها تسمع. فلنستحق أن نسمع ونعمل بأناجيلك المقدَّسة بطلبات قديسيك].

21:10 **«وَفِي تِلْكَ السَّاعَةِ تَهَلَّلَ يَسُوعُ بِالرُّوحِ وَقَالَ: أَحْمَدُكَ أَيُّهَا الآبُ، رَبَّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، لأَنَّكَ أَخْفَيْتَ هذِهِ عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ وَأَعْلَنْتَهَا لِلأَطْفَالِ. نَعَمْ أَيُّهَا الآبُ، لأَنْ هكَذَا صَارَتِ الْمَسَرَّةُ أَمَامَكَ».**

يأتي هذا الشكر كخاتمة لمجموعة من التعاليم الخاصة بالمُرْسَلين ومقدار الامتياز الذي صار لهم من قِبَل الآب والابن ابتدأت من (51:9)، الآب يَهب والابن يُسلِّم.

وفي مقدِّمة هذه الصلاة، وكأنها تسبحة بنغمة صلاة، ولكن صلاة تهليل، يشرح المسيح السبب في تهليله، لأن هكذا أراد الله أن يُعلن لتلاميذه الأمور المخفية منذ الدهور ـ وهنا تأتينا نبرة ق. بولس ـ أخفاها منذ الدهور كُلّها وأعلنها في هذه الأيام لتلاميذه وقديسيه بالروح (أف 3: 4ـ6). لذلك لست أوافق جميع الشُرَّاح الذين حصروا هذه الصلاة والتسبحة على السبعين تلميذاً بعد أن عادوا منتصرين بعد إخراج الشياطين والأشفية التي أجروها. فأنا واثق أن المسيح قالها بعد أن سأل التلاميذ: «مَنْ تقولون إني أنا؟ فأجاب بطرس وقال: مسيح الله» (لو 20:9) وفي إنجيل ق. متى: «أنت هو المسيح ابن الله الحي »(مت 16:16). فكل اعتقادي أن المسيح قالها بعد ذلك، لأن الموضوع الذي كان مخفياً منذ الدهور **وأعلن** الآن لتلاميذه وقديسيه هو يسوع المسيح نفسه وليس أي شيء آخر مهما كان. وهذا واضح من قول المسيح لبطرس: «إن لحماً ودماً لم **يعلن** لك لكن أبي الذي في السموات» (مت 17:16). إذن هنا الاستعلان جاء من الآب وهذا مذكور مباشرة في صلاة المسيح: «لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال» أمَّا الحكماء والفهماء فهم بالذات الكتبة والفرِّيسيُّون والحاخامات ومعلمو إسرائيل المدعوون حكماء إسرائيل إلى اليوم. أمَّا الذين أُعلن لهم فهم التلاميذ المدعوون أطفالاً أو أولاداً. في حين أنه في هذا المقطع بأكمله الذي نحن بصدد شرحه في الأصحاح العاشر لا يوجد أي استعلان خاص أعلنه الله للتلاميذ، ولكن الاستعلان الوحيد الرسمي والذي اعترف به المسيح هو استعلان يسوع أنه ‘‘مسيَّا’’، وهذا كان أقوى

استعلان، والاستعلان الوحيد الذي التقطه تلميذ وهو بطرس، مما أبهج قلب المسيح جداً وبعدها بدأ في الإعلان عن آلامه وموته مباشرة كما هو في إنجيل ق. مرقس. ولكن ولأنها أقوى مقطع في الإنجيل كله ظلّت محفوظة وقائمة بذاتها، فسهل على ق. لوقا أن يلتقطها ويضعها هنا عن إنجيل ق. متى أو ربما عن المخطوطة الضائعة المسمَّاة Q. والذي يؤكد لنا هذا هو كيف حفظها التقليد واحتفظ بها وأين وضعها؟ واضح أنه أرفقها بالصلاة التي تُقدَّم قبل قراءة الإنجيل الذي هو البشارة المفرحة باستعلان "مسيًّا". كذلك واستناداً على ق. بولس ما هو الذي كان مخفياً منذ الدهور وأعلنه الله لرسله والقديسين بالروح إلاَّ سرّ المسيًّا ونصيب الأمم فيه!! «الذي بحسبه حينما تقرأونه تقدرون أن تفهموا درايتي **بسر المسيح** الذي في أجيال أُخر لم يُعرَّف به بنو البشر كما **قد أعلن الآن** لرسله القديسين وأنبيائه بالروح **أن الأمم شركاء في الميراث والجسد** ونوال موعده في المسيح بالإنجيل.» (أف 3: 4-6)

من هذا نفهم أن إعلان بطرس بأن **"يسوع هو المسيًّا"** كان هو الاستعلان الوحيد الذي كان مخفياً في كل الدهور السالفة وعن كل الأجيال، وقد أعلنه الله لبطرس أولاً بشهادة المسيح نفسه. لذلك كان هو السبب الوحيد الذي من أجله لما سمعه المسيح تهلّل بالروح واعترف أن الآب استعلن هذا السر لتلاميذه، فكانت هي الشرارة الأولى التي منها انطلق المسيح يكشف سر آلامه والصليب والموت والقيامة، معتبراً أن إعلان الآب لبطرس هو اكتمال الزمان ليبدأ الصليب.

ولكن أن يضعها ق. لوقا هنا بعد عودة السبعين فرحين منتصرين، لا بأس، ولكن استحالة أن تنسجم مع ما استُعلن للتلاميذ آنئذ وهو لا شيء!!

وقد حاول ق. لوقا أن يضمها إلى أقرب كلام قاله المسيح يساويها، إذ بعد أن ذكر تشكرات المسيح أضاف إليها ما يعرِّف نفسه به، أي نفس سر المسيًّا: «والتفت إلى تلاميذه وقال كل شيء قد دُفع إليَّ من أبي وليس أحد يعرف مَنْ هو الابن إلاَّ الآب ولا مَنْ هو الآب إلاَّ الابن ومَنْ أراد الابن أن يعلن له» (لو 10:22)، وحينئذ بدأ يزكي عيون تلاميذه وآذانهم لأنهم رأوا المسيًّا وسمعوه، الأمر الذي تاق إليه في القديم جميع الأنبياء ولم ينالوه وجميع الملوك ولم يُعلن لهم والآن هو في وسطهم!

وتأتي الكنيسة بإلهام الروح وبالتسليم تضع صلاة المسيح وتهليله وشكر الآب قبل قراءة الإنجيل حتماً كصلاة تُفتتح بها أي قراءة، لماذا؟ لأن الشعب سيستعلن ما استعلنه التلاميذ بسماع الأذن وبالرؤيا للموهوبين عن مَنْ هو مسيًّا وما الذي قاله وعمله. فقراءة الإنجيل هي استعلان للمسيح بالدرجة الأولى، حتى أن الكثيرين من القديسين كانوا يستلهمون من القراءة الرسمية في الكنيسة

توجيهات حياتهم، كالقديس أنطونيوس الذي استلهم من قول المسيح بترك كل شيء من أجله، فترك في الحال وهو مسنود على ما سمعه باعتباره إعلاناً خاصاً به أكمله أعظم تكميل. وهكذا برهن أقوى برهان أنه بقراءة الإنجيل يحدث الاستعلان المناسب لكل مَنْ صمَّم أن يحيا حسب كلام المسيح ووصاياه، وأثبت أن وصية المسيح حيَّة وكأنها منطوقة من فم المسيح. فلمَّا أخذها وأطاعها بإيمان قوي أثبت بها أنها تصلح لتكون حياة!!

والكنيسة واعية لذلك حتى أنه في نهاية أوشية (صلاة) الإنجيل تقول الصلاة التالية:
[فلنستحق أن نسمع ونعمل بأناجيلك المقدَّسة].
بمعنى أن بالسمع نستلهم العمل والأداء الذي يطلبه المسيح!!

22:10 **«وَالْتَفَتَ إِلَى تَلاَمِيذِهِ وَقَالَ: كُلُّ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ إِلَيَّ مِنْ أَبِي. وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ مَنْ هُوَ الابْنُ إِلاَّ الآبُ، وَلاَ مَنْ هُوَ الآبُ إِلاَّ الابْنُ، وَمَنْ أَرَادَ الابْنُ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ».**

الآن استراحت نفس المسيح أن الآب أعلن المسيَّا (بواسطة بطرس) : «أنت هو المسيح» لذلك أصبح على المسيح أن يُعرِّف نفسه لتلاميذه، أن كل شيء قد دُفع له من الآب، بمعنى السلطان والقوة والملكوت فوق كل شيء. يعني أن المسيح هو المعيَّن من الله للكشف عن الملكوت وإعطاء القدرة على قبوله ودخوله، لأنه كان على التلاميذ أن يُعلنوا باقتراب الملكوت أو وصوله. إذن فالذي أصبحنا محتاجين إليه هو مَنْ يُعلنه ومَنْ يعطي الاستحقاق لدخوله. وهنا ابتدأ المسيح يقدِّم نفسه أن كل شيء يختص بالملكوت قد أُعطي له، وطبعاً على رأس كل شيء استحقاق دخوله بذبيحة نفسه، كذلك معرفة الآب أمر حتمي لدخول الملكوت لأن معرفة الآب هي المؤهِّل الأول والأعظم لدخول الملكوت. ومعرفة الآب تجسَّد لها الابن خصيصاً ليعلن الآب، كون الابن متجسِّداً ومنظوراً، فمَنْ رأى الابن رأى الآب، ومَنْ عرف الابن عرف الآب، ومَنْ قَبِلَ الابن قَبِلَ الآب. وحول هذه القضية الأساسية كانت كل تعاليم المسيح وآياته، إذ كان يقول دائماً أنها من الآب وأن كل ما يقوله ويعمله هو من الآب لكي بالنهاية يعرِّفنا بالآب حتى نستحق بذبيحة المسيح أن نصير له أولاداً. فالبنوَّة لله الآب تتوقَّف على الاستحقاق، وهذا يقدِّمه المسيح بذبيحة نفسه من أجل كل مَنْ يؤمن به، وعلى معرفة الآب بواسطة الابن واستعلانه للآب قولاً وعملاً. وهذا كمٌّ هائل من الضرورات التي يتحتَّم توافرها لدخول الملكوت، ولكن استطاع التلاميذ وبطرس ينوب عنهم ليعلن أن يسوع هو المسيَّا، وهذا يعني أن التلاميذ قد استوعبوا ما يؤهِّلهم لدخول الملكوت. هذا هو سر تهليل المسيح وتقديم الشكر للآب لأنه استعلن يسوع أنه المسيَّا للتلاميذ ـ أي لبطرس.

23:10 «وَالْتَفَتَ إِلَى تَلاَمِيذِهِ عَلَى انْفِرَادٍ وَقَالَ: طُوبَى لِلْعُيُونِ الَّتِي تَنْظُرُ مَا تَنْظُرُونَهُ».

المسيح هنا يفصح عن ما هو الاستعلان الذي يتمنّى أن يحصل عليه تلاميذه ثم الكنيسة كلها والعالم. وهو حقيقة "المسيَّا" أنه الابن والمخلّص الذي دُفع إليه كل شيء يلزم للخلاص ومعرفة الآب والتأهُّل لدخول ملكوت الله. لأنه بتقديم نفسه لتلاميذه أنه مسيَّا أي المخلّص وقبول التلاميذ له حقًّا وإيمانهم به يكونون قد قبلوا الآب وعرفوه، وهنا التأهُّل الكامل للملكوت: «لو كنتم قد عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً، ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه.» (يو 7:14)

وليتنا نتذكّر هنا قول المسيح أن من الآن لست أدعوكم عبيداً لأني عرَّفتكم بكل ما عند الآب، أنتم أحباء (راجع يو 15:15)، وكلمة "أحباء" أكبر من "أبناء" في مفهوم الإنجيل فهي تعني: "أبناء أحباء".

وهكذا نرى أن فرحة المسيح الكبرى التي جعلته يتهلّل ويشكر الآب في صلاته العلنية، هذه التي يقصد أن نسمعها بل نعيها ونحفظها: أنه استُعلن أنه هو المسيَّا المخلّص. لذلك بعدها انطلق يتكلّم عن الصليب. وعجيب جداً أن المسيح نفسه يطوِّب عيون التلاميذ لأنها أبصرته، يا لهذه البساطة الإلهية العجيبة، ولكن ليس مجرَّد رؤية عين بل نظر الروح الذي هو يقين المعرفة الإلهية. وماذا تنظر؟ تنظر الله يهوه في يسوع الحبيب!! تنظر مسيَّا الله مسيح الرب الذي هو منتهى القصد، الألف والياء!!

ويا لحظنا السعيد بل ويا للطوبى أي السعادة التي تحقّقت لنا نحن أيضاً بهذا القدر عينه بواسطة الإنجيل الذي يعطينا كلمة الله الحية، بل حضرة الله الكاملة بالآب والابن لنحقّقها بالعيون الجوانية ونتأمَّل في الله كلما تأمَّلنا في المسيح، ونرى الآب وتصير لنا الطوبى. وعليك أن تتصوَّر أيها القارئ العزيز إلى أي مدى تنطلق الروح حينما يقف الكاهن والمبخرة في يده واقفاً على باب الهيكل ويُعلن، والإنجيل مفتوح، ويقول بصوته الرخيم الهادئ: طوبى لأعينكم لأنها تبصر ولآذانكم لأنها تسمع!! تنساب الروح من قيدها وتتخطّى ألفين من السنين في لحظة رؤيا وترى المسيح وتسمعه بنفس الكلمات التي نطقها، هو هو يقول لنا طوبى لعيونكم لأنها تبصر ولآذانكم لأنها تسمع. اسمع جيداً يا صديقي: المسيح نفسه هو الذي يطوِّب عيوننا وآذاننا لأننا نراه ونسمعه عبر هذه السنين كلها التي يختزلها الروح إلى لحظة وترتفع الرؤيا لرؤية ما لا يرى. أليس هذه هي الطوبى!! ويختمها الكاهن: فلنستحق أن نسمع ونعمل بأناجيلك المقدَّسة بطلبات قديسيك. وهكذا يحدرنا من المرتفعات إلى الواقع الحي لنرى أنفسنا فنتعجَّب أين نحن؟!

نعم، نشكرك أيها الآب بالمسيح ابنك الذي جعلنا نراك ونسمعك!! ونعمل بأناجيلك المقدَّسة.

24:10 **«لأنّي أقولُ لكُمْ: إنَّ أنْبيَاءَ كَثِيرينَ وَمُلُوكاً أرَادُوا أنْ يَنْظُرُوا مَا أنْتُمْ تَنْظُرُونَ وَلَمْ يَنْظُرُوا، وَأنْ يَسْمَعُوا مَا أنْتُمْ تَسْمَعُونَ وَلَمْ يَسْمَعُوا».**

المسيح يضع هنا القديم أمام الجديد، فالقديم بكل ذخائره وأمجاده ومحاباة الله للشعب وظهوره بينهم وبصوته يكلّمهم، يهوه العظيم والمجيد بأقواله وحكمته. كل هذا لا يعادل صورة ابن الإنسان في بساطتها بل احتقارها وذلها، وأخيراً وهو معلّق على صليب العار ثم القبر البارد!

ولكن بقيامة المسيح من الأموات واستعلان قوة خلاصه من خلال آلامه بدمه المتقطّر على الصليب واكتشاف الفداء الذي تمَّ وإكماله للمصالحة العظمى بين يهوه في السماء وإنسان الأرض، نعم فاستعلان يسوع المسيح كابن الله مسيًّا الدهور فاق كل العهد القديم بأمجاده بالنسبة للإنسان. فأنبياء كثيرون أو في الحقيقة كل الأنبياء الذين تكلّموا عن مجيء الفادي والمخلّص تاقت قلوبهم وكلّت عيونهم أن يروه، ولو من خلال الرؤى.

اسمع إشعياء النبي يقول: «إلى اسمِكَ وإلى ذِكرِكَ شهوةُ النفس. بنفسي اشتهيتُكَ في الليل. أيضاً بروحي في داخلي إليكَ أبتكرُ» (إش 26: 8و9). ومع كل هذا الحنين الضخم لم يتحقّق له الرؤيا فأخذ يعاتب الرب: «حقًّا أنت إله محتجب يا إله إسرائيل المخلّص» (إش 15:45). أي في النهاية رضي أن يتكلّم معه ويتكلّم عنه من وراء حجاب. نعم كان لابد أن يتمزّق الحجاب من فوق (أي بمبادرة الله) إلى أسفل بواسطة الصليب قبل أن يرى الإنسان ابن الإنسان وتندفق الحياة من "الباب" المفتوح!

والملوك الذين كانوا يعتبرون أنفسهم يحملون صورة باهتة لملوكيته ويجلسون على عرشه إلى أن يجيء، تاقت نفوسهم أن يروه وما رأوه. كان المسيًّا حلم إسرائيل منذ أن دعاها من مصر ليملّكها أرض الأمم. وظلَّ هذا الحلم يتناقل من جيل إلى جيل إلى أن تحقّق في أوضع صورة وأحقر مكان على الأرض. شيء كان من المحال أن يتصوَّره فكر. هكذا جاء مشتهى الأمم، في مذود!

والمسيح إذ يقول ما قاله هنا إنما قاله على مستوى سرّه كمسيًّا الذي لا يستعلنه إلاَّ مختاروه والذين أحبوه وساروا وراءه حتى الموت. فالطوبى التي أعطاها المسيح للعيون التي تراه الآن والآذان التي تسمعه الآن، هي الطوبى من وراء الاستعلان الحقيقي الذي كان يعيشه المسيح في سرّه الأزلي وأعلنه للأطفال بقلوبهم، إذ استتر المسيح وراء تواضعه واختفى اللاهوت وراء الناسوت، فإنسانٌ تراه وهو خالق الإنسان، وعبدٌ محتقر وهو السيد بآن. مات مظلوماً مهاناً وهو الديَّان، رضي بالموت وهو رب الحياة. فطوبى للعيون التي ترى ما لا يُرى والآذان التي تميِّز صوت الله.

(ب) مميزات وصفات التلاميذ
(13:11-25:10)

1 ـ رأي المسيح في قضية الفواصل العرقية والدينية
مَنْ هو قريبي؟ والسامري الصالح
(37-25:10)

(تث 5:6 ولا 18:19)
(مت 22: 34 - 40)
(مـر 12: 28 - 34)

قصة من أبدع القصص التي استودعها ق. لوقا ذاكرة الكنيسة لتصبح أقوى سند لكسر حاجز العنصرية وتحطيم سياج التفرقة الجنسية. قالها المسيح بتلقائية مدهشة دون تفكير، قالها من عمق قلبه المجروح من قساوة قلب الإنسان على أخيه الإنسان. وصارت قصة السامري الصالح رمزاً للمسيح، بل ولقباً له في قلب الإنسان وسلاحاً مؤثّراً في يد الواعظ والمعلّم. وتبدأ بسؤال رجل ناموسي للمسيح: ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟ وطبعاً قالها ولم يدرِ أنَّ مَنْ يسأله هو الحياة الأبدية ذاتها، التي كانت مخفية في الله وأُظهرت لنا يوماً من الأيام. هو ملء الحياة الأبدية وهو يهبها لنا بقيامة الجسد الذي أخذه منا من الأموات بمجد فريد. ولكن المسيح لم يقل له كالسامرية: «أنا الذي أكلّمك هو» (يو 26:4)، ولكنه أخذ بيده ليقرأ ناموسه من الأول: كيف تقرأ؟ ومن إجابته الصحيحة حثّه أن يعمل بما يقول، ولكنه تمادى في جهله بالناموس ليسأل: ومَنْ هو قريبي؟ لأن اليهودي صعب عليه بل ويستحيل أن يعمل معروفاً في أممي ولا يقربه لأنه نجس. ومن هذه الخَصْلة الرديَّة بدأ المسيح يكوّن هذه القصة من مخيلته حتى بلغ فيها إلى مركز الحرج حيث جعل السامري المكروه النجس يعمل معروفاً في يهودي وقع بين اللصوص وجرحوه وتركوه يلفظ أنفاسه، في الوقت الذي مرَّ بجانبه كاهن فأعرض عنه ولاوي فتجاهله وسار في طريقه. فماذا تُسمِّي هذا السامري الذي أنقذ حياة اليهودي؟ أما يُحسب على مستوى قريبه؟ وأخرج المسيح من فم ذلك الناموسي هذا الاعتراف، وطبعاً بقي كما هو ولم ينتفع بكلام المسيح شيئاً. فاليهودي لا يمكن أن يكون إلاَّ يهودياً حتى آخر نفس. لذلك كان حتمياً أن يموت المسيح على الصليب ليفك العداوة من

قلب الإنسان تجاه أخيه الإنسان في «اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض.» (أع 8:1)

25:10 **«وَإِذَا نَامُوسِيٌّ قَامَ يُجَرِّبُهُ قَائِلاً: يَا مُعَلِّمُ، مَاذَا أَعْمَلُ لأَرِثَ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ؟»**

القصة خالية من تحديد الزمان والمكان، ويبدو أنها مختارة بدقة ليسرِّب ق. لوقا مبدأً خطيراً لإسرائيل بجملتها، لا بل للعالم بأسرِهِ كعنصر أساسي للكرازة بالمسيح في اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض. أو بعبارة أخرى ليحل قضية العِرْق والعداوة بين الأجناس والألوان التي التقطها ق. بولس وقال قولته المشهورة: «ليس يونانيٌّ ويهوديٌّ، ختانٌ وغرلةٌ، بربريٌّ سكّيثيٌّ، عبدٌ حرٌّ، بل المسيح الكل وفي الكل» (كو 11:3). القضية التي برزت أخيراً لتوجع رأس الدنيا بأسرها وتطوَّرت أخيراً إلى قتل وتخريب وهدم مؤسسات وإحراق مصانع وبيوت وبنوك ومدن لا لشيء إلاَّ لكراهية الآخر إن اختلف عِرْقه أو لونه أو دينه أو حتى عقيدته.

والناموسي هو فرِّيسي متخصِّص في دراسة الناموس = nomikÕj وهو على مستوى دارس القانون أو المحامي عندنا الآن، ويُسمَّى أيضاً: «معلّماً للناموس nomodid£skaloj » (17:5)، ويقدِّمه القديس مرقس لنا بصفته: "كاتب grammateÚj" (مر 12: 28و32). وهو هنا قام ليجرِّب المسيح لامتحانه لأنه معلّم دارس وله دراية بمهنته، وهو هنا يستصغر المسيح كمعلّم، فالاختبار فُرض للتعجيز. ويُلاحِظ القارئ أن الاختبار هنا وُضِعَ ليس على أساس المعرفة بل العمل: «ماذا أعمل؟» وهو ينتظر بطبيعة الحال والمهنة أن يكون الرد بكلمة واحدة ليحاوره فيها، ولكن المسيح أعطى إجابة لترفع القضية كلها إلى نوع الحياة برمّتها وليس بعمل من الأعمال. فالحياة الأبدية لا تُكسَب إلاَّ بحياة تؤهِّل لها، فلو تماشينا مع فكر الكنيسة التقليدي نجد أن العمل الوحيد هو الإيمان. ولكن هذا وحده لا يكفي في عرف ق. يعقوب: «أرني إيمانك بدون أعمالك وأنا أريك بأعمالي إيماني» (يع 18:2). ولكن المسيح هنا ينتحي بناحيةٍ تَجُبُّ الحياة كلها وتكشفها لله والناس بلا لَبْس وتُحسب عملاً يتخطّى الحياة الأرضية كلها ويدخل إلى الله نفسه كشهادة استحقاق فعلاً!! وهي المحبة بكل أصولها وفروعها، وهي التي أشار إليها السائل وهو لا يدري إذ طالب بعمل له القدرة أن **"يورِّثه"** الحياة الأبدية، أي عمل هنا يصلح ليكون قاعدة للامتلاك هناك، وهذا لا يمكن أن يتأتّى إلاَّ بالمحبة في كل أوضاعها وبالأخص من نحو الله كأساس، لأن الحياة الأبدية هي عطية الله العظمى، فلابد أن يصل العمل إلى قلب الله نفسه ليهب للإنسان أعظم وأغلى شيء عنده وهو الحياة معه إلى الأبد.

26:10و27 «**فَقَالَ لَهُ: مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي النَّامُوسِ. كَيْفَ تَقْرَأُ؟ فَأَجَابَ وَقَالَ: تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَقَرِيبَكَ مِثْلَ نَفْسِكَ».**

هكذا استطاع المسيح بكل مهارة أن يجعله هو ينطق بهذا العمل القادر على توريث الحياة الأبدية. لقد استطاع الناموس بهذا القول أن يسيطر على حياة الإنسان سيطرة كاملة ليجعلها حسب فكر الله وعمله كما سيظهر مما يلي:

«تحب الرب إلهك من كل قلبك»:

فالقلب مركز الشعور والوجدان ومصدر كل ما هو صالح: «من كنز قلبه الصالح يُخرج الصلاح» (لو 6:45). وليسأل القارئ نفسه من أين يأتي بالحب الصادق والعمل الصالح والحنو الأبوي الحقيقي والصدق في القول والعمل؟ من القلب. إذن فأصبح الله عند الإنسان هو القطب الجاذب للحب الصادق والعمل الصالح. فهنا ضمن الله حياة صادقة وعملاً صادقاً إن استطاع الإنسان أن يحب الله من كل قلبه، حيث "كل" هنا تعني أنه لا يوجد شخص آخر يقاسم حب الإنسان لله، أي أن يكون الله أولاً وآخراً عندي.

«ومن كل نفسك»:

النفس مربوطة بالقلب فهي تترجم حركات القلب إلى أماني وشهوات، وهي مركز الفرح والحزن. ومرَّة أخرى نسمع قوة الشهوة حينما تُوجَّه نحو الله: «إلى اسمِكَ وإلى ذِكرِكَ شهوةُ النفس. بنفسي اشتهيتُكَ في الليل. أيضاً بروحي في داخلي إليكَ أبتكرُ» (إش 26: 8و9). انظر حينما سرَّب القلب حبه الصادق إلى النفس سهرت النفس تناجي الله وتتشبَّب بحبه بإخلاص يساوي الحياة ولا يقطعه إلاَّ الموت.

«ومن كل قدرتك»:

القدرة هي الإرادة الذاتية وهي تعمل بحسب ما تملي عليها النفس (الشهوة) ويدفعها القلب (العاطفة). فالقدرة هي جِماع حركات القلب والنفس المتحفِّزة للعمل. فما يحمله القلب وما تحمله النفس ينصب في الإرادة المهيئة للفعل. ولكن إذا تقاعست الإرادة عن التنفيذ ضاع رأس مال القلب وكل آمال النفس وشهوتها. فالإرادة تتحرَّك بضعف أو بقوة وإلى اليمين أو اليسار كما يتحكم فيها الفكر. فالفكر يصفّي كل الحواس ويخرج منها بالحكم على الأمور: فإذا تشبَّع الفكر بالحقائق الإلهية وامتلأ بمعرفة الإنجيل ووصايا الله اغتنى بالروح.

«ومن كل فكرك»:

الفكر ابن التعليم والتقليد والقراءة والنظر والسمع، وهو مخزن كل الحوادث السابقة والمعرفة والتلقين، وهذا كله يُصَفّيه الفكر ويلتقط منه الإيحاء الذي قد يتدخَّل فيه الله ويقرِّر نوع الاستجابة للعمل. فإذا اغتنى الفكر بوصايا الله وأقواله وأحبّها حقًّا فإنه ينفتح على الله وتسري فيه إيحاءات من الله تجعل تصرُّفه فوق الطبيعة.

وهكذا نجد أن الله وضع للإنسان كل القوى التي إذا تشبَّعت بحب الله والأمانة له يصبح الإنسان هو الإنسان في صورته الحقيقية: «فخلق الله الإنسان على صورته.» (تك 27:1)

28:10 **«فَقَالَ لَهُ: بِالصَّوَابِ أَجَبْتَ. اِفْعَلْ هذَا فَتَحْيَا».**

هنا نرى أنه ليس المسيح الذي وُضع في الاختبار بل الناموسي نفسه إذ وقع تحت يد المعلّم الأعظم. وهكذا استطاع المسيح أن يجعل الناموسي ينطق بكل ما يطلبه الله من الإنسان ليعمله، ويحيا به. هنا تقابل الفكر الناموسي الحائر مع إله الناموس وواضعه فوجد نفسه ووجد الحق الذي يسعى إليه وأمسك بيده طرف الحياة الأبدية، فما عاد للوصول إلى الله والمسيح شيء إلاَّ الطاعة والاتباع بكل دقة حتى لا يغيب هذا الحق من قلب الإنسان. وإجابة المسيح هنا ترفع القضية إلى مستوى الحركة والتنفيذ. لقد انتهى الحوار والمناقشة إلى عمل واحد: «افعل هذا فتحيا» لذلك يلذ لي جداً أن لا أكتفي بأن المسيح هو الكلمة إذ يلزم جداً أن أحددها من أي نوع هذه الكلمة، أقول لك هي **"الفعل"**. «افعل هذا فتحيا» الناموسي جاء وهو يفكّر أن ينتهي بكلمة فانتهى بالفعل.

الانتقال من الكلمة إلى الفعل:

السامري الصالح

هي في ذاتها قصة بديعة سهلة ارتجلها المسيح ارتجالاً ليوفي حق الناموس في محبة القريب كالنفس حسب السؤال الذي رفعه الناموسي إلى المسيح ليبرِّر نفسه.

والقصة تكشف كشفاً فاضحاً عن عدم وجود الرحمة والحنو وبالتالي المحبة تجاه الآخر في قلب الكاهن واللاوي. ووضعها المسيح في قالب مَثَل ينتهي بسؤال يحتِّم على السامع بالإجابة من نفسه على: مَنْ هو قريبي، وهذا منتهى الإبداع في القصة، وهي تدور على مَنْ يكون قريبي، وقد حبكها المسيح لكي يُظهر أن: الوصية الأولى والعظمى لم تُسْعِف اليهودي في أعلى مستواه ككاهن ولاوي

أن يربح الحياة الأبدية لأنها لم تُحفَظ بالصدق القادر أن يحوّلها إلى عمل، الأمر الذي كشفه بولس الرسول كشفاً فاضحاً: «ولكن أنْ ليس أحدٌ يتبرَّرُ بالناموس عند الله فظاهرٌ، لأن البارَّ بالإيمان يحيا. ولكن الناموس ليس من الإيمان، **بل الإنسان الذي يفعلها سيحيا بها** »(غل 3: 11و12). ففي هذه القصة كشف المسيح أن الناموس وحُفَّاظ الناموس لم يفعلوا بالوصية مع أنهم يحفظونها عن ظهر قلب، مع أنه ـ كما يقول ق. بولس ـ شرط الحياة بالناموس هو تكميله بالفعل. فالذي يحفظ الوصية عن ظهر قلب ولا يفعلها لن يدخل الحياة، وهو الذي قاله المسيح للناموسي في نهاية تلاوة الوصية الأُولى والعظمى إذ قال له: «افعل هذا فتحيا» وفي الحال روى المسيح هذا المثل الذي خاب فيه الكاهن واللاوي من أن يفعل بالناموس: «لأن موسى يكتب في البر الذي بالناموس إن **الإنسان الذي يفعلها سيحيا بها.** »(رو 10:5)

والمسيح هنا يقدّم هذا المثل ليوضّح أن السامري المكروه والمحتقر والمحروم من اليهود استطاع أن يكشف عملياً أنه أقرب صدقاً من الناموس من الكاهن واللاوي. ثم إن المسيح استطاع أن يشرح عملياً مَنْ هو قريبي ليس في وضعه الشفاهي بالكلمة بل في وصفه الأقرب بالروح للممارسة وليس للمعرفة. لأنه من الوجهة اللاهوتية وأعماقها داخل الناموس ينكشف لنا أن الناموس لا يقف عند الوصية: تحب الرب إلهك والقريب، بل يتجاوزها إلى الفعل فينكشف أن **المحبة تطالب بالرحمة.** إذ وضح من تصرُّف الكاهن واللاوي أنهما فضَّلا راحتهما وأمان أنفسهما عن أن يتمّما واجب الناموس أي المحبة. وانتهى المسيح بأن أي إنسان يحتاج الرحمة والمساعدة هو هدف وموضوع الحب للقريب. **فالقريب هو "المحتاج" إلى محبتي وعمل الرحمة معه،** وهذا ينبغي أن يكون أقرب الناس إليَّ وأكثرهم حاجة إلى عطفي وبذلي.

ويُلاحَظ أن المسيح ردّ على الناموسي الذي أراد أن يبرّر نفسه بالمعرفة وحَسْب، إلى أن البرّ بالناموس هو أن تعمل به، افعله وأنت تحيا به.

29:10 **«وَأَمَّا هُوَ فَإِذْ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّرَ نَفْسَهُ، قَالَ لِيَسُوعَ: وَمَنْ هُوَ قَرِيبِي؟»**

في الحقيقة واضح أن هذا الناموسي قد أظهر حماقة، لأنه يسأل سؤالاً قد أجاب عنه هو بنفسه. فالمسيح كأنه يقول له أنت لست في حاجة أن تسألني عن الحياة الأبدية، كناموسي أنت تعرف الإجابة، فكل ما أنت محتاج إليه الآن هو أن تمارس ما تعظ به أنت.

ولكنه إذ وضح له أنه غير قادر أن يفعل بما قاله عن الناموس بدأ يبرّر عجزه بإعطاء السؤال

كيف ينفذ هذا عملياً بقوله: «ومَنْ هو قريبي؟» ولسان حاله يقول: إن الناموس يقول بمحبة القريب، ولكن ما هي الحدود التي تحكم هذا؟

30:10 **«فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ: إِنْسَانٌ كَانَ نَازِلاً مِنْ أُورُشَلِيمَ إِلَى أَرِيحَا، فَوَقَعَ بَيْنَ لُصُوصٍ، فَعَرَّوْهُ وَجَرَّحُوهُ، وَمَضَوْا وَتَرَكُوهُ بَيْنَ حَيٍّ وَمَيْتٍ».**

هنا لم يذكر المسيح عن قصد: مَنْ هذا الإنسان وهويته، وجعله أي إنسان، ولو أنه على مستوى الفهم اليهودي يكون هذا الإنسان يهودياً. وهنا يلذ لنا أن نتأمَّل أن المسيح لم يذكر هوية هذا الإنسان لكونه كان يتكلّم عن نفسه، لأن اليهود رفضوه عن قصد وأهانوه، بل لم يتركوه حتى قتلوه، في حين أن السامريين قبلوه وحيُّوه وأرغموه أن يبقى في مدينتهم يعلّم ويشفي، في قصة السامرية التي اعترفت به أنه هو المسيَّا الذي يترقَّبه اليهود. ولكن هذا الشرح على الهامش لأن قلب القصة يحمل اتجاهاً آخر. هذا الإنسان كان مسافراً من أورشليم إلى أريحا في طريق ينحدر بشدَّة من أورشليم حوالي 3300 قدم بميل، على مسافة طولية قدرها 17 ميلاً، وهو طريق يمر بين الصخور يصلح أن يختبئ فيه اللصوص فعلاً كما يقول يوسيفوس المؤرِّخ(204). وكما يخبرنا المؤرِّخ سترابو أن بومبي هاجم اللصوص في هذا الطريق وأبادهم(205)، وأيضاً ق. جيروم يذكر مثل ذلك في شرحه لسفر إرميا (2:3)، وكانوا عرباً لصوصاً في أيامه. وفي يد مثل هؤلاء وقعهذا الإنسان في كمين وصنعوا به ما صنعوا ومضوا بعد أن عرّوه، أي سرقوا كل ما معه حتى ملابسه، ولم يكتفوا بذلك بل وضربوه وتركوه يلفظ أنفاسه وهو نصف ميت.

31:10 **«فَعَرَضَ أَنَّ كَاهِناً نَزَلَ فِي تِلْكَ الطَّرِيقِ، فَرَآهُ وَجَازَ مُقَابِلَهُ».**

الذي نفهمه من القصة أن الطريق مهجور لا يمر فيه الناس بكثرة فيبدو أنه مكث واقعاً مدة حتى أتاه الكاهن، فانتظر المسكين منه مساعدة ولكنه تركه ولاذ بنفسه يسعى لأمان نفسه إمَّا صاعداً نحو الهيكل للخدمة وإمَّا نازلاً من الهيكل إلى بيته، ولكن على أي حال فالمسيح لم يعطه أي عذر، فغير معقول أن يعطيه الشراح العذر، فهو خسر فرصة محبة مائة بالمائة.

32:10 **«وَكَذلِكَ لاَوِيٌّ أَيْضاً، إِذْ صَارَ عِنْدَ الْمَكَانِ جَاءَ وَنَظَرَ وَجَازَ مُقَابِلَهُ».**

(204) Josephus, *Bell.,* 4,474.
(205) Strabo, 16, 2, 41.

وما حدث من الكاهن حدث من اللاوي، علماً بأن اللاويين في أيام المسيح كانوا في درجة أقل من الكهنة ولكن كانوا جماعة مميَّزة في المجتمع اليهودي، وكانوا مسئولين عن الصلوات الليتورجية أي الطقسية داخل الهيكل وحمايتها كأفراد بوليس: «حفظوا كلامك **وصانوا** عهدك، يعلّمون يعقوب (إسرائيل) أحكامك وإسرائيل ناموسك» (تث 33: 9و10). هذا أيضاً اقترب من الإنسان الواقع والمجروح ونظر إليه وتركه ومضى إلى طريقه، إذ اعتبر أن هذا عمل لا يدخل في اختصاصه.

33:10 **«وَلَكِنَّ سَامِرِيًّا مُسَافِراً جَاءَ إِلَيْهِ، وَلَمَّا رَآهُ تَحَنَّنَ».**

ويُلاحَظ أنه إذا جاء الاسم أو الفاعل في بداية الجملة اليونانية يكون للتأكيد أو للأهمية للفت النظر. ولكن لماذا يقارن السامري بالكاهن واللاوي وليس بأي يهودي آخر؟ يسأل بعض العلماء ويعطون أجوبة سخيفة لأن القصة من مبدأها تتكلّم عن الناموس وحفظ الناموس والسائل ناموسي، فهنا استحضر المسيح في القصة القوّامين على الناموس الكاهن واللاوي. فإذا وضعنا الكهنوت وخدمة اللاوي جانباً فنحن نسأل أين الإنسانية!! فلمَّا جاء السامري أظهر تحننه نحو الإنسان الواقع يلفظ أنفاسه خلواً من عقيدة أو جنس أو دين، وبدأ في الحال يعمل أقصى الجهد لإنقاذه.

34:10 **«فَتَقَدَّمَ وَضَمَدَ جِرَاحَاتِهِ، وَصَبَّ عَلَيْهَا زَيْتاً وَخَمْراً، وَأَرْكَبَهُ عَلَى دَابَّتِهِ، وَأَتَى بِهِ إِلَى فُنْدُقٍ وَاعْتَنَى بِهِ».**

يقصد هنا بالضمادة ما يسد النزيف ولكن بعد ذلك عرّى الجراح وصبَّ عليها زيتاً وخمراً لتطهير الجرح وإيقاف الألم معاً. هذا أقصى ما يمكن أن يعمله إنسان في ذلك الزمان. وهكذا بعد أن عمل له الإسعافات الأولية أقام الجريح وأركبه دابته وسار بجواره يسنده من واقع الحال، وأخذه إلى أقرب خان (فندق) وأوصى به.

35:10 **«وَفِي الْغَدِ لَمَّا مَضَى أَخْرَجَ دِينَارَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا لِصَاحِبِ الْفُنْدُقِ، وَقَالَ لَهُ: اعْتَنِ بِهِ، وَمَهْمَا أَنْفَقْتَ أَكْثَرَ فَعِنْدَ رُجُوعِي أُوفِيكَ».**

والمعنى أن السامري أمضى الليلة مع المريض، وقبل أن يذهب أعطى لصاحب الفندق دينارين وأوصى به على أنه حينما يعود من رحلته يوفيه بقية الأجر على قدر ما يصرف على المريض. وماذا نقول في أمر ذلك السامري الذي رفعته الكنيسة الأولى إلى أمجد لقب إذ جعلته أنه هو هو المسيح في هذه القصة الجميلة؟ وواضح في كلمة "عند عودتي" أنه يقصد مجيئه الثاني المجيد لكي يتيقّظ ذهن

القارئ ويعرف إلى أين يضرب المسيح المَثَل.

36:10 **«فَأَيَّ هؤُلاَءِ الثَّلاَثَةِ تَرَى صَارَ قَرِيباً لِلَّذِي وَقَعَ بَيْنَ اللُّصُوصِ؟»**

والآن جاءت مُساءلة الناموسي ليحكم أي الثلاثة صار قريباً للرجل الجريح. المسيح هنا وضع القضية في أحرج مراحلها، لأنه وضع الناموسي مكان الرجل المصاب، وجعله يستشعر بحسِّه الإنساني أن الذي تحنَّن عليه هو أقرب الناس إليه مع أنه سامري.

37:10 **«فَقَالَ: الَّذِي صَنَعَ مَعَهُ الرَّحْمَةَ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: اذْهَبْ أَنْتَ أَيْضاً وَاصْنَعْ هكَذَا».**

يلاحِظ القارئ أن المسيح إذ يعرف دواخل النفس البشرية تقمَّص هو شخصية الناموسي، فتوقَّع ما لابد أن يقوله الناموسي: «الذي صنع معه الرحمة» قال الناموسي هذه الجملة لكي يتهرَّب من ذكر اسم السامري!!

لقد أبدع المسيح في تصوير دور السامري متجاوزاً بغضة اليهود، وفي تصوير قسوة رجال الكهنوت وأيضاً اللاويين.

ولكن ق. لوقا يضعها هنا لا لتكون قصة أو مثلاً بل لتكون عبرة لرجال الكهنوت وخُدَّام الكنيسة، لأن القصة كلها تدور حول دور الكاهن واللاوي.

2 ـ مريم ومرثا والنصيب الصالح

(42-38:10) إنجيل ق. لوقا وحده

كانت القصة السالفة تقوم على عمل المحبة بناءً على الوصية الأُولى والعظمى. وارتأى ق. لوقا أن يضم إليها هذا الموضوع: هل الخدمة أفضل أم الجلوس تحت قدمي المسيح. وهو يُحتسب أنه موضوع متفرِّع من السابق، كواجب الاستماع إلى المسيح كمعلِّم لكلمة الله(206). وهذا يفيد أن ق. لوقا استطاع أن يدرك قصة السامري الصالح كعمل روحي، الأمر الذي علَّق عليه في الآية (41) القادمة المتصلة بهذا الموضوع، حينما امتدح المسيح مريم لأنها اختارت أن تجلس لتستمع

(206) Klostermann, cited by Marshall, *op. cit.*, p. 450.

إليه، ولم يوافق مرثا في طلبها منع مريم من الاستماع إليه لأن هذا هو النصيب الصالح، لأن الاستماع إلى كلمته له الأهمية الأولى. والسبب أن مرثا وهي تخدم لم تستطع أن تسمع ما يقوله المسيح، ولكن رأى المسيح أن الاستماع إليه له الأولوية وكان يمكن أن لا تُتعب مرثا نفسها بخدمة كبيرة تمنعها من الاستماع إليه ـ فإن طعاماً بسيطاً كان يكفي. وفي الحقيقة كانت سيكولوجية مرثا ذات هدف واضح وجيِّد، وهو أن تحتفي بالمسيح وتصنع له طعاماً فاخراً، ولكن لا يصح أن نأخذ هذا القول الذي للمسيح ونجعل منه مقارنة بين الخدمة والاستماع إلى الكلمة، لأن المسيح لم يَعْنِ هذا بكلامه، ولكن قول المسيح انحصر في النصيحة الآتية: إنه من الأفضل أن يتسع لنا الوقت لسماع كلمة الله من أن نستغرق الوقت في خدمة كثيرة تحرمنا من الله. أو باختصار شديد أن يتزن تصرفنا حتى يشمل هذا وذاك، سماع الكلمة وخدمة أقل، حتى لا تطغى على كلمة الله.

ولكن الكنيسة الأولى أخذت هذه القصة لتستدل على أن حياة التأمُّل أفضل من حياة الخدمة، وهكذا فتحوا الطريق إلى الحياة الرهبانية.

وفي رأيي أن حفظ الكلمة والتأمُّل فيها وحتى خدمتها لا يعني أن التأمُّل أفضل من العمل، لأن الراهب الذي لا يؤدّي عملاً يتعرَّض إلى نقصان واضح في التعمُّق في الإنجيل واختباره. إذن، العمل للإنسان ضرورة مطلقة ولكن ليس على حساب كلمة الله والإنجيل كدراسة وتأمُّل وحياة.

وواضح هنا أن المسيح أعطى المرأة حق الاستماع إلى التعليم وبالتالي التعليم، لأن مَنْ يخدم المرأة إلاَّ المرأة؟

ومن هذه القصة على الطريق الصاعد إلى أُورشليم نعرف أننا بالقرب من أُورشليم الآن، لأن بيت عنيا تبعد عن أُورشليم بخمس عشرة غلوة أي نحو ثلاثة أرباع الساعة من أورشليم.

38:10 **«وَفِيمَا هُمْ سَائِرُونَ دَخَلَ قَرْيَةً، فَقَبِلَتْهُ امْرَأَةٌ اسْمُهَا مَرْثَا فِي بَيْتِهَا».**

نحن لا زلنا على الطريق الصاعد إلى أُورشليم، ربما عن طريقٍ جانبي يمر على أريحا ثم أُورشليم، وهذه القرية نعرفها بأنها بيت عنيا (يو 1:11)، وهي القرية المحبوبة جداً من المسيح، لأنه طالما ذهب إلى هناك للراحة. ويبدو أن الضيافة في هذا البيت ممتازة، فعرَّج هو وتلاميذه على هذه القرية واستضافتهم الأخت مرثا، ويبدو أنها كانت صاحبة البيت الذي أقام فيه لعازر من الموت كما في إنجيل ق. يوحنا. والعالِم مارشال يقول إنها ربما كانت أرملة فاستقبلتهم في بيتها.

ويُلاحَظ أن المسيح ـ في رواية ق. لوقا ـ في نهاية ظهوراته بعد قيامته من بين الأموات، أخذ

تلاميذه إلى هذه القرية وودَّعهم وصعد من هناك أمامهم إلى السماء (لو 50:24).

39:10 **«وَكَانَتْ لِهذِهِ أُخْتٌ تُدْعَى مَرْيَمَ، الَّتِي جَلَسَتْ عِنْدَ قَدَمَيْ يَسُوعَ وَكَانَتْ تَسْمَعُ كَلاَمَهُ».**

وهنا يعرِّفنا ق. لوقا بأخت مرثا وهي مريم، وتُنطق ماريام Mari£m. والقديس يوحنا في إنجيله أفاض في ذكر صفاتها. وكان على مرثا أن تعدَّ الطعام، ويبدو أنها كانت تهتم جداً بإعداد أنواع كثيرة من الأطعمة، مزيداً في إكرام الضيف، خاصة وأنه المسيح. ولكن يبدو أن مريم أختها كانت تميل أن تتركها وحدها. وفي إنجيل ق. يوحنا الأصحاح (12: 3) تظهر مريم وهي تدهن الرب بالطيب. وهنا يقول ق. لوقا فقط أنها جلست تحت رجليه حسب طقس المعلِّمين الذي وصفه القديس بولس الرسول هكذا: «أنا رجل يهودي وُلِدتُ في طرسوس كيليكية، ولكن رَبَيْتُ في هذه المدينة **مؤدَّباً عند (تحت) رجلَيْ غمالائيل ...**»(أع 3:22). فعملت مريم كما يعمل التلاميذ المخلصون للتعليم، ويبدو أنها أظهرت غيرة كبيرة في التعليم بالسؤال والجواب وكان المسيح يشجِّعها على ذلك. وهنا يتضح لنا عملٌ من أعمال المسيح التقدمية جداً في ذلك الزمان لأنه كان ممنوعاً تعليم المرأة، وهنا يفتتح المسيح بمثاله تعليم المرأة وبالتالي الشموسية أي خدمة النساء في الكنيسة، وربما البيوت أيضاً. لأننا سمعنا كثيراً عن النساء اللاتي كُنَّ يتبعن يسوع وسرن معه حتى أُورشليم وبقين هناك وحضرن الصلب وبشَّرن بالقيامة، وكُنَّ أول مَنْ ظهر الرب لهُنَّ وكلَّمهُنَّ. لهذا نسمع في سفر الأعمال (1:6-4) تعيين الكنيسة رسمياً لمن يخدمهن. وفي رواية ق. لوقا يتضح أن الاتجاه بالنسبة لمرثا كان الخدمة والضيافة، وبالنسبة لمريم كان التلمذة والتعليم. والكنيسة في أشد الحاجة للاثنين، ويبدو أن المسيح صنع ذلك ليفتتح في العهد الجديد ضرورة التعليم والدراسة للمرأة وتدبير الخدمة معها. غير أن المسيح لم يكن يهتم أبداً بالضيافة أو حتى بالأكل، إذ رأينا أنه بعد انقضاء يومين في الوعظ والتعليم اكتشف التلاميذ أنه لا يوجد طعام مع الخمسة آلاف رجل ما عدا النساء والأطفال. إلى هذا الحد كان المسيح قادراً أن يُنْسِي الإنسان جوعه، وهذا الاتجاه وضح الآن في بيت مرثا. وهكذا نفهم أن عند يسوع المسيح صحنين: صحناً للكلمة والخدمة وصحناً للطعام، يمكنك أخذ الاثنين، ولكن إن أخذت الأول غير مهتم بالثاني فهو مزمع أن يعمل لك المعجزة بعد أن تكونقد خدمت، ولكن يبدو أن أنطونيوس أخذ الأول واتكل على الله.

+ «كُنتُ فتىً وقد شختُ ولم أرَ صدِّيقاً تُخلِّيَ عنه ولا ذُريَّة لهُ تلتمسُ خبزاً.» (مز 25:37)

أنطونيوس حفظ عن ظهر قلب: «ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة من الله.»(لو 4:4)

وعلى كل حال يوجد نوعان من الخبز: الخبز الساخن الخارج من الفرن والخبز الحي النازل من السماء، هذا يقيت إلى يوم وذاك يقيت إلى الأبد.

40:10 **«وَأَمَّا مَرْثَا فَكَانَتْ مُرْتَبِكَةً فِي خِدْمَةٍ كَثِيرَةٍ. فَوَقَفَتْ وَقَالَتْ: يَارَبُّ، أَمَا تُبَالِي بِأَنَّ أُخْتِي قَدْ تَرَكَتْنِي أَخْدُمُ وَحْدِي؟ فَقُلْ لَهَا أَنْ تُعِينَنِي!».**

مريم: «مادام الملك في مجلسه أفاح ناردينى رائحته.» (نش 12:1)

الكلام هنا واضح لا يحتاج إلى شرح ولكن المعنى عميق للغاية. مريم ومرثا هما اتجاهان في الحياة: الاتجاه المرثاوي هو الاهتمام بالأمور الكثيرة التي بالنهاية حتماً تكشف عن التعب والهم والحاجة. والاتجاه الثاني المريمي لا يهتم ولا يعتاز إلاَّ إلى المحبوب، يجلس تحت قدميه سامعاً متعلّماً متحكماً بكل علم الروح وانفتاح القلب والعين لمعرفة ورؤية ما لا يُرى، وبالأذن المفتوحة يسمع الصوت الخفيف جداً من وراء ضجَّة الدنيا وصخب الحياة. فالاتجاهان هما فيَّ وهما فيك ولك أن تقدّم الواحد وتؤخّر الآخر ليكون لكل واحد منهما زمانه ومكانه. ولكن يا لبؤس الذي لم يعرف زمان الحب فهو يمضّي الحياة كلها مرتبكاً بهموم كثيرة ولن يمدحه أحد! «أما تبالي» !!

41:10 **«فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: مَرْثَا مَرْثَا، أَنْتِ تَهْتَمِّينَ وَتَضْطَرِبِينَ لأَجْلِ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ».**

تكرار النداء بنفس الاسم يحمل عند المسيح إمَّا الشفقة والعاطفة أو التوجيه والتوبيخ. الشفقة هنا على مرثا، والتوجيه والتوبيخ مثل: «سمعان سمعان هوذا الشيطان طلبكم ... »(لو 31:22)

على كلٍّ، التكرار توجيه للانتباه أو كنداء الصدق: آمين آمين أي الحق الحق أقول لكم.

هنا المسيح يدعو مرثا أن تنتبه إلى حالتها التي بلغت إلى الاضطراب الداخلي بسبب الاهتمام الزائد في الخدمة: مثلاً كانت تعجن وتخبز وتطبخ بآن واحد. مع أن رغيفاً بايتاً يكفي. وهنا نلتقط مبدأ هاماً أن الاهتمام الزائد يوصّل إلى حالة اضطراب، والاضطراب يوقف الفكر لأداء سليم فيحدث النكد. وهكذا العمل الزائد والمتعدّد الأنواع والأهداف يبلبل النفس فلا تستطيع أن تقرِّر ما هو نافع بهدوء. لذلك في الحياة الروحية، الطموح في بلوغ أهداف متعددة يشتّت القلب والفكر. أمَّا الذي يحدّد هدفه ويحدّد عمله فإنه يتقن عمله بهدوء ويبلغ إلى نتائج جيدة، ويستطيع أن يوفّر الوقت والفكر للروحيات.

42:10 **«وَلَكِنَّ الْحَاجَةَ إِلَى وَاحِدٍ. فَاخْتَارَتْ مَرْيَمُ النَّصِيبَ الصَّالِحَ الَّذِي لَنْ يُنْزَعَ مِنْهَا».**

هنا ارتبك الشُّرَّاح بسبب قراءات قديمة في المخطوطات لم تعيِّن هذه الحاجة بوضوح. فقالوا ما

قالوا واتفقوا على حل تافه وهو أن الحاجة إلى صحن (طبيخ) واحد ومريم اختارت الصحن الأفضل!! إلى هذا الحد بلغ التفكير، مع أن اختيار مريم لتتعلَّم تحت رجلي المسيح يوحي في الحال بالحاجة التي تحتاجها مرثا، لأن الأمور المادية إذا امتصَّت اهتمام الإنسان لن تتركه يختار بعد ذلك، بل تجبره إجباراً على التفكير والهموم والاضطراب. فواضح أن المسيح يريد أن يوجِّه فكر مرثا نحو الروحيات أهم، أو نحوه هو أعظم من كل اهتمام. فالحاجة بالفعل إلى المسيح الذي هو أمامها الذي تركته وذهبت تعد أنواع الطعام مع أن لقمة حاف ستتحوَّل في يديه إلى حَمَل.

حاجتنا إلى المسيح يتحتَّم أن تفوق أي احتياج آخر، لأن المسيح إذا نلناه في القلب يكون هو كل حاجتنا وزيادة: «نصيبي هو الرب قالت نفسي» (مرا 3:24)، «مَنْ لي في السماء ومعك لا أريد شيئاً في الأرض.» (مز 73:25)

المنطق بالعقل الروحي يقول لك إن كان هناك **"واحد"** قادر أن يعطيك كل شيء وأنت في حاجة شديدة إلى كل شيء فاقتنِ هذا الواحد. إن المسيح هو سر الكفاف وسر الفائض الزايد أيضاً، فإن أردت الكفاف فاض قلبك فرحاً وسروراً، وإن أردت الزيادة والفائض هو سيعطيك إن استطعت أن تعطيه قلبك بكل طموحاته.

كان هناك واعظ في لندن اسمه سبرجن كان أب اعتراف الملكة فكتوريا صاحبة العصر الذهبي لخدمة الإنجيل من مالها الخاص. كان يصلّي لله ويقول: أعطني لندن وإلاَّ أموت. كان طموحاً إلى درجة غير معقولة وكان يتوب على يديه في الوعظة الواحدة ثلاثة آلاف نفس كوعظة بطرس الأولى. كان يذهب للملكة كل يوم سبت ليأخذ المال اللازم لإقامة خيمة الوعظ فسألته أين سيعظ هذا الأحد؟ قال لها: في ميدان بيكادللي. قالت له ستقفل مداخل ومخارج سبعة شوارع. قال لها: نعم أنا محتاج إلى كل الذين في السبعة شوارع.

سيكون منظر اليهود العائدين إلى المسيح عندما يُستعلن لهم، مثل هذا المنظر الذي يصوِّره إشعياء النبي هكذا:

+ «مَنْ سمع مثل هذا مَنْ رأى مثل هذه ـ هل تمخض بلاد في يوم واحد أو تولد أُمة دفعة واحدة. فقد مخضت صهيون بل ولدت بنيها ... افرحوا مع أُورشليم وابتهجوا معها يا جميع محبيها. افرحوا معها فرحاً يا جميع النائحين عليها لكي ترضعوا وتشبعوا من ثدي تعزياتها. لكي تعصروا وتتلذَّذوا من درَّة مجدها.» (إش 66: 8-11)

نعم الحاجة إلى ذلك الواحد الذي به ستولد أُمة في يوم واحد.

الأصحاح الحادي عشر:

3 ـ الصلاة الربانية

(4ـ1:11) (مت 6:9ـ13)

Oratio Dominica: *Pater Noster*
The Lord's Prayer: *Our Father*

قدَّمها المسيح لتلاميذه لمَّا سألوه أن يعلّمهم كيف يُصلُّون. وفي ظاهرها واضح أنها تحدّد علاقة الإنسان بالله في الصلاة، وقد جعلها المسيح أساساً في التعليم والفرصة الكبيرة المتكرِّرة للحديث مع الآب. وبعدها يذكر ق. لوقا في قصة صديق نصف الليل استعداد الله لسماع الصلاة، وأن اللجاجة في الصلاة مطلوبة حيث يُظهر الإنسان بها أنه جاد في صلاته وطلبته: «مَنْ يطلب يجد» (لو 10:11). والمسيح يكشف لنا استعداد الله الآب للإجابة أكثر من استعداد الأب البشري: «فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة فكم بالحري الآب الذي من السماء.» (لو 13:11)

و «أبانا الذي» في إنجيل ق. لوقا واضح فيها أنها مأخوذة من أصل أرامي تمَّت ترجمته إلى اليونانية، والبرهان واضح لأن في كتابة «أبانا الذي» باليونانية يظهر أنها على أصل كان شعرياً في الوزن، لأن المسيح نفسه نطقها بالروح[207] على أصول وزن الشعر الأرامي المسلّم في التقليد. وكل الأبحاث قرَّرت أن الصلاة مسلّمة من فم المسيح بالفعل. وهي قائمة بالفعل على أصول تعاليم المسيح. والنطق المحوري في «أبانا الذي» هو «ليأتِ ملكوتك» وهو يعبّر عن التعطُّش الشديد الذي أحسَّ به التلاميذ من نحو ملكوت الله والحاجة إلى طعامه اليومي والاستسلام لمشيئة الله التي تدبّرنا على الأرض كما يدبر ملائكته في السماء، وطلب المصالحة الدائمة مع مشيئة الله بمغفرة الخطايا على أساس من العلاقة التي تربطنا بإخوتنا على الأساس نفسه، أي بمغفرة ذنوبنا بعضنا لبعض، وطلب الحماية من الله إزاء عدونا بالنجاة الدائمة من كل حيل الشرير. وتنتهي الصلاة بحسب الكنيسة الأولى بتمجيد الله. وقد وُجدت ـ كما نقولها الآن ـ في الديداخي (8:2)، كما وُجدت

(207) K.G. Kuhn & Wrege, cited by Marshall, 455.

بصورتها المطوّلة الأولى في قداسات الكنيسة الأولى.

وكما هو واضح من الصلاة أنها تبدأ بمقدّمة وبعدها سبع طلبات، الثلاث الأولى للسؤال من أجل تمجيد الله والأربع الأخرى توسُّل من أجل احتياجاتنا.

ومن فجر المسيحية من العصور الأولى وهي تُعلَّم تلقيناً لكل من يدخل للعماد، فهي أول تعليم يتلقاه المعمَّد، على أنها موجودة في صلب الليتورجية وهي مذكورة كثيراً في الإفخارستيا. ويشهد بذلك القديس كيرلس الأورشليمي (350م). وبحسب ق. أغسطينوس وق. أمبروسيوس تُقال في ليتورجيتهم بعد القسمة (كسر الخبز)، وقبل إعطاء القبلة مباشرة، ويأتي بعدها التناول أي الشركة. ولكن ق. غريغوريوس الكبير (604م) الذي كان يتبع الطقس الروماني وضعها قبل القسمة وكان من صميم اعتقاده أن الرسل استخدموا صلاة «أبانا الذي» كإفخارستيا بحد ذاتها أي لتقديس الإفخارستيا. وفي الكنيسة الكاثوليكية بدأ وضعها أيضاً بعد التناول سنة 1552م. وبعد ذلك دخلت في كل ساعة من الصلوات وبداية ونهاية للصلوات العامة واجتماعات الكنيسة. وكان يدعوها القديس أغسطينوس منبع كل صلاة.

أمَّا في الإنجيل:
فتبدأ صلاة ”أبانا الذي في السموات“، قبل أن تبدأ بطلب التلاميذ، حسب إنجيل ق. لوقا.

1:11 «**وَإِذْ كَانَ يُصَلِّي فِي مَوْضِعٍ، لَمَّا فَرَغَ، قَالَ وَاحِدٌ مِنْ تَلاَمِيذِهِ: يَارَبُّ، عَلِّمْنَا أَنْ نُصَلِّيَ كَمَا عَلَّمَ يُوحَنَّا أَيْضاً تَلاَمِيذَهُ**».

إذن، فالصلاة الربانية ليست نموذجاً للصلاة القويمة وحسب؛ بل هي بالأكثر صلاة امتياز تعرِّف بمَنْ يُصلّيها إنه من خاصة المسيح! هكذا استلمتها الكنيسة منذ البدء كمنحة من المسيح تَسْتَعلن بها شخصيتها ووجودها في العالم، باعتبار أنها للرب هي، وللرب تحيا وتعيش، في شركة مع المسيح، محدَّدة الهويَّة كجماعة ورثت الخلاص.

2:11 «**فَقَالَ لَهُمْ: مَتَى صَلَّيْتُمْ فَقُولُوا: أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ، لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ، لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ، لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الأَرْضِ**».

«”أبانا“ = (يا أبَّا) الذي في السموات»:

من مطلع الصلاة، تنكشف العلاقة الحميمة والخاصة جداً التي تربط الإنسان المسيحي بالله،

فنداء ''أَبّا'' هو بالأرامية، وهي لغة المسيح، وتنحصر هنا في نداء الطفل ـ أول ما يتعلّم الكلام ـ مُنادياً أباه[208] ''يا أَبّا''. ولكن في لغة المسيح نجد أن مناداة الله الشخصية جداً تأتي بنفس هذا النداء ''أَبّا''!! وبنفس هذا المعنى، تأتي أيضاً مُعبِّرة عن عمق ثقة المسيح في الله ومدى سلطانه. فبهذا النداء عينه نُنادي نحن الله الآب: كـ «أحد الصغار المؤمنين »(مر 9:42)، أو بالحري كأحد أفراد بيت الله وإخوة المسيح، نشاركه في ثقته بالله أبيه وأبينا، وفي سلطان بنوَّته أيضاً! هذا المعنى عينه التقطه بولس الرسول الموهوب وعبَّر عنه هكذا: «إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف، بل أخذتم ''روح التبنّي'' الذي به نصرخ يا أبَّا الآب. الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله...» (رو 8:15و16)، وبولس الرسول يقصد تماماً أنه إن استطعنا أن ننادي الله يا **''أَبّا''**، فهذا معناه أننا نلنا روح التبنّي، وبالتالي صار الله أباً لنا، وصرنا نحن مع المسيح ورثته: «ثُمَّ بما أنكم أبناءٌ أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبَا الآب!» (غل 4:6)

لهذا، وبسبب بقية مضمون الدالة التي تملأ الصلاة الربانية كلها، انتبه كل الآباء القدامى ليضعوا في مقدّمة هذه الصلاة بنوع من الاعتذار هذا القول: ''امنحنا أن نجترئ أيها الآب أن ندعوك: «أبانا الذي...» [209].

وفي القداس الروماني تبدأ الصلاة الربانية: ''نحن نجترئ ونقول: «يا أبانا الذي...» ، أما في الطقس القبطي الأرثوذكسي الحالي فنقول: ''اجعلنا مستحقين أن نقول...''، غير أن الاستحقاق هنا ربما لا يسنده إلاَّ كوننا أطفال الله[210] .

«ليتقدَّس اسمك»:

أول تقديس لاسم الله سمعه الإنسان، كان ما سمعه إشعياء النبي حينما **استُعلن له الله في هيكله!!** (إش 6:1-4)، وهكذا **كل استعلان لله يُرافقه تقديس اسم الله حتماً**، ولأن إشعياء رأى رؤيا العين الله جالساً **في هيكله**، سمع في الحال هتاف السيرافيم، هذا ينادي ذاك لتدوِّي السماء كلها والأرض: «قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملءُ كل الأرض، فاهتزَّت أساسات العَتَب

(208) جاء في التلمود أنه حينما يُفطم الطفل من رضاعة اللبن ويناولونه خبز القمح، يعلّمونه كيف ينادي أباه: ''يا أَبّا'' Abbä وأُمه: ''يا أمَّا'' Immä. وهنا نلتقط نحن المعنى البديع، أن الإنسان البالغ الذي مارس أكل خبز الشقاء والخطية، حينما يتوب ويعتمد يولَد طفلاً جديداً لله في المعمودية، فيبتدئون يُرضعونه اللبن العقلي عديم الغش، ويبدأ في ممارسة دالة الطفولة مع الله ليناديه: ''يا أبّا''!

(209) ذهبي الفم في إفخارستيته.

(210) وفي القداس القبطي يقول الكاهن في صلاة القسمة: ''لكي بقلب طاهر... **نجرأ** بدالة بغير خوف أن نقول...''.

من صوت الصارخ، وامتلأ البيت دخاناً»

ونداء صلاة "أبانا الذي"، بتقديس اسم الله كأول طلب في هذه الصلاة، هو بمثابة **استدعاء سرِّي لاستعلان مجد الله!** هو هتاف قلبي اسخاتولوجي لطلب مجيء الرب بإلحاح لتحقيق صراخ السيرافيم في رؤية إشعياء لكي يصير **«مجده (مجد الرب) ملءُ كل الأرض!!»** (إش 6:3)، **«فيُعلن مجد الربِّ ويراه كل بشر!!»** (إش 5:40)

إن تقديس اسم الله في "أبانا الذي" هكذا كل يوم وكل ساعة وبلا ملل، هو محاولة عنيفة من جهتنا أن نغطِّي وجه زمان غربتنا، وشقاء وتعب يومنا وعمرنا، برؤية إيمانية حارة متلهِّفة لاستعلان مجيء المسيح في ملء مجده ليتحقَّق «مجد الرب ملء كل الأرض» لقد أخذنا في ندائنا بتقديس اسم الله هكذا متواتراً عمل السيرافيم، ولن نكف حتى نرى ما رأوا!

«ليأتِ ملكوتك»:

هكذا يتحقَّق للقارئ مدى صدق معنى «ليتقدَّس اسمك» كما أسلفنا. فالتقديس المتواتر لاسم الله هو دفعٌ سرِّيٌّ متعمِّق ومُلتهب لاستعلان الله على الأرض، الذي هو بعينه "ليأتِ ملكوتك"!! **ليُستعلن الله ملكاً على مَنْ مَلَكَ الله قلوبهم!**

ولكن أعجب ما في أمر طلبنا لتقديس اسم الله وطلبنا ليأتي ملكوته، أن المسيح نفسه هو الذي يحثُّنا على طلب هذا وطلب ذاك!! إن المعنى المستتر خطير للغاية بالنسبة لدورنا الرئيسي في عمل الله على الأرض!!

لأنه إن قال إنه سيأتي في ملكوته، فملكوته آتٍ آتٍ حتماً، ولكن أن يحثّنا نحن أن نطلب مجيئه فهذا ضرورة مطلقة، لأنه لِمَنْ يأتي وعلى مَنْ يملك؟ لهذا فنداؤنا لله لمجيء ملكوته هو عن قصد متعمَّد من الله والمسيح، أن نكون شركاء في مجيئه هذا وشركاء في ملكوته أيضاً حين يأتي، نكون كعاملين منظورين لعمل غير منظور، كنقط فعَّالة ومُضيئة على الأرض تُعدُّ موضع ارتكاز لقدميه عندما يحطُّ على أرض شقائنا، هذا لو صحَّ المعنى!! وهذا مرادف لقوله: «ولكن متى جاء ابن الإنسان ألعلّه يجد الإيمان على الأرض.» (لو 8:18)

ثم لو تحققنا أن "مجيء الملكوت" رهن بعمل الروح القدس حينما يبلغ ذروته في العمل والشهادة وتكميل البشارة بالإنجيل، كوعد الله، حينما تبلغ البشارة إلى كل الأمم ووفاقاً لما أعلنه الرب سرًّا لذوي القلوب الواعية حينما قال: «ولكن إن كنت أنا **بروح الله** أُخرج الشياطين، فقد **أقبَلَ**

عليكم ملكوت الله» (مت 28:12)؛ إذن، فالروح القدس يكون فينا عاملاً لإقباله علينا، والمسيح استودعنا الروح القدس، والله أيضاً على استعداد دائماً لإعطائه: «فكم بالحري الآب الذي من السماء يعطي الروح القدس للذين يسألونه» (لو 13:11). إذن، ونحن الآن حاصلون على الروح القدس، والآب عند وعده أنه باستعداد لإعطاء المزيد لِمَنْ يسأل، فقد أصبح إقبال الملكوت علينا تحصيل حاصل، نطلبه لا لكي يأتي من خارج، بل نطلبه لكي يُستعلن فينا **وبنا**. فنحن مسئولون ـ بسبب عطية الروح القدس فينا ـ عن مجيء ملكوت الله واستعلانه! فإن كنّا نطلب مجيئه، فلا نحن غرباء عن مجيئه ولا هو غريب عن صميم كياننا.

ولكن ليس عن كمال استعداد حاصل فينا الآن نطلب إتيان ملكوته؛ بل نحن نستحثُّه لسرعة المجيء بسبب ثقل الواقع الزمني وعمق طغيان الشر المحيط، إنها محاولة مستميتة من جهتنا لاختزال الزمن وتقصير الأيام: «ولو لم يُقصِّر الرب تلك الأيام، لم يَخلُصْ جسدٌ» (مر 20:13). لذلك فشدَّة التوسُّل ليأتي ملكوته، يدخل مباشرة في معنى طلب الرحمة والعون في حينه، وفاقاً لما يطلبه الله نفسه وينويه من نحونا. وكأنَّ الله سلَّمنا نسخة من مشورته فيما هو مزمع أن يعمله، وأوحى إلينا أن نذكِّره بها كل يوم بنداً بنداً، لا لكي يتذكَّرها، بل لكي يَذْكُرَنا في عمق ضيقنا ويوفِّي ما وعد!! ولكي ونحن محاطون هكذا بضيق الأيام وظلمة هذا الزمان، نذكر أن ملكوته آتٍ ونوره حتماً سيشملنا! ونحن معهعلى ميعاد!

«لتكن مشيئتُك كما في السماء كذلك على الأرض»:

إنه أمر مُلفت للنظر جداً أن يلقّنا المسيح هذه الطلبة بالذات، التي أصبحت تمثِّل أخطر نقطة حرجة في حياة المسيح وفي علاقة الابن بالآب. فهي خلاصة مأساة جثسيماني التي بلغت ذروة التوتُّر لتنتهي براحة وسلام وطمأنينة تفوق الوصف، عندما نطقها المسيح وانتهى من حياته ليشرب كأس مرارة خطايا الإنسان حتى الموت: «وابتدأ يحزن ويكتئب. فقال لهم: نفسي حزينة جداً حتى الموت... وكان يُصلِّي قائلاً: يا أبتاه، إن أمكن فلتَعْبُرْ عني هذه الكأس، ولكن ليس كما أُريد أنا بل كما تريد أنت... يا أبتاه، إن لم يمكن أن تعبُر عني هذه الكأس إلاَّ أن أشربها، **فلتكن مشيئتُك!**» (مت 37:26-42) = «وضع عليه إثم جميعنا. »(إش 6:53)

هذا هو نموذج المشيئة العُظمى لله التي تمت على الأرض فكانت كما هي في السماء: أن يموت الابن ويخلُص العالم! وأن تكون مشيئة الله هي: أن يتألم الابن بكل آلام وتعذيب الصليب حتى الموت، وبالتالي يصبح علينا أن نستيقظ من نوم غفلتنا فلا نظن ولا نطلب مشيئة الله على غير هذا الأساس. فهذه هي مشيئة الله في السماء التي صارت كذلك على الأرض، فأنشأت الخلاص

والغفران والمصالحة والحياة والمسرَّة وكل صلاح وفرح الروح، وسعادة وسلاماً وكل ما هو مُسِرٌّ وصالح وفاضل. ولكن لا ننسى أن ذلك كله صار من خلال آلام وعذاب المسيح وموت الصليب. بمعنى أن ضريبة كل خير وصلاح ونجاح ومسرَّة تقابلنا في الحياة بتدخُّل مشيئة الله والاتكال عليها ومناداتها، قد دفعها المسيح من دمه ورصيد آلامه وعذابه على الصليب!

لذلك يتوجَّب علينا بكل واجب أن نكون على وعي، إن نحن طلبنا تدخُّل مشيئة الله والإلحاح في عملها، بأن نستمد هذه المشيئة من مشيئة تسليم المسيح لحياته على الصليب وشُرْبه كأس مرارة الخطية حتى الموت.

إذن، فأصبح من حقنا كل الحق أن نطلب مشيئة الله السماوية الكاملة والمرضية من نحونا كل لحظة وفي كل عمل وكل فكر، ولكن ليس خُلْواً من صورة الصليب على خلفية من الدم، فكل مشيئة صالحة للرب عليها ختم **"مدفوع الضريبة".**

أما كل ضيقة وكل ألم وكل مرض نعانيه في هذا الزمن وهذا الجسد، فلا يمكن من جهتنا ـ نحن الذين فُزْنا بالخلاص الأبدي وميراث الحياة ـ أن يخرج عن مشيئة الله عينها «الصالحة المرضية الكاملة» (رو 2:12)، إذ تُحسب لنا بشيء من الامتياز أنها شركة في ضريبة الصليب وآلام المسيح. لأنه، وبالنهاية، «إن تألمنا معه فسوف نتمجَّد معه» (رو 17:8)، كشركاء في مشيئته: «فلتكُن مشيئتك»

هكذا عاشت الكنيسة بهذه الروح: «فإذاً، الذين **يتألَّمون بحسب مشيئة الله**، فليستودعوا أنفسهم كما لخالقٍ آمين، في عمل الخير.» (1بط 19:4)

3:11 **«خُبْزَنا الذي للغد أعْطِنا اليَوْم».**

هذا الخبز هو الذي يرى الله أنه يقيم الحياة، وليس كما نراه نحن، لأن الحياة عند الله أعظم مما نراه ونحسُّه ونعيشه. لذلك أراد المسيح أن يشير إليه خفياً لذوي القلوب التي تحس وتُدرك معنى الحياة، فوصفه بأنه "خبز الغد"!! tõn ™pioÚsion. وهي تأتي باليونانية لتفيد لا "الغد" حسب الظاهر؛ بل لتفيد ما هو ضروري جداً للحياة أو الوجود (what is necessary = essential = for existence)، ولكن هذا الوجود أو هذه الحياة في هذه الكلمة لا تفيد أنها الحياة أو الوجود الحاضر الزمني!! بل ينصبُّ المعنى المسيحي في هذا الموضع بالذات على أنه "الوجود الآتي"(211) أو "الثاني" أو "الغد"!!

(211) هكذا جاءت في الترجمة القبطية الصعيدية: "خبزنا الآتي"، وأمَّا في القبطية البحيرية فقد جاءت: "خبزنا الذي للغد".

هذا الشرح المأخوذ به الآن لُغوياً ومعنوياً، قدَّمه العالِم يواقيم إرميا(212)، عن بحث مستفيض رجع فيه إلى مخطوطة بردية ضاعت ولم يبقَ منها إلاَّ شذرات، وفيها وجد أن "الإبيؤوسيون" هي الكلمة اليونانية المترجمة عن الكلمة الأرامية ma har وتعني بالتحديد "الغد"!! هذا يؤكِّده القديس جيروم ويعلّق عليه(213) . وكلمة **"الغد"**، تأتي هنا بالترجيح المنطقي حينما تقول الآية: «أعطنا **"اليوم"**» **فـ "الغد" "لليوم"** شديد الترجيح!! "اليوم" هنا هو التعبير عن الحاضر الزمني، و "الغد" هو ما بعد الحاضر الزمني، حيث خبز الغد يكون هو خبز الخلاص للحياة الأبدية!

إذن، فالجوهري، والأساسي، والهام، بالنسبة للخبز، ثم "الغد" الذي هو **"غد" الله** الآتي يشير بإشارة المسيح الخفية إلى "خبز الله"، "خبز الحياة" الأبدية، خبز الحق: «**أنا هو خبز الحياة...** هذا هو الخبز النازل من السماء لكي يأكل منه الإنسان **ولا يموت**» ! «أنا هو الخبز **الحي** الذي **نزل من السماء**، إن أكل أحد من هذا الخبز **يحيا إلى الأبد**، والخبز الذي أنا أُعطي هو **جسدي الذي أبذله** من أجل حياة العالم.» (يو 6:48-51)

إذن، فقد وضح المعنى أشد وضوح، فحاجتنا **"اليوم"** وكل يوم ليست إلى خبز حنطة يُخبز في التنور نأكله ونموت، ولكن الحاجة يا إخوة أشد الحاجة في شقاء يومنا وموتنا الذي نموته كل يوم هي إلى خبز حي نأكله ولا نموت!! نأكله في شقائنا هذا لنحيا حياة لا يقربها شقاء ولا موت!! خبزاً نأكله فتنفتح أعيننا على الحياة وتلتهب قلوبنا فينا بحضرة المسيح ونقوم نبشِّر بالقيامة والخلاص: «فلما اتكأ معهما (تلميذي عمواس) أخذ خبزاً وبارك وكسر وناولهما، فانفتحت أعينهما وعرفاه ثم اختفى... **فقاما** في تلك الساعة ورجعا إلى أورشليم... وهم يقولون إن الرب قام بالحقيقة...» (لو 24:30-34)

ولكن أليس هذا عجباً أنه حتى خبز الحياة الأبدية، يعطينا المسيح الحق أن **نطلبه** ليقتحم يومنا وموتنا، ليحوِّل يومنا الزمني إلى يوم من أيام ابن الإنسان كيوم عمواس!! ما هذا؟ إن صلاة «أبانا الذي في السموات» قد سلَّمنا إياها المسيح كمفتاح سرِّي: نغيِّر بها واقعنا كله! حتى «خبز اليوم» إذ نأكله بحضرة المسيح نعيِّد للقيامة ونحيا الخلاص والملكوت!! وهكذا فوصية «خبز الغد» تعود بدورها وتصير هي هي «ليأتِ ملكوتك» بل وتعييداً مستمراً لمجيئه!! وهكذا كلُّ مَنْ يصلّي «أبانا الذي...» ويدخل بروحه وقلبه وفكره إلى «خبز الغد» عليه أن يُحلّق ويطير بالروح ويعبر يومه

(212) Joach. Jerem., *The Prayers of Jesus,* p. 199 f.
(213) Jerome, *Comm. on Matth.* 6:11.

وزمانه ليحطَّ على الخلود، ليذوق طعام الحق وترياق عدم الموت، ويعود ليبشِّر بالحياة وبسرِّ الخبز النازل من السماء!

4:11 **«وَاغْفِرْ لَنَا خَطَايَانَا لأَنَّنَا نَحْنُ أَيْضاً نَغْفِرُ لِكُلِّ مَنْ يُذْنِبُ إِلَيْنَا، وَلاَ تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ لكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّير».**

«واغفر لنا خطايانا لأننا نحن أيضاً نغفر لكل مَنْ يُذنب إلينا»:

هنا الجرأة على مخاطبة الله بخطاب يُصاغ فيه الفعل على مستوى **الأمر**، هذا أمرٌ جللٌ! لم يُسمع به من قبل، لأنه فعل أمر ليس حتى على المستوى التوسُّلي، بل بلغ فيه الاجتراء أن يكون الأمر على مستوى الحق والاستحقاق!!! فمَنْ يصدِّق ومَنْ يحتمل أن يسمع؟

فالمسيح هنا أعطانا حقاً واستحقاقاً مُذهلاً أن نقتحم مجال غفران الله، لنطلب منه الغفران بمقتضى تقديم وثيقة الاستحقاق!! بمعنى: "لأننا نغفر، فاغفر"!! لأننا نحن نغفر للمذنبين إلينا، فاغفر لنا ذنوبنا!!!

هنا نرى أن الوضع انقلب بالنسبة لطلب: **«خبز الغد»** ليأتي **«اليوم»**، حيث الخلود يقتحم الزمن، أما هنا فالزمن هو الذي يقتحم الخلود!! مَنْ يصدِّق؟؟ فالفعل الذي نأتيه زمنياً بأن نكون قد غفرنا للمذنبين إلينا على واقع الساعة واليوم، نأخذها وثيقة موثّقة ونطير بها بجُرأة كمَنْ عمل عملاً سماوياً، نخترق به حاجز الخلود لنتراءى أمام الله ونطلب بالمقابل فعلاً أبدياً، إذ نطلب غفران خطايانا من لَدُنْ الله!! الذي في معناه هو هو قوام الحياة الأبدية! فما هذا الأمر؟ أنشتري بالفعل الزمني فعلاً خالداً أبدياً؟ نعم. ثم ما سرُّ هذه المقايضة العجيبة البديعة المُغرية جداً؟

اسمع يا صديقي وَعِ! فالذي استطاع أن يغفر الخطايا ـ كل الخطايا ـ للآخرين كل الآخرين، الخطايا التي تخص ذاته وكرامته واسمه وشهرته ووظيفته وحَسَبه ونَسَبه وماله وعياله وممتلكاته وحياته، هو في حقيقته إنسان تحدَّى العالم وصُلب له! هو حقاً وبالحقيقة إنسان «ليس من هذا العالم» فإن كان قد صار ليس من هذا العالم، فقد بلغ قامة الصليب والمصلوب: «(هؤلاء) ليسوا من العالم، كما أني أنا لست من العالم» (يو 14:17). إذن، فكيف يحسب الله عليه خطية؟

واضح أن مَنْ استطاع أن يغفر للناس، كل الناس، خطاياهم من نحوه، فقد تعانق فعلاً مع صليب الموت والمصلوب الميت!! «ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم، قدِّسهم في حقّك» (يو 16:17و17)، لقد تعانق مع المصلوب وصار شريكاً له في قوله: «يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون» (لو 34:23)، فكيف تُحسب عليه خطية؟

فانظر يا صديقي وانتبه، إن هذه الطلبة أو هذا الفعل العجيب، أي طلب مغفرة خطاياك، هو العمل الوحيد الذي يأتيه الإنسان من ذاته وينال به شركة سهلة في استحقاقات المصلوب، دون أي جهد أو اجتهاد، دون أن يعتمد على علو علم أو عمق معرفة، أو صوم أو صلاة، أو سهر أو مشقّة، ولا يستغرق أزمنة ولا أياماً، كما لا يحتاج إلى معلّم أو مرشد أو حكيم. هو عمل تأتيه في لحظة من لحظات يقظة النفس، وأنت رافع رأسك وقلبك وروحك ويديك نحو السماء، مُمسكاً بالإنجيل وقابضاً بالروح على زمام الروح، وهاتفاً باسم الله الحي أن تغفر كل الخطايا لكل الناس!

«ولا تُدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير»:

بعد أن لقَّن المسيح أولاده كيف يطيرون ويحلّقون في الأعالي، يقدّسون الاسم مع السيرافيم، ويطلبون ملكوت الله آتياً عَبْر قلوبهم وأرواحهم، ويرفعون قدر المشيئة الإلهية لتبقى دائماً على مستوى السماء، لها السيادة حتى تبقى الأرض على مستوى السماء بقدر ما يشاء الله، ثم لقَّنهم كيف يطلبون خبز الخلود ليقتحم عالمنا ويومنا، ويعطينا مذاقة الحياة الأبدية، فنتغيَّر كل يوم من الموت إلى الحياة!! ثم وبعد أن سلّمهم أيضاً وثيقة يطالبون بها غفران خطاياهم عن استحقاق وجدارة! فإذا به يصدمهم صدمة توقظهم من مستوى الرؤى ومطالب الخلود، لتحدرهم مرة واحدة إلى واقعهم الخطر ليدركوا أنهم غرباء في أرض الأعداء، والشر محيط بهم يهددهم ويتحدّاهم! فالمشتكي يجول يلتمس فيهم مدخلاً ومأكلاً، يطالب بحقه فيهم ليُغربلهم كالحنطة ليُسقِط الضعيف والمتواني منهم، وهم كأطفال لا حَوْلَ لهم أمام مجرِّب خطر متمرِّس في صناعة الغش والغدر والخداع. وهكذا بدأ المسيح يلقّنهم هنا **"صرخة الاستغاثة"**، يفزعون بها إلى الله لحظة الخطر عند مجيء ساعة التجربة العتيدة أن تأتي على العالم لتبتلي كل ذي جسد. وهذه الصرخة تحمل سر النجاة، إن أحسن الإنسان لحظة نُطْقها، فهي صرخة فعَّالة **قبل** أن تقع التجربة!!

«لا تُدْخِلنا» فنحن ندرأ التجربة بصراخنا للقادر أن ينجِّي. ولكن إن توانينا، باغتنا العدو وأصاب منّا مقتلاً: «فاخضعوا لله، قاوموا إبليس فيهرب منكم، اقتربوا إلى الله فيقترب إليكم» (يع 4:7و8). فنحن نقترب إلى الله حقاً وفعلاً بصراخنا إليه أمام التجربة، فإن اقتربنا إلى الله بصراخنا، ابتعد العدو مدحوراً وولّى هارباً، هذه الكلمات صادقة ومملوءة حقاً!!!

والتجربة حتماً آتية على العالم لا محالة، سواء في صورتها المتجزئة التي تصدمنا كل يوم في كل ما يخصنا، أو في صورتها الخطرة التي تهدف إلى انتزاع الإيمان من قلوبنا بضربتها المفاجئة المرعبة، فنبيع المسيح في لحظة!! وهذه هي عينها **نوع التجربة** التي يشير إليها المسيح. من أجل هذا وَضَعَ

المسيح مُسبقاً في أفواهنا نداء الاستغاثة عن حكمة.

ولكي يتيقّن القارئ من دقة المعنى الذي سُقناه إليه في هذه الآية ليزداد تأكيداً، نقدّم إليه قول المسيح في هذا الأمر عينه: «(هؤلاء) ليسوا من العالم، كما أني أنا (أيضاً) لستُ من العالم. لستُ أسأل أن تأخذهم من العالم بل **أن تحفظهم من الشرير**» (يو 17: 14و15). هذا همُّ المسيح الأول من جهة "أولاده الصغار" الذين تركهم في العالم يجاهدون من أجل حفظ الوديعة، وهو عالم أنهم في مواجهة مستمرة مع عدوٍّ متمرّس. لذلك لم يتركنا بدون كلمة سرٍّ نقولها فننجو. فطوبى لِمَنْ تعلّم أن لا يكفَّ عن طلب النجاة!! «الذي نجّانا من موت مثل هذا وهو ينجّي، الذي لنا رجاء فيه أنه سينجّي أيضاً فيما بعد.» (2كو 1: 10)

4 ـ الصلاة بلجاجة
قصة صديق نصف الليل
(11: 5-8)

يلزمنا جداً أن ننتبه لترتيب الحوادث والكلام وكيف تتركب معاً لتظهر قوة الغاية التي يجري وراءها ق. لوقا. فمن بعد أن أعلن الله لبطرس أن يسوع هو مسيَّا بدأ العد التنازلي يجري نحو الصليب. ولكن يسير مع اتجاه الصليب وموازياً له بدقة استعلان ملكوت الله الذي بدأه ق. لوقا بالتجلّي ثم بإرسالية التلاميذ، وفي طيَّاتها عليهم أن يخبروا أن ملكوت السموات قد اقترب، ثم سؤال الناموسي لميراث الحياة الأبدية، ثم الصلاة الربانية التي تدور حول «ليأتِ ملكوتك» ثم الصلاة بلجاجة التي تنتهي بأن الله يعطي مَنْ يسأل الروح القدس، وهو بحد ذاته عطية الملكوت. وبعده تصريح المسيح أني «إن كنت أُخرج الشياطين بإصبع الله فقد أقبل عليكم ملكوت الله»

يعطي المسيح هنا قصة إنسان تحت الحاجة وشدة العوز التجأ إلى صديق في وقت غير مقبول في نصف الليل، الميعاد الحرج لمجيء العريس والناس نيام، وقرع بابه خَجِلاً وَجِلاً، وكانت الحاجة والعوز شديدين. وظلَّ يقرع ولكن الصديق المتأذّي من هذا القرع والنداء استيقظ ليسمع من جاره أنه محتاج إلى ثلاثة أرغفة عيش. فبمنتهى الضيق اعتذر لأن استيقاظ أسرة بصغارها وأطفالها في نصف الليل شيء مزعج، فاعتذر أن يلبِّي طلب الصديق الملحاح، ولكن الصديق لم ينثن فالحاجة ملحَّة، وكرَّر السؤال يسنده العذر والرجاء. وأخيراً استجاب صاحب الدار وقام وأعطاه ما يريد.

صورة جميلة للعوز الذي يسنده الرجاء، هذا هو الذي نخرج به من هذه القصة، كيف استطاع المحتاج أن يفوز بحاجته رغم صعوبة الطلب. هذا الوجه من الاستجابة تحت الإلحاح، والإلحاح الذي تحت شعور شديد بالعوز يفوز أخيراً. والرب أراد بهذه القصة المُرتَجَلَة أن يصوِّر نفسه أو يصوِّر الله بصاحب الخبز والصديق الملحاح بالإنسان الذي استخدم هذا السلاح وهو اللجاجة. وطلب المسيح أن نأخذ منه هذا التصوير على أساس أنه تعهُّدٌ من قِبَلِهِ لاحترام لجاجة الإنسان في الصلاة، إنما إن كانت حقًّا قائمة على عوز شديد. والقصة بجملتها تقف على أساس أن تكون اللجاجة في صلاتنا عن حاجة صادقة وعوز في القلب شديد.

5:11 «**ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: مَنْ مِنْكُمْ لَهُ صَدِيقٌ، وَيَمْضِي إِلَيْهِ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُولُ لَهُ: يَا صَدِيقُ أَقْرِضْنِي ثَلاَثَةَ أَرْغِفَةٍ**».

الصيغة اليونانية هنا تجيء بمعنى: "هل يمكن أن نتصوَّر هذا"، باعتبار أن الإلحاح لابد مستجاب، حيث يصوَّر الصديق أنه الله والمحتاج أنت، والطلب ثلاثة أرغفة. أمر شديد العلاقة بالحياة، فلا غنى عن الخبز للجائع. هكذا أراد المسيح أن يصوِّر لنا على أي مستوى تكون الصلاة التي نقدِّمها لله. وبأي إحساس نتقدَّم بها بإلحاح، فالقصة تعطي إحساساً أن المحتاج أرغمته الحاجة أن يخرج ويلتجيء إلى صديقه في وقت حرج وغير مناسب، ثم الإلحاح بعد الرفض. أرجو من القارئ العزيز أن يرفع إحساسه ليتوافق مع القصة. **فالمطلوب أن تكون الصلاة على مستوى صادق من الإحساس بالعوز الشديد،** لأن من هذا المستوى تدخل الصلاة إلى قلب الله. حتى ولو كانت صلاة شكر أو تسبيح يلزم أن تكون بإحساس مَنْ يتوسَّل ليُقبَل شكره أو يُقبَل تسبيحه. فالله في ذاته غير محتاج لا لشكر ولا لتسبيح، ولكن أنت المحتاج أن يدخل شكرك إلى قلب الله وأن يصغى إلى تسبيحك ويرضى به.

وعلى القارئ أن يلاحظ أن الصفة التي أعطاها المسيح لله ولنفسه هي **"صديق"،** بمعنى أن صلاتك التي تقدِّمها له شعوراً منك بالعوز يتحتَّم أن تكون على أساس أنك تطلب **مصلِّياً إلى صديق،** بمعنى أن يكون لك دالة حقيقية معه. وهكذا أعطى المسيح شكلاً للصلاة المقدَّمة إلى الله وإليه بأن تكون بإحساس الحاجة والعوز وبدالة مع الله والمسيح كصديق حقيقي وبلجاجة لا تفتر.

6:11 «**لأَنَّ صَدِيقاً لِي جَاءَنِي مِنْ سَفَرٍ، وَلَيْسَ لِي مَا أُقَدِّمُ لَهُ**».

يصوِّر المسيح هنا الحرج الشديد الذي يقع فيه الإنسان ويحاول إدخال الإحساس به إلى قلوبنا،

حيث من هنا تبدأ الصلاة. وهذا الحرج هو: كيف **يتقدَّم الإنسان إلى الله وهو تحت الشعور الشديد بالحاجة إلى ما يصلِّي لأجله، حتى ولو كان لراحة الآخرين؟** ويضع المسيح هنا هذا الميعاد المتأخِّر من الليل ليزيد الحرج إلى أشد مستوى لتخرج الصلاة من قلب منفعل بالحاجة والحرج معاً؛ بل والعدم، إذ ليس له ما يقدِّمه. كل ذلك ليكسر حالة الجمود والبرودة وعدم المبالاة في الصلاة والروتين الذي ينهي على الروح الجديَّة في الصلاة. المسيح هنا يحاول إيقاظ الإنسان المتكاسل في الصلاة والمتواني وغير المكترث ليضعه في حالة الصلاة التي يطلبها الله.

7:11 «**فَيُجِيبَ ذلِكَ مِنْ دَاخِلٍ وَيَقُولَ: لاَ تُزْعِجْنِي! اَلْبَابُ مُغْلَقٌ الآنَ، وَأَوْلاَدِي مَعِي فِي الْفِرَاشِ. لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَقُومَ وَأُعْطِيَكَ**».

يحاول المسيح أن يصعِّب الاستجابة ويجعلها قرب المستحيل، ليرفع من لجاجة المصلِّي ويزيد من التوسُّل، لأن الصعوبات التي وضعها هنا المسيح لا تنطبق على الله والمسيح، ولكن أراد المسيح أن يصوِّر صعوبة استجابة الصلاة من أول مرَّة عند الله. **فهو يهملها ويهملها مرَّات ومرَّات حتى ترتفع حرارة اللجاجة والرجاء إلى المستوى الذي يساوي استجابة الصلاة.** ليس هذا قسوة من الله ولا هو يرجع إلى عدم استحقاق المصلِّي للاستجابة، ولكن لكي يدخل الإنسان عملياً في سر استجابة الصلاة ويتدرَّب على معرفة كيف يسمع الله الصلاة وكيف يستجيب. وهذا بحد ذاته أعظم أسرار العلاقة التي تربطنا بالله عبر المسيح. فكل درجة نرتفع إليها في اللجاجة يقابلها درجة في الصعود على سُلَّم السر الإلهي في الصلاة. وحينما تسمع بأن هناك رجال صلاة مرموقين ولهم قوة ودالة فاعلم أن هؤلاء تدرَّجوا طويلاً على سر سلم الصلاة: رفض ولجاجة ولجاجة ورفض إلى أن ينفتح الباب. لأن الباب مغلق حقًّا ولا ينفتح إلاَّ بعلامة السر. وعلامة السر هي اللجاجة بلا حدود إلى أن تبلغ حدودها وحينئذ يكون سر الصلاة قد صار مِلْكَ قلبك: «يا سامع الصلاة إليك يأتي كل بشر.» (مز 2:65)

8:11 «**أَقُولُ لَكُمْ: وَإِنْ كَانَ لاَ يَقُومُ وَيُعْطِيهِ لِكَوْنِهِ صَدِيقَهُ، فَإِنَّهُ مِنْ أَجْلِ لَجَاجَتِهِ يَقُومُ وَيُعْطِيهِ قَدْرَ مَا يَحْتَاجُ**».

هنا يكشف المسيح عن سر خاص يقوله ببساطة، ولكنه من أعجب أسرار الله والمسيح، وهو أن الله له حدود في معاملاته مع أحبائه وأصدقائه بالروح، ولكن أُعطي للإنسان، والإنسان فقط دون كافة الخلائق العليا، أن يجعل الله يتخطَّى حدود "الصداقة" عندما تنفتح أحشاؤه بالحنان والرحمة

ويعطي للإنسان ما هو ليس من حقه. وكان أكثر الأنبياء استغلالاً لمحبة الله وصداقته هو **"موسى"**، وقد استخدم موسى اللجاجة مع الله وربح في كل مواقعها، الذي بسبب لجاجته تراجع الله عدّة مرَّات عن أن يفني الشعب الغليظ الرقبة في البرية:

+ «فالآن اتركني ليحمى غضبي عليهم وأفنيهم، فأُصَيِّرك شعباً عظيماً. فتضرَّع موسى أمام الرب ... فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه.» (خر 32: 10-14)

5 ـ ثلاث طاقات في السماء مفتوحة

(13-9:11) (مت 7: 7-11)

9:11و10 **«وَأنَا أقُولُ لكُمْ: اسْألُوا تُعْطوْا. اُطلُبُوا تَجِدُوا. اِقرَعُوا يُفتَحْ لكُمْ. لأنَّ كُلَّ مَنْ يَسْألُ يَأخُذُ، وَمَنْ يَطلُبُ يَجِدُ، وَمَنْ يَقرَعُ يُفتَحُ لهُ».**

عاد الرب هنا ليعطي صورة حقيقية عن موقفه حيال المصلّي ليزيد الإنسان ثقة بالله سامع الصلاة. ولكن الأمر متعلّق بالإنسان، فهو الذي يحدّد الاستجابة بنوع الصلاة التي يصلّيها، فكلُّ درجة حرارة في الصلاة لها ردّها عند الله.

وعلى من يتقدَّم إلى الله بالصلاة بإحدى هذه الدرجات الثلاث: السؤال، والطلبة، وقرع الباب، إن كان يريد حقًّا أن يفوز بالاستجابة، أن يثق في إيجابية الله ووعوده ثقة كاملة. ولكي يصل إلى هذه الثقة الكاملة عليه أن يثبت ذلك بأن يتصوَّر نفسه وقد نال ما يريده ويرسِّخ هذا التصوُّر لعدة أيام وهو يسأل ويطلب ويقرع الباب. أي يعيش حالة استجابة لصلاته بالفعل شاكراً مهلّلاً معترفاً بفضل الله عليه. بهذا الوضع يكون الإنسان قد بلغ مستوى عطية الله بالفعل فيأخذها، لأنه يكون في نظر الله قد استحقها بلجاجته الواقعية والعملية على أساس إيمانه الواثق بصدق وعود الله. فالإنسان لا يتوهَّم أنه أخذ سؤاله بل هو تحقيق على مستوى الإيمان!! وهذا استناداً على وعد المسيح لقائد المائة: «ثم قال يسوع لقائد المائة اذهب وكما آمنت ليكن لك» (مت 8:13). إنه قانون الاستجابة عند المسيح: **«اذهب وكما آمنت ليكن لك».** قليل جداً مَنْ انتبه إلى هذا القانون، فقائد المائة آمن في قلبه فعلاً أن المسيح سيشفي أو قد شفى ابنه ثقة منه بالمسيح، فكان إيمانه ـ فعلاً ـ فعَّالاً تقدَّم به إلى المسيح فقُبِلَ في الحال. إذن، مرَّة أخرى: **علينا أن نؤمن أننا أخذنا قبل أن نأخذ وبهذا نأخذ،** أي أن **مستوى إيماننا باستجابة الصلاة هو الذي يتحكَّم في الاستجابة** لأن هذا

معناه

أننا نوقّع صدق الله على إيماننا فيفوز الإيمان في الحال لأنه مدعَّم بصدق الله. وهذا الوضع يُحسب اختراق مجال الله بالإيمان والصلاة لنوال سؤالنا وطلبتنا، وكلمة السر هي تصديق وعود الله!! «**كما آمنت ليكن لك**»، حيث يكون أول مهنّئ للإنسان بنوال طلبته قبل أن يأخذها هو الروح القدس، إذ يُسِرُّ إلى القلب "هنيئاً قد أخذت"! ومنها يبدأ الإنسان فرحه وتهليله وتمجيد الله، كل ذلك قبل أن يأخذ!! وهذا حق وجيد **أن تكون ثقتنا في الله أكبر من الطلب الذي نطلبه.**

ثم الآية الأكثر وضوحاً: «لذلك أقول لكم **كل ما تطلبونه حينما تصلّون فآمنوا أن تنالوه**[214] **فيكون لكم**» (مر 11:24). وهنا وضع الاستجابة في أمر **المستحيل** ليوضِّح معنى قوة الإيمان السابق على العمل: «لأني الحق أقول لكم إن مَنْ قال لهذا الجبل انتقل وانطرح في البحر ولا يشك في قلبه بل يؤمن أن ما يقوله يكون فمهما قال يكون له.» (مر 11:23)

أ ـ «اسألوا تُعْطَوْا»: asking = a„te‹te, ka… doq»setai Øm‹n

الفعل "تُعْطَوْا" مبني للمجهول، والفاعل واضح أنه هو الله الذي يعطي: «الحق الحق أقول لكم: إن كل ما طلبتم من الآب باسمي **يعطيكم.** إلى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمي. اطلبوا تأخذوا، ليكون فرحكم كاملاً» (يو 16: 23و24). وهي قد تأتي بمعنى أنه يجب أن تسألوا حتى تأخذوا، وعكسها صحيح أنه إن لم تصلوا فلن تأخذوا شيئاً، أو لن تأخذوا شيئاً حتى تُصلُّوا من أجله. ومعنى الكلام هنا أن الله بواسطة تدخُّل ذبيحة ابنه مستعد للرد على كل سؤال **"باسم المسيح".** فالمسيح يضع هنا نفسه ودمه ضامناً لاستجابة صلواتنا عند الآب أبيه. لذلك يكون المعنى: إذا صلّيتم فينبغي أن تتأكّدوا أنكم ستأخذون ما تطلبون.

ب - «أطلبوا تجدوا»: seeking = zhte‹te

فعل "اطلبوا" هنا يأتي دائماً في طلب وجه الله: «قلت اطلبوا وجهي، وجهك يا رب أطلب» (مز 27:8). وطلب وجه الله يعني الصلاة مباشرة، لأن طلب وجه الله يعني حضرته أو حضوره: «وكان جوع في أيام داود ثلاث سنين سنة بعد سنة فطلب داود وجه الرب فقال الرب: هو لأجل شاول ...» (2صم 21:1). ولكن في العهد الجديد تعني طلب الله مباشرة: «لكي يطلبوا الله لعلّهم يتلمسونه ـ (يلمسونه عن قرب) ـ فيجدوه مع أنه عن كل واحد منا ليس بعيداً » (أع 17:27). «اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق. فإني أقول لكم: إن كثيرين سيطلبون أن يدخلوا ولا يقدرون.» (لو 13:24)

---

[214] وقد جاءت في أقدم المخطوطات: «آمنوا أنكم **قد نلتموه** فيكون لكم».

والمعنى ينحصر في الحركة، يطلبون وجه الرب أو يطلبون وجهه ومن يطلبه حتماً **يجده.** فهنا يُعْتَبر هذا المقطع من الآية «اطلبوا تجدوا» لا يعني الصلاة من أجل شيء أو طلب شيء ولكن طلب الله ووجه الله كحالة صلاة قائمة بذاتها: «اطلبوا الرب ما دام يوجد ادعوه وهو قريب» (إش 6:55)، «وُجِدتُ من الذين لم يطلبوني وصرت ظاهراً للذين لم يسألوا عني» (رو 20:10)، ويقصد هنا الأمم الذين لم يطلبوه ولكنه وُجد لهم. فهنا الصلاة هي دعاء لوجود الله أو الوجود في حضرته. وآخر الآية توضّح أن الله يُظهر نفسه ويوجد للأمم. والمعنى هنا أن الله منتظر مَنْ يطلبه حتى يوجد له: «إن طلبتموه يوجد لكم وإن تركتموه يترككم» (2أي 2:15). وهنا وعد عظيم ليس هيِّناً أبداً، أن الله واقف منتظر مَنْ يطلبه ومَنْ يسعى إليه إمَّا بالمخافة أو التوبة أو مجرَّد الرجاء: **«ثم إن طلبت من هناك الرب إلهك تجده إذا التمسته بكل قلبك وبكل نفسك»** (تث 29:4)، «وتطلبونني **فتجدونني إذ تطلبونني بكل قلبكم.**» (إر 13:29)

ج ـ «اقرعوا يُفتح لكم»: knock = kroÚete

القرع هنا كناية عن الصراخ. هنا الصلاة دخلت في مرحلتها الأخيرة والعالية حيث يقف الإنسان على باب الله «أنا هو الباب» (يو 9:10)، وكأن بصلاته يقرع الباب (بمعنى يرفع صوته) ويقرع باب تحنُّنات الله ومراحمه، وهي تعطي صورة شحاذ يشحذ وقف على الباب وظل يقرع وهو يطلب شيئاً ويجتهد في طلبه، ويتوسَّل معتمداً على مراحم الله التي لا تحد. وقول الرب: «اقرعوا يُفتح لكم» تكشف أن الله داخل الباب منتظر مَنْ يقرع أو هو على استعداد أن يفتح إن كنَّا نقرع بلجاجة: «ومَنْ يُقبل إليَّ لا أُخرجه خارجاً» (يو 37:6). وحتى لا يشعر الإنسان بصغر النفس حينما يقول المسيح إن مَنْ يقرع يُفتح له، قال بالمقابل: «ها أنذا واقف على الباب وأقرع (هنا كلمة "أقرع" تأتي بمعنى أُثابر) إن سمع أحد صوتي وفتح الباب أدخل ...» (رؤ 20:3). فالقرع على الباب يصف أشد حالات السؤال بمثابرة وعناد. فإن كان المسيح يقرع بابنا ويطلبنا أفكثير علينا أن نقرع نحن بابه ونطلب وجهه؟

11:11و12 **«فَمَنْ مِنْكُمْ، وَهُوَ أَبٌ، يَسْأَلُهُ ابْنُهُ خُبْزاً، أَفَيُعْطِيهِ حَجَراً؟ أَوْ سَمَكَةً، أَفَيُعْطِيهِ حَيَّةً بَدَلَ السَّمَكَةِ؟ أَوْ إِذَا سَأَلَهُ بَيْضَةً أَفَيُعْطِيهِ عَقْرَباً؟»**

والمعنى أنه إذا كان الأب الجسدي يستطيع أن يميِّز العطية لتكون من صنف السؤال، والمعروف أنه من الاستحالة أن يكون اختيار الأب لعطية يكون فيها ضررٌ لابنه كحيَّة أو عقرب، بل يختار الأب ما يناسب طلب ابنه واحتياجه ...

13:11 **«فَإِنْ كُنْتُمْ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ تَعْرِفُونَ أَنْ تُعْطُوا أَوْلاَدَكُمْ عَطَايَا جَيِّدَةً، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ الآبُ الَّذِي مِنَ السَّمَاءِ، يُعْطِي الرُّوحَ الْقُدُسَ لِلَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ».**

وظاهر هنا الآن أن عطايا الأب الجسداني زائلة وربما معثرة، فهي في جوهرها لا تخرج عن عطايا آيلة للموت والفساد. ومع ذلك فالأب الجسدي مهما كان شريراً فهو لا يعطي الموت لأولاده؛ بل يشتهي أن يعطيهم الحياة. فكم بالحري الآب السماوي كلّي الصلاح يعطي الحياة الأبدية بالروح القدس.

(ج) جدال مع الفرِّيسيِّين
(54-14:11)

1 ـ القوي والأقوى
تعريف بمستوى قوة الشيطان بالنسبة للمسيح

(14:11- 26) (مت 22:12ـ30، 43ـ45) (مر 3: 22 ـ 30)

الذي استدعى الحديث عن الأرواح الشريرة والشيطان هو آخر ما سبق في الآية السالفة وهو عطية الروح القدس من الآب للذين يطلبونه، ذلك في مقابل الروح الشرير وهي الأرواح التي يقودها الشيطان لمعاكسة الإنسان. والروح هنا سُمِّي بالأخرس والأصم، فلمَّا أخرجه المسيح علّل بعض اليهود أن إخراجه كان بواسطة الشيطان نفسه (بعلزبول)، وآخرون طلبوا أن يروا معجزة من السماء. فجاء رد المسيح على عدة أقوال: فالأول كان رداً على القائلين إنه ببعلزبول يُخرج الشياطين وكان الرد قائماً على أن الشيطان لا يعمل ضد نفسه وإلاَّ تَخْرُب مملكته. والرد الثاني كان على الذين يطلبون آية من السماء للتدليل على أن ملكوت الله قد افتُتح، ولهؤلاء كان الرد أن المسيح إنما يخرج الشياطين بروح الله، وهذا تدليل على أن ملكوت الله قد أقبل عليهم. والقول الثالث كان مقارنة بين قوة المسيح وقوة الشيطان، إذ سمَّى الشيطان بالقوي، ودعا المسيح نفسه الأقوى. ثمَّ عقَّب على الذين يدَّعون تبعيتهم للمسيح وهم أعداء: «مَنْ ليس معي فهو عليَّ ومَنْ لا يجمع معي فهو يفرِّق» (23)، وأخيراً حذَّر من الشيطان لأنه قد يعود إلى ذات الشخص الذي خرج منه ومعه آخرون أشر منه إذا عاد الإنسان إلى خطاياه.

14:11 **«وَكَانَ يُخْرِجُ شَيْطاناً، وَكَانَ ذلِكَ أَخْرَسَ. فَلَمَّا أُخْرِجَ الشَّيْطانُ تَكَلَّمَ الأَخْرَسُ، فَتَعَجَّبَ الْجُمُوعُ».**

القصة موجودة في إنجيل ق. متى (32:9-34). الشيطان الأخرس صفة مكتسبة وليست صفة الشيطان أبداً. ولكن المعروف أن الروح الشرير لمَّا يسكن إنساناً ويتملّك عليه ويقتله يأخذ صفاته ويأخذ اسمه، فإذا دخل إنساناً آخر يصيبه بنفس المرض الذي كان في الشخص الأول الذي قتله.

لذلك لمَّا يخرج الشيطان يعود الإنسان إلى حالته الطبيعية وفعلاً تصبح معجزة.

15:11 «**وَأَمَّا قَوْمٌ مِنْهُمْ فَقَالُوا: بِبَعْلَزَبُولَ رَئِيسِ الشَّيَاطِينِ يُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ**».

في إنجيل ق. متى جاء أن الفرّيسيين هم الذين قالوا ذلك، وفي إنجيل ق. مرقس جاء أنهم كانوا كتبة من أُورشليم. وفي الحقيقة إن الذين أخرجوا هذا الاسم على المسيح وقعوا في الخطية المميتة أي التي ليس لها غفران، لأن المسيح بالروح القدس الذي فيه أخرج الشيطان، فهنا صفة بعلزبول أي رئيس الشياطين قيلت على الروح القدس مباشرة.

16:11 «**وَآخَرُونَ طَلَبُوا مِنْهُ آيَةً مِنَ السَّمَاءِ يُجَرِّبُونَهُ**».

كون هذا الطلب يأتي مباشرة بعد معجزة إخراج الروح الشرير إنما يعطي دليلاً أنهم لم يستكفوا بإخراج الشياطين كآية تثبت أنه "مسيَّا"، لذلك طلبوا منه آية من السماء، وهي في الواقع كانت موجودة في التقليد أن مسيَّا حينما يأتي يُنزل المن من السماء.

17:11 «**فَعَلِمَ أَفْكَارَهُمْ وَقَالَ لَهُمْ: كُلُّ مَمْلَكَةٍ مُنْقَسِمَةٍ عَلَى ذَاتِهَا تَخْرَبُ، وَبَيْتٍ مُنْقَسِمٍ عَلَى بَيْتٍ يَسْقُطُ**».

يعطينا المسيح هنا فكرة عن جماعة الشياطين أنها تشكّل مملكة وكل مجموعة منها تعتبر كبيت. ولا يسمح الشيطان الرئيس لشيطان آخر أن يُخرج روحاً شريراً وإلاَّ تضعف مملكته. ويبدو هنا أن هذه المملكة الشيطانية ذات نظام وتدبير يتعلّق بتحرُّكات أفرادها. وحتى ولو أن إنساناً مُتآخٍ مع روح شرير أخرج شيطاناً، فذلك يكون حيلة لتضليل الناس أن هذا الإنسان قديس وهو يعمل بواسطة الروح الشرير. وهذه الصناعة رائجة جداً بين الناس في كل مكان. ومثل هذا الشيطان الذي خرج يعود مرَّة أخرى إلى بيته حسب قول الرب.

18:11 «**فَإِنْ كَانَ الشَّيْطَانُ أَيْضاً يَنْقَسِمُ عَلَى ذَاتِهِ، فَكَيْفَ تَثْبُتُ مَمْلَكَتُهُ؟ لأَنَّكُمْ تَقُولُونَ: إِنِّي بِبَعْلَزَبُولَ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ**».

لا يزال المسيح يؤكّد أن شيطاناً لا يخرج شيطاناً، فمن اعتراف الشيطان نفسه نفهم أن المسيح يستخدم سلطاناً عظيماً ضدَّه: «ما لي ولك يا يسوع ابن الله العلي. أطلب منك أن لا تعذبني» (لو 28:8). إذن هنا مملكة الشيطان واقعة تحت سلطان المسيح الذي يستطيع أن يعذّبهم، فهنا

بالحق مملكة المسيح ضد مملكة الشيطان وبقوته وسلطانه يخرج المسيحُ الشيطان من خليقته.

11:19 «**فَإِنْ كُنْتُ أَنَا بِبَعْلَزَبُولَ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ، فَأَبْنَاؤُكُمْ بِمَنْ يُخْرِجُونَ؟ لِذلِكَ هُمْ يَكُونُونَ قُضَاتَكُمْ**».

واضح هنا أن المسيح أوقعهم في تناقض لأنه يوجد يهود قد آمنوا بالمسيح وبدأوا يخرجون الشيطان "بالاسم" (لو 10:17)، هؤلاء شهود أمام الله ضدَّهم. وسواء المسيح أو تلاميذه أو حتى مَنْ يستخدم مجرَّد اسم المسيح من اليهود يمكن أن يخرج الشيطان، كل هذا معاً يوضِّح أن ملكوت الله قد بدأ يعمل. لذلك فأولادهم الذين بالروح يخرجون الشيطان سيكونون قضاتهم يوم الدينونة.

11:20 «**وَلكِنْ إِنْ كُنْتُ بِإِصْبعِ اللهِ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ، فَقَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكُمْ مَلَكُوتُ اللهِ**».

والآن أصبح واضحاً أن المسيح يخرج الشياطين بقوة الله التي عبَّر عنها بإصبع الله، وبالتالي أنه قد أقبل عليهم ملكوت الله. والقديس متى يضعها "بروح الله" بدلاً من إصبع الله. وقد ورد هذا التعبير في العهد القديم: «ثم أعطى (الرب) موسى عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء لوحي الشهادة لوحي حجر مكتوبين **بإصبع الله**» (خر 31:18). ونحن نلتقط هنا اعتراف المسيح ضمناً بأن لوحي الشهادة كُتبا بإصبع الله أو بروح الله. وهنا من المواضع النادرة التي يظهر فيها الأخرويات بكلمة: «قد أقبل عليكم» [215] ويعتبرها العالِم كلارك[216] أنها تُعبِّر عن تحقيق الأخرويات، وهو يشرح معنى «قد أقبل عليكم» على أنه يعني الوصول إلى نقطة التماس بين العالم الحاضر والمستقبل. وقوة المعنى هنا في «قد أقبل عليكم» هي كلمة "**عليكم**". فهنا حَدَثَ تواصل؛ بمعنى أن الجالس يسمع هذا الكلام **يُحسَّ** بالملكوت، هذا الإحساس هو الذي ينطبق على كلمة "**عليكم**"، وحينئذ يصير المعنى أن ملكوت الله صار من القرب حتى يمكن التأكُّد منه أو الإمساك به (روحياً) أو الاستماع إليه والتأثُّر به، وبالأكثر أن به بدأت الحياة الجديدة في الإنسان، ويوجد مَنْ يشهد بذلك.

11:21 «**حِينَمَا يَحْفَظُ الْقَوِيُّ دَارَهُ مُتَسَلِّحاً، تَكُونُ أَمْوَالُهُ فِي أَمَانٍ**».

وأيضاً إنجيل ق. متى يشترك في هذا التصوُّر (مت 12:43-45). والمسيح يشرح هذه القضية باعتبارها قصة أو مثلاً، فيه يصف الشيطان بأنه "القوي" ولكنه قوة سلبية مدمِّرة مميتة وله سلطان

([215]) Dodd, cited by Marshall, *op. cit.*, p. 476.
([216]) K.W. Clark, Realised Eschatology, *Journal of Biblical Literature* (JBL) 59, 1940, 367-383.

على الجسد ليصنع فيه ما يريد من ضربه في الداخل أو الخارج، وهو يُحسن الضربة حتى لا يكون ـ في الشكل ـ لها شفاء. وهكذا يستولي على أسراه ويُحكِمُ أَسْرَهم وكأنه لا خلاص.

22:11 **«وَلكِنْ مَتَى جَاءَ مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنْهُ فَإِنَّهُ يَغْلِبُهُ وَيَنْزِعُ سِلاَحَهُ الْكَامِلَ الَّذِي اتَّكَلَ عَلَيْهِ وَيُوَزِّعُ غَنَائِمَهُ».**

هنا يشير المسيح إلى نفسه، ولكن كلمة "الأقوى" لا تفيد زيادة في نفس القوة، ولكن نوعية القوة هي التي أقوى، بمعنى هنا قوة المسيح إيجابية وأيضاً فعلها أشد من فعل قوة الشيطان السلبية. لذلك بمجرَّد ظهور المسيح كان الشيطان يصرخ، لأن أي تماس معه سوف يُحرقُه إن أخذنا بالمعنى الكهربائي. الشيطان يبلبل النفس ويزعجها، فإذا اقترب المسيح تزول وتنسحق آثاره السلبية من النفس: «تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم» (مت 28:11). هنا واضح جداً القوة السالبة المبلبلة والمزعجة، فإذا اقترب الإنسان من المسيح زالت كل الهموم والأتعاب وحلَّ محلها السرور والفرح. استطاع الشيطان أن يحني ظهر المرأة التي دخلت المجمع والمسيح جالس، وكشف المسيح مؤامرة الشيطان ضد هذه النفس التعيسة الحزينة ثماني عشرة سنة: «وإذا امرأة كان بها روح ضعف ثماني عشرة سنة وكانت منحنية ولم تقدر أن تنتصب البتة. فلمَّا رآها يسوع دعاها وقال لها يا امرأة إنك محلولة من ضعفكِ ... وهذه وهي ابنة إبراهيم قد ربطها الشيطان ثماني عشرة سنة أما كان ينبغي أن تُحل من هذا الرباط في يوم السبت» (لو 13: 11-16). لاحِظ هنا أيها القارئ العزيز قول المسيح عن نوع الرباط: «ولم تقدر أن تنتصب البتة» هذا هو الخداع الأعظم، إذ يظهر الرباط أو المرض أنه مستحيل الشفاء، فإذا تدخَّل الرب يتم الشفاء في الحال. واضح هنا القوة السالبة الشريرة وأنها **قوية،** ولكن واضح أيضاً القوة الإيجابية التي فكّت الرباط وأزالته من الوجود، إنها **الأقوى**.

ونحن نسمع ونرى المئات من أمثال هذا التواجه بين عمل المسيح وعمل الشيطان ولكنها ليست قاعدة، فبولس الرسول لطمه الشيطان ولكن رفض المسيح أن يرفع الشوكة: «ولئلاَّ أرتفع بفرط الإعلانات أُعطيت شوكة في الجسد ملاك الشيطان ليلطمني لئلاَّ أرتفع. من جهة هذا تضرَّعت إلى الرب ثلاث مرَّات أن يفارقني فقال لي: تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تكمل» (2كو 12: 7-9). يُلاحِظ القارئ اعتراف ق. بولس: «لئلاَّ أرتفع» يعني هنا يوجد سبب لكي يسمح الله للشيطان أن يضرب ق. بولس. بمعنى أن هناك تدبيراً أعلى للمسيح متى يعمل ومتى يتأنَّى!! فلو كان للشيطان سلطانٌ مطلقٌ علينا لفنينا، ولكن كل ضرباته محسوبة عند المسيح حساباً دقيقاً في معادلة

مع خلاصنا وسعادتنا هناك. فالشيطان مضبوط الحركة.

23:11 «**مَنْ لَيْسَ مَعِي فَهُوَ عَلَيَّ، وَمَنْ لاَ يَجْمَعُ مَعِي فَهُوَ يُفَرِّقُ**».

هنا كشف فاضح للذين يلعبون على الصفين. فالمسيح يبدو هنا مخاطباً اليهود الذين يمالئون المسيح ثم يظهرون وسط صفوف الغيورين والمتعصبين، ولكن بالأكثر الذين يعملون أعمالاً موافقة للشيطان ثم يأتون ويندسُّون وسط أتباع المسيح. كما وأن الذي ينقد المسيح فهو يفرِّق. فبين المسيح والشيطان ليس حلٌّ وسط وليس تعادلٌ بين هنا وهناك، لذلك جاءت الوصية الأولى قاطعة مانعة: «تحب الرب إلهك من **كل** قلبك ومن **كل** نفسك ومن **كل** فكرك، ثم الثانية مثلها تحب قريبك كنفسك» هنا ضمن الله كل كيان الإنسان محفوظاً في محبته، لأن محبة الله لها عائد فوري ومماثل، «بالكيل الذي تكيلون به يُكال لكم، كيلاً ملبَّداً ومهزوزاً وفائضاً في أحضانكم» والمسيحي مطلوب منه أن يدعو إلى المسيح بالقدوة والكلمة والمحبة، والذي لا يجمع له الخراف يُحسب أنه يفرِّقها ويُبدِّدها. ويلاحظ القارئ في هذه الآية الفرق الهائل بين سلبيات الشيطان وإيجابيات المسيح في كل شيء، كذلك يلاحظ أنه لا توقُّف في الطريق، فإذا لم نكن سائرين مع المسيح إلى الأمام فحتماً سنرجع إلى خلف. فالحياة المسيحية حياة نمو وتقدُّم وامتداد وحرارة قائدة لقلب الإنسان، وغيرة صالحة على النفوس الجائعة والتائهة.

24:11 «**مَتَى خَرَجَ الرَّوحُ النَّجِسُ مِنَ الإِنْسَانِ، يَجْتَازُ فِي أَمَاكِنَ لَيْسَ فِيهَا مَاءٌ يَطْلُبُ رَاحَةً، وَإِذْ لاَ يَجِدُ يَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى بَيْتِي الَّذِي خَرَجْتُ مِنْهُ**».

الحديث هنا في الأساس على الإنسان الذي كان به روح نجس وأُخرج منه بالقوة، فإذا عاد الإنسان إلى أعمال الخطية مرَّة أخرى يأتي إليه الشيطان ويجذب معه آخرين. إذن، إخراج الشياطين ليس مهمة صغيرة بل هو عمل جهادي إذ يلزم متابعة مَنْ خرج منه الشيطان بالتقوية الروحية والتمسُّك بالإنجيل والصلاة والصوم: «مَنْ التصق بالرب فهو روح واحد» (1كو 17:6). هذا هو الدفاع والوقاية بالنسبة للإنسان الذي خرج منه الشيطان: أن يلتصق بالرب يسوع فيصبح في مكان أبدي؛ بمعنى أن الاشتغال بإخراج الأرواح النجسة يلزم حتماً أن يرافقه خدمة روحية على مستوى دائم وعميق وتحذير من عودة الشيطان مرَّة أخرى. أمَّا هَرَبُ الشيطان من الأمكنة التي فيها ماء فذلك لأن طبيعة الشيطان سلبية ضد الحياة بكل صورها، والماء أصل كل حيّ (2بط 5:3).

25:11و26 «**فَيَأْتِي وَيَجِدُهُ مَكْنُوساً مُزَيَّناً. ثُمَّ يَذْهَبُ وَيَأْخُذُ سَبْعَةَ أَرْوَاحٍ أُخَرَ أَشَرَّ مِنْهُ، فَتَدْخُلُ**

وَتَسْكُنُ هُنَاكَ، فَتَصِيرُ أَوَاخِرُ ذلِكَ الإِنْسَانِ أَشَرَّ مَنْ أَوَائِلِهِ!»

"مكنوساً" ليس فيه أثر من كلام المسيح ولا أي وعظ أو تعليم من أي نوع. مزيَّناً فيه صور الخلاعة في القلب وعلى الحوائط ومناظر شهوانية مغرية مثبّتة بطريق فنّي. فحينما يراها الشيطان يرتاح فيه ويمدحه أنه مضياف ممتاز، ويأتي بسبعة ألعن منه ويسكنون في أركان هذا البيت كأصحاب ملك. وهكذا يبدو الإنسان وقد صار قلعة منيعة للعدو لا يستطيع أحد أن يوصّل له كلمة الحياة إذ يرفضها تماماً. فإذا عبر عليه الصديق القديم أو الكاهن الذي كان قد أخرج الشيطان الأول، يتعجَّب من عجرفة الإنسان وامتناعه من سماع كلمة الإنجيل، ناهيك عن الشتيمة والإهانة. وهنا نذكّر بمريم المجدلية التي أخرج منها المسيح سبعة شياطين، وكيف صارت من القديسات.

2 ـ تطويب العذراء القديسة من على بُعد
طوبى للبطن الذي حملك
(11:27و28) القديس لوقا وحده

27:11 **«وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ بهذا رَفَعَتِ امْرَأَةٌ صَوْتَهَا مِنَ الْجَمْعِ وَقَالَتْ لَهُ: طُوبَى لِلْبَطْنِ الَّذِي حَمَلَكَ وَالثَّدْيَيْنِ اللَّذَيْنِ رَضِعْتَهُمَا».**

من أندر المواقف الجميلة التي نستنشق منها عبير العذراء القديسة من على بعد. امرأة دخلت في حالة انتباه روحي وبوحي سمائي هتفت للعذراء كأم ولدت، ولدت نبيًّا وأرضعت إلهاً. فهيَّجت هذه المرأة مشاعرنا ورفعت أحاسيسنا حتى إلى المذود والنجم والرعاة والملوك الثلاثة، وخوارس ملائكة قديسين يسبِّحون من السماء بلغة البشر إذ أن ملكهم قد صار واحداً منّا فلماذا لا يتكلّمون بكلامنا. وهكذا دخلت السماء بربها وجنودها في حوزة البشر. هتاف هذه المرأة في وسط الجمع يُعاتب الذين يسألونه مَنْ أنت؟ ولماذا أنت؟ لترفع عقولهم لحظة إلى سمو موطنه وعلو قداسته. أمَّا كيف فلتت هذه الرائية من حراسة الملائكة المشدَّدة حتى لا ينكشف السر من حول ملك الملوك ورب الأرباب، فغالباً التقطت من لمسة لمستها كنازفة الدم فصرخت مثل توما وعاشت لحظة من لحظات المسيَّا من وراء الضباب. نطالب الآن الناقدين والناقمين على لاهوت المولود الإلهي، كيف عرفت هذه المرأة أن البطن التي ولدته بطن تطوَّب من بين ملايين البطون الأخرى؟ ما الذي

أنطقها وما الذي جعلها ترى الأمومة هنا فوق كل أمومة؟ ولماذا الثديان هنا هما بدرجة سماوية مهيبة جعلتها ترى فيها الطوبى، كل الطوبى؟ أليس نحن هنا أمام أليصابات الجديدة لمَّا رأته تحرَّك الجنين في بطنها فانفتح فمها لتعطي واجبات التسبيح للتي هي صاحبته بالضرورة؟ ما أعجبك يا لوقا، كيف تضع هذه التسبحة السماوية بين الكلمات، وهي بالحق تتوسَّط أصحاحاً فريداً مزيَّناً. أمَّا للذين يحطون من قيمة هذه الشهادة فنقول: وهل قلت هذه الشهادة عن التي للمعمدان أو زكريا أو أليصابات؟ وبأي معنى طوَّبت هذه المطوَّبة بطن أُمه التي حملته إلاَّ لأنه بطن بتولي ليس كبطون الأمهات؟ وكيف وبأي سلطان ولسان جاءت هذه التطويبة لامرأة من بين النساء إلاَّ أنه رجع صوت سماوي التقطته أذنها ذات السمع المفتوح؟ ثم لماذا البطن والثديان معاً إلاَّ أن وراءهُما سراً، فروح البتول ينطق من هذه التسبحة نطقاً!!

ولكن وبأكثر تحليل وتدقيق لماذا الاعتراف العالي هنا بسمو مَنْ حملته وأرضعته بعد افتئات القوم الذين نسبوا إليه أنه ببعلزبول يُخرج الشياطين؟ فكان رد هذه المرأة عليهم كمَنْ يضع الجوهرة في غلافها، وكان رد المسيح عليها ردًّا محاولاً عدم إلغاء قولها ولكن بالأكثر كشف مضمونه، فالبطن حَمَلت بكلمة الله والثديان حفظتا الوديعة.

28:11 **«أَمَّا هُوَ فَقَالَ: بَلْ طُوبَى لِلَّذِينَ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللهِ وَيَحْفَظُونَهُ».**

لم يصنع المسيح العكس كالعادة ولم يستصغر ما قالته المرأة، بل أكمل الطوبى بطوبى لمَنْ يسمع كلام المسيح الذي خرج من بطنها ويحفظ أقواله كمَنْ يرضع من ثدي السماء. فالمسيح لم يشأ أن يقلّل من كلام المرأة بل كشف عن جوهره. بمعنى أن البطن حملت كلمة الله، فإن كانت الطوبى للبطن فالطوبى بالأولى للذي آمن بمَنْ حملت وأرضعت ولمَنْ يُدرك هذا ويحفظه. وعلى كل حال فإنه يليق بهاتين الآيتين أن يرصَّع بهما إنجيل الميلاد.

3 ـ آية يونان النبي

(32-29:11)

(مت 12:38-42)
(مر 8:12)

كانت الجموع الطامحة في استعلان أكثر لشخص المسيح يلحُّون دائماً بطلب آية من السماء، وسبق أن عرفنا أنهم يركزون على نزول المن وهي في التقليد العلامة السماوية التي تحدث بمجيء المسيَّا. والمسيح هنا يقول: إن الآية الوحيدة هي آية يونان النبي، حيث دخل يونان الموت في بطن الحوت وخرج منه سالماً بعد ثلاثة أيام، وكرز لمدينة شريرة فاجرة فتابت. بمعنى أن الأمر لا يختص بالمسيح ولكن بتوبة إسرائيل وإلاَّ يتم فيها الانقلاب كمصير نينوى إذا لم تكن قد تابت. على أن أصعب جزء في تجربة يونان والمحسوب أنه معجزة حقًّا هو خروجه سالماً من بطن "الموت" بعد ثلاثة أيام، وهي آية القيامة عند المسيح. وهذه القصة شرحها ق. متى من جهة عدد الأيام والليالي، أمَّا القديس لوقا فقد ذكر الآية بمجرَّد اسمها فقط دون شرح، وفي الحقيقة ما عمله ق. لوقا أعطى أهمية كبيرة جداً لهذه الآية لأن فيها يشرح المسيح كيفية قيامته بالجسد وهذا تحقيق إلهي للقيامة(217).

29:11 **«وَفِيمَا كَانَ الْجُمُوعُ مُزْدَحِمِينَ، ابْتَدَأَ يَقُولُ: هذَا الْجِيلُ شِرِّيرٌ. يَطْلُبُ آيَةً، وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلاَّ آيَةُ يُونَانَ النَّبِيِّ».**

يلاحَظ هنا أن ق. لوقا لم يسجِّل سؤال الجموع مطالبين بآية لأنه سبق وألمح إليه في (16:11). أمَّا لماذا حكم المسيح على هذا الجيل أنه شرير فذلك بسبب طلبه آية، لأن هذا معناه أنه يرفض كلام المسيح وتعليمه ووضوح شخصيته كاستعلان لمجيئه من الآب. كذلك اعتبارهم قوته في إخراج الشياطين هي ببعلزبول وبهذا أهانوا روح الله مباشرة فخطيتهم باقية ولن تُغفر. لذلك كشف عن محاكمتهم يوم الدين أنهم سيكونون في العقاب أكثر، وسيكون أهل نينوى الذين تابوا بمناداة يونان هم قضاتهم. وفي إنجيل ق. مرقس يشدِّد المسيح على هذا القرار بقوله بصيغة الآمين أو بالحق الذي يُعتبر بمثابة قَسَم.

---

(217) Marshall, *op. cit.*, p. 483.

30:11 **«لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ آيَةً لأَهْلِ نِينَوَى، كَذلِكَ يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ أَيْضاً لِهذَا الْجِيلِ».**

هنا يوضّح ق. لوقا الكلام دون أن يفسِّره أو يشرحه، كما فعل ق. متى. إلاَّ أنه واضح جداً أن ق. لوقا يقصر الآية على كونها آية لأهل نينوى من جهة المناداة بالتوبة وقبولها. فهنا التطبيق واضح وبديع بالنسبة للمسيح، فالمسيح آية هذا الجيل بحد ذاته كمُنادٍ بالتوبة ـ مثل يونان لأهل نينوى ـ ولكن لم يقبلوه ورفضوه. لذلك فكل الإنذارات التي حملها يونان لأهل نينوى ولم تحل بهم لأنهم تابوا، ستصير لإسرائيل لأنهم لم يتوبوا. وهذا اتضح صِدْقُه في الحرب السبعينية التي قلبت أورشليم وأحرقت الهيكل وقتلوا الألوف وأُفرِغَتْ أورشليم من اليهود تماماً كعقاب حلَّ عليهم إزاء رفضهم مناداة المسيح.

ولكن، انتبه ق. متى لآية يونان بالنسبة للحوت وشَرَحَهَا، أمَّا القديس لوقا فقد أوضح أن الآية هي أيضاً مع أهل نينوى، والآية هي المناداة بالتوبة مع الإنذار فنجوا بالطاعة، فكان لهم آية خلاص لأنهم أطاعوا يونان. أمَّا إسرائيل فلم تسمع ولم تُطع لمناداة المسيح فتم عليها غضب الله ثمناً للعصيان العنيد الذي أبدوه لمناداة وإنذارات المسيح لهم. فكان المسيح آية دينونة لهم.

31:11 **«مَلِكَةُ التَّيْمَنِ سَتَقُومُ فِي الدِّينِ مَعَ رِجَالِ هذَا الْجِيلِ وَتَدِينُهُمْ، لأَنَّهَا أَتَتْ مِنْ أَقَاصِي الأَرْضِ لِتَسْمَعَ حِكْمَةَ سُلَيْمَانَ، وَهُوَذَا أَعْظَمُ مِنْ سُلَيْمَانَ ههُنَا».**

«تيمن»: nÒtoj
كلمة "تيمن" تعني الجنوب، وملكة التيمن هي ملكة سبا، ربما في اليمن.

هنا يتجه المسيح في إنجيل ق. لوقا إلى الناحية الإيجابية في السماع له عن اشتياق، بعد الناحية السلبية في السماع له عن اضطرار كأهل نينوى. فهنا ملكة التيمن التي سمعت فأطاعت صوت سليمان وحكمته عن بُعد فاستجابت وجاءت تراه وتسمعه عن قرب. أمَّا إسرائيل فرفضت السماع كلّية، مع أن المسيح أتى بحكمة وبمعجزات هامة أكثر وأهم وأعظم مما قاله سليمان، ولكنهم رفضوه ولم يسمعوا ولم يطيعوا وقتلوه. ومعنى أنها "ستدين هذا الجيل" هو أنها ستقف شاهدة ضده.

32:11 **«رِجَالُ نِينَوَى سَيَقُومُونَ فِي الدِّينِ مَعَ هذَا الْجِيلِ وَيَدِينُونَهُ، لأَنَّهُمْ تَابُوا بِمُنَادَاةِ يُونَانَ، وَهُوَذَا أَعْظَمُ مِنْ يُونَانَ ههُنَا!»**

هنا أراد القديس لوقا أن يرفع التوبة التي تابها أهل نينوى فوق مجرَّد سماع حكمة سليمان. وقد استرعت انتباه المسيح كيف أن شعباً أممياً يدخله نبي لا يعرفونه فيسمعون له ويطيعون بتوبة صادقة بالجلوس في التراب والرماد حتى إلى مستوى الملك نفسه، وهكذا تُعتق من الخراب الآتي عليها لأنهم سمعوا مناداة يونان وهو غريب عنهم. وإسرائيل ترفض مَنْ جاءها بمقتضى مئات النبوَّات على مدى التاريخ كله من نسل إبراهيم أبيهم، وهكذا يرفضون فتخرب البلاد برمتها: «هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً» (لو 13:25). ويرد التاريخ ويقول: آمين حقًّا كَمُل! وحقًّا قال فيهم موسى معبودهم بعد الله: «إنهم أُمة عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم. لو عقلوا لفطنوا بهذه وتأمَّلوا آخرتهم ... إن صخرهم باعهم والرب سلَّمهم!!» (تث 32: 28-30)

4 - النـــور والظـــلام

(36-33:11)

(مت 15:5، 22:6و23)
(مر 21:4)

هذا المثل يعطيه المسيح ليصلح لكل مناسبة، وقد سبق أن قاله في (16:8)، ولكن يقوله هنا بالنسبة لتعليمه الذي قاله في كل مكان جهاراً، وفي الهيكل كان يعلّمهم بكل صراحة ووضوح. إذن فالجهالة بالنور لا تعود على المصباح بل على العين العمياء التي أمامها نور وترى فيه ظلاماً. أمر قاسٍ جداً على قلب المسيح أن يقول أن ملكة التيمن جاءت من أقصى الأرض لتسمع سليمان وحكمته البشرية، دون أن يدعوها أحد إلاَّ شوقها أن تسمع الحكمة من أربابها، والمسيح وهو النور الحقيقي يتجاهلون تعليمه ويصادرونه في كل ما هو حق ونور وحياة. ولكن لا يتكلّم المسيح عن النور المرئي بل النور الحقيقي الذي يضيء القلب. والعين التي لا ترى النور الخارجي يهون أمرها، ولكن العين الشريرة لا تواجه النور الحقيقي وتحجز عن القلب الحق والحياة. فالذي يرفض كلام المسيح يرفضه عن علّة وشرّ في عينه الروحية. وحينما يقول عن النور أنه يوضع على منارة يقصد بها المكان العالي الذي يراه كل أحد. والمسيح في الحقيقة نور ومنارة، لأن النور الذي يلقيه المسيح يستمده من كيانه الإلهي العالي فوق أعلى السموات، وإن كان النور العادي حينما يُرفع على منارة يراه الناس من بُعد، فنور المسيح يخترق الحواجز ويضيء الأعماق ويكشف خبايا القلوب والأفهام. إذن فهل من عذر؟ ولكن الذي لا يرى نور المسيح يصبح حتماً ظلاماً. والمسيح هنا يتكلّم أيضاً عن تلاميذه كيف سيكونون نوراً للعالم حاملين شعلة المسيح بالروح القدس، وكيف ينيرون القلوب ويعلنون الحق والحياة.

أمَّا النور في مفهوم المسيح فهو نور الله، ونور الله في ذاته هو المعرفة الكلية أو المطلقة، وهي التي في جوهرها الحق الكامل أو المطلق. ومعرفة الله وحق الله هي بكاملها في المسيح يسوع. فالمسيح هو النور وهو الحق، ولمَّا أرسله الله متجسّداً أرسله ليوصل معرفة الله وحق الله لإنارة الإنسان. لذلك أصبح أن يعرف الإنسان المسيح يعرف الله، والذي يقبل الحق في المسيح يقبل الحق في الله: «لو كنتم قد عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً» (يو 7:14)، «ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني » (مت 40:10). «تعرفون الحق والحق يحرّركم» (يو 32:8)؛ حيث معرفة الحق هي معرفة الله وهي تُحرِّر الإنسان من كل ما هو ليس حقًّا، وأخطره الجهل بالله وهو العمى الذي يؤدّي إلى كل المعاصي والخطايا. ويعود المسيح ويقول: «فإن حرَّركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً (مستنيرين)» (يو 36:8)، لأن الابن كلي المعرفة وكلي الحق. فهو كلّي النور، فإذا أردنا أن ننزل بهذه المطلقات إلى الواقع الإنساني نجد "الحق" هو الصدق وهو الحب وهو الإيمان أي المعرفة بالله. لذلك يميِّز الله الإنسان بالعقل العارف المستنير القادر أن يميِّز الحق، لأن الإنسان أصلاً مخلوق على صورة الله ومطلوب منه بعد السقوط أن يعود مرَّة أخرى إلى صورة الله. والعقل الواعي بالحق هو في الإنسان الطاقة النيِّرة المفتوحة على الله. لذلك لمَّا جاء المسيح كان همُّه الأعظم أن يوصِّل الإنسان إلى معرفة الله ليعود إلى صورته الأُولى بمعرفة الحق عن طريق نور المعرفة المتحرِّرة من كل ما هو ليس حقًّا وما هو ليس من النور.

فإن كان الله هو النور وهو الحق، والمسيح أيضاً كذلك، كان الذي هو ليس نوراً وبالتالي ليس حقًّا، بمعنى غياب الله والمسيح كلية، يكون هو الضد لله والمسيح، والضد لمعرفة الله والمسيح، والضد للحق في الله والمسيح. وهذا الضد هو الشيطان القوة العقلية المظلمة السالبة المقاومة والمعاكسة لله والمسيح، وهو بالتالي الخالي كلية من نور الله والمسيح ومن حق الله والمسيح. لذلك نُعت الشيطان بسلطان الظلمة (لو 53:22 وكو 13:1)، «كذاب وأبو الكذّاب» (يو 44:8). وهكذا فالظلمة تعني غياب الله من نور وحق. والشيطان لأنه قوة عقلية (سالبة) فطريقه الوحيد للدخول إلى الإنسان ليوحي إليه بكل ما هو ليس نوراً أو حقًّا هو عقل الإنسان، ولكن أُعطي الإنسان قوة التمييز بين المعرفة الحقيقة والمعرفة الكاذبة، والحق والكذب.

بهذه المقدّمة يكون من السهل معرفة الآيات القادمة.

33:11و34 **«لَيْسَ أَحَدٌ يُوقِدُ سِرَاجاً وَيَضَعُهُ فِي خِفْيَةٍ، وَلاَ تَحْتَ الْمِكْيَالِ، بَلْ عَلَى الْمَنَارَةِ، لِكَيْ يَنْظُرَ الدَّاخِلُونَ النُّورَ. سِرَاجُ الْجَسَدِ هُوَ الْعَيْنُ، فَمَتَى كَانَتْ عَيْنُكَ بَسِيطَةً فَجَسَدُكَ كُلُّهُ يَكُونُ نَيِّراً، وَمَتَى كَانَتْ شِرِّيرَةً فَجَسَدُكَ يَكُونُ مُظْلِماً».**

هنا عين الإنسان الظاهرة تقابلها عين الإنسان الجوانية، وهي **الوعي** أو العقل الرائي أو الناظر. فمعنى العين البسيطة في الظاهر أن تكون على مستوى "الولد" الذي قال عنه المسيح: «إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات» (مت 3:18). وهنا "البسيطة" هي في الحقيقة الإيجابية التي تصدِّق الحق. أمَّا معنى العين بالمعنى الداخلي فهي قوة العقل الواعي التي يرى بها الحقيقة ويصدِّقها. مثل هذا الإنسان الذي له العين البسيطة جسده كله يكون نيِّراً، أي مفتوحاً على الحق يستمد منه كل وجوده وعمله ومشيئته: فرح، حب، سلام، ثقة، أمل، رجاء، بذل، خدمة، احتمال، صبر. أمَّا إذا كانت العين شريرة فهنا تتضح القوة السالبة، يعني القوة المضادة للمعرفة الصادقة والحق. وبالتالي يكون الجسد مساقاً في الاتجاه السلبي تحكمه النزعات الشريرة: البغضة والعداوة والنقمة والحزن واليأس والشك والخوف والرعبة وعدم الاحتمال.

وهنا يجدر بنا عزيزي القارئ أن نبني قوة العقل والتمييز عندنا بالقراءة في الإنجيل بمداومة، وطلب معونة النعمة لتكشف لنا الحق في الإنجيل، فهو الموصِّل لله والمسيح، والذي يبني فينا قوة التمييز بين الحق والباطل وبين أقوال وأعمال النور وأقوال وأعمال الظلمة. فنضمن أن الجسد بكل أعضائه يخضع لمشيئة النور والحق ولا تخرج أعضاؤنا عن حدود نعمة الله الحارسة.

35:11 **«اُنْظُرْ إِذاً لِئَلاَّ يَكُونَ النُّورُ الَّذِي فِيكَ ظُلْمَةً».**

إن مصدر النور في الإنسان هو الله والمسيح عن طريق العقل الواعي الذي استنار فيه التمييز بين الحق والباطل والنور والظلمة بواسطة الإنجيل. فإذا فقد عقل الإنسان الواعي اتصاله بمصدر النور والحق يظلم ولا محالة ـ ويكون كأنك حكمت على نفسك بالحياة في ظلمة هذا الدهر. لذلك، فإن أعظم مصيبة يُبتلى بها الإنسان أن يكون مصدر الفكر والتمييز فيه لا علاقة له بالنور والحق في مصدرهما السمائي: الله والمسيح والإنجيل. هكذا يصبح عندك النور ظلاماً.

36:11 **«فَإِنْ كَانَ جَسَدُكَ كُلُّهُ نَيِّراً لَيْسَ فِيهِ جُزْءٌ مُظْلِمٌ، يَكُونُ نَيِّراً كُلُّهُ، كَمَا حِينَمَا يُضِيءُ لَكَ السِّرَاجُ بِلَمَعَانِهِ».**

هنا استطاع العالِم مانسون(218) بمساعدة الترجمة الأرامية الاجتهادية لهذه الآية للعالِم C.C. Torrey إدراك العلّة في وضع هذه الآية غير المفهوم. إذ رأى أن الجزء الثاني من الآية: **«يكون نيِّراً كلّه»** فيه

(218) T.W. Manson, *The Sayings of Jesus,* London, 1949, p. 94.

كلمة "كلّه" لا تعود على الجسد بل على الحياة والعالم من حوله كله. فتكون الترجمة الصحيحة للآية هكذا: «فإن كان جسدك كلّه نيِّراً وليس فيه جزء مظلم يكون الكلُّ (العالم كله) نيِّراً (حولك) كما حينما يضيء لك السراج بلمعانه» وهذا أمر صادق وحقيقي للغاية، فحينما يكون المصدر الذي يغذّي الجسد بالمعرفة والمشيئة نيِّراً يصبح الجسد كله ـ أي أعضاء الجسد خارجه وداخله ـ منطبعة بطابع النور بالمعرفة والحق والقداسة. وهنا استطاع المسيح أن يخرج النور الذي التقطه الإنسان من كلمة الحياة في الإنجيل من الداخل إلى الخارج. فاستنارة الإنسان الداخلية بنور الكلمة تشع من خارجه وتملأ الحياة حوله بالنور، فيرى كل شيء حسناً وجميلاً ولا يعثر ولا يتأذّى بشيء.

وهذا الشرح جيد جداً للإنسان الذي يعيش في أوساط صعبة وتقابله عثرات ومقاومات، إذا رجع للإنجيل دائماً وانفتح قلبه لكلمات الحياة وأنارت نفسه من الداخل، فإنه يرى كل العقبات قد زالت وكل المقاومات هانت، والأعداء انفتح وعيه عليهم ليقبلهم كأصدقاء فتختفي العداوة ويعود الإنسان سعيداً بنفسه، سعيداً بحياته، سعيداً بإلهه!!

ولكن إذا أخذنا الآية بوضعها الحالي دون تغيير يمكن شرحها بأنه إذا كان العقل الواعي للإنسان مستنيراً بنور المسيح فإنه يجعل الجسد كله نيِّراً: «قومي استنيري لأنه قد جاء نوركِ ومجد الرب أشرق عليكِ. لأنه ها هي الظلمة تغطّي الأرض والظلام الدامس الأمم. أمَّا عليكِ فيشرق الرب ومجده عليكِ يُرى.» (إش 60: 1و2)

5 ـ مواجهة رياء الكتبة والفرِّيسيين

(54-37:11)

(مت 23: 2-36)
(مر 12:38-40)
(لو 20: 45-47)

يبدأ هنا الفرِّيسيون انتقاد المسيح لكونه لا يخضع لعاداتهم في التطهيرات بالغسيل لكل شيء. والأمر وإن بدا بسيطاً وفردياً ولكن خطورة العادات التي جعلوها قوانين بدأت تثقّل على الشعب حتى لم يعد يحتملها، وكأنه قد أصبح للفرِّيسيين دينٌ آخر غير اليهودية والناموس، لدرجة الابتعاد عن الله، ثم نصَّبوا أنفسهم حُرَّاساً لمبادئ وفتاوٍ فرضوها على الناس. وهنا ابتدأ المسيح يهاجمهم، فأعطى الويل لست حالات: الويل لثلاث حالات أصحابها فرِّيسيون وثلاث لكتبة على وجه

الخصوص. ولقد رثى المسيح الفرّيسيين الذين وضعوا أنفسهم بأنفسهم تحت الدينونة، إذ وضعوا ناموساً لهم يتعلّق بالأمور والأشياء الظاهرة من جهة الطهارة، وتهاونوا وتجاهلوا الطمع والشح في داخلهم ويعوّضونه بالصدقة الظاهرة، واهتمامهم الشديد بتوافه الأمور والأشياء مع تجاهل الحق والعدل والرحمة والمحبة التي كان ينبغي أن تتصدَّر اهتمامهم. وامتلأوا كبرياءً وجعلوا أنفسهم شيئاً عظيماً كمعلّمين ذوي اختصاص. هذه كلها حسبها لهم المسيح كخطايا سيحاسبون عليها. وبهذا أضلُّوا الشعب الذي اعتقد فيهم الكمال وهم غير أكْفَاءٍ في كل ما لهم.

والكتبة ولو أنَّهم لا يصابون من هذا كثيراً، إلاّ أنه كانت لهم نقائصهم. فشرحهم للناموس واستخراج الفتاوي جعلت الناموس غير قابل للاستيعاب والتنفيذ، وظلُّوا مثل آبائهم الذين قاوموا الأنبياء ولم يُقبلوا على تعاليمهم وقتلوهم، وجاء هذا الجيل ليدفع ثمن إجرام آبائهم. ادَّعوا أن مفتاح تعاليم معرفة الله الحقة في أيديهم ولكنهم لا دخلوا هم ولا جعلوا الداخلين يدخلون. وطبعاً بعد هذا التحليل الخلقي وإظهار عيوبهم وعوار تديّنهم لن يكون لهم سلام عند المسيح. هذا هو القسم الذي اجتهد ق. لوقا وجمعه لهم خصيصاً، ولكن يصعب جداً معرفة المصادر التي رجع إليها ق. لوقا في هذه الأوصاف والأعمال. أمَّا إنجيل ق. مرقس فاكتفى بما جاء في (مر 12: 38-40) الذي ذُكِرَ فيه شيئاً مما جاء في إنجيل ق. لوقا. والقديس لوقا أخذ من إنجيل ق. مرقس ما جاء عنده في (لو 46:20). كذلك يوجد عند ق. لوقا ما جاء في إنجيل ق. مرقس (1:7-9)، القسم الذي خصَّصه ق. مرقس عن التطهيرات.

37:11 **«وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ سَأَلَهُ فَرِّيسِيٌّ أَنْ يَتَغَدَّى عِنْدَهُ. فَدَخَلَ وَاتَّكَأَ».**

الترجمة الصحيحة: "وعندما انتهى من الكلام"(219).

والأكلات الرئيسية عند اليهود في أيام المسيح هي: الأكلة الأولى في أيام الأسابيع العادية ـ في الصباح وتُدعى باليونانية: "أريستون ¥riston" أي: "الإفطار"، وأكلة رئيسية في المساء (العشاء) de‹pnon". في حين أن الرومان كان عندهم بخلاف الإفطار أكلتان رئيسيتان وهما: الغذاء prandium والعشاء cena. أمَّا في يوم السبت فالأكلة الرئيسية عند اليهود بعد الخروج من المجمع في حوالي نصف النهار، مثل الأقباط تماماً يوم الأحد بعد الخروج من الكنيسة.

(219) I.H. Marshall, *op. cit.*, p. 493.

38:11 **«وَأَمَّا الْفَرِّيسِيُّ فَلَمَّا رَأَى ذلِكَ تَعَجَّبَ أَنَّهُ لَمْ يَغْتَسِلْ أَوَّلاً قَبْلَ الْغَدَاءِ».**
(لا بمفهوم النظافة بل بمفهوم التطهير).

طبعاً اندهاش الفرّيسي يرجع لأن الأمر عنده يتعلّق كله بالناموس، مع أنها من ترتيبهم. ولا يوجد في الناموس إلاَّ الاغتسال إن كان شيء من السوق. ولكن كان يسوع وتلاميذه لا يراعون هذه الترتيبات الفرّيسيَّة حتى ولو دخلوا بيت فرّيسي بنوع من إظهار عدم التبعية للأوضاع التي اخترعوها لأنفسهم. ولكن نحن نفهم أن الاغتسال قبل الأكل ضرورة من أجل النظافة فقط.

39:11 **«فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: أَنْتُمُ الآنَ أَيُّهَا الْفَرِّيسِيُّونَ تُنَقُّونَ خَارِجَ الْكَأْسِ وَالْقَصْعَةِ، وَأَمَّا بَاطِنُكُمْ فَمَمْلُوءٌ اخْتِطَافاً وَخُبْثاً».**

الملاحَظ هنا أن غسيل القصعة أي الصحن وغسيل الكأس لشرب الماء حسب التدبير الفرّيسي يكون من الخارج، بمعنى التطهير للشيء وليس بمعنى غسله، وهم لا يهتمون بما في داخله. وهذا الفكر يستوجب حتى على الإنسان نفسه فيغسل ما هو ظاهر كتطهير وليس كغسيل. حتى أن القصعة تصير طاهرة إذا غُسلت من الخارج وما بداخلها غير نظيف، كأن يكون مسروقاً أو مغتصباً، وبالتالي الإنسان، طالما هو متطهِّر من الخارج يكون طاهراً حتى ولو كان خبيثاً وشريراً. وهذا هو حال الفرّيسي تماماً: مغتسَل ومطهَّر خارجياً وملابسه مطهَّرة تماماً، أمَّا قلبه فمملوء خبثاً وشراً.

40:11 **«يَا أَغْبِيَاءُ، أَلَيْسَ الَّذِي صَنَعَ الْخَارِجَ صَنَعَ الدَّاخِلَ أَيْضاً؟»**

حينما يقول المسيح لهم: "يا أغبياء" فهو يقصد القصور عن فهم ما لله الذي هو اختصاص المسيح. فالمسيح هنا لا يقولها على مستوى الشتيمة؛ وإنما يكشف ما هو حقيقي. والقصد أن يراجع الفرّيسيين فيما لم يفهموه عن غاية التطهير في الناموس وهو أن يجعل الإنسان لائقاً بعبادة الله، فليس الخارج هو الذي يظهر لله بل الداخل للعارف بخفايا القلوب والضمائر. فالفخاري سوّى القصعة من الداخل والخارج، كذلك الخالق صنع داخل الإنسان وخارجه. فالمطلوب أولاً الداخل الذي لا يراه إلاَّ الله وحده. إذن أنتم تريدون أن تَظْهروا للناس في مستوى التقوى وقلوبكم ليست مع الله. أليس هذا هو الرياء إزاء الله؟

41:11 **«بَلْ أَعْطُوا مَا عِنْدَكُمْ صَدَقَةً، فَهُوَذَا كُلُّ شَيْءٍ يَكُونُ نَقِيًّا لَكُمْ».**

القصد بعيد المنال نوعاً ما. فالمسيح يعلّق على آية التوبيخ بإعطاء أمر يستطيع أن يجعلهم أنقياء

أمام الله؛ وهو أن يعطوا صدقة من أموالهم وحينئذ تصبح قلوبهم نقية من الجشع والطمع وحب الظهور. هذا هو الذي يجعلكم أنقياء في عين الناس والله ولا يعود غسيلكم وتطهيركم من الخارج بذات قيمة. ولو شرحناها على مستوى القصعة والكأس نقول: لو أردتم أن تطهّروا القصعة حقيقة والكأس أيضاً أعطوا ما فيها للفقير والمحتاج صدقة وهي تصير نقية في عين الله. وجمال القول الذي قاله المسيح يظهر جداً للقارئ إذا علم هذين الفعلين بالأرامي: يغسل ويتصدَّق: يغسل dakki ويُعطي صدقة zakki. فلهذا جاءت في الترجمة غير مفهومة لأن هذا هنا لعب بالألفاظ لتصير مثلاً وقاعدة: بدل أن تغسل زكّي، من الزكاة.

42:11 **«وَلكِنْ وَيْلٌ لكُمْ أَيُّهَا الْفَرِّيسِيُّونَ، لأَنَّكُمْ تُعَشِّرُونَ النَّعْنَعَ وَالسَّذَابَ وَكُلَّ بَقْلٍ، وَتَتَجَاوَزُونَ عَنِ الْحَقِّ وَمَحَبَّةِ اللهِ. كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَعْمَلُوا هذِهِ وَلاَ تَتْرُكُوا تِلْكَ!».**

جمع المسيح هنا التوافه التي شغل الفرّيسيون بها أنفسهم يتلهُّون بها لكي لا تستيقظ ضمائرهم عن كبائر الخطايا ضد الناموس. فالمسيح هنا انتقل (في إنجيل ق. لوقا) من غسيل الأواني من الخارج إلى التدقيق في إعطاء العشور بالنسبة لتوافه المِلْكيات، وأمامها أهملوا أعظم الوصايا.

هنا ذكر المسيح ثلاثة أعشاب تنمو في الحقل وربما حديقة الدار: النعنع *Mentha piperata* والسذاب *Ruta graveolens* وكل بقلٍ ذكرها بالاسم في اليونانية: l£canon وهو عشب وليس بقلاً. وإنجيل ق. متى ذكر أسماء أخرى مثل الشّبث والكمون. والقصد هو توبيخهم على الاهتمام الشديد بالوصايا التي ليس فيها صعوبة ولا قيمة مادية تُذكر أمام وصايا عظمى، إهمالها يؤدّي إلى جهنم. علماً بأن تعشير هذه الأعشاب هو في الناموس الشفاهي، في حين أن الوصايا العظمى هي روح الديانة كلها. ولكنه يضيف: «كان ينبغي أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك» لكي لا يكون الإنسان مُحالاً أن يترك الوصايا الصغرى التي وضعها الله بعد الكبرى.

43:11 **«وَيْلٌ لكُمْ أَيُّهَا الْفَرِّيسِيُّونَ، لأَنَّكُمْ تُحِبُّونَ الْمَجْلِسَ الأَوَّلَ فِي الْمَجَامِعِ، وَالتَّحِيَّاتِ فِي الأَسْوَاقِ».**

المجلس الأول في المجامع prwtokaqedr…an ـ للأسف ورثتها الكنيسة وجعلتها رسمياً بالدرجة لذوي النفوذ في الكنيسة والأغنياء وأصحاب السلطة، وكأن الكنيسة مؤسَّسة سياسية ولا خشية من الله والإنجيل. والمسيح يندّد بهذه الأخطاء الخارجة عن معنى العبادة والتديُّن والانتساب للمسيح بالنسبة لتلاميذه أيضاً: «الأصغر فيكم جميعاً هو يكون عظيماً» (لو 48:9)، «ومَنْ أراد أن يكون

فيكم أولاً فليكن لكم عبداً» (مت 27:20). لا غصباً ولا تعنيفاً، ولكن أصحاب الإيمان المسيحي يتسابقون على الأصغر والأقل ويتهرَّبون من الأعظم والأول والأمجد. ولكن هل يوجد إيمان على الأرض؟ وبماذا يعرفون الإنسان المسيحي إلاَّ بإنكار الذات واختيار النصيب الأصغر والأقل، والاعتذار عن التظاهر والأماكن الأولى والعالية. كان فرعون في زمانه يدعونه صاحب الباب العالي وهي الترجمة الحرفية لكلمة فارعون فهي أصلاً: **"فا"** يعني صاحب **"را"** يعني باب **"أو"** يعني: "عالٍ". فاختزلوها الآن وصارت صاحب المعالي، واختزلوها جداً إلى كلمة السيد دون أن يدروا أن سيد يعني "رب". وسيظل داء التعالي لاصقاً بالإنسان منذ أن تعالى على وصية الله. ولكن المسيحي الحق هو مَنْ تشبَّه بسيده وأخلى ذاته من كل ما يميِّز الإنسان، لأن هذا هو سر الخلاص الذي أكمله المسيح بأن أخلى ذاته من كل ما يميِّزه كإله وكإنسان إذ أخذ شكل العبد. فإن إخلاء الذات مما يكرِّمها ويعظِّمها لهو أصعب عمل يمكن الإنسان أن يتقنه، علماً بأن كل محاولة لإعلاء الذات هي من صفات الملاك الساقط: «كيفَ سقطتِ مِنَ السماء يا زُهَرَة بنت الصبح. كيف قُطِعْتَ إلى الأرض يا قاهِرَ الأمم. وأنتَ قُلتَ في قلبكَ أصعَدُ إلى السموات أرفع كُرسِيِّ فوق كواكب الله ... أصعَدُ فوق مرتفعات السحاب، أصيرُ مثل العليِّ، لكنكَ انحدرتَ إلى الهاويةِ إلى أسافل الجُبِّ ... كجثَّةٍ مدوسةٍ» (إش 14: 12-15و19). ويُلاحِظ القارئ أن الشيطان في محاورته مع الإنسان يسلِّمه صفاته: «تكون كالله.» (تك 5:3)

44:11 **«وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ، لأَنَّكُمْ مِثْلُ الْقُبُورِ الْمُخْتَفِيَةِ، وَالَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَيْهَا لاَ يَعْلَمُونَ!»**

الكتبة هم بمثابة دكاترة القانون، والفرِّيسيون بمثابة المحامين والقضاة. الأولون يشتغلون بالناموس شرحاً وتعليماً، والآخرون يدافعون عن الأصول الناموسية ويقضون على المخالف. هنا يشبِّههم المسيح بالقبور المختفية، مما يفيد في مفهوم الناموس مخازن نجاسة مخفية عن أعين الناس. والقديس متى يضيف أنهم يشبهون القبور المبيَّضة، تظهر جميلة من الخارج وهي من الداخل مملوءة كل نجاسة وعظام أموات. بمعنى أن أخلاقهم وأعمالهم من الداخل فاسدة فساد الموت. والقديس لوقا حينما قال: "مختفية" يقصد دواخل القلب والنفس. من الخارج جيد ومن الداخل رديء. فهم يخفون طباعهم التي لا تخفَى عن المسيح، فأعطاهم الويل كديَّان العدل الذي يكشف أستار القلوب.

45:11 **«فَأَجَابَ وَاحِدٌ مِنَ النَّامُوسِيِّينَ وَقَالَ لَهُ: يَا مُعَلِّمُ، حِينَ تَقُولُ هذَا تَشْتُمُنَا نَحْنُ أَيْضاً».**

النّاموسيون هم الكتبة المشتغلون بالناموس lawyers = ...nomiko ؛ ولكنهم يعتبرون أيضاً من الفرّيسيين. الواقع أن اعتراض هذا الناموسي نوع من المداعبة. لأن الكلام واضح أنه يقصد به كل طبقة المشتغلين بالناموس. وكأنه يريد أن يقول: وما هو نصيبنا نحن من الويلات عندك. لأنه من الواضح أن المسيح كان يهاجم ولكن بلطف شديد ورقة وفي حدود الآداب العامة في التخاطب، ولكنهم انتهوا بالاتحاد في إظهار رفضهم وثورتهم عليه.

46:11 **«فَقَالَ وَوَيْلٌ لَكُمْ أَنْتُمْ أَيُّهَا النَّامُوسِيُّونَ، لأَنَّكُمْ تُحَمِّلُونَ النَّاسَ أَحْمَالاً عَسِرَةَ الْحَمْلِ وَأَنْتُمْ لاَ تَمَسُّونَ الأَحْمَالَ بِإِحْدَى أَصَابِعِكُمْ».**

تصوير قدير من المسيح على اجتهاد الناموسيين في تقنين وشرح تفرعاته التي تزيد من ثقل الواجب المفروض على الإنسان حتى يُظهر عدم القدرة على تنفيذه، وفي نفس الوقت لا يُبْدون أي معونة لمساعدة الناس على حفظه وتتميمه. وهذا هو الذي صرخ منه ق. بطرس أمام المجمع: «فالآن لماذا تجرِّبون الله بوضع نير (الناموس) على عنق التلاميذ لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن نحمله» (أع 10:15). وهذا الاتهام ينطبق أيضاً على الفرّيسيين الذين يعظون بضرورة وأهمية الناموس وتأديته بدقة وهم لا يعملون به.

أمَّا بالنسبة للتعليم المسيحي بمبادئ ووصايا وتعاليم الرب، فالكنيسة جعلت القدوة والتسليم العملي بالخدمة هي الأساس الأول بالنسبة لتعليم الإنجيل، معتمدة اعتماداً كبيراً على أعمال الآباء وسيرتهم العملية أكثر من التعليم الشفاهي. وبذلك حُفظ تقليد الكنيسة عبر الأجيال.

47:11و48 **«وَيْلٌ لَكُمْ لأَنَّكُمْ تَبْنُونَ قُبُورَ الأَنْبِيَاءِ، وَآبَاؤُكُمْ قَتَلُوهُمْ. إِذاً تَشْهَدُونَ وَتَرْضَوْنَ بِأَعْمَالِ آبَائِكُمْ، لأَنَّهُمْ هُمْ قَتَلُوهُمْ وَأَنْتُمْ تَبْنُونَ قُبُورَهُمْ».**

الكلام هنا موجَّه لكل السامعين من الجمع، لأن الذين يبنون قبور الأنبياء الذين قتلهم آباؤهم يُقرُّون عملياً أنهم أبناء قتلة الأنبياء. هنا يمر المسيح مروراً سريعاً على عادة بناء القبور وتزيينها أنها عمل يتنافى مع القاعدة: «دع الموتى يدفنون موتاهم وأمَّا أنت فاذهب ونادِ بملكوت الله.» (لو 60:9)

49:11 **«لِذلِكَ أَيْضاً قَالَتْ حِكْمَةُ اللهِ: إِنِّي أُرْسِلُ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَ وَرُسُلاً، فَيَقْتُلُونَ مِنْهُمْ وَيَطْرُدُونَ».**

بمعنى أن الله أرسل لهم الأنبياء والرسل، فعوض أن يسمعوا كلمة الله التي جاءوا بها وينتفعوا، قاموا عليهم وعذّبوهم وقتلوهم (إشعياء النبي نشروه بمنشار خشب)، وجاء هذا الجيل ليكرِّم قبورهم

وأجسادهم، ولكن أيضاً شاركوا آباءهم في عدم العمل بوصاياهم أو احترام كلامهم. وكأنما هم يكمّلون العمل الذي عمله آباؤهم الذين لم يسمعوا لهم وقتلوهم، وها هم لا يسمعون كلام المسيح الذي سبق وتنبأ به جميع الأنبياء الذين قتلوهم. فهم ليسوا أفضل من آبائهم القتلة. وقال هذا الكلام نحميا النبي: «وعصوا وتمرَّدوا عليك وطرحوا شريعتك وراء ظهورهم وقتلوا أنبياءك الذين أشهدوا عليهم ليردوهم إليك وعملوا إهانة عظيمة» (نح 26:9). وهذا الكلام عينه ينطبق على جيل المسيح الذي أهان ليس الأنبياء وحسب؛ بل أهانوا العلي بفعلهم الذي فعلوه في ابنه الذي أرسله إليهم ليخلّصهم.

أمَّا قوله قالت حكمة الله فجاء في إنجيل ق. متى من فم المسيح مباشرة: «لذلك ها **أنا** أرسل إليكم أنبياء ...» (مت 34:23)، فهنا الحكمة هي المسيح بتعبير مستتر.

50:11 **«لِكَيْ يُطْلَبَ مِنْ هذَا الْجِيلِ دَمُ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ الْمُهْرَقُ مُنْذُ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ».**

هذا الأمر مرعب للغاية، والآن فقط ننتبه إلى عظم الشر الذي اقترفه هذا الجيل من إسرائيل المعاصر للمسيح. فمن هذه الآية يتضح لنا أن دم المسيح الذي سفكوه سيُطلب ليس وحده بل مع دم جميع الأنبياء الذين قتلوهم منذ إنشاء العالم. وهنا نفهم أن دم النبي الذي تنبأ عن مجيء المسيح، أيّ نبي في القديم، يُحسب مضافاً على دم المسيح، لأنهم قتلوهم بسبب تنبؤهم عن المسيح. وهذا يعني أن المسيح يتحمَّل مسئولية سفك دمائهم. من أجل ذلك انضم إلى جريمة قتل المسيح جرائم جميع الذين قُتلوا من أجل المسيح ليُسأل عنها جيل حنَّان وقيافا. لذلك لا نندهش كيف لا يزال اليهود يتألَّمون في العالم بلا مُعزٍّ. إنه أمر خطير للغاية.

51:11 **«مِنْ دَمِ هَابِيلَ إِلَى دَمِ زَكَرِيَّا الَّذِي أُهْلِكَ بَيْنَ الْمَذْبَحِ وَالْبَيْتِ. نَعَمْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يُطْلَبُ مِنْ هذَا الْجِيلِ!».**

زكريا المذكور هنا كان رئيس كهنة وكان نبيًّا أيضاً يعظ عن البر، وقد أمر الملك برجمه بالحجارة في داخل بيت الرب، وهذا يمكن الرجوع إليه في (2أي 24: 20-22). وهذه الجريمة يذكرها المسيح هنا لشدَّة بشاعتها بواسطة آبائهم، وذُكرت في التلمود يحوطها الحزن والفزع. فدم الشهداء لا يجف في نظر الله ويظل يشتكي (رؤ 10:6). وهذه الجريمة تسبَّبت بعد ذلك في السبي الذي قام به نبوخذناصر والكلدانيون، إذ أخذوا الهيكل ولم تُقدَّم الذبيحة بعد ذلك إلى أن توقَّف غضب الله. وقد دفنوا زكريا هذا في قبر ضمن أربعة قبور كبيرة على جبل الزيتون. ومعروف أن دم هابيل ذهب يشتكي أمام الله (تك 1:4). والمعروف أيضاً أنه لا يزال يتكلَّم (عب 2:11). ويبدو أن المظلومين

والذين عانوا ضيقاً عظيماً مع الشهداء لهم مكانة كبرى لدى الله في السماء، إذ كأنما اسم الله والمسيح الذي شهدوا له وماتوا بسببه يتولّى التعويض لهم بأفخر ما في السماء وعند الله والمسيح. ولسان حال المظلوم دائماً: «حقّي عند الرب» (إش 4:49)!! وأنين المظلومين يُسمع في السماء.

52:11 **«وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا النَّامُوسِيُّونَ، لأَنَّكُمْ أَخَذْتُمْ مِفْتَاحَ الْمَعْرِفَةِ. مَا دَخَلْتُمْ أَنْتُمْ، وَالدَّاخِلُونَ مَنَعْتُمُوهُمْ».**

كان جيل المسيح جيلاً قلقاً أحس معظم الأتقياء فيه بلهفة نحو تحقيق وعود الله. ويظهر أن كثيرين اتجهوا إلى الفرّيسيين والناموسيين دكاترة الناموس يستفسرون ويسألون، متلهّفين على معرفة ما يدور حولهم وعن رسالة يسوع الناصري التي طالما سمعوها. وأرادوا معرفة اليقين من أهل اليقين فأضلُّوهم ومنعوهم من اتباعه أو السماع لأقواله. ومن قصص التلمود الشيء الكثير الذي يشهد على هذا القلق في تلك الأيام، وتسرَّبت لنا في تحقيقات ق. لوقا عيِّنات صادقة تشهد على هذه اللهفة نحو معرفة الجاري أيام المسيح من الذين استطاعوا أن يستلهموا بروحهم مجيء المسيَّا كحنة النبية وسمعان الشيخ. ونعرف أن حنة ظلّت 84 سنة مداومة في الهيكل بالصوم والصلاة. فلمَّا دخلوا بيسوع الطفل إلى الهيكل عرفوه ومجَّدوا الله إذ رأوا الخلاص الذي عاشوا يتمنُّونه ويترجُّونه فوجدوه بل لمسوه، وانطلقوا إلى الملكوت الذي حلموا به كل هذه السنين!!

المسيح هنا يكشف هذه المأساة الكبرى أن الشعب أحسَّ وطالب بالمعرفة فمنعوها عنه. كان أفراد الشعب يتحقّقون من كلام المسيح الحق، وإذ بالفرّيسيين يزيّفونه ويمنعونهم بالسلطان الذي لهم. ومفتاح المعرفة هنا هو سر ملكوت الله القائم في جميع الأنبياء وبالأخص في أيام المسيح. وفي إنجيل ق. متى جعلها: «تغلقون ملكوت السموات قدَّام الناس فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون» (مت 13:23). وغالباً المفتاح والغلق والفتح هو يختص بما ورثوه وتعلّموه وانتهوا إليه من حقائق المسيَّا، فلمَّا جاء أخفوا هذه الحقائق عن الناس فلا دخلوا ولا جعلوا الناس يدخلون. وهذا يكشف عن نوع من الاستبداد مريع، فالشعب تعرَّف على المسيح فعلاً ولكن هؤلاء الثلاثة: الكتبة والناموسيون والفرّيسيون تضافروا معاً ليمنعوا الشعب من الإيمان به باستخدام سلطان الحرم والقطع. فالمفتاح الذي عندهم واضح الآن أنه معرفة الزمان والمكان، وقياساً على النبوات يتضح الميعاد ويتضح الملكوت؛ ولكنهم أغلقوه. فإذا أراد القارئ برهان هذا الكلام فليقرأ قصة المولود أعمى وكيف راوغوا وافتروا على الحق لكي لا يؤمنوا ولا يؤمن الرجل الأعمى الذي فتح المسيح عينيه. إنها مأساة الإنسان، بل مأساة التاريخ كله!!

53:11 **«وَفِيمَا هُوَ يُكَلِّمُهُمْ بِهذا ابْتَدَأَ الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ يَحْنَقُونَ جِدًّا، وَيُصَادِرُونَهُ عَلَى أُمُورٍ كَثِيرَةٍ».**

«يحنقون جداً»: deinîj ™nšcein
العبارة اليونانية تعطي مفهوم الحقد المرعب fearfully بعداوة شديدة. وكلمة يصادرونه أيضاً تعني محاولة اصطياده من قول يقوله ولكن بخبث في أمور لم يذكرها ق. لوقا.

54:11 **«وَهُمْ يُرَاقِبُونَهُ طَالِبِينَ أَنْ يَصْطَادُوا شَيْئاً مِنْ فَمِهِ لِكَيْ يَشْتَكُوا عَلَيْهِ».**

يبدو أن المسيح غادرهم وظلوا هم يتربَّصون به ويراجعون كل ما يقوله لعلَّهم يجدون مأخذاً ليشتكوا عليه. يا ويل الإنسان إذا خاصم ربَّه، تَنْعَمي بصيرته ويبحث عن خطأ لله يمسكه عليه!!

الأصحاح الثاني عشر:

(د) الاستعداد للضيقة القادمة
(21:13-1:12)

هذا هو القسم الرابع وهو يختص بتعاليم للتلاميذ والبعض منها للجميع، وينقسم إلى عدة أقسام:

1 ـ تعليم للشهادة والاستشهاد
(12-1:12) (مت 10:26-33، 19و20)

هذا القسم موجود في إنجيل ق. متى (10:26-33) إنما بدون الآية (10) فهي مذكورة في (مت 12:32)، والكلام موجَّه في إنجيل ق. متى نحو التلاميذ كوصايا للإرسالية، ويضيف إليها ق. لوقا نصيحة دائمة للاحتراس من رياء الفرِّيسيين الذين يضمرون شيئاً ويتكلَّمون بشيء آخر.

والتعاليم هنا في جملتها موجَّهة للكنيسة لتقوم برسالتها بعد قيامة المسيح من الأموات. والمسيح هنا يشير إلى مستقبل الأيام حينما يصير ما هو خفي أو تحت ستار الآن ظاهراً ومستعلناً، ويقصد به سر المسيَّانية الذي كان يحاول المسيح إخفاءها أنها ستظهر وتُستعلن، وحينئذ تبتدئ الآلام والاضطهادات بالنسبة للتلاميذ والمؤمنين به. وهو يدعو تلاميذه أن يُظهروا سرَّه دون خوف أو رياء ومهما حدث لا ينبغي أن ينكروه. ويصرِّح المسيح أنه لن

يكون معهم حينئذ، ولكن عناية الله سترافقهم إلى الدرجة التي يرعى فيها الله حياتهم حتى إلى شعرة واحدة من رؤوسهم (الآية 7، 18:21). على أن الروح القدس الذي سيرسله المسيح لهم سيؤازرهم لكي يعطوا اعترافاً به، الأمر الذي تمَّ بالحرف الواحد ونقرأه في سفر الأعمال: «وإذ ارتفع بيمين الله وأخذ موعد الروح القدس من الآب سكب هذا الذي أنتم الآن تبصرونه وتسمعونه» (أع 33:2). ونبرة تعليم المسيح لتلاميذه تتراوح بين التشجيع والتحذير، وقد شدَّد المسيح على التحذير من الرياء بالنسبة لتلاميذه لئلاً -

تحت أثر الخوف من الناس ـ ينكروا المسيح في الظاهر، فهذا لا يُغفر.

1:12 «**وَفِي أَثْنَاءِ ذلِكَ إِذِ اجْتَمَعَ رَبَوَاتُ الشَّعْبِ، حَتَّى كَانَ بَعْضُهُمْ يَدُوسُ بَعْضاً، ابْتَدَأَ يَقُولُ لِتَلاَمِيذِهِ: أَوَّلاً تَحَرَّزُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَمِيرِ الْفَرِّيسِيِّينَ الَّذِي هُوَ الرِّيَاءُ**».

الحاصل هنا أن المسيح ابتدأ يعلّم تلاميذه عن أمور آتية حتماً، بينما الجموع تحيط به وتسمع وتتعلّم. أول تعليمه كان التحذير من الرياء الذي أصبح يُفهم لدينا الآن بأنه هو إخفاء حقيقة النفس ثم الظهور بمظهر آخر، وبالنسبة لتلاميذه وكل المؤمنين يعني إزاء الخوف ننكر المسيح وإذا لم يكن هناك ما نخافه نعلن إيماننا. وهذه الآفة الخلقية لا تزال تعمل عملها في كثير من المؤمنين حتى الآن، وربما تنتهي بتغيير الاسم أيضاً أو إعطاء أسماء للأولاد لا تَظْهر أنها مسيحية، وهذا معناه أننا سهَّلنا لهؤلاء الأولاد ـ وبعد ذلك الرجال ـ استخدام الاسم غير المسيحي لعدم المجاهرة بالإيمان بالمسيح. وهكذا يتضح لنا لماذا جعل المسيح أول درس لتلاميذه أن يتحرَّزوا من رياء الفرِّيسيين الذين يَظْهَرون للناس أبراراً وأتقياء وهم في الداخل مستبيحون وأشرار.

2:12 «**فَلَيْسَ مَكْتُومٌ لَنْ يُسْتَعْلَنَ، وَلاَ خَفِيٌّ لَنْ يُعْرَفَ**».

هنا النفي مغلّظ "ليس لن" كما يقولون نفي النفي إثبات. فهنا يشدّد المسيح تشديداً أن ما يُخفى عن الناس سوف يُستعلن بواسطة الله ولكن جهاراً، كذلك كل ما قلته لكم سرًّا فيما يخص سر المسيَّا سوف يُعلن جهاراً. هنا يحضّ المسيح على العلانية قولاً وفكراً فيما يخص اسمه وعمله والملكوت الذي كشف أسراره لهم. كما يحضّ على نقاوة القلب والضمير حتى يصير قول التلاميذ مطابقاً لما يضمرونه، فتصير خدمتهم وحياتهم مطابقة، وسلوكهم أمام الناس لا يعيبه أحد أو يؤاخذهم إنسان كبير أو صغير، فيقولون الحق الذي يؤمنون به دون خوف أو إخفاء. وهذا يُحسب دعامة قوية من دعائم أخلاق الخادم أو المبشّر. كما يرتاح الحق الإلهي في القلب والضمير الذي يصون صدقه ويصون كرامته بشجاعة تضيف على الإيمان قوة التصديق. فالكارز الذي يقول الحق كما يضمره، يسمعه الناس بشغف ويطيعه الفكر والقلب دون شك.

3:12 «**لِذلِكَ كُلُّ مَا قُلْتُمُوهُ فِي الظُّلْمَةِ يُسْمَعُ فِي النُّورِ، وَمَا كَلَّمْتُمْ بِهِ الأُذْنَ فِي الْمَخَادِعِ يُنَادَى بِهِ عَلَى السُّطُوحِ**».

كلمة "لذلك" في اليونانية كما هي هنا في العربية تُحمِّل هذه الآية على سابقتها بانسجام، في ما

يُسْمَع ويُقال في الخفاء يتحتَّم أن يُعلن في النور. والقصد الأساسي أن لا يكون للكارز أو الخادم أسرارٌ يخفيها عن السامعين، ولا مبادئ أو تعاليم تُقال في الخفاء ويخشى استعلانها للناس. هذا ضعف وجبانة في الخادم، فالخادم الشجاع بالحق والمتكل على الإيمان الصادق كلامه كله علانية وليس عنده ما يخشاه أو يخاف أن يعلنه لأنه صاحب حق ومُعَان بالحق.

كذلك يشدِّد المسيح بتلميح واضح أن "كل التعاليم التي سمعتموها مني قبل الصليب يتحتَّم أن تُذاع بعد القيامة". فالمسيح قلق على الخدمة بعد انتهائها على الأرض، فهو يحاول أن يجعل التلاميذ أداة قوية ثابتة لا تتزعزع أمام المخاوف والاضطهادات لإذاعة رسالة الإنجيل والمناداة بالملكوت والخلاص.

4:12 **«وَلكِنْ أَقُولُ لَكُمْ يَا أَحِبَّائِي: لاَ تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ، وَبَعْدَ ذلِكَ لَيْسَ لَهُمْ مَا يَفْعَلُونَ أَكْثَرَ».**

هنا رجعة لحساب الآية السابقة، وهنا «يا أحبائي» يخاطب بها تلاميذه الذين صاروا مؤتمنين على كل ما يخص المسيح، يحذّرهم من الخوف أو الجزع إزاء الملمَّات والتهديد بالموت لأنه أعطاهم في السابق وصية العلانية. والكلام عن المسيح والخلاص علانية سينشئ عداوة واحتكاكاً وربما وقوفاً للمحاكمة بل وربما القتل. إذن فليحذروا من الخوف لئلاَّ يضيِّعوا الإيمان ويفلت منهم زمام الحق وتخور نفوسهم إزاء الشهادة بشجاعة. فالآن يشرح لهم أن أي اضطهاد مهما بلغ من الشدَّة والشناعة فهو لن يكون أكثر من قتل الجسد، أمَّا النفس والروح فهي باقية وقائمة ودائمة عند الله تنال جزاءها الحسن. وهناك قول مأثور يقول: "ماذا يهم الشاة بعد ذبحها".

5:12 **«بَلْ أُرِيكُمْ مِمَّنْ تَخَافُونَ: خَافُوا مِنَ الَّذِي بَعْدَمَا يَقْتُلُ، لَهُ سُلْطَانٌ أَنْ يُلْقِيَ فِي جَهَنَّمَ. نَعَمْ أَقُولُ لَكُمْ: مِنْ هذَا خَافُوا!».**

"بل" حرف استزادة لمزيد من التأكيد مع مقارنة هامة. هنا المسيح يؤكِّد على أهمية الخوف ولكن ليس ممن يقتل الجسد بل من الذي بعد أن يُميت يُلقي النفس في جهنم.

«جهنم»: gehenna

وهي كلمة أرامية وأصلها ge-hunnom وهو وادي هنُّوم جنوب وغرب أُورشليم. ويبدو أنه صار مملوءاً بالزبالة، وكانت تُقاد فيها النار ونارها كانت تبقى كثيراً.

ثم يشدِّد المعنى أكثر بإعادة التركيز على الخوف النافع والهام. وهنا يكشف المسيح عن سلطان الله في إرسال النفس إلى جهنم أي مكان العذاب، وهو العقاب الأخير لمن يفعل الشر ويقاوم الله. والخوف لا ينبغي أن يكون إلاَّ من الله الذي يميت ويحيي. وهنا استحالة أن يأمر الله أن نخاف الشيطان أبداً، صحيح أنه قتَّال للناس منذ البدء ولكن لا يقوى الشيطان على القتل إلاَّ بموافقة الله. وواضح هذا في سفر أيوب حينما أعطى الله تصريحاً للشيطان أن يفعل بالجسد ما يشاء ولكن حذَّره أن يمد يده إلى نفسه:

+ «وكان ذات يوم أنه جاء بنو الله ليمثُلوا أمام الرب وجاء الشيطان أيضاً في وسطهم. فقال الرب للشيطان: من أين جئت؟ فأجاب الشيطانُ الربَّ وقال: من الجولان في الأرض ومن التمشِّي فيها. فقال الرب للشيطان: هل جعلت قلبك على عبدي أيوب؟ لأن ليس مثله في الأرض، رجل كامل ومستقيم يتَّقي الله ويحيد عن الشر. فأجاب الشيطانُ الربَّ وقال: هل مجَّاناً يتَّقي أيوب الله؟ أليس أنك سيَّجت حوله وحول بيته وحول كل ما له من كل ناحية. باركت أعمال يديه فانتشرت مواشيه في الأرض. ولكن ابسِط يدك الآن ومسَّ كل ما له فإنه في وجهك يجدِّف عليك. فقال الرب للشيطان هوذا كل ما له في يدِك. وإنما إليه (نفسه) لا تمُدَّ يدكَ ...» (أي 1: 6-12)

ثم بعد ذلك: «قال الرب للشيطان: ها هو في يدك (جسده) ولكن احفظ نفسه.» (أي 6:2)

ولكن أثبت أيوب الجدارة ولم يخيِّب ظن الله فيه وبقي متمسِّكاً بكماله وظل يتشكَّى من حاله وإلى الرب لم يفرِّط بكلمة. وعندما أغاظته امرأته كونه لم يزل يبارك الله وهو في أسوأ حاله قال: «تتكلَّمين كلاماً كإحدى الجاهلات أ الخير نقبل من عند الله والشر لا نقبل؟» (أي 10:2)

+ «أمَّا أنا فقد علمت أن وليَّ حي والآخر على الأرض يقوم وبعد أن يُفنى جلدي هذا **وبدون جسدي أرى الله.**» (أي 19: 25و26)

6:12 **«أَلَيْسَتْ خَمْسَةُ عَصَافِيرَ تُبَاعُ بِفَلْسَيْنِ، وَوَاحِدٌ مِنْهَا لَيْسَ مَنْسِيًّا أَمَامَ اللهِ؟»**

المسيح هنا يتمادى في إظهار العناية بمخلوقاته، فمرَّة يقول شعرة واحدة من رؤوسكم لا تهلك، وشعور رؤوسكم محصاة، وأخرى يقول: إن العصفور لا يُنسى أمام الله بمعنى أنه يعطيه طعامه وشرابه في حينه. وفي إنجيل ق. متى يقول: «وواحد منهما لا يسقط على الأرض بدون (إذن) أبيكم» (29:10). في الحقيقة قول المسيح هذا يعطينا صورة عن شمولية رعاية الله للعالم تحت قوانين وموازين ذاتية لا تخل، الذي نقول عنه نحن إن الطبيعة تصحِّح نفسها، فلا يوجد فعل إلاَّ وله رد فعل، ولا توجد حركة إلاَّ ولها قياس ومدى في الطبيعة، وكل موت يقابله حياة وليست حياة إلاَّ

من حياة، وليس عجز إلاَّ وله تعويضه، ولا عمل إلاَّ وله جزاء. وهذا يشعرنا بلانهائية الله في العلم والفعل والحكمة والتدبير. فإذا عرفنا ذلك فمن البديهي أنه إذا سلَّمنا أنفسنا لله في طاعة العبادة والمحبة فحياتنا في أمان، لأن موتنا ينقلنا إلى عنده لأكثر أمان: «لأننا إن عشنا فللرب نعيش وإن متنا فللرب نموت. فإن عشنا وإن متنا فللرب نحن» (رو 14:8). لذلك أصبح الإيمان به ضرورة مطلقة، والشهادة له ربح لأنها تثبت وجودنا عنده. ولهذا حينما يقول المسيح: «لا تخافوا» فهو ضامن لعدم الخوف، بمعنى إن كنَّا نجازف ونلقي أنفسنا عليه فهو يده ممدودة تحتنا وذراعه يحملنا: «لأن مَنْ يمسكم يمس حدقة عينه.» (زك 8:2)

7:12 **«بَلْ شُعُورُ رُؤُوسِكُمْ أَيْضاً جَمِيعُهَا مُحْصَاةٌ! فَلاَ تَخَافُوا. أَنْتُمْ أَفْضَلُ مِنْ عَصَافِيرَ كَثِيرَةٍ!»**

المسيح بهذا يؤكد معرفته بنا معرفة أكثر مما نعرف نحن أنفسنا. فمن ذا يستطيع أن يعد شعر رأسه؟ هذا يعرفه الله عنا ويعرف بالتالي ما يضرنا وما يفيدنا وما يدور بقلبنا وفكرنا. لذلك أصبح من البديهي أن نسلّمه الجسد والنفس والروح، فهو أكثر أمانة عليها من أنفسنا. فإذا كان الأمر كذلك فمِمَّن نخاف؟ وممن نرتعب؟ هذا الكلام بشيء من التأمل البسيط يدفع في النفس روح شجاعة لتخطِّي أصعب الأهوال، وبشيء من التصديق يواجه الإنسان المخاطر بقلب مطمئن: «إن قامت عليَّ حرب ففي ذلك أنا مطمئن» (مز 3:27)، «أيضاً إذا سرت في وادي ظل الموت لا أخاف شرًّا لأنك أنت معي.» (مز 4:23)

آباؤنا العظام الأوائل الذين قالوا هذا عاشوه وجرَّبوه ووجدوه حقًّا، لأننا ونحن نقرأ أقوالهم هذه نحس فعلاً أنها خرجت من عمق اختبار ومن حياة غلبت أهوال الموت. فأي إنسان يستصغر هذا الكلام أو يحسبه مبالغاً فيه هو جاهل أو على الأقل لم يذق الله بعد: « ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب!» (مز 8:34). حينما يدخل الإنسان في مجازفة دينية للشهادة أو استعراض لأعمال المسيح ويكون قد ذاقها، تخرج كلماته من فمه وفيها روح الشهادة وقوة الحق ويُحسُّ بقلبه ملتهباً فيه. والمسيح بأقواله هذه يربِّي فينا روح المجازفة المحسوبة والقدرة الواعية في الاعتماد عليه.

8:12 **«وَأَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَنِ اعْتَرَفَ بِي قُدَّامَ النَّاسِ، يَعْتَرِفُ بِهِ ابْنُ الإِنْسَانِ قُدَّامَ مَلاَئِكَةِ اللهِ».**

«ابن الإنسان»:

هنا التعبير المحبوب عند المسيح بالنسبة لعمله بعد القيامة وخاصة فيما يخص الدينونة والجزاء. والمسيح هنا يحاول أن يوضِّح لتلاميذه أن مستقبلهم فوق عند الله في الحياة الأبدية يتوقَّف أساساً على

قدرتهم في التعبير والإعلان بشجاعة عن المسيح هنا، وطبعاً الاعتراف بالمسيح يتم هنا؛ ومفروض أننا أمام حالة محاكمة وتهديد بالعقوبة أو الموت، حيث لا ينفع الكارز لا فهم ولا علم ولا قدرة ذاتية، بل قوة إيمان مجازف بالحياة للاعتراف والشهادة للمسيح، وأي اهتزاز في وقت الشهادة يُحسب إنكاراً. فمطلوب مع الشهادة "شجاعة إيمانية" متكلة كُلّيَّة على الله القادر أن يقيم من الأموات!! فكل مَنْ استهان بالموت وقت الخطر أو الشهادة يرى القيامة حاضرة فيه!! يرى نفسه غالباً ومنتصراً وهو مقيَّد وتحت الحكم، ويستشعر قمة حريته الروحية وهو في السجن والسلاسل في يديه.

والمسيح هنا يحاول أن يربط ذهن تلاميذه من الآن بحتمية الوقوف أمام الله والملائكة ليسمع شهادة المسيح له: إنْ بالاعتراف باستحقاق المجد الذي يستمده من الآب له، أو بخزي الإنكار وعدم الاستحقاق. أمر مرعب ومخيف أن نقف موقف المدان أمام الله وملائكته القديسين. وحينئذ تظهر تفاهة الأمور التي فضَّلها الإنسان في حياته عن أمانته لله والمسيح التي ورَّثته خزي الوجوه، حتى ولو كانت هذه التي باع حياته وإيمانه وحبه من أجلها هي الدنيا بأكملها!! «ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وأهلك نفسه أو خسرها. »(لو 25:9)

9:12 **«وَمَنْ أَنْكَرَنِي قُدَّامَ النَّاسِ، يُنْكَرُ قُدَّامَ مَلاَئِكَةِ اللهِ».**

هنا السقوط في الامتحان ليس مرجعه ساعة إنكار أو يوم أو سنة، بل العمر كله يُقاس على مستوى الاعتراف بالمسيح من عدمه. إن العروض التي يتواجه بها الإنسان لكي يعترف بالمسيح تُحسب بالمئات والألوف. هنا الحزن المريع لو أن الحياة كلها إن كانت ستين سنة أو ثمانين تُعتبر ـ دون شهادة تخرج من القلب والفم لحساب المسيح ـ أنَّها مأساة العمر وخسارة الحياة. وقد قالها المسيح إنه مهما ربح الإنسان من مال وشهرة وكرامة وصحة وقوة وبأس وذكاء وتفوُّق، ما قيمة هذا كله إزاء أن يقف الإنسان أمام الله كإنسان أنكر المسيح أو استهان باسمه أو صليبه، ورفض الفداء والخلاص الذي قدَّمه الله بابنه مجَّاناً لكل إنسان.

ولسنا هنا في معرض ذكر الخطايا وحسابها بل أمام عمل واحد هو الاعتراف بالمسيح أو إنكاره. لأنه لو أعطى الإنسان كل أمواله صدقة ولكنه أنكر المسيح أمام الناس، سيلَقى المثل إذ ينكره المسيح أمام ملائكة الله. وكون المسيح ينكر إنساناً يعني أن هذا الإنسان قد فقد نصيبه في الحياة الأبدية.

10:12 **«وَكُلُّ مَنْ قَالَ كَلِمَةً عَلَى ابْنِ الإِنْسَانِ يُغْفَرُ لَهُ، وَأَمَّا مَنْ جَدَّفَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ فَلاَ يُغْفَرُ لَهُ».**

لقد اتفق آباؤنا القديسون الأوائل في الكنيسة على أن التجديف على ابن الإنسان هو خطية غير

المسيحيين الذين لم يُعرض عليهم الإيمان بعد، أمَّا مَنْ جدَّف على الروح القدس فهي خطية المسيحيين الذين قبلوا العماد وشربوا الدم وصاروا عارفين الله والمسيح ومُعانين ومؤازرين بالروح القدس. هؤلاء إن جدَّفوا على الروح القدس يكونوا قد حكموا على أنفسهم بالكفر، وقبلوا على أنفسهم القطع من شعب الله.

«قال كلمة»:

ومعناها عند الآباء الأُول نقلاً عن التقليد اليهودي أنه نطق باللعنة، وقد جاءت في إنجيل ق. مرقس (29:3) بمعنى: "يجدِّف". وفي تحليلها الكنسي تعني الرفض بفكر شرير واعٍ لقوة الخلاص وعمل نعمة الله(220).

ويُلاحَظ أن في قول المسيح: «مَنْ قال كلمة "على ابن الإنسان" يُغفر له» هنا أعطى المسيح لقبه المتواضع الذي يكاد يكون بحد ذاته إنكاراً لذاته. لذلك نظن أيضاً أن غفران الخطية هنا هو لمن يجدِّف على ابن الإنسان، ويقصد به شخصه، عندما يكون المجدِّف لا يعرف حقيقته المسيَّانية أو الإلهية. أمَّا التجديف على الروح القدس، فمعروف أن الروح القدس يعمل علناً وله معجزات هائلة. ومعروف أنه له كيان إلهي وتاريخ طويل من الأعمال منذ العهد القديم وإلى الجديد. لذلك مَنْ يجدِّف عليه فليس له عذر.

كذلك نرى أن "ابن الإنسان" هو لقب يختفي المسيح فيه لكي لا يستعلن أنه المسيَّا، أي أن المسيح أراد بهذا اللقب أن يخفي حقيقته الإلهية. لذلك أصبح التجديف عليه غير محسوب. ولكن الروح القدس لا هو مختفٍ في اسمه ولا في عمله، فمحاولة التجديف عليه هي بمثابة مقاومة علنية لله. كذلك فإن اللقب الذي اختاره المسيح لنفسه ليخفي فيه ألوهيته هو منتسب إلى الأرض وليس إلى الله، في حين الروح القدس منتسب إلى الله رأساً فالقدوس الوحيد هو الله كروح.

11:12و12 **«وَمَتَى قَدَّمُوكُمْ إِلَى الْمَجَامِعِ وَالرُّؤَسَاءِ وَالسَّلاَطِينِ فَلاَ تَهْتَمُّوا كَيْفَ أَوْ بِمَا تَحْتَجُّونَ أَوْ بِمَا تَقُولُونَ، لأَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ يُعَلِّمُكُمْ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مَا يَجِبُ أَنْ تَقُولُوهُ».**

وهكذا ينبِّه ق. لوقا بوضعه هذه الآية مباشرة بعد السالفة ويؤكِّد على أهمية الروح القدس وعمله الخطير في حياة المؤمن ككل، وحياة الكارز كاختصاص. لأن الروح القدس منوط به أن يأخذ من المسيح ويلقن التلاميذ بما يشهدون وبما يدافعون عن المسيح. يعني أن الروح القدس يقف

(220) H.W. Meyer, *TDNT*, I, 621-625.

حاجزاً مانعاً بين الكارز ونفسه عندما تخور ويحاول الإنكار. هنا الروح القدس ينبري ويشجِّع ويقوِّي ويؤكّد في قلب الإنسان وفكره ويمدّه بما يقول ويبرهن به إيمانه بالمسيح. بمعنى أن الروح القدس سيجعل الكارز والخادم على درجة يقينية من الاعتراف بالمسيح إذ يمدّه بالكلمة والحكمة: «أنا أعطيكم فماً وحكمة لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها أو يناقضوها» (لو 21:15). وطبعاً واضح أن المسيح يقصد بالحكمة الروح القدس.

عجيب حقًّا أن ينبري الروح القدس ويدافع معنا عن حقيقة المسيح حينما نقع تحت مقاومة شديدة وأعلى من قامتنا، هنا يأخذ الروح القدس عمله دون أن نسأله، فهو ألزم نفسه بهذه العملية. لذلك يشدِّد المسيح القول بأن لا نهتم بما نقوله أو بما نحتج به، هذا أغرب من الخيال. إذ إن كان هذا أمر الكرازة والخدمة فمن يهرب أو يتراجع أو يخاف لضعفه أو عدم لياقته للشهادة والكرازة باسم المسيح؟ هذا يعني أن الكرازة والخدمة مفتوحة وهمُّها وثِقَلُها يستلمه الروح القدس شخصياً، وكأن الكارز أو الخادم يسير ومعه محاميه الخاص وضامن الإفراج بدون كفالة:

+ «حينئذ امتلأ بطرس من الروح القدس وقال لهم: يا رؤساء الشعب وشيوخ إسرائيل ... فلمَّا رأوا مجاهرة بطرس ويوحنا، ووجدوا أنهما إنسانان عديما العلم وعاميَّان، تعجَّبوا ... وتآمروا فيما بينهم قائلين: ماذا نفعل بهذين الرجلين؟ ... لنهدّدهما تهديداً أن لا يُكلِّما أحداً من الناس فيما بعد بهذا الاسم. فدعوهما وأوصوهما أن لا ينطقا البتة، ولا يعلِّما باسم يسوع. ... وبعد ما هدَّدوهما أيضاً أطلقوهما، إذ لم يجدوا البتة كيف يعاقبونهما.» (أع 4:8-21)

هكذا كانت يد يسوع المسيح ممدودة وروحه القدوس يعطي الشجاعة والحكمة والقوة، علماً بأن التلميذين كانا صياديْ سمك!! عاميَّين عديما العلم!!

+ «في احتجاجي الأول لم يحضر أحد معي، بل الجميع تركوني. لا يُحسب عليهم. ولكن الرب وقف معي وقوَّاني، لكي تُتَمَّ بي الكرازة، ويسمع جميع الأُمم، فأُنقذت من فم الأسد.» (2تي 4: 16و17)

وأمامنا الآن وعد المسيح قبل الصليب وتتميم وعده بعد القيامة. ومنه يتحقَّق القارئ أننا أمام منهج إلهي مدروس ووعود صادقة وأمينة تمَّت في حينها وتتم كل يوم. وها أمامنا الكنيسة تحيا بعد أن عبرت ألفي سنة مرفوعة الرأس والشهادة في فمها! ولكن عبر هذا الزمان بأيامه الثقيلة وسنينه الدموية على أجساد شهداء هذا عددهم ودموع كالنهر!!

2 ـ مَثَل الغني الغبي
(21-13:12)

بينما المسيح مسترسل في تعليم تلاميذه خرج صوت من الجمع بسؤال غيَّر مجرى حديث المسيح الذي كان يدور حول عدم الخوف في الكرازة وتأمينها بعمل الروح القدس. وكان سؤال هذا الإنسان عن المال وما يجرّ على أصحابه من نزاع وقلق وهمّ. وهنا يدخل المسيح بإجابته معلّماً عن "الطمع" ويتجه بنفس هذا التعليم نحو التلاميذ وكرازتهم مستقبلاً (12: 22-34) لتكون خالية من الطمع من نحو القنية الزمانية.

وفي البداية حاول هذا السائل أن يجر المسيح إلى الوقوف بين متخاصمَيْن على ميراث. وهكذا يخلق المسيح (في إنجيل ق. لوقا) من الأوضاع العادية دروساً للكرازة. فمن رياء الفرّيسيين أعطى درس عدم الرياء والعلانية بالنسبة للتلاميذ في الكرازة. كذلك هنا من سؤال السائل عن قسمة الميراث يخرج المسيح بدرس للتلاميذ عن عدم الطمع وعدم القنية المادية الخطيرة التي استغرقت من هذا الأصحاح من الآية (22:12) حتى الآية (34)!

والمسيح لمَّا دعاه السائل أن يقف قاضياً بينه وبين أخيه يقسّم لهما الميراث، الذي بالطبع انتهى بينهما إلى عراك ونزاع، رفض المسيح هذه الدعوة لا عن عدم اختصاص بل بسبب الطمع الذي يخيِّم على هذين الأخين.

من هنا ابتدأ يقول لتلاميذه: إن التلميذ يلزمه أن يكون صاحب إحساس شديد نحو الحق والقيم، مدركاً أن الحياة لا تقاس بما يملك الإنسان. فإن الأساس الذي يبني عليه التلميذ حياته هو الضرورة القصوى أن يتدخَّل الله في صميم علاقته بالعالم حتى يوفّر له الحياة الحقيقية أو الحياة تبع الحق. وهنا سوف يدرك أن كل المِلْكيات بكل أنواعها وأصنافها فاقدة قيمتها في نظره. **وحينئذ يُحسَبْ الإنسان عظيماً أو حقيراً بمقدار قربه من الله أو بعده عنه.** حيث يصبح الذي ليس له دالة مع الله هو الشقي والفقير والبائس والعريان، حتى ولو كانت ملايينه أتخمت البنوك!! «لأنك تقول إني أنا غني وقد استغنيت ولا حاجة لي إلى شيء ولست تعلم أنك أنت الشقي والبائس وفقير وأعمى وعريان» (رؤ 3:17). وهنا أمامنا إنسان غني جداً بالمال وفقير جداً بالروح، فماذا سيعمل له المال ولماذا أتعب نفسه هكذا باطلاً، أليس هذا يُحسب أنه "غني غبي"؟؟ والغباوة هنا ليست شتيمة ولكن تعبير عن عدم الرؤية السليمة وانعدام ميزان تقدير الأمور بالنسبة للحق والحياة والله. وخروجه

هكذا بعيداً عن أقل مستويات العلاقة بالحق والله يجعله غبيًّا مَهْمَا ادَّعى الذكاء والحكمة والمقدرة في كسب المال والرجال، وسوف نرى كيف وضع المسيح له مثلاً خاصاً به. وعلى نوره نقول هنا: إن كان قد أمضى من حياته كل شبابه في مشروع أو مشروعات ضخمة ناجحة بحسب تقدير كل الناس، ولكن بعد أن يكون قد أكملها تماماً يشعر بشيء في قلبه، وإذا هو نداء بفراغ العمر والاستعداد للرحيل، وهو لا يملك مليماً واحداً روحيًّا يسنده في رحلة غروب الحياة والوقوف أمام الله. ولو كنت معه وسألته ما رأيك في مشاريعك بل حياتك، يقول باختصار: "كلام فاضي"، وتكون هي الكلمة الأخيرة:

+ «رأيت كل الأعمال التي عُمِلت تحت الشمس فإذا الكل باطل وقبض الريح.» (جا 14:1)

+ «ثم التفت أنا إلى كل أعمالي التي عملتها يداي وإلى التعب الذي تعبته في عمله فإذا الكل باطل وقبض الريح.» (جا 11:2)

ولكن ليس كُلُّ غنيٍّ غبيًّا، فالروح يكلّمنا عن الغني البار: «فرَّق أعطى المساكين برّه قائم إلى الأبد.» (مز 9:112)

لم يدخل المسيح أكثر مما يستلزمه الرد على سؤال صاحب الميراث المتنازع عليه.

13:12 **«وَقَالَ لَهُ وَاحِدٌ مِنَ الْجَمْعِ: يَا مُعَلِّمُ، قُلْ لأخِي أنْ يُقاسِمَنِي الْمِيرَاثَ».**

هذا السائل توجَّه إلى المسيح باعتباره "رابّي" أي مُعلّم لأن هذه هي وظيفة الرابّيّين، يفصلون في المنازعات. ولكن اختار ق. لوقا هذه المقدّمة حتى يدخل إلى موضوع الطمع كدرس قائم بذاته للتلاميذ ليعيشوا به ويأمنوا المنازعات. وواضح أن أخاه الأكبر رفض أن يعطيه حقَّه في الميراث، وغالباً ليبقى الميراث كما هو ويعملان فيه سوياً، ولكن الأصغر أخذه الطمع أن يأخذ نصيبه لكي يعمل فيه وحده ليصير غنياً، وهذا ما لمحه المسيح بالروح، وأكمل المسيح القصة لتكون عبرة لمن يعتبر.

14:12 **«فَقَالَ لَهُ: يَا إنْسَانُ، مَنْ أقَامَنِي عَلَيْكُمَا قَاضِياً أوْ مُقَسِّماً؟»**

رفضُ المسيح معناه أنه ليس رابيًّا من الرابّيّين الذين مهنتهم الفصل في القضايا. وربما نفيه القاطع أنه ليس قاضياً، وهو في نفس الوقت معلّمٌ، يدعو السائل أن يدرك رسالة المسيح الحقيقية. وهذا التعليم صالح للكنيسة لكي تعتبر نفسها ليست مكاناً لفض المنازعات على المال وغيره، ولكن رسالة الكنيسة هي الدعوة للخلاص وليس الاشتغال بالأمور المادية التي تخص العالم. وهذا توجيه واضح

للكارزين والخدَّام أن لا يتدخَّلوا في شئون الأسر والعائلات وفض المنازعات التي لها مَنْ يفصل فيها. فالكارز في المسيحية ليس رابيًّا يهودياً بل معلّماً للخلاص، ولا ينتظر الكارز أن يعطيه الله الإلهام ليرى الحل الأصلح، ولا ينتظر الشعب أيضاً أن هذا عمل الكاهن. فالله له خدمة والعالم له خدمة، وكل خدمة لها اختصاصها وأربابها. وهذا ربما يكون من الدروس الهامة والخطيرة جداً في حياة الكنيسة والخدَّام، فالمسيح لم يقلها في الهواء بل قالها كحُكم قائم بذاته واجب الاستماع إليه والتنفيذ بمقتضاه: «**من أقامني عليكما قاضياً أو مقسِّماً**». **هذا يتحتَّم أن يكون منهج الكنيسة ويلتزم به الخادم مهما كانت درجته.** أمَّا خدمة المنازعات بين الشعب فهذه وظيفة العلمانيين في الكنيسة حسب التدبير الكنسي الأصيل وهم المدعوون بالأراخنة.

15:12 «**وَقَالَ لَهُمُ: انْظُرُوا وَتَحَفَّظُوا مِنَ الطَّمَعِ، فَإِنَّهُ مَتَى كَانَ لأَحَدٍ كَثِيرٌ فَلَيْسَتْ حَيَاتُهُ مِنْ أَمْوَالِهِ**».

واضح أن المسيح لمح هذه الصفة في ذلك السائل وطلبه قسمة الميراث. المسيح هنا ينتقل إلى الدرس التعليمي «تحفَّظوا من الطمع» وكأن الطمع داء أو وبأ أو لص قادم يسرق كنز الإنسان الذي هو قلبه. المسيح هنا يعالج كطبيب، فالطمع مرض عوارضه النزاع والانقسام والمخاصمة والمشادة وربما الضرب أو القتل. فالمسيح كطبيب ماهر أراد أن يستأصل هذا الداء من الأصل بأن يتحفَّظ الإنسان حتى لا ينغلب له ويتركه يدخل حياته فيبدِّد سلامه ويعكِّر صفو حياته ويسيء إلى الناس، فيخسر الإنسان رضى الله وسلام القلب. ثم ينتقل المسيح من الطمع إلى محبة القنية والتخزين للمال والقوت الذي هو الحافز على الطمع. والمسيح يحذّر أن المال والقنية لا يمكن أن تكون مصدر سعادة إنسان أو أمنه أو سلامه، فهي لن تحل محل عمل الله. إنه وهمٌ يتوهَّمه الإنسان الطامح للغِنَى والقِنْية والمال، وهذا الوهم يدفعه لعمل المستحيل لكي يحصل على شهواته حتى ولو بالكذب والسرقة والاختلاس. والكارز والخادم معرَّض جداً لهذا الداء الوبيل لأن الناس يستأمنونه على أموالهم، ويعطونه من مالهم **للكنيسة والصرف على الفقراء، فيستحل الخادم، كاهن أو راهب، هذا المال لنفسه ويبدأ عملية الجمع وطلب المزيد فيدخل هذا الإنسان البائس في عش العنكبوت الذي لا يحس به، الذي هو شيطان المال اللذيذ، حيث يغزل عليه خيوطه ويربطه من كل جهة فيصبح همّه الأول وربما الوحيد لا الخدمة والكرازة ولكن جمع المال. وتضيع الحياة ويضيع الرجاء الأعظم ويُنسَى المسيح من القلب وتصبح كلمة الأمانة والشرف كابوساً على نفسه لا يطيق سماعها أو قراءتها، ويصبح مرعوباً من لا شيء وكأن شيئاً يطارده ويشير إليه بإصبعه وهو ليس إلاَّ الضمير، فيحاول إسكاته ولكن هيهات فهو صوت المسيح!!**

16:12 «**وَضَرَبَ لَهُمْ مَثَلاً قَائِلاً: إِنْسَانٌ غَنِيٌّ أَخْصَبَتْ كُورَتُهُ**».

المسيح يوقّر على سامعيه كيف صار هذا الإنسان غنياً كما كنا ننتظر حسب تسلسل الحوادث والكلام، ولكنه بدأ مباشرة بالإنسان أنه صار غنيًّا وكورته أي عزبته أخصبت، الأشجار مثمرة والزهور يانعة والإنتاج وفير. ولكن يلاحظ القارئ مما سلف أن الغني إنسان أُصيب بداء جمع المال والاستماتة في المزيد بكل وسيلة مشروعة وغير مشروعة، ولكن هنا يظهر فجأة أنه غني ولكن وراءه ما وراءه من العمليات الضرورية للغنى. أمَّا الداء الذي جمع به هذه الثروة فلا يزال ينخر في عظامه. ولننظر ما ستأتي به الأيام مع الطمع.

17:12و18 «**فَفَكَّرَ فِي نَفْسِهِ قَائِلاً: مَاذَا أَعْمَلُ، لأَنْ لَيْسَ لِي مَوْضِعٌ أَجْمَعُ فِيهِ أَثْمَارِي؟ وَقَالَ: أَعْمَلُ هذَا: أَهدِمُ مَخَازِنِي وَأَبْنِي أَعْظَمَ، وَأَجْمَعُ هُنَاكَ جَمِيعَ غَلاَّتِي وَخَيْرَاتِي**».

هنا بدأ شيطان آخر غير شيطان الجمع والغنى وهو **شيطان المزيد الذي يلازم الإنسان الغني** بقية عمره. فلابد من مخازن وأمناء وموظّفين ومزيد من الحراسة وسهر الليل وعدّ وحسابات الداخل والخارج، ودخلت الحياة كلها في الكلمة السحرية "المزيد" التي من أجلها يهدم ويبني ويقلع ويزرع، ولا يكف عن التفكير في مستقبل أكثر وغنى وخيرات بلا عدد تحصيناً من فقر أو مجاعة.

19:12 «**وَأَقُولُ لِنَفْسِي: يَا نَفْسُ لكِ خَيْرَاتٌ كَثِيرَةٌ، مَوْضُوعَةٌ لِسِنِينَ كَثِيرَةٍ. اِسْتَرِيحِي وَكُلِي وَاشْرَبِي وَافْرَحِي**».

هنا دخل الغني في دور المستقبل وطول العمر والخيرات الفائضة لمزيد من سنين مؤمَّنة ضد الجوع والحاجة، وتوهَّم أن في هذا استراحة من هموم العمل والخوف من الفقر والعوز. وهكذا صنعت فلسفة الطمع في الغِنَى والتخزين وزيادة الأرض والتأمين على المال والعيال والمسكن والعمل، وكل ما يمكن أمَّن عليه بماله الوفير، ونسي وتجاهل أن الله هو الذي يُميت ويُحيي ويُغني ويُفقر. وأن الحياة لا تؤمِّنها الأموال ولا تضمنها ليوم أو ليلة واحدة حتى ولا دقيقة!

20:12 «**فَقَالَ لَهُ اللهُ: يَا غَبِيُّ، هذِهِ اللَّيْلَةَ تُطْلَبُ نَفْسُكَ مِنْكَ، فَهذِهِ الَّتِي أَعْدَدْتَهَا لِمَنْ تَكُونُ؟**»

هذا ردٌّ على قول الغني **لنفسه**: «يا نفسُ لكِ خيرات ... استريحي وكلي واشربي وافرحي» فهنا لم ينتبه الغني أن نفسه في يد الله، ولا شيء في الوجود يؤمِّنها ضد الموت إلاَّ الملكوت، أو يضمن لها الفرح إلاَّ الخلاص بالمسيح. وأن الجمع والمزيد والاقتناء الحقيقي والغِنَى

الوافر هو في السماء كنز الخيرات الحقيقية التي لا يَقْرُبُها زمن أو زوال. فالمقابل لغنى الأرض هو غنى الملكوت، والمقابل لكنوز العالم هو كنز الحياة الأبدية. ومن العسير أن إنساناً يعمل لحساب الاثنين، وكل من اشتبك مع العالم على مستوى المزيد لأكثر مما تطلبه الحياة يدفع ثمنه من رصيده السماوي.

أمَّا عمر الإنسان فإن كانت الأرض تحسبه له بالأيام والسنين، فالسماء تحسبه بما وفَّره لنفسه من معرفة الله وحبه وخدمته. وإن كان العمر ينتهي بحسب العالم فجأة دون علم سابق، فعمر الإنسان الروحي يمتد في الأبدية بلا حساب. أمَّا الفرح في العالم فيأتي ويزول سريعاً ولا يتبقَّى له أثر، أمَّا الفرح عند المسيح فلا يقدر أن ينزعه أحد ولا أي قوة في الأرض، وإن كان الإنسان يستمد فرحه في العالم بما حصَّله من مكاسب، فالمؤمن يستمده هنا من قوة الله بالروح، أمَّا هناك فمن حضور المسيح الدائم.

إن قصة الغني الغبي تُحسب أخطر إنذار قدَّمه المسيح حتى لا يتوه الإنسان وراء حب المال. أمَّا بالنسبة للكارز والخادم فهي إنذار من خطر عبادة السيد الآخر.

21:12 **«هكَذَا الَّذِي يَكْنِزُ لِنَفْسِهِ وَلَيْسَ هُوَ غَنِيًّا للهِ».**

لقد أعطى المسيح إنذاراً شديد الوطأة للذي ينحرف نحو غنى العالم دون أن يلتفت إلى الله، فقد ظهر واضحاً أنه لم يكسب من تعبه وغناه على الأرض شيئاً. وهكذا ضاع نصيبه في الأرض وضاع معه نصيبه في السماء. فأي خسارة هذه.

غِنَى الأرض إن كان على مستوى الغباوة، بمعنى أن الإنسان لا يبالي بغنى الله فهو خسارة في خسارة، ولكن غنى السماء لا يمنع غنى الأرض إن كان نصيب البائس والفقير محفوظاً.

3 ـ امتلاك الأرضيات والكنز السماوي

(34-22:12) (مت 6:25-33، 19-21)

مجموعة من الوصايا معطاة للتلاميذ لها اتجاه إيجابي ضد الغِنَى الذي يُطلب بوسائل سلبية أو غاشة كما في الجزء السالف. المسيح يطلب من التلاميذ أن لا يكون لهم اهتمام بالطعام والملبس، فهذه أمور ينبغي أن يُعطى لها اهتمامٌ ثانوي ليركز التلميذ على حياته نفسها. وأعطى المسيح مثلاً للحياة المعتمِدة على الله في كل شيء: الغربان لا تجمع ولا تخزّن والرب يقيتها، والتلاميذ عند الله أهم من الطيور. إذن، فالاهتمام بأمور الحياة يُضعف الغاية منها وهي العلاقة بالله. وأعطى مثلاً بالزهور كزنابق الحقل فهي تلبس ثوباً من البهاء والجمال لم يستطع سليمان أن يجاريها. فهل قصُر الله أن يلبسهم أفضل؟ لذلك فالتلاميذ يلزم أن ينتبهوا لأنفسهم والحياة مع الله ولا يكونوا كبقية الآخرين. والمسيح يعطي وعداً أنهم إذا اهتموا بملكوت الله فالله يهتم بحياتهم. فإن كان الله سبق ووعد بإعطائهم الملكوت أصبح التزاماً عليهم أن لا يهتموا بالأرضيات، وهل اهتمامهم هو الذي يطيل حياتهم؟! أما كنزهم فهو محفوظ في السموات.

وعلى كل حال نجد هذا القسم من الإنجيل يحتوي على كثير من المعاني، إذ به وصايا من هنا ووصايا من هناك بالنسبة لتلاميذه الذين يحاول أن يوجههم للحياة الأفضل، مع وعود صادقة للمعونة بقدر الاتكال على الله. وفي معظم الوصايا يتضح أن المسيح ينظر إلى مستقبلهم.

22:12 **«وَقَالَ لِتَلاَمِيذِهِ: مِنْ أَجْلِ هذَا أَقُولُ لَكُمْ: لاَ تَهْتَمُّوا لِحَيَاتِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ، وَلاَ لِلْجَسَدِ بِمَا تَلْبَسُونَ».**

لكي نخرج من هذه الوصايا بنظرة شاملة يلزمنا أن نفرّق بين النفس والجسد في نظر المسيح. **فالنفس** هي العنصر الأساسي في الإنسان الذي يتحتّم علينا أن نعطيها الأولوية في كل شيء بالنسبة للحياة وأعبائها، وبالأخص القلق والهم فهما يُفسدان الحالة النفسية للإنسان، الأمر الذي يجعله أضعف من أن يكون ممارساً للروحيات ومتجهاً بقلبه وروحه إلى الله. والمسيح ينزل إلى الأساس، فالاهتمام الزائد بالنسبة للجسديات سواء من جهة الضروريات أو الكماليات أمر غير مرغوب فيه، لأن الهم يُقلق النفس ويحرمها من الانطلاق بالروح لتبحث عن نصيبها السماوي عند الله.

وواضح أن المسيح هنا يوعِّي خدَّامه والكارزين باسمه أن يتحرَّزوا من الاهتمام والقلق بالأمور المادية، لأننا سنرى في معرض الكلام أن الله في المسيح يسوع وعد أولاده وخدَّامه بالملكوت. معنى هذا أن يكون الملكوت هو هدف الحياة، وكل اهتمام آخر يلزم أن يخضع لمطالب الملكوت الروحية بكل حزم.

وفي بداية هذا الجزء نودُّ أن نوعِّي القارئ أن المسيح بدأ يتحسَّس القرب من الصليب فأصبح همُّه الأعظم أن يبني نفسية وروح تلاميذه كيف سيواجهون واقع حياتهم كتلاميذ كارزين لا يطغى عليهم العالم ومطالب الجسد، بل يتحرَّرون من هذه كلها مع وعد من الله بأن يكون الله معهم. ويلاحظ القارئ في كلام المسيح نبرة الموت الذي على أساسه نربح حياة في الله، اهتمامها الأول هو الملكوت.

23:12 **«اَلْحَيَاةُ أَفْضَلُ مِنَ الطَّعَامِ، وَالْجَسَدُ أَفْضَلُ مِنَ اللِّبَاسِ».**

هي تصلح أن تكون فلسفة المسيحي أن نفسه وحياته أفضل من الطعام والملبس، فلا ينبغي أن نفني عمرنا في الجري وراء الأكل والملبس. هناك اهتمام آخر أرفع وأعلى إذا أتقنَّا انتسابنا له وهو الله، فإنه هو الذي سيلتزم بالطعام والملبس، وهكذا يتحرَّر من القلق والهم والجري وراء أمور في الدرجة الثانية بالنسبة لهدفنا الأساسي وهو الملكوت.

24:12 **«تَأَمَّلُوا الْغِرْبَانَ: أَنَّهَا لاَ تَزْرَعُ وَلاَ تَحْصُدُ، وَلَيْسَ لَهَا مَخْدَعٌ وَلاَ مَخْزَنٌ، وَاللهُ يُقِيتُهَا. كَمْ أَنْتُمْ بِالْحَرِيِّ أَفْضَلُ مِنَ الطُّيُورِ!»**

والآن ها هو المسيح يقدِّم مثلاً حيًّا أمام عيوننا، فالطيور يرزقها الله رزقاً يوماً بيوم وهي لا تزرع ولا تحصد ولا تخزن. المعنى هنا ليس سطحياً وإلاَّ فلا لزوم لنا أن نزرع ونحصد ونخزن، ولكن المسيح أراد أن يكشف لنا عنصر الاهتمام الإلهي بالخليقة. فإن كان الله قد أخذ على عاتقه أن يرزق الطيور احتياجها، فهل لا يهتم بحاجاتنا؟ والمعنى أن اهتمامنا بأمور الحياة يتحتَّم أن يقوم على أساس أن الله يهتم بنا أولاً وأخيراً، وإلاَّ فاهتمامنا بأنفسنا **بدون عنصر الله** يكون جهالة وخطية أيضاً. إذن، فقبل أن نهتم بأمور الحياة ولوازمها يتحتَّم علينا أن نهتم بعلاقتنا بالله الذي سيبارك اهتمامنا ويجعله ناجحاً وهيِّناً علينا. وهذا لو تمسَّكنا به جيداً وبدقة سنخرج باختبار واقعي أن الله هو الذي يعمل كل شيء ونحن إنما نحصد من مراحمه ومحبته ما لا يمكن أن نحلم به. والكلام هنا للتلاميذ أي الكارزين والخدَّام. وحينئذ يخرج الكارز باختبار حي عن الله والحياة والاهتمام يمكن أن يظل يعلِّم به طول الحياة. هذا يعني أن هذه التعاليم التي تبدو في نظرنا بسيطة وربما تافهة حسب الظاهر تحوي في جوهرها الله نفسه قائماً يثبت وجوده لمن يسعى خلفه.

25:12 «وَمَنْ مِنْكُمْ إِذَا اهْتَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يَزِيدَ عَلَى قَامَتِهِ ذِرَاعاً وَاحِدَةً؟»

المعنى في هذه الآية ليس حسب ظاهرها، فجوهرها أن الله وضع قياساً لحياتنا في كل دقائقها، ووضع لنا نصيباً على الأرض وفي السماء، وكل ما علينا أن نتبعه بأمانة واهتمام به هو لكي يكمِّل لنا حياتنا وصحتنا وسلامنا. ومعنى الآية أن اهتمامنا بالحياة لا يُزيد أعمارنا سنة واحدة ولا يوماً واحداً. وطبِّق ذلك على كل شيء. إذن، اهتمامنا كله ينبغي أن يكون أن نتعلَّم كيف نتبع المسيح بكل قلوبنا وهو يدبِّر لنا الحياة. ولكن ليس معنى هذا أن نتراخى في أعمالنا أو جهادنا وأماناتنا، بل أن نضعه هو في المقدِّمة أولاً وقبل كل شيء.

26:12 «فَإِنْ كُنْتُمْ لاَ تَقْدِرُونَ وَلاَ عَلَى الأَصْغَرِ، فَلِمَاذَا تَهْتَمُّونَ بِالْبَوَاقِي؟»

في الآية السابقة أعطى لنا المسيح مثلاً عجَّزنا فيه وهو هل باهتمامنا نقدر أن نزيد طولنا ذراعاً. وهنا يكمِّل: لذلك وجب أن تخضعوا للذي في يده الطول والعمر والحياة والصحة وكل شيء. فهو قادر على كل شيء ويستحيل أن يعجز الله عن أن يعمل ما هو لخيرنا وصلاحنا: «اسألوا تُعطوا. اطلبوا تجدوا. اقرعوا يُفتح لكم» (لو 9:11). والأهم من ذلك أن نُسلِّمه كل شيء فلا نَعُد محتاجين لشيء.

27:12 «تَأَمَّلُوا الزَّنَابِقَ كَيْفَ تَنْمُو! لاَ تَتْعَبُ وَلاَ تَغْزِلُ، وَلكِنْ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ وَلاَ سُلَيْمَانُ فِي كُلِّ مَجْدِهِ كَانَ يَلْبَسُ كَوَاحِدَةٍ مِنْهَا».

هناك عن الاهتمام بالطعام أعطى الطيور مثلاً، وهنا عن الكساء والملابس الجميلة أعطى زنابق الحقل التي تُسمَّى باللاتينية: Anemone وهي حمراء فاقعة تُرى من على بُعد، التي كما قال إنها أبهى في منظرها من ملابس سليمان وكل مجده. هنا المعنى عميق، لأنه لابد أن نتعب ونغزل وننسج ونصبغ ونفصِّل حتى نحصل على الثوب الذي نلبسه. فالمسيح لن يرسل لنا ملابس من السماء. إنما أراد أن ينبِّه أذهاننا إلى قدرة الله الفائقة العجب كيف يعطي الأزهار ألواناً وروائح وجمالاً يُبهر العقل ويستهوي العين. والآن لو كشف الله عن أعيننا لرأينا آيات الجمال المبدعة التي يلبسها للنفوس الوديعة الطاهرة التي سلَّمته الجسد وكل ما له ليلبسه من عنده طهراً وجمالاً ونقاءً تعجز الزهرة بكل جمالها أن تحاكيها. فاللباس جيد يغطِّي الجسد وبالكاد يستر عورات الإنسان، ولكن أقول لو كشف الله عن أعيننا لرأينا كيف تُدثَّر النفس ببهاء مجد الله في المسيح يسوع، وعلى حال من الديمومة التي تزيدها جلالاً فوق كل ما هو للخليقة المنظورة. نعم فلنا في المسيح يسوع ثوب مجد يدوم (رو 14:13؛ غل 27:3).

28:12 «**فَإِنْ كَانَ الْعُشْبُ الَّذِي يُوجَدُ الْيَومَ فِي الْحَقْلِ وَيُطْرَحُ غداً فِي التَّنُّور يُلْبِسُهُ اللهُ هكَذَا، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ يُلْبِسُكُمْ أَنْتُمْ يَا قَلِيلِي الإِيمَانِ؟**»

نعم، فالمسيح على حق. فإن كانت زنابق الحقل التي تعيش يومها بالكاد لتذبل وتموت وتصير وقيداً، يلبسها الله هذا الإبداع والجمال لتعيش به يومها؛ فكم بالحري الذين خلقهم على صورته في المجد والكرامة والقداسة في إنساننا الجديد ليدوم دوام الأبد في حضرة الإله عابداً مرنّماً. وهنا ننبّه ذهن القارئ أنه ليس عبثاً يتمادى المسيح في وصف جمال الزهور، فهو يلمّح بوضوح إلى حالة الإنسان عنده وما سيؤول إليه من مجد وجمال وجلال: «يضيئون كضياء الجلد، والذين ردُّوا كثيرين إلى البر كالكواكب إلى أبد الدهور» (دا 3:12). فماذا بعد أن عرفنا ذلك، وماذا ينبغي أن يكون اتكالنا عليه!! وإذ ينظر المسيح إلى حال اهتمامنا بالتوافه إزاء ما أعدَّ لنا من مجد يدعونا بقليلي الإيمان.

29:12 «**فَلاَ تَطْلُبُوا أَنْتُمْ مَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَشْرَبُونَ وَلاَ تَقْلَقُوا**».

في إنجيل ق. متى (31:6) تجيء أنه إزاء ما قال المسيح وشرح ما عاد للتلاميذ حق أن "يهتموا" بأكل وشرب ولبس. ولكن هنا يقطع ق. لوقا بأن "لا تطلبوا" و"لا تقلقوا". والقصد عميق إذ يقصد المسيح هنا، وبعد أن علّمنا عنايته بنا وما سنصير إليه من مجد، أنه لم يعد لائقاً أن نطلب منه ما نأكل ونشرب أو أن نقلق على ذلك. لأنه إن كان قد تكفّل بحياتنا القادمة بكل أمجادها أفكثير عليه أن يعطي ما نحتاجه في حينه؟!

30:12 «**فَإِنَّ هذِهِ كُلَّهَا تَطْلُبُهَا أُمَمُ الْعَالَمِ. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَأَبُوكُمْ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى هذِهِ**».

كأن المسيح يقول: ليس للأبناء أن يطلبوا ما يطلبه العبيد. وليس للمختارين أن يرتبكوا بأمور العالم وقد صارت لهم خيرات السماء نصيباً معدًّا ومحفوظاً.

31:12 «**بَلِ اطْلُبُوا مَلَكُوتَ اللهِ، وَهذِهِ كُلُّهَا تُزَادُ لَكُمْ**».

هذا الوعد الإلهي يقوم عليه منهج الحياة كلها بكل أمورها صغيرها وكبيرها، فبنو العلي الذين اختارهم وأرسلهم هم أغنى أغنياء هذا الدهر حتى ولو افتقروا وجاعوا وعطشوا ولم يجدوا ما يسترون به أجسادهم. فالذي صار له أن يدّثر بالمجد مع الابن في الميراث الأبوي يكفيه وزرة ليستر بها جسده ولقمة يسند بها جوعه. والذي صار عليه أن يطلب الملكوت ليس له أن يطلب المزيد فيكفيه أن يسمع له الآب ويملّكه في ملك السماء: «معتازين مكروبين مذلّين، وهم لم يكن العالم

مستحقاً لهم، تائهين في براري وجبال ومغاير وشقوق الأرض» (عب 11: 37و38). هنا طلب الملكوت ليس بالسؤال والترجّي بل بالسعي والالتزام بمطالب الملكوت. فالملكوت مطلبه يحتاج إلى إنسان ذي عزم وإرادة فعَّالة وقلب واحد لا يمسّه الشك، وكل حياته تنطق بالثقة والإيمان بالله، ولا تقلقه حاجات الجسد وأعواز المعيشة. حينئذ ودون أن يسأل يوفّر الله له حاجاته. وكلما زاد الإحساس بالملكوت ضعفت إحساسات الجسد ومطالبه. فصِدْق الطلب للملكوت يفتح الطريق إليه، وكلما امتد الإنسان نحوه بالرجاء تخلخلت صِلاته بالعالم وأعوازه، والحنين إلى الملكوت يطفئ كل حنين زائل. بهذا غلبوا وبهذا عبروا وتركوا لنا شهادة حيَّة.

فالذي وجَّه قلبه نحو الملكوت يعيش غريباً على الأرض لأنه يطلب وطناً أفضل، وهو حينما يكرز فهو يتكلّم عن بيته السماوي بيقين القربى والصلة، وكأنه يدعو إلى وليمة هو يخدم فيها ويتشدَّد مع كل واحد لكي يلبِّي الدعوة.

32:12 **«لاَ تَخَفْ أَيُّهَا الْقَطِيعُ الصَّغِيرُ، لأَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ سُرَّ أَنْ يُعْطِيَكُمُ الْمَلَكُوتَ».**

هنا يلتفت المسيح مرَّة واحدة وينتقل من وصايا في الطريق إلى هدية موهوبة في ختام المطاف سبق أن طلبوها بدموع. وفجأة نسمع صوت الراعي الصالح وهو يهش على غنماته القليلة ويسوقها لتدخل حظيرة الآب السماوي، بعد أن يكون قد أجهدها ضيق الطريق، ويسلّمها ليد الآب سالمة حيث لا يوجد الخوف بعد من تيه أو ذئب متربِّص؛ بل تنتظرها مسرَّة الآب فتهرب من قلبها الكآبة والحزن والتنهد.

والقطيع الصغير كناية عن الكنيسة: «احترزوا إذاً لأنفسكم ولجميع **الرعيَّة** التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه.» (أع 28:20)

وبعبارة «لا تخف أيها القطيع الصغير» نشتم رائحة الصليب والفزع وهروب التلاميذ المزمع أن يكون.

33:12 **«بِيعُوا مَا لَكُمْ وَأَعْطُوا صَدَقَةً. اِعْمَلُوا لَكُمْ أَكْيَاساً لاَ تَفْنَى وَكَنْزاً لاَ يَنْفَدُ فِي السَّمَوَاتِ، حَيْثُ لاَ يَقْرَبُ سَارِقٌ وَلاَ يُبْلِي سُوسٌ».**

عملية "تعزيل" أو نقل من بيتنا الأرضي لبيتنا السماوي عبر البيع والصدقة. أفخر ما عندنا وأثمن ما نمتلك إذا أردنا أن نأخذه معنا إلى فوق حيث بيت الآب الأبدي، علينا أن نبيعه ونعطي ثمنه صدقة. وأموالنا التي نخاف عليها والتي جعلت القلق والخوف عليها ينغِّص عيشتنا، إن أردنا أن

نحفظها ونحافظ عليها أن نضعها في كيس متين ونرسله حيث الفقراء والعجزة والمعوزين، وهو يتحوَّل باسمنا فوق ونستلمه كيساً من النعمة يحوي عطايا الآب السماوي لمحبيه. أمَّا الجواهر والذهب والأشياء النادرة فهي تتحوَّل من يدنا ليد الفقير لتصير كنزاً سماوياً يحوي كل ما هو مُفرح ومُسر للروح إلى الأبد. أمَّا طالما هي معنا هنا فهي همٌّ بالليل واضطراب بالنهار، حتى إذا لم تُسرق فهي تَفْقِد قيمتها قليلاً قليلاً قليلاً حتى تفنى ولا يعود لها وجود، الملابس يأكلها العث والأطعمة يأكلها السوس، والمال إن لم يُصرف يُسرق. ومهما أمنَّا على أموالنا وحياتنا ففي النهاية: «عرياناً خرجت من بطن أمي وعرياناً أعود إلى هناك» (أي 21:1). ولو انتصحنا لعشنا يومنا لا نحمل همَّ الغد، فيومنا لنا وباكر هو في يد القدير، فالذي يأتي، يأتي ومعه ما يسدّ أعوازه «حين أرسلتكم بلا كيس ولا مزود ولا أحذية هل أعوزكم شيء» (لو 35:22). و «خبزنا كفافنا أعطنا اليوم.» (مت 11:6)

أمَّا إذا عَسُر على الإنسان أن يصدِّق هذا ويعمل به، فالكارز والخادم ملتزم بطاعته وكل من أطاع وصية المسيح وجد فيها ما يفوق تصوُّر الإنسان. لأن كلام المسيح يحمل قوته والوصية فيها سر تنفيذها، وطاعة المسيح تُلزم السماء بأن تقدِّم معونتها.

34:12 **«لأَنَّهُ حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكُمْ هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكُمْ أَيْضاً».**

واضح أن الإنسان الذي ارتبط بالمسيح وحفظ كلامه وأطاع وصيته وبدأ ينفِّذ بالفعل يجد أن قلبه ينتقل شيئاً فشيئاً من القلق بالأرضيات إلى التعلُّق بالسماويات. فكما أن المجتهد في أمور الأرض يكون شديد الاتصال والارتباط بها، هكذا حتماً المجتهد في تتميم وصايا المسيح يبتدئ قلبه وفكره يرتبط بها وتكون فيها مسرَّته وعزاؤه. أمَّا إذا طبَّقناها على المال ذاته تظهر الوصية أكثر، فإذا كان للإنسان رصيد في بنك ما، يهمّه جداً أن يسمع أخبار هذا البنك يوماً فيوماً ويتعلَّق عقله وفكره وقلبه حيث وضع ماله أو كنزه. وعلى النقيض: فالخادم الأمين الذي ابتدأ يتعلَّق بوصايا الرب فهذيذ قلبه ليل نهار في الإنجيل ودائم السؤال عن النصيب السماوي.

ولكن لا نأخذ كلام المسيح كمجرَّد وصايا قابلة أو غير قابلة للفعل والتكميل؛ بل علينا أن نعرف أن المسيح يقول وفي قوله قوة للعمل وليس لأي إنسان عذر أن يقول: هذا الكلام صعب غير قابل للتنفيذ، بل هو نافذ بالحق الذي فيه والنعمة التي تؤازر العامل به والمطيع. وكل مَنْ أطاع وصايا المسيح ربح وشهد بذلك. «السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول.» (لو 33:21)

4 - مجيء ابن الإنسان

(مت 24:43-51) (12:35-48)

يستمر هنا المسيح معطياً وصاياه دون توقُّف، ولكن يتغيَّر الموضوع من التخلُّص من الاهتمامات الدنيوية (33و34) إلى الاشتغال بالروحيات ليكون الإنسان مستعداً لمجيء ابن الإنسان (40)، ويتحرَّر من الانشغال الدنيوي بالاعتماد على رعاية الله والثقة في مجيء الملكوت. ويحض المسيح على السهر الروحي بالنسبة لتلاميذه الذين أسماهم «الوكيل الأمين الحكيم» الذي لا يهمل مسئوليته ولا يستغرق في الاهتمام بذاته، ولا يحاول أن يفرض نفسه على الآخرين، ولكن يملأ وقته بما ينمِّيه باستعداد النفس لملاقاة المسيح في مجيئه. ويعطي المسيح هذه الوصايا على هيئة أمثال تعليمية وهي طريقة المسيح المحبَّبة. فالسهر يشبّه بعبد ساهر لينتظر مجيء سيده وبيده المجازاة؛ بل ويعطي تصوُّراً فائقاً على العقل بالنسبة لهذا السيد، وهو أنه يجلس مع عبيده ويخدمهم بنفسه (36و37). وهذا التصوير يبدو أنه سيحقّقه المسيح في مجيئه، وهذا أمر عجيب على مسامعنا. ويعطي تحذيراً للذي يُهمل الانتظار. ويشبِّه الانتظار اليقظ بإنسان ساهر على بيته لئلاً يسطو عليه لص! إلى هذا الحد يريدنا المسيح أن نكون واعين للعدو. والسهر له مجازاة والبليد الكسول يفقد مكانه بحكم قاطع.

ويعطينا المسيح هنا فكرة عن المجازاة بالنسبة لمعرفة إرادة السيد، والمجازاة بإعطاء مسئوليات أكبر (41-48). وواضح من كلام المسيح أنه يتكلَّم عن **ذهابه وغيابه** وماذا ينبغي أن يكون عليه الأمناء للمسيح والمتولون على خدمة المؤمنين **إلى أن يجيء.** ولكن نَشْتَمُّ من كلام المسيح أنه يعطي توصيات للذين أهملوا الخلاص حتى ينتبهوا قبل مجيء الدينونة سواء التي عند الموت أو التي في النهاية. وقد اهتمت الكنيسة الأُولى جدًّا بهذه التوصيات واعتبرتها لجميع المؤمنين.

12:35 **«لِتَكُنْ أحْقَاؤُكُمْ مُمَنْطقة وَسُرُجُكُمْ مُوقَدَةً».**

«أحقاؤكُم»: ejεsf.

ومفردها "حُق"، وهو حُق الفخذ الذي يُرْبَط حزام الوسط فوقه ليشد قامة الإنسان ويجعله مستعداً للمشي أو الجري. وهذا الحزام أيضاً يمنع الإنسان من أن يستلقي وينام، فهو رمز الاستعداد الفوري. وهنا المسيح يعطي وصيته للاستعداد: حزام الوسط والسراج المتّقد. حزام الوسط باستعداد

العمل والسراج المنير باستعداد السهر. والمثل هنا له صلة كبيرة بخدمة السيد عند مجيئه، وبالتالي يكون معناه إيقاظ روح الانتباه لمقابلة الرب، ويكون الانتباه لمجرَّد المقابلة أي يقظة الاستعداد النفسي والروحي إما لمجيء المسيح أو للانطلاق لرؤياه، أو يكون الاستعداد ضد العدو الذي يحاول سرقة كنز الإنسان الروحي بالتجربة. أمَّا الاستعداد بالمصباح المنير فهو أيضاً يشير إلى يقظة الروح بالقراءة والدرس والتعليم، لتكون النفس مضيئة بالمعرفة والتمييز لتكون قادرة على رؤية وجه الرب والتعرُّف عليه. كذلك أيضاً يعطي المصباح المضيء معنى اليقظة بالنور ضد رئيس الظلمة الذي يطغى على الروح والفكر.

وبالرغم من صغر هذه الوصية إذ تحتوي على أربعة كلمات فقط: «أحقاؤكم ممنطقة وسرجكم موقدة» إلاَّ أنها تحوي من المعاني والتعليم شيئاً يفوق العقل. فهنا المسيح يطلب يقظة الكيان كله الجسد والبصيرة. ويعمل المثل على وجهين: وجه إيجابي وهو لياقة الإنسان على مستوى طهارة الجسد ونور المعرفة حتى يتأهَّل لمقابلة العريس والدخول إلى الملكوت معه، وهو الأكثر ترجيحاً واهتماماً ونفعاً. أمَّا الوجه الآخر فهو العمل السلبي بالنسبة للعدو على مستوى الجسد المحصَّن بالروح والبصيرة المستنيرة بالتمييز بين الخير والشر والصدق والكذب حتى لا نُؤخذ خلسة بمكر العدو.

36:12 **«وَأَنْتُمْ مِثْلُ أُنَاسٍ يَنْتَظِرُونَ سَيِّدَهُمْ مَتَى يَرْجِعُ مِنَ الْعُرْسِ، حَتَّى إِذَا جَاءَ وَقَرَعَ يَفْتَحُونَ لَهُ لِلْوَقْتِ».**

المَثَل هنا محصور فقط في الانتظار الساهر لاستقبال السيد. وهنا كون السيد يقرع الباب يذكّرنا في الحال بسفر الرؤيا: «هاأنذا واقف على الباب وأقرع، إن سمع أحد صوتي وفتح الباب أدخل إليه وأتعشَّى معه وهو معي» (رؤ 20:3). هذا المثل ببساطته يجعلنا نعيش حالة السهر والاستعداد القلبي، التي إذا أتقنها إنسان يعرف مدى قوة هذا المثل على إنعاش الروح. فالسيد يأتي لدى أبناء الملكوت كل ليلة خلسة ويقرع الباب بخفَّة ليفتح الساهر للعريس فيدخل، نقدّم له صحن أحزاننا وآلامنا وهو يقدّم لنا صحن أفراحه ومسرَّاته، هو يقاسمنا ونحن نقاسمه، هو يأخذ ما لنا ونحن نأخذ ما له. هو لا يمل أن يأتي كل ليلة إن رأى المصباح موقداً والنفس على استعداد اللُّقيا. ومَنْ ذاق من صحنه ما عاد ينعس. إنها زيارات خلسة لعريس نصف الليل.

37:12 **«طُوبَى لأُولَئِكَ الْعَبِيدِ الَّذِينَ إِذَا جَاءَ سَيِّدُهُمْ يَجِدُهُمْ سَاهِرِينَ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يَتَمَنْطَقُ وَيُتْكِئُهُمْ وَيَتَقَدَّمُ وَيَخْدُمُهُمْ».**

السر في هذه الآية عميق للغاية، فالساهر يعني الإنسان الذي دخل في مناطق الوعي الروحي التي فيها تتم اللقيا مع السيد، حيث يَبْطُل العبد أن يكون عبداً بل شريك حب وشريك مجد، والأحباء يجلسون على مائدة الحبيب، والحبيب يتمنطق بالمجد ويجلس يطعمهم من جسده ويسقيهم من كأسه. هذا وعد حقيقي قاله المخلّص بعهد وهو عهد أخذه على نفسه حينما قال: لن آكل من عشاء الفصح هذا إلاَّ في الملكوت، حيث يقاسمنا أفراحه مع مجده. هذا يتمّمه المسيح متى أراد وأينما شاء وهو يلذ له أن يعمله سرًّا مع الساهرين الذين أضناهم العالم بجحوده. يدخل إليهم ويمسح الدمع من عيونهم ويذيقهم من حبِّه لينسوا مآسيهم.

38:12 **«وَإِنْ أَتَى فِي الْهَزِيعِ الثَّانِي أَوْ أَتَى فِي الْهَزِيعِ الثَّالِثِ وَوَجَدَهُمْ هكَذَا، فَطُوبَى لأُولئِكَ الْعَبِيدِ».**

الليل عند اليهود ينقسم إلى ثلاث فترات كل منها يسمَّى هزيع وهو التقسيم الذي أخذ به ق. لوقا هنا. أمَّا الرومان فيقسِّمُونه إلى أربعة أقسام كما في إنجيل ق. مرقس (35:13). لذلك يُحسب الهزيع الثاني أو الثالث هو أقصى السهر في الليل بحسب التقسيم اليهودي. وقد اتخذ الإنجيليون الليل كناية عن غياب المسيح: «الذي ينبغي أن السماء تقبله إلى أزمنة ردّ كل شيء» (أع 21:3). واتفقوا أن مجيئه سيكون في آخر الليل أي منتهى أو أقصى ما تبلغه الظلمة على الأرض. «قومي استنيري لأنه قد جاء نوركِ ومجد الرب أشرق عليكِ لأنه ها هي الظلمة تغطّي الأرض والظلام الدامس الأمم. أمَّا عليكِ فيشرق الرب ومجده عليكِ يُرى. فتسير الأمم في نورك والملوك في ضياء إشراقك.» (إش 60: 1-3)

وهكذا فإن أُولئك العبيد السهارى هم سهارى كل الليل، بمعنى الذين حملوا نور المسيح في قلوبهم وأناروا من حولهم في ظلمة هذا الدهر: «أنتم نور العالم» (مت 14:5). وما هؤلاء العبيد سهارى الهزيع الأخير إلاَّ كنيسة آخر الزمان ومَنْ يمثّلها في وسط ظلمة العالم الآن، بما حصَّلوا من عفة وطهارة واستنارة ويشهدون وسط تهديدات الموت.

39:12 **«وَإِنَّمَا اعْلَمُوا هذَا: أَنَّهُ لَوْ عَرَفَ رَبُّ الْبَيْتِ فِي أَيَّةِ سَاعَةٍ يَأْتِي السَّارِقُ لَسَهِرَ، وَلَمْ يَدَعْ بَيْتَهُ يُنْقَبُ».**

هذا الوجه الآخر للسهر هو السهر التحفُّظي على وديعة الإيمان وعفة النفس وطهارة الجسد. هذا السهر هو السهر الروحي تحت نعمة الروح القدس وقيادته ليحتفظ الإنسان بمواهب الخلاص والفداء

بما سيقدِّمه بسلوكه وكلامه وقدوته. فالبيت هنا بيت النفس المحصَّنة بنعمة المسيح وموهبة الروح القدس. أمَّا عملية النقب فهي تعرية النفس من عفتها والجسد من طهارته التي بمقتضاها ينغلب الإنسان للعدو ويبطل سهره ويخسر الدعوة: «مَنْ يغلب فسأعطيه أن يجلس معي في عرشي كما غلبت أنا أيضاً وجلست مع أبي في عرشه.» (رؤ 3: 21)

40:12 **«فَكُونُوا أَنْتُمْ إِذاً مُسْتَعِدِّينَ، لأَنَّهُ فِي سَاعَةٍ لاَ تَظُنُّونَ يَأْتِي ابْنُ الإِنْسَانِ».**

في هذه الآية يختفي سر من أسرار المسيح ذات الأهمية القصوى، فهو يحث دائماً على عدم الترقُّب لنتخلَّص من القلق، ويلغي البعد الزمني من مجال عبادتنا حتى لا ننتظر أن تُسمع عبادتنا أو نترقَّب نتائجها. فأعظم نصيحة يقدِّمها المسيح هنا للإنسان المجاهد الساهر سواء في عبادته أو دراسة إنجيل أو تأمُّل وصلاة هي أن لا يلتفت إلى الزمن إطلاقاً. فالحياة الروحية لا ترتبط بالزمن، لذلك يُحسب السهر أنه سهر روحي غير محصور في الزمن، وكذلك مجيء المسيح يكون غير مرتبط أيضاً بأي زمن. وهنا يحاول المسيح التعبير عن هذا المبدأ الهام بقوله: «في ساعة لا تظنون» هنا فصل المسيح السهر والعبادة والانطلاق فيها عن المواعيد والأيام والأزمنة: «فسألوه قائلين يا رب هل في هذا الوقت ترد الملك إلى إسرائيل. فقال لهم: ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه.» (أع 1: 6و7)

41:12 **«فَقَالَ لَهُ بُطْرُسُ: يَارَبُّ، أَلَنَا تَقُولُ هذَا الْمَثَلَ أَمْ لِلْجَمِيعِ أَيْضاً؟»**

من الواضح أن الحث على السهر كان منذ بدء الحديث (35) موجَّهاً للتلاميذ، ولكن جاء هذا الاستفسار ليؤكِّد أنه للمسئولين عن الآخرين، التلاميذ في وقتها وبعد ذلك للكارزين، على مستوى ما جاء في الآية (39) أنه «رب البيت»

42:12 **«فَقَالَ الرَّبُّ: فَمَنْ هُوَ الْوَكِيلُ الأَمِينُ الْحَكِيمُ الَّذِي يُقِيمُهُ سَيِّدُهُ عَلَى خَدَمِهِ لِيُعْطِيَهُمُ الْعُلُوفَةَ فِي حِينِهَا؟»**

هنا المسيح يرد على بطرس بطريق غير مباشر أن الكلام موجَّه بصفة خاصة للذي يقيمه سيده على خدمه، لأن الكل في نظر المسيح هم خدم السيد، ولكنه أقام منهم وكيلاً أميناً حكيماً. وهكذا نخرج بالمعنى أن الكلام موجَّه للاثني عشر مع التعميم لباقي التلاميذ. وهنا يعطي كلمة وكيل o„konÒmoj، التي بحسب المفهوم الأرامي تستلزم أن يكون ابن البيت ben byit، على أن يكون حكيماً frÒnimoj. ولأن المسيح أقام الاثني عشر على الخدمة فهم المكني عنهم. أمَّا العُلُوفة فهي

الجراية أو كمية الأكل المحددة، والمعنى الغذاء الروحي اللازم والمناسب نيابة عن رب البيت وهو الله.

ومن هذا القول وتفسيره نفهم أن الكارزين في الكنيسة المسئولين عنها هم كلهم خُدَّام الله، ولكن يُقام من بينهم وكيلٌ أمينٌ حكيمٌ يعطي باقي الخُدَّام جميعاً الغذاء الروحي اللازم والمناسب للخدمة. هذه هي أول صورة للكنيسة من فم المسيح.

43:12و44 «**طُوبَى لِذلِكَ الْعَبْدِ الَّذِي إِذَا جَاءَ سَيِّدُهُ يَجِدُهُ يَفْعَلُ هكَذَا! بِالْحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يُقِيمُهُ عَلَى جَمِيعِ أَمْوَالِهِ**».

كان العبد الأمين الوكيل قائماً على بقية العبيد يعطيهم طعامهم الروحي في حينه. ولكن هنا الجزاء انتقل من مستوى رعاية العبيد إلى مستوى كل أمواله. وبهذا المستوى يرتقي فوق درجة العبيد التي هو منها هنا، يرتقي إلى درجة مساوية في مسئوليتها للسيد. فالارتقاء هو من وظيفته المؤقتة والمحدودة إلى وظيفة دائمة غير محدودة. وواضح الآن أنه انتقال النصيب من الخير الزمني والأرضي إلى الخير السمائي الأبدي. وهي قرينة بالآية (17:19): «فقال له: نعمّا أيها العبد الصالح. لأنك كنت أميناً في القليل فليكن لك سلطان على عشر مدن»

ومن هاتين الآيتين يتبيَّن لنا أن التدرُّج في حمل المسئوليات ينتقل من الأرض إلى السماء، وأن في السماء مسئوليات روحية تتدرج حسب القامات وترتقي أيضاً إلى مالانهاية.

45:12-48 «**وَلكِنْ إِنْ قَالَ ذلِكَ الْعَبْدُ فِي قَلْبِهِ: سَيِّدِي يُبْطِئُ قُدُومَهُ فَيَبْتَدِئُ يَضْرِبُ الْغِلْمَانَ وَالْجَوَارِيَ، وَيَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَسْكَرُ. يَأْتِي سَيِّدُ ذلِكَ الْعَبْدِ فِي يَوْمٍ لاَ يَنْتَظِرُهُ وَفِي سَاعَةٍ لاَ يَعْرِفُهَا، فَيَقْطَعُهُ وَيَجْعَلُ نَصِيبَهُ مَعَ الْخَائِنِينَ. وَأَمَّا ذلِكَ الْعَبْدُ الَّذِي يَعْلَمُ إِرَادَةَ سَيِّدِهِ وَلاَ يَسْتَعِدُّ وَلاَ يَفْعَلُ بِحَسَبِ إِرَادَتِهِ، فَيُضْرَبُ كَثِيراً. وَلكِنَّ الَّذِي لاَ يَعْلَمُ، وَيَفْعَلُ مَا يَسْتَحِقُّ ضَرَبَاتٍ، يُضْرَبُ قَلِيلاً. فَكُلُّ مَنْ أُعْطِيَ كَثِيراً يُطْلَبُ مِنْهُ كَثِيرٌ، وَمَنْ يُودِعُونَهُ كَثِيراً يُطَالِبُونَهُ بِأَكْثَرَ**».

هنا نأتي إلى سلبيات الكارزين والخُدَّام التي نجزع من الدخول فيها لأنها تتم أمامنا بالحرف الواحد. ولكن لا العبد خاف ولا السيد عاقب. وقد أبطأ في قدومه جداً.

5 - الأزمنة الصعبة

(49:12-59) (مت 34:10-36، 2:16و3، 25:5و26)

لا توجد في الحقيقة مقدّمة لهذا الجزء، وهو ليس أيضاً على صلة بالسابق، ولكن مضمونه الكلّي يُظهر أن المسيح بإحساسه المرهف بدأ يشعر بالضيقة القادمة، فابتدأ يتكلّم عن الصبغة الدموية التي سيجوزها. واستهلّها بقوله: إنه جاء ليلقي ناراً على الأرض، ولا يريد إلاّ اضطرامها، ويعني بها نار الله التي للشرير حريق وللبار تطهير وتزكية. وهكذا يبدأ الانقسام في البيت الواحد.

وقد نعى على إسرائيل أنها لم تميّز زمان خلاصها حتى تتقرَّب إلى الله قبل أن تأتي الدينونة وتدفع إسرائيل ثمن عصيانها.

49:12 **«جِئْتُ لأُلْقِيَ نَارًا عَلَى الأَرْضِ، فَمَاذَا أُرِيدُ لَو اضْطَرَمَتْ؟»**

لا يبدو هنا أن المسيح يريد أن يعبِّر عن الروح القدس، فأطلق الكلمة بلا تحديد "**ناراً**"، وهي تأتي مع الروح القدس وتعمل عملها معه: «هو سيعمِّدكم بالروح القدس ونار» (مت 11:3). وهذه هي نار الله التي عرفنا عنها أنها تُحرق وتُضيء، تُحرق كل ما هو شر أو شرير وتضيء كُلَّ بارٍّ وصدِّيق، فهي نار قريبة من عمل الروح القدس الذي إن لم يُحرق الشرير فهو يبكّت، وإذا صار من نصيب البار فهو يطهِّره ويزكّيه. وهكذا في الحال يحدث الانقسام والتفرقة، فالذين للحق لا يَطيقون الشر ولا الشرير حتى ولو كانوا في بيت واحد.

ويبدو هنا المسيح أنه ينظر إلى الإيمان وهو يمتد ويضطرم من إنسان إلى إنسان ومن أُمة لأُمة. وهل يريد المسيح إلاّ أن تُضْرَم نار الإيمان في الإنسان ككل فتكون منتهى سعي الابن؟! وهنا تلميح قوي أن عمل المسيح في القلب بالإيمان كنار يضرم القلب. نحن تعوَّدنا على الإيمان البارد والفاتر ولم نذق الإيمان الناري الذي يتجلّى فيه المسيح عاملاً عمله بالكامل. الإيمان الحار أو الناري هو أعلى اختبار يذوقه الإنسان ليدرك مَنْ هو المسيح وما هو عمله وما هو حبه وما هو بذله. أمَّا الإيمان الذي يعيش به أغلب المؤمنين فهو إيمان لا حار ولا بارد، وهو في نظر المسيح أسوأ من البارد: «ليتك كنت **بارداً** أو حاراً» (رؤ 15:3). لماذا يكون البارد أفضل من الفاتر؟ لأن البارد يستطيع المسيح أن يشعله فيشتعل، أمَّا الفاتر فهو الذي يقول: «إني أنا غني وقد استغنيت» (رؤ 17:3)، فهو لا

يسعى إلى أفضل أبداً، لأنه إيمان مكتفٍ بما له والذي له لا قيمة له!!

من نارك يا الله ألق ناراً في قلبي ليلتهب إيماناً وتشتعل روحي حبًّا.
نفسي مريضة ولن يشفيها إلاَّ لهيبٌ يمسُّها ولا يُطفأ.
فتبقى لك جذوة مشتعلة إيماناً وحبًّا وبذلاً وصلاة!

50:12 **«وَلِي صِبْغَةٌ أَصْطَبِغُهَا، وَكَيْفَ أَنْحَصِرُ حَتَّى تُكْمَلَ؟»**

المسيح هنا يكشف عن معمودية الدم التي سيجوزها ولكن بإرادته:

+ «وليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه دخل مرَّة واحدة إلى الأقداس فوجد فداءً أبدياً ... فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح أزلي قدَّم نفسه لله بلا عيب يطهِّر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي.» (عب 9: 12و14)
+ «لستما تعلمان ما تطلبان. أتستطيعان أن تشربا الكأس التي أشربها أنا وأن تصطبغا بالصبغة التي أصطبغ بها أنا.» (مر 10:38)

ومن مضمون الكلام نستطيع أن نفهم أن المسيح جاء خصيصاً لهذه الصبغة ولن يهدأ حتى تكمل. وواضح أن النار في الآية السابقة هي التي يعتمد بها الإنسان كقول المعمدان: «يعمِّدكم بالروح القدس ونار» فتُحرق وتضيء: تُحرق الشر والشرير وتضيء البار وتزكِّيه. أمَّا المسيح فمعموديته الخاصة هي معمودية الدم وعبور الموت.

51:12 **«أَتَظُنُّونَ أَنِّي جِئْتُ لأُعْطِيَ سَلاماً عَلَى الأَرْضِ؟ كَلاَّ أَقُولُ لَكُمْ؛ بَلِ انْقِسَاماً».**

المسيح يتكلَّم بعقلية الشعب الذي يود أن يحصل على سلام وهو مملوء بالغش والحماقة. عند هؤلاء لا يأتي المسيح ومعه سلام بل انقسام في البيت الواحد، حيث بعضهم يؤمن فينال السلام والآخر لا يؤمن فيمكث عليه غضب الله. وكيف يتعايش ابن الغضب مع ابن السلام؟ وهنا مسئولية الانقسام لا تقع على المسيح ولا على رسالته، فرسالة المسيح حق وحياة، وإنما تقع على الذي يرفض الإيمان بالسلام ورب السلام. فكل مَنْ آمن بالمسيح صار ابناً للسلام، ورافض الإيمان هو عدو للإيمان والسلام. وكلمة الحق إذا قيلت في وسط جماعة فرَّقتهم في الحال إلى قابل ورافض، وليس ذلك ذنب الحق ولا قائله بل ذنب الإنسان الذي انقسم على نفسه. وطالما يوجد شرير وخاطئ سيوجد السيف والحرب والتخريب والخراب. ويستحيل على العالم أن يذوق السلام وهو ينكِّل بأبناء السلام ويذيقهم المرَّ والهوان. ومحبو السلام لن يسعدوا به، فكأس الهوان هو مشروبهم

إلى أن تنتهي الحرب!!

وحينما قال المسيح: «طوبى لصانعي السلام» (مت 9:5)، أسرع وكمَّلها: «طوبى لكم إذا عيَّروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي.» (مت 11:5)

52:12 **«لأَنَّهُ يَكُونُ مِنَ الآنَ خَمْسَةٌ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ مُنْقسِمِينَ: ثلاَثةٌ عَلى اثنَيْنِ وَاثنَانِ عَلى ثلاَثةٍ».**

«من الآن»:

المسيح هنا يشير إلى بدء الانقسام مع بدء الصبغة أي الصليب، لأن الصليب كما قال سمعان الشيخ للعذراء القديسة: كسيف يجوز نفس الأُم الحزينة وابنها معلَّق على الصليب. فبمجرَّد أن قَبِلَ المسيح حكم الصلب دخل الإنسان عالم الدينونة وبدأ انقسام الحق ضد الباطل، حتى ولو كانوا إخوة في بيت واحد. لأن الباطل لا يطيق الحق ولا يهادنه. فمنذ أن صُلب المسيح حتى اليوم والعالم كله منقسم على ذاته والباطل يقود موكب الانقسام والقتل.

53:12 **«يَنْقسِمُ الأَبُ عَلى الابْنِ، وَالابْنُ عَلى الأَبِ، وَالأُمُّ عَلى الْبِنْتِ، وَالْبِنتُ عَلى الأُمِّ، وَالْحَمَاةُ عَلى كَنَّتِهَا، وَالْكَنَّةُ عَلى حَمَاتِهَا».**

هذه نبوَّة ميخا النبي: «لأن الابن مستهين بالأب والبنت قائمة على أُمها والكنّة على حماتها وأعداء الإنسان أهل بيته» (مي 6:7). والمسيح يقولها هنا لأن وقتها قد حان. وتاريخ الكنيسة يحمل قصص شهداء ماتوا بوشاية أهل البيت.

54:12و55 **«ثُمَّ قالَ أَيْضاً لِلْجُمُوعِ: إِذا رَأَيْتُمُ السَّحَابَ تَطْلُعُ مِنَ الْمَغَارِبِ فَلِلْوَقتِ تَقولُونَ: إِنَّهُ يَأْتِي مَطرٌ. فيَكُونُ هكَذا. وَإِذا رَأَيْتُمْ رِيحَ الْجَنُوبِ تَهُبُّ تَقولُونَ: إِنَّهُ سَيَكُونُ حَرٌّ. فيَكُونُ».**

في مواضع سابقة كثيرة استشهد المسيح بالسحاب ومعرفة وقت المطر. المسيح هنا يشكو من بلادة عقول الكتبة والفرِّيسيين الذين عندهم المواعيد محدَّدة بدقَّة سواء في الزمان أو المكان أو الأعمال التي تشير كلها إلى أيام الفداء والخلاص ومعجزات المسيَّا، ولكن الآن قلوبهم مشحونة بالغش والكذب وأعمال الباطل. ضلَّت عقولهم وانطمست قلوبهم ولم يتعرَّفوا على أعزّ شخصية عندهم التي يترقَّبونها ألفي سنة. هو يقول إني ابن الله وهم يقولون أنت تجدِّف، ثم يعمل أعمال الله ويقولون ببعلزبول يُخرج الشياطين. كل العلامات التي قال عنها الأنبياء إشارة إلى أيام المسيَّا

كملت بحذافيرها ولكن عميت عيونهم عن رؤية الحق.

56:12 **«يَا مُرَاؤُونَ، تَعْرِفُونَ أنْ تُمَيِّزُوا وَجْهَ الأرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَأمَّا هذا الزَّمَانُ فَكَيْفَ لاَ تُمَيِّزُونَهُ؟»**

لقد بدأ المسيح كرازته بالقول: «**قد كَمَل الزمان**» (مر 15:1) واقترب منكم ملكوت الله، ولكنهم سدُّوا آذانهم ولم تتحرَّك قلوبهم لا بالآيات والمعجزات ولا بالأقوال الحيَّة والتعاليم التي تنطق بأنها مقولة من الله. ولكن أخطر ما فات عليهم هو حساب الزمان الذي كانوا يتقنون أصوله، لأن دانيال النبي حدَّده تحديداً. ولكن صَدَق فيهم قول موسى نبيِّهم: «إنهم أُمَّة عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم.» (تث 28:32)

57:12 **«وَلِمَاذَا لاَ تَحْكُمُونَ بِالْحَقِّ مِنْ قِبَلِ نُفُوسِكُمْ؟»**

هذه الآية تتعرَّض لكل نقائص التصرُّفات السابقة التي لا يعوزها إلاَّ رؤية صادقة وشهادة واقعية وحكماً بالحق. ليس إنسان فوق إنسان ليحكم عليه وإنما كل واحد من ذاته يرى الحق ويعمله. ثم كيف لا تحكمون على الأمور بحسب ما يتطلَّبه زمانها؟ ولكن أليست هذه الآية تشير إلى بوادر اكفهرار الجو مع الرومان ورائحة الحرب والنقمة؟

58:12و59 **«حِينَمَا تَذْهَبُ مَعَ خَصْمِكَ إِلى الْحَاكِمِ، ابْذُلِ الْجَهْدَ وَأَنْتَ فِي الطَّرِيقِ لِتَتَخَلَّصَ مِنْهُ، لِئَلاَّ يَجُرَّكَ إِلى الْقَاضِي، وَيُسَلِّمَكَ الْقَاضِي إِلى الْحَاكِمِ، فَيُلْقِيَكَ الْحَاكِمُ فِي السِّجْنِ. أقُولُ لكَ: لاَ تَخْرُجُ مِنْ هُنَاكَ حَتَّى تُوفِيَ الْفَلْسَ الأخِيرَ».**

المَثَل هنا يحمل سمات النصيحة قبل حلول الكارثة، يتطلَّب من الإنسان التوبة في ميعادها قبل أن يحل دور العقاب. لأن الدينونة بلا رحمة لمَنْ لا يرحم نفسه ويدفع ثمن خطاياه توبة ودموعاً. والفلس الأخير يبدو أيضاً أنه هدم أُورشليم وحرق الهيكل.

ولكن يبدو من الآيتين السابقتين أن المسيح يتكلَّم عن حال اليهود تحت عنف الحكم الروماني، وأنه يوجِّه أنظارهم إلى كيفية التعامل مع الخصم قبل أن تصل القضية إلى الحاكم ثم الحرب. ولكن أيضاً تحمل طابع الروح من جهة الخطية والدينونة والتوبة والحكمة في ميعادها.

الأصحاح الثالث عشر:

6 - الحاجة إلى التوبة
(9-1:13)

القديس لوقا وحده

حضر قوم ليخبروا الرب عن كارثة حدثت لجماعة من الجليل، إذ داهمهم بيلاطس وهم يقدّمون ذبائحهم فذبحهم وخلط دماءهم بدماء ذبائحهم ـ واعتقدوا أن ذلك كان بسبب خطايا أولئك الجليليين. وأتت جماعة أخرى تخبره عن ثمانية عشر سقط عليهم البرج في سلوام فماتوا. وكان تعليق المسيح على هؤلاء وهؤلاء أنهم ليسوا من أجل أنهم أكثر خطية من باقي الجليليين أو أهل سلوام، ولكن الحقيقة إنه "إن لم تتوبوا أنتم فكذلك تهلكون جميعاً". ويبدو أن المسيح كان يتكلّم عن كل إسرائيل وما خبأه لهم الله، إذا لم يتوبوا الآن وينتهزوا الفرصة قبل أن يأتي يوم الغضب. وقال المثل بخصوص شجرة التين التي لم تثمر وجاء زمان قطعها فتوسَّل لها الكرَّام لسنة أخرى أيضاً.

1:13 «**وَكَانَ حَاضِراً فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ قَوْمٌ يُخْبِرُونَهُ عَنِ الْجَلِيلِيِّينَ الَّذِينَ خَلَطَ بِيلاَطُسُ دَمَهُمْ بِذَبَائِحِهِمْ**».

الكلام استمرار لما فات ومبني عليه، وهو يهدف إلى انتهاز فرصة للتصالح قبل أن يُسلّم المتنازع إلى القاضي فالحاكم فالحبس فالغرامة الشديدة. وهنا جماعة الجليليين الذين كانوا يقدّمون ذبائحهم فداهمهم بيلاطس وأهلكهم، والفارق أن هنا لا توجد فرصة للتوبة، لأن زمان التوبة قد ولّى، وهم يغرَّمون عمَّا سبق، ثم يعلّق المسيح على ذلك.

2:13 «**فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: أَتَظُنُّونَ أَنَّ هؤُلاَءِ الْجَلِيلِيِّينَ كَانُوا خُطَاةً أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ الْجَلِيلِيِّينَ لأَنَّهُمْ كَابَدُوا مِثْلَ هذَا؟**»

هنا الآية تُعطي بحد ذاتها نظرية روحية من حيث العقاب والدينونة في حدوث الحوادث والكوارث ومَنْ يموت فيها. إنه ليس بسبب خطايا أكثر اقترفوها حدث ما حدث، ولكنه إنذار

مبكّر لنوع غضب الله على الجميع إن لم يتوبوا.

3:13 «**كَلاَّ أَقُولُ لَكُمْ. بَلْ إِنْ لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذلِكَ تَهْلِكُونَ**».

يلاحَظ هنا أولاً أننا في الطريق صاعدون إلى أُورشليم، وأن رائحة الصليب تهب علينا من وراء الكلمات، فكلها للقتل وكلها للدينونة وذكر الخطايا والتوبة. فالمسيح هنا متأثرٌ بشدة العقاب الآتي على اليهود جميعاً وأُورشليم خصوصاً والهيكل تحديداً؛ على هذا يصيغ الكلام والحوار. ومعنى كلامه أنه إن لم تتُب إسرائيل جميعها فالهلاك يترقّبهم. فيما عدا هذا الحدث المريع الآتي على اليهود والعابدين في الهيكل، يكون موت هؤلاء وهؤلاء لا يتخطّى "القضاء والقدر"، ولو أن المسيحية لا تؤمن بالقضاء والقدر، بل أن الله وتدبيره إنما يتدخّل في كل حادث وحادثة مهما كان نوعها. فالله وليس القدر يدبّر الكون كله. فلكل حادث سببه ولكل حادثة هدفها.

4:13و5 «**أَوْ أُولئِكَ الثَّمَانِيَةَ عَشَرَ الَّذِينَ سَقَطَ عَلَيْهِمُ الْبُرْجُ فِي سِلْوَامَ وَقَتَلَهُمْ، أَتَظُنُّونَ أَنَّ هؤُلاَءِ كَانُوا مُذْنِبِينَ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ السَّاكِنِينَ فِي أُورُشَلِيمَ؟ كَلاَّ أَقُولُ لَكُمْ! بَلْ إِنْ لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذلِكَ تَهْلِكُونَ**»

الرب هنا هو الذي يثبت ما قاله سابقاً بحادث آخر يحكيه، وهو عن الثمانية عشر الذين سقط عليهم برج سلوام، وهو داخل مدينة أُورشليم نفسها، وكيف ماتوا. فالهلاك القادم لن يتأخّر عن أربعين سنة أو أقل حيث تُحصد أُورشليم كلها بمنجل ملاك الموت، والهيكل يُحرَق وذبائحه فيه مع الذين يقدّمونها، لأن ذنب إسرائيل قد فاق الحد. وقد سبق ووصف المسيح هذه الكوارث وصفاً يشيب له الولدان ويجزع منها الإنسان أشد الجزع. فغَضَبُ الله على هذا الجيل كان شديداً لأنهم فسدوا وأهانوا العليَّ وقتلوا الابن الوحيد وهو حامل ذنوبهم!! والمسيح هنا يركّز على ضرورة التوبة كضرورة الحياة لأن الموت يترصَّدهم جميعاً. فهذان المثلان إنما يدخلان في التنبُّؤ بما هو آتٍ، وإلى المزيد.

6:13 «**وَقَالَ هذَا الْمَثَلَ: كَانَتْ لِوَاحِدٍ شَجَرَةُ تِينٍ مَغْرُوسَةٌ فِي كَرْمِهِ، فَأَتَى يَطْلُبُ فِيهَا ثَمَراً وَلَمْ يَجِدْ**».

هنا يبدأ المسيح يَصيغ المثل ليأتي محبوكاً على إسرائيل وخطيتهم. والكلام مرتّب على أساس ما هو في إنجيل ق. مرقس (13:11) (شجرة التين التي زارها جائعاً إلى ثمرها فلم يجد فلعنها). فهذا "الواحد" كان ينتظر منها ثمراً يكافئ ما صنعه بها من معروف فلم يجد.

7:13 «**فَقَالَ لِلْكَرَّامِ: هُوَذَا ثَلاَثُ سِنِينَ آتِي أَطْلُبُ ثَمَراً فِي هذِهِ التِّينَةِ وَلَمْ أَجِدْ. اِقْطَعْهَا. لِمَاذَا تُبَطِّلُ الأَرْضَ أَيْضاً؟**»

قال هذا المسيح وهو في ختام السنة الثالثة من خدمته. ووضح في النهاية أنهم لم يستجيبوا لدعوة الملكوت، حسب المَثَل الذي قدَّمه عن اعتذارهم لتلبية الدعوة إلى الوليمة التي بعدها قطع السيد الداعي أنهم لن يذوقوا عشاءه (لو 24:14).

8:13و9 «**فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُ: يَا سَيِّدُ، اتْرُكْهَا هذِهِ السَّنَةَ أَيْضاً، حَتَّى أَنْقُبَ حَوْلَهَا وَأَضَعَ زِبْلاً. فَإِنْ صَنَعَتْ ثَمَراً، وَإِلاَّ فَفِيمَا بَعْدُ تَقْطَعُهَا**».

وكأنما لم يكن الكرَّام هذا إلاَّ المسيح، والسنة أيضاً هي الباقية من حياته على الأرض، ولكنه قال هذا وهو عالم أن ساعتها قد جاءت حتى ولو سقاها بدمه، فقد استنفذت كل صبر الله: «إن صخرهم باعهم والرب سلَّمهم ... إن يوم هلاكهم قريب والمهيآت لهم مُسرعة.» (تث 32: 30و35)

وهكذا حينما يفرغ صبر الله تظل النعمة تترجَّى: «اتركها هذه السنة أيضاً» وصبر الله لا يفرغ أبداً، ولكن هو الإنسان الذي يستغل صبر الله حتى إلى نقطة الصفر. بمعنى أنه لا يعود قادراً أن يستجيب لصبر الله! وهنا تنبري غيرة الله على المحبة الضائعة لتفك ربطها:

+ «والآن يا سُكَّان أُورشليم ورجال يهوذا احكموا بيني وبين كرمي: ماذا يُصنع أيضاً لكرمي وأنا لم أصنعه له؟ لماذا إذ انتظرت أن يصنع عنباً صنع عنباً رديئاً؟ فالآن أُعرِّفكم ماذا أصنع بكرمي: أنزع سياجه فيصير للرعي، أهدم جدرانه فيصير للدوس، وأجعله خراباً لايُقضب ولا يُنقب فيطلع شوكٌ وحسَكٌ وأُوصي الغيم أن لا يمطر عليه مطراً. إن كرم رب الجنود هو بيت إسرائيل وغرس لذَّته رجال يهوذا. فانتظر حقًّا فإذا سفك دمٍ وعدلاً فإذا صراخ.» (إش 5: 3-7)

هذا هو حب الله ونعمته بلا كيل، ولكن إذا استغلها الإنسان ولم يُعطِ ثمراً تُنزع منه فيصبح بلا معونة ولا قوة ونصيبه يُعطَى لآخر. ويظل الله هو الحب والنعمة ولكن عند مَنْ يردّها أثماراً وتقوى.

7 - شفاء المرأة المنحنية

القديس لوقا وحده

(17-10:13)

هنا يبدو الكلام مقطوعاً عن سابقه، كما سيقابلنا في نهاية هذا القسم أيضاً انقطاع مفاجئ (13: 21و22)، وكأنما الكلام المنتهي في (21:13) يُعتبر ختاماً للقسم الذي بدأه في (1:12).

وهنا قصة شفاء المرأة المنحنية يقدّمها ق. لوقا من وجهَتَيْ نظر: حيث يظهر أولاً رياء القادة اليهود كما حدث في (37:11-54)؛ عندما دعاه الفرّيسي للعشاء ولم يغسل الرب يده، وثانياً فإن هذه القصة في نفس الوقت توضّح قوة الخلاص الذي يباشره الله في استخلاص الإنسان من براثن العدو وتحطيم سلطانه. وهكذا تعطي هذه القصة علامة كان يجب على اليهود أن لا يغفلوها، ولكن قد انعمت عيونهم وسُدَّت آذانهم وأُغلِظَت قلوبهم. وفي هذه القصة بالذات يكشف الرب قوة الملكوت وسلطانه، مع أنها قصة عادية وبسيطة ولكن سلطان الله فيها قاهر! الذي يُنْبئ أن هناك تقدُّماً هائلاً، كما يكشفه المثلان اللذان سيعطيهما ق. لوقا هنا. وهكذا يختم ق. لوقا هذا القسم بإعلان مدى قوة المسيح في تكميل قصة الخلاص.

ومع أنها قصة بسيطة لامرأة مريضة تبدو مستحيلة الشفاء لمرضها المزمن الذي استبد بها، ولكنها كشفت عن صدام سافر بين رئيس المجمع العاتي والمسيح الطبيب الشافي.

10:13و11 **«وَكَانَ يُعَلِّمُ فِي أَحَدِ الْمَجَامِعِ فِي السَّبْتِ، وَإِذَا امْرَأَةٌ كَانَ بِهَا رُوحُ ضَعْفٍ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَكَانَتْ مُنْحَنِيَةً وَلَمْ تَقْدِرْ أَنْ تَنْتَصِبَ الْبَتَّةَ».**

هنا ننبّه القارئ العزيز أنها المرَّة الأخيرة في إنجيل ق. لوقا التي يذكر فيها أن الرب علّم في المجمع، حيث المرَّة الأُولى كانت في (16:4). وهنا يذكر الإنجيل أن المرأة «كان بها روح ضعف» بمعنى روح شرير مهنته أن يُضعف قوة الإنسان ويُحني ظهره إمعاناً في إضعافه. هنا المرض نحسبه عجزاً طبيعياً ولكن هو من صنع العدو، فالمرأة فريسة الشيطان ظلماً. ولكن الشفاء الذي أجراه المسيح بسلطانه ليس كحالة إخراج روح شرير ولكن شفاء بالسلطان الذي له، مما يجعلنا نحسب أن عمل الشيطان هنا ليس استحواذاً على الإنسان ولكن مجرَّد مسّ "obsession". والشيطان قدير أن يعطي الضربة شكلاً طبياً رسمياً، فهذا المس يُحسب مرضاً طبياً عادياً، وهو التصاق في فقرات الظهر

spondylitis ankylopoietica، ولكن استطاع الطب أن يتعرَّف على حالات مثل هذه ليست مرضية عضوياً بل كحالة هستريا = *skoliasis hysteriea*، وهي الأقرب إلى هذه الحالة من عمل العدو. ولكن لطول زمن المرض قد أثَّر في جسمها مما جعله أصبح مرضاً عضوياً(221)، مما جعل المرأة غير قادرة على استقامة نفسها ـ وبالأخص الرقبة والرأس ـ بصورة كاملة.

12:13و13 «**فَلَمَّا رَآهَا يَسُوعُ دَعَاهَا وَقَالَ لَهَا: يَا امْرَأَةُ، إِنَّكِ مَحْلُولَةٌ مِنْ ضَعْفِكِ. وَوَضَعَ عَلَيْهَا يَدَيْهِ، فَفِي الْحَالِ اسْتَقَامَتْ وَمَجَّدَتِ اللهَ**».

إنها مبادرة سريعة من المسيح عندما لمحها دعاها مظهراً التحدِّي لنظام المجمع والسبت والشيطان معاً. فجاءت المرأة التي كانت واقفة بعيدة عنه وفي الحال وضع يديه الاثنتين عليها وأمر بشفائها. هنا وضع اليدين نسمعه لثاني مرَّة (لو 40:4)، وكان ملازماً لنطقه بالشفاء حيث تمَّ الشفاء في نفس اللحظة. كذلك نسمع لثاني مرَّة (لو 25:5) تمجيد الله يتم بواسطة المريض. ويبدو أن هذا كان بوحي وجودها في المجمع وكل الناس ناظرين.

14:13 «**فَأَجَابَ رَئِيسُ الْمَجْمَعِ، وَهُوَ مُغْتَاظٌ لأَنَّ يَسُوعَ أَبْرَأَ فِي السَّبْتِ، وَقَالَ لِلْجَمْعِ: هِيَ سِتَّةُ أَيَّامٍ يَنْبَغِي فِيهَا الْعَمَلُ، فَفِي هذِهِ ائْتُوا وَاسْتَشْفُوا، وَلَيْسَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ**».

يُلاحَظ أن رئيس المجمع بقوله «ائتوا واستشفوا» يعترف بأنه قد حدث شفاء فعلاً. كما يُلاحَظ أنه احترس أن يهاجم المسيح ولكنه احتمى في الناموس، وكأنما يدعو الناموس أو موسى لكي يزجر المسيح عوضاً عنه! ولكنه لم يستطع أن يقف مكتوف اليدين أمام تحدِّي المسيح. وقول رئيس المجمع هو من التوراة (خر 9:20؛ تث 13:5).

ونجد مبادرة رئيس المجمع وهو مغتاظ جاءت سريعة وكأنما هي لدغة عقرب، لأن كل ما يملكه كرئيس مجمع هو حفظ السبت والخدمة الدينية فيه، وها هو المسيح يكسره علناً.

15:13 «**فَأَجَابَهُ الرَّبُّ وَقَالَ: يَا مُرَائِي، أَلاَ يَحُلُّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ ثَوْرَهُ أَوْ حِمَارَهُ مِنَ الْمِذْوَدِ وَيَمْضِي بِهِ وَيَسْقِيهِ؟**»

يُلاحِظ القارئ أن ق. لوقا هنا أعطى للمسيح صفته المناسبة لسلطانه: «الرب» أما الصفة المناسبة لرئيس المجمع كما خرجت من فم المسيح: فهي «يا مُرائي» فهنا في الحقيقة تحقيق تاريخي.

(221) I.H. Marshall, *op. cit.*, p. 557.

فالرب هنا هو يهوه وهو رب الناموس والسبت أيضاً. واستطاع الرب من الناموس ذاته أن يأتي بمَثَلٍ يعطي للعمل الذي عمله صفته الرسمية الصحيحة، لذلك لم يعترض رئيس المجمع لأن المسيح كشف له رياءه بالفعل. ولكن إلى هذا الحد اعتبر اليهود أن الحمار يمكن أن يرحمه صاحبه ويسقيه في السبت ولكن أن تُشفى امرأة مريضة من ثماني عشرة سنة فلا!! هذا هو الاستبداد باسم الدين.

16:13 «**وَهذِهِ، وَهِيَ ابْنَةُ إِبْراهِيمَ، قَدْ رَبَطَهَا الشَّيْطَانُ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً، أَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تُحَلَّ مِنْ هذَا الرِّبَاطِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ؟**»

هنا يراجع المسيح رئيس المجمع: إن كان حلالاً فك رباط الحمار، ألا يجوز فك رباط الشيطان من هذه المرأة الذي ظلَّ معقوداً في ظهرها هذه الثماني عشرة سنة؟ وهنا ينسب المرأة لإبراهيم، لأن إبراهيم كان بلا ناموس ولا سبت، على أن المسيح هنا لم يشفِ امرأة من مرضها فقط بل تحدَّى الشيطان وكسر سلطانه في يوم السبت. وكان يود أن يشفي الأُمة اليهودية كلها التي أحنى ظهرها الشيطان ألفي سنة، ولكن هو أراد وهم لم يريدوا (34:13).

17:13 «**وَإِذْ قَالَ هذَا أُخْجِلَ جَمِيعُ الَّذِينَ كَانُوا يُعَانِدُونَهُ، وَفَرِحَ كُلُّ الْجَمْعِ بِجَمِيعِ الأَعْمَالِ الْمَجِيدَةِ الْكَائِنَةِ مِنْهُ**».

هكذا تنتهي هذه القصة المثيرة التي استظهر فيها المسيح على الشيطان وعلى رياء رئيس المجمع معاً، وأعطى الصحة والاستقامة مرَّة أخرى لهذه المرأة السعيدة بإظهار سلطان عمل الله فيها. ويُلاحِظ القارئ أن ق. لوقا اختار هذه القصة في هذا الموضع الذي قارب فيه من الانتهاء من سرد أعمال المسيح.

8 - حبة الخردل والخميرة الصغيرة

(21-18:13) (مت 13:31-33)، (مر 4: 30 ـ 32)

يمتاز المثلان اللذان اختارهما ق. لوقا هنا ونحن صاعدون إلى أُورشليم بأنهما يوضّحان كيف يبدأ الملكوت من عمل صغير جداً كحبة الخردل، وكيف يتقوّى ويشتد ويتضخّم كعمل الخميرة في العجين. وفي المثلين النسبة بين البداية والنهاية كبيرة. ويمكن أن نعتبر وجهة النظر هذه بالنسبة للملكوت مترابطة مع خدمة المسيح السالفة، لأن بدايتها صغيرة ثم نموها وتأثيرها ونهايتها كبيرة. لذلك يُعتبر هذان المثلان تعليقاً وتفسيراً لما حدث في كرازة المسيح من جهة الملكوت. كذلك انهزام الشيطان كان علامة لاستمرار وتقدُّم سلطان الله (20:11). وإن كان حدث شفاء المرأة المنحنية على سبيل المثال حَدَثاً صغيراً في حد ذاته، ولكن سلطان المسيح فيه وفي غيره يفوق الوصف بالرغم من المقاومات التي لاقاها. كذلك نفهم من مثل حبة الخردل ومثل الخميرة الصغيرة في العجين أنه حينما يسوقهما المسيح لنا فهما يكشفان ضمناً ما هو الملكوت وما هو عمل المسيح في اعتباره الشخصي وإحساسه. وهذا يهمنا للغاية لأنه يعكس الغرض من خدمته وأعماله كلها، فإن بدت في أعيننا صغيرة جداً، إلاَّ أنها انتهت بقوة وجبروت لتمتد من فوق رؤوسنا نحو النهاية الأخيرة والعظمى المخفية في قلب المسيح والتي رسمها الآب لتُكمَّل بكل دقة. والملكوت في نظر المسيح لا يأتي فجأة ولا يبدأ بقوة كبيرة بل ينتهي بذلك، هذا نقرأه بوضوح في مثل حبة الخردل وفي فعل الخميرة الصغيرة.

18:13و19 «**فَقَالَ: مَاذَا يُشْبِهُ مَلَكُوتُ اللهِ، وَبِمَاذَا أُشَبِّهُهُ؟ يُشْبِهُ حَبَّةَ خَرْدَلٍ أَخَذَهَا إِنْسَانٌ وَأَلْقَاهَا فِي بُسْتَانِهِ، فَنَمَتْ وَصَارَتْ شَجَرَةً كَبِيرَةً، وَتَآوَتْ طُيُورُ السَّمَاءِ فِي أَغْصَانِهَا**».

يسرد القديس لوقا هذا المَثَل متتبِّعاً ما جاء في (مر 30:4) ومستمراً في الحديث السالف. لأن الآية بدأت بالحرف oân (ف) «فقال» أي مترتِّباً على ما مضى. وعلى الأرجح فإن المسيح لا يزال في المجمع معقِّباً على ما فات. أمَّا تكراره كلمة «بماذا أُشبِّهه؟» فهي تعكس نيَّته في إعطاء مثلين وليس مَثَلاً واحداً، أي أن هذه المقدِّمة بالرغم من قصرها فهي بمهارة تضم المثلين. وإن كانت حبَّة الخردل *Sinapis nigra* صغيرة فهي إذا نمت جيداً تصير شجرة يصل طولها إلى مترين تقريباً،

والعصافير الصغيرة تتآوى فيها، وإن كانت حبَّة الخردل ليست بالصغر ولا الشجرة النامية منها ليست بالكبر المطلوب، فيوجد مثلاً بذرة شجرة التوت فهي في منتهى الصغر وشجرتها في منتهى الضخامة. ولكن قصد المسيح من المثل عامة: بذرة تبدأ صغيرة وتنتهي إلى شجرة كبيرة هو سرعة نموِّها نوعاً، فقد تأخذ ثلاثة أو أربعة شهور فقط. فهو يريد أن يصوِّر كيف بدأ الملكوت صغيراً وكيف ينمو سريعاً، حيث الطيور تمثّل الأُمم.

20:13و21 **«وَقَالَ أَيْضاً: بِمَاذَا أُشَبِّهُ مَلَكُوتَ اللهِ؟ يُشْبِهُ خَمِيرَةً أَخَذَتْهَا امْرَأَةٌ وَخَبَّأَتْهَا فِي ثَلاَثَةِ أَكْيَالِ دَقِيقٍ حَتَّى اخْتَمَرَ الْجَمِيعُ».**

كلمة أيضاً هنا تزيد من إصرار المسيح على دقة وصف بداية الملكوت. فالخميرة عملها في العجين غير منظور ولكنها قطعة صغيرة توضع في ثلاثة أكيال دقيق؛ وهذا يساوي بمقاييسنا 4,25 جالون تقريباً أو حوالي 13 لتراً. وهي كمية من العجين تكفي لأكل 160 شخصاً بالقياس والتجربة. وهي في الأحوال العادية تأخذ الليل كله ليصبح الخبيز مختمراً. (هذا بحسب زماننا القديم، ولكن الآن ربما ساعة) ففي الصباح نجد العجين قد نما جداً وملأ الأجران أو الطشوت. وعمل الخميرة يعتبر ذا قوة ونفاذ شديد في تخمير العجين. وهذا هو المطلوب من المثل بالنسبة للملكوت: قوة واستمرار التأثير.

وبهذين المثلين يلفت المسيح نظرنا لتقييم العمل الذي عمله بالقصص والتعليم وأعمال الشفاء، فهي وإن ظهرت في نهاية المطاف أنها كلها أعمال قليلة وصغيرة، ولكن بهذا المنهج أكمل المسيح كل ما يخص التعليم عن ملكوت الله. ولكن هذا نفسه نأخذه لأنفسنا لنعلم منه أن عمل الملكوت معنا وفينا يسير على هذا المنوال: بأقوال بسيطة في الإنجيل وبأعمال قليلة بحسب الوصايا، ينمو فينا الملكوت أو ننمو نحن فيه ليملك علينا الحياة كلها وإنما بصورة خفية غير منظورة، كعمل الخميرة في العجين ونمو الشجرة من البذرة.

(هـ) الطريق إلى الملكوت
(35:14-22:13)

أيضاً يبتدئ هذا القسم كاستمرار لما مضى، حيث غاية التوبة والحاجة إليها والقطع بها قطعاً حاسماً ضرورة تضم الآيات (13:22-30) إلى (13:1-9). وذلك أولاً لأن (13:23-30) يسأل عن دخول الملكوت، ثانياً لأن (13:1-9) يحكي عن ضرورة التوبة: «وإلاَّ جميعكم تهلكون» وهو التهديد بالحرمان من الملكوت لمن لم يتوبوا. لذلك فالقسم الذي يبدأ من (22:13) إلى (35:14) هو للذين تابوا أو للتائبين. علماً بأن تحديد الأقسام التي نقترحها في تقسيم الأصحاح ليست بالضرورة واضحة. لذلك لا ينتظر القارئ أنه بالاستطاعة ربط المواضيع التي جمعها ق. لوقا من مصادر مختلفة.

1 ـ الدخول إلى الملكوت
(22:13-30) (مت 13:7و14و22و23، 8:11و12)

يبتدئ هذا القسم بتذكيرنا أننا لا نزال سائرين في الطريق نحو أُورشليم، نجوز القرى والمدن والمسيح يعلِّم صاعداً إلى حيث سيتألَّم. وفي سياق الكلام يوضِّح **أولاً:** الخطورة التي تواجه رسالة المسيح، **وثانياً:** الرفض الذي يقابله المسيح باستمرار وموته في أُورشليم. ويبتدئ الحديث بسؤال يُسأل عن دخول الملكوت، فيبتدئ المسيح يصف أهمية انتهاز الفرص للدخول للملكوت في طريقه الضيق قبل أن يُقفل الباب. وهنا يطرأ على الفكر أمران: **الأول** إن مدى فرصة الدخول محدود بالدينونة القادمة. **والثاني** إن دخول الملكوت لا يتم بمجرَّد السمع لكلام المسيح والسير معه ولكن بمقدار التوبة وجدِّيتها. أمَّا يوم القضاء للدينونة فهو سيذهل كل توقعاتنا حيث سيقلبها قلباً، لأن موازين تقديراتنا بالنسبة للعدل والرحمة خاطئة للغاية. على أنه يلزم أن نعرف أن وصف ق. لوقا للباب الضيِّق (24) غير ما وصف ق. متى (13:7 إلخ)، وذلك لالتجائهما إلى مصادر مختلفة. كذلك هناك اختلاف في التقليد هنا وهناك لاختلاف الزمان والمكان. ولكن على أي حال، فإن ق. لوقا قد احتفظ بالأصل الذي كان أمامه.

22:13 «**وَاجْتَازَ فِي مُدُنٍ وَقُرىً يُعَلِّمُ وَيُسَافِرُ نَحْوَ أُورُشَلِيمَ**».

هذا كلام يربط به القديس لوقا الآتي بالذي مرَّ علينا (51:9)، منبِّهاً أننا صاعدون الآن إلى أُورشليم والمسيرة للتعليم عبر القرى والمدن.

23:13و24 «**فَقَالَ لَهُ وَاحِدٌ: يَا سَيِّدُ، أَقَلِيلٌ هُمُ الَّذِينَ يَخْلُصُونَ؟ فَقَالَ لَهُمْ: اجْتَهِدُوا أَنْ تَدْخُلُوا مِنَ الْبَابِ الضَّيِّقِ، فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كَثِيرِينَ سَيَطْلُبُونَ أَنْ يَدْخُلُوا وَلاَ يَقْدِرُونَ**».

هنا مفهوم السؤال هو الخلاص بالنهاية، ويتضمن الدخول إلى الملكوت والحصول على الحياة الأبدية أي الحصول على السعادة الأبدية. والسائل يسأل: هل هم قليلون؟ وهذا السؤال سؤال الساعة لكل إنسان يسعى في الطريق. وقد وضعه ق. لوقا هنا ليفتح به الكلام عن الملكوت. ورد المسيح بأن يجتهدوا للدخول من الباب الضيِّق ليس ردًّا مباشراً، ولكنه أساسحتمي على كل مَنْ يريد أن يخلص ويدخل الملكوت أو الحياة الأبدية أن لا يختار الأكثر راحة واتساعاً، وأن لا يؤجِّل البت في الأمور بسبب ضيق الباب، لئلاً يفوت عليه الأوان ويحاول الدخول فيستحيل عليه بسبب تغيُّر الظروف وفقدان القابلية على احتمال المشقات والدخول في مناقص العمر الرذيل، أي الكبر. علماً بأن الذين عزموا على الدخول يتحتَّم أن تكون لهم من الآن أخلاق بني الملكوت، لأنه لا يُزكَّى للدخول إلاَّ الذي أخلاقه مطابقة لوصايا الإنجيل مهما كلَّفه من تنازل وحرمان وبذل وتقشُّف واحتقار الذات والتشبُّث بالمتكأ الأخير، وأن يكون آخر الكل في كل شيء وعلى مدى الطريق الضيق الطويل. فالكنز الذي سيحصل عليه يساوي مشقَّاته ألف ألف مرَّة. على أن يضع الإنسان الجاد في طلبه للملكوت أن المسيح نفسه هو الطريق وهو الباب، فالالتصاق بالرب يسوع بكل القلب والنيِّة هو الضمان الوحيد، لأنه هو الذي افتتح الملكوت بموته على الصليب وهو الذي يعبر بنا ضيقات الطريق. وكثير من الذين يستطيعون أن يدخلوا الآن لن يستطيعوا بعد ذلك مهما حاولوا، إذ يكونون قد فقدوا قوة الاندفاع من الاستعداد لإنكار الذات. فالملكوت يُكتسب بالنيَّة في القلب أولاً، ومتى استقر العزم على ذلك استطاع الإنسان أن يعبر الأهوال والمصاعب بقلب أسد، إذ يرى المعونة الإلهية حاضرة في كل ضيقة لأن المسيح أمين على دعوته للنهاية.

25:13 «**مِنْ بَعْدِ مَا يَكُونُ رَبُّ الْبَيْتِ قَدْ قَامَ وَأَغْلَقَ الْبَابَ، وَابْتَدَأْتُمْ تَقِفُونَ خَارِجاً وَتَقْرَعُونَ الْبَابَ قَائِلِينَ: يَارَبُّ يَارَبُّ، افْتَحْ لَنَا، يُجِيبُ وَيَقُولُ لَكُمْ: لاَ أَعْرِفُكُمْ مِنْ أَيْنَ أَنْتُمْ!**»

هنا الكلام ينصَبُّ على الذين أهملوا الدعوة في وقتها وفضَّلوا العالم على المسيح، ويسألون

الدخول فيستحيل عليهم لأنهم يكونون قد أخذوا شكل العالم وصاروا غرباءَ على الطريق الكرب والباب الضيِّق. لذلك مَنْ كان أمامه الفرصة مواتية ويتركها تتركه، سوف يطلبها بدموع فلا يحصل عليها، لأن الدعوة تأتي ومعها القوة والبركة والعزيمة، فإن استصغرها أو أهملها الإنسان يطلبها فلا يجدها. على أن خدمة الملكوت لكل قامة ولكل عمل ولكل مكان ولكل زمان، وهي تأتي ومعها اختصاصها وتوجيهاتها ورجاؤها وآمالها الحلوة، ليستقبلها القلب المهيأ لها بثقة وإيمان وعزيمة وفرح لا يجعل الإنسان ينام أو يستريح حتى يتمِّم مقاصدها مهما كلَّفه الطريق. أمَّا غلق الباب فهو للذين توانوا وأهملوا الصوت واستصعبوا الدعوة ثم عادوا يطلبون، فيجدون الباب قد أُغلق، بمعنى أنهم فقدوا مواصفات بني الملكوت من الحرارة والغيرة الملتهبة، فلم يعد قرعهم على الباب وتوسُّلهم يدخل قلب المسيح الذي دعاهم فرفضوا. وقوله: «لا أعرفكم» لأنهم تنكَّروا لحبِّه، أمَّا قوله: «من أين أنتم؟» لأنهم تغرَّبوا عن بلده. والدعوة لا تأتي مرتين.

26:13و27 **«حِينَئِذٍ تَبْتَدِئُونَ تَقُولُونَ: أَكَلْنَا قُدَّامَكَ وَشَرِبْنَا، وَعَلَّمْتَ فِي شَوَارِعِنَا. فَيَقُولُ: أَقُولُ لَكُمْ لاَ أَعْرِفُكُمْ مِنْ أَيْنَ أَنْتُمْ! تَبَاعَدُوا عَنِّي يَا جَمِيعَ فَاعِلِي الظُّلْمِ».**

هؤلاء هم الذين ساروا في مواكب الدين والخدمة، وتعرَّفوا على الكنيسة ورجالها، وخدموا خلسة بين الذين يخدمون، ولكن استغلُّوا الأسماء والوظائف والكنيسة ليعيشوا في دواخلهم للعالم ومتعهِ وأمتعته وماله.

28:13-30 **«هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ، مَتَى رَأَيْتُمْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَجَمِيعَ الأَنْبِيَاءِ فِي مَلَكُوتِ اللهِ، وَأَنْتُمْ مَطْرُوحُونَ خَارِجاً. وَيَأْتُونَ مِنَ الْمَشَارِقِ وَمِنَ الْمَغَارِبِ وَمِنَ الشِّمَالِ وَالْجَنُوبِ، وَيَتَّكِئُونَ فِي مَلَكُوتِ اللهِ. وهُوَذَا آخِرُونَ يكُونونَ أوَّلينَ، وأوَّلونَ يكُونونَ آخِرينَ».**

في الحقيقة إن المسيح يقصد أن حالهم هناك سيكون كمن يتألَّم ويتوجَّع هنا بجسده، هكذا لأن هناك ليست أجسادٌ ولا أحاسيس جسدية. وإنما الندم هناك هو حالة أسوأ من هذا لأنه دائم وقائم على الحرمان من محبة ورحمة الله كأب. فالنفس ستكون متغرِّبة عن إلهها تماماً، تحت الرفض. وواضح من قوله إن الأولين يكونون آخرين أن الذين يتبوأون مراكز الصدارة هنا يكونون آخرين هناك والعكس بالنسبة للآخرين هنا، وهي تنطبق في أيام المسيح على اليهود والأمم كيف سيُقبل الأمم ويُطرد اليهود.

2 ـ تهديد هيرودس الملك

(33-31:13) القديس لوقا وحده

لا يزال المسيح على الطريق الصاعد نحو أُورشليم وقد بدأ يواجه علامات النهاية، ومنها أن هيرودس على ما يبدو سمع عن أعماله وابتدأ يخاف على مركزه، وانتهز الفرِّيسيون هذه الفرصة وأخبروا المسيح أنه يريد أن يقتله، ولكن رد المسيح عليهم: إن تهديد هيرودس لا يزيد عن تهديد ثعلب، وإنه سيستمر في خدمته التي أُرسل من أجلها، وإنها لا تكمَّل إلاَّ في أُورشليم حسب التدبير. فإن كان سيُقتَل فليذهب بنفسه إلى أُورشليم.

وبورود الكلام عن أُورشليم أسرع ق. لوقا وأعطى النداء الحزين على أُورشليم: أنه كم مرَّة أراد المسيح أن يجمع أولادها فلم يريدوا، لأن هذا القول بحسب إنجيل ق. متى قاله عشية التسليم مؤكِّداً أنه بعد أن يُكمَّل الآن سوف يجيء مجيئه الثاني ويقولون مبارك الآتي باسم الرب، الأمر الذي أخذه إنجيل ق. لوقا على أنه يتكلَّم عن دخوله يوم الأحد أُورشليم واستقباله بمبارك الآتي باسم الرب.

31:13 **«فِي ذلِكَ الْيَوْمِ تَقَدَّمَ بَعْضُ الْفَرِّيسِيِّينَ قَائِلِينَ لَهُ: اخْرُجْ وَاذْهَبْ مِنْ ههُنَا لأَنَّ هِيرُودُسَ يُرِيدُ أَنْ يَقْتُلَكَ».**

كان المسيح وقتئذ في أرض هيرودس، ربما في بيرية. ويظهر فعلاً أن هيرودس أراد أن يتخلَّص من المسيح خوفاً من اضطراب كورته، وربما أظهر التهديد فقط الذي نقله الفرِّيسيون. ويبدو أن المسيح صدَّقهم لذلك ردَّ عليهم بما يُفهم أن المسيح له رسالة لابد أن يكمِّلها وسوف يكمِّلها في أُورشليم. ومعروف أن هيرودس سبق وسأل عن المسيح مَنْ هو وظنَّه أنه المعمدان قد قام من الأموات (لو 9:7ـ9 ومر 16:6).

وطبعاً لا ننتظر من المسيح ردًّا إلاَّ هذا الرد، فالقصة صادقة بالرغم من تشكيك العلماء. وموقف الفرِّيسيين لا لوم فيه لأن منهم كثيرين كانوا أصدقاء للمسيح.

32:13 **«فَقَالَ لَهُمْ: امْضُوا وَقُولُوا لِهذَا الثَّعْلَبِ: هَا أَنَا أُخْرِجُ شَيَاطِينَ، وَأَشْفِي الْيَوْمَ وَغَداً، وَفِي**

الْيَوْمِ الثَّالِثِ أُكَمَّلُ».

لم يقصد المسيح أبداً أن تصل هذه الرسالة إلى هيرودس، لكن رده كان للفرِّيسيين أنفسهم الذين سواء قالوا هذه الرسالة عن صدق أو عن تخويف فهي رسالة وقحة ماكرة مكر الثعلب، وقد أعطاهم المسيح الدرس في الرد. والمعروف في التقليد اليهودي أن الثعلب هو رمز المكر الخسيس. وهناك قول متوارث عندهم:

[كن سبَّاقاً بالتحية لكل إنسان وكن ذيلاً للأسود (أي شجاعاً ولكن غير مفترس) ولكن لا تكن رأساً لثعلب](222).

على أن موقف هيرودس من المسيح مشابه لموقف شاول Saul من داود. والمسيح يقصد ذلك بإعطاء كلمة ثعلب لأنها تُنطق saul. طبعاً "يروح فين" بالنسبة لأسد يهوذا (تك 9:49)، (رؤ 5:5). وهكذا وبهذا يكون المسيح قد اعترف بمسيَّانيته عفواً. أمَّا مضمون رسالة المسيح فهو سيستمر في عمله بإخراج الشياطين وعمل الشفاء اليوم وغداً. والقصد الواضح منها أنه بعد أن يُخرج الشياطين ويشفي الشعب يكون الصليب! وبقوله: «وفي اليوم الثالث أُكمَّل» تتضح صورة الصليب جداً، وبقوله: «أُكمَّل» بصيغة المبني للمجهول يجعل الصليب من عمل الآب.

33:13 **«بَلْ يَنْبَغِي أَنْ أَسِيرَ الْيَوْمَ وَغَداً وَمَا يَلِيهِ، لأَنَّهُ لاَ يُمْكِنُ أَنْ يَهْلِكَ نَبِيٌّ خَارِجاً عَنْ أُورُشَلِيمَ».**

«بل»: pl»n

تُفيد في عمل مقارنة أشد. وهي تجيء هنا لتشدِّد من قوة أُكمَّل التي جاءت في الآية السالفة وتعني أنه لأني سأُكمَّل يقيناً فلابد أن أسير اليوم وغداً. ويبدو أنها المسافة المتبقِّية على أورشليم أو تعبيراً عن المدة الباقية أنها قصيرة لكي يُكمَّل في أورشليم كبقية الأنبياء. وكلمة يُكمَّل بالمبني للمجهول مهمة للغاية إذ تبعد عن الأذهان أنه سيهلك هناك بل سيُكمِّل رسالته التي أخذها من الآب.

(222) *Pirqey Abhoth* 4-15, cited by I. H. Marshall, *op. cit.*, p. 571.

3 ـ المسيح ينعي أُورشليم

(13:34و35) (مت 23:37-39)

13:34و35 «يَا أُورُشَلِيمُ يَا أُورُشَلِيمُ، يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا، كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، وَلَمْ تُرِيدُوا. هُوَذَا بَيْتُكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَاباً! وَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ لاَ تَرَوْنَنِي حَتَّى يَأْتِيَ وَقْتٌ تَقُولُونَ فِيهِ: مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ».

هنا يقدِّم المسيح أعمدة الإنجيل الأربعة:

1 - المحبة الإلهية.	3 - الدينونة الحتمية الزمنية.
2 - خطية الإنسان.	4 - المجيء المسيَّاني الثاني.

- فحينما كرَّر المسيح القول: «يا أُورشليم يا أُورشليم» وأردف مباشرة بتصوير الدجاجة وهي تجمع أفراخها تحت جناحيها، يكون المسيح قد كشف عن مكامن أعماق الحب الإلهي بالنسبة لشعبه.
- وحينما ناداها بخطيتها وبسفك دم الأنبياء ورجم المُرسلين يكون قد كشف عن خطية الشعب.
- وحينما سجَّل عليها عدد المرَّات التي طلب فيها أن يجمع أولادها فرفضت سجَّل عليها دينونتها العاجلة.
- وحينما أفصح عن ذهابه وغيابه ثم عودته المباركة باسم الرب يكون قد أعطى الوعد بالمجيء الثاني.

حينما كرَّر المسيح اسم أُورشليم ذكَّرنا في الحال بـ «مرثا مرثا» و «شاول شاول» ويهوه في القديم «إبراهيم إبراهيم» بهذه النغمة الحبيَّة التي تعبِّر عن القرب والانتماء لله، وبآن واحد تحمل هنا رنَّة حزن أسيف على فرصة انقضت كانت تتيح لأُورشليم أعظم الفرص للمجد لتكون أم الدنيا وباباً أبدياً للملكوت. ولكن لم تكن المرَّة الأُولى بل الأخيرة لأن يهوه في القديم أحبَّها وتودَّد إليها ولكنها كانت دائماً أبداً تخون الأمانة والمودَّة، وكان تعبير المسيح لها بقاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين سيرة ممتدة حملتها أُورشليم على مدى التاريخ، وقد اختصَّت دون كافة المدائن بالنصيب الأوفر في سفك دماء الأنبياء حتى قالها المسيح: «لأنه لا يمكن أن يهلك نبي خارج أورشليم» (لو 13:33)، هذه شهادة دموية وضعها المسيح على جبين التاريخ لأُورشليم.

والمسيح بقوله: «كم مرَّة أردت أن أجمع أولادك» فهو إنما يتكلَّم أيضاً بفم يهوه: « بسطت يديَّ طول النهار إلى شعب متمرِّد» (إش 2:65؛ راجع: رو 21:1). والمسيح في هذا القول يحكي عن خبرته هو، لأن قوله: «كم مرَّة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها» يعني تماماً أنه كان جادًّا في حمايتها من أعدائها ومن الرومان أيضاً، بأن يبث فيها روح السلام والوداعة والمحبة لتصبح هي مسئولة عن سلامة روما والعالم كله. فهي إن كانت وقعت فريسة الأسد الروماني الذي عرَّاها من مجدها وخرَّبها وتركها خاوية تنعي تاريخ مجدها، فلأنها قدَّمت لروما أسوأ صورة لأُمة تعاهدت مع الشيطان للقتل والمقاومة بشراسة. فبعد أن قتلت رئيس السلام ماذا يتبقَّى لها إلاَّ الحديد والنار. رفضت السلام بيد الله فشربت كأس النقمة حتى النهاية. ثلاث سنوات وأكثر وهو يتودَّد لها ليسقيها كأس المصالحة مع الله ويرفع رأسها وسط الشعوب لتصبح مدينة السلام بالحق كاسمها، ولكنها عوض أن تقبل من يده خلاصاً سفكت دمه على الأرض ظلماً وهواناً.

«ولم تريدوا»:

تاريخ الرفض لله قديم يحكي عنه إرميا النبي بالحزن (628-588 ق.م) في أيام الملوك يوشيا ويهوآحاز ويهوياقيم وصدقيا حتى السبي. يقول:

+ «فمن اليوم الذي خرج فيه آباؤُكم من أرض مصر إلى هذا اليوم أرسلت إليكم كل عبيدي الأنبياء مبكِّراً كل يوم ومُرسِلاً فلم يسمعوا لي ولم يميلوا أُذنهم بل صلَّبوا رقابهم، أساءُوا أكثر من آبائهم. فتُكلِّمهُم (الله لإرميا) بكل هذه الكلمات ولا يسمعون لك وتدعوهم ولا يُجيبونك. فتقول لهم هذه هي الأُمَّة التي لم تسمع لصوت الرب إلهها ولم تقبل تأديباً، باد الحق وقُطِعَ عن أفواههم. جُزِّي شعركِ واطرحيه وارفعي على الهضاب مرثاةً لأن الرب قد رفض ورذل جيل رجزهِ (غضبه).» (إر 7: 25-29)

«هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً»:

«هوذا»: doÚ„ أي: ‟انظروا behold”. هنا إسرائيل كأُمة هي المقصودة بالهيكل، وأورشليم ‟بيتكم” الذي وجد الله فيه مسكنه قديماً، قد تركه، فانتُزع وجوده وسلامه وكيانه. كان الهيكل هو قلب إسرائيل النابض الذي كان يسكنه الله ويرتاح فيه مع شعبه الذي أحبه. رفضوه فرفضهم. وبعد أن كان يعجّ بالحياة والآباء والأنبياء والقديسين تُرك خالياً بلا حياة فغشَاه الموت والخراب: «أنتم أنكرتم القدوس البار وطلبتم أن يوهب لكم رجل قاتل. ورئيس الحياة قتلتموه الذي أقامه الله من الأموات ونحن شهود لذلك» (أع 3: 14و15). الصورة التي

يقدِّمها القديس لوقا لنهاية إسرائيل قاتمة للغاية وليس لها فرصة ولا بقية كما حاول القديس بولس مراراً أن يؤكِّده: «أمَّا البقية فتخلص» ولكن القديس لوقا لا يعمل حساباً لبقية أو إعادة نظر. إلاَّ أنه ربما يكون في الآتي رجاء.

«الحق أقول لكم: إنكم لا ترونني حتى يأتي وقتٌ تقولون فيه: مبارك الآتي باسم الرب»:

يبني كثير من الشُّرَّاح الذين يأملون رجعة لإسرائيل ـ مثل بولس الرسول ـ أملهم على هذه الآية التي يقابلها في زكريا النبي: «وأفيض على بيت داود وعلى سكان أورشليم روح النعمة والتضرُّعات فينظرون إليَّ الذي طعنوه وينوحون عليه كنائح على وحيدٍ له ويكونون في مرارةٍ عليه كمن هو في مرارةٍ على بكره.» (زك 12:10)

وتُحسب هذه النبوَّة على أنها توبة إسرائيل حينما يأتي الرب في مجيئه الثاني ويتعرَّفون عليه.

وفي عرفنا أن جميع نبوَّات العهد القديم تتفق في أن لإسرائيل آخر الأيام صحوة ورجعة وتوبة تكون خيراً على العالم كله. يضعها إشعياء النبي بأن أُمَّة تُولد في يوم واحد!! وذلك في آخر أصحاح له:

+ «مَنْ سَمِعَ مثل هذا، مَنْ رأى مثل هذا، هل تتمخَّض بلادٌ في يوم واحد، أو **تولد أمةٌ دفعةً واحدةً**، فقد مَخَضَتْ صهيون بل ولدت بنيها. هل أنا أُمخِضُ ولا أولِّد يقول الرب؟ أو أنا المولِّد هل أُغلق الرَّحم قال إلهك؟ افرحوا مع أُورشليم وابتهجوا معها يا جميع محبيها، افرحوا معها فرحاً **يا جميع النائحين عليها**، لكي ترضعوا وتشبعوا من ثدي تعزياتها، لكي تعصروا وتتلذَّذوا من دِرَّة مجدها.» (إش 66: 8-11)

ومعها بالضرورة هذه الآية التي تختم على عهد الأحزان:

+ «لأني هأنذا خالقٌ سمواتٍ جديدةً وأرضاً جديدةً فلا تُذكر الأُولى ولا تخطر على بال، بل افرحوا وابتهجوا إلى الأبد فيما أنا خالقٌ لأني هأنذا خالقٌ أورشليم بهجةً وشعبها فرحاً. فأبتهج بأُورشليم وأفرح بشعبي ولا يُسمع فيها صوت بكاءٍ ولا صوت صراخ.» (إش 65: 17-19)

ومنذ أن صُلب المسيح، والباب ـ باب الملكوت ـ مفتوح لكل يهودي أن يعود إلى المسيح ويؤمن وينال حق البنين ويشترك في جسم الكنيسة التي هي الشعب الآخر الذي استؤمن على ملكوت السموات.

ولعل إشعياء أيضاً ذكر هؤلاء العائدين هكذا:

+ «ويأتي الفادي إلى صهيون **وإلى التائبين عن المعصية في يعقوب** يقول الرب. أمَّا أنا فهذا

عهدي معهم قال الرب: روحي الذي عليكَ وكلامي الذي وضعتُهُ في فمك لا يزول من فمك ولا من فم نسلك ولا من فم نسل نسلك قال الرب من الآن وإلى الأبد.» (إش 59: 20و21)

ولعل اليهود المتنصرين الذين تجمَّعوا في كنيسة في صهيون تُحسب إشارة ذكية لهذا الوعد، ومنهم مَنْ صاروا قديسين ورائين ...

فإن كان المسيح قد استعار قول المزمور 26:118: «مبارك الآتي باسم الرب» فإنه يوحي بالرجاء الذي في المسيح لإسرائيل، لأنه مزمور لإسرائيل:

«احمدوا الرب لأنه صالح، لأن إلى الأبد رحمته،
ليقل إسرائيل إن إلى الأبد رحمته ...
لا أموت بل أحيا وأُحدِّث بأعمال الرب،
تأديباً أدَّبني الرب وإلى الموت لم يسلّمني، ...
الحجر الذي رفضه البنّاؤون قد صار رأس الزاوية،
من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا، ...
مبارك الآتي باسم الرب! ...
احمدوا الرب لأنه صالح، لأن إلى الأبد رحمته!!» (مز 118: 1و2و17و18و22و23و26و29)

ولكن كثيرون يقولون إن هذه السنوات جميعاً تخص أيام مجيء المسيح، وأنها تفيد الذين تنصَّروا من اليهود وصاروا إسرائيل الجديد.

الأصحاح الرابع عشر:

4 ـ شفاء المستسقي

(14:1-6) القديس لوقا وحده

في هذا الأصحاح نجد الأعداد (14:1-24) تكوِّن مجموعة واحدة في بيت الفرّيسي الذي دعا المسيح ليأكل عنده، وكأنه حديث المائدة المستديرة في عرفنا، وهي تخص انتقادات الفرّيسيين. وهي تبتدئ بشفاء الرجل المريض بداء الاستسقاء، والمحاورة قريبة من القصة السالفة التي ذكرناها في الأصحاح السالف (13:10-17).

14:1و2 **«وَإِذْ جَاءَ إِلَى بَيْتِ أَحَدِ رُؤَسَاءِ الْفَرِّيسِيِّينَ فِي السَّبْتِ لِيَأْكُلَ خُبْزاً، كَانُوا يُرَاقِبُونَهُ. وَإِذَا إِنْسَانٌ مُسْتَسْقٍ كَانَ قُدَّامَهُ».**

لأول مرَّة نسمع بأن هناك صاحب منصب يسمَّى برئيس الفرِّيسيين، ويبدو أنه حاكم تابع للفرِّيسيين، والوليمة هي الأكلة الرسمية بعد صلاة السبت. ويبدو أن هذا الفرِّيسي كان عضواً في السنهدرين، وبذلك ربما يكون البيت هنا في أورشليم، كما يبدو أن الوليمة كان يحضرها جماعة من الفرِّيسيين. أمَّا الرجل المستسقي فواضح أنهم جاءوا به ليصطادوا به المسيح وهو يكسر السبت. ومرض الاستسقاء (حيث كلمة طdrwpikزj مشتقة من كلمة غdwr = ماء) مرض يصاب فيه الجسم بارتشاح الماء في الأنسجة وفي تجويف البطن ويتورَّم الجسد، وغالباً ما يكون ذلك من اختلال وظائف الكبد والكليتين وغيرها. وكان الربيُّون يعتبرون أن هذا المرض نتيجة خطيئة. أمَّا المسيح فقَبِلَ التحدِّي الصامت الذي أبرزه الفرِّيسيون في إحضار هذا الرجل داخل البيت. وهنا التفت المسيح لجماعة الناموسيين والفرِّيسيين الجالسين وسألهم:

3:14و4 «**فَأَجَابَ يَسُوعُ وَكَلَّمَ النَّامُوسِيِّينَ وَالْفَرِّيسِيِّينَ قَائِلاً: هَلْ يَحِلُّ الإِبْرَاءُ فِي السَّبْتِ؟ فَسَكَتُوا. فَأَمْسَكَهُ وَأَبْرَأَهُ وَأَطْلَقَهُ**».

فلمَّا بادرهم المسيح هكذا بالسؤال، سكتوا لأنهم يستحيل أن يجيبوا بنعم، وسكوتهم معناه انتظار ما سوف يعمله المسيح. وفعلاً أمسكه المسيح ولا نعرف كيف أبرأه، هل بوضع يده أم بكلمة واحدة أبرأه كالعادة.

أمَّا تعليقنا على هذا فهو أن الله أعطى الإلهام لموسى أن يضع الناموس وذكر فيه أن ستة أيام فقط يجوز فيها العمل (خر 9:20)، فيجيئون فيها إلى المجمع ليستشفوا وليس في السبت، ولم يكن متجاوزاً في ذلك عمل الرحمة، ولكن كان يربِّي هذا الشعب على احترام الله ووصاياه أكثر من منفعته وحياته وصحته. والمسيح الذي سأل سؤاله للفرِّيسيين نعتقد أن الإجابة المتوقَّعة كانت بالنفي القاطع، فهل المسيح هنا يتجاوز الناموس ويخالف الوصية؟ نقول نعم وهو يعلم ذلك. ومن أجل ذلك سألهم لينبِّهَهُم أنه يكسر الناموس أمامهم، ليوقظ فكرهم المعتم وقلبهم المسدود أنه هو واضع الناموس وهو الذي يكسره، فلا يمكن إلاَّ أن يكون هو الله. لأن المسيح هنا قد يبدو كما يقول العلماء أنه يتحدَّى الفرِّيسيين ويتحدَّى الناموس. أمَّا نحن فنقول كلاَّ، هو لم يتحدَّ الناموس بل جاء ليكمِّله ويلغيه، فبكسره للسبت أمامهم يكون قد نادى بعصر النعمة التي هي فوق الناموس والسبت. وأمَّا ما هي النعمة، فهي العمل الذي عمله بأن شفى المريض بكلمة ليفهموا أنه فوق الناموس والسبت. لأنه ما قيمة الناموس والسبت إذا كان هذا وذاك عاجزَيْن عن إعطاء الشفاء لمريض، فالمسيح جاء هنا لينبِّه الناموسيين والفرِّيسيين أن يستيقظوا من رقادهم ويفهموا أن هنا من هو أعظم من الناموس والسبت (مت 12:5و6)، وبيده الصحة والعافية والقيامة من الموت. أما كان واجباً على الناموسيين والفرِّيسيين بعد هذا العمل الذي يمجِّد الله أن يفهموا أنه هو "مسيَّا" الذي ينتظرونه لأنه عمل أعمال الله أمام أعينهم؟! فإذا كانوا قد انخرسوا ولم يسألوه مَنْ أنت فهذه جريمتهم لأنهم أدركوا أنه "مسيَّا"، ولكنهم خافوا لئلاَّ يُطردوا من المجمع. لقد تعمَّد المسيح دائماً أن يكسر السبت بشفاء المرضى وإخراج الشياطين لينبِّههم أنه "مسيَّا" وعلى مستوى يهوه يشفي ويحيي من موت ويأمر الشيطان بكلمة فيخرج صارخاً. ولكن طبيعة الفرِّيسيين هي الجبن والرياء وهي التي حرمتهم من معرفة المسيح والإيمان به والشهادة له.

14: 5و6 «ثُمَّ أَجَابَهم وَقَالَ: مَنْ مِنْكُمْ يَسْقُطُ حِمَارُهُ أَوْ ثَوْرُهُ فِي بِئْرٍ وَلاَ يَنْشُلُهُ حَالاً فِي يَوْمِ السَّبْتِ؟ فَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يُجِيبُوهُ عَنْ ذلِكَ».

وهنا أيضاً ولو أن المسيح يعلم تماماً أنه يكسر الناموس إلاَّ أنه من وجه آخر يوضِّح لهم عماهم كونهم يصنعون الرحمة بالحمار، ولا يريدون الرحمة للإنسان المريض خلواً من أي ناموس ووصايا.

كما يكسرون الناموس من أجل حمار كان بالأولى أن يتجاوزوه إذا رأوا المريض قد شُفي في السبت. وهنا يكشف المسيح عن قصورهم وخوفهم وجبنهم المريع لأنه إن كان من الصعب عليهم الاعتراف بأن المسيح هو "مسيًّا" فليعترفوا به أنه نبي الله القادر على عمل ما لا يعمله نبي!

5 ـ الجري وراء الكرامة

(11-7:14) القديس لوقا وحده

+ «كل مَنْ يرفع نفسه يتضع ومَنْ يضع نفسه يرتفع.» (لو 11:14)

ابتدأ المسيح يتكلّم ويعلّم بعد حادثة شفاء المستسقي، واختار ق. لوقا كلام المسيح على الجري وراء الكرامة بالمثل الذي قاله مبنياً على أساس أن الكرامة الحقيقية في الاتضاع، وأن الذي يطلب الكرامة لنفسه يوضعه الله. لأن المسيح لم يقصد بهذا المثل وهذا التمثيل كيفية الجلوس إذا دُعيتَ إلى وليمة، ولكنه أراد أن يوجِّه نظرنا إلى أن الأوضاع الدنيوية سوف تنقلب لتأخذ صورتها العكسية في ملكوت الله. هذا هو الفكر الذي يلحّ على المسيح أن يوصِّله لنا لكي نتعلّم من هنا كيف نختار المكان الأقل بين الناس في أي موضع وعلى كل حال. لأن الملكوت مبني على أساس الصليب، ومَنْ يستصعب المرور على الصليب يستحيل عليه أن يبلغ الملكوت بأي حال. لأن المسيح افتتح لنا الملكوت بأخذه شكل العبد وانحنى وغسل أرجل تلاميذه قبل الفصح الأخير ثم أحنى ظهره للسياط، وانحنى تحت خشبة العار وقبل تخلّي الآب، وشرب مرارة كأس الخطايا الأخير وقبل الموت كمستضعف وخاطئ. وهذا بحد ذاته كان عبوراً بنا في جسده على هذه المراحل كلها لكي يعطينا القوة والشجاعة والإيمان أن نجوزها برضى وفرح، كما جازها هو بنا هكذا نجوزها نحن به لأنه وعد أنه لن يتركنا. فأساس الخلاص كله تمَّ بانحناء الظهر وحمل أثقال الآخرين وضعفاتهم وخطاياهم. فإذا لم يكن الإنسان على مستوى المسيح في تحقيقه للخلاص فكيف يخلص؟ «أنتم تدعونني معلّماً وسيداً وحسناً تقولون لأني أنا كذلك. فإن كنت وأنا السيد والمعلّم قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض لأني أعطيتكم مثالاً حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً.» (يو 13: 13-15)

وفي الحقيقة أنه بهذا المثل أصبح علينا إن لم يكن ممكناً أن نغسل أرجل الناس، أن ننحني على الأقل انحناءة المسيح لكل أحد، كَبُرَ أم صَغُرَ، عالمين أن الاتضاع أصبح جزءاً لا يتجزَّأ من الخلاص،

والمكان الأخير صار باباً للملكوت.

7:14و8 **«وَقَالَ لِلْمَدْعُوِّينَ مَثَلاً، وَهُوَ يُلاَحِظُ كَيْفَ اخْتَارُوا الْمُتَّكَآتِ الأُولَى قَائِلاً لَهُمْ: مَتَى دُعِيتَ مِنْ أَحَدٍ إِلَى عُرْسٍ فَلاَ تَتَّكِئْ فِي الْمُتَّكَإِ الأَوَّلِ، لَعَلَّ أَكْرَمَ مِنْكَ يَكُونُ قَدْ دُعِيَ مِنْهُ».**

يُلاحَظ في هذا القسم من الأصحاح (7-14) أن الذي يربطه ببعضه كلمة واحدة وهي الفعل kalšw وتعني: "يدعو"، فقد تكرَّرت فيه تسع مرَّات، وهي فعلاً تصح أن تكون مفتاح هذا القسم، لأن كل دعوة وراءها تقديم كرامة. والمسيح هنا يكلِّم المدعوين الذين تسابقوا على المتكإ الأول prwtoklis…a أي: مجلس الشرف والأولوية، أو امتياز الشرف في تلك الأيام، وكان يعتمد على درجة الشخص ووظيفته وامتيازه في المجتمع وكذلك السن. وكان المركز المتميِّز في نهاية المائدة إذا كانت مستطيلة وفي وسط المتكإ إذا كان مستديراً. وقد حدث مع التلاميذ أنهم تشاحنوا معاً على مَنْ يجلس في المتكإ الأول بعد المسيح عن اليمين، وعلى أكثر الظن كانت المشاجرة بين يهوذا وبطرس أكبر التلاميذ سناً، ولكن يهوذا كان أكثر جاهاً وكان لصاً يسرق ما في الصندوق. وهنا أيضاً لاحظ المسيح التنافس على المتكإ الأول (22 : 24).

9:14و10 **«فَيَأْتِيَ الَّذِي دَعَاكَ وَإِيَّاهُ وَيَقُولُ لَكَ: أَعْطِ مَكَاناً لِهذَا. فَحِينَئِذٍ تَبْتَدِئُ بِخَجَلٍ تَأْخُذُ الْمَوْضِعَ الأَخِيرَ. بَلْ مَتَى دُعِيتَ فَاذْهَبْ وَاتَّكِئْ فِي الْمَوْضِعِ الأَخِيرِ، حَتَّى إِذَا جَاءَ الَّذِي دَعَاكَ يَقُولُ لَكَ: يَا صَدِيقُ، ارْتَفِعْ إِلَى فَوْقُ. حِينَئِذٍ يَكُونُ لَكَ مَجْدٌ أَمَامَ الْمُتَّكِئِينَ مَعَكَ».**

في الآية الأولى اختار الإنسان المتكإ الأول وهو على غير كفاءة له فأنزله صاحب الوليمة إلى ما دون، وفي الآية الثانية اختار الإنسان المتكإ الأخير فرفعه صاحب الضيافة إلى المتكإ الأول.

في هذين المثلين كان الذي اختار المتكإ الأول غير كفء له، وفي المثل الثاني كان المكان نفسه غير كفءٍ له، لذلك حصل نزول وطلوع لكي تتناسب كفاءة الإنسان لكفاءة المكان. والمسيح يطلب ما هو أكثر من هذا: يطلب أن الإنسان يعتبر نفسه كُفأً للمكان الأخير لا ادِّعاءً بل من صميم قلبه ونيَّته ويتشبَّث بالأخير مهما كان، لأنه يشعر شعوراً صادقاً أنه كفء فقط للمكان الأخير وغير كفء إطلاقاً للمكان الأعلى أو اللقب الأكبر.

بمعنى أن المسيح يسعى ليكون لنا قلب الإنسان وضميره وفكره الذي لا يتناسب إلاَّ مع الأقل. فلا **يختار** المكان أو اللقب الأقل بل يطلبه عن قناعة ويرفض غيره. والقطب الجاذب لهذا الفكر هو المسيح سواء في صليبه أو في غسله لأرجل تلاميذه، فالمسيح لم يغسل أرجل تلاميذه باتضاع كاذب

أو كمَنْ يُعطي المثل وهو أعلى منه، بل الذي نزل من عرشه وأخذ شكل العبد عَمِلَ عَمَل العبد، فالذي يغسل أرجل الناس هو العبد. يعني أن المسيح مارس صليبه في غسيل أرجل تلاميذه؛ بل مارس تجسُّده وإرساليته كلها. والذي يجعل هذا الشرح صعباً على النفس هو لأننا تعوَّدنا على اختيار المكان الأول أو على الأقل جداً المكان المناسب لنا، ولكن المسيح أخذ باختياره المكان الدون ومارس عمله الدون بناءً على قناعة أنه من هنا يستطيع أن يؤدِّي رسالته على الصليب. فالذي قال له «احمل صليبك واتبعني» يتحتَّم عليه أن يكون له هذه القناعة وإلاَّ استحال عليه حمل الصليب!!

11:14 **«لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ يَتَّضِعُ وَمَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ يَرْتَفِعُ».**

هذه الآية يستحيل علينا فهمها إلاَّ إذا فهمنا ما عمله الله مع المسيح هكذا:

+ «لكنه أخلى نفسه، **آخذاً صورة عبد،** صائراً في شبه الناس. وإذ وُجِدَ في الهيئة كإنسان، **وضع نفسه** وأطاع حتى الموت موت الصليب. لذلك **رفَّعه الله** أيضاً، وأعطاه اسماً فوق كل اسم ...» (في 2: 7-9)

هنا المسيح أخذ أولاً صورة عبد لذلك استطاع أن يضع نفسه ويطيع حتى الموت: وهذا أعظم عمل عُمل باسم البشرية وجسدها، فكان في مقابله أن رفَّعه الله ومعه جسد البشرية أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم. وهذا هو أعظم عمل عُمل من أجل البشرية. هنا وقياساً على الآية السالفة (لو 11:14) لم يضع المسيح نفسه ليرفعه أبوه، لأنه وضع نفسه حتى الموت، بمعنى أن عمله انتهى بالموت، وحينئذ بدأ عمل الله في المقابل أن رفَّعه الله وأعطاه اسماً فوق كل اسم.

إذن، يتحتَّم علينا أن نشرح الآية بحسب ما فهمنا الآن أن الإنسان عليه أن يضع نفسه إلى النهاية غير منتظر إطلاقاً أن يرتفع أو يرفعه أحد[223]. فإن كان صادقاً في ذلك فالله حتماً يتمِّم عمله بأن يرفعه إلى ما عنده، لأنه لا توجد رفعة للإنسان إلاَّ بأن يقبله الله عنده.

أمَّا الجزء الأول من الآية: «لأن كل مَنْ يرفع نفسه يتضع» فليس أمامنا صورة لمن رفع نفسه أمام الله إلاَّ الشيطان: «أُهبطَ إلى الهاوية فخرك ... كيف سقطت من السماء يا زُهرة بنت الصبح كيف قُطعت إلى الأرض يا قاهر الأمم. وأنت قلت في قلبك أصعد إلى السموات أرفع كرسيّ فوق كواكب الله وأجلس على جبل الاجتماع في أقصى الشمال، أصعد فوق مرتفعات السماء أصير مثل العلي. لكنك انحدرت إلى الهاوية إلى أسفل الجب» (إش 14: 11-15). لذلك فالشيطان هو

(223) قال مار إسحق: [الذي يتضع لكي يُكرِّمه الناس الله يفضحه].

القطب الجاذب لنفس الإنسان إلى التعالي، وإذ لا يستطيع أن يحتفظ بها في العُلا تسقط.

6 ـ ولائم المساكين

(14-12:14) القديس لوقا وحده

الرب يختار المساكين ضيوفاً أعزاءَ عنده ليكونوا على ولائم الناس الأثرياء، فهو يوصينا بدلاً من أن ندعو الأقارب والأصدقاء والعظماء فيردُّون لنا الوليمة أو ما يماثلها، فهو يعيِّن لنا المختارين عنده للأكل على موائد أبناء الله المقتدرين أنهم الذين ليس لهم ولا عندهم ما يردُّون ذلك، وبهذا تُحفظ الصدقة كاملة لحساب الله الذي يستطيع أن يردَّها بالكيل الملبَّد المهزوز الفائض (لو 38:6). يفتح كوى السماء لتفيض (مل 10:3) حتى نقول كفى كفى. هذه تُحسب موائد محبة للذين ليس لهم. ولكن هذه الموائد لا تمنع موائد المحبة التي يصنعها أولاً الله للمحبين لأن فيها تتقابل القلوب والأفكار والأعمال لخير الشعب. غير أن ولائم المساكين هي ضريبة الله على الأغنياء، أمَّا موائد المحبة لجمع شمل الأسر والأحباء والمقتدرين فهي ضرورة تحتِّمها حاجة الجماعة إلى القلب الواحد والفكر الذي يعمل لخير الجميع.

12:14 **«وَقَالَ أَيْضاً لِلَّذِي دَعَاهُ: إذَا صَنَعْتَ غَدَاءً أَوْ عَشَاءً فَلاَ تَدْعُ أَصْدِقَاءَكَ وَلاَ إِخْوَتَكَ وَلاَ أَقْرِبَاءَكَ وَلاَ الْجِيرَانَ الأَغْنِيَاءَ، لِئَلاَّ يَدْعُوكَ هُمْ أَيْضاً، فَتَكُونَ لَكَ مُكَافَاةٌ».**

الدعوة قد تكون على المائدة المبكّرة (غذاء) أو الرئيسية بعد الظهر (عشاء).
والمدعوون المذكورون هنا على أربع درجات: إمَّا أصدقاء f…louj أو إخوة ¢delfoÚj أو أقارب suggene‹j أو جيران ge…tonaj. والمدعوون إمَّا على مستوى الضيوف وهؤلاء ليس لدعوتهم عائد سماوي، وإمَّا على مستوى الإكرامية hospitality، وهؤلاء هم الفقراء الذين لهم عائد سماوي لأنهم لا يستطيعون أن يردُّوا الجميل على الأرض ولكن يردُّونه من نصيبهم الأكبر في السماء.

13:14و14 **«بَلْ إذَا صَنَعْتَ ضِيَافَةً فَادْعُ الْمَسَاكِينَ: الْجُدْعَ، الْعُرْجَ، الْعُمْيَ، فَيَكُونَ لَكَ الطُّوبَى إِذْ لَيْسَ لَهُمْ حَتَّى يُكَافُوكَ، لأَنَّكَ تُكَافَى فِي قِيَامَةِ الأَبْرَارِ».**

يُلاحَظ أن المسيح مدعو (الآن) عند رئيس الفرّيسيين، وكانت وليمة فاخرة لعلية القوم،

فشاركهم المسيح في أكل الخبز ثم بدأ يوجِّه نظر المضيف فقط إلى الإخوة الأصاغر المحرومين. لأن المساكين وهم الفقراء، والجدع وهم الذين بلا ذراع أو بلا ذراعين، والعرج ذوو الساق الواحدة، والعمي الذين فقدوا الإبصار، هؤلاء تكون دعوتهم مقبولة عند الله ويجازى عنها في قيامة الأبرار وهي القيامة الأُولى التي قال عنها سفر الرؤيا (6:20).

وكانت الكنيسة القبطية بالذات تهتم بموائد الأغابي للفقراء فعلاً حتى ربما إلى مائة سنة مضت فقط. ولكن المدنيَّة طغت على عادات الآباء الأوائل. ولكن لا تزال حتى الآن بعض البيوت تعمل هذه الأغابي بالإضافة إلى عادة التوزيع على البيوت الفقيرة وهي التي نشطت جداً هذه الأيام كما نشطت بعض الجمعيات لعمل هذه الأغابي مرَّة أخرى.

7 ـ سر العشاء العظيم

(24-15:14) (مت 22:1-10)

يحكي هنا المسيح قصة ويحبكها حبكاً بديعاً لتعطي لنا صورة وليمة الملكوت إنما بإتقان بليغ. وفحواها أن إنساناً ذا شأن صنع عشاءً عظيماً ودعا كثيرين، وأرسل عبيده ساعة العشاء ليقول للمدعوين تعالوا لأن كل شيء معدٌّ، فاستعفوا جميعاً لأسباب واهية مما أغاظ صاحب الوليمة، فأرسل عبيده إلى شوارع المدينة وأزقتها ودعا المساكين وذوي العاهات، ولكن البيت لم يمتلئ. فقال السيد لعبيده أن اخرجوا خارج السياجات أي خارج أسوار المدينة حيث أصحاب المساكن العشوائية غير المعدودين كبني آدم من سكان المدينة، وقال لعبيده ألزموهم بالدخول حتى يمتلئ بيتي، وحرم الرجال المدعوين أصحاب العشاء الأصليين.

وهكذا انكشفت وليمة الملكوت واستعلن سرُّها، فالمدعوون الأصليون هم اليهود أصحاب الملكوت بحق العهد والوعد الذي لإبراهيم، الذي قطع السيد الرب أن لا يذوقوه. وأمَّا الذين في الشوارع والأزقة وأصحاب العاهات فهم مساكين الشعب اليهودي الذين ليس لهم ضلع في جريمة الجلجثة. أمَّا أصحاب المساكن العشوائية الذين ليسوا مسجَّلين في مواطنة المدينة فهم الأمم الذين استكثروا على أنفسهم أن يدعوهم (كأنجاس أو كلاب) فألزمهم بالحب أن يدخلوا ويكونوا هم أصحاب الملكوت ويملأوه.

ولكن الذي جعل المسيح يقول هذه القصة هو رجل من المدعوين، كان يستمع إلى المسيح وهو يحكي عن أصول الدعوة وكيف ينبغي أن تقام من أجل المساكين وذوي العاهات، فرفع صوته وقال: «طوبى لمن يأكل خبزاً في ملكوت الله» وهكذا قال المسيح هذه القصة ليوضّح لمن تكون هذه الطوبى في أكل خبز الملكوت.

ولكن ينبغي أن نفهم أن هذه القصة طُبّقت تماماً بواسطة الكنيسة الأولى لمَّا خرج الرسل ـ وخاصة القديس بولس ـ يدعون اليهود فرفضوا وآذوا الكنيسة وأتلفوها، فاعتمدت الكنيسة أولاً على فقراء اليهود والمحرومين منهم، ثم امتدَّت الدعوة للأمم الذين ألزمهم ق. بولس بالدخول، ولا تزال الدعوة لهم قائمة والبيت لم يمتلئ بعد!!

15:14 **«فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ وَاحِدٌ مِنَ الْمُتَّكِئِينَ قَالَ لَهُ: طُوبَى لِمَنْ يَأْكُلُ خُبْزاً فِي مَلَكُوتِ اللهِ».**

هذا الرجل انفعل جداً بكلام المسيح الذي يعطي أولوية الدعوة للوليمة للمساكين وذوي العاهات. وقد أحسَّ الرجل من القول: «فيكون لك الطوبى إذ ليس لهم حتى يكافوك، لأنك تُكافى في قيامة الأبرار» (لو 14:14) أن المسيح يتكلّم عن الملكوت. وهذا يشبه المرأة التي لمَّا سمعت المسيح يتكلّم بكلام الله رفعت صوتها أن «طوبى للبطن الذي حملك والثديين اللذين رضعتهما» فرفع المسيح هذه الطوبى إلى مَنْ يسمع كلام الله ويحفظه، الذي لا يخرج كثيراً عن صاحب البطن والثديين، لأن القديسة العذراء مريم سمعت كلام الله وحفظته في قلبها (لو 19:2)!! وهنا مع هذا المدعو حدث ذات الشيء، إذ لمَّا قال طوبى لمن يأكل خبزاً في ملكوت الله كشف المسيح لمن هذه الطوبى ومَنْ هم الآكلون خبز الملكوت. وهكذا قدرة المسيح المدهشة للانتقال من صور السماء إلى صور الأرض في يسر وإبداع.

16:14و17 **«فَقَالَ لَهُ: إِنْسَانٌ صَنَعَ عَشَاءً عَظِيماً وَدَعَا كَثِيرِينَ، وَأَرْسَلَ عَبْدَهُ فِي سَاعَةِ الْعَشَاءِ لِيَقُولَ لِلْمَدْعُوِّينَ: تَعَالَوْا لأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ أُعِدَّ»**[224]**.**

يقدِّم المسيح هنا صورة أرضية وبشرية لصورة أخرى سماوية حيث الإنسان هنا هو الله أو المسيح هناك. والعشاء العظيم هو بعينه مائدة الملكوت، عشاء الله، أمَّا الدعوة فهي بحكم عمومية الملكوت

(224) للأسف الشديد فإن معظم الشُّرَّاح لم يهتدوا إلى شرح هذا القسم وأخذ منهم العناء كل مأخذ، مع أن الحقيقة ناطقة والنبوَّة في الرؤية منطبقة، إنه «عشاء عُرس الخروف» (رؤ 9:19)، وقد أخذ له المسيح صورة من الأرض فظهر باهتاً بحكم المسافة فلم تتبيَّنه كل عين.

لأنه ليس خاصاً لأحد، فالدعوة عامة للجميع ولكن أصلاً بحسب ما يعتقد الإنسان إنها خاصة بشعب الله. وأمَّا أن كل شيء مُعدّ فهو كمال عمل الفداء والخلاص اللازم جداً الإيمان به لحصول المدعو عليه.

20-18:14 «**فَابْتَدَأَ الْجَمِيعُ بِرَأْيٍ وَاحِدٍ يَسْتَعْفُونَ. قَالَ لَهُ الأَوَّلُ: إِنِّي اشْتَرَيْتُ حَقْلاً، وَأَنَا مُضْطَرٌّ أَنْ أَخْرُجَ وَأَنْظُرَهُ. أَسْأَلُكَ أَنْ تُعْفِيَنِي. وَقَالَ آخَرُ: إِنِّي اشْتَرَيْتُ خَمْسَةَ أَزْوَاجِ بَقَرٍ، وَأَنَا مَاضٍ لأَمْتَحِنَهَا. أَسْأَلُكَ أَنْ تُعْفِيَنِي. وَقَالَ آخَرُ: إِنِّي تَزَوَّجْتُ بِامْرَأَةٍ، فَلِذلِكَ لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَجِيءَ**».

الدعوة قدَّمها المسيح لشعب إسرائيل، فسدُّوا آذانهم وأغمضوا عيونهم حتى لا يروا ولا يسمعوا فيتوبوا ويؤمنوا. فالرفض أو الاستعفاء هنا عن إرادة، وبذلك فضَّلوا حياتهم وأعمالهم عن أن يأتوا ويسمعوا ويتوبوا ويشفيهم. هؤلاء هم الكتبة والفرّيسيون والناموسيون والكهنة ورؤساء الكهنة وبقية علية القوم من الأثرياء وذوي السلطان والجاه.

21:14و22 «**فَأَتَى ذلِكَ الْعَبْدُ وَأَخْبَرَ سَيِّدَهُ بِذلِكَ. حِينَئِذٍ غَضِبَ رَبُّ الْبَيْتِ، وَقَالَ لِعَبْدِهِ: اخْرُجْ عَاجِلاً إِلَى شَوَارِعِ الْمَدِينَةِ وَأَزِقَّتِهَا، وَأَدْخِلْ إِلَى هُنَا الْمَسَاكِينَ وَالْجُدْعَ وَالْعُرْجَ وَالْعُمْيَ. فَقَالَ الْعَبْدُ: يَا سَيِّدُ، قَدْ صَارَ كَمَا أَمَرْتَ، وَيُوجَدُ أَيْضاً مَكَانٌ**».

واضح هنا مَنْ هو العبد ـ تبارك اسمه ـ إذ هو يسوع العبد المتألّم الذي جال كل شوارع المدينة وأزقتها ودعا إليه المساكين وبشَّرهم، وكذلك العشَّارين والخطاة والزواني وكل صعاليك الأرض. فسمعوا واستجابوا وآمنوا بدعوة السيد ودخلوا "بالإيمان". ولكن العشاء عظيم وكان أصلاً لشعب بأكمله، فاشتكى العبد أنه لا يزال هناك مكان شاغرٌ.

23:14 «**فَقَالَ السَّيِّدُ لِلْعَبْدِ: اخْرُجْ إِلَى الطُّرُقِ وَالسِّيَاجَاتِ وَأَلْزِمْهُمْ بِالدُّخُولِ حَتَّى يَمْتَلِئَ بَيْتِي**».

واضح هنا مَنْ هو العبد الآخر الذي تخصَّص للطرق وخارج أسوار المدن وداخلها، وهو بولس السليح الذي أخذ يتفاوض معهم ويرغّبهم في العشاء فرضوا وآمنوا وألبسهم حلّة العرس جميعاً. وهم الأمم الذين جمعهم من أقطار الأرض وأصبح لهم شكل المدعوين تماماً. وهكذا انفتح الملكوت على آخره ليستوعب الذين يأتون حسب المواصفات، حتى اليوم.

24:14 «**لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لَيْسَ وَاحِدٌ مِنْ أُولئِكَ الرِّجَالِ الْمَدْعُوِّينَ يَذُوقُ عَشَائِي**».

وهؤلاء الرجال المدعوون الذين استعفوا ولا يزالون مستعفين هم أصلاً أصحاب الوعد والعهد

أولاد إبراهيم وكل الذين يرفضون الدعوة حتى اليوم.

وأمَّا "عشائي" فهو عشاء الخروف: «وقال لي اكتب طوبى للمدعوين إلى عشاء عرس الخروف» (رؤ 19:9). ونصيبنا فيه محجوز: «لنفرح ونتهلّل ونُعطِه المجد لأن عرس الخروف قد جاءَ وامرأته (الكنيسة) هيَّأت نفسها وأُعطيت أن تلبس بزًّا نقياً بهيًّا. لأن البز (البوص وهو الكتان الأبيض لبس الكهنة) هو تبرُّرات القديسين.» (رؤ 19: 7و8)

ولكن الذي يهمنا من هذه القصة التوضيحية لأسرار عشاء الخروف، هو أن العرس قائم والدعوة قائمة ولا يزال الذين يستعفون مصرِّين على أسباب طلب الإعفاء من زراعة أرض وتربية بهائم ومشاغل الزوجية وطلباتها إلى ما استجد من الحِرَف والأعمال التي لا نهاية لها ... بنفس أسلوب استعفاء شعب إسرائيل الذي وصفه المسيح، وذلك غير مبالين بتهديد المسيح القاطع أنهم لن يذوقوا ملكوته. فهل ستتكرَّر حرب تيطس وخراب المدينة وحرق الهيكل؟

8 ـ شروط التلمذة للمسيح

(35-25:14) (مت 37:10و38)

موضوع التلمذة للمسيح يستغرق كثيراً من اهتمام ق. لوقا، فنجده في الأصحاح التاسع (57-62) وفي (18: 24-30). وإذا قورنت شروط دخول الملكوت بشروط التلمذة للمسيح نجد التلمذة أصعب. فالذي يجزع من شروط الملكوت كيف يقبل شروط التلمذة. فشروط الملكوت تتوقّف على الإيمان بالمسيح لقبول الخلاص حيث الإيمان هو شرط الملكوت الأساسي، أمَّا شروط التلمذة للمسيح فهي حمل صليبه واتباع خطواته:

+ «فابن الإنسان ليس له أين يسند رأسه» (58:9)،
+ «دع الموتى يدفنون موتاهم وأمَّا أنت فاذهب وناد بملكوت الله» (60:9)،
+ «ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء يصلح لملكوت الله.» (62:9)

مضافاً إليها:

+ «ما أعسر دخول ذوي الأموال إلى ملكوت الله!» (24:18)،
+ «ليس أحد ترك بيتاً أو والدين أو إخوة أو امرأة أو أولاداً من أجل ملكوت الله إلاَّ ويأخذ في

هذا الزمان أضعافاً كثيرة وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية.» (18: 29و30)

هذا بجانب ما ورد في هذا الأصحاح الرابع عشر ابتداء من العدد (18) وهي شروط المدعوين إلى العرس. أمَّا هنا في (14: 25-35) فهي شروط تبدو أصعب، إذ يلزم الإنسان أن يقوى على قطيعة أهل بيته جميعاً قطعاً إن وصل إلى حد البغضة فقد وصل. ثم يدعوه الرب إلى حمل صليبه ويأتي وراء المسيح، ويلزمه قبل أن يعزم على التلمذة أن يجلس ويحسب مع نفسه النفقة، أي يقيّم الموقف وإمكانياته. وأن يصالح كل مَنْ كان ليس معه صلحٌ، وأن يترك جميع أمواله وأن يعدّ نفسه كأنه ذاهب إلى الملكوت فعلاً.

14:25و26 «وَكَانَ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ سَائِرِينَ مَعَهُ، فَالْتَفَتَ وَقَالَ لَهُمْ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلاَ يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَامْرَأَتَهُ وَأَوْلاَدَهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ، حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضاً، فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِيْ تِلْمِيذاً».

لا يزال المسيح صاعداً في الطريق إلى أُورشليم، ويبدو أن السائرين معه قد تكاثروا، ويبدو أيضاً أنهم كانوا متحمّسين له، لذلك اضطر أن يكشف لهم عن نفقة السير معه أو وراءه. وابتدأ بأهل البيت، وأهل البيت هم فعلاً المحك الأول والأكبر للذي يريد أن يكون للمسيح تلميذاً ويتّبع خطواته وتعليمه ووصاياه في أي طريق يختاره أو حياة يحياها. لأن اتّباع المسيح تماماً هو إهمال العالم تماماً، والعالم أكبر قوة تربط الإنسان فيه هي قوة اللحم والدم والأسرة والأقارب، هؤلاء لهم جذب في النفس شديد لأنه وُلد بينهم وتربَّى وتكوَّنت العواطف الطبيعية العنيفة وتغلغلت النفس، خاصة عواطف الارتباط بالأب والأم لأنهم يمثّلون تربة العالم التي نبت فيها وتغذّى منها وعليها. والأب والأم أيضاً هما قاعدة الربط الشديد للغاية بين الإنسان وماضيه وأسلافه، لذلك هما يورّثانه ماضيهما كاملاً ومواصفاتهما التي دخلت في صميم كيانه الجسدي. لذلك حينما يقول المسيح شارطاً شرطاً أنه إن كان أحد يأتي إليَّ ولا يبغض أباه وأمه (وبقية التوابع) لا يقدر أن يكون لي تلميذاً!! فذلك لأن المسيح يمثّل الحياة الأبدية أو هو الحياة الأبدية وهو الملكوت، وهذا هو العالم الروحي الآخر الذي لا يمت بعالمنا الأرضي في شيء؛ بل هناك تنافر شديد من جهة الطبيعة. فطبيعة الجسد من طبيعة العالم وطبيعة العالم غريبة ومضادة لطبيعة الروح والسماء والله: «الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد. وهذان يقاوم أحدهما الآخر» (غل 5:17). فعند أول قرار بترك الأهل تنبري الرباطات العالمية الطبيعية تقاوم بشدة، لذلك يلزم أن يكون في مواجهتها نفس توَّاقة بالروح إلى الله وتعلُّق إيماني بالمسيح واتكال شديد على الله ورغبة للانتماء إلى الحياة الروحية. كل هذا يلزم لكي يستطيع

الإنسان أن يفك ربطه الجسدية من العالم التي يمثلها الأهل والأقارب الجسديون. كل هذا لشرح كلمة المسيح: «أن يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته حتى نفسه (المربوطة بالعالم)». فالبغضة التي يقصدها المسيح هي بعينها فك الربط الطبيعية التي تربط الإنسان بالعالم بواسطة الأهل والأقارب، والبغضة التي يطلبها المسيح لا تُفهم أنها كره أو تَعَالٍ ولو أنها تُنظر من الناس هكذا، ولكنها عملية فك رِبُط شديدة.

ولكن لكي تتسع مداركنا لفهم هذا الواقع، علينا أن نتذكَّر أننا حتماً سنقطع هذه الربط بالموت، فهي رُبط كذّابة فانية وزائلة بزوال الجسد، ولكن الربط الروحية التي ستنشأ مباشرة وتبعاً لفك أو قطع الرُّبُط الجسدية لا يمكن مقارنتها من حيث القيمة والسعادة والخلود. فالمقارنة تكون كما إذا قارنا آلام المخاض التي تجوزها الوالدة، بالفرح الذي يكون لها بعد أن ترى ولدها بين يديها ـ ولكن أكثر بكثير من ذلك. وهذا المثل الذي أعطيته حينما نفسِّره روحياً يكون مطابقاً بشدة، فالإنسان الذي ينطلق في الحياة الروحية مع الله والمسيح يحس بتفاهة الربط التي كانت تربطه بالعالم كمن وُلد جديداً وترك وراءه خياله الذي كان يُدعى الجسد، وكل الأقارب تبدو حقًّا كقول المسيح عالم أموات (9:60)، ويتمنّى أن يصيروا جميعاً مثله.

لذلك أُشبِّه مَنْ ترك الأهل والعالم وانطلق يحيا لله في أي دعوة اختارها ويكون له صلات وثيقة بالأهل واهتمام دائم، بحالة ولادة متعسِّرة يعيشها على الدوام، لا يتمتَّع فيها بمولوده الجديد التي هي **نفسه الروحانية الجديدة**. والمسيح الذي أعطى هذه الوصية، وصية البغضة، هو بحسب ما رأينا وتحقَّقنا جرَّاح ماهر يعرف كيف يُخرج النفس من بطن العالم.

وإن كان الذي ترك أباه ليحمل صليبه ويذهب وراء المسيح، فالذي ترك أُمه وحضنها الدافئ ليسير في الطريق الضيِّق، فله في العذراء القديسة مريم حضناً آخر أكثر راحة وإسعاداً. فروح الأم التي افتقدها الخارج للسير في طريق الملكوت الوعر يتلقَّفها روح الأمومة العليا في شخص العذراء مريم لتحنو وتترفَّق وتريح بأضعاف مضاعفة. فإن كان المسيح يعتبر الأب الحقيقي والنور الأبدي للذين خرجوا من بيوتهم ولا يعلمون أين يذهبون يتبعون المسيح كيف شاء الله؛ فالعذراء القديسة مريم هي من واقع خبرتنا الأم الحقيقية المرشدة والمترفِّقة بالسائرين في وعر الطريق إلى أن يشتد عودنا فتتلقانا أذرع المسيح الأبوية[225].

---

(225) فالكنيسة تنشد نشيد العذراء: [حُبُّكِ يا مريم غاية المُنى ∴ **يا أُم المعظَّم يا مريم كوني أمنا**].

27:14 **«وَمَنْ لاَ يَحْمِلُ صَلِيبَهُ وَيَأْتِي وَرَائِي فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذاً».**

إن شكل هذه الوصية مُرعب، ولكن جوهرها مضيء هادئ، يجعل النفس ترتاح وتستمتع بدعوتها. لأن الصليب هنا لا يزيد عن الإيمان بالمسيح، ولكن إيمان المسيح هنا هو إيمان حقيقي، أي إيمان بموته على الصليب وقيامته من القبر. والإيمان بموت المسيح يستحيل أن يتشكَّل داخل النفس إلاَّ إذا فهمناه ومارسناه. وإن كان شرحنا لفهم الإيمان بموت المسيح يحتاج منَّا صفحات ولكن نكتفي بكلمات. فموت المسيح لم يتم صورياً بل **بالفعل والحق**، مات على الصليب آخذاً عقوبة **كاملة وباستحقاق** لأنه «حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة» (1بط 24:2). والمسيح كابن الله مات بالجسد والجسد هو البشرية، وإذ حمل خطايانا في الجسد أصبح الجسد هو البشرية الخاطئة، لذلك اعتُبر أنه مات بنا أو مات من أجلنا، فأنا وأنت متنا مع المسيح وبالتالي قمنا معه في ذات الجسد الذي له الذي هو نحن. بمعنى أن إيماني بموت المسيح هو موتي أنا أيضاً وقيامتي أنا أيضاً معه. وبذلك نكون قد تقبَّلنا عقوبة الموت واللعنة على الصليب ودُفنا معه وقمنا معه في مجده.

هذا هو الإيمان بموت المسيح وقيامته، وهذا هو الصليب المطلوب مني ومنك أن نحمله. انظر الآن ما هو الصليب الذي عليك أن تحمله وتسير به وراء المسيح. هو حكم براءة من عقاب الموت واللعنة التي ورثناها من آدم، مع علاقة اتحاد بالمسيح بالجسد في قيامته الممجَّدة. فحَمْلُ صليب المسيح هو أن أحمل صليبي الذي أخذت به شركة في موت وقيامة المسيح لحياة أبدية. هذا هو جوهر صليب المسيح. انظر الآن كم هو مضيء ومجيد، وتحسَّس نفسك الآن وانظر مقدار الراحة والهدوء والفرح.

إذن، فمنطوق الآية الذي يظهر وكأنه يحمل لنا ثقلاً هائلاً يصعب ويستحيل حمله، هو في جوهره أعظم هدية أهدانا إيَّاها الله في شخص ابنه يسوع المسيح الذي سمح أن يُصلب من أجلنا بالجسد.

على أننا بهذا الإيمان المسيحي وُضع لنا أن نشهد به، ولأن الناس لا يعرفون الصليب على حقيقته لذلك يكرهونه جداً، مع أن معنى الإيمان بالمسيح وحمل الصليب أننا غلبنا الموت، وقمنا مع المسيح فيستحيل أن نموت بعد لأننا أحياء بحياة المسيح، ولكن الذي يموت هو جسد الموت. ونحن بالموت نأخذ بالفعل جسد القيامة في المسيح لنحيا بحياة المسيح والله الآب إلى الأبد. وبهذا يكون تهديد الموت الذي يمثِّل عنصر الثقل في الصليب هو ثقل وهمي ظاهري وحقيقته حياة أبدية.

علماً بأن الذي استطاع أن يقطع صلته بالعالم يصبح من السهل جداً عليه بل وعن فرح ومسرَّة

أن يحمل الصليب، لهذا كان ق. لوقا(226) حكيماً جداً في أن يعطي درس بغضة الأهل قبل حمل الصليب.

28:14ـ30 «وَمَنْ مِنْكُمْ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بُرْجاً لاَ يَجْلِسُ أَوَّلاً وَيَحْسِبُ النَّفقة، هَلْ عِنْدَهُ مَا يَلْزَمُ لِكَمَالِهِ؟ لِئَلاَّ يَضَعَ الأَسَاسَ وَلاَ يَقْدِرَ أَنْ يُكَمِّلَ، فَيَبْتَدِئَ جَمِيعُ النَّاظِرِينَ يَهْزَأُونَ بِهِ، قَائِلِينَ: هذَا الإِنْسَانُ ابْتَدَأَ يَبْنِي وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يُكَمِّلَ».

بناء النفس، أساسه الأول الذي ينبغي علينا أن نحفر ونعمِّق لكي نضعه، هو تسليم النفس للتعليم والتهذيب الروحي، وهذا بحاجة عظمى للطاعة والتواضع واحتمال الأتعاب والمهانات، لأن هذه الصفات بعينها هي الحجر المرصوص على بعضه، هي المداميك التي ترتفع بها النفس إلى فوق، وكل طبقة تؤسَّس أساساً لطبقة فوقها. فطبقة **الطاعة** هي أول وأهم مدماك الذي يبشِّر بحمل البرج كله، حيث يسلّم الإنسان نفسه للمعلّم والإنجيل والله تسليماً هادئاً، ويصبح وكأنه باع نفسه للمعلّم والإنجيل والله. وأقول المعلّم والإنجيل والله هذه الثلاثة فإذا غاب واحد منها امتنع البناء، فالمعلّم مُطاع بقدر ما يقول الإنجيل والإنجيل هو قول الله. لهذا تلزم الطاعة لله والإنجيل ثم المعلّم.

والطاعة بدون **تواضع** تخيِّب ولا تصلح لشيء، لأن عجرفة النفس بحد ذاتها يستحيل أن تسمح بالبناء عليها. والتواضع لا يحتمل المعارضة ولا يحتمل الملاججة في التعليم ولا التشكُّك. فالمتواضع سهل التسليم بالحقيقة.

واحتمال الأتعاب هو الذي يرتفع بالبرج سريعاً وبصورة مبهجة لأن صاحبه دائم الفرح مسرور، وجهه لا يعبَّس.

واحتمال المهانات ضمان أخير لعدم سقوط البرج، فهو بمثابة التسليح في الخرسانة.

نعم هذه هي التكلفة التي يطلبها المسيح لبناء البرج وما أثمنها وأعظمها تكلفة وهي التي تهيِّيء للروح القدس التدخُّل لضمان ارتفاع البرج بدون خطر.

31:14و32 «وَأَيُّ مَلِكٍ إِنْ ذَهَبَ لِمُقَاتَلَةِ مَلِكٍ آخَرَ فِي حَرْبٍ، لاَ يَجْلِسُ أَوَّلاً وَيَتَشَاوَرُ: هَلْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُلاَقِيَ بِعَشَرَةِ آلاَفٍ الَّذِي يَأْتِي عَلَيْهِ بِعِشْرِينَ أَلْفاً؟ وَإِلاَّ فَمَا دَامَ ذلِكَ بَعِيداً، يُرْسِلُ سِفَارَةً وَيَسْأَلُ مَا هُوَ لِلصُّلْحِ».

(226) نذكِّر القارئ أن ق. لوقا كتب إنجيله بالرجوع إلى الأناجيل الأخرى ومصادر أخرى مكتوبة وشفاهية وكان عليه بعد ذلك أن يخضع لروح الله ليضع كل آية في مكانها كما قالها المسيح.

المعنى هنا يتركَّز بشدة في كيفية الخروج من تحت سلطان رئيس هذا العالم للانطلاق لتكريس الحياة للمسيح. فالإنسان حتماً يواجه موقعة عنيفة وحرباً علنية، لأن العداوة التي يحملها الشيطان ضد المسيح يصوِّبها حتماً على كل مَنْ يُريد أن يفلت من تحت سلطانه للسير وراء المسيح. والإنسان على جميع الأحوال ليس كفوا أن يواجه هذه المعركة الشرسة. فالعالم يُطالب بكل ما له عند الإنسان من علاقات أُسرية إلى كرامة إلى أموال إلى مقتنيات، هذه يستخدمها الشيطان لعرقلة خروج الإنسان. وهنا يتحتَّم على مَنْ يُريد الإفلات من العالم أن يقبل بكل الغرامات والإهانات والبهدلة بكل أنواعها حتى يفلت من المعركة. وهكذا يستطيع أن يحصل على وثيقة صُلح مع رئيس العالم وإخلاء طرف رغماً عن أنفه. وهذه تكون بمثابة إخلاء طرف مع توبيخ ولعنات من رئيس هذا العالم، لأن خروج مواطن عالمي من تحت سلطان رئيس هذا العالم هي بمثابة احتقار وازدراء لكل سلطانه.

33:14 «**فَكَذلِكَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ لاَ يَتْرُكُ جَمِيعَ أَمْوَالِهِ، لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذاً**».

بهذه الآية وفي مقدِّمتها "كذلك" يعطي الإنجيل إشارة انتهاء الدرس، ولكن يعود ويعقّب على حساب النفقة، "**فنعم**" للمسيح يتقدَّمها "**لا**" للعالم، والعالم لا يتركنا بسهولة، فلابد أن نعطيه كل ما أخذناه منه. فأعطِ العالم حسابه أولاً قبل أن تعلن الكفر به.

فانظر عزيزي القارئ حكمة ق. لوقا في ترتيب المعارف لنخرج منها بدروس لا يُستهان بها.

34:14و35 «**اَلْمِلْحُ جَيِّدٌ. وَلكِنْ إِذَا فَسَدَ الْمِلْحُ فَبِمَاذَا يُصْلَحُ؟ لاَ يَصْلُحُ لأَرْضٍ وَلاَ لِمَزْبَلَةٍ، فَيَطْرَحُونَهُ خَارِجاً. مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ!**»

هنا تعقيب أخير على كل هذه الحكمة البالغة القوة والترتيب. إذ أسماها "**الملح**". أي أن تعاليم المسيح هذه هي بمثابة ملح العالم ونور العالم، فالملح هو المصلح والمطهِّر للغذاء الجسدي. هكذا الملح الروحي وهو تعاليم النعمة فإذا لم يتناولها طالب الملكوت أو التلمذة أو البناء الروحي بحذر ويحترس أشد الاحتراس في ممارستها، تفسد التعاليم. وإذا فسدت التعاليم أخرجت جيلاً لا يصلح لشيء. عجيب هذا الإنجيل!

الأصحاح الخامس عشر:

(و) توبة الخاطئ وفرح الله
إنجيل الابن الضال والخروف والدرهم
(32-1:15)

يقع الأصحاح الخامس عشر بين الأصحاحات الأربعة والعشرين موقع الفاصل الموسيقي الأنيق في انسجامه واختيار مكوِّناته. فهو يدور حول موضوع واحد يتحدَّد من أوله، إذ لمَّا عيَّر الكتبة والفرّيسيون المسيح كونه يحتفي بالخطاة ويسعدهم بتقرُّبه إليهم وأكله معهم، بدأ المسيح يعطي فلسفته هذه كون الخطاة المنبوذون من المجتمع أحوج إليه وإلى محبته من الأبرار الراضين بأنفسهم القانعين بأفضليتهم. وأعطى في هذا المضمار ثلاثة أمثلة متناسقة ومتصلة اتصال النغمة الواحدة في مقطوعة موسيقية. فاختار أولاً مَثَل الخروف الضال الذي خرج من الحظيرة ولم يعد، وأثَّر ذلك على الراعي الذي جدَّ في إثْرِهِ حتى وجده، ومن فرحه به حمله على كتفه ليهوِّن عليه وعورة الطريق. ثم امرأة مُقترة وفقيرة جمعت عشرة دراهم من كدِّها وتعبها، ضاع منها درهم واحد فقامت بالليل وأسرجت سراجها وأخذت تبحث عنه في كل أركان بيتها وهي تكنسه كنساً باجتهاد حتى عثرت عليه، فمن فرحها دعت الجارات والصديقات ليشاركنها فرحها. ثم رجل كان له ابنان، كان الأصغر مدلَّلاً فطالب أباه بنصيبه من الميراث، وأبوه حيٌّ بعد، فمن عطفه أعطاه مُناه، فأخذه وانطلق إلى كورة بعيدة يبدِّر المال بعيش مُسرف حتى نفدَ عن آخره. وحدث أن نُكبت الأرض بجوع شديد فاشتغل كأجير يرعى الخنازير، فاشتهت نفسه أن تأكل من أكلها فلم تُعْطَ. فتذكَّر عزّ أبيه والعيشة في أحضانه، فقام في الحال وأخذ يرتِّب في قلبه كلمات الاعتذار التي سيردّ بها على عملته هذه. ولكن ما أن قرب من الدار حتى لمحه أبوه من بعيد فقام وكان يجري نحوه من فرحته. وأخذ الابن يعتذر بأعذاره ويعترف بخطيته والأب مشغول كيف يحيِّيه بعمل وليمة فاخرة ويُلبسه أجمل لباس. وأحضر خاتماً مرصَّعاً في يده وحذاءً جديداً في رجليه وقال: اذبحوا العجل المسمَّن لنأكل ونفرح. فجاء الأخ الأكبر من الحقل وسمع صوت الوليمة فاستخبر من العبيد عن الخبر فقالوا له رجع أخوك سالماً

فذبح أبوك العجل المسمَّن. فغضب الابن ولم يشأ أن يدخل الدار، فقام أبوه يطلبه، ولكنه احتجَّ على أبيه كيف أنه قضى كل أيام خدمته هذه السنين طائعاً، "وجدياً صغيراً لم تعطني لأفرح مع أصدقائي، وهذا الذي عصاك وبدّر أموالك على الزواني تذبح له العجل المسمَّن؟" فقال الأب متباسطاً: يا ابني أنت كنت معي وأموالي كلها لك، ولكن أخاك هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوُجِدَ، أفلا نفرح به؟

قصة جميلة خاصة الجزء الأخير منها، تحيِّي التوبة وتمجِّدها وترفعها إلى مستوى فرحة العيد عند الناس وفرحة الآب السماوي بعودة الشركة مع الإنسان، وخاصة أن المسيح نفسه هو قائلها ليردَّ على وقاحة الفرِّيسيين الذين يلومونه على كونه يحب الخطاة ويأكل معهم. فرفع المسيح تذمُّرهم إلى أخطر قضية بين الله والإنسان: فالإنسان الذي جرَّه الشيطان من حضن الله أصبحت عودته التي أكملها المسيح تمثّل أعظم نصر للمسيح وأعظم فرحة عند الآب!

1 ـ مقدِّمـة

(15:1و2)

15:1و2 **«وَكَانَ جَمِيعُ الْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ يَدْنُونَ مِنْهُ لِيَسْمَعُوهُ. فَتَذَمَّرَ الْفَرِّيسِيُّونَ وَالْكَتَبَةُ قَائِلِينَ: هذَا يَقْبَلُ خُطَاةً وَيَأْكُلُ مَعَهُمْ».**

واضح أن المسيح هو المسئول عن دنو الخطاة إليه والجلوس والأكل معهم، لأنهم وجدوا أنفسهم الضائعة فيه، وضميرهم المعذَّب وجد راحة وسلاماً عنده، أحبُّوه لأنهم شعروا بمحبته. فالمسيح تجسَّد ليبحث عن الإنسان الذي خرج من لدن الله مطروداً ولم يعد. حينما يشعر الإنسان بخطيته يكون قد انفتح أمامه باب العودة. هؤلاء الخطاة الذين التفُّوا حول المسيح أدركوا أن فيه هو وحده تختبئ سعادتهم، وأحسُّوا أن مفتاح حياتهم الجديدة معه. وهؤلاء أقنعوه بقربهم منه أنه يلزم أن يعمل شيئاً من أجلهم، أقنعوه أن رسالته من عند الآب التي جاء من أجلها يتحتَّم أن يسرع بها.

كانت لهم آذان تسمع وعيون تبصر وقلب رقيق يحس، أمَّا الفرِّيسيون فلو أن خطيتهم أكبر إلاَّ أنهم كانوا لا يحسُّون بها، بل بالعكس كانوا يحسُّون أنهم أبرار أمام الله، لذلك لم يحسُّوا بالمسيح ولا قبلوه ولا قبلوا كلامه. سدُّوا آذانهم بإرادتهم فانسدَّت غصباً عنهم. لم يشعروا بالحاجة إليه فتباعدوا عنه وتباعد هو عنهم، لأنه لم يجد فيهم الخطية التي جاء ليحملها عن الإنسان. وجد الخطية

في العشّارين والزواني وبقية الذين جاءوا والتفوا حوله لأنهم شعروا بخطيتهم فشعر بهم. وزيّنوا بقربهم منه الصليب، وبسببهم اقتنع أنه لابد أن يحمل خطاياهم في جسده ويفديهم بدمه.

وقد أبدع القديس لوقا في تقديم هذه المقدّمة أيـُّما إبداع، لأنها تنطق نطقاً بمن هو الابن الأصغر الذي عاش مع الزواني وقام وذهب إلى أبيه معترفاً بخطيته، كذلك تكشف مَنْ هو الابن الأكبر الذي احتقر أخاه لأنه أخطأ واحتقر أباه لأنه قبله وهو خاطئ. إنه حبك مبدع.

2 - الخروف الضال

(7-3:15) (مت 18:12-14)

النقطة المحورية في هذا المَثَل هي فرحة الراعي بخروفه الضال. واحد بين مائة، ترك التسعة والتسعين وجرى نحوه يبحث في التلال والوديان وينادي حتى بحَّ صوته. وأخيراً وجده وكانت فرحته عارمة. هذه الفرحة عينها يقول المسيح إنها تكون عند الآب حينما يعود إليه خاطئ واحد. المَثَل يحمل كذلك رنّة أسف كيف خرج الخروف من الحظيرة وانسلَّ من وراء الراعي هكذا وضلَّ، هي نفسها رنّة الحزن عند المسيح والله بالنسبة لخاطئ واحد يضل. أمر يحزن قلب الله والمسيح الذي سفك دمه من أجل هذا الخاطئ الذي ضلَّ. إنها دعوة لرعاة البشر أن يصونوا رعيتهم لأنهم سيُسألون عمَّن يخرج ويضل:

+ «أطلب إلى الشيوخ (الكهنة) الذين بينكم، أنا الشيخ رفيقهم، والشاهد لآلام المسيح، وشريك المجد العتيد أن يُعلن، ارعوا رعية الله التي بينكم نُظّاراً (أساقفة)، لا عن اضطرار بل بالاختيار، ولا لربح قبيح بل بنشاطٍ، ولا كمَنْ يسود على الأنصبة، بل صائرين أمثلة للرعيَّة. ومَتَى ظهرَ رئيس الرُّعاةِ تنالون إكليل المجد الذي لا يَبْلى.» (1بط 5: 1-4)
+ «احترزوا إذاً لأنفسكم ولجميع الرعيَّة التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة، لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه.» (أع 20:28)

علماً بأنه حسب أصول رعاية الغنم أن الخروف الذي يضيع يُحسب على الراعي.

3:15و4 **«فكَلَّمَهُمْ بهذا الْمَثَلِ قائِلاً: أيّ إنْسَانٍ مِنْكُمْ لهُ مِئَةُ خَرُوفٍ، وَأضَاعَ وَاحِداً مِنْهَا، ألا يَتْرُكُ التِّسْعَةَ وَالتِّسْعِينَ فِي الْبَرِّيَّةِ، وَيَذْهَبَ لأجْلِ الضَّالِّ حَتَّى يَجِدَهُ؟»**

صوت المسيح هنا مسموع لأن هذا هو أسلوبه: توجيه مع توبيخ، مع تعليم. مائة خروف تعبِّر عن مِلْكِية صغيرة في فلسطين. وواضح من الكلام أن المسيح يخاطب أُناساً منهم رعاة غنم. فالمنظر كأنه أمامنا الآن، فالراعي قبل أن يُدخل غنماته الحظيرة يضع عصاته بعرض الباب حتى تدخل الغنمات من تحت العصا ليعدَّها ويفرز المريضة أو المجروحة. ومن هنا جاء قول الله بالنسبة لشعبه: «وأُمِرُّكُمْ تحت العصا وأُدخلكم في رباط العهد»(حز 37:20)، بمعنى عدَّهم وفتَّشهم عناية منه بهم، بعكس ما يُظن أنه للتأديب. أخيراً، وقد ابتدأ نور النهار يقل للغاية اكتشف الراعي أن خروفاً قد ضاع، ففي الحال يترك الغنمات ويعود يبحث عن الخروف الضال حتى يجده. ولكن هل يا تُرى الآن يوجد راعٍ واحد يعرف المؤمنين وعددهم ويكتشف مَنْ ضلَّ منهم ومَنْ خرج ولم يَعُد؟ يبدو الآن أن المَثَل لم يُصبح الخروف الضال بل الشعب؛ ولكن هذا عند الإنسان وليس عند الله، فقد نقش الله أسماءنا على كفِّه ولكل واحد منَّا مكان عنده محجوز ومحفوظ، وهو لا يزال يسعى وراء الخروف الضال.

5:15ـ7 **«وَإِذَا وَجَدَهُ يَضَعُهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ فرِحاً، وَيَأْتِي إِلَى بَيْتِهِ وَيَدْعُو الأَصْدِقَاءَ وَالْجِيرَانَ قَائِلاً لَهُمْ: افْرَحُوا مَعِي، لأَنِّي وَجَدْتُ خَرُوفِي الضَّالَّ. أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ هكَذَا يَكُونُ فَرَحٌ فِي السَّمَاءِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ أَكْثَرَ مِنْ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ بَارًّا لاَ يَحْتَاجُونَ إِلَى تَوْبَةٍ».**

هذا هو عمل الله إلى الآن: «كراعٍ يرعى قطيعه، بذراعه يجمع الحملان وفي حضنه يحملها ويقود المرضعات.» (إش 11:40)

وكما يفرح الراعي بخروفه الضائع، يفرح الله والسماء كلها بخاطئ واحد يتوب. أمَّا الخاطئ التائب فهو يستمد قوة من فرح الله: «فرح الرب هو قوتكم» (نح 10:8). أمَّا الأصدقاء والجيران فواضح أنه يقابلها فرح في السماء، أمَّا التسعة والتسعون فهم الذين يشعرون أنهم غير محتاجين إلى التوبة. والاعتقاد السائد عند الآباء أنه لا يوجد في الحقيقة إنسان واحد لا يكون محتاجاً إلى التوبة مهما كان برّه. ولكن لأن الجزء الأخير من الآية (7) يقول إنه: «يكون فرحٌ في السماء بخاطئ واحد يتوب **أكثر من** تسعة وتسعين لا يحتاجون ...» يدخل في المعنى أنهم لابد أبرارٌ حقيقيون تفرح بهم السماء. ولكن تظل فرحة السماء بالخاطئ الراجع إلى الله حافزاً شديداً لتعمل الكنيسة باهتمام بالغ كل الوسائل لتشجيع التوبة ومحاصرة الخاطئ حتى لا يُبتلع من اليأس أو يرتمي في يد الشيطان. ويكفينا أن هذا الحديث كله سببه معايرة المسيح بسبب حُبِّه للخطاة والأكل معهم. فهذا يعني أن منهج الكنيسة يلزم أن يكون من واقع عمل المسيح. علماً بأن منهج محبة الخطاة وملاطفتهم والأكل معهم كان يأخذ من

وقت المسيح ليس أقل من 90%، والباقي للرد على مناوأة الفرّيسيين بسبب هذه المحبة، وبسبب هذا التنازل والأكل مع الخطاة. فرسالة المسيح الأولى هي الخطية أينما وُجِدَت والخاطئ بالضرورة. فموائد الأغابي يلزم أن تعود كمنهج منسّق لأنها تُعتبر وسيلة هامة للتعرُّف على المساكين والفقراء والخطاة، الذي يلزم أن يكون شغل الكنيسة الشاغل. أمَّا الحادث الآن فبيوت الأغنياء وذوي الجاه والسلطان هي التي تأخذ أكثر من 90% من وقت الكنيسة. صحيح أن الأغنياء وذوي الجاه هم في حاجة إلى التوبة وربما أكثر من الفقراء، ولكن الفقراء والضعفاء والمساكين توبتهم جادة وصادقة وهي أمانة في عنقنا، إذ ليس لهم مَنْ يؤمِّن لهم حياتهم ضد الخطية. والفقر يشجِّع على ارتكاب الخطية خاصة إذا كانت من جهة المال، والخوف من ضياع الخاطئ الفقير هو الذي يحتِّم علينا التعرُّف عليه وعلى مشاكله، هذا كان منهج الكنيسة.

3 - الدرهم الضائع
(10-8:15)

10-8:15 **«أَوْ أَيَّةُ امْرَأَةٍ لَهَا عَشْرَةُ دَرَاهِمَ، إِنْ أَضَاعَتْ دِرْهَماً وَاحِداً، أَلاَ تُوقِدُ سِرَاجاً وَتَكْنُسُ الْبَيْتَ وَتُفَتِّشُ بِاجْتِهَادٍ حَتَّى تَجِدَهُ؟ وَإِذَا وَجَدَتْهُ تَدْعُو الصَّدِيقَاتِ وَالْجَارَاتِ قَائِلَةً: افْرَحْنَ مَعِي لأَنِّي وَجَدْتُ الدِّرْهَمَ الَّذِي أَضَعْتُهُ. هكَذَا أَقُولُ لَكُمْ يَكُونُ فَرَحٌ قُدَّامَ مَلاَئِكَةِ اللهِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ».**

هذا المَثَل يختلف عن مَثَل الخروف الضائع، حيث ضياع الخروف كان يمثّل الخاطئ الذي ضلَّ الطريق إلى الله، وبَحْثُ الراعي عنه باهتمام شديد يكشف عن اهتمام الله الشديد بالخطاة، فلمَّا وجده فرح فرحاً عظيماً وهذا يُمثّل فرح الله بالخاطئ التائب أو العائد إليه. أمَّا هنا في مثل الدرهم الضائع فضياع الدرهم أنشأ حزناً شديداً للمرأة الفقيرة، الذي يمثّل حزن الله على الخاطئ الضائع. هنا بحسب القياس البشري يبدو أن الخسارةَ في ضياع الدرهم صغيرٌ جداً ولا قيمة لها على الإطلاق في نظر الإنسان، ولكن حزن المرأة الشديد على عُشر ماليتها الضائع يعطينا من خلاله إحساساً مهيباً، فإن الله يحزن هذا الحزن على الخاطئ الضائع! فهو في نظرنا كنظرنا إلى الدرهم، شيء تافه من وجهة تقييم الإنسان، ولكن ظهر أن هذا الفقدان عند الله شيء مهول لأنه جزء أساسي في ملكوته. على أن فرحة المرأة مع جاراتها بعودة الدرهم يبدو لنا شيئاً سخيفاً، ولكنه في نظر الله

شيءٌ مهيبٌ تشاركه فيه الملائكة! والمَثَل يفضح الإنسان في **تقديره** للخاطئ وضياعه وعودته، الذي يُحسب في تقدير الله هاماً وخطيراً كعودة الدرهم للمرأة الفقيرة. المسيح هنا يقارن بين حساسية الإنسان "**لموضوع الخاطئ**" الذي هو نفسه تماماً عند الكتبة والفرِّيسيين شيء تافه لا قيمة له ضاع أو وُجِد، مع أن أحاسيس الله من جهته تساوي أحاسيس المرأة لمَّا ضاع منها الدرهم ولم تهدأ حتى وجدته. ولهذا يُحسب هذا المثل من أبدع التصاوير الحسيَّة التي ضربها المسيح ليزكّي مجيئه من السماء من أجل الخاطئ، والذي به يبكّتنا حتى يرتفع معيار اهتمامنا بالخاطئ.

فمَثَل الخروف الضائع يمثّل حساسية الإنسان من جهة الخاطئ الذي ضلَّ عن طريق الله، أمَّا مثل الدرهم المفقود فهو يمثّل حساسية الله من أجل الخطاة!!

4 ـ الابن الضال

(32-11:15) القديس لوقا وحده

مَثَل المسيح المشهور الذي قدَّمه بعد المَثَلين السابقين، حيث أوضح في الأول أهمية الخاطئ عند الله واعتناءه بتوبته أي رجوعه إلى حضن الله. والمَثَل الثاني يوضِّح حزن الله على ضياع الخاطئ ويرفع من قيمة الخاطئ عنده أكثر بكثير مما هو عند الإنسان. ويجيء هذا المَثَل الثالث وهو يأخذ خط المَثَلين السابقين فموضوعه هو الخاطئ وعودته، ولكن يقع التركيز الكبير والنهائي على الله في هذا المَثَل بالذات، وفيه تظهر التوبة كيف تفرِّح قلب الله الآب وتحقّق عودة العلاقات بين الإنسان والله. وكأن المسيح يخاطب الفرِّيسيين الناقدين على علاقته بالخطاة: أي إنسان منكم لا يفرح بخروف أُنقذ من الموت أو مال ضائع فوُجِدَ أو نجاة إنسان من الهلاك؟

أمَّا علاقة المسيح بالعشَّارين والزواني والخطاة فكانت الفرح بهم لأنهم تابوا وآمنوا به وتبعوه، ولكي يُظهر لهم منتهى حبه **كان يقبل الأكل معهم**، لأن في "كسر الخبز" كان يُستعلن سر المسيح ودون أن يدروا كانوا ينالون منه قوة ونعمة لتتفتح أعينهم ويدركوا خلاصهم.

11:15و12 «**وَقَالَ: إِنْسَانٌ كَانَ لَهُ ابْنَانِ. فَقَالَ أَصْغَرُهُمَا لأَبِيهِ: يَا أَبِي أَعْطِنِي الْقِسْمَ الَّذِي يُصِيبُنِي مِنَ الْمَالِ. فَقَسَمَ لَهُمَا مَعِيشَتَهُ**».

يُلاحَظ أن الابن الأصغر طالب أباه بنصيبه من المال فأخذه كله، بحيث لم يعد له عند أبيه أي

أحقّية شرعية أن يرعاه لأنه طلب الانفصال وحقّقه. هذا نفهمه من قوله وهو في الغربة المرَّة: «أقوم وأذهب إلى أبي وأقول له: يا أبي أخطأت إلى السماء وقدَّامك، ولست مستحقاً بعد أن أُدعى لك ابناً. **اِجعلني كأحد أجراك**» (لو 15: 18و19). أي لم يعد له نصيب الابن بسبب القسمة التي طلبها وبدّدها. ومعروف أن البكر يأخذ نصيباً مضاعفاً في الميراث، ويبدو أنه فعلاً أعطى الابن الأكبر ما يخصه من مال، لذلك احتجَّ لمَّا ذبح الأب للابن الأصغر العجل المسمَّن قائلاً إنه لم ينل منه حتى جدياً بنوع من الهدية، لأن كلا الأخين أخذ ميراثه، والمطالبة هنا بالجدي في مقابل العجل، وهذان ليس من حقهما. كذلك يحتج الابن الأكبر أنه كان يعمل مع أبيه في الحقل أمَّا الأصغر فكان حرًّا وفصل نفسه ولم يعد يخدم أباه. نخرج من هذه التفاصيل أنه كانت هناك محاباة واضحة من الأب للابن الأصغر. والواضح هنا أن الأصابع تشير إلى الجزء الأصغر والأحقر في شعب الله، أي العشَّارين والخطاة الذي تحوّل وأصبح الأمم فيما بعد. وهذه نظرة المسيح البعيدة في المثل. ولكن لا ننسى أن الناموس كان يحابي الابن الأكبر لأنه بكر بأن يأخذ ضعف الأصغر!! لذلك يظهر الابن الأكبر أنه حاقد على أخيه مع أنه مميَّز، والأصابع هنا تشير إلى الجزء الأرستقراطي في الشعب: كتبة وفرِّيسيين وناموسيين وكهنة ورؤساء كهنة، الذي سيتحوَّل في العهد الجديد إلى عظماء الأمم.

13:15 **«وَبَعْدَ أَيَّامٍ لَيْسَتْ بِكَثِيرَةٍ جَمَعَ الاِبْنُ الأَصْغَرُ كُلَّ شَيْءٍ، وَسَافَرَ إِلَى كُورَةٍ بَعِيدَةٍ، وَهُنَاكَ بَذَّرَ مَالَهُ بِعَيْشٍ مُسْرِفٍ».**

«جمع ... كل شيءٍ»: sunagagèn

جمع كل شيء في اللغة اليونانية بحسب العلاّمة كريد(227) تفيد أنه حوّل كل الممتلكات إلى نقود، وفي هذا الإجراء نوع من الجفاء في حق الأب أخلاقياً، فكأنه اعتبره أنه قد مات. وهذا كله يُضاف لحساب احتمال الأب ومحبته وعطفه على الأصغر. وهذا التصرُّف في عرف اليهود كان يمكن قبوله ومدحه لو كان قد ذهب إلى مدينة وتاجر وربح. ولكن للأسف ذهب وبدّر معيشته (كل ما يخصّه) "بعيش مسرف". وهنا أيضاً هذا الاصطلاح يجيء في اليونانية باحتمال الصرف على الخطية ¢sètwj أي بصورة غير أخلاقية. وهي كلمة مشتقّة من كلمة ¢swt...a التي تعني: "الخلاعة" كما في أفسس 5 : 18.

14:15و15 **«فَلَمَّا أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ، حَدَثَ جُوعٌ شَدِيدٌ فِي تِلْكَ الْكُورَةِ، فَابْتَدَأَ يَحْتَاجُ. فَمَضَى وَالْتَصَقَ بِوَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْكُورَةِ، فَأَرْسَلَهُ إِلَى حُقُولِهِ لِيَرْعَى خَنَازِيرَ».**

(227) J.M. Creed, *op. cit.*, p. 199.

حبك القصة هنا نادر وجميل، فالمسيح افتعل الجوع الذي سيؤدِّي حالاً إلى عودة الابن إلى أبيه، وهذه اللفتة البديعة تُضاف إلى عين الأب الساهرة على الخطاة كيف يفتعل الأزمات والضيقات في وجههم ويضيِّق عليهم حتى يشعروا بخطئهم، ثم يستثير عواطفهم في التعب والجوع ليدركوا أن هذا بسبب خطيتهم فيفكِّروا في العودة والتوبة. وهذا ما تمَّ في هذه القصة العجيبة.

هنا تأتي المقارنة في ضمير الابن الأصغر بين رفاهية الحياة مع أبيه وبين حياة المهانة والجوع والعوز بعيداً عن أبيه (الله). بعد كرامة البنوَّة صار عبداً يخدم النجاسة. والخنازير كناية عن عيشة الخطية. ويُلاحَظ هنا أن الخنازير نجسة عند اليهود (لا 7:11)، ورعاية الخنازير خدمة ملعونة عند اليهود وهي تفيد خدمة الخطية وبالذات النجاسة: [ملعون الرجل الذي يربِّي خنزيراً وملعون الرجل الذي يعلّم ابنه حكمة اليونان](228).

16:15 **«وَكَانَ يَشْتَهِي أَنْ يَمْلأَ بَطْنَهُ مِنَ الْخُرْنُوبِ الَّذِي كَانَتِ الْخَنَازِيرُ تَأْكُلُهُ، فَلَمْ يُعْطِهِ أَحَدٌ».**

«الخرنوب»: Pods of carob. *Ceratonia siliqua*

وهو ثمرة الخرُّوب العادية التي يُصنع منها شراب الخرُّوب، ولكن الخروب الجبلي لا طعم له إذ هو فاقد السكر وقاسٍ في جفافه. ومن الكلام يُفهم أنه اشتهى ولم يجد! منتهى المذلّة، إلى هذا الحد تنتهي خطية الزنا بالإنسان العاق. وهو مثل يهودي حبكه المسيح في هذه القصة أن فلاناً اِبْتُلِيَ بالفقر والجوع حتى إلى أكل الخروب. الخطية قادرة أن تذل كبرياء العاصي والمتمرِّد، لأن عين الله سهرانة كيف وإلى أي حد تؤدِّب.

17:15 **«فَرَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ وَقَالَ: كَمْ مِنْ أَجِيرٍ لأَبِي يَفْضُلُ عَنْهُ الْخُبْزُ وَأَنَا أَهْلِكُ جُوعاً!»**

وهكذا حسب المَثَل حينما يجوع الإنسان وتحفى (من الحفا أي الرجل العارية) قدمه يفيق إلى نفسه! فابتدأ يذكر عزَّ أبيه وراحة أجرائه وهو يهلك جوعاً. إلى هذا الحد تقسو يد الله على الخاطئ المكابر حتى يعود إلى صوابه، ولكنها قسوة الرحمة والعين الساهرة.

18:15و19 **«أَقُومُ وَأَذْهَبُ إِلَى أَبِي وَأَقُولُ لَهُ: يَا أَبِي أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقُدَّامَكَ، وَلَسْتُ مُسْتَحِقًّا بَعْدُ أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْناً. اِجْعَلْنِي كَأَحَدِ أَجْرَاكَ».**

وهكذا الابن إذا تمرَّد على أبيه يذهب ويعود سائلاً أن يصير أجيراً. وهكذا احتقر الإنسان بنوَّته

(228) Baba Qamma VII, VIII.

لله وخرج من لدنه إلى اللاعودة، وبممارسة الخطية فقدَ صورة البنوَّة واسمها وكرامتها وصار عبد الخطية. وهكذا لزم أن ينزل "الابن" من لدن الآب ويتغرَّب مع الإنسان ويذوق معه البعاد ولو إلى لحظة: «إلهي إلهي لماذا تركتني» (مت 46:27)، ليعود إلى الآب حاملاً الإنسان وقد استعاد له عند الله مكاناً عن يمين الآب وفي قلبه، ولكن بتكلفة باهظة كلَّفت الآب أن يموت الابن على الصليب ليحيا الإنسان كابن من جديد ـ وصارت هذه التكلفة عينها رصيداً دهرياً أبدياً يصرف منه الخطاة، كل الخطاة، حق العودة إلى الآب، لا كأُجراء بعد ولكن كأبناء لهم كل ما للابن من حب وميراث. فإذا فتَّشنا في قصة الابن الضال تفتيشاً واعياً فإننا نجد أن "عودة الابن" تصح أن تكون عنواناً لها وليس ضلالة الابن، لأنه لولا الجلجثة ما عاد ابنٌ وما غُفرت خطيةٌ وما فهم الإنسان معنى أبوَّة الله. لأن المسيح لم يرفع الإنسان من ضلاله بل من الهلاك **«كان ميتاً فعاش».**

20:15 **«فَقَامَ وَجَاءَ إِلَى أَبِيهِ. وَإِذْ كَانَ لَمْ يَزَلْ بَعِيداً رَآهُ أَبُوهُ، فَتَحَنَّنَ وَرَكَضَ وَوَقَعَ عَلَى عُنُقِهِ وَقَبَّلَهُ».**

أخطر آية في هذه القصة المثيرة: **«فقام وجاء إلى أبيه».** هذه الحركة احتاجت من الابن أن يموت على الصليب بالجسد (البشرية) لكي **"يقوم ويذهب إلى الآب"** فتقوم فيه البشرية وتجيء إلى الآب. وهي أعظم حركة إيجابية في القصة كلها وعليها يدور الحديث والوصف وكل التعبيرات!

إن أحوج درس تحتاجه المسيحية الآن هو الدرس الذي يعلّم الخاطئ كيف يقوم ويذهب إلى الآب. هنا نتعجَّب أن المسيح لم يذكر أن الأب قام وفتَّش عنه وأرسل المنادين وقصَّاصي الأثر، بل ظلَّ جالساً في بيته يحتل بكل رزانة سلطانه الأبوي. صحيح أن المسيحية تحتاج إلى المعلّم والواعظ والأب الروحي والرئيس، ولكن كل ذلك اختفى من هذه القصة. فهذه القصة تقوم على أساس أن الابن عرف اللحظة الحرجة التي فيها يقوم ويذهب إلى أبيه. وهنا ينبغي أن نقف ونقول: إذا لم يتأسَّس الإنسان على معرفة روحية صحيحة فلن يعرف متى يتوب ويعود إلى الله. وأجمل ما في هذه القصة أن في اللحظة التي تحرَّك فيها الابن نحو أبيه واطمأن لها الأب قام الأب وركض لاستقباله بكل عطف وحنان الأبوَّة.

21:15-23 **«فَقَالَ لَهُ الابْنُ: يَا أَبِي أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقُدَّامَكَ، وَلَسْتُ مُسْتَحِقًّا بَعْدُ أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْناً. فَقَالَ الأَبُ لِعَبِيدِهِ: أَخْرِجُوا الْحُلَّةَ الأُولَى وَأَلْبِسُوهُ، وَاجْعَلُوا خَاتَماً فِي يَدِهِ، وَحِذَاءً فِي رِجْلَيْهِ، وَقَدِّمُوا الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ وَاذْبَحُوهُ فَنَأْكُلَ وَنَفْرَحَ».**

لمَّا ابتدأ الابن أن يتلو ما حفَّظه لنفسه طول الطريق من اعتذار وتأسُّف شديد، لم يسمع له الأب

وانشغل خصيصاً كيف يعدّ له الوليمة، والخاتم والحلة والحذاء والعجل المسمَّن. هنا الابن العائد إلى أبيه يحكي قصة خجلِهِ وما عمله وما تأتّى من عملهِ، والأب يحكي قصة حبه وأبوَّته وحنانه المدّخر له في قلبه. هنا المُصالح كأنه غائب؛ ولكن العجب العجاب أنه هو هو الذي يحكي هذه القصة حيث رجعة الإنسان إلى الله قامت على دم صليبه. وهكذا تماماً «إن الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه» (2كو 19:5). ولذلك فإن هذه القصة المتقنة على المستوى البشري يتركز سرّها الأعظم في عمل المسيح كمُصالح أخفى نفسه في القصة، ولكن القصة تقوم كلها عليه إذ لا يمكن أن يفوت علينا أن القصة في أصلها هي عن المسيح وحبه للخطاة.

أمَّا الحلّة والخاتم والحذاء والعجل المسمَّن فكلها تنتهي بعبارة: «لنفرح» هذا فرح الله والملائكة والسماء. كما قالها ق. لوقا في بداية الأصحاح: «أقول لكم إنه هكذا يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب» (لو 7:15)، «هكذا أقول لكم يكون فرح قدَّام ملائكة الله بخاطئ واحد يتوب.» (لو 10:15)

24:15 **«لأنَّ ابْنِي هذا كَانَ مَيِّتاً فَعَاشَ، وَكَانَ ضَالاً فَوُجِدَ. فَابْتَدَأُوا يَفْرَحُونَ».**

«كان ميتاً فعاش» جملة خطيرة تخفي في طيَّاتها حقيقة كانت مختفية، وهي التي جعلت قلب الأب يخرج هكذا عن رزانته في شدَّة فرحه وإظهار عاطفته وإقامة الحفلة الكبيرة. يبدو أن الابن الأصغر كان على خلاف مع أبيه فقرَّر أن يخرج ولا يعود، هذا هو التفسير الوحيد وراء قول الأب إن ابني هذا كان ميّتاً فعاش، بجوار انغماس الابن في الإسراف وفي الخطية حتى جاع وتعرَّى، فهي أيضاً حالة موت أدبي وروحي معاً. ولكن هذا وذاك يعطينا صورة باهتة عن حالة الإنسان عموماً في بعده عن الله الذي كان بشبه طرد من أمام وجهه وتجريده من الميراث السماوي، ثم بعد ذلك الانغماس في الخطية والعصيان حتى ابتعد نهائياً عن العلاقة الأولى مع الله. فالمسيح أنقذ الإنسان من الموت الأدبي والروحي الذي هو الهلاك بعينه لدى الله، بل ومضاف إلى الموت حكم لعنة.

فعودة الابن بهذه الصورة كان وراءها مُصالح، كما سبق وقلنا، لم يُظهره المسيح في القصة لأن زمانه لم يجيء بعد.

«فابتدأوا يفرحون» مَنْ هم؟ واضح أنه أسلوب شفَّاف يكشف عن جوقة سماوية من الملائكة، باستعداد أمر الأب للتسبيح والفرح بجوار الخدم، بجوار العجل المسمَّن والمطهي أيضاً. هكذا تفرح السماء والأرض بالإنسان العائد إلى أبيه السمائي!!

25:15-27 «وَكَانَ ابْنُهُ الأَكْبَرُ فِي الْحَقْلِ. فَلَمَّا جَاءَ وَقَرُبَ مِنَ الْبَيْتِ، سَمِعَ صَوْتَ آلاَتِ طَرَبٍ وَرَقْصاً. فَدَعَا وَاحِداً مِنَ الْغِلْمَانِ وَسَأَلَهُ: مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ هذَا؟ فَقَالَ لَهُ: أَخُوكَ جَاءَ فَذَبَحَ أَبُوكَ الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ، لأَنَّهُ قَبِلَهُ سَالِماً».

والآن وبفم المسيح المبارك يحاول أن يختم القصة، فظهر الابن الأكبر في الأفق وقرب من البيت وسمع ما سمع. وهنا يستشف القارئ مَنْ هو الابن الأكبر الآتي بغضبه، إذ ليس إلاَّ هؤلاء الكتبة والفرِّيسيين الغاضبين على كيف يأكل المسيح ويفرح مع العشَّارين والخطاة. ولكن السؤال الماكر هل الابن الأكبر لم يكن في سلام مع الأب حتى يهمله هكذا دون أن يرسل له الخبر المفرح للمجيء؟؟ نقصد هنا الفرِّيسيين الذين يجهلون ويتجاهلون لماذا يحب المسيح الخطاة ويقيم معهم وليمة حب وعودة؟ و «سمع صوت آلات طرب» = sumfwn...aj أي orchestra (غالباً آتية من فوق)! «ورقصاً» (ذا صفين كما في نشيد الأنشاد 13:6) = corîn (خوارس)، ومن الخدم عَلِمَ القصة كلها وأدرك أن الفرح والرقص والطرب لأن الابن الأصغر حضر سالماً. وهنا والمسيح يقص القصة والفرِّيسيين يصرُّون بأسنانهم!! لأن القصد مكشوف.

28:15و29 «فَغَضِبَ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَدْخُلَ. فَخَرَجَ أَبُوهُ يَطْلُبُ إِلَيْهِ. فَأَجَابَ وَقَالَ لأَبِيهِ: هَا أَنَا أَخْدِمُكَ سِنِينَ هذَا عَدَدُهَا، وَقَطُّ لَمْ أَتَجَاوَزْ وَصِيَّتَكَ، وَجَدْياً لَمْ تُعْطِنِي قَطُّ لأَفْرَحَ مَعَ أَصْدِقَائِي».

واضح هنا عداوة رابضة في القلب تجاه الابن الأصغر، جعلته يعترض على هذا الاحتفال بقدوم ابن عاق لم يصنع مع أبيه ما يستحق هذا كله، وكان غاضباً. ولكن الأب يبدأ بالسؤال والملاطفة حتى يدخل ولكنه كان غير مهذَّب في الحديث مع أبيه. وابتدأ يعدِّد حسناته بجوار مساوئ أخيه، وكيف كان يخدم طائعاً وصايا أبيه ومع ذلك لم يَفُزْ بجديٍ واحد. المسيح هنا يعكس مشاعر الفرِّيسيين كما كان يراها المسيح والكنيسة الأُولى، والمسيح جاد في أوصافهم لكي يفهموا ويتحرَّكوا ليأخذوا موقفاً صحيحاً قبل أن تضيع عليهم الفرصة. لقد رفضوا الفرح بالمسيح كالزناة والعشَّارين فحُرموا منه في السماء.

30:15 «وَلكِنْ لَمَّا جَاءَ ابْنُكَ هذَا الَّذِي أَكَلَ مَعِيشَتَكَ مَعَ الزَّوَانِي، ذَبَحْتَ لَهُ الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ».

وكأنه ليس أخاه إذ دعاه: «ابنك هذا» باحتقار الفرِّيسيين المعهود للعشَّارين والخطاة، ولم يجد في أخيه ما يسمح بالأخوَّة بل اعتبره قد بدَّد معيشة الأسرة وأتلف أموالها على الزواني، وهو لا يملك

برهاناً واحداً على ادعاءاته بعيشة الزواني هذه.

31:15و32 «**فَقَالَ لَهُ: يَا بُنَيَّ أَنْتَ مَعِي فِي كُلِّ حِينٍ، وَكُلُّ مَا لِي فَهُوَ لَكَ. وَلكِنْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ نَفْرَحَ وَنُسَرَّ، لأَنَّ أَخَاكَ هذَا كَانَ مَيِّتاً فَعَاشَ، وَكَانَ ضَالاً فَوُجِدَ**».

الأب يوضّح حقيقة أراد الابن الأكبر أن يتجاهلها لكي يصبَّ غضبه على أخيه وأبيه، وهي بما أنه هو الابن الأكبر فالثوابت في الأرض والملكية كلها ستؤول إليه لأنه الابن البكر: «كل ما لي فهو لك» قانونياً، لذلك وضح ادعاء الابن الأكبر. ولكن بالرغم من أن كل شيء هو لك أما كان يتحتّم وأخوك هذا كان في حكم الأموات وها هو يحيا، أن نفرح ونسر؟ لأنه كان الأوجب على الابن الأكبر أن يفرح بعودة أخيه ويُسرّ. ولكن السؤال الخطير يبقى في النهاية هل يدخل الابن الأكبر؟؟

الأصحاح السادس عشر:

(ز) المال بين أيدي أبناء الظلمة وكيف يكون بين أيدي أبناء النور (31-1:16)

هنا أعطى المسيح مثلاً محتواه مرفوض روحياً، ولكنّه يوضّح حكمة أبناء الظلمة، كيف يستخدمون المال ولو بالحرام حتى يعيشوا في عالم ظالم شرير. هذا المَثَل مؤدّاه أن وكيلاً لرجل غنيّ وُشي به، فعرف أنه سيُطرد من وكالته حتماً، فذهب وغيَّر الوثائق التي تفيد مديونية الناس للغني، فالذي عليه مائة مكيال زيت جعله يغيِّر الصك المكتوب إلى خمسين، والذي عليه مائة مكيال قمح جعله يكتب ثمانين، حتى إذا طُرد من وظيفته يمكنه أن يسترد جزءاً من هذه المختلسات لنفسه ليعيش منها. فلا شك أن هذا الإجراء الماكر مرفوض روحياً، فهو مختلس. ولكنه عمل ذلك بحكمة الأشرار من أجل حياته على الأرض. والمسيح يقصد من هذا المثل لا أن نقتدي به ولكن أن نتعلّم منه ماذا نصنع في هذا العالم الظالم الشرير، لكي يكون لنا حياة أفضل في العالم الآخر. واضح إذن أن المطلوب أن نبدّد مال هذا العالم الظالم الشرير على الفقراء والمساكين والمعوزين، حتى إذا طُردنا من هذا العالم الشرير نجد رحمة وعزاءً عند الله في عالم النور. وهذا يُحسب لنا عمل حكمة ممتازاً في مالنا الخاص الذي هو مال العالم الظالم الشرير. فالمال كله هنا حُسب «مال الظلم

»على كل حال مهما حصلنا عليه بالأصول والحلال، فهو مال هذا العالم الظالم الشرير. ولكي نحوِّله إلى مال مقدَّس ـ الذي يسمُّونه الآن عملية غسل الأموال ـ بالعملة السماوية التي عليها صورة الله، علينا أن نبدِّده على مساكين هذا العالم الذين ظلَمَهم العالم وحَرَمَهم من خيراته الظالمة. والآية الرائدة التي جاءت في هذا المثل لتوضِّحه تماماً جاءت هكذا: « وأنا أقول لكم اصنعوا لكم أصدقاء (في السماء) بمال الظلم حتى إذا فنيتم يقبلونكم في المظال الأبدية» (9). هكذا فإن منفعة المال في العالم هو أن نشتري به النصيب الحسن السماوي.

أمَّا قصة الغنيّ ولعازر فهي تطبيق عملي للمبدأ السابق، حيث الغني المتنعِّم بالمال لم يستطع أن يعطي فتات الخبز لفقير على الباب، فعندما انتقل إلى فوق وجد لعازر في النعيم لأن العالم ودَّعه إلى السماء مظلوماً مهاناً بلا رحمة، فرحمته السماء وأجلسته في مجالس القديسين. أمَّا الغني فذهب إلى الجحيم، فاشتهى أن يذهب لعازر إليه ويبل لسانه بطرف إصبعه وما سُمح له، بل سمع أن غنيّ العالم فقير الآخرة، والمتنعِّم فيها معذَّب هناك.

فإن كان قد اعتُبر مال الظلم في قصة وكيل الظلم ذا منفعة أن يُبدَّر ويُصرف على الفقراء والمساكين، وهذه ربما هي حسنته الوحيدة، حيث نبدِّره هنا على المساكين فنحفظه فوق كنصيب مع القديسين، إلاَّ أن المال في قصة الغنيّ ولعازر كان نكبة على الغنيّ، وعدم رحمة على لعازر.

وبين القصتين دسَّ القديس لوقا مخاطبة عابرة مع الفرِّيسيين لأنهم استهزأوا بكلام المسيح إذ كانوا محبين للمال، وهم يبرِّرون أنفسهم قدَّام الناس، ولكن الله يكشف خباياهم وقلوبهم. ولأن المستعلي بنفسه هو رجس قدَّام الله فيكونون قد حكموا على أنفسهم، وعقَّب على ذلك بقوله: «لا تقدرون أن تخدموا الله والمال»

1 - الوكيل الحكيم (وكيل الظلم)

(9-1:16) القديس لوقا وحده

يلزمنا أن نجد جواباً على عدة أسئلة لندرك حقيقة هذا الوكيل الحكيم دنيوياً والمزوِّر والسارق والمختلس روحياً:

ماذا كان يعمل هذا الوكيل؟

كان يغيِّر الصكوك التي يدوِّن فيها ديون الزبائن بكتابة أرقام أقل، حتى إذا طرده صاحب المال يكون له عند الزبائن الذين كتبوا على أنفسهم فيها أرقاماً أقل من الحقيقة، فيقاسمهم الفرق عند طرده من الوكالة.

ما هو القصد الذي قصده المسيح من هذا المثل؟

كان القصد واضحاً أن أبناء النور يكون لهم نفس هذه الحكمة دون سرقة أو اختلاس؛ بل بعكس ذلك، فلأن هذا العالم ظالم فماله كله هو مال ظلم، فعلى الإنسان أن يبدِّد هذا المال على

الفقراء والمساكين ليتحوَّل كل ما سيبدِّده إلى رصيد سماوي، فعندما يذهب إلى فوق يجد رصيده في انتظاره: رحمة من الله ومحبة كما أحبَّ ورحم فقراءه على الأرض.

أمَّا كاتب الإنجيل فما هو قصده من هذا المثل؟

قصده أن يقول للفرّيسيين وأمثالهم محبي الأموال إن الأموال التي كنزتموها في هذا العالم ستُغرَّمون بها في العالم الآخر، لأنكم لم ترحموا الفقراء والمساكين؛ بل كنتم تتمتَّعون بها لحسابكم فقط أو لمجرَّد أن تكنزوها حتى تصيروا من أغنياء وعظماء الأرض، ويخدمكم العالم ويخاف منكم الآخرون. كما أنه أعطى قرَّاء إنجيله درساً أن كل مالٍ يُعطى لهم من أموال زائدة عن حاجتهم، لا يدَّخروه للزمن بل يرسلونه إلى فوق ليصبح رصيداً لهم في السماء.

ولكن لكي يتضح المثل أكثر فإنه عند الآية (7) تكون القصة قد انتهت بالنسبة لوكيل الظلم وقصاص الأرض. أمَّا ما جاء في الآية (8) فهو تعليق **السيد** Ð KÚrioj صاحب الأرض أو صاحب العالم بنوع التهكُّم. ويوضِّح ذلك قول وكيل الظلم في الآية (3) عن صاحب الأرض الغنيّ إنه «سيدي»

1:16و2 «**وَقَالَ أَيْضاً لِتَلاَمِيذِهِ** (خاصة)**: كَانَ إِنْسَانٌ غَنِيٌّ لَهُ وَكِيلٌ، فَوُشِيَ بِهِ إِلَيْهِ بِأَنَّهُ يُبَذِّرُ أَمْوَالَهُ. فَدَعَاهُ وَقَالَ لَهُ: مَا هذَا الَّذِي أَسْمَعُ عَنْكَ؟ أَعْطِ حِسَابَ وَكَالَتِكَ لأَنَّكَ لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَكُونَ وَكِيلاً بَعْدُ**».

لا يزال المسيح يتكلَّم وسط الجمع، والكتبة والفرّيسيون سامعون، ولكن المسيح يوجِّه هنا كلامه لتلاميذه لأن المَثَل في الحقيقة يصلح للاثنين.

يُلاحَظ أن الإنسان الغنيّ كان له وكيل وكان يتعامل مع متاجر يبيع لهم الزيت الخارج من معصرته وطبعاً زيت زيتون، والقمح من حقله، فهو إنسان ثريّ حقًّا ووكيله وكيلٌ قانوني للبيع والتحصيل، وفي هذه الحالة يكون له صلاحيات كبيرة في المطالبة بالديون ورفع القضايا وقفل المحلات في حالة عدم السداد، نظير ذلك فهو يعمل عند صاحب الأرض إمَّا بالعمولة أو بالأجر، وغالباً كان بالعمولة. ويبدو أنه **كان يحابي التجَّار على حساب صاحب الأرض** (كان يبدِّر أمواله) **التي تُحسب نوعاً من التبديد،** ولهذا صمَّم على عزله ـ وهنا على القارئ أن يلاحظ أننا مطالبون بمثل هذا السلوك روحياً كما سيتضح ـ فدعاه صاحب العمل وأمره أن يسلِّم دفاتر الوكالة وجميع الإيصالات.

وهذا أيضاً سيحدث لنا حينما يجدنا السيد رئيس هذا العالم غير أمناء لحسابه لأننا نبذّر "مال الظلم" ـ ومال العالم هو مال الظلم كثر أو قلّ، جُمع بأمانة أو غير أمانة ـ فحينما يجدنا رئيس العالم نبذر أمواله على أولاد رئيس العالم السماوي يحقد علينا (وهو وضع أولاد الله القديسين في وسط هذا العالم موظفين وتجاراً، أو العاملين بأي عمل حينما يسخون على الفقراء والضعفاء ويبذّرون "مال الظلم" على الأعمال التي يحتاجها المسيح على الأرض، فإنهم يكونون مُبغَضين من رئيس هذا العالم جداً). وإن طالت حياتهم مهما طالت سيودّعهم رئيس العالم بالإهانة وربما بالاضطهاد أو الأمراض، وهذا هو «أعطِ حساب وكالتك» بالنسبة لرئيس العالم، فنعطيه حساب وكالته الرديَّة ونمرق إلى السماء حيث نجد أن كل الأرصدة من مال الظلم التي خُنّا (من خيانة) فيها رئيس العالم وسَرَّبْنَاها إلى فوق، قد تحوّلت إلى أموال طاهرة مقدّسة التي هي مواهب نعم الله في السماء. وهذا بلغة هذه الأيام هو محاولة جريئة لِغَسْلِ أموال الظلم (أي مال العالم) وتحويلها إلى أموال سماوية!

علماً بأننا حينما يقبلوننا فوق في السماء يسألوننا عن "إخلاء طرف" من رئيس العالم، فالذي يجدونه لم يُخلِ طرفه تماماً لا يُقبل. ورئيس العالم يعطي إخلاء الطرف مع شهادة بعدم الصلاحية في العالم وصفات رديئة كثيرة، منها أنه كان يضيّع وقته في الصلاة والذهاب للكنائس وتبديد أموال العالم على الغرباء من العالم كالشحّاذين والمساكين، وكان يمتّ بصلات شديدة بعدونا الأكبر صاحب السماء وابنه.

7-3:16 «**فَقَالَ الْوَكِيلُ فِي نَفْسِهِ: مَاذَا أَفْعَلُ؟ لأَنَّ سَيِّدِي يَأْخُذُ مِنِّي الْوَكَالَةَ. لَسْتُ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْقُبَ وَأَسْتَحِي أَنْ أَسْتَعْطِيَ. قَدْ عَلِمْتُ مَاذَا أَفْعَلُ، حَتَّى إِذَا عُزِلْتُ عَنِ الْوَكَالَةِ يَقْبَلُونِي فِي بُيُوتِهِمْ. فَدَعَا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ مَدْيُونِي سَيِّدِهِ، وَقَالَ لِلأَوَّلِ: كَمْ عَلَيْكَ لِسَيِّدِي؟ فَقَالَ: مِئَةُ بَثِّ زَيْتٍ. فَقَالَ لَهُ: خُذْ صَكَّكَ وَاجْلِسْ عَاجِلاً وَاكْتُبْ خَمْسِينَ. ثُمَّ قَالَ لآخَرَ: وَأَنْتَ كَمْ عَلَيْكَ؟ فَقَالَ: مِئَةُ كُرِّ قَمْحٍ. فَقَالَ لَهُ: خُذْ صَكَّكَ وَاكْتُبْ ثَمَانِينَ**».

طبعاً أخذ الوكيل العلم بتسليم الوكالة، وعليه أن يرتّب الدفاتر والإيصالات ولكن فكّر كيف يعيش بعد الطرد، ويبدو أن العمل شحيح في هذه الكورة. ففكّر: أنا لا أستطيع أن أنقب أي أسرق (مع أنه حرامي) ولا أستطيع أن أشحذ، فهداه فكره لعملية الاختلاس. فتاجر الزيت كان عليه مائة بث زيت، والبث بحسب يوسيفوس المؤرّخ يساوي 8,6 جالون أو 39 لتراً تقريباً، وبحسب الاكتشافات الأثرية يساوي 20 لتراً تقريباً. فجلسا معاً هو وتاجر الزيت وزوّرا إيصالات الاستلام

والدفع حتى صارت خمسين بثًّا وهي تساوي في ذلك الزمان 500 دينار بعد خصم السرقة، رقماً لا بأس به.

ودعا تاجر القمح وصنع معه نفس الشيء إذ كان عليه مائة كُرّ قمح. فقال خُذ صكك واكتب ثمانين، والكُرّ kòroj هو مكيال يبدو أنه بالزكيبة ويساوي 48 جالون. وكان ثمن القمح آنئذ بحسب العلاّمة يوسيفوس المؤرّخ بين 25-30 ديناراً للكُرّ الواحد، الذي يساوي في جملته 2500 دينار. وهكذا خرج من إيصالات القمح بسرقة قدرها 500 دينار، لا بأس بها أيضاً.

8:16 «**فَمَدَحَ السَّيِّدُ وَكِيلَ الظُّلْمِ إِذْ بِحِكْمَةٍ فَعَلَ، لأَنَّ أَبْنَاءَ هذَا الدَّهْرِ أَحْكَمُ مِنْ أَبْنَاءِ النُّورِ فِي جِيلِهِمْ**».

المسيح هنا هو المتكلِّم، فواضح جداً أن السيد "Ð kÚrioj كيريوس" هنا هو الغنيّ صاحب الأرض. والكلام هنا غير واضح لأن الغنيّ ـ الذي وصفه المسيح بالسيد بنوع التهكُّم ـ وجد في وكيل الظلمحكمة (ظالمة طبعاً) وفي غير مصلحة الغنيّ، ولكن استطاع بها أن يعيش بأن يرحِّل مال الظلم الذي اختلسه مع زبائن الرجل الغنيّ، لكي يقبلوه حينما يأتي إليهم بعد الطرد يسترزق. وعلَّق المسيح على ذلك: هل أبناء النور يستطيعون أن يكون لهم حكمة مثل هذا الرجل؟ ويسرِّبوا مال الظلم في هذا العالم إلى فوق «حتى إذا فنيتم يقبلونكم في المظال الأبدية»

9:16 «**وَأَنَا أَقُولُ لَكُمُ: اصْنَعُوا لَكُمْ أَصْدِقَاءَ بِمَالِ الظُّلْمِ، حَتَّى إِذَا فَنِيتُمْ يَقْبَلُونَكُمْ فِي الْمَظَالِّ الأَبَدِيَّةِ**».

واضح من القصة التي قالها المسيح ومن تصرُّف وكيل الظلم أنه تصرَّف بحكمة في مال الظلم بحسب مهارة أولاد العالم. وأن المسيح قال هذه القصة لنأخذ هذا الأسلوب عينه. والشرح كما سبق وقلنا في المقدّمة يكون كالآتي:

إن هذا العالم الظالم الشرير هو السيد، ونحن رغماً عن أنفنا أقامَنَا هذا السيد وكلاءَ له لنكدح ونشتري ونبيع ونعمل في مكاتبه الحكومية، وفي أعماله الخاصة في الزرع والبناء والتجارة والبنوك والصناعة، واكتشاف الفضاء والنزول على القمر لكي نجمع له المال ونسلّمه لمن يستلم، ونجمع له العلم والبيانات والاختراعات ونسلّمها له. فمطلوب منّا من وراء هذا السيد القاسي الشرير أن نأخذ نصيبنا من مال الظلم هذا، ولكن ما نستحقه بأمانة كاملة، ثم نبدّده على الفقراء والمساكين والمذلّين والمرضى وذوي العاهات حتى لا نُبقي له شيئاً عندما يطردنا ونذهب إلى فوق، حيث نجد أموالنا كلها قد تحوَّلت من

أيدي الغلابة والمساكين إلى أيدي الملائكة فوق، ووُضِعت كُلّها رصيد نعمة وحكمة ووعي روحي لكشف أسرار ملكوت الملك العظيم السمائي. فنؤهَّل للعمل مع الله الغنيّ في الرحمة. ذلك أفضل جداً.

2 ـ الأمانة في المال

(13-10:16) القديس لوقا وحده

10:16 «**الأمِينُ فِي الْقَلِيلِ أمِينٌ أيْضاً فِي الْكَثِيرِ، وَالظَّالِمُ فِي الْقَلِيلِ ظَالِمٌ أيْضاً فِي الْكَثِيرِ**».

لا تُفهم هذه الآية إلاّ على ضوء الآية السابقة، حيث الأمانة لحساب المسيح فوق للملكوت، بمعنى أن الذي يكون العالم الظالم الشرير قد سلّمه وكالة صغيرة لكي يخدمها لحسابه، فإذا انتهز الفرصة وكان أميناً للمسيح والملكوت والحياة الأبدية، وبدَّد منها شيئاً على الفقراء أمثاله والمساكين أيضاً، ولو قروشاً قليلة، ثمَّ إذا استحسنه رئيس العالم الظالم الشرير ورفعه إلى وكالة أعظم فانتهز الفرصة نفسها وكان أميناً لسيده المسيح وأخذ من المال الزائد من عمله وبدَّده يميناً وشمالاً على كل مسكين وذليل وكل معوز ومتضايق ـ فإن هذا كله يُحسب له أمانة للمسيح في الكثير، ويُحفظ له فوق أجراً عظيماً لا يتدنّس ولا يضمحل.

11:16 «**فَإنْ لَمْ تَكُونُوا أمَنَاءَ فِي مَالِ الظُّلْمِ، فَمَنْ يَأْتَمِنُكُمْ عَلَى الْحَقِّ؟**»

الأمر واضح يا عزيزي القارئ، فالأمانة في مال الظلم هي جمعه بالأمانة والدقة، ولكن صرفه بالتبديد على الفقراء والمساكين والمظلومين والمتضايقين لفك ضيقهم. هذه هي الأمانة في مال الظلم تحت رئاسة رئيس هذا العالم الظالم الشرير. أمَّا أن يأتمنَّا المسيح على الحق بالمقابل فهذا بحق المعادلة السرِّية بيننا وبينه التي سيكشف عنها بعد قليل.

12:16 «**وَإنْ لَمْ تَكُونُوا أمَنَاءَ فِي مَا هُوَ لِلْغَيْرِ، فَمَنْ يُعْطِيكُمْ مَا هُوَ لَكُمْ؟**»

وأيضاً بمقتضى ما سبق من آيات، الأمانة فيما للغير هي الأمانة فيما للمساكين والمذلين وبائسي الأرض، هؤلاء هم "**الغير**" الذين يتبعون المسيح رأساً. أمَّا "عطية ما هو لكم" فهي هنا النعمة والبركة والستر والرضا والفرح والرجاء والسرور الكامل، والشركة السرِّية مع الله الآب وابنه يسوع المسيح. فهي معادلة تسير هكذا: بدِّد ما هو هنا على مساكين الله، يسكب الله عليك من

فوق من غنى مجده.

13:16 **«لاَ يَقْدِرُ خَادِمٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ، لأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الآخَرَ، أَوْ يُلاَزِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ الآخَرَ. لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا اللهَ وَالْمَالَ».**

واضح جداً الآن بمقتضى شرح ما فات، أنه يستحيل أن نخدم المال بأمانة لحساب العالم ونكون في ذات الوقت أمناء في خدمة المسيح بالروح والحق. هنا مضادة عظمى يستحيل حلّها إلاَّ بما استطعنا أن نقوله ونوضّحه في الآيات السالفة. فلكي نكون أُمناء للمال لابد أن نجاهد ونبذل ما في وقتنا وصحتنا وأعصابنا لنستزيده لحساب رئيس هذا العالم الشرير، الذي يعطينا إذا نجحنا وجمعنا له الملايين لنضعها في البنوك، يعطينا شهادة الدكتوراه في الإخلاص في خدمة العالم ومال الظلم. ولكن أن نخدم المسيح تصبح خدمتنا للمال لحساب السيد المسيح، أي نأخذ منه الكفاف والباقي في مشروعات لحساب الفقراء والمساكين فيكون لنا كنزٌ في السماء، والله لا يكذب. يستحيل أن نحب المال ونحب الله، هذا رياء فرّيسي. إذا أحببنا الله فعلاً من كل قلبنا وفكرنا يلزم ويتحتّم أن المال إذا وقع في يدنا يكون مال الله، ومال الله يُعطى للمحتاجين من أولاد الله ولا يخصنا منه إلاَّ كفافنا.

يستحيل أن نخدم المال ونخدم الله، إن أردنا أن نخدم المال ونخدم الله معاً. فيلزم بالضرورة أن يكون المال مال الله بالفعل وليس بالكلام.

وإلى هنا ينتهي موضوع المال، ويؤسفني أن أقول أن الشرَّاح الذين اضطلعوا بشرح هذا الأصحاح أعطوا شرحاً متحيّزاً للعالم ولمال الظلم. لذلك نوعّي القارئ أن المسيح يقول الحق والحق لا يجوز اللعب به ليتناسب مع ظروفنا أو مبادئنا نحن أو واقعنا المالي. فإن كنّا نحسب أنفسنا أننا أبناء الملكوت، فالملكوت له شروط يلزم أن تُراعى جيداً هنا في العالم. وأي محاولة للخلط بين العالم والملكوت مجازفة نحن فيها خاسرون:

+ «وأمَّا الذين يريدون أن يكونوا أغنياء فيسقطون في تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبيَّة ومضرَّة، تغرّق الناس في العطب والهلاك. لأن محبة المال أصل لكل الشرور الذي إذ ابتغاه قوم ضلُّوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة.» (1تي 6: 9و10)

3 ـ توبيخ الفرِّيسيين الذين أرادوا أن يخدموا الله والمال

(16:14و15) القديس لوقا وحده

هذا الفصل من الأصحاح هو تعقيب على كلام المسيح بخصوص المال وخدمته، فلمَّا سمعه الفرّيسيون استهزأوا به مثل كل إنسان يريد الآن أن يزكّي الغِنَى واقتناء المال والادعاء بإمكانية خدمة الله والمال. ويكشف المسيح عن سرّ الإصرار على خدمة المال مع خدمة الله أنها محاولة لكسب رضى الناس وتكريمهم.

ولكن شهادة لله(229) نقولها إن بعض العلمانيين الجبابرة في هذا الجيل قاموا بمشاريع ينتفع منها الفقير والمريض. هؤلاء لا يمكن أن نضعهم في صفوف الأغنياء الذين يطلبون الكرامة ومجد الناس، لأن أعمالهم تشهد لهم. والمسيح هنا يتكلّم قاصداً الفرّيسيين الذين يضمرون في قلوبهم ـ كما يراها ـ محبة المال والجري وراءه.

16:14و15 **«وَكَانَ الْفَرِّيسِيُّونَ أَيْضاً يَسْمَعُونَ هذَا كُلَّهُ، وَهُمْ مُحِبُّونَ لِلْمَالِ، فَاسْتَهْزَأُوا بِهِ. فَقَالَ لَهُمْ: أَنْتُمُ الَّذِينَ تُبَرِّرُونَ أَنْفُسَكُمْ قُدَّامَ النَّاسِ! وَلكِنَّ اللهَ يَعْرِفُ قُلُوبَكُمْ. إِنَّ الْمُسْتَعْلِيَ عِنْدَ النَّاسِ هُوَ رِجْسٌ قُدَّامَ اللهِ».**

إن كلام المسيح مثل صليب المسيح وعلى مستواه. فكما أن الذي قاله المسيح يبرهن صدقه على الصليب، كذلك يريد المسيح منّا، إن كنّا نؤمن بصليب المسيح والملكوت الذي أعدّ، فحتماً نؤمن بصدق كلامه والحق الذي فيه. فالذي يرى في كلام المسيح تعارضاً مع حياة الإنسان ومنفعته فلن يستطيع أن يؤمن بصليب المسيح وأن يمارس الموت معه. فموقف الفرّيسيين هنا أنهم استهزأوا به، مما أدّى في النهاية إلى أنهم اشتركوا في صلبه. فإن أخطر ما في محبة المال أنها تؤدّي إلى الكبرياء والاعتداد بالذات التي وصفها المسيح أنها رجسٌ عند الله.

(229) لا يسعنا المجال هنا أن نذكر ما يقوم به رجال هذا الجيل وسيِّداته من مشاريع للنهوض بالشعب القبطي، الذي يجعلنا ندعو لكي يزداد إيمانهم مع غناهم، حيث يصبح المال وسيلة فعَّالة للبذل والتضحية والاتضاع والسهر على خدمة المعوزين أيًّا كانوا. وهنا يصبح الغني قادراً حقـًّا أن يدخل من ثقب الإبرة الذي هو الباب الضيق الموصِّل من هذا العالم إلى الملكوت، ومعه حِمل محمَّل بدعوات الأيتام والأرامل والمرضى والمساكين.

4 ـ الناموس والملكوت

(16:16و17) (مت 12:11و13، 18:5ـ32)

هذا الجزء من الأصحاح يتعرَّض لموقف المسيح من الناموس، إذ يقرِّر المسيح أن الناموس والأنبياء إلى يوحنا، ومن ذلك الوقت ابتدأ المعمدان يبشِّر بملكوت الله. ويبدو أن ق. لوقا في قراءته للنص في المخطوط الذي أخذ منه فَهِمَ أن الإنسان هو الذي يغصب نفسه إليه، في حين أنه جاء في إنجيل ق. متى أن «ملكوت السموات يُغصب، والغاصبون يختطفونه» (مت 12:11). ولكن عاد المسيح يرفع من شأن كلمة الله في الناموس كما نطقها الوحي وأعطى مثلاً لذلك بالطلاق، مؤكِّداً أن الناموس لن يزول حرف واحد منه حتى ولو زالت السماء والأرض. وذلك ردًّا على الفرِّيسيين الذين كانوا يهاجمون ملكوت الله مدافعين عن الناموس.

16:16و17 **«كَانَ النَّامُوسُ وَالأَنْبِيَاءُ إِلَى يُوحَنَّا. وَمِنْ ذلِكَ الْوَقْتِ يُبَشَّرُ بِمَلَكُوتِ اللهِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ يَغْتَصِبُ نَفْسَهُ إِلَيْهِ. وَلكِنَّ زَوَالَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ تَسْقُطَ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ».**

هذا الكلام بعينه جاء في إنجيل ق. متى (12:11 إلخ)، أمَّا ما جاء في الآية (17) من إنجيل ق. لوقا فقد جاء في (مت 18:5). وقد حدث نقاش كبير بين العلماء في قول ق. لوقا هنا أن الإنسان يغصب نفسه إليه، في حين أنها حسب تقليد ق. متى أتت أن «ملكوت السموات يُغصب والغاصبون يختطفونه» (مت 12:11). والحقيقة أن روح الوضعين واحد وهو يعبِّر عن عمل الروح في الإنسان في وضعه الجديد، فإن كان يغصب نفسه فبالروح، وإن كان يغتصب الملكوت فبالروح، وليس لقدرة الإنسان أن تدفعه خطوة واحدة في طريق الملكوت. فهنا هو عمل الروح القدس الخالص والإنسان يُساق به. والأمر كله يدور حول أن الملكوت صار حقيقة واقعة في الحاضر الزمني بواسطة الرب يسوع، ودور الدخول إلى الملكوت أصبح علينا ولكن بدون الروح القدس هذا أمر مستحيل.

أمَّا الآية (17) فهي موازية لما جاء في (مت 18:5) بخصوص الناموس وزوال السماء والأرض. فدوام كلمة الله أمر مقطوع به على أساس أن المسيح فسَّر الناموس بتعاليمه وأكمله بصليبه.

فالناموس قائم قيام كلمة الله إلى الأبد،ولكن من واقع الكرازة بالإنجيل وتكميله بالخلاص.

5 - سر الزيجة والطلاق
(18:16)

(مت 19:3-9)
(مر 10:2-12)

18:16 **«كُلُّ مَنْ يُطَلِّقُ امْرَأَتَهُ وَيَتَزَوَّجُ بِأُخْرَى يَزْنِي، وَكُلُّ مَنْ يَتَزَوَّجُ بِمُطَلَّقَةٍ مِنْ رَجُلٍ يَزْنِي».**

إن التشدُّد الحادث في العهد الجديد بواسطة المسيح في أمر الزواج والطلاق أكثر من العهد القديم، راجع إلى انفتاح الملكوت والحياة مع الله. فدخلت علاقة الرجل بالمرأة وضع الخلقة الأول، كما تمسَّك بذلك المسيح حينما سُئل:

+ «هل يحلُّ للرجل أن يُطلِّق امرأته، ليجرِّبوه. فأجاب وقال لهم: بماذا أوصاكم موسى. فقالوا: موسى أَذِن أن يُكتب كتاب طلاق فتُطلَّق. فأجاب يسوع وقال لهم: من أجل قساوة قلوبكم كتب لكم هذه الوصية، ولكن من بدء الخليقة ذكراً وأنثى خلقهما الله. من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته، ويكون الاثنان جسداً واحداً، إذاً ليسا بعد اثنين بل جسد واحد. فالذي جمعه الله لا يفرِّقه إنسان.» (مر 10:2-9)

ونقول إنه بانفتاح الملكوت أصبحت الكنيسة تمارس سر الزيجة بين الرجل والمرأة لحساب الملكوت والنسل الخارج منهما. ومن هذا المنطلق لم تعُدْ الزيجة للمتعة، ولا على مستوى العالم، بل على مستوى ميراث الملكوت والحياة الأبدية. ومضمون سر الزيجة المسيحي، هو حدوث اتحاد سرِّي بالروح القدس بين الرجل والمرأة على أساس اتحادهما معاً في جسد المسيح، فهذا هو الذي جمعهما إلى واحد. بمعنى أنه بصلاة الكنيسة وطلب الروح القدس ليحل ويبارك على اتحادهما، يحدث الاتحاد السري بالروح القدس في جسد المسيح، لأنه لا يمكن أن تحدث وحدة في الكنيسة بدون الروح القدس وبدون جسد المسيح. فلو علمنا أن الكنيسة تمثِّل جسد المسيح السرِّي يصبح اتحادهما إلى جسد واحد جزءاً لا يتجزَّأ من كيان الكنيسة التي هي جسد المسيح.

فالآن ينبغي أن نتصور أن اتحاد الرجل والمرأة بسر الزيجة، بواسطة الكنيسة، ينشئ كياناً جديداً للرجل والمرأة، كياناً متحداً من "أنا" الرجل، و"أنا" المرأة، هو "أنا" الزيجة. هذا الكيان الجديد هو مقدَّس أمام الله، يمتلكه الزوج والزوجة والمسيح، وهو أعلى من كيان الرجل وكيان المرأة منفردَيْن،

وهو مصدر قوتهما وسعادتهما في حياة الزيجة الجديدة، وكما قلنا إنه ليس ملكاً للرجل وحده ولا للمرأة وحدها، بل ملكاً لهما معاً باتفاق وتحت وصاية المسيح وبركة وقوة الروح القدس صاحب السر!!

وطالما حافظ عليه كلٌّ من الرجل والمرأة، وكرَّماه وقدَّساه، تقدَّسا به وصار ضمين خلاصهما معاً وقداستهما معاً ولحساب الملكوت؛ ولكن لا يدخلان الملكوت بهذه الوحدة المقدسة بسر الزيجة، ولكنها تؤهِّلهما لدخول الملكوت كلٌّ بكماله المسيحي، حيث هناك تصير الوحدة الكاملة الفردية مع المسيح، لأن في الملكوت لا توجد ثنائيات زيجية، بل وحدة من الكل في المسيح.

هنا اتحاد الرجل بالمرأة لتكوين الكيان الزيجي الجديد المتَّحد بالمسيح والروح القدس، يدخل فيه المسيح كعنصر أساسي يكمِّل بوجوده عجز الخليقة ويقدِّسها لحساب الآب. والغاية الكبرى من سر الزيجة وخلق هذا الكيان الجديد من الرجل والمرأة واتحادهما بالمسيح، هو النسل. فالكنيسة عينها من النسل، لأنه هو وجودها وحياتها، فالنسل المتحصِّل من الزيجات المقدسة، هم الأعضاء الذين يكونون هيكل الكنيسة. فهمُّ الكنيسة الأعظم هو النسل الذي إذا تربَّى وعاش تحت مظلّة الزيجة المقدسة المتحدة بالمسيح والمؤازرة بروح الله، تضمن الكنيسة خلاصه ليكونوا أعضاءً في الملكوت. وواضح الآن أن سر الزيجة ينتهي بالملكوت للرجل والمرأة والنسل.

فالآن كيف نطيق بعد هذا البناء لهيكل الكنيسة ولحساب الملكوت، ونتصوَّر أن يحدث طلاق؟ ألا يكون هذا بمثابة تقطيع الكيان السرِّي الجديد الذي نشأ من اتحاد الرجل والمرأة بسر الزيجة، وحضور الروح القدس، والاتحاد بجسم المسيح؟

ثم ألا يكون هذا هدماً لجسم الكنيسة، وقطعاً للطريق أمام الرجل والمرأة والنسل المؤدِّي إلى الملكوت؟

لذلك نعود ونؤكِّد أن سر الزيجة وما ينشأ منه باتحاد الرجل والمرأة ليكونا جسداً واحداً في المسيح بكيان جديد، هو عنصر بناء الكنيسة. وليس هذا تصوُّراً أو عقيدة أو افتراضاً، بل واقعٌ حيٌّ يَغَار عليه المسيح.

فالكنيسة التي تتهاون في تسهيل الطلاق، إنما تهدم نفسها وتقضي على مستقبل الذين سهَّلت لهم الطلاق، وهذا يكاد يكون غلقاً لباب الملكوت في وجوههم.

لذلك إذا قرأنا وسمعنا المسيح يتشدَّد في ذلك، فالأمر يخصُّه وهو يَغَارُ على جسده وعلى مستقبل أولاده بالنسبة للملكوت الذي كلّفه دمه.

أما تحديد خطية الزنا أنها تفسخ هذا العقد أو هذا السر، فلأن الذي وثّق السر هو الروح

القدس، والمعونة للتغلب على صعاب الحياة، ولكن بمجرد أن تحدث خطية الزنا ينسحب الروح القدس من السر وتنفك الوحدة من تلقاء ذاتها حتى بدون طلاق. فالطلاق هنا إنما يأتي تحصيل حاصل، فخطية الزنا تُحسب أنها ضربة من الشيطان عنيفة موجَّهة لقداسة السر وعمل الروح القدس. لذلك أصبحت الكنيسة ملزمة أن تجري الطلاق بكل حزن وأسى، وكأنها تجرح نفسها وتقطع جسدها بيدها!!

ولكن إن أحس الزوج والزوجة بهذه الخطورة التي تبلغ حد الجريمة في حق الشريك والأولاد والمسيح والروح القدس، واستطاع المخطئ أن يعترف ويتذلل ويطلب الغفران، فالغفران هنا لا يُمنع على أساس دم المسيح القادر أن يقدِّس بعد نجاسة ويحيي من الموت!!

+ «يا امرأة أين هم أولئك المشتكون عليكِ، أما دانكِ أحدٌ. فقالت: لا أحد يا سيد. فقال لها يسوع: ولا أنا أدينُكِ، اذهبي ولا تُخطئي أيضاً.» (يو 8:10و11)

وحينئذ تقوم الكنيسة بواجبات التطهير، وإعادة قوة السر.

ولكن بعد هذا نقول إنه يلزم جداً للزوجين أن يدركا حقيقة سر الزيجة على هذا الأساس، حتى تتقدَّس علاقتهما معاً بالوعي الروحي لقيمة هذا السر العميق والضارب جذوره في ملكوت الله.

ومرة أخرى نوعِّي، أن من الاتحاد السري بين الرجل والمرأة في سر الزيجة، ينشأ كيان زيجي جديد من الاثنين، فائق على كيان كل منهما بمفرده. فذات الرجل، وذات المرأة، أنشأا باتحادهما ذاتاً جديدة أقوى وأعظم من كل منهما، هي مصدر حبهما الشديد ومصدر عطفهما كُلٍّ على الآخر، وهي بمثابة مجال جديد جاذب لكل منهما نحو الآخر، هذا يحسّه مَنْ نجح في تكريم حياته الزوجية. فلو انفتح وعي كل منهما على هذه الحقيقة وعاشا معاً في ظلها، يصعب جداً، بل ويكون من المستحيل أن يخون أحدهما الآخر.

لذلك نتمنى أن تشدِّد الكنيسة على سمو هذا السر العميق والفائق، لأن في إدراك هذه الحقائق تتقدَّس الوحدة، وتثمر لحساب الكنيسة والمسيح.

6 ـ لعازر والغنيّ
(31-19:16)

نحن لازلنا مع المسيح من بدء الآية (15) والتلاميذ حضور والفرّيسيون أيضاً.

والقصة تلمس مشكلة المال وسوء استخدامه وضحاياه، كما تكشف عن نهاية حزينة للغنيّ ومنزلة الفقير المظلوم والمهان في نظر الله.

اسم "لعازر" يُفسَّر: "الله يعين"، وقد اختير عمداً ليُظهر تدخُّل الله في حياة الفقراء والمظلومين. ولعازر كانت إقامته المفضَّلة بجوار باب قصر الغنيّ حتى يتلقّى الفتات الساقط من مائدة الغنيّ، وكان مكتفياً بها يترقّبها كل يوم بفارغ الصبر، فكانت عنده هي كل معيشته. ولكن كان وجوده هكذا باستمرار مؤذياً لنظر الغني لأنه يُفسد جمال المدخل الرخامي، وبصعوبة رَضِيَ بوجوده. أمَّا لعازر فكان قانعاً جداً بما أنعم به الغنيّ عليه في السماح بوجوده بجوار القصر. وكان يتسلّى بالكلاب التي تلتهم أكثر من نصف جرايته، وعبثاً كان يهشّها حتى لا تؤذي جروحه التي تلحسها بالرغم من أنفه. كان لعازر صورة مجسَّمة لبؤس البشرية التي تقع ضحايا للغِنَى. فكان المسيح قاصداً أن يرينا هذا المنظر بعد درسه عن المال حتى يتَّعظ الناس، فلولا قليل من رحمة الله لصرنا مثل لعازر. وكان حظ لعازر بعد أن مات أن حملته الملائكة إلى حضن إبراهيم، أمَّا الغنيّ فبعد أن مات حُمل إلى الهاوية. وهكذا تتبادل السماء مع الأرض حظوظ الناس معكوسة، ويمكن أن تتغيَّر الأوضاع هنا ولكن هيهات أن تتغيَّر الأوضاع هناك.

ولكن أهم ما في القصة بحسب المسيح أن الغنيّ طلب من إبراهيم أن يُرسل أحداً إلى أسرته ليحضَّهم على التوبة قبل أن ينالوا ما هو فيه من عذاب، فكان رد إبراهيم في نهاية الحديث أنه لو قام بينهم واحد من الأموات فإنهم لا يؤمنون، وطبعاً كان المسيح يشير إلى نفسه والفرّيسيين الذين أمامه.

21-19:16 **«كَانَ إِنْسَانٌ غَنِيٌّ وَكَانَ يَلْبَسُ الأَرْجُوانَ وَالْبَزَّ وَهُوَ يَتَنَعَّمُ كُلَّ يَوْمٍ مُتَرَفِّهاً. وَكَانَ مِسْكِينٌ اسْمُهُ لِعَازَرُ، الَّذِي طُرِحَ عِنْدَ بَابِهِ مَضْرُوباً بِالْقُرُوحِ، وَيَشْتَهِي أَنْ يَشْبَعَ مِنَ الْفُتَاتِ السَّاقِطِ مِنْ مَائِدَةِ الْغَنِيِّ، بَلْ كَانَتِ الْكِلاَبُ تَأْتِي وَتَلْحَسُ قُرُوحَهُ».**

منظر عادي يكاد يتكرَّر كثيراً في عالم الإنسان، في كل زمان ومكان. وإن كان هذا مجرَّد منظر

فردي في القرن الأول المسيحي، فالآن ونحن في القرن العشرين وفي نهايته أيضاً لم تَعُدْ مسألة غني ولعازر؛ بل إن شعوباً برمَّتها هي الغنيّ وشعوباً برمَّتها هي لعازر. ولعازر كان يجد الفتات ويأكلها، ولكن شعوب أفريقيا اليوم لا تجد الفتات، وإن وجدتها لا تقوى من الضعف أن تأكلها وتقع مكانها وتموت، مئات وألوف في اليوم الواحد. هذا هو عالم الإنسان اليوم، أمَّا السبب فهو قسوة الشعوب على الشعوب، ولا نقول الإنسان على الإنسان، أمَّا الغنيّ المتنعِّم بكذا وكذا فلا يُحسب بجوار الشعوب الغنيَّة إلاَّ مثلاً رديئاً للغنيّ. وكانت الكلاب تلحس قروح لعازر أمَّا الشعوب التي تتضوَّر الآن جوعاً فلا يستطيع فيها الولد الراقد على الأرض من شدَّة الجوع والضعف أن يمنع الكلاب من تقطيعه وأكله!! كما ظهر في التلفزيون!

22:16-24 «**فَمَاتَ الْمِسْكِينُ وَحَمَلَتْهُ الْمَلاَئِكَةُ إِلَى حِضْنِ إِبْرَاهِيمَ. وَمَاتَ الْغَنِيُّ أَيْضاً وَدُفِنَ، فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ فِي الْجَحِيمِ وَهُوَ فِي الْعَذَابِ، وَرَأَى إِبْرَاهِيمَ مِنْ بَعِيدٍ وَلِعَازَرَ فِي حِضْنِهِ، فَنَادَى وَقَالَ: يَا أَبِي إِبْرَاهِيمَ ارْحَمْنِي، وَأَرْسِلْ لِعَازَرَ لِيَبُلَّ طَرَفَ إِصْبِعِهِ بِمَاءٍ وَيُبَرِّدَ لِسَانِي، لأَنِّي مُعَذَّبٌ فِي هذَا اللَّهِيبِ**».

عجيب أن العلماء ينكرون أن الملائكة تحمل أرواح القديسين والمختارين إلى فوق. إنه من صميم الإيمان المسيحي أن الملائكة تحمل أرواح المنتقلين وبعض الأشخاص رأوهم عياناً.

أمَّا ذهاب روح لعازر إلى حضن إبراهيم فهذا هو طقس مائدة الملكوت، حيث يجلس المختارون الذين لقوا عذاباتهم على الأرض وماتوا على الإيمان. إن نصيبهم فوق مع القديسين.

أمَّا الغنيّ الذي مات ودُفن وهو بكامل أُبَّهته فحُمِلت روحه إلى الهاوية وهو مكان الانتظار قبل الدينونة، ورأى لعازر في حضن إبراهيم، فترجَّى إبراهيم أن يأتيه لعازر ويبل لسانه بإصبعه. هذه كلها كنايات عن مقدار العذاب الذي تلقاه أرواح الأشرار في مكانها. ولعل أعظم عذاب يصيبها هو تيقُّنها أنها خسرت قضيتها وحُكم عليها بالحرمان من الله إلى الأبد. هذا هو اللهيب الذي لا يُطفأ.

25:16 «**فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: يَا ابْنِي اذْكُرْ أَنَّكَ اسْتَوْفَيْتَ خَيْرَاتِكَ فِي حَيَاتِكَ، وَكَذلِكَ لِعَازَرُ الْبَلاَيَا. وَالآنَ هُوَ يَتَعَزَّى وَأَنْتَ تَتَعَذَّبُ**».

لم تُسعف الغنيَّ الختانةُ ولا القرابة الجسدية، وحتى إبراهيم يقول له يا ابني وهو يتبرأ منه. لقد فضَّلت النفس المتعة في الدنيا عن تعبُّدها لله وصومها وصلاتها، فحكمت على نفسها بالحرمان الأبدي من رحمة الله. والله لا يعذّب أحداً ولكن يا ويل ويا عذاب مَنْ يَرفض الله، فإنه يحس هناك

أنه اقترف أعظم جريمة في حياته وشارك الشيطان في مصيره. الزمان هنا والأيام هنا زمان مقبول وأيام عبادة حقَّة لله وصلاة وهي التي ستقرِّر مصيرنا هناك.

هنا نقرِّر لأنفسنا المكان الذي سنذهب إليه وموقفنا من الله والقديسين.

26:16 «وَفَوْقَ هذا كُلِّهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ هُوَّةٌ عَظِيمَةٌ قَدْ أُثْبِتَتْ، حَتَّى إِنَّ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْعُبُورَ مِنْ ههُنَا إِلَيْكُمْ لاَ يَقْدِرُونَ، وَلاَ الَّذِينَ مِنْ هُنَاكَ يَجْتَازُونَ إِلَيْنَا».

الحياة في العالم الآخر مرتَّبة ترتيباً يُذهل العقل، فهذه الملايين التي سبقت وذهبت هناك وجدت أعاجيب من حيث الدرجات والإمكانيات وقدرة التعارف، وقدرة الكلام بدون كلام، وقدرة الانتقال المذهلة. فإلى أي مكان تريد الروح تجد نفسها فيه في الحال. فليس هناك مسافات ولا أزمنة ولا احتكاك ولا مشاعر بشرية، بل مشاعر راقية جداً عمَّا للإنسان العادي. والفئات تنقسم بحسب وعيها الروحي إلى درجات، وكل قسم له صفاته ومواصفاته التي تتناسب مع درجته في المعرفة والوعي الروحي. ولا يستطيع أحد أن يخرج عن حدوده أو ينتقل من درجة إلى درجة، وحتى ولو أراد يستحيل لأن الذي يرفعه في درجته هو وعيه الروحي حينما يرتقي. لذلك فالذي يصلّي هنا ويقرأ الإنجيل ويتأمَّل ويفتّش في المعاني ويغوص في تدبيرات الله ينفتح وعيه الروحي، وبكثرة الصلاة والشكر والتسبيح وبذل الحب ترتقي النفس في وعيها وتغتسل من أدرانها وتتنقَّى. فهنا الاستعداد وأخذ الروح وانفتاح الوعي: «حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب.» (لو 45:24)

ولكن ليس النعيم هناك وقفاً على الروحانيين والمتدربين على المعرفة، بل يشاركهم الذين تعذَّبوا وتألَّموا ودفعوا كثيراً بسبب إيمانهم أو عُذِّبوا أو قُتلوا. هذه الأرواح بمجرَّد أن تصل إلى المسيح فوق ينفتح وعيها في الحال وتصبح مهيَّأة لأعلى الدرجات. وطوبى لمن يهيِّئ نفسه هنا وطوبى للمتألّمين من أجل الإيمان والمحرومين من أجل اسم المسيح، والمجرَّبين بكل تجربة مؤلمة إن بالمرض أو بالاضطهاد أو بالظلم، طالما هم صابرون محتملون شاكرون ومسبِّحون اسم الرب.

27:16-31 «فَقَالَ: أَسْأَلُكَ إِذاً يَا أَبَتِ أَنْ تُرْسِلَهُ إِلَى بَيْتِ أَبِي، لأَنَّ لِي خَمْسَةَ إِخْوَةٍ، حَتَّى يَشْهَدَ لَهُمْ لِكَيْلاَ يَأْتُوا هُمْ أَيْضاً إِلَى مَوْضِعِ الْعَذَابِ هذَا. قَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: عِنْدَهُمْ مُوسَى وَالأَنْبِيَاءُ، لِيَسْمَعُوا مِنْهُم. فَقَالَ: لاَ يَا أَبِي إِبْرَاهِيمَ. بَلْ إِذَا مَضَى إِلَيْهِمْ وَاحِدٌ مِنَ الأَمْوَاتِ يَتُوبُونَ. فَقَالَ لَهُ: إِنْ كَانُوا لاَ يَسْمَعُونَ مِنْ مُوسَى وَالأَنْبِيَاءِ، وَلاَ إِنْ قَامَ وَاحِدٌ مِنَ الأَمْوَاتِ يُصَدِّقُونَ».

يتوسَّل الغنيّ لدى إبراهيم أن يُرسل لعازر إلى بيت أبيه من أجل إخوته الخمسة العائشين بعيداً عن الله مثله. ويرد عليه إبراهيم ـ ولاحظ أن المتكلّم هنا هو المسيح ـ فقال له عندهم موسى والأنبياء. وهكذا يشهد المسيح أن الناموس والأنبياء كافية لكي تكمِّل إيمان الإنسان بالله وتعدّه للتوبة والحياة.

ولكن يلح الغنيّ أن يُرسل إبراهيم واحداً من الأموات لهم ليتوبوا. فكان رد المسيح الحزين إنه ولا إن قام واحد من الأموات يصدّقون. وطبعاً المسيح يشير إلى نفسه وإلى السادة الفرّيسيين الأغنياء الواقفين، ولكن هل يقبل الفرّيسيون الدرس؟

يا رب افتح قلوب عبيدك لكي يدركوا قيمة دعوتك هذه لهم.

الأصحاح السابع عشر:

(ح) تعليم للتلاميذ
(17:1-10)

(مت 18: 6و7و15و21و22)
الآية السادسة = (مت 17:20)
(مر 9:42)

ينتقل بنا ق. لوقا من التعليم للجماعة المجتمعة إلى التعليم للفرّيسيين ثم للتلاميذ. فالجزء القادم يخص التلاميذ، على أنه يحوي تعليمات من جهة خطر وضع عراقيل أمام الآخرين (17: 1ـ3)، والاحتياج إلى أن يسامح بعضهم بعضاً (17: 3و4)، ثم النمو في الإيمان (17: 5و6)، والحاجة إلى التواضع في أداء الواجبات (17: 7ـ10)، ويجمعها ق. لوقا من مصادر مختلفة لذلك يعوزها الرباط الواحد.

1 ـ العثرات
(17:1و2)

يقول المسيح: إنه توجد عراقيل في العالم، ولكن الناس مسئولون أخلاقياً إذا بدر منهم ذلك، وكان الأفضل لهم أن يموتوا ولا يحدث منهم هذا الإعثار لأنهم سيعانون حتماً في الدينونة. وهذا الكلام يأتي موازياً لما في إنجيل ق. مرقس (9:42) وإنجيل ق. متى (18:6).

17:1و2 **«وَقَالَ لِتَلاَمِيذِهِ: لاَ يُمْكِنُ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَ الْعَثَرَاتُ، وَلكِنْ وَيْلٌ لِلَّذِي تَأْتِي بِوَاسِطَتِهِ! خَيْرٌ لَهُ لَوْ طُوِّقَ عُنُقُهُ بِحَجَرِ رَحىً وَطُرِحَ فِي الْبَحْرِ، مِنْ أَنْ يُعْثِرَ أَحَدَ هؤُلاَءِ الصِّغَارِ».**

المسيح هنا يقول إنه توجد عثرات في العالم، ولكن المسببين لها أُناس كان أفضل لهم لو وُضِعَت في أعناقهم أحجار رحى وماتوا قبل أن يتسبَّبوا في هذه العثرات، وبعدها يدخلون في الدينونة الرهيبة. وهذا القول يوازي ما جاء في إنجيل ق. مرقس (42:9)، وإنجيل ق. متى (6:18).

والتشديد الذي اهتم به المسيح في هذا الموضوع في الثلاثة أناجيل هو عن إعثار صغار المؤمنين، أو حتى الأطفال، والتي يوضّحها ق. متى بقوله: «لأن ملائكتهم في السموات كل حين ينظرون وجه أبي الذي في السموات» (مت 10:18). فالذي يعثرهم خير له لو طوّق عنقه بحجر رحى وطُرح في البحر، إلى هذا الحد يبدو الحكم شديداً قاسياً عنيفاً. والسبب واضح أولاً لأنهم ضعاف لا يستطيعون أن يدافعوا عن أنفسهم، وثانياً لأنه ليست لهم قدرة على فهم حيل الأشرار. والعثرة هي ما يسبِّب الخطية أو يسهِّل الوقوع فيها بخبث. وعنصر الشر المحرّك للعثرة هنا هو الشيطان الذي يستولي على أفكار عديمي الإيمان ليوقعوا المؤمنين في الخطية. وقول المسيح إنه خير لمَنْ تأتي بواسطته العثرات أن يُربط في عنقه حجر رحى ويُلقى في لجة البحر من أن يُعثر واحداً من هؤلاء الصغار، يوضّح أن دينونة مريعة تنتظره، وهي أصعب من هذا العقاب جداً. وفي القانون الجنائي يُحكم على هذا الإنسان بعقوبة شديدة للغاية قد تصل إلى الإعدام. وبنفس الروح الحزينة المنتقمة للمظلومين يقول المسيح نفس الشيء عن الذي سلّمه: «ويل لذلك الرجل الذي به يُسلّم ابن الإنسان. كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد.» (مر 21:14)

وعلى ضوء هذا التحليل لإعثار الأولاد الصغار قامت في العالم مؤسَّسات للدفاع عن الطفولة والأولاد من حيث النواحي الأخلاقية والتعليم والعناية والصحة، وانتبهت المحاكم لتشديد العقوبة على الذين يعبثون بمقدَّرات الطفولة والأولاد الصغار، بنفس روح المسيح هذه.

ولكن لا يزال سن الطفولة والأولاد الصغار محتاجاً لمن يصدّ عنهم أسباب الإعثار والخطية وحتى الإجرام، فوسائل الإعلام المنظورة في التليفزيون تسمِّم الأولاد بكل أنواع الموبقات، والكنيسة واقفة مكتوفة الأيدي وأمام عيوننا يسقون الطفل كل وسائل الخطية والإجرام.

2 ـ التوبة والغفران غير المحدود
(3:17و4)

3:17و4 **«اِحْتَرِزُوا لأَنْفُسِكُمْ. وَإِنْ أَخْطَأَ إِلَيْكَ أَخُوكَ فَوَبِّخْهُ، وَإِنْ تَابَ فَاغْفِرْ لَهُ. وَإِنْ أَخْطَأَ إِلَيْكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ فِي الْيَوْمِ وَرَجَعَ إِلَيْكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ فِي الْيَوم قَائِلاً: أَنَا تَائِبٌ فَاغْفِرْ لَهُ».**

يُلاحِظ القارئ تسلسل الفكر، فذكر العثرات أوجب في الحال الاحتراس حتى لا نقع، ولا يقع أحد من الصغار في حيل الأشرار وقدوتهم السيئة. فكلمة: «احترزوا لأنفسكم» تحمل منهجاً كاملاً لأعمال الوقاية من التيَّارت والقدوات ووسائل الإعلام وفي المدارس. ثم أمام الخطية والخاطئ لابد أن تقف وسائل المواجهة والتعنيف. هنا كلمة "وبِّخهُ" تحمل منهج التعليم لتعديل الفكر وإصلاحه والعناية بالخاطئ حتى يتوب ويرجع عن طريق الخطية. ثم تسهيل عمل التوبة بالرجوع وطلب الغفران، حيث لابد أن يفتح المسئولون أحضانهم للخاطئ الراجع عن خطيته مهما يكون قد استغرق فيها، لأن انزلاق الخاطئ في مزيد من الخطية عملية مريعة يقودها الشيطان عياناً فيخطف الأولاد والشباب من أحضان آبائهم ويطرحهم في أماكن الشر واللهو والرذيلة، هنا احترزوا احترزوا. كذلك ليس من السهل عودة الخاطئ، فإذا عاد، هذا يعني أن روح الله يسوقه للخير، فهنا يتحتَّم على صاحب المغفرة أن يتلقَّفه بالمحبة والفرح ليزيل عنه آثار ألم الضمير. ومهما كرَّر الخاطئ والمسيئ خطيته يتحتَّم أن يجد عندك الصبر والسماحة والقلب المفتوح لكي لا يذهب ولا يعود، وتكون أنت المسئول عن خطيته. فصاحب الخطية يمثّل الإنسان الضعيف على كل حال مهما كان جبَّاراً، وصاحب الغفران يمثّل الله، فيلزم لنا أن نقف موقف الله من التسامح والغفران والحب. ولكي يتقوَّى صاحب الغفران عليه أن ينسى أنه أُهين، أو يتذكَّر أنه أصبح شريك المسيح في الإهانة والآلام. وعلى كل الأحوال ليس من حق الإنسان أن لا يغفر، فاغفروا يُغفر لكم، وإن لم تغفروا فلن يَغفر لكم أبوكم الذي في السموات (مر 11: 25و26). وقد لقَّنها لنا المسيح تلقيناً نكرِّره كل يوم: «واغفر لنا ذنوبنا **كما** نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا» هذه الفضيلة كفيلة أن ترتقي بالإنسان نحو الله. والذي يغفر الخطية من كل قلبه يحس بالراحة والسلام والفرح في الحال، والذي يدَّعي أنه يغفر وهو لم يغفر ولا زالت النقمة في قلبه فهذا كمن يحمل غضب الله عن غيره وعن نفسه، أي يحمل سمّ الخطيتين في نفسه، فهو كمن يهلك نفسه وأعصابه، فهو لم يغفر خطية غيره أي أنه يظل

محتفظاً بالحقد في قلبه كما هو، ويحمل خطية عدم الغفران لغيره، فأي حماقة ومصيبة هذه؟

عزيزي القارئ، أينما استطعت أن تُحِسَّ بأن غَيْرَكَ واجِدٌ عليك، أسرع إليه واطلب السماح والمغفرة، وكلما أحسست بقلبك أنك واجِدٌ على أحد أسرع إليه واطلب السماح منه ولا تَبِتْ والغضب في حضنك. واذكر أولاً وأخيراً أننا نحن المسيحيين أطفال المسيح مهما زادت القامة والسن والعلم والكرامة. فكلَّما أحسَّ الإنسان بأنه ابن المسيح فإنه يتشجَّع ويعمل عمل المسيح حتى إلى غسل الأرجل.

3 ـ قوة الإيمان

(17:5و6)

17:5و6 «**فَقَالَ الرُّسُلُ لِلرَّبِّ: زِدْ إِيمَانَنَا. فَقَالَ الرَّبُّ: لَوْ كَانَ لَكُمْ إِيمَانٌ مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ، لَكُنْتُمْ تَقُولُونَ لِهذِهِ الْجُمَّيْزَةِ انْقَلِعِي وَانْغَرِسِي فِي الْبَحْرِ فَتُطِيعُكُمْ**».

قد تحرَّك قلب التلاميذ بسبب إعطاء مُثُل كبيرة وعظيمة للقلب الكبير والعظيم الذي يستطيع أن يغفر للإنسان الخاطئ خطيته، ولو كرَّرها سبع مرَّات وجاء سبع مرَّات يطلب الغفران. وسبب تحرُّك قلب الرسل، بل قلبك وقلبي أيها القارئ، هو أن المسيح هنا جعلنا نحس بقلب الله، وكشف من بُعد عن قلبه وصبره وحبه واحتماله للخطاة. فأمام هذا الإحساس بدنو النفس من الله والمسيح تأوَّه التلاميذ لمَّا أحسُّوا أن قلبهم ونفسهم من دون ذلك!! إنه توق شديد حرَّك الروح والقلب والنفس أن ترتقي عن مستواها البشري المنحط لكي تتسامى مع روح الله. لقد طلبوا رسمياً أن يزيد المسيح إيمانهم ... فتعجَّب المسيح لأن الإيمان عنصر إلهي يزداد بالفعل والتصديق. فكلما اندفع الإنسان بدافع الإيمان ليكمِّل وصية الله يزداد إيمانه في الحال ليعمل وصية أكبر. لأن الإيمان بالله والمسيح يعني حضوراً إلهياً في القلب يستمد منه الإنسان القوة. فأصل ونبع الإيمان كله في قلبك إذا آمنت أن المسيح هو ابن الله، وهو بحسب وعده الصادق معنا وفينا بروحه. إذن، فالإيمان كله داخلك فكيف تطلب المزيد؟

وهنا نجيء إلى نص الآية حيث يقول المسيح إنه إن كان في قلبك إيمان حتى ولو كان في نظرك صغيراً جداً جداً كحبة الخردل، فإنك بهذا القدر من الإيمان تقول للشجرة انقلعي وانغرسي

وانطرحي في البحر فتطيعك. وليس ذلك فقط ـ من حيث ضخامة الفعل ـ بل إذا قلت لهذا الجبل انتقل وانطرح في البحر يطيعك.

ولكن ما معنى ذلك؟

معناه أن قوة الإيمان في قلوبنا معطّلة بسبب عدم تشغيلها، ولكن كيف نشغِّل أو نحرّك الإيمان في قلبنا للعمل؟ هنا ندخل في القيمة العظمى لمفهوم المجازفة. أنت لن تخسر شيئاً، اِبتدئ بنفسك وآمن بقوة المسيح وابدأ استخدم إيمانك في حياتك أنت أولاً. آمن بأنك ابنٌ لله وقف وصلِّ بإيمان صادق أمام الله أبيك الذي في السموات واطلب منه أول طلب في حياتك وقل له: أنا أُؤمن أنك أنت أبي الحقيقي وليس لي أبٌ غيرك، كما علمنا المسيح: «لا تدعوا لكم أباً على الأرض» (مت 9:23). وهنا يلزمنا أن نكشف لماذا ألغى المسيح أي أبوّة وبالأخص الأبوّة البشرية؟ لكي يصبح أبونا الوحيد هو الله. فإذا تمَّ ذلك بالإيمان الحقيقي فأنت ستتعجَّب كيف يصبح الله فعلاً أباك الخاص. ولكن افتح عينيك وقلبك عليه وابتدئ سر أمامه وكن كاملاً في اعتمادك عليه وسوف تجد أنك دخلت دائرة من العناية والحب الأبوي لله. ارفع قلبك دائماً وقل بكل شجاعة وإيمان بأن الله أصبح أباك الوحيد، وابتدئ اسأل منه ما يخص حياتك الروحية والنمو في الفهم والإحساس بالله، وسترى أنه سينفّذ لك ما تريد بالقدر الذي يتناسب مع بنوّتك، ولكن لا تطلب أشياء مادية ولا طلبات روحية تفوق قامتك في الإيمان والعمل. فإذا أتقنت دور أبوّة الله لك فسوف تجد كيف سيسكب الله من أبوّته فيك، لأن هذا هو عمل الله الذي من أجله أرسل ابنه إلى العالم متجسِّداً لكي يُدخلنا مرّة أخرى بالفداء والخلاص والمصالحة إلى الله كأبناء. هذا المستوى من الإيمان هو أقوى وأشد من أن نقول للشجرة أو الجبل انطرحا في البحر ويطيعان. لأنه إن كان الله هو أبونا الوحيد فسوف يعمل لنا كل ما يفوق العقل من أجل إسعادنا به. فإذا اختبرنا حقيقة الإيمان بالله كأب نكون قد بلغنا قمة الإيمان، الذي يحرّك العالم كله وليس الشجرة والجبل.

كذلك نسمع المسيح يقول: «لا تدعوا لكم معلّماً على الأرض لأن معلّمكم واحد هو المسيح» لماذا؟ وماذا يعني ذلك؟ يعني أن الحياة الروحية لا ينفتح بابها إلاّ بالمسيح، فهو الباب ولن نعرف الطريق إلى الله إلاّ بالمسيح. فإذا حاولنا أن نعرف كل هذه الحقائق الإنجيلية من الكتب وأفواه المعلّمين فستزداد **معرفتنا** بالحقائق، ولكن يظل المسيح هو الحقيقة الوحيدة والعظمى المخفية، لأنه لا يُستعلن بالكتب ولا بالعظات ولكن يُستعلن بالروح والتعبُّد الصامت

والصلاة القلبية، لذلك قال: لا تدعوا لكم معلّماً غيري لأني أنا الوحيد الذي سأعرّفكم مَنْ أنا!! فمهما قرأت في كتب اللاهوت والدراسات الإنجيلية لتعرف مَنْ هو المسيح، جيد، ولكن لن تبلغ إلى المسيح نفسه لتعرف منه سر البنوَّة لله إلاَّ بالاستعلان بالروح في القلب، فالذي سيبلّغك إلى المسيح نفسه هو المسيح. لذلك قال: أنا معلّمك الوحيد. وهكذا إذا بدأنا نقرأ الإنجيل ونود أن نفهم أسرار المسيح، يكون أنَّ من له علاقة خاصة بالمسيح بإيمان أنه المعلم الوحيد، تنفتح أمامه كل أسرار الإنجيل والملكوت والله. يحس بها ويشعر أن له علاقة سرِّية بها. فالصليب مثلاً ومعه الفداء والخلاص، إن كان الإنسان قد بلغ حالة حب وإيمان بسيط جداً كطفل بشخص المسيح الوديع المتواضع، يحس بعظمة الصليب قبل أن يعرف عنه شيئاً، وحينما يأتي ذكره يشعر بقلبه ينبض ونفسه تنفتح له، قبل أن يدرس معناه وآثاره في خلاصنا. **هذا هو الإيمان بالمسيح،** اسمع قيمة هذا الإيمان البسيط غير العلمي من فم المسيح لمرثا: «إن **آمنتِ** ترين مجد الله» (يو 11:40)!! هنا الإيمان أعطى الرؤيا لمجد الله. فالإيمان بالمسيح علاقة حيَّة شخصية بالمسيح تأتي من بعدها معرفة كل ما يخص الله والمسيح في الإنجيل.

بهذا الإيمان البسيط نغلب العالم (1يو 5: 4و5)، فهل غلبة العالم أكبر وأعظم أم طرح الشجرة والجبل في البحر؟ فالمسيحية تقوم على هاتين الحقيقتين أن الله هو الأب الحقيقي، والمسيح هو المعلّم الحقيقي. بمعنى أن الله هو الوحيد الذي يقرّبنا إليه كأبناء، والمسيح هو الوحيد الذي يعرّفنا بنفسه كابن الله ويقدّمنا إلى الآب كأبناء معه. والإنسان الذي أبوه الله ومعلّمه المسيح بالحق هو الإنسان الذي غلب العالم بكل قواته: «ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم» (يو 17:16). **مَنْ له هذا الإيمان لا يطرح الجبل في البحر فقط بل يطرح العالم كله!!**

4 ـ مَثَل العبد البطَّال
(10-7:17)

10-7:17 «وَمَنْ مِنْكُم لَهُ عَبْدٌ يَحْرُثُ أَوْ يَرْعَى، يَقُولُ لَهُ إِذَا دَخَلَ مِنَ الْحَقْلِ: تَقَدَّمْ سَرِيعاً وَاتَّكِئْ. بَلْ أَلاَ يَقُولُ لَهُ: أَعْدِدْ مَا أَتَعَشَّى بِهِ، وَتَمَنْطَقْ وَاخْدِمْنِي حَتَّى آكُلَ وَأَشْرَبَ، وَبَعْدَ ذلِكَ تَأْكُلُ وَتَشْرَبُ أَنْتَ. فَهَلْ لِذلِكَ الْعَبْدِ فَضْلٌ لأَنَّهُ فَعَلَ مَا أُمِرَ بِهِ؟ لاَ أَظُنُّ. كَذلِكَ أَنْتُمْ أَيْضاً، مَتَى فَعَلْتُمْ كُلَّ مَا أُمِرْتُمْ بِهِ فَقُولُوا: إِنَّنَا عَبِيدٌ بَطَّالُونَ. لأَنَّنَا إِنَّما عَمِلْنَا مَا كَانَ يَجِبُ عَلَيْنَا».

هنا يقصد المسيح أن يكشف أن العلاقة بين الله والإنسان كانت لها صورة وحقيقة الأبوَّة للإنسان، إلاَّ أن الإنسان في المقابل لا تزيد علاقته عن علاقة عبد بالنسبة لله. أمَّا الله فينعم وأمَّا الإنسان فيعبد كعبد صادق أمين، ولا ينتظر الإنسان من الله إلاَّ القبول كعبد، في حين أن الله يصرّ دائماً أنه أب. هذه المعادلة تخفي تحتها أسراراً عظيمة وعجيبة، لأنه وإن كانت هذه حقيقة أزلية أن الإنسان عبد وخُلق ليعبد ويخضع ويطيع، ولكن الله لم يحتمل أن يكون مجرَّد سيد يُعبد، بل اشتاقت نفسه أن يكون أباً ليعبِّر عن حقيقة حبِّه وعظمة نعمته التي أبت نفسه أن تكون تعويضاً عن عبودية الإنسان، فآلت عليه نفسه أن يسكب نعمته على الإنسان كاستحقاق وليس كإنعام السيد، وبهذا أكمل عملية التجسُّد وظهور ابنه بهيئة الإنسان أو كإنسان. وهكذا حدث شيء هائل من التقارب بين الله والإنسان، كاد فيه الإنسان أن يتآخى مع الابن الوحيد «ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين» (رو 29:8). نعم تمَّ هذا كله من طرف الله وإنعامه العجيب أن يصير الإنسان بالنهاية ابناً مع الابن ووريثاً. هذا من وجهة نظر الله وقدراته التي حققها وكأنه يريد أن يُسعد نفسه بأبناء يحبهم وينعم عليهم ويعطف عليهم كأبناءٍ مع الابن وفيه: «سبق فعيننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه، حسب مسرَّة مشيئته.» (أف 5:1)

ولكن ماذا من جهة الإنسان، فنحن مهما بلغنا من إحسانات الله ونعمته التي رفعتنا إليه إلاَّ أننا أصلاً وفعلاً عبيد لأننا مخلوقون كعبيد لنعبد الله. فالله من جهة قلبه الكبير ونعمته الفائضة علينا صار أباً حقيقياً للإنسان، ولكن الإنسان مهما ارتقى وتآخى مع الابن وجلس معه عن يمين الآب، إلاَّ أنه يصرُّ أنه عبد وإلاَّ يُحرم من أن يعبد الله. فنحن عبيد بالفعل حتى ولو صرنا أبناءً في نظر الله.

لذلك أصبح أسعد عمل نقوم به هو أن نعبده كعبيد في مقابل أسعد شيء عنده أن يكون لنا أباً يعطف. هذه المعادلة اللاهوتية حتمية وفيها منتهى الكمال للإنسان مقابل كمال الله الفائق.

بهذا الوضع الفائق الجمال والكمال نفهم الآية في المثل الذي أعطاه المسيح: «متى فعلتم كل ما أُمرتم به فقولوا إننا عبيد بطّالون، لأننا إنما عملنا ما كان يجب علينا» ! وهذا حق، لأننا مهما قدَّمنا من شكر وتسبيح وسجود دائم بلهج لا يفتر النهار والليل، فهذا لا يكافئ إعطاء الله كآب محبته وأبوَّته الحانية مع إنعامه علينا. أين التكافؤ؟ إنها استحالة!

(ط) مجيء ابن الإنسان
(8:18-11:17)

1 ـ السامري الشاكر أو الأبرص العاشر
(19-11:17)

القديس لوقا وحده

11:17-14 «**وَفِي ذَهَابِهِ إِلى أُورُشَلِيمَ اجْتَازَ فِي وَسَطِ السَّامِرَةِ وَالْجَلِيلِ. وَفِيمَا هُوَ دَاخِلٌ إِلى قَرْيَةٍ اسْتَقْبَلَهُ عَشَرَةُ رِجَالٍ بُرْصٍ، فَوَقَفُوا مِنْ بَعِيدٍ وَرَفَعُوا صَوْتاً قَائِلِينَ: يَا يَسُوعُ يَا مُعَلِّمُ، ارْحَمْنَا. فَنَظَرَ وَقَالَ لَهُمُ: اذْهَبُوا وَأَرُوا أَنْفُسَكُمْ لِلْكَهَنَةِ. وَفِيمَا هُمْ مُنْطَلِقُونَ طَهَرُوا**».

نحن لازلنا صاعدين في الطريق نحو أورشليم وعلى حدود السامرة، ويبدو أننا متجهون شرقاً على حدود بيرية لاتخاذ الطريق من أريحا إلى أورشليم تلافياً لاختراق السامرة مباشرة نحو أورشليم، الأمر الذي لا يطيقه اليهود لكراهية قديمة، لذلك كانوا يسيرون على الحدود بين الجليل والسامرة وبيرية. وعلى مقربة من حدود قرية سامرية استقبلته جماعة من مرضى البرص الذين كانوا يتجمَّعون معاً ـ خارج المدن ـ ويتجمَّعون معاً في مسيرتهم حتى يصيروا ظاهرين لئلاَّ يُنجِّسوا أحداً من المارة إذا خالطوهم. وكانت هذه أوامر مشدَّدة عليهم. فرأوا المسيح مع جماعة التلاميذ سائرين فعرفوهم. وهنا ابتدأ الرجاء بالنداء عن بُعد حسب الأصول بإلحاح طالبين الرحمة. فما كان من المسيح إلاَّ أن تحنَّن عليهم وأمرهم بالذهاب إلى الكهنة ليروا أنفسهم. وهذا معناه أنه أعطاهم قوة الشفاء من على بُعد. وقد تمَّ بالفعل، إذ أصابهم الشفاء وهم سائرون. فعاد منهم واحد سامري سريعاً قاصداً المسيح يهلّل، وإذ قد شُفي جاء ليشكر المسيح، فكان نصيبه إزاء هذا الشعور الجميل أن أعطاه المسيح الخلاص أيضاً.

15:17-19 «**فَوَاحِدٌ مِنْهُمْ لَمَّا رَأَى أَنَّهُ شُفِيَ، رَجَعَ يُمَجِّدُ اللهَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ، وَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ شَاكِراً لَهُ. وَكَانَ سَامِرِيًّا. فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ: أَلَيْسَ الْعَشَرَةُ قَدْ طَهَرُوا؟ فَأَيْنَ التِّسْعَةُ؟ أَلَمْ يُوجَدْ مَنْ يَرْجِعُ لِيُعْطِيَ مَجْداً للهِ غَيْرُ هذَا الْغَرِيبِ الْجِنْسِ؟ ثُمَّ قَالَ لَهُ: قُمْ وَامْضِ إِيمَانُكَ خَلَّصَكَ**».

علماً بأن هذا المرض غير قابل للشفاء، فشفاء العشرة يُعتبر حدثاً فائقاً، لذلك كانت فرحتهم عارمة، ومن الفرحة لم ينتبه تسعة منهم للعودة لتقديم المجد لله وشكر المسيح، إلاَّ واحداً وهو السامري الجنس الذي تملّكه الفرح فعاد مهلّلاً من بُعد حتى وصل إلى المسيح وخرَّ تحت رجليه ساجداً شاكراً، مما حرَّك قلب المسيح فأعطاه بالمثل شفاء الخلاص. ولكن تأسَّف المسيح لعدم رجوع التسعة الباقين لأنه طبعاً كان يودّ أن الجميع يقبلون الخلاص. على أن البُرص كانوا يعيشون في خيام خارج المدن وغير مسموح لهم الدخول داخل المدينة (لا 14: 2ـ32). وكان محدداً لهم أن لا يقربوا أحداً إلاَّ على مسافة طويلة على أن يصرخ من على بُعدٍ: أبرص أبرص، حتى ينتبه السائرون. وواضح أن التسعة الذين لم يعودوا كانوا يهوداً، وواضح أنهم آمنوا بالمسيح لذلك شُفوا في الطريق إلى الكاهن، ولكن الشفاء والفرحة ألهَتْهُم عن تقديم واجب الشكر لله. ويذكّرنا هذا السامري طيب القلب بالسامرية التي بسبب وعيها وسرعة بديهتها عرفت المسيح وآمنت واعترفت وصارت مبشّرة لأهل مدينتها. مع العلم بأن «البُرص يطهَّرون» (لو 22:7) هي إحدى أقوى علامات العهد الجديد.

2 ـ مجيء الملكوت

(20:17و21) القديس لوقا وحده

20:17و21 «وَلَمَّا سَأَلَهُ الْفَرِّيسِيُّونَ: مَتَى يَأْتِي مَلَكُوتُ اللهِ؟ أَجَابَهُمْ وَقَالَ: لاَ يَأْتِي مَلَكُوتُ اللهِ بِمُرَاقَبَةٍ، وَلاَ يَقُولُونَ: هُوَذَا ههُنَا أَوْ: هُوَذَا هُنَاكَ، لأَنْ هَا مَلَكُوتُ اللهِ دَاخِلَكُمْ».

واضح هنا تداعي الأفكار والحوادث، فشفاء العشرةَ البرص كانت أكبر علامة على مجيء "مسيَّا العهد الجديد"؛ ولكن ليُظهر ق. لوقا عمى هؤلاء الفرّيسيين وضع الاثنين بجوار بعض، فالبرص يُطهَّرون والفرّيسيون يسألون، البرص نطق شفاؤهم بملكوت الله الذي أتى، وعيون الفرّيسيين عميت عن الرؤيا والسماع. وبالحقيقة نحن متعجّبون ماذا كان يُعمل أكثر من ذلك لهذا الشعب حتى يُدرك أن المسيح في وسطهم. فما كان من المسيح إلاَّ أن راجعهم على سؤالهم عن الأزمنة والأوقات وحساباتهم متى يأتي الملكوت، بأن قال لهم: إن ملكوت الله لا يأتي بمراقبة ولا بالحسابات. وفي الحقيقة عبارة «ملكوت الله داخلكم » Ømîn ntÕj™تعني أنه: "في وسطكم"، لأن الله داخلكم بالنسبة للجماعة تعني أنه وسطكم أو معكم، لأنه لا يجوز أن يُفهم داخل الجماعة

بمعنى داخل الفرد. لذلك فعبارة: «ملكوت الله داخلكم» تحتمل بحسب التقليد أن ملكوت الله وسطكم، ويكون المعنى واضحاً جداً مشيراً إلى المسيح، فهو كان وسطهم وسيكون فيهم أيضاً. وقد اتفق أعظم العلماء والثقات أنها تعني: "ملكوت الله في وسطكم". ولكن واضح لنا أنها تشمل المعنيين، لأن المسيح وهو الوحيد الذي يمكن أن يعبّر عن مفهوم مجيء الملكوت شمل كل الوجود معنا وفينا وفي وسطنا. كل هذا على أساس انفتاح ذهن المؤمنين ليقبلوه، حتى أن الفعل المرافق للمجيء يمكن أن يكون في الحاضر والمستقبل معاً؛ بل واحتمال أن يكون المعنى بالنسبة لمجيئه أنه يجيء فجأة جائز أيضاً بالنسبة لإمكانية الإحساس المفاجئ به، ليس بالعين ولكن بالقلب. لأن البديهية الروحية لا تقبل وضع ملكوت الله تحت مراقبة زمنية أو مكانية، هذا أمر مستحيل. ملكوت الله يتبع وجود الله، والله يوجد فوق الزمان والمكان والحدود بأي صورة، ولا يسع وجود الله في عالم الإنسان إلاّ قلب الإنسان، لأنه يستحيل أن يوجد الإنسان بمعزل عن الله وإلاّ يكون مرفوضاً ومائتاً، ولكننا نحيا به وهو يحيا فينا. وكلام المسيح في غاية الوضوح: «أنا فيهم وأنتَ فيَّ ليكونوا مكمَّلين إلى واحد» (يو 23:17). لأن ملكوت الله ليس له حدود فهو يكتنفنا ونوجد فيه ويوجد فينا دون أن نحسَّه لأنه ليس مادياً، ولا يمكن أن نتعرَّف عليه إلاّ إذا انفتح هو علينا برحمته أو انفتحنا نحن عليه بالإيمان والوعي الروحي العالي. وملكوت الله يكون فينا حينما يُسرُّ بنا، ونحن نكون فيه عندما نُسرُّ به فنحسّه: «فرح الرب هو قوتكم» (نح 10:8)، «سأراكم أيضاً فتفرح قلوبكم ولا ينزع أحد فرحكم منكم» (يو 22:16)، لأن فرحنا هو الله وهو المسيح وهو الملكوت. وحينما يبطل هذا الجسد حينئذ سنُدرك كل هذه الحقائق، ولكن طالما نحن نحيا بالجسد فالملكوت سيبقى لغزاً لأنه ليس من طبيعتنا.

3 - يوم ابن الإنسان

(37-22:17) (مت 24:26-28و37-41)

24-22:17 «وَقَالَ لِلتَّلاَمِيذِ: سَتَأْتِي أَيَّامٌ فِيهَا تَشْتَهُونَ أَنْ تَرَوْا يَوْماً وَاحِداً مِنْ أَيَّام ابْنِ الإِنْسَانِ وَلاَ تَرَوْنَ. وَيَقُولُونَ لَكُمْ: هُوَذَا ههُنَا، أَوْ: هُوَذَا هُنَاكَ. لاَ تَذْهَبُوا وَلاَ تَتْبَعُوا، لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْبَرْقَ الَّذِي يَبْرُقُ مِنْ نَاحِيَةٍ تَحْتَ السَّمَاءِ يُضِيءُ إِلَى نَاحِيَةٍ تَحْتَ السَّمَاءِ، كَذلِكَ يَكُونُ أَيْضاً ابْنُ الإِنْسَانِ فِي يَوْمِهِ».

هنا نحن في امتداد سؤال الملكوت. فالإنسان يتوق أن يعرف المستقبل، ولكن مستقبل الإنسان في

الجسد شيء ومستقبل الإنسان بالروح شيء آخر تماماً. فنحن الآن في المستقبل بالنسبة لهؤلاء الذين كانوا مع المسيح في ذلك اليوم وهم صاعدون إلى أورشليم منذ 2000 سنة، نحن الآن في المستقبل بالنسبة لهم. كانوا هم عائشين في يوم من أيام ابن الإنسان ولم يدركوه ولم يحسُّوا به، قد ذهب من فوق رؤوسهم ولم يتمتَّعوا به أو يهتموا به، هكذا نحن أيضاً حتى ولو جاء المسيح اليوم فلن ندركه ولن نهتم بمجيئه، ونقول عليه كما قال الفرِّيسيون أو حتى كما قال التلاميذ أنت: "المسيح"، ثم تركوه وهربوا وأخذوا يتفرَّجون عليه وهو على الصليب، ولا فهموا الصليب بل جزعوا منه. إذن، يوم ابن الإنسان هو يومان: يوم للعائشين للجسد ويوم للعائشين بالروح. العائشون بالروح يعيشون يوم ابن الإنسان كل يوم وعلى الدوام، وحتى ولو جاء ابن الإنسان في اليوم الأخير فسيراه العائشون بالروح بوضعه المتجلِّي: نور من نور. أمَّا الذين لا يعيشون بالروح بل في شهوات الجسد وملذَّاته، فلن يروه، وإذا رأوه سيكون هو الديَّان الذي يوقظ ضمائرهم وقلوبهم ليروا أيامهم المظلمة التي قضوها في إهانة اسمه ومجده: فجور وزنا ونجاسة وأعمال قسوة وظلم وسرقة وكل ما هو مشين.

ولذلك لم يعطهم المسيح أي وعد بأن مستقبلهم سيكون أفضل من يومهم، ولكن بالنسبة له فهو إذا جاء يملأ الكون كله بوجوده وليس مكاناً دون مكان. فالمستعدون يفرحون لأنه سيأتي ليأخذهم إليه للمكان المعد، وأمَّا غير المستعدين فسيتألَّمون آلاماً ليس فيها عزاء ولا رجاء، لأن الندم للنفس هو أشد أنواع الآلام. ويصف المسيح مجيئه كظهور البرق حينما يضيء كل دائرة الكون ويراه كل بشر معاً.

25:17 **«وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَوَّلاً أَنْ يَتَأَلَّمَ كَثِيراً وَيُرْفَضَ مِنْ هذَا الْجِيلِ».**

يسبق المسيح هنا ويعرِّف تلاميذه بالذي سيتم قريباً جداً حتى يتيقَّظ قلبهم ويفهموا رسالته. فالآلام والرفض حتمية قبل المجيء والظهور الذي يشتهونه. فالآلام قبل المجد، والرفض قبل الظهور.

26:17-30 **«وَكَمَا كَانَ فِي أَيَّامِ نُوحٍ كَذلِكَ يَكُونُ أَيْضاً فِي أَيَّامِ ابْنِ الإِنْسَانِ. كَانُوا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ، وَيُزَوِّجُونَ وَيَتَزَوَّجُونَ، إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي فِيهِ دَخَلَ نُوحٌ الْفُلْكَ، وَجَاءَ الطُّوفَانُ وَأَهْلَكَ الْجَمِيعَ. كَذلِكَ أَيْضاً كَمَا كَانَ فِي أَيَّامِ لُوطٍ، كَانُوا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ، وَيَشْتَرُونَ وَيَبِيعُونَ، وَيَغْرِسُونَ وَيَبْنُونَ. وَلكِنَّ الْيَوْمَ الَّذِي فِيهِ خَرَجَ لُوطٌ مِنْ سَدُومَ، أَمْطَرَ نَاراً وَكِبْرِيتاً مِنَ السَّمَاءِ فَأَهْلَكَ الْجَمِيعَ. هكَذَا يَكُونُ فِي الْيَوْمِ الَّذِي فِيهِ يُظْهَرُ ابْنُ الإِنْسَانِ».**

دائماً يستشهد الإنجيليون بسدوم والطوفان في معاملة الله للجيل الرافض: «ولم يُشفق على العالم

القديم بل إنما حفظ نوحاً ثامناً كارزاً للبر إذ جلب طوفاناً على عالم الفجَّار. وإذ رمَّد مدينتي سدوم وعمورة حكم عليهما بالانقلاب واضعاً عبرة للعتيدين أن يفجروا.» (2بط 2: 5و6)

هكذا يذكّر المسيح الرافضين والذين باعوا أنفسهم للخطية وحياة المجون أنه سيفاجئهم مجيء ابن الإنسان في يوم لا يعلمونه، تشرق الشمس ومعها الظلمة، وتمطر السماء ليس ماءً بل ناراً. فبقدر ما أن ابن الإنسان كله حلاوة ومشتهيات للروح العطشانة إلى الله والنعمة والملكوت، بقدر أن غضبه لا يُطاق بالنسبة للذين أهانوا محبته وداسوا دمه وازدروا بصليبه. ولكن أخطر ما في إنذاراته هو المفاجأة، دائماً يشدّد عليها حيث لا توجد فرصة ولا دقيقة واحدة للندم أو التوبة. لذلك أصبح شروق شمس جديدة بنورها ليأخذ الإنسان فرصة يوم جديد في حياته هي فرصة للتوبة، وبدء جديد لحياة جديدة فيها تمجيد لله وشكره، كفرصة عظمى قبل أن يأتي الصباح الذي لن تشرق فيه شمس. إن أخطر ما يواجه الإنسان في حياته هو أن تؤخذ نفسه وهو غير مستعد لمواجهة الله. لذلك كل ساعة في عمر الإنسان هي فرصة جديدة لفتح القلب لله وإعطاء عهداً للعودة إلى الصلاة وتقديم العبادة الصادقة لله، وليت ساعاتنا وأيامنا كلها صلاة وشكر وتسبيح لنُحسب مستحقين لرؤياه عند مجيئه، أو عند الذهاب إليه، والجاهل هو الذي يسوّف العمر باطلاً!

37-31:17 «فِي ذلِكَ الْيَوْمِ مَنْ كَانَ عَلَى السَّطْحِ وَأَمْتِعَتُهُ فِي الْبَيْتِ فَلاَ يَنْزِلْ لِيَأْخُذَهَا، وَالَّذِي فِي الْحَقْلِ كَذلِكَ لاَ يَرْجِعْ إِلَى الْوَرَاءِ. اُذْكُرُوا امْرَأَةَ لُوطٍ! مَنْ طَلَبَ أَنْ يُخَلِّص نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ أَهْلَكَهَا يُحْيِيهَا. أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ يَكُونُ اثْنَانِ عَلَى فِرَاشٍ وَاحِدٍ، فَيُؤْخَذُ الْوَاحِدُ وَيُتْرَكُ الآخَرُ. تَكُونُ اثْنَتَانِ تَطْحَنَانِ مَعاً، فَتُؤْخَذُ الْوَاحِدَةُ وَتُتْرَكُ الأُخْرَى. يَكُونُ اثْنَانِ فِي الْحَقْلِ، فَيُؤْخَذُ الْوَاحِدُ وَيُتْرَكُ الآخَرُ. فَأَجَابُوا وَقَالُوا لَهُ: أَيْنَ يَارَبُّ؟ فَقَالَ لَهُمْ: حَيْثُ تَكُونُ الْجُثَّةُ هُنَاكَ تَجْتَمِعُ النُّسُورُ».

لقد جمع ق. لوقا أهوال هذه الأيام الأخيرة في انتهاء العالم من الأناجيل الأخرى فدخل فيها وصف أهوال الحرب السبعينية وإطباق جنود الرومان حول المدينة. ودائماً في رؤى الأبوكاليبسيس لا تُذكر الفواصل الزمنية بين حادثة وأُخرى لأن الرؤيا خارج الزمان. لذلك نجد رؤى الأشياء التي ستحدث في الأيام الصعبة القريبة مشتركة مع حوادث آخر الزمان. ولو أن الأهوال واحدة والقصد من تكرارها أن يحترس الإنسان لئلاً يؤخذ وهو غير مستعد. وكثرة الأسئلة عمَّا سيحدث لا قيمة لها لأنه لن توجد فرصة للإنسان أن يعرف في وقتها شيئاً، إلاَّ أنه مدعو ليعطي جواباً عمَّا صنع. فذكر هذه الأيام الصعبة يوجهنا إلى كيف نقضي زماننا الآن في حياة مسيحية مقبولة أمام الله.

أمَّا القصد من أن الذي يريد أن يخلّص نفسه يهلكها، فهو أن الذي يجمع لنفسه المال وكل ما يؤمِّن حياته من الموت والخوف والحاجة بلا اهتمام بالحياة التي فوق فإنه يهلك نفسه. أمَّا الذي يفرِّط في نفسه وحياته من أجل الحياة فوق فهو يحفظها لحياة أبدية. وهذا يعني أن ننتهز فرصة حياتنا الآن لنقدِّم أنفسنا لله في عبادة صادقة وترفُّع عن الدنايا والأمور التي تُغضب الله مهما كلّفتنا.

أمَّا قوله: «حيث تكون الجثة هناك تجتمع النسور» [230] فيعني في أبسط معناه: ‘‘حيث الجريمة يجتمع القضاء’’.

الأصحاح الثامن عشر:

4 ـ قاضي الظلم

(8-1:18)

القديس لوقا وحده

قصة ذات توجيه قوي تحث الإنسان على اللجاجة في الصلاة، وموضعها هنا في غاية المناسبة، لأن الحديث عن مجيء ابن الإنسان وصعوبة تلك الأيام، ومباغتة الله للبشرية وهي لاهية عن خلاصها ـ أمر مرعب. ولا توجد أية وصية من المسيح يعطيها لتلاميذه ومحبِّيه قبل أن يغادرهم لغيبة طويلة جداً مثل وصية اللجاجة في الصلاة. وهنا يوجِّه المسيح بشدَّة إلى المداومة والإصرار وعدم الملل من الصلاة، بالإضافة إلى الرجاء الذي يؤازر الإنسان في حياته إلى أن يجيء.

والقضية يقدِّمها المسيح في شكلها الرسمي: قاضٍ ظالم، والمعنى هنا مرتشٍ، وامرأة أرملة فقيرة لها مال عند جارها الغني الذي يعرف كيف يغيِّر الذمم، وهي تريد مالها وهو لا يريد إعطاءها مالها. ذهبت تشتكي لدى القاضي فقفل لها الأذن اليمنى ثم اليسرى، ولكنها كانت لحوحة، والمرأة اللحوحة لا يغلبها غالب، فاستمرت تشتكي واستمر القاضي يؤجِّل القضية. وفي النهاية ضرب بالرشوة عرض الحائط وأنصفها من خصمها. والرب لا يشير في هذه القصة إلاَّ إلى لجاجة المرأة كيف غلبت خصمها وقاضي الظلم معاً. ثم يضع المقارنة البديعة بين قاضي الظلم وقاضي العدل. فإن نجحت اللجاجة لدى قاضي الظلم فكم تعمل مع قاضي العدل بل الرحمة بل الحب والحنان والرأفة؟

ولكن هذا المثل أيضاً يضرب إلى بعيد، فكأنه بعد الأمور المزعجة التي سمعناها عن

(230) النسور هنا كناية عن عساكر الرومان لأنهم كانوا يحملون علامة النسر.

مجيء ابن الإنسان وما سيصاحبه من مآسٍ لدى الذين لم يستعدوا لهذا اليوم، يكون بالتالي للذين أمضوا أيامهم ولياليهم في الصلاة وأحسنوا صنعة اللجاجة، أن صلواتهم تُجمع عنده وتُسمع في ذلك اليوم، وكأنها تزكية سماوية تجيزهم أهوال تلك الأيام ليعبروا إلى ما أُعدَّ لهم من نصيب صالح. ولكن التحذير واضح أن قاضي العدل أيضاً باله طويل وأيامه سنين. والمشكلة ليست في نظرنا مشكلة طول وقت بل نوع حياة.

وفي هذه القصة أيضاً تجد لمحة عابرة عن إمكانية مجيئه سريعاً أو ذهابنا إليه أيضاً، إذ تتضمن القصة أنه بالرغم من أن الله يتمهَّل على مختاريه إلاَّ أنه يستجيب "سريعاً". فسريعاً هنا تعني فجأة، لتقابل مفاجأة يوم ابن الإنسان.

وكم كانت هذه الكلمة أملاً ورجاءً للكنيسة الأولى التي كانت تعاني الاضطهاد المريع والتعذيب والمطاردة والحريق والتمزيق بين أسنان الأسود، ولكن أخيراً عدلت عن انتظار سرعة مجيء الرب التي كانت تُصلّي بها بكل لجاجة في كل قدَّاس عندما ينتهي، إذ يقول الشعب بالهتاف: «ماران آثا» أي: «تعال أيها الرب يسوع» ولينقضي العالم. ولكنها عَلِمَتْ يقيناً أن عريسها ستقبله السماء طويلاً طويلاً، وعليها أن تعيش يومها ليومها ولا تنظر إلى قدَّام. والتعويض ليس هنا بل في **الراحة العليا**(231).

وهذه القصة قريبة الشبه من صديق نصف الليل (11: 5-8).

1:18 «**وَقَالَ لَهُمْ أَيْضاً مَثَلاً فِي أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُصَلَّى كُلَّ حِينٍ وَلاَ يُمَلَّ**».

هنا المسيح يقصد أن نستمر في الصلاة، بمعنى أن لا نبطل الصلاة من حياتنا، لأن «كل حين» لا تعطي معنى الصلاة المحدَّدة في زمن معيَّن بل في كل أزمنة حياتنا، لا كصلاة طويلة واحدة، بل صلوات تملأ كل الأوقات. فتصير الآية: ينبغي أن يُصلَّى كل حين وليس كل اليوم. فالصلاة تملأ حيِّزها كل يوم دون أن يمل الإنسان ويقطع الصلاة.

ولقد أخذها آباؤنا بمعنى الصلاة الدائمة فأتقنوها فعلاً وصاروا جبابرة الصلاة. ولكن هنا يلزم التخصُّص أي أن يتفرَّغ الإنسان للصلاة. وفعلاً تفرَّغوا للصلاة وامتلأت حياتهم بالله وعاشوا وكأنهم في السماء وليس على الأرض، واختبروا اختبارات روحية عالية. ولكن هذا النوع من الصلاة ليس على مستوى الجميع بل للذين قد أُعطي لهم. والقصد الأساسي من هذه الوصية أن لا يشعر الإنسان بغياب المسيح ولا أن يقلق ويشتهي أن يراه آتياً على السحاب، لأن الصلاة الدائمة تجعل الإنسان يحيا حياة العشرة مع الرب ولا يشعر إطلاقاً بالحاجة إلى رؤية المسيح قادماً، بل يكتفي بالإحساس بوجوده الدائم معه.

وهكذا يبتدئ الإنسان أن يراجع نفسه في إلحاحه باستعجال مجيء المسيح، بأن يشعر أنه ليس محروماً منه بل يتمتع بوجوده على الدوام. لذلك القول بأن المسيح قد تأخَّر عن مجيئه كثيراً هو

(231) ما أحلى أحلو مع ساعة بها الحبيب يجري حديثي سرًّا معه ولا رقيب
فحبه يجعلني أحتقر الدنيا مفضِّلاً أن أرتقي للراحة العليا

إحساس ناتج من ضعف الصلاة وعدم الاستمتاع به في حياتنا بالالتصاق القلبي به، أو لهفة لرؤياه!!

لذلك فإنه بأمرين نملأ الوقت الذي يفصلنا الآن عن يوم مجيء المسيح: الرجاء الذي لا ينقطع على أساس صدق المسيح أنه آتٍ آتٍ، والصلاة للاتصال بالمسيح نفسه.

2:18 **«قائِلاً: كَانَ فِي مَدِينَةٍ قاضٍ لاَ يَخَافُ اللهَ وَلاَ يَهَابُ إِنْسَاناً».**

واضح أن هذا القاضي غير قضاة الفرِّيسيين، فهو قاضٍ مدني له صلاحيات استخدام القوة، ويمتاز بميزتين سيئتين للغاية: لا يخاف الله بمعنى أنه يمكن أن يَظْلِم ويُلفِّق ولا يقول أو يحكم بالحق، ولا يهاب إنساناً بمعنى أنه "واصل"، أي له حيثية عند رجال الدين وعند رجال الحكومة. وهكذا لا يخاف من أن يراجع عليه أحد أحكامه. ولكن لابد إزاء هذا كله أنه قادر جداً على استخلاص الحقوق للناس إنما يبدو أنه مرتشٍ، يحب الرشوة. وهكذا رتَّب المسيح هذه الكفاءة النادرة لهذا القاضي ليستخدمها المسيح لحسابه.

3:18 **«وَكَانَ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ أَرْمَلَةٌ. وَكَانَتْ تَأْتِي إِلَيْهِ قَائِلَةً: أَنْصِفْنِي مِنْ خَصْمِي».**

والشخصية الأساسية الأخرى في القصة هي امرأة أرملة c»ra رمز العوز والضعف، وليس لها أحد يقف بجوارها. ويبدو أن إنساناً جباناً استضعفها ونهب مالها فكانت تذهب للقاضي كل يوم تقدِّم شكواها لكي ينصفها من خصمها المفتري.

4:18و5 **«وَكَانَ لاَ يَشَاءُ إِلَى زَمَانٍ. وَلكِنْ بَعْدَ ذلِكَ قَالَ فِي نَفْسِهِ: وَإِنْ كُنْتُ لاَ أَخَافُ اللهَ وَلاَ أَهَابُ إِنْسَاناً، فَإِنِّي لأَجْلِ أَنَّ هذِهِ الأَرْمَلَةَ تُزْعِجُنِي، أُنْصِفُهَا، لِئَلاَّ تَأْتِيَ دَائِماً فَتَقْمَعَنِي».**

ومع أن قضية هذه المرأة لا تحتاج إلى شرح، فهي أرملة ضعيفة ولها حق ضائع، ولكن داء القضاء التأجيل، وهنا نبدأ نشك: ولماذا التأجيل والقضية جاهزة للحكم؟ طبعاً الرشوة لازمة في هذا الزمن الرذيل، ولكن لم يظهر منه هذا الاتجاه غير أنه كان يضمره. ولما دأبت على الذهاب كل يوم تطالب بحقها الضائع سببت له انزعاجاً kÒpon ، فقال أنصفها لئلاً تأتي وتقمعني (ترهقني Øpwpi£zV)، فلا من أجل الله ولا من أجل ظلمها وحقها ولكن لئلاً ترهقني. فأنْصَفَها ثمناً لراحة باله.

8-6:18 **«وَقَالَ الرَّبُّ: اسْمَعُوا مَا يَقُولُ قَاضِي الظُّلْمِ. أَفَلاَ يُنْصِفُ اللهُ مُخْتَارِيهِ، الصَّارِخِينَ إِلَيْهِ نَهَاراً وَلَيْلاً، وَهُوَ مُتَمَهِّلٌ عَلَيْهِمْ؟ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يُنْصِفُهُمْ سَرِيعاً! وَلكِنْ مَتَى جَاءَ ابْنُ**

الإِنْسَانِ، أَلَعَلَّهُ يَجِدُ الإِيْمَانَ عَلَى الأَرْضِ؟»

وهكذا بعد أن زيَّن المسيح قاضي الظلم بالظلم وعدم المبالاة والمماطلة في الحكم وعدم مخافة الله؛ بل وعدم هيبة إنسان ـ كل هذا وقد حكم بالحق للأرملة المظلومة، عاد يضعه في الموازنة مع الله ومع مختاريه الصارخين إليه بالصلاة والدموع، نهاراً وليلاً، طالبين الروح القدس أو إخراجهم من دائرة العدو الذي يلطم فيهم يميناً ويساراً. هل ينصفهم؟ نعم ينصفهم سريعاً!!

وهنا يزكّي المسيح صراخ الصلاة نهاراً وليلاً، وهو يطلبها طلباً وهو عالم تكلفتها ولكن عالم أيضاً بمفعولها في السماء. والمسيح يضعها معادلة: الصراخ طويلاً إزاء السماع سريعاً.

اسمعوا قصة دانيال وصلاته التي بلغت السماء وحرَّكت الملائكة:

+ «يا دانيال أيها الرجل المحبوب افهم الكلام الذي أُكلّمك به، وقم على مقامك لأني الآن أُرسلت إليك. ولمَّا تكلَّم معي بهذا الكلام قمت مرتعداً، فقال لي لا تخف يا دانيال لأنه من اليوم الأول الذي فيه جعلت قلبك للفهم ولإذلال نفسك قدَّام إلهك سُمع كلامك وأنا أتيت لأجل كلامك.» (دا 10: 11و12)

ولكن لئلاً نفقد سياق الكلام، فالمسيح أعطى هذه القصة وعلّق هو عليها أنه سامع الصلاة، ذلك في مضمون غيابه بعد الانطلاق إلى فوق وطول السنين التي سيتأنّي علينا ببقائه فوق حتى نحوّل ضيقنا في العالم إلى صلاة، ونعزّي أنفسنا عن غيابه بجعل الصلاة ليل نهار، بمعنى أن نملأ سنين غيابه صلاة لأنها هي التي تجعلنا مستعدين لقدومه.

كذلك يدخل مفهوم الإنصاف السريع في موقف الاضطهاد والتعذيب الذي يجوزه المؤمنون، لأن المسيح عالم أنه بذهابه ستقف الكنيسة مواقف الشهادة ويكون نصيبها الاضطهاد والتعذيب. لذلك سبق فأعطى التعليمات والوصايا أن تكون الصلاة هي آلة الدفاع، والتي سيكون صداها مسموعاً ومستجاباً في السماء.

وأخيراً يسأل المسيح باسمه كابن الإنسان هل حينما يأتي يجد الإيمان على الأرض؟ جملة حزينة تحمل اعتقاد الرب أنه سيكون ارتداد حسب المظنون: «لأنه لا يأتي إن لم يأتِ الارتداد أولاً» (2تس 2:3). لذلك جعل وسيلة الصمود الوحيدة هي الصلاة كل حين، أعطاها كقارب النجاة في طوفان الارتداد.

(ي) مجال الخلاص
(10:19-9:18)

1 - الفرِّيسي والعشَّار
(14-9:18)

القديس لوقا وحده

وصف صادق للفرِّيسية على مستوى إحساسها بذاتها وبرِّها الشخصي. فالفرِّيسي وقف يصلّي، يقابله عشَّار منسكب لا يستطيع أن يرفع وجهه بسبب إحساسه بخطاياه، يطلب الرحمة. وحينئذ يصدر المسيح حكمه أن الأخير نزل إلى بيته مبرَّراً دون الأول. والقصد من هذه القصة القصيرة أن العشَّارين والخطاة مقبولون أمام الله إن تقدَّموا من مستوى إحساسهم الحقيقي بالخطية وعدم الاستحقاق. أمَّا الفرِّيسية فهي مرفوضة بسبب استعلائها وعدم إحساسها بالخطية. وهي صورة مقدَّمة للكنيسة لتستمد منها الأساس في كيفية القيام بالصلاة أمام الله **من واقع التواضع**، وقد سبق وقال: إن الكبرياء رجس عند الله (15:16). وقد تغلغل هذا المثل في تقليد الكنيسة وحياة الآباء الأُول وصاغوا عليه الصلوات لتعليم المبتدئين كيف يقيموا الصلاة الدائمة بنفس صلاة العشَّار، في حين أن هذه الصلاة خاصة بالوضع اليهودي الذي كان يرزح تحت نير الناموس وبالتالي ثقل الخطية. أمَّا في الوضع المسيحي فالأمر يختلف تماماً، لأن المسيح رفع الخطية من فوق ظهورنا بموته فقول «أنا الخاطئ» فيها تعدَّى على الصليب وإنكار لموت المسيح من أجل خطايانا وإغفال صارخ لحياة القيامة الجديدة التي نلناها بقيامة المسيح بجسدنا من بين الأموات.

فقانون الصلاة في المسيحية يبدأ بـ"أبانا الذي"، و"نشكر صانع الخيرات". التي هي امتداد لـ"أبانا الذي" ثم تقديم التسبيح لله الذي يدور حول الخلاص الذي تمَّ بروح الفرح والسرور والابتهاج وطلب دوام النعمة وانتظار مجيء الرب.

12-9:18 **«وَقَالَ لِقَوْمٍ وَاثِقِينَ بِأَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ أَبْرَارٌ، وَيَحْتَقِرُونَ الآخَرِينَ هذَا الْمَثَلَ: إِنْسَانَانِ صَعِدَا إِلَى الْهَيْكَلِ لِيُصَلِّيَا، وَاحِدٌ فَرِّيسِيٌّ وَالآخَرُ عَشَّارٌ. أَمَّا الْفَرِّيسِيُّ فَوَقَفَ يُصَلِّي فِي نَفْسِهِ هكَذَا: اَللّهُمَّ أَنَا أَشْكُرُكَ أَنِّي لَسْتُ مِثْلَ بَاقِي النَّاسِ الْخَاطِفِينَ الظَّالِمِينَ الزُّنَاةِ، وَلاَ مِثْلَ**

هذا الْعَشَّار. أَصُومُ مَرَّتَيْنِ فِي الأُسْبُوعِ، وَأُعَشِّرُ كُلَّ مَا أَقْتَنِيهِ».

واضح أن الرب كان يخاطب فريسيين، ورسم صورة الفرّيسي وهو يصلّي على أساس أن الفرّيسيين طبقة ميّزت نفسها عن الشعب(232) على أصول عبادة كانوا قد وضعوها على أنفسهم من حيث حفظ التراث والتوراة والأقوال والتعاليم التي للربيين الكبار. وكانوا يدقّقون في تنفيذ وصايا الناموس والوصايا التي وضعوها لأنفسهم. لذلك اعتبروا أنفسهم أنهم طبقة مميَّزة عن الشعب، وازداد هذا الإحساس عندهم حتى ظنوا أنهم كذلك عند الله.

وابتدأ المسيح يصف واحداً منهم وقف يصلّي مقابل عشّار. ووضح من صلاة الفرّيسي تعاليه عن كل طبقات الناس، واعتبر صومه مرّتين في الأسبوع عبادة مزادة تكريماً لله. فكان في الحقيقة مثلاً لمَنْ يزكّي نفسه أمام الله، وكمَنْ يفرض برّه على الله لكي يختم له عليه كشهادة تفوُّقٍ عليا.

13:18و14 **«وَأَمَّا الْعَشَّارُ فَوَقَفَ مِنْ بَعِيدٍ، لاَ يَشَاءُ أَنْ يَرْفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ، بَلْ قَرَعَ عَلَى صَدْرِهِ قَائِلاً: اللّهُمَّ ارْحَمْنِي أَنَا الْخَاطِئَ. أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ هذَا نَزَلَ إِلَى بَيْتِهِ مُبَرَّراً دُونَ ذَاكَ، لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ يَتَّضِعُ، وَمَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ يَرْتَفِعُ».**

هنا ظهر الفارق شديداً بين إنسان يرى نفسه باراً وإنسان يرى نفسه خاطئاً، وبين إنسان يتعالى بما عمله من وصايا وتدقيق في الناموس والسلوك، وإنسان اعتبر نفسه غير مستحق أن يقف أمام الله أو يرفع عينيه إلى السماء وربما ولا يديه أيضاً؛ بل أخذ يقرع صدره في حزن وندم عمَّا فرط منه. فكلما تذكّر خطيته زاد حزناً وزاد تذلُّلاً ولم يبق له إلاَّ قوله: «اللهم ارحمني أنا الخاطئ» ويعلّق المسيح على ذلك ـ وهو الذي قَبِلَ صلاة ذاك ـ إنه نزل إلى بيته مغفور الخطايا، مبرَّراً من فم الله. أمَّا الفرّيسي فنزل كما طلع بل وحمَّل نفسه حمل خطاياه فلم يتزحزح من على ظهره، بمعنى أنه لم تُغفر خطيته أو تُسمع صلاته. ثم وضع المسيح قانون التزكية عند الله أنَّ مَنْ رفع نفسه يتضع ومَنْ وضع نفسه يرتفع. أمَّا لماذا مَنْ وضع نفسه يرتفع؟ فإنه على شريطة أن يكون هذا بإحساس الصدق والإيمان بذلك، فلأن الذي يتضع يتضع بسبب الأعمال الوضيعة التي صدرت منه قولاً وعملاً وسلوكاً، فهو اعتراف دائم صامت. ومَنْ يضع نفسه هكذا بحق يكون كمن اعترف بكل خطاياه التي أنزلته إلى الحضيض. وهنا يتقبَّل من الله العفو ويجد عنده الرضى فيرفعه الله بيده ليجعله أهلاً أن يقف أمامه.

أمَّا الذي يرفع نفسه فهو يفتري على حقيقته ويكذب على الله الذي يعرف مقدار وضاعته،

(232) كلمة ”فريسي“ بالعبرية تعني الذي فرز نفسه.

لذلك يخذله الله. أمَّا قرع الصدر فهو إحساس قلبي، لأن في الصدر يقع القلب وإحساس الضمير و"الأنا"، وقرع الصدر هو كمَنْ يُشير إلى نفسه أمام الله ويقول أنا أنا هو الخاطئ.

هنا في الوضع اليهودي في العهد القديم أما في المسيح فالإنسان مهما كان خاطئاً واعترف بخطاياه بنية عدم العودة إليها، فإنه يلزم أن يقف شاكراً فرحاً لأن الرب رفع خطايانا على الصليب وبررنا أمام الله أبيه ووهبنا البنوَّة لله في بنوَّته الفائقة فحقَّ علينا تقديم الشكر بفرح: «افرحوا في الرب كل حين وأقول أيضاً افرحوا.» (في 4:4)

2 ـ دَعُوا الأولاد يأتون إليَّ

(17-15:18)

(مت 19:13-15)
(مر 10: 13-16)

يُلاحَظ أن آخر ما أخذه القديس لوقا من إنجيل القديس مرقس كان عند الآية (لو 50:9) التي يناظرها الآية (مر 40:9)، ولكن يعود هنا مرة أخرى ويأخذ ما جاء في إنجيل ق. مرقس (مر10: 13-16).

وواضح طبعاً أن تداعي الفكر ينقل بسهولة من التواضع في قصة العشَّار إلى الطفولة في دعوة الأولاد للإقبال إليه. والقصة هنا صغيرة وبسيطة. فالتلاميذ منعوا الأولاد الذين أقبلوا مع أهاليهم من بعيد ليقدِّموهم للمسيح للسلام والبركة، وهذه من عادة الكبار في منع الصغار من التدخل في أمور الكبار، غير عارفين أن المسيح هنا يمجِّد التواضع والروح الطفولية الوديعة. فردَّ المسيح على التلاميذ ليكشف لهم حقيقة إلهية أن ملكوت الله هو للأطفال ومن كان على مستواهم. ولكن ق. لوقا رفع عن هذه القصة ملابساتها الحبيَّة اللطيفة من جهة المسيح إذ احتضنهم وباركهم. وذلك لكي يأخذ من القصة وضعها التواضعي فقط.

15:18و16 «**فَقَدَّمُوا إِلَيْهِ الأَطْفَالَ أَيْضاً لِيَلْمِسَهُمْ، فَلَمَّا رَآهُمُ التَّلاَمِيذُ انْتَهَرُوهُمْ. أَمَّا يَسُوعُ فَدَعَاهُمْ وَقَالَ: دَعُوا الأَوْلاَدَ يَأْتُونَ إِلَيَّ وَلاَ تَمْنَعُوهُمْ، لأَنَّ لِمِثْلِ هؤُلاَءِ مَلَكُوتَ اللهِ**».

كانت العادة ولا تزال هي تقديم الأولاد لرجال الدين لكي يباركوهم، خاصة أن هذا الأمر كان

قد دخل رسمياً في طقس صلاة يوم الكفَّارة(233)، وذلك عن يواقيم إرميا العالِم اليهودي المتنصِّر. والمسيح يُظهر بهذا اهتمامه الخاص بالأولاد، وواضح أن الكلام كان عن الاتضاع وكيف أن المتضع يرتفع. فانتهزها ق. لوقا ليقدِّم هذا المثل كنموذج للكبار. وقد صارت آية المسيح هنا منهجاً كنسياً، فأصبح للصغار اهتمام كنسي بالغ القيمة من جهة تعليمهم والاعتناء بتربيتهم والاشتغال بما يفيدهم اجتماعياً وروحياً وربما صحياً أيضاً.

والمسيح أيضاً اعتبر وجود الأطفال أمامه فرصة ليعلن أن قامة الطفولة مقبولة لدى الله، وأن الأطفال في بساطتهم ووداعتهم وبراءتهم أهلٌ لدخول ملكوت الله. كذلك أعطى للكبار هنا درساً لكي يقبلوا هذه القامة الطفولية، لتكون مثلاً لأخلاقهم وسلوكهم وبالأكثر استعدادهم للسمع والطاعة والتعليم.

كما أن الكنيسة اعتبرت تصريح المسيح هنا بمثابة وثيقة سماوية للقيام بتعميد الأطفال كطقس في غاية الأهمية، لأنها حسبت أن أي تعويق في عماد الأطفال هو إهمال في أحقيتهم لدخول الملكوت، فصار العماد بذلك هو الطقس المقابل للختان عند اليهود. فالطفل الآن يُعمَّد من سن ثمانية أيام فما أكبر، بل واعتبرت الكنيسة أن تعميده هو بمثابة ولادته جديداً للسماء، فبدأت تعطي اسماً جديداً للمعمَّدين باعتبار ولادتهم الثانية هذه من الماء والروح، وصار الطفل يُدهن بالميرون المقدَّس إمعاناً في ختمه بخاتم الروح القدس. وكأنه استلم الكهنوت والملوكية معاً:

+ «وأمَّا أنتم فجنسٌ مختارٌ، **وكهنوتٌ ملوكيٌّ**، أُمَّةٌ مقدَّسةٌ، شعبُ اقتناءٍ، لكي تُخبروا بفضائل الذي دعاكم مِنَ الظلمةِ إلى نورهِ العجيب.» (1بط 2:9)

والكنيسة في ردِّها على المعارضين للتعميد في الصغر أوضحت أن الأولاد ليس أمامهم فرصة ليقدِّموا إيماناً وأعمالاً وحياة تؤهِّلهم لقبول الروح القدس، لذلك أصبح تعميدهم تخليص ذمة، وبعد ذلك يكون الوالدان هما المسئولان عن تعليم الطفل الإيمان وتهذيبه التهذيب المسيحي الذي يؤهِّله للملكوت.

17:18 **«الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ لاَ يَقْبَلُ مَلَكُوتَ اللهِ مِثْلَ وَلَدٍ فَلَنْ يَدْخُلَهُ».**

هذا في الحقيقة يُعتبر أمراً رسمياً صدر من المسيح بوضع جديد للبشرية بالنسبة للدخول إلى ملكوت الله. ولقد انقسم العلماء، فبعضهم يجدِّد المعنى القائل بأن الدخول هو مستقبلاً عند اكتمال الأيام وإعلان النهاية، والبعض الآخر يحسبه في الحاضر الزمني كدخول يتم الآن في نصيب الملكوت.

(233) Soph. 18.5, J. Jeremias, *Infant Baptism in the First Four Centuries,* p. 49.

وقد تزعَّم الفكر الأول العالِمان كوميل Kümmel وبرسي Percy. أمَّا القول بالحاضر الزمني فتزعَّمه تايلور V. Taylor[234]. أمَّا في رأينا فاستحالة أن يكون الدخول الآن، ولكن الإنسان يُعطى الآن سبق تذوُّق وسبق معرفة، أمَّا الدخول فيكون بعد انتهاء الدينونة العامة.

أمَّا قبول الملكوت مثل ولد فيحقّقه لنا المسيح بكل تأكيد حينما يُتمِّم لنا مغفرة خطايانا ويمنحنا برَّه الشخصي بالشركة معه في قيامته. بمعنى أننا نصير خليقة جديدة مقدَّسة في المسيح التي هي الميلاد الثاني مضافاً إليه شركة حيَّة مباركة مع الآب والمسيح، حيث نكون كأطفال مولودين جدد للمسيح والله راضعين اللبن العقلي عديم الغش (1بط 2:2)، بمعنى أن نكون قد صرنا عقلياً قادرين أن نستوعب كل أسرار الملكوت ومزاياه. وهكذا تصبح هذه الآية من أهم مكونات الإيمان المسيحي القادرة أن تفتح أمامنا آفاقاً جديدة بالنسبة للملكوت ومخصَّصاته، حتى يصح أن يكون عنوانها: "ماهية القامة البشرية المهيأة للملكوت".

3 - الرئيس الغنيّ
(27-18:18)

(مت 19:16-26)
(مر 10: 17-27)

أصبح الآن عندنا مجموعة تعاليم للمسيح عن المال والغِنَى سنجمعها معاً مع هذه القصة أيضاً، حتى لا نخرج بفكر منفرد يغلق الاتساع أمامنا للتعليم عن المال. في هذه القصة يرفض المسيح كلمة تكريم أراد بها هذا الإنسان الغنيّ أن يجذب المسيح إليه حينما دعاه بالصالح، فوجَّهه المسيح ليعلم أنه ليس صالح إلاَّ الله (لا نفياً للصلاح عن نفسه ولكن لتعليم الرجل متى وأين يُذكر الصلاح). ثم ردًّا على السؤال كيف يرث الحياة الأبدية ـ وطبعاً سمع عنها من كلام المسيح ـ وجَّه المسيح نظره للناموس والوصايا. فلمَّا ادّعى أنه يحفظ الناموس من صغره، ارتفع به إلى درجة اللياقة للملكوت الذي يشتهيه بأن يبيع ما له ويعطي للفقراء ثم يتبع المسيح. ولكن الرجل الغنيّ ذهب حزيناً لأن له أموالاً كثيرة، فكان حديث المسيح مع تلاميذه كيف أن الأموال عائق كبير للدخول إلى ملكوت الله. ولكن المسيح تحقَّظ على هذه النتيجة لمَّا أعلن التلاميذ يأسهم إن كان هكذا من الصعوبة بل من المستحيل دخول الأغنياء ملكوت الله، ذلك بأن قال لهم: «غير المستطاع عند الناس مستطاع

(234) Cited by Marshall, *op. cit.*, p. 683.

عند الله» بمعنى أنه إذا استحال على غنيّ دخول ملكوت الله فالله لا يستحيل عليه شيء، إذ يمكن أن يُخلّص الغنيّ بنعمته الخاصة.

18:18و19 «وَسَأَلَهُ رَئِيسٌ قَائِلاً: أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، مَاذَا أَعْمَلُ لأَرِثَ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ؟ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحاً؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحاً إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ».

الـ «رئيس » ¥rcwn يعني: أحد قادة السنهدرين، والرجل هنا يسلك بمقتضى الذوق والإتيكيت، فهو يدعو المسيح معلّماً، وفي إنجيل ق. مرقس يسجد أمامه. وفي الحقيقة كلمة "الصالح ¢gaqÒj" لا تُقال للربّي مهما كان، فهي هنا امتياز فوق كلمة معلّم. والمعروف لدى اليهود جميعاً أن كلمة صالح في المنادى: ¢gaqÒj لا يُخاطب بها إلاَّ الله، وهذا هو السر في مراجعة المسيح له، مع أنه ليس غريباً أن يُنعت إنسانٌ بهذه الصفة بوجه خاص. لذلك نجد المسيح يسأله: لماذا يدعوه "أغاثون" ولا يُدعى بهذا إلاَّ الله؟ وبقول المسيح هذا ينفي عن نفسه الإطراء الرخيص، ولكن يردُّه لكي يَستَخْدِم هذا اللقب في موضعه الصحيح، بمعنى أنه يمكن أن يقبله المسيح منه بسرور لو كان يؤمن حقًّا بما يقول!

«ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية»

مثل هذا السؤال وجدناه سابقاً في قصة الناموسي (25:10).

20:18-22 «أَنْتَ تَعْرِفُ الْوَصَايَا: لاَ تَزْنِ لاَ تَقْتُلْ. لاَ تَسْرِقْ. لاَ تَشْهَدْ بِالزُّورِ. أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ. فَقَالَ: هذِهِ كُلُّهَا حَفِظْتُهَا مُنْذُ حَدَاثَتِي. فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ ذلِكَ قَالَ لَهُ: يُعْوِزُكَ أَيْضاً شَيْءٌ. بِعْ كُلَّ مَا لَكَ وَوَزِّعْ عَلَى الْفُقَرَاءِ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، وَتَعَالَ اتْبَعْنِي».

قول الرب: «أنت تعرف الوصايا» لم يقصد به مجرَّد المعرفة بل طاعتها، وهي ضمن اللوح الثاني للوصايا العشر، والمسيح تحاشى الجزء الأول من الوصايا العشر لأنه أراد أن يبلغ بالسائل إلى تكميل ما يخص القريب والآخر. فهو لم يُثِرْ محبة الله لأنها فوق مستوى الإجابة عنها، ولكن عين المسيح من السلوك الذي يمكن على قياسه إدراك قامة الرجل، وهذه الوصايا يعتني بها المجمع ويدرِّسها. وإذ ادَّعى الرجل أن هذه كلها حفظها منذ حداثته فقفل على نفسه الباب، أعطى للمسيح أن ينتقل به النقلة العظمى من الناموس إلى العهد الجديد. ولو أن ق. مرقس اعتنى بأن يصف مشاعر المسيح نحوه، ولكن ق. لوقا تحفَّظ لأن الموضوع أصبح عاماً. والمسيح لم يمتدحه على حفظه للوصايا ولا راجعه عليها ولكن طلب منه العمل. فالحاجة الآن بالنسبة له أن تتبرهن كل محفوظاته، فبادره المسيح أنه بقي عليه أن يبيع كل ما له ويأتي ليتبع المسيح! أو بصريح العبارة يصير تلميذاً لعهد جديد.

23:18 «**فَلَمَّا سَمِعَ ذلِكَ حَزِنَ، لأَنَّهُ كَانَ غَنِيًّا جِدًّا**».

واضح أن هذا الرئيس الغنيّ كان متحصّناً في أمواله ومواريثه وأعماله ضد الغرض الذي جاء من أجله إلى المسيح. لذلك كشفه المسيح وقال له أن يخرج خارج حصنه المنيع هذا، ويأتي إليه ويتبعه في درب الصليب. وطبعاً وبلا شك يحزن على هذه الدعوة التي يستحيل عليه أن يؤدّيها كرامة للملكوت الذي يطلبه. وهنا ينبري المسيح ويكشف ظروف هذه المأساة علناً وبوضوح: أن التحصُّن في المال والقنية يجعل النفس ليست ملك الإرادة، إذ تكون قد بنت لنفسها ملكوتاً كاذباً داخل مدخراتها الفاخرة والعديدة. فمن ذا يستطيع أن يُخرجها من ملكوتها الخاص الذي هو عندها أثمن من الحياة؟!

فالذي يقتني المال الكثير والقنية وخاصة بكثرة، على مستوى القيّم والنادر منها، تصبح حياته رهن حفظها والاطمئنان عليها، ويكون من المستحيل أن يستغني عنها لأنها أصبحت حياته!! بل أمانه الوحيد. فما قيمة أي أمان آخر؟ علماً بأن المسيح واتّباعه يُفقد الإنسان كل أمانه الزمني ويعرِّضه في الحال إلى الضيق والاضطهاد والموت. فالمال وسيلة أمن والمسيح وسيلة موت. فمن ذا الذي يترك الأمن ويتبع الموت؟

24:18 «**فَلَمَّا رَآهُ يَسُوعُ قَدْ حَزِنَ، قَالَ: مَا أَعْسَرَ دُخُولَ ذَوِي الأَمْوَالِ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ!**»

المسيح هنا ليس مغالياً بل يقول الصدق والحق كما يراه بلا تحيُّز. لقد قلنا إن مَنْ يكنز المال يكنزه عن سيكولوجية ثابتة وقوية وهي تأمين نفسه ضد الأيام والعوز، بالإضافة إلى التمتع بالدنيا والكرامة. والملكوت في صورته العارية من الرياء والتزويق هو "موت" "لحياة"، إن متنا مع المسيح حاملين صليبه نقوم معه حاملين مجده والملكوت! والموت ليس موت الجسد ولو أنه وارد؛ بل الموت عن العالم ومشتهياته وتأميناته الكاذبة، وبالصريح الموت عن المدّخرات التي تؤمّن للإنسان حياته عوض إيمانه.

ولكن هذا لا يمنع إنساناً من أن يحتفظ بمدّخرات أو مال ليصرف منه على نفسه وأولاده، هذا شيء، وشيء آخر أن يبدأ يكنز لنفسه الكثير الزائد عن حاجة نفسه وأولاده بصفة تأمين العمر ليتكل عليه.

25:18 «**لأَنَّ دُخُولَ جَمَلٍ مِنْ ثَقْبِ إِبْرَةٍ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ!**»

المسيح يضع هنا "المستحيل" أمام الغِنَى والملكوت معاً. بمعنى أن الملكوت يشترط الموت عن

العالم صدقاً وعملاً وضميرياً: «(هؤلاء) ليسوا من العالم» (يو 14:17)، والغِنَى بحد ذاته يمثِّل العالم، لأنه بدون العالم لا قيمة له، فهو مكنوز لحساب طلبات العالم. والإنسان ليس مجبراً أن يبيع كل أمواله إلاَّ إذا أراد حقًّا أن يكسب الملكوت، فليس العيب عيب الملكوت. والموضوع منطقي للمقارنة، فالملكوت يمثِّل غِنَى الله والروح ويستحيل أن يذوق إنسان غِنَى الله وهو غنيّ بالعالم، لأن مسرَّة هذا غير مسرَّة ذلك نهائياً. لدرجة أنه حينما يبيع الإنسان بالفعل كل أمواله يحس مباشرة بغِنَى الله ويدخله فرح الملكوت. فهو غِنىً أمام غِنىً وعليك أن تختار، فإذا اخترت غِنَى الله فأنت لم تعد معدماً أبداً، فمال العالم كله يكون تحت يديك لو احتجته لحساب الملكوت. وليس مَنْ باع كل ما له من أجل الملكوت جاع أو تعرَّى، وحتى ولو جاع أو تعرَّى فهو يُحسب أغنى من أغنى إنسان في العالم! فالمسيح لم يحكم بالفقر بل حكم لحساب غِنىً يبقى ويدوم.

26:18و27 «**فَقَالَ الَّذِينَ سَمِعُوا: فَمَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْلُصَ؟ فَقَالَ: غَيْرُ الْمُسْتَطاعِ عِنْدَ النَّاسِ مُسْتَطاعٌ عِنْدَ اللهِ**».

المسيح هنا يتدخَّل بنفسه ليؤمِّن العمومية التي قال بها أنه ما أعسر دخول ذوي الأموال إلى ملكوت الله. إذ عاد أمام السؤال: «مَنْ يستطيع أن يخلص؟» وأوضح أن هذا السؤال خارج عن الموضوع الأول، فالخلاص بالله وحده للفقير كالغنيّ، كل مَنْ آمن بالمسيح من كل قلبه وأحبَّه خلص. فهنا أدخل المسيح عنصر الخلاص فوق عنصر الغِنَى ليلغيه. أي أن المشكلة الآن واضحة إذ يلزم أن نفرِّق بين غنيّ يطلب أن يدخل ملكوت الله وبين غنيّ يطلب الخلاص. فالخلاص لا يشترط أن يبيع الإنسان كل أمواله لكي يخلص، لأن شروط الخلاص روحية خالصة وتعتمد على الإيمان الصادق بقدرة الله ومحبة المسيح. وقد يوجد غنيّ له محبة المسيح والإيمان به وانفتاح الروح والقلب للإنجيل أكثر من إنسان متديِّن يأكل كفافه. ولكن حينما ندخل في موضوع ملكوت الله فالغنيّ الذي شعر بقيمة الخلاص ونعمة المسيح سيوقف كل ما له وكل جهاده من أجل الكنيسة وأعوازها الروحية والفقراء والمساكين. ويوجد أغنياء لهم قلوب مفتوحة على النعمة، لهم أعمال جليلة تشهد لهم أمام رب الملكوت.

فالملكوت مستحيل على الأغنياء الذين لم يعرفوا المسيح ولم يحبُّوه ويؤمنوا به ويخدموه ويبذلوا من مالهم ووقتهم وراحتهم من أجل مشاكل الفقراء والشعب الذي ليس له مَنْ يسأل عن مساكينه.

4 - مجازاة الرسل

(18: 28-30) (مت 19: 27-30)
(مر 10: 28-31)

18: 28-30 «فَقَالَ بُطْرُسُ: هَا نَحْنُ قَدْ تَرَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعْنَاكَ. فَقَالَ لَهُمْ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَيْسَ أَحَدٌ تَرَكَ بَيْتاً أَوْ وَالِدَيْنِ أَوْ إِخْوَةً أَوْ امْرَأَةً أَوْ أَوْلاَداً مِنْ أَجْلِ مَلَكُوتِ اللهِ، إِلاَّ وَيَأْخُذُ فِي هذَا الزَّمَانِ أَضْعَافاً كَثِيرَةً، وَفِي الدَّهْرِ الآتِي الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ».

يأخذ القديس بطرس هنا المبادرة ويسأله بدوره سؤالاً أضمره في قلبه، وهو: ماذا بالنسبة لنا في أمر دخول الملكوت؟ ولكن اكتفى بالسبب: "فنحن قد تركنا كل شيء وتبعناك"!

هنا يرد المسيح على بطرس والسامعين أيضاً، إذ علم ما بصدورهم فجعلها كعهد وختمها بآمين: أن كل مَنْ يترك بيتاً ـ وهنا يقصد الأهل وليس الحجارة ـ أو والدين أو إخوة أو امرأة ـ هنا إمَّا نذر البتولية أو باتفاق الرجل مع امرأته على الحياة من أجل الملكوت ـ أو أولاداً من أجل الملكوت، وفي إنجيل ق. مرقس جاءت: «من أجلي ومن أجل الإنجيل» أي حبًّا في المسيح أو لخدمة الكرازة أو العبادة، فإنه «يأخذ في هذا الزمان أضعافاً كثيرة وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية»

ومن أجل هذه الآية المباركة الكريمة خرجت جيوش المبشِّرين من أُوروبا وأمريكا، ليجوبوا العالم كله، ولم يتركوا قارة أو إقليماً أو مدينة حتى مجاهل أواسط إفريقيا الذين كانوا يأكلون لحوم البشر. وكم من المبشّرين الأُول شووهم بالنار وأكلوا لحومهم، وكان هذا رخيصاً عندهم من أجل محبتهم في الملك المسيح! أو الآباء الذين خرجوا على وجوههم هائمين في الصحاري والبراري يعيشون في المغاير وشقوق الأرض يعبدون الاسم القدوس ليل نهار.

نعم يا قارئي العزيز، هذه الآية كانت ذخيرة وقوة دافعة لم تتوقف قط حتى اليوم لتُخرج أجيالاً من الكارزين والمبشرين والعابدين يملأون الأرض. وكان زادهم الوحيد حب المسيح.

والمقطع الأول من الآية (30) Öj oÙc^ m¾ ¢pol£bV "إلاَّ ويأخذ" جاء بشبه قَسَم مشدَّد كوعد الله الذي لا يخيِّب رجاء أحد، وقد أخذ بالفعل كل مَنْ خرج على اسمه أضعافاً مضاعفة من حب الناس أكثر من حب الأهل، وكان له في الدنيا آلاف وملايين الأولاد عوض بنين الجسد، وظلّت سيرتهم وكلامهم المُقال أو المكتوب نوراً كشعلة تضيء من يد ليد حتى تلقّفها جيلنا السعيد

وجمعنا منه الكثير وشرحنا منه الكثير ليكون غِنَى للكبير والصغير، حتى تعمل فيهم الكلمة التي عملت فينا، ويصيروا كما كان آباؤهم قديسين وقديسات.

«وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية»:

نعم صيادو السمك الجليليون البسطاء صاروا الاثني عشر سبطاً سماوياً ولهم كراسي يجلسون ويدينون. وقد تسجَّلت لهم في الأناجيل السعادة هنا باحتضان المسيح في كل خطوة وكل مقولة، والروح القدس يتكلَّم فيهم كما يريدون. لقد أذهلوا السنهدرين بعلمهم وروحهم أُولئك الجليليون الأميُّون، وذهبوا ليجدوا هناك المجد المدّخر لهم. وعوض الآلام والدموع وذبح السيف، أكاليل من نور وقلائد جدارة واستحقاق، ويحيون مع المسيح حياة بلا نهاية في سعادة أبدية.

5 ـ الآلام في الأفق

(34-31:18)

(مت 20:17-19)
(مر 10:32-34)

يذكر المسيح هنا آلامه للمرَّة الثالثة والأخيرة وقد أخذها ق. لوقا من إنجيل ق. مرقس. فإذا وازنَّا بين ما جاء هنا عن ق. لوقا وما سجَّله كل من ق. مرقس وق. متى، نجد أن ق. لوقا اختزل الكثير من ملابسات الإعلان عن الآلام القادمة، ولكن سنكتفي دائماً بما يقوله ق. لوقا ونترك الزيادات الأخرى في الأناجيل الأخرى لشرحها في أوانها. ويمكن الرجوع إلى شرح إنجيل ق. مرقس لنجد المزيد من حديث المسيح هنا. أمَّا الشهادتان الأخريان عن آلامه (22:9؛ 43:9-45) فتفصلهما مسافة طويلة عن هذه المرَّة الثالثة لأنه أدخل بينهما الحديث المطوّل في الجزء الأوسط من الإنجيل. وقد عبَّر عن الآلام مرَّة رابعة قصيرة في (25:17). ولكن لا يمكن أن نغفل الإشارات عن الموت بصورة غير مباشرة في (35:5): «ولكن ستأتي أيام حين يُرفع العريس عنهم ...» وأخرى: «ولي صبغة أصطبغها وكيف أنحصر حتى تُكمَلَ» (50:12)، وأخرى: «قولوا لهذا الثعلب ها أنا أُخرج شياطين وأشفي اليوم وغداً وفي اليوم الثالث أُكمَّلُ» (32:13)، ويذكر هنا إخفاق التلاميذ في فهم كلام المسيح (34:18) وقد سبق أيضاً وأظهروا عدم فهمهم (45:9).

وطبعاً تتابع الفكر في الكلام مستمر لو دقَّقنا فيه، إذ كان يتكلَّم عن ملكوت الله وشروطه، وها هو هنا يتكلَّم عن آلامه التي ستفتح الطريق إلى الدخول.

31:18 **«وَأَخَذَ الاِثْنَيْ عَشَرَ وَقَالَ لَهُمْ: هَا نَحْنُ صَاعِدُونَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَسَيَتِمُّ كُلُّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ بِالأَنْبِيَاءِ عَنَ ابْنِ الإِنْسَانِ».**

في القسم المقابل لذكر الآلام هنا نجد في إنجيل ق. مرقس مقدِّمة واعية وكلاماً هاماً جداً ينبغي أن نراجعه:

+ «وكانوا في الطريق صاعدين إلى أُورشليم ويتقدَّمهم يسوع. وكانوا يتحيَّرون وفيما هم يتبعون كانوا يخافون.» (مر 32:10)

كان هناك إحساس غامر بشيء ما سيحدث، خاصة بسبب ما لاحظوه عن وضع المسيح، إذ شاهدوه يسير في المقدِّمة يلفّه الصمت في تأملاته العالية وتفكيره الذي استغرق فيه. لهذا داهمهم جميعاً الخوف حينما تابعوا صمت المعلّم بإحساس أن ظلال الصليب قد ألقت بظلها الكثيف على الوضع كله، وقد علا وجوههم جميعاً الوجوم، مع إحساس بالكراهية التي يبديها كل الرؤساء، والنيَّة التي بيَّتوها على صلب المعلّم، وهو يتقدَّم ليواجه أعداءه وجهاً لوجه في العيد، وهو سائر يفكّر في صمت. ما الخبر، وما هو مدبَّر، وما الذي سيكون؟ فلمَّا أحس المسيح بأنهم مضطربون التفت إليهم وابتدأ يحكي لهم ما سيكون: «ها نحن صاعدون إلى أُورشليم وسيتم كل ما هو مكتوب بالأنبياء عن ابن الإنسان»

32:18و33 **«لأَنَّهُ يُسَلَّمُ إِلَى الأُمَمِ، وَيُسْتَهْزَأُ بِهِ، وَيُشْتَمُ وَيُتْفَلُ عَلَيْهِ، وَيَجْلِدُونَهُ، وَيَقْتُلُونَهُ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ».**

كان المسيح قد سبق وتكلّم عن آلامه وموته ولكن ليس بهذا الوضوح لأنه وصف دقائق النهاية. وبالطبع هذا يعني تسليم المسيح لأيدي الرومان وما يتلوه من فظاعة المعاملة والقتل. ولكن وفوق هذه النغمة الحزينة للغاية فجأة يرتفع صوته بشيء من النصرة: «وفي اليوم الثالث يقوم»

لقد أنهى المسيح من فكره كل ما عمل وما سيُعمل، وأراد أن يكشف للتلاميذ عن صورة واقعية من بُعد لما سيتم في أُورشليم الصاعدين إليها. فالعمل الذي يتكلّم عنه المسيح شيء فوق تصوُّر أي إنسان مهما كان. فماذا يقولون؟ العملية التي يتكلّم عنها المعلّم شيء بعيد جداً عن تصوُّرهم. يُصلب، يموت؟ وما هذه القيامة؟ وما قيمتها بعد ذلك الموت والعار؟ هل يُنقذ؟ ومن ذا الذي سينقذه؟ كل هذا في معلّم قديس طاهر وحلو محبوب! ألم يُقِمْ لعازر من الموت؟ نعم، فكيف يموت هو؟ أي عقل يحتمل؟ أي منطق يتكلّم أو حتى يتصوَّر؟ ثم الذي قال لنا: إننا بإيماننا ننقل الجبل،

كيف يقف ساكتاً أمام مَنْ يُريد أن يصلبه؟ وإن كان المسيَّا الذي سيخلّص إسرائيل، كيف سيخلّص إسرائيل بعد أن يقتلوه؟ وبجوار شدَّة صعوبة التفكير أو التفسير، وجدوا عقولهم عاصية لا تريد حتى أن تفكّر، فاكتفوا بالمسير وراءه.

نحن عرفنا ما في الأنبياء ولكن لم نعرف ماذا يقصدون؟ وهوذا هو يتكلّم عن إهانات وضرب حتى الجلد، فلماذا؟ المعلّم لم يعمل شيئاً يستحق عليه الجلد. ما هذا البصاق في الوجه؟ أي إنسان يجرؤ على ذلك. ولكن لماذا؟ لقد توقّف ذهنهم عن التفسير وحتى عن التفكير ويكفي أن يسيروا ونسير معهم وسنرى.

34:18 **«وَأَمَّا هُمْ فَلَمْ يَفْهَمُوا مِنْ ذلِكَ شَيْئاً، وَكَانَ هذَا الأمْرُ مُخْفىً عَنْهُمْ، وَلَمْ يَعْلَمُوا مَا قِيلَ».**

إن التلاميذ لم يفهموا شيئاً ولكن لم يكن خطأهم، فالأمر كان مُخفى عنهم ولم يعلموا ما قيل، هذا قصده المسيح لسلامة أنفسهم حتى لا يرتاعوا الآن، وظلّت هذه الحالة اللاإرادية سائدة على ذهنهم حتى الصلب والموت، ولمَّا قام المسيح تذكَّروا أنه قال لهم عن كل هذه الأمور، وحينئذ أدركوا صدق ما حدث أمامهم أنه بإرادته ومعرفته ورضاه السابق قبلَ الآلام كلها وقبلَ الصلب والموت كما سبق وأخبر عنه. وبهذا أدركوا تماماً معنى الفداء الذي تمَّ بمشيئة الآب ورضى الابن، وهذا بدوره انطبع علينا نحن. فها هو أمامنا طِبق الأصل صورة لما حدث يوم الجمعة، وفجر الأحد بالقيامة. إذن، فنحن أيضاً نُدرك الآن أنه بتدبير إلهي تمَّ كل شيء لتكميل الفداء والخلاص، وأن الصليب والموت لم يأتِ عفواً ولا كأنه عن ضعف بل عن علم سابق وتدبير ما قبل الدهور:

+ «بل بدم كريم كما من حملٍ بلا عيب ولا دنس دم المسيح، **معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم** ولكن قد أُظهر في الأزمنة الأخيرة من أجلكم.» (1بط 1: 19و20)

فلينتبه القارئ لأن الكلام واضح جداً ومؤثّر للغاية، فكونهم لم يفهموا شيئاً فهذا راجع إلى رغبة المسيح، إذ قفل عنهم قدرة استيعاب ما سيحدث وأهواله لئلاً يفزعوا ويخوروا. إذن، فلماذا قال؟! قال حتى بعد ما يتم كل شيء يتذكَّروا كل ما قال ويتحقَّقوا أنه كان يعرف كل شيء فيؤمنوا به ونحن أيضاً. أمَّا لنا أيها الأحباء فهذا درس من الدروس الهامة جداً بالنسبة لحياتنا ومعاملاتنا مع المسيح والإنجيل: سنقرأ أشياءً ونسمع أشياءً ونرى أشياءً ولا نفهمها أو لا نفهم مقاصدها الحقيقية، حسن، علينا أن نقبلها، وعلينا أن ننفعل بها وننعطف نحوها بسرور ونستقبلها استقبالاً حسناً كريماً. وهي بعد ذلك وفي جو الإيمان والتصديق والمحبة تكشف ذاتها أو يكشفها لنا الله عمداً. هذا درس من الدروس الهامة جداً في حياة الإنسان طالب المعرفة والكمال المسيحي. انظر إلى هذا الدرس:

يحكي المسيح بنفسه لهم كل ما يختص بآلامه وموته وقيامته وفي نفس الوقت يسحب من عقولهم الفهم حتى يجوزوا الأحداث دون اضطراب، وبعد ذلك لمَّا تذكَّروا أصبحوا يكرزون بكل دقائقها.

واعلم صديقي أن كل ما ستجوزه من مآسٍ واضطهاد وضغط وتحدٍّ هو لمنفعتك: اصمت واسكت ولا تتكلَّم ولا تشتكِ، لا تدافع ولا تحكِ، وانظر بهدوء وبصبر دون قلق، ينكشف لك في النهاية القصد البديع من ألم التجربة وشدّتها وعمل الرب في حياتك. وقد تعلَّمتُ في حياتي أن تعليم وتهذيب الروح القدس يحتاج إلى صمت وعين مفتوحة، لأن كل حركة غير عادية في حياتك لها وجود في خطة الله التي رسمها لك. وكل أعمال الله تظهر في النهاية.

6 - شفاء الأعمى

(43-35:18)

(مت 20:29-34)
(مر 10: 46-52)

جاءت هذه القصة بدقائقها في إنجيل ق. مرقس (10:46-52). ولكن الذي تركه من إنجيل ق. مرقس في (10:35-45) به تعليق هام للمسيح: «لأن ابن الإنسان أيضاً لم يأتِ ليُخدَم بل ليَخدُم **وليبذل نفسه فدية** عن كثيرين» وقد عاد ق. لوقا واسترجعها في سفر الأعمال (28:20): «لترعوا كنيسة الله **التي اقتناها بدمه**»

وفي هذه القصة يُظهر ق. لوقا أنه **بلجاجة الأعمى وصراخه** استجاب المسيح، وأنه بإيمانه هو نال الخلاص بكلمة، وانتهى بتمجيد الله من الأعمى والحاضرين.

ويلي هذه القصة في ترتيب ق. لوقا ذكر قبول زكا رئيس العشَّارين حتى يقدِّم من القضيتين كيف يبلغ المسيح إلى قمَّة خدمته مع الفقراء والمنبوذين. وفي قصة الأعمى نسمع الصراخ باسم: «يا ابن داود» فكانت لفتة من ق. لوقا لكي يقدِّم لقب الملك الداخل إلى مدينته أُورشليم. والقصة تكشف عن مشاعر الرحمة الفيَّاضة في المسيح والعطف الشديد على المسكين الفاقد النظر، وكمعجزة تعتمد على إيمان المريض بصورة قوية، فإيمانه هو شفاه بكلمة من المسيح. والأعمى ولو أنه هنا غير معروف بالاسم إلاَّ أننا تعرَّفنا عليه سابقاً فهو الأعمى بن طيما الذي يلذ للكنيسة أن ترتِّل له وهو أعمى أريحا المشهور. والقصة تعطي تلميحاً إلى التعبير المسيَّاني وهي مناسبة للدخول إلى أورشليم.

18: 35-38 «**وَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْ أريحَا كَانَ أعْمَى جَالِساً عَلَى الطَّرِيقِ يَسْتَعْطِي. فَلَمَّا سَمِعَ الْجَمْعَ مُجْتَازاً سَأَلَ: مَا عَسَى أنْ يَكُونَ هذا؟ فَأَخْبَرُوهُ أنَّ يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ مُجْتَازٌ. فَصَرَخَ قَائِلاً: يَا يَسُوعُ ابْنَ دَاوُدَ ارْحَمْنِي!**»

نحن هنا خارج أريحا وداخلون على المدينة، وطبعاً كان مكان الأعمى المختار هو على باب المدينة. ويلاحظ أن ق. مرقس لمَّا قدَّم القصة قدَّمها على أساس أن المسيح كان خارجاً من أريحا، أمَّا ق. لوقا فاضطر إلى هذا الوضع البسيط لكي يستطيع بعد ذلك أن يحكي قصة زكّاؤوس؛ وهذا كان داخل المدينة!! وهي القصة التي ختم بها ق. لوقا سرد القصص جميعاً.

ويسرنا هنا أن نسجِّل لهذا الأعمى حساسية مشاعره، فهو يبدو أنه أحسَّ بروحه أن إنساناً عظيماً قادمٌ وأن في يده معجزة شفائه. لذلك كان صراخه لا يُطاق كمَنْ يستغيث بالمسيح من جحود البشر. ويبدو أنه أحس بالروح أن اللجاجة هي سلاحه الوحيد ليصل صوته إلى أذن الله؛ فكان!! والذي ينتبه إلى الحوار الذي دار بين الأعمى والسائرين بجواره يشعر في الحال أنه إنسان مغلق العين، نعم، ولكن مفتوح القلب، لأن الذي حسبه وجده، فهو سأل لا لمجرَّد قراءة أخبار بل سؤالاً للحياة فكان!!

ولو أنصف القارئ في تقدير هذا الأعمى لأدرك فيه البشرية الذليلة المطروحة على باب المدينة اللاهية أو مدينة الملاهي تستعطي الفائض من الموائد، وهم الذين أشار إليهم السيد بسكَّان خارج السياجات. فنحن نعيش بحسب المدنيَّة الصاخبة ذات الأبراج العالية المحاطة بسكان العشوائيات غير المُعترف بهم. فالأعمى يمثِّل قطاع الشعب المحروم من النور.

18: 39 «**فَانْتَهَرَهُ الْمُتَقَدِّمُونَ لِيَسْكُتَ، أَمَّا هُوَ فَصَرَخَ أَكْثَرَ كَثِيراً: يَا ابْنَ دَاوُدَ ارْحَمْنِي!**»

هي لحظة تأخير واحدة وكانت فرصة النور والحياة تكون قد ضاعت منه، كان يحسّ ذلك. لذلك مهما تكاثر صوت الرفض والتعويق لم يستطع أن يغلب الصراخ المرتفع ليصل من فوق رؤوسهم أو قلوبهم لصاحب القلب الذي أحسَّ به هو والأذن التي تسمع ما قبل الصراخ. لم يدرِ هؤلاء القوم أن المسيح ضبط اللحظة ضبطاً ليكون هنا بجوار الأعمى قبل أن يبدأ الرحلة، لأن الرب على ميعاد مع الصارخين. كل هذا لنستطيع نحن الآن وعلى بعد من مكانه في أعلى السموات أن نُدرك أنه سامع الصراخ؛ بل همس الروح وتنهُّد القلب، ويرى الدموع وهي لا تزال تملأ العين قبل أن تسقط! فالذي قدَّم حياته ودمه فدية للخاطئ يعرف كيف يحتضن الحزين والمتألِّم، حتى ولو أدَّى

الأمر أن يخلق له عينين عوض التي سلبتها منه الطبيعة. فالمسيح لا يريده أن ينظر بل يريده ألاَّ يشعر بالألم والحرمان. فكم من عيون رأته ومجدته لأنه «في كل ضيقهم تضايق.»(إش 9:63)

لمَّا سمع المسيح كلمة: «يا ابن داود» أدرك أن هذا ليس أعمى بل إنسان يرى ما لا يراه البصير، فهو يكلّم المسيح بكلمة السر التي طالما أخفاها عن تلاميذه. ولكي يتأكّد القارئ أني أقول الصدق اسمع ما قاله المسيح عن إيمان هذا الأعمى الذي فاق كل إيمان، لقد آمن به أنه مسيًّا وصرخ له باعتباره أنه جاء وأتى إليه خصيصاً فهو عمله. أي أن تفتيح عينيه هو أول عمل من أعماله كابن داود مسيًّا الآتي. فالكلمة استوقفته في الحال ولم يستطع أن يتجاوزه خطوة.

42-40:18 «فَوَقَفَ يَسُوعُ وَأَمَرَ أَنْ يُقَدَّمَ إِلَيْهِ. وَلَمَّا اقْتَرَبَ سَأَلَهُ قَائِلاً: مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ بِكَ؟ فَقَالَ: يَا سَيِّدُ، أَنْ أُبْصِرَ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: أَبْصِرْ. إِيمَانُكَ قَدْ شَفَاكَ».

ليلتفت القارئ إلى ما عمل المسيح: «فوقف» في الحال لأنه أمر استدعاء تلقّاه المسيح من خليقة أخطأت الطبيعة في توريثها الصحة والنظر، والأمر يتعلّق بخالقها فهو وحده الذي يصحّح ما أساء به الزمن. ولكن لولا إيمان الرجل ما وقف المسيح هذه الوقفة، فإيمان الرجل الذي ينطق به صراخه جدير بأن يُسمع إليه. وابتدره المسيح: بـ «ماذا تريد أن أفعل بك» حتى يحس الأعمى أن إرادته حَمَلها فوق إيمانه فكانت هي مفتاح الاستجابة: "إيمان وإرادة". إلى هنا تكون المعادلة الإيمانية قد تعانقت مع المعجزة ليكون ما يريد وكان. لقد أبصر الأعمى بعد سنين هذا عددها وربما كان مولوداً كذلك، لا فرق!! وبقول المسيح: «إيمانك قد شفاك» يكون قد أعطانا منهج المعجزة وأوضح لنا أن بداخلنا قوة قادرة بالإيمان أن تعمل المعجزات:

+ «القادر أن يفعل فوق كل شيء أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر **بحسب القوة التي تعمل فينا.**» (أف 20:3)

43:18 «وَفِي الْحَالِ أَبْصَرَ، وَتَبِعَهُ وَهُوَ يُمَجِّدُ اللهَ. وَجَمِيعُ الشَّعْبِ إِذْ رَأَوْا سَبَّحُوا اللهَ».

أكثر ما يسترعي اهتمامنا هنا أن الشفاء تمَّ في الحال! فالإرادتان اتحدتا، إرادة الآخذ وإرادة المعطي. لهذا كان العمل يستوجب تمجيد الله وتسبيحه فعلاً، لأن هذه المعجزة أظهرت المسيح بصورة الخالق المقتدر الحنّان. أمَّا الأعمى فهو أعظم مَنْ يمثّل الإنسانية الموجوعة.

الأصحاح التاسع عشر:

7 ـ زكَّا رئيس العشَّارين

(19:1-10) القديس لوقا وحده

هذه آخر قصة عن المسيح على الطريق الطويل الذي اتخذه في رحلته إلى أورشليم، وقد قصد ق. لوقا أن تكون صالحة لتتبوَّأ مركز القمة في أهميتها بالنسبة لخدمة المسيح. على أنها تعطي انطباعات عديدة يعتبرها ق. لوقا أنها على غاية من الأهمية. فهي تمثّل المَثَل الأقوى لصورة المسيح في الإنجيل الذي يجري وراء الخاطئ والمنبوذ، والمسيح يأخذ في تعامله مع الخاطئ دور المبادرة والمفاجأة بالحب والعطف والاستقبال، وإمعاناً في تقديم نفسه كصديق حقيقي للعشَّارين دعا نفسه ليدخل بيته ويأكل عنده؛ شيء لو نظرناه بمنظار أن المسيح يمثّل الله فعلاً لانذهلنا من هذا الإجراء، هل إلى هذا الحد الله يهمّه الخاطئ؟ وهل إلى هذا الحد يتنازل الله ليصادق الخطاة؟ وهل ليس عند الله مانع أن يجلس على مائدة ويأكل مع الخاطئ راضياً وقانعاً بكل نقائص هذا العمل الذي لا يرضاه المطهَّرون؟

ولكن من أكثر الأمور أهمية في هذه القصة أن زكَّا كان رجلاً غنياً بمعنى الكلمة، غِنَىً فاحشاً باستخدام أساليب الغش والتدليس المعروفة لدى العشَّارين جباة الضرائب. ففرحة زكَّا بدعوة المسيح له وبطلب دخوله بيته والأكل معه أعطت صورة لكيف استجاب زكَّا لهذه المحبة والمجاملة من المسيح بأن أعلن كيف ستؤول أمواله إلى الفقراء والمساكين، وكيف سيُغيِّر سلوكه ويعوِّض كل مَنْ أساء إليه. فبالنهاية أعطى زكَّا مثلاً حيًّا واقعياً **لكيفية دخول الغنيّ ملكوت الله!!** «ها أنا يا رب أُعطي نِصْفَ أموالي للمساكين، وإن كنت قد وشيتُ بأحدٍ أردُّ أربعة أضعافٍ. فقال له يسوع: اليوم حصل خلاص لهذا البيت، إذ هو أيضاً ابنُ إبراهيم» وإذ يقدِّم ق. لوقا المسيح قائلاً في نهاية القصة: «لأن ابن الإنسان قد جاء ليخلّص ما قد هلك» يكون قد وضع هذه الآية كتاج فوق إنجيله!

1:19و2 «**ثُمَّ دَخَلَ وَاجْتَازَ فِي أريحَا. وَإِذَا رَجُلٌ اسْمُهُ زَكَّا، وَهُوَ رَئِيسٌ لِلْعَشَّارِينَ وَكَانَ غَنِيًّا**».

هنا تُفتتح القصة بآية اتصال لتتوافق مع الكلام السابق وما قبله، ويُلاحَظ أن الكلام قبل السابق كان عن تعذُّر دخول الأغنياء ملكوت الله، وأنه لمَّا استصعب التلاميذ الأمر وقالوا: مَنْ يَخْلُص؟ قال لهم: غير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله، وهوذا المسيح هنا يقدِّم مثلاً يؤكِّد ما قاله. والإنجيل أعطى صفات لزكَّا تهمنا للغاية أنه كان رئيساً للعشَّارين، ثم أنه كان غنياً.

3:19و4 «**وَطَلَبَ أَنْ يَرَى يَسُوعَ مَنْ هُوَ، وَلَمْ يَقْدِرْ مِنَ الْجَمْعِ، لأَنَّهُ كَانَ قَصِيرَ الْقَامَةِ. فَرَكَضَ مُتَقَدِّماً وَصَعِدَ إِلَى جُمَّيْزَةٍ لِكَيْ يَرَاهُ، لأَنَّه كَانَ مُزْمِعاً أَنْ يَمُرَّ مِنْ هُنَاكَ**».

محاولة جادة من زكَّا لرؤية المسيح، إذ هو يعلم تماماً أنه كان صديقاً للعشَّارين، فتاقت نفسه أن تراه. ولمَّا كان الجمع يزدحم حوله ترك الجمع وصَعِدَ إلى جميزة لكي يراه بوضوح، لأنه كان قصير القامة. وسنجد في الحقيقة أن شهوة زكَّا لرؤية المسيح كان يصاحبها إحساسٌ داخليٌّ بشوق شديد أن يسمعه، لأنه كان غالباً غير راضٍ عن حياته ويسعى داخلياً إلىطريق يخرجه من همومه.

5:19و6 «**فَلَمَّا جَاءَ يَسُوعُ إِلَى الْمَكَانِ، نَظَرَ إِلَى فَوْقُ فَرَآهُ، وَقَالَ لَهُ: يَا زَكَّا، أَسْرِعْ وَانْزِلْ، لأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ أَمْكُثَ الْيَوْمَ فِي بَيْتِكَ. فَأَسْرَعَ وَنَزَلَ وَقَبِلَهُ فَرِحاً**».

لم تكن مصادفة أن يمر المسيح من تحت هذه الشجرة بالذات، ولم تكن مصادفة أن ينظر إليه. لأن الكلام يقطر ودًّا. ودعوة المسيح لزكا بسرعة النزول دعوة ذات مشاعر وديَّة لكي يتقابل معه ويذهب معه إلى بيته. ويبدو أن زكَّا كان اسمه وارداً في أجندة هذا اليوم لتكميل عملية خلاص أخيرة في منهج خدمة المسيح الطويلة. وكان زكَّا في المقابل فرحاً فقد شعر بتكريم من الرب فوق العادة، فلم يصنع كبطرس الذي قال للرب: «اخرج من سفينتي يا رب لأني رجل خاطئ» (لو 8:5). زكَّا قَبِلَ دعوة المسيح لنفسه بنوع من الامتياز الفائق أن يدخل المسيح تحت سقف بيته ولم يستكثر خطيته على المسيح.

7:19و8 «**فَلَمَّا رَأَى الْجَمِيعُ ذلِكَ تَذَمَّرُوا قَائِلِينَ: إِنَّهُ دَخَلَ لِيَبِيتَ عِنْدَ رَجُلٍ خَاطِئٍ. فَوَقَفَ زَكَّا وَقَالَ لِلرَّبِّ: هَا أَنَا يَا رَبُّ أُعْطِي نِصْفَ أَمْوَالِي لِلْمَسَاكِينِ، وَإِنْ كُنْتُ قَدْ وَشَيْتُ بِأَحَدٍ أَرُدُّ أَرْبَعَةَ أَضْعَافٍ**».

وهنا ليس الفرِّيسيون هم الذين تذمَّروا بل اليهود، الشعب الملتف حول المسيح، لأنهم أيضاً

أقرب إلى فئة العشَّارين ويعرفون أعمالهم وسلوكهم، فهو في نظرهم رجل خاطئ، ودخول المسيح إلى بيته يعني مباشرة أنه يشترك معه في خطيته بالموافقة. وهذا عينه ما أراده المسيح، لأن مجيئه إلى أورشليم كان بسبب ذلك ومن أجل ذلك، لكي يحمل خطايانا في جسده على الخشبة. ولكن الإنسان لا يرحم أخاه ولا يرتاح إن رأى أحداً يرحمه. ولكن سرعان ما انطلق زكَّا يدافع عن نفسه وعن معلّمه ويرد على تذمُّر المتذمِّرين، بإعطاء النذر أن يعيش حياة جديدة إكراماً للمسيح الذي زاره ودفاعاً عنه من سيئة يتحمَّلها بسببه، فقدَّم زكَّا توبة ذات فاعلية كما بقسم. علماً بأن التعويض المطلوب رسمياً كان 20% من ماله بحسب حكم الربيين. وجعل الدفع فوراً وكأنه في الحال تبريراً لموقفه. وفي الشرع أن التعويض يكون نفس الكمية المختلسة مضافاً إليها خمُس الكمية (لا 6: 1-5). ولكن في حالة اختلاس الظلم يكون الرد أربعة أضعاف. وهذا الحكم حكم به داود النبي على الرجل الذي يغتصب نعجة غيره، وهو لا يعلم أن النبي كان يضعه في مأزق لأنه هو الذي أخذ "نعجة"، بتشبع امرأة أوريا الحثي: «فحمي غضب داود على الرجل جداً (وهو نفسه) وقال لناثان (النبي): حيٌّ هو الرب أن يُقتل الرجل الفاعل ذلك ويرد النعجة أربعة أضعاف لأنه فعل هذا الأمر ولأنه لم يشفق.» (2صم 12: 5و6)

كذلك أمرت الشريعة: «إذا سرق إنسانٌ ثوراً أو شاة فذبحه أو باعه يعوِّض عن الثور بخمسة ثيران وعن الشَّاة بأربعة من الغنم» (خر 22:1). ويُعتقد أن القانون الروماني والقانون المصري كان يأمر بذلك.

9:19و10 «فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: الْيَوْمَ حَصَلَ خَلاَصٌ لِهذَا الْبَيْتِ، إِذْ هُوَ أَيْضاً ابْنُ إِبْرَاهِيمَ، لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ قَدْ جَاءَ لِكَيْ يَطْلُبَ وَيُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ».

عجيب هو الرب! وهكذا تمتد رحمته من الخاطئ إلى كل بيته!! كما حدث لكرنيليوس. فسخاء الله لا يوازيه سخاء، إذ للرب أفكار علت عن أفكارنا كعلو السماء عن الأرض (إش 9:55). هم قالوا إنه رجل خاطئ لا يصح للمسيح أن يدخل بيته وإلاَّ يكون قد اشترك في خطيته، فدخل الرب ورفع خطيته على الصليب بعمل مُسْبق، ونجَّاه هو وأهل بيته بالرغم من أنه عشَّار وخاطئ، ولسان حاله يقول:

ألست أنا الراعي الصالح والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف؟ هذا العشَّار خروف إسرائيل الضال وجدته فأدخلته الحظيرة.

ولكن لا يفوتنا أبداً أنه غنيّ، ولكن إذا وفَّى حق الشريعة خلص وتبرَّأ. والذي يعطي نصف

أمواله للفقراء يصبح غنيًّا في العطاء.

أمَّا الآية الأخيرة في القصة: «لأن ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويُخلّص ما قد هلك» فقد صاغها المسيح في قالب الراعي الصالح على مستوى البشرية.

وفي الحقيقة خلاص زكَّا هو وأهل بيته وهو رئيس للعشَّارين ورجل غنيّ يُعتبر قمة عمل الخلاص مطبقاً على أصعب ظرف مرَّ بنا حتى الآن. وهكذا قصد ق. لوقا قصداً أن يضعه كآخر قصة في إنجيله، لكي يلفت نظرنا إلى اتساع صدر الصليب وعمقه المديد وارتفاعه اللانهائي.

سادساً: الخدمة في أورشليم
(38:21-11:19)

سار المسيح من أريحا صاعداً إلى أورشليم، وقد أخذ ق. لوقا من إنجيل ق. مرقس ما يختص بهذا القسم ما عدا (19:11-27). والمسيح يدخل أورشليم على أتان ويتنبَّأ عن خرابها (19:28-44). ويهتم ق. لوقا بالهيكل بنوع خاص كمقر لأعمال المسيح وخدمته (19:45-48)، ويبتدئ يتعرَّض للاختلاف بين الرؤساء والمسيح كما هو في إنجيل ق. مرقس، ويتكلَّم عن حوادث آخر الأيام للتلاميذ (21:5-38) والشعب كان دائماً مستعداً للسماع ولكن الرؤساء يتصدُّون، أمَّا رؤية ق. لوقا العامة فكانت ضد أورشليم.

(أ) مَثَل العشر وزنات (أمْناء Pounds)
(27-11:19)

(مت 25: 14-30)

ظلَّ المسيح يكلِّم الجماعة نفسها وكانوا يعتقدون أن ظهور ملكوت الله حالاً، خصوصاً أنه قال لتلاميذه: إن ملكوت الله قد اقترب. لذلك ظنَّ التلاميذ أنه بمجرَّد وصول المسيح أورشليم سيظهر ملكوت الله، لذلك قال المسيح هذا ليطرد من ذهنهم مسألة حضور الملكوت وشيكاً. والمَثَل يوضِّح خطين متلازمين من الفكر: الأول أن المسيح سيذهب ويتركهم ولن يُقام ملكاً وسيرفضونه، وعلى ذلك تكون الدينونة، وخط الفكر الثاني أن المؤمنين بالمسيح إنما عليهم أن يستمروا في الخدمة طالما غاب المسيح عنهم.

هذا المَثَل يؤكِّد أنه ستكون هناك فترة ليست قصيرة بين تكميل خدمة المسيح وذهابه ثم عودته ثانية. وهذه الفترة من الغياب هي التي اهتم بها المسيح في المَثَل. على أن المَثَل أيضاً مهتم بحقيقة الملكوت الآتي ومسئولية المؤمنين في استخدام مواهبهم لتؤهِّلهم للدخول في النهاية. وعلى هذا نجد أن هذا المَثَل يشمل العمل المسيحي الآن وعمل المستقبل الآتي. وعلى هذا فإن المَثَل يضع مسئولية

على المؤمنين في استخدام مواهبهم الروحية في غياب المسيح **دون القلق في الانتظار.** وعلى العموم، لا ننسى أن هذا المثل وضعه المسيح لينفي ظهور الملكوت وشيكاً، فهو موضوع على أساس ماذا نعمل في غياب المسيح حتى يجيء.

11:19 «وَإِذْ كَانُوا يَسْمَعُونَ هذَا عَادَ فَقَالَ مَثَلاً، لأَنَّهُ كَانَ قَرِيباً مِنْ أُورُشَلِيمَ، وَكَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّ مَلَكُوتَ اللهِ عَتِيدٌ أَنْ يَظْهَرَ فِي الْحَالِ».

إذا انتبهنا إلى العلاقة بين الحديث السالف وهذا المَثَل نستشف المعنى المقصود. ففي الكلام السابق سمع التلاميذ والجموع قول المسيح: «**اليوم** حصل خلاص لهذا البيت» هذا هو الذي هيَّج فكر الجماعة أن الملكوت عتيد أن يظهر في الحال. لذلك كان همُّ المسيح أن يوضِّح أنه نعم يحدث خلاص اليوم (9:19)، ولكن ملكوت الله لا يظهر. وعلينا أن نذكر أن هذا الكلام حدث في أريحا على بعد 17 ميلاً من أُورشليم، ولهذا كان فكرهم أنه بمجرَّد دخول المسيح أُورشليم سيظهر الملكوت، وكان جهد المسيح محصوراً في هذا المَثَل ليقنعهم أنه سيدخل وسيغيب أيضاً قبل أن يحدث ما ينتظرونه.

12:19و13 «فَقَالَ: إِنْسَانٌ شَرِيفُ الْجِنْسِ ذَهَبَ إِلَى كُورَةٍ بَعِيدَةٍ لِيَأْخُذَ لِنَفْسِهِ مُلْكاً وَيَرْجِعَ. فَدَعَا عَشَرَةَ عَبِيدٍ لَهُ وَأَعْطَاهُمْ عَشَرَةَ أَمْنَاءٍ، وَقَالَ لَهُمْ: تَاجِرُوا حَتَّى آتِيَ».

هنا أهم جزء في هذه الآية ذهاب الإنسان الشريف الجنس إلى كورة بعيدة (بُعد السماء عن الأرض)، ثم إنه يدبِّر لنفسه مُلكاً (ملكوت) وهذا نعرفه نحن أنه غياب المسيح بعد القيامة: «ينبغي أن السماء تقبله إلى أزمنة ردِّ كل شيء.» (أع 21:3)

«عشرة أمناء»:

المنا الواحد mn© عملة يونانية تساوي 100 دراخمة (درهم)، ربما تساوي خمس جنيهات إنجليزي وربما تساوي أجر ثلاثة شهور خدمة. ولمَّا أعطاهم الودائع اشترط أن يأخذ الربح عند عودته.

14:19 «وَأَمَّا أَهْلُ مَدِينَتِهِ فَكَانُوا يُبْغِضُونَهُ، فَأَرْسَلُوا وَرَاءَهُ سِفَارَةً قَائِلِينَ: لاَ نُرِيدُ أَنَّ هذَا يَمْلِكُ عَلَيْنَا».

واضح أنه يتكلَّم عن اليهود ورؤسائهم ورفضهم للمسيح أن يملك عليهم، هذا تمَّ بالحرف الواحد، ولكن العجيب أن المسيح يتخطَّى اليهود ورؤساءهم ومُلكهم الفاني ويتكلَّم عن فوزه بالمملكة!!

15:19 «**وَلَمَّا رَجَعَ بَعْدَ مَا أَخَذَ الْمُلْكَ، أَمَرَ أَنْ يُدْعَى إِلَيْهِ أُولئِكَ الْعَبِيدُ الَّذِينَ أَعْطَاهُمُ الْفِضَّةَ، لِيَعْرِفَ بِمَا تَاجَرَ كُلُّ وَاحِدٍ**».

وهنا وبالرغم عن أنف البعثة غير السلامية التي ذهبت تقول لا نريد أن هذا يملك علينا، رجع الشريف حائزاً على مملكته، وعليه دعا عبيده ليحاسبهم عن تجارتهم. تصوير إبداعي لمجيء المسيح بعد غيابه الطويل ليكافئ المكافأة العظمى والأخيرة للذين جاهدوا واحتملوا المشقات من أجل الوزنات التي سُلّمت إليهم: الإيمان والرجاء والمحبة وكل مفاعيل الخلاص من النعمة الموهوبة مجاناً أصلاً. وحينئذ يُدرك الإنسان أن جهاد الإيمان والمحبة ليس ضائعاً أو بلا مقابل؛ بل المقابل فوق تصوُّر العقل لأن المجازاة ليست من قياس ولا صنف الجهاد، لأن الجهاد جسدي نفسي أمَّا الملكوت فإلهي.

16:19و17 «**فَجَاءَ الأَوَّلُ قَائِلاً: يَا سَيِّدُ، مَنَاكَ رَبِحَ عَشَرَةَ أَمْنَاءٍ. فَقَالَ لَهُ: نِعِمَّا أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ، لأَنَّكَ كُنْتَ أَمِيناً فِي الْقَلِيلِ، فَلْيَكُنْ لَكَ سُلْطَانٌ عَلَى عَشْرِ مُدْنٍ**».

واضح أن الوديعة التي تركها الرجل الشريف مالية قابلة للربح المادي، وهذا اعتبره من جهة النوع أو القياس أنه "القليل"، أمَّا المكافأة فجاءت على مستوى المدن. معنى هذا أن الشريف قد جاء ومعه مملكته أو ملكوته. والآن يجيء دور توزيع الملكوت أو إعطاء المراكز في الملكوت التي ظهرت أنها مدن بالنسبة للمملكة. وهنا يقف العقل والقلم. ما هي المدن في ملكوت المسيح؟ واضح أنها من صنف الملكوت، ولكن ما هو العمل أو السعادة هناك؟ القديس لوقا توقَّف هنا، أمَّا ق. متى فأوضح قول المسيح للذي ربح: «ادخل إلى فرح سيدك» (مت 21:25). هنا عرفنا أن القيمة القياسية للجهاد هنا هو الفرح هناك، ولكن الفرح لا يُعطى دون مسببات، فكما نفرح بمكسب المال هنا سوف نفرح بكسب شيء يتناسب مع الفرح السماوي أو الإلهي. إلى هذا الحد يقف الفكر والقلم، غير أن الفرح الإلهي قد أُعطي لنا منذ الآن أن نسبق ونتذوَّقه في قربنا من المسيح أو إحساسنا بعمل الروح القدس في قلوبنا، حيث نحس بفرح من نوع لا يعرفه العالم. ويقول المسيح إنه لا يستطيع أحد أن ينزع هذا الفرح منَّا (يو 22:16). إذن، هو فرح ملكوت الله الذي نكون قد بدأنا به هنا لينتقل معنا هناك، ليأخذ مداه غير المحصور لا بفكر ولا بزمان ولا بمكان.

18:19و19 «**ثُمَّ جَاءَ الثَّانِي قَائِلاً: يَا سَيِّدُ، مَنَاكَ عَمِلَ خَمْسَةَ أَمْنَاءٍ. فَقَالَ لِهذَا أَيْضاً: وَكُنْ أَنْتَ عَلَى خَمْسِ مُدْنٍ**».

كان جواب الإنسان الشريف الجنس وقد جاء ومعه المُلك أن أعطاه أن يكون على خمس مدنٍ، وفي إنجيل ق. متى ليس أكثر من «ادخل إلى فرح سيِّدك» لذلك نرى أن ق. لوقا يقدِّم تقليداً جديداً في الشرح يقوم على أساس أن المختارين سيكون لهم في الملكوت عمل روحي كقيادة ومسئولية على آخرين، بمعنى أنه ستستمر المواهب الروحية تعمل على مستوى أعلى في القيادة والريادة؛ وربما التعليم بطرق تتناسب مع التكوين الجديد للروح أو النفس الروحانية هناك، إذ لا يوجد كلام يُسمع ويُفهم بل مخاطبة بالتخاطر الذهني الروحي دون سمع أو كلام، فالذي في ذهن المعلِّم ينتقل بالتخاطر إلى ذهن المتعلِّم فيزداد معرفة.

20:19و21 «**ثُمَّ جَاءَ آخَرُ قَائِلاً: يَا سَيِّدُ، هُوذَا مَنَاكَ الَّذِي كَانَ عِنْدِي مَوْضُوعاً فِي مِنْدِيلٍ، لأَنِّي كُنْتُ أَخَافُ مِنْكَ، إِذْ أَنْتَ إِنْسَانٌ صَارِمٌ، تَأْخُذُ مَا لَمْ تَضَعْ وَتَحْصُدُ مَا لَمْ تَزْرَعْ**».

هنا نجد العقاب شنيعاً حيث أمر الملك أن المواهب التي أُعطيت له من نعم وبركات الفداء والخلاص والمصالحة والتبنِّي تُرفع عنه، وبالتالي استحالة أن يدخل ملكوت الله بلا مؤهِّلات، فهو لم يكن أميناً في القليل فليس له نصيب في الكثير، في حين أن صاحب العشرة والخمسة انطلق بمواهبه إلى الملكوت كمؤهِّلات يعمل بها على مستوى أعلى. فهنا يتحقَّق لنا أكثر أن اشتغالنا بما أعطانا المسيح من مواهب هو الذي يؤهِّلنا لدخول الملكوت؛ بل يضعنا هناك في الدرجة اللائقة بنشاطنا وخدمتنا ومعرفتنا ووعينا الروحي للاستمرار في عملنا الروحي على مستويات عليا وإلى مدى لا نهائي.

22:19-24 «**فَقَالَ لَهُ: مِنْ فَمِكَ أَدِينُكَ أَيُّهَا الْعَبْدُ الشِّرِّيرُ. عَرَفْتَ أَنِّي إِنْسَانٌ صَارِمٌ، آخُذُ مَا لَمْ أَضَعْ، وَأَحْصُدُ مَا لَمْ أَزْرَعْ. فَلِمَاذَا لَمْ تَضَعْ فِضَّتِي عَلَى مَائِدَةِ الصَّيَارِفَةِ، فَكُنْتُ مَتَى جِئْتُ أَسْتَوْفِيهَا مَعَ رِباً؟ ثُمَّ قَالَ لِلْحَاضِرِينَ: خُذُوا مِنْهُ الْمَنَا وَأَعْطُوهُ لِلَّذِي عِنْدَهُ الْعَشَرَةُ الأَمْنَاءُ**».

هنا جوزيَ العبد الكسلان والمهمل، بل والغبي، بالحرمان الكلي. فالذي كان رسمياً له بنوع العمومية وأهمله أُخذ منه. ولكن الأخطر أنه أصبح غير صالح لأخذ عمل فوق. وفوق ليس للعاطل مكان ولا عمل، لهذا أُخرج خارج الملكوت حيث الظلمة. أمَّا قوله احتجاجاً على كسله وغباوته أنه خاف من السيد الشريف واعتبره يجازي جزافاً وبلا عدل، فاتخذه السيد أو الملك الآن أساساً لمعاملته بمقتضى ما نسبه للسيد الشريف. هذه النظرة نسمعها في الحقيقة تماماً من الذين يرفضون الحياة الروحية والانتظام في الكنيسة والمواظبة على التعليم في الإنجيل بنفس هذه الصورة الغبية من الحجج: أن الحياة الروحية صعبة وأن الإنجيل صعب وغير مفهوم وأن دراسة الروحيات ومعرفة

الواجبات الدينية نير ثقيل وليس أي مسرَّة فيه ولا تُرى فيه أي قيمة ـ فيا للحسرة والحزن على مثل أولئك الجهلة مهما كان علمهم وفهمهم وذكاؤهم، فهم في عداد ذلك «العبد الشرير» الذي نسب هذه الأوصاف للسيد الشريف الذي هو بفصيح العبارة المسيح. فنال جزاءً مريعاً: الحرمان من الملكوت أي من رؤية الله والحياة عنده، والبقاء بعيداً عن النور والحق الإلهي إلى الأبد! أيّ خسارة هذه؟

والمُلاحَظ هنا أن مثل هؤلاء الذين حرموا أنفسهم من الإنجيل والقراءة الروحية والاهتمام بالحياة الأبدية ومعرفة الفداء والخلاص بإرادتهم وبمنتهى حريتهم، سيُحرَمون منها هناك إلى الأبد مع تحمُّل عقوبة الحرمان من الله ومن رحمته ونعمته كأب.

إذن، فالدينونة وعقابها هي من صنف ومستوى العمل ولكن بصورة أبدية.

أمَّا تأكيد الملك أن الذي عنده المَنَا يؤخذ منه، فمعناه لا رجعة ولا إمكانية للخروج من نصيبه في الظلمة، على أن أي إنسان لا يستطيع قط أن ينسب لله ظلماً. فالمسيح أعطى المواهب وطالب العمل بها ووعد العاملين بالملكوت! فإذا لم يمارسوا عملهم بالمواهب تُنزع منهم ويُحرمون من الله!

وطبعاً لا يفوت علينا أننا بصدد ذهاب المسيح وغيابه طويلاً، وفي غيابه الطويل أُعطينا مواهب نعمل بها ونمارسها لنربح للمسيح مؤمنين جدد بانتظار مجيئه والمحاسبة وفتح الملكوت.

25:19و26 **«فَقَالُوا لَهُ: يَا سَيِّدُ عِنْدَهُ عَشَرَةُ أَمْنَاءٍ. لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ لَهُ يُعْطَى، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ فَالَّذِي عِنْدَهُ يُؤْخَذُ مِنْهُ».**

هنا قانون العمل الذي يعرفه جيداً الذين يعملون: أنه لو كان عندك عمل هام تُريد أن تنجزه بسرعة لا تعطيه لإنسان ليس عنده عمل، بل أعطه لمَنْ عنده عملٌ كثير فهو سينجزه لك أكيداً. وهذه هي نظرية التعامل روحياً ـ فالذي يجاهد حسناً يُضاف عليه لتزداد له المكافأة لأنه أقدر لها وأولى بها. أمَّا الكسول فكل ما يُعطى له سيتلف، فلذلك يتحتَّم أن يؤخذ منه.

27:19 **«أَمَّا أَعْدَائِي، أُولئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِيدُوا أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْهِمْ، فَأْتُوا بِهِمْ إِلَى هُنَا وَاذْبَحُوهُمْ قُدَّامِي».**

إن كان حاشا للسيد القدوس المبارك أن يأمر بشرٍ أو يتسبَّب في حزن أو يرضى بألم الإنسان ولكن هذا قانون الناس. فالمسيح هنا يطبِّق قانون الناس، وقد انطبق عليهم بسبب سوء أعمالهم وجهلهم وحماقتهم، أولئك الذين حاربوا روما وقتلوا ضبَّاطهم انتظاراً منهم أن يهوه يتحمَّس ويُرسل لهم "مسيَّا" الذي ذبحوه، فذبحهم تيطس في المكان الذي أشار إليه السيد. فحماقتهم التي عاملوا بها

المسيح، وجهلهم وعماهم الروحي الذي جعلهم يذبحون المسيح على الصليب، بتقديم شهادات زور وتلفيقات في عريضة الاتهام التي كانت كلها أكاذيب ليتخلّصوا من توبيخه لهم ـ هي نفس الحماقة التي عاملوا بها الرومان، ولكن الرومان ليسوا كالمسيح، فالمسيح طلب من الآب أن يغفر لهم جرمهم المريع فغفر، ولكن الرومان لا يغفرون! فالذين في النهاية سيُساقون إلى الظلمة التي هي الحرمان الدائم من الله، هم الذين يكتبون بأيديهم وثيقة الحرمان من الله منذ الآن.

(ب) المسيح يصل إلى مشارف أورشليم
(40-28:19)

(مت 21: 1-11)
(مر 11: 1-11)
(يو 12: 12-19)

وأخيراً وصل المسيح ومعه جوقة من التلاميذ والشعب الزاحف وراءه حتى مشارف أورشليم. وتكميلاً لنبوَّة زكريا (زك 9:9) طلب جحشاً وجلس عليه وبدأ يدخل المدينة من منحدر جبل الزيتون من بابها الشرقي، وهو محاط بتهليل التلاميذ والناس الذين زادت حماستهم جداً، ظناً منهم أنه سيعلن نفسه المسيَّا ويعلن حكم مملكة داود، فقالوها صراحة حسب إنجيل ق. مرقس: «والذين تقدَّموا والذين تبعوا كانوا يصرخون قائلين أوصنَّا مبارك الآتي باسم الرب، مباركة مملكة أبينا داود الآتية باسم الرب. أوصنَّا في الأعالي »(مر 11: 9و10). ثم يقول ق. مرقس إن المسيح لمَّا دخل إلى المدينة ودخل الهيكل، « ولمَّا نظر حوله إلى كل شيء إذ كان الوقت قد أمسى خرج إلى بيت عنيا مع الاثني عشر »(مر 11:11). ثم عاد المسيح بعد أن بات في بيت عنيا ودخل المدينة والهيكل، ولكن في الطريق لعن شجرة التين إذ لم يجد فيها ثمراً. وكانت هذه نبوَّة عن إسرائيل التي لم تُخرج ثمراً بعد فلاحتها بالكلمة. وقال: «لا يأكل أحد منك ثمراً بعد إلى الأبد» (مر 11:14)، وقد كان. «ولمَّا دخل يسوع الهيكل ابتدأ يُخرج الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل وقلب موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام ولم يدع أحداً يجتاز الهيكل بمتاع.» (مر 11: 15و16)

أمَّا ق. متى فوصف موكب الدخول إلى أُورشليم بتدقيق جميل: «والجمع الأكثر فرشوا ثيابهم في الطريق وآخرون قطعوا أغصاناً من الشجر وفرشوها في الطريق» (مت 21:8). ولكن ق. مرقس هو الوحيد الذي ذكر "مملكة أبينا داود" في هتاف الجموع، الأمر الذي أثار غضب الكتبة ورؤساء الكهنة. ويقول ق. مرقس: «فطلبوا كيف يُهلكونه لأنهم خافوا إذ بُهت الجمع كله من تعليمه.» (مر 11:18)

ولمَّا صار المساء خرج مع تلاميذه، ولمَّا عاد في الصباح رأوا التينة التي لعنها المسيح فقال له بطرس: «يا سيدي انظر التينة التي لعنتها قد يبست.» (مر 11:21)

ويقول ق. مرقس أيضاً إن المسيح «فيما هو يمشي في الهيكل أقبل إليه رؤساء الكهنة والكتبة

والشيوخ وقالوا له: بأي سلطان تفعل هذا ومَنْ أعطاك هذا السلطان حتى تفعل هذا» (مر 11: 27و28). أمَّا المسيح فهو لا يردّ على الأسئلة أبداً إلاّ بسؤال مُحرج، فأحرجهم لمَّا سألهم عن يوحنا المعمدان هل كان من الناس أم من الله فارتبكوا ولم يجيبوه لأنهم لم يؤمنوا به، ومعروف لدى الشعب أنه كان نبيًّا، فخافوا الشعب وسكتوا. ووجدها المسيح فرصة فتكلّم عن الكرَّامين الأردياء وكيف قتلوا كل الرسل الذين أرسلهم صاحب الكرم ليأخذوا من ثمر الكرم، وأخيراً قتلوا الابن الوحيد المحبوب لمَّا أرسله، فأخذوه وقتلوه خارج الكرم. وسألهم: «فماذا يفعل صاحب الكرم. يأتي ويُهلك الكرَّامين ويُعطي الكرم إلى آخرين ... فطلبوا أن يمسكوه ولكنهم خافوا من الجمع. لأنهم عرفوا أنه قال المثل عليهم. فتركوه ومضوا» (مر 12: 1-12). وكان المسيح واقعياً وعجيباً في هذا المثل إذ وصف قاتليه وهم أمامه ولم يستطيعوا أن يمسكوه لأنهم خافوا الشعب في العيد.

ونحن نستسمح القارئ عذراً لأننا قدَّمنا صورة أكثر تدقيقاً من التي قدَّمها ق. لوقا، ولكن لأن كلاً من ق. لوقا وق. متى أخذ عن ق. مرقس قصة دخول المسيح أُورشليم، فالذي حذفه ق. لوقا اعتنينا أن نسجّله هنا حتى لا يُحرم القارئ من صورة كاملة لدخول المسيح أُورشليم.

والآن نعود إلى ق. لوقا آية آية كالمعتاد.

28:19-31 **«وَلَمَّا قَالَ هذَا تَقَدَّمَ صَاعِداً إِلَى أُورُشَلِيمَ. وَإِذْ قَرُبَ مِنْ بَيْتِ فَاجِي وَبَيْتِ عَنْيَا عِنْدَ الْجَبَلِ الَّذِي يُدْعَى جَبَلَ الزَّيْتُونِ، أَرْسَلَ اثْنَيْنِ مِنْ تَلاَمِيذِهِ قَائِلاً: اِذْهَبَا إِلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمَامَكُمَا، وَحِينَ تَدْخُلاَنِهَا تَجِدَانِ جَحْشاً مَرْبُوطاً لَمْ يَجْلِسْ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ قَطّ. فَحُلاَّهُ وَأْتِيَا بِهِ. وَإِنْ سَأَلَكُمَا أَحَدٌ: لِمَاذَا تَحُلاَّنِهِ؟ فَقُولاَ لَهُ هكَذَا: إِنَّ الرَّبَّ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ».**

«بيت فاجي» معناها: ”قرية التين“، أمَّا «بيت عنيا» فتعني: ”بيت التمر (البلح) أو بيت العناء“. وهي العازرية الآن نسبة إلى لعازر، على بعد ميلين من أُورشليم في الاتجاه الجنوبي الشرقي. وهو المكان الذي تعيَّن لصعود الرب من هناك. ولكن ـ وحسب قول الملاكين (أع 1:11) ـ هل سيكون مكان ظهوره الثاني؟

يأخذ القديس لوقا كل محتويات هذه القصة من إنجيل ق. مرقس، لذلك سنرجع إلى إنجيل ق. مرقس من حين إلى حين لنضع النقط على الحروف. هنا صعوبة المدخل إلى القصة في إحضار الجحش، ولكن أمامنا حلّين: الأول أن القرية هي بيت عنيا حيث يوجد أصدقاء المسيح، وربما رتَّب المسيح مع أصحاب الجحش أنه سيرسل ويأخذه. ولكن الحل الثاني وهو أكثر إلهاماً وهو يتعلّق

بالكلمة التي قالها المسيح هنا عن قصد لتنبيه الأذهان أنه إذا سألكما أحد لماذا تحلاّن الجحش فقولا: «"الرب" محتاج إليه» هنا كلمة السرّ بمعنى أن المسيح يعرف ما سيكون بروحه، وأن كلمة «الرب محتاج إليه» إشارة إلى أن الأمر فائق على السؤال والجواب، بمعنى أن الله قال!! والأمر الآخر الذي فيه تدخُّل إلهي واضح هو أن الجحش إذا لم يتدرَّب على مَنْ يركبه ويسوقه مدَّة لا تقل عن شهر أو أكثر فهو لا يسمح لأحد أن يعتلي ظهره، فكون الجحش لم يجلس عليه أحد قط فهذا أمر آخر للرب تدخُّل فيه. أمَّا النبوَّة الخاصة بهذا الجحش في هذا الوقت فهي واضحة للنبي زكريا: «ابتهجي جداً يا ابنة صهيون اهتفي يا بنت أورشليم هوذا ملكك يأتي إليكِ هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان» (زك 9:9). أول كل شيء هذه نبوَّة عن المسيَّا، وهنا يُذكر موضوع الجحش والوضع الملازم له: "ابتهاج" و"هتاف". والنبوَّة خاصة بأورشليم التي ستستقبل ملكها وديعاً راكباً على جحش. وهذا تمَّ بالحرف الواحد. فالجموع التي خرجت مسرعة تهلّل له كلها من أورشليم، أمَّا الابتهاج فهو ابتهاج الخلاص الذي جاءت أيامه، وأمَّا الهتاف فهو من أجل النصرة التي واتت الشعب بعد موات، «هوذا ملككِ يأتي إليكِ منصوراً»

أمَّا الارتباك الذي حدث بين الشُّرَّاح بسبب ذكر الجحش والأتان الذي جاء في قول ق. متى: «وأتيا بالأتان والجحش ووضعا عليهما ثيابهما فجلس **عليهما**» (مت 7:21)، فالحقيقة وراء ذلك هي أن الأتان يجري وراءها ابنها الصغير (جحش) وهو دائماً بجوارها طالما هي مربوطة.

وبرجوعنا إلى السبعينية وجدنا سر "الابتهاج جداً" وهو أن مجيء الملك يكون بصفته مخلّصاً: "لأن الملك يأتيك عادلاً ومخلّصاً Ð basileÝj œrceta… soi d…kaioj ka^ sèzwn". كذلك نجد نبوَّة ركوب المسيح جحشاً تأتي مبكّرة جداً في سفر التكوين على لسان يعقوب وهو يعطي البركات لأولاده، وهو هنا يتكلّم عن يهوذا السبط الذي جاء منه المسيح: «رابطاً بالكرمة جحشه وبالجفنة ابن أتانه، غسل بالخمر ثيابه وبدم العنب ثوبه» (تك 11:49). هنا ينكشف الوضع المسيَّاني للمسيح لحظة ركوبه الأتان ودخوله أورشليم كما جاءت النبوَّة.

والسؤال هنا على ألسنة العلماء: هل كان المسيح يعلم مضمون دخوله أورشليم راكباً على جحش ابن أتان؟ الجواب نسمعه من المسيح بعد ذلك حينما طلب منه الكتبة ورؤساء الكهنة أن يُسكت الصارخين القائلين: «مبارك الآتي باسم الرب، مباركة هي مملكة أبينا داود» ! فكان رد المسيح كما جاء في إنجيل ق. لوقا أنه «إن سكت هؤلاء فالحجارة تصرخ » بمعنى أن الراكب أمامكم ليس ملكاً وحسب بل يهوه: «أما قرأتم قط من أفواه الأطفال والرُّضَّع هيأتَ تسبيحاً؟»

(مت 16:21)، (مز 8:2). ولمن التسبيح إلاَّ ليهوه الخالق، والمزمور واضح كما كتبه داود: «أيها الرب سيدنا ما أمجد اسمك في كل الأرض حيث جعلت جلالك فوق السموات. من أفواه الأطفال والرضع أسست حمداً. بسبب أضدادك لتسكيت عدو ومنتقم.» (مز 8: 1و2)

واضح هنا أيها القارئ العزيز الانسجام التام بين ما جاء في المزمور وما أراد أن يصفه النبي زكريا وهو يهتف بابنة صهيون، أن اليوم يوم فرحها فملكها المخلّص قد جاءها، هذا المشهد المهيب حرَّك وجدان المسيح ليدرك الحاصل أمامه. لذلك لمَّا طلب أعداؤه أن يُسكت المهلّلين رفع الصورة إلى يهوه الذي يهلّلون له، وينتهي المزمور لتسكيت عدو ومنتقم!! «فإن شهادة يسوع هي روح النبوَّة» (رؤ 19:10). أليس الذي قال هذا قال حالاً: «إنسان شريف الجنس ذهب إلى كورة بعيدة ليأخذ لنفسه مُلكاً ويرجع» (19:11)؟

والقديس يوحنا يقدّم لنا هنا صورة بهيَّة لدخول المسيح: «وفي الغد سمع الجمع الكثير الذي جاء إلى العيد أن يسوع آتٍ إلى أورشليم فأخذوا سعوف النخل وخرجوا للقائه وكانوا يصرخون أوصنَّا مبارك الآتي باسم الرب ملك إسرائيل.» (يو 12: 12و13)

والمسيح سمح بهذه الصورة المسيَّانية المبهجة ليعطي واقعاً حقيقياً للسلام والفرح الذي سيشتريه بدمه سريعاً ليكون ليس لأورشليم الخائنة بل للعالم بجميع أُممه.

35-32:19 **«فَمَضَى الْمُرْسَلاَنِ وَوَجَدَا كَمَا قَالَ لَهُمَا. وَفِيمَا هُمَا يَحُلاَّنِ الْجَحْشَ قَالَ لَهُمَا أَصْحَابُهُ: لِمَاذَا تَحُلاَّنِ الْجَحْشَ؟ فَقَالاَ: الرَّبُّ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ. وَأَتَيَا بِهِ إِلَى يَسُوعَ، وَطَرَحَا ثِيَابَهُمَا عَلَى الْجَحْشِ وَأَرْكَبَا يَسُوعَ».**

هذه الآية البسيطة تقول إنهما وجدا كما قال لهما. هي شهادة عن نبوَّة المسيح التي قالها لهما ليكتشفا مدى صدقها، فالقول هنا ليس كلاماً عادياً بل تحقيق نبوَّة. كذلك سؤال أصحاب الجحش وردّ التلميذين يحمل هو الآخر نوعاً من التورية العجيبة. فـ «الرب محتاج إليه» كلام مقصود بمعنى أن الله يهوه يطلب الجحش، فانصاع أصحاب الجحش دون معارضة. هنا الوضع المسيَّاني يزداد وضوحاً ولكن للأسف لم يفهم التلاميذ شيئاً، مما ضيَّع علينا مقطعاً ثميناً من المعرفة لو كانا قد استدركا الأمر لنا وشرحاه.

ثم إذ ننظر إلى هذه الحركات البسيطة واهتمام كاتب الإنجيل بها هذا الاهتمام الدقيق وفي الأربعة أناجيل، نتيقّن أن وراءها معانٍ دقيقة. فكما قلنا هي شرح مسيَّاني دقيق لدخول ملك

إسرائيل إلى مدينته يطالب بمُلكِهِ، الأمر الذي سينتهي بالقبض عليه وذبحه ويكون في هذا منتهى رضاه وقصد الله. لأنه سيملك بالفعل إنما مصلوباً!!

19:36-38 **«وَفِيمَا هُوَ سَائِرٌ فَرَشُوا ثِيَابَهُمْ فِي الطَّرِيق. وَلَمَّا قَرُبَ عِنْدَ مُنْحَدَر جَبَلِ الزَّيْتُون، ابْتَدَأ كُلّ جُمْهُور التَّلاَمِيذِ يَفْرَحُونَ وَيُسَبِّحُونَ اللهَ بصَوْتٍ عَظِيمٍ، لأجْلِ جَمِيعِ الْقُوَّاتِ الَّتِي نَظَرُوا، قائِلِينَ: مُبَارَكٌ الْمَلِكُ الآتِي باسْمِ الرَّبِّ! سَلاَمٌ فِي السَّمَاءِ وَمَجْدٌ فِي الأَعَالِي!»**

استبدل ق. لوقا أغصان الأشجار وسعف النخل بفرش الثياب على الطريق. وهذا وذاك رمز الطاعة والترحاب والتهليل المناسب لملك قادم. والمنظر أمامنا الآن هو بعد أن بلغ الرَكْبُ قمة جبل الزيتون وابتدأ الطريق ينحدر باتجاه أُورشليم. القديس مرقس هنا أعطى صورة بهيَّة للوضع الذي عمله التلاميذ، إذ قسَّموا أنفسهم مجموعة تسير أمام المسيح ومجموعة تسير خلفه ليبدأوا الأنتيفونا أي التسبيح بالتبادل ـ لم يلتفت إليها ق. لوقا هنا ـ وهي الطريقة في التسبيح التي أخذتها الكنيسة: خورس بحري وخورس قبلي، وهي طريقة التسبيح منذ البدء في إسرائيل. غير أن الخورس الواحد كان معمولاً به قبل التقسيم إلى خورسين. والقديس لوقا هنا يستخدم التسبيح الذي أطلقته الملائكة في ميلاد الرب: «المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام» فجعل المجد والسلام لله في الأعالي:

مبارك الملك الآتي	eÙloghmšnoj Ð ™rcÒmenoj
باسم الرب	Ð basileÝj ™n ÑnÒmati kur…ou
سلام في السماء	™n oÙranù e„r»nh
ومجد في الأعالي	ka^ dÒxa ™n Øy…stoij

كذلك نُلاحِظ أن ق. لوقا أسقط كلمة أُوصنَّا باعتبار أن الإنجيل مقدَّم للأُمم والكلمة عبرية خالصة، فوضع مكانها: «مبارك الآتي باسم الرب» (مز 117:26)، وهو مزمور يُقال للملك عندما يتقدَّم داخلاً الهيكل. واستعاض ق. لوقا عن مباركة مملكة أبينا داود بـ « مبارك **الملك الآتي** باسم الرب » Ð ™rcÒmenoj Ð basileÚj

ويُلاحَظ أن القول بمبارك "الآتي" قول مسيَّاني، فصفة الآتي هي للمسيَّا والسلام رفضته إسرائيل. وقد بكى عليها المسيح (19:41).

19:39و40 **«وَأَمَّا بَعْضُ الْفَرِّيسيِّينَ مِنَ الْجَمْعِ فقَالُوا لَهُ: يَا مُعَلِّمُ، انْتَهِرْ تَلاَمِيذَكَ. فَأَجَابَ وَقَالَ**

لـهُمْ: أقولُ لكُمْ: إنَّـهُ إنْ سَكَتَ هؤلاَءِ فَالْحِجَارَةُ تَصْرُخُ!»

نصيحة من الفرِّيسيين وليس معارضة، ويبدو أن هؤلاء الفرِّيسيين الذين كانوا في وسط الجمع رأوا خطورة المناداة بمملكة داود أو بالملك الآتي فإنها قد تجلب التفات نظر الرومان. وفي الحقيقة نجد أن ق. لوقا هو فقط الذي انتحى بناحية الفرِّيسيين، ولكن ق. متى قال بخصوص الكتبة ورؤساء الكهنة أنهم أبدوا امتعاضاً، لأنهم شعروا أن ذلك يؤذي مشاعرهم هم، لأنهم لا يوافقون على هذا الموكب ولا على هذا النداء (مت 21: 15ـ16)، واعترضوا على هُتاف الأطفال وليس التلاميذ الذين كانوا يهتفون للمسيح أوصنَّا لابن داود. وينتحي بعض العلماء إلى أن الفرِّيسيين لم يظهروا في كل المواقف داخل أُورشليم ولا في الاتهام والمحاكمة.

أمَّا صراخ الحجارة فلها معنى عميق للغاية، فالحجارة وكأنها تعرف مستقبلها لو حوكم المسيح وصُلب فإن النقمة ستطالها، وقد سبق المسيح وأعلن أنه لن يبقى فيها حجر على حجر لا يُنقض. فالحجارة تصرخ لو سكت الأولاد الذين يهتفون بحق ملك إسرائيل وابن داود ومملكة أبينا داود الآتية، لأنها كحجارة فهي شاهدة على عصر النعمة الذي سيضيِّعه الرؤساء والكتبة. ولماذا لا تصرخ الحجارة إن كان رأس الزاوية سيُنقض، فإن حكموا على رأس الزاوية وهدموه فقُل على الهيكل كله الخراب. وصحَّ قول حبقوق النبي: «لأن الحجر يصرخ من الحائط فيجيبه الجائز من الخشب.» (حب 2:11)

(ج) مصير أورشليم
(48-41:19)

هي الوصلة بين موكب المسيح الداخل إلى المدينة، وبين وجوده في الهيكل جالساً يعلّم، فهنا مقطع مهيب. والمنظر هنا لا يزال فيه المسيح بموكبه خارج سور أورشليم لم يدخل بعد، فوقف على المنحدر المطل على أورشليم "وبكى عليها". لم تفتح عينها وأذنها لعريسها، رفضوا كلامه ورفضوه «رفضوني أنا الحبيب مثل ميت.» (مز 37:21و22 حسب النسخة القبطية)

الموكب يهتف: «مبارك الآتي باسم الرب» والرب يبكي على أورشليم التي لم تتعرَّف على ملكها. مأساة شعب وخراب مملكة لأن علماءَها ولاهوتييها وكهنتها ورؤساء كهنتها عميت أبصارهم ولم يتعرَّفوا على الذي طلبوه بدموع مئات السنين بالبكاء والأنين. جاءهم في الميعاد والمكان المحدَّد ولكنهم عميوا عن معرفته. رثاها الرب مرَّتين بحسب إنجيل ق. لوقا (35:13 و41:19) والمرَّة الثالثة حزن لما حزنت عليه نساؤها وبكين، حزن عليهن لأنه رآهن تحت يد جنود تيطس يُذبَحْنَ وأولادهن (28:23) ـ وهذه اختصَّ بها ق. لوقا دون غيره.

أورشليم واسمها مدينة السلام ما عرفت ما هو لسلامها يوم السلام، عميت عينها عن عريسها الذي جاءها حسب الميعاد لأنه وجدها لاهية مع عُشّاقها في السرقة والزنا والكبرياء. جاء حاملاً لها الصلح مع باريها فذبحته خارج أسوارها.

الأعمى ابن طيما تعرَّف عليه (41:18) وما تعرَّفت هي! السامرية بشَّرت به، وأورشليم افترسته ونكّلت به. رآها والمترسة تحيطها ومعاول الهدم تهدمها على بنيها وهم فيها هدماً حتى التراب، فلا يتبقّى فيها حجرٌ يحكي عن ماضيها. وجاز عليها ما جاز على بابل: «طوبى لمن يمسك أطفالك ويضرب بهم الصخرة» ! (مز 9:137)

وحقَّ على أورشليم ما نطق به إرميا: «هكذا قال رب الجنود: اقطعوا أشجاراً أقيموا حول أورشليم مترسة. هي المدينة المعاقبَة، كلُّها ظلم في وسطها. كما تُنبع العين مياهها هكذا تُنبع هي شرَّها: ظُلْمٌ وخطفٌ يُسمع فيها أمامي دائماً (دفتر أحوال يومية) مرضٌ وضربٌ. تأدَّبي يا أورشليم ...» (إر 6: 6-8)

1 ـ المسيح يبكي على أورشليم

القديس لوقا وحده (44ـ41:19)

41:19 **«وَفِيمَا هُوَ يَقْتَرِبُ نَظَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَبَكَى عَلَيْهَا».**

نظرة المسيح ليست كنظرتنا، فقد رأى ماضيها كله في لحظة، رأى أيام سلامها وعزّها ورأى هيكل سليمان وأُبّهته، رأى أيام سلامها وفرح أجيالها المتعاقبة بأمجادها، ورأى إثمها وفجورها وجهالة معلّميها الذين أخفوا عنها يوم سلامها. رأى كهنتها يلبسون الإثم وليس البر، ورؤساء كهنتها حانثون ومراءون يحكمون بالظلم ويقبلون الرشوة، يقتلون الأنبياء ويرجمون المُرسلين. ثم رأى مصيرها المحتوم وهي تُحرق بالنار وتُهدم حتى التراب. وكيف لا يبكي؟ لم يَبكِ سرًّا ودموعه محبوسة بل بكاها بنحيب كنحيب مرّ النفس æklausen بالصوت المسموع، منظر لا يُطاق. وكيف كان؟

42:19 **«قَائِلاً: إِنَّكِ لَوْ عَلِمْتِ أَنْتِ أَيْضاً حَتَّى فِي يَوْمِكِ هذَا مَا هُوَ لِسَلاَمِكِ. وَلكِنِ الآنَ قَدْ أُخْفِيَ عَنْ عَيْنَيْكِ».**

«إنكِ لو علمتِ»:	ما أقدمْتِ عليه من عمل سيقضي عليكِ وينهي تاريخكِ المجيد كله وينزل هيبتكِ إلى التراب!
«أنتِ أيضاً»:	مدينة الملك العظيم، مدينة الحب والسلام، مدينة الماضي السحيق والمستقبل الذي انتهى يومه.
«حتى في يومكِ هذا»:	وعريسكِ واقف على بابكِ آتٍ ليخطبكِ عاصمة الدنيا وقصبة الديار قاطبة فخنقتِ يومكِ بيدكِ.
«ما هو لسلامكِ»:	الذي وقف بك معه عهد سلام أبدي، رئيس السلام يُدعَى، فاديكِ يُناديك والخلاص بين يديه.
«ولكن الآن قد أخفي عن عينيكِ»:	أخفي عليكِ لتكمّلي إثمكِ وتختمي على شرّكِ وتذبحي عريسكِ ليكمُل كيلكِ.

43:19و44 **«فَإِنَّهُ سَتَأْتِي أَيَّامٌ وَيُحِيطُ بِكِ أَعْدَاؤُكِ بِمِتْرَسَةٍ، وَيُحْدِقُونَ بِكِ وَيُحَاصِرُونَكِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، وَيَهْدِمُونَكِ وَبَنِيكِ فِيكِ، وَلاَ يَتْرُكُونَ فِيكِ حَجَراً عَلَى حَجَرٍ، لأَنَّكِ لَمْ تَعْرِفِي زَمَانَ افْتِقَادِكِ».**

أقام الرومان سوراً من الحجر (مترسة) يحيط بالمدينة حتى لا يفلت أحد. وهكذا دخلت أورشليم الحصار المريع وأُنشئت حولها الاستحكامات (يحدقون بكِ) حتى لا يوجد منفذ من جميع الجهات وكأنها قبضة من يد حديدية على رقبتها. وهكذا دخلت في مصائب المجاعة في الداخل التي كانت بالنسبة للمدينة أقوى تخريباً من المدافع، أكلوا القطط والكلاب والحمير وذبحوا الأطفال وأكلوها. هذا هو المنظر الذي رآه المسيح وبكى عليه!

وإذ لم تسلِّم المدينة بدأ هدم الأسوار لينزل الحجر الذي وزنه عدة أطنان يتدحرج ليسحق أمامه كل حي. وأُسقطت جميع الأسوار حتى دكُّوا بها المدينة من الداخل ـ وأبقى تيطس جزءاً من السور الشرقي لم يهدمه، لكي يرى العالم ويتعجَّب كيف هدم تيطس هذه الأسوار. والأمر الذي يندهش له العالم الآن أنه لا توجد حجارة من الهيكل ولا أي أثر له لأن الأمر صدر بحرث الأرض حرثاً. وتمَّ الأمر الإلهي فلم يبقَ في المدينة حجرٌ قائماً!

والمسيح يعزو ذلك إلى أنها لم تعرف زمن افتقادها بمجيء المسيح لأنه جاءها بالسلام والخلاص فذبحته!! أمَّا أوصاف الحصار والهجوم عدَّة مرَّات وعدد القتلى وحرق الهيكل وذبح الكهنة وحال المدينة إلى أن أُخليت نهائياً من كل اليهود فهذا ليس مكانها، ولكن ليس صعباً على القارئ أن يتصوَّرها(235).

2 ـ تطهير الهيكل

(19:45و46)

(مت 21:12-14)
(مر 11: 15-17)
(يو 2: 13 - 17)

تأتي القصة باختصار شديد عند ق. لوقا، ولكن عند ق. مرقس تأتي واضحة ومهيبة (11:15-17)، ولا تحمل هذه العملية كلها أي توضيح من قريب أو بعيد إلى أن الهيكل سيُستخدم بعد ذلك. فالتطهير هنا معنوي محض ولكن قام به المسيح كعمل رسمي قبل أن يعلِّم في الهيكل، وقد أتى بنتيجة سلبية مطلوبة وهي سلوك الكهنة والقادة ضد المسيح ليَكْمُلَ مكيالهم. والقديس مرقس يوضِّح من موقع القصة أنه احتسبها على أنها إشارة مسبقة لهدم الهيكل، ولكنها عملية تطهير يمكن

(235) يمكن الرجوع إلى وصف يوسيفوس المؤرِّخ لهذه الحوادث المريعة التي عاصرها، في كتابنا: "تاريخ إسرائيل"، تحت عنوان: "الحرب اليهودية" (صفحة 323).

احتسابها إرجاع المقدَّسات إلى عملها الصحيح طالما المسيح فيها. فهو عمل أُخروي أكثر منه زمني، وهذه هي نظرة ق. لوقا التي سنتوسَّع فيها.

45:19و46 **«وَلَمَّا دَخَلَ الْهَيْكَلَ ابْتَدَأَ يُخْرِجُ الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ فِيهِ قَائِلاً لَهُمْ: مَكْتُوبٌ أَنَّ بَيْتِي بَيْتُ الصَّلاَةِ. وَأَنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَغَارَةَ لُصُوصٍ».**

أمَّا القول بأنه مغارة لصوص فهو بسبب التخفّي تحت ستار الدين واستنزاف مال الشعب وعطاياه لحساب العاملين فيه وخاصة حنَّان رئيس الكهنة. وعبارة «مغارة لصوص» هنا سبق أن جاءت في (إر 11:7): «هل صار هذا البيت الذي دُعي باسمي عليه **مغارة لصوص**» ويبدو أن المسيح قال هذا لمَّا استفزَّه الرؤساء الذين حضروا ورأوا وسمعوا بما يعمله المسيح وسألوه لماذا يصنع هذا.

والقديس لوقا يتبع إنجيل ق. مرقس في كل كلمة ولكن باختصار. فالقديس لوقا يجعل المسيح يدخل من أُورشليم إلى الهيكل مباشرة ويحذف قصة شجرة التين.

ويختص التطهير بالباعة داخل الهيكل ورواق الأمم الذي يشغله التجَّار والحيوانات والطيور التي للذبح ومواد الخدمة من زيت وخمر وملح وهكذا.

والمسيح استخدم نبوَّة إشعياء مع نبوَّة إرميا التي سبق ذكرها (إر 11:7): «آتي بهم إلى جبل قدسي وأُفرِّحهم في بيت صلاتي وتكون محرقاتهم وذبائحهم مقبولة على مذبحي لأن بيتي بيت الصلاة يُدعى لكل الشعوب.» (إش 7:56)

3 ـ المسيح يعلِّم داخل الهيكل

(47:19و48) (مر 18:11)

أقبل الشعب على تعليم المسيح في الهيكل وحتى الرؤساء كانوا يسمعونه، وواضح أنه مكث فترة في أُورشليم كان يعلِّم بالنهار ويذهب إلى بيت عنيا يبيت هناك. وفي هذه المدَّة تشاور رؤساء الكهنة مع الكتبة كيف يقتلونه. والمُلاحَظ أن الفرِّيسيين لم يكونوا راضين عن أعمال رؤساء الكهنة والكتبة، فلا نسمع عنهم في هذه المؤامرات. ولكن ظهر عنصر مناوئ جديد وهو "وجوه الشعب" أي الأراخنة، ولكن لم يستطيعوا أن يجمعوا أسباباً لقتله لأن الشعب كان يلازمه ويسمع له بحماس.

47:19 **«وَكَانَ يُعَلِّمُ كُلَّ يَوْمٍ فِي الْهَيْكَلِ، وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ مَعَ وَجُوهِ الشَّعْبِ يَطْلُبُونَ أَنْ يُهْلِكُوهُ».**

هذا الكلام مرادف لما جاء في إنجيل ق. مرقس (18:11)، إلاَّ أن ق. لوقا اهتمَّ ببعض النقاط التي يراها ذات قيمة. وبتدوين ق. لوقا هذه الأقوال دخلت بالضرورة في موضعها التاريخي الدقيق الذي اهتمَّ به ق. لوقا بالدرجة الأولى وهو: ما هي الأعمال التي قام بها المسيح في آخر أيامه في أورشليم؟ وبقوله «كل يوم» يتضح نوع التسلسل في التعليم لفترة محدودة ـ ولكن لا يذكر هنا أشفية، وصيغة التعليم في هذه الأيام كانت على مستوى الإدانة وتطهير الهيكل وهذا أنشأ بدوره بؤرة جديدة للمقاومة والمساءلة، ودخل رؤساء الشعب مع المقاومين وهم العنصر الثالث في السنهدرين. وعلى كل حال ففي هذه الفترة كوَّن المقاومون رأيهم بضرورة قتله.

48:19 **«وَلَمْ يَجِدُوا مَا يَفْعَلُونَ، لأَنَّ الشَّعْبَ كُلَّهُ كَانَ مُتَعَلِّقاً بِهِ يَسْمَعُ مِنْهُ».**

أصبح الشعب الذي يسمع التعليم كل يوم حائلاً ضد أي عمل عدائي للمسيح في هذه الأيام، لأن الشعب كان قد تعلّق بالمسيح. وهكذا أظهر الشعب وهو يعبِّر عن الأمة اليهودية كشعب الله أنه مع المسيح ضد رؤساء الكهنة، ولكن السلطان الكهنوتي استطاع باتصاله بالرومان أن يُضعِف قوة الشعب ويُوقِف مشاعره. أمَّا المسيح فظلَّ يُعلِّم. لذلك نجد أن ق. لوقا شدَّد على هذه الفترة من عمل المسيح في أورشليم أكثر من ق. مرقس.

الأصحاح العشرون:

(د) تعاليم المسيح في الهيكل
(4:21-1:20)

هذا القسم يرجع إلى الآية الأخيرة من الأصحاح السالف (47:19و48) التي تُعتبر مدخلاً لهذا الجزء الذي خصَّصه ق. لوقا للمسيح والهيكل: وهو يُعتبر من الأهمية بمكان حيث يُعتبر المرحلة الوسيطة بين العبادة القديمة بعيوبها وبين العبادة الجديدة القائمة على أُسس مُستمدَّة من القديم.

يفتتح هذا القسم برفض المسيح من الرئاسات الهيكلية (47:19-19:20) الذي انتهى بنبوَّة المسيح عن خراب الهيكل (5:21-38). والقسم الباقي يشتمل على أربع روايات،

ثلاثٌ منها عبارة عن محاورات داخل الهيكل وواحدة تحمل قضاء المسيح على المرائين من رجال الدين (20:45-21:4). أمَّا المحاورات داخل الهيكل فهي كما جاءت أيضاً في إنجيل ق. مرقس تحوي:

1 ـ سؤالاً قانونياً: (20:20-26) هل يجوز أن تُعطى الجزية لقيصر؟

2 ـ سؤال استهزاء: (20:27-40) الصدوقيين وامرأة الرجل الميت.

3 ـ مشكلة تحتاج إلى شرح: (20:41-44) عن ابن داود ورب داود.

ويمدنا العالِم ت. و. مانسون(236) بأن ق. مرقس جمع كل حوادث الأيام الأخيرة في أورشليم في فترة وجيزة، في حين أنها قد حدثت بالفعل في فترة أطول بحوالي ستة شهور بدأها بتطهير الهيكل في عيد المظال. ولكن إذا عدنا إلى ما قدَّمه ق. لوقا عن هذه الفترة نجدها تحتاج إلى مدَّة أكبر في خدمة المسيح بأورشليم. وقد أمدَّنا ق. لوقا بروايات لها طابعها الأورشليمي تؤكّد أن هذه الفترة كانت أطول. وقد قدَّم ق. لوقا بعض هذه الروايات التي قالها في أورشليم في عرض كلامه في الأصحاحات السابقة مثل: (13:1-9) عن الجليليين الذين خلط بيلاطس دماءَهم بذبائحهم والذين سقط عليهم برج سلوام، فهذه الحوادث حدثت في أورشليم. كذلك (13:43) التي نعى فيها أورشليم التي

(236) T. W. Manson, *BJRL (Bulletin of the John Rylands Library)*, 33, 1950-1, 271-282.

قتلت الأنبياء والمُرسلين، هذا حديث قيل في أورشليم ولكنه دخل نسيج الإنجيل في غير موضعه التاريخي. كذلك (14:1-24) قصة في بيت رئيس الفرّيسيين وواضح أنها في أورشليم، أو (18:9-14) عن الفرّيسي والعشَّار اللذين وقفا يُصلّيان في الهيكل، فهذا سرد أورشليمي. كل هذا يعطينا صورة عن فكر ق. لوقا في جعل التقليد الأورشليمي بارزاً للغاية في كل إنجيله.

كذلك نشعر من روايات ق. لوقا أن مبدأ رفض المسيح يحتل مكانة كبيرة في اعتقاده من واقع إنجيله، وهو ذو نبرة عالية تمتد على مدى الإنجيل. لذلك نشعر أن الرب في ذهابه إلى الهيكل ليطهّره كان يمتلك عليه فكر تجديده، ولكن للحال واجه عاصفة من المقاومة بدلاً من أن يشعروا بأنها حركة مسيَّانية بالدرجة الأولى. فالمسيح في كل حياته على الأرض لم يعمل عملاً يكشف أنه مسيَّا مسيح الله بالحق أكثر من دخوله الهيكل وتطهيره والإعلان أن «بيت أبي» بيتي بيت الصلاة يُدعى!! ولكنه قَبِلَ المقاومة والرفض كجزء هام في رسالته الفدائية، وصبَّ دينونة الله على العبادة اليهودية المزيَّفة وهيكلها.

الأيام الأخيرة في الهيكل عند ق. لوقا:

الذي ينبغي أن نضعه في اهتمامنا أن ق. لوقا انفرد باتجاه خاص في تكريم الهيكل وركّز على التعليم فيه بصورة شديدة، وعندما تكلّم عن تطهيره كان يقصد ما سيسلّمه الهيكل من العبادة الصادقة للكنيسة. وأوضح ق. لوقا بصورة بارعة أهمية الهيكل في العبادة والمستوى الذي يجب أن تكون عليه هذه العبادة والتعليم الذي سترثه الكنيسة من بعده، حتى أنه لمَّا نادى بخرابه كان الأساس الذي بنى عليه هذا الشعور المعادي واليائس من الهيكل أنه بخرابه تقوم العبادة الحقّة في الكنيسة التي ترثه، ولمَّا بكى المسيح عليه لم يبكِ بكاء اليائس بل بكاء مَنْ أراد أن يسلّم المدّخرات الإلهية ذات التاريخ الحافل بأعمال الله ومحبته وبركاته، يسلّمها للكنيسة في أوج بهائها وجمالها وليس بعد خراب ودمار، لذلك بكى على عمل يديه. ولكن الذي وقف في الوسط ومنع هذا التسليم والتسلُّم هم طبقة المعلّمين والكهنة والمرائين من الشعب.

ونذكّر القارئ بالصور الجميلة التي تبرز هذا الهدف البديع، إذ أن الهيكل احتفى بأول ملاك يبشّر بالمعمدان وبالتالي بالعهد الجديد للكاهن زكريا أثناء رفع البخور. بهذه اللمحة الإلهية يرتفع الهيكل والكاهن والبخور إلى داخل العهد الجديد. وأول نبوَّة عن المسيح المخلّص نطقها سمعان الشيخ وهو واقف داخل الهيكل، وحنّة النبيَّة تنبَّأت برؤيا تحقّقت بمجيء الملكوت الذي صلّت وصامت من أجله 84 سنة داخل الهيكل لم تفارقه، والمسيح تحاجج وهو صبي ابن اثنتي عشرة سنة مع الشيوخ داخل

الهيكل ودعاه: «ما لأبيه» بل وإرسالية المسيح برمَّتها كانت متعلّقة بالهيكل. لذلك أثناء تطهيره له كان يعمل ويطرد ويهدّد كمن يعمل لبيته، ولم يجحد في الهيكل إلاّ رؤساءه.

والقديس لوقا لم يقبل التهمة التي لصقت بالمسيح بأنه يهدمه، فلم يذكرها في إنجيله حتى ذكرها في سفر الأعمال على لسان ق. استفانوس في دفاعه عن صحة معناها النبوي. لذلك يرى ق. لوقا أن تطهير الهيكل كان عملاً مسيَّانياً للإعداد للهيكل الجديد حسب النبوَّة التي ذكرت ذلك كعلامة ملازمة لأيام المسيَّا (زك 21:14)؛ حيث أُورشليم كلها تكون قدساً للرب: «وكل قِدْرٍ في أُورشليم وفي يهوذا تكون قدساً لرب الجنود» فوجود المسيح في الهيكل وهو يطهّره كان عملاً أُخروياً بالدرجة الأُولى، فالقديم يزول ويأتي الجديد القائم على أساس شخصه هو، فهو يتكلّم باعتباره أنه هو «الهيكل الجديد» والمسيح باعتباره المرفوض من الهيكل كان هو حجر الزاوية الذي رفضه البناؤون ليكون هو أساس الكنيسة الهيكل الجديد بلا حجر أو أعمدة؛ وقد ذكرها ق. لوقا في (17:20).

فمجمل أعماله في الهيكل وما تمَّ فيه وما تمَّ له بحسب ق. لوقا هو أول تخطيط لتاريخ الفداء، حيث الساعات الأخيرة تمثّل زوال حقبة زمنية كبرى ليحل محلها عصر المسيَّا للعهد الجديد. وعلى القارئ أن يكون شديد الحساسية وهو يقرأ ويسمع جميع الفصول، فهي كلها تتحرَّك ناحية النهاية لتظهر من أعماقها البداية الجديدة، حيث الجديدة تتعالى على الزمن، وكأن القراءات الأخيرة هي بعينها كل النبوّات متركّزة لتشير إلى المسيَّا المكتوب عنه في ناموس موسى والأنبياء والمزامير. هذه الحركة السرِّية من تحت القراءات يحسّها الإنسان الواعي.

لقد التصق المسيح بالهيكل في الأيام الأخيرة بصورة محسوسة: «وكان يعلّم كل يوم في الهيكل» (47:19)، «وكان كل الشعب يبكّرون إليه في الهيكل ليسمعوه» (38:21). حيث أخذ المسيح الصورة المحبَّبة إليه: "المعلّم"، فلم يعمل آيات أو أشفية بل كان يعلّم، بمعنى أنه يضع أساس العهد الجديد. وإن كان ق. لوقا لم يفصح هنا عن هذا الانسلاخ السرِّي غير المنظور من الهيكل إلى الكنيسة فقد أفرد له سفراً بأكمله وهو "سفر أعمال الرُّسل"، وإن كان قد نسبوه "للرُّسل" ولكنه هو أصلاً أعمال المسيح بروحه القدوس في الشعب الجديد. على أن كل مقاومة وكل معارضة وكل رفض للمسيح كان بمثابة تأكيد دائم لحتمية زوال العنصر الفاسد في العبادة لحساب الجديد الذي سيخرج من كيانه بسفك دمه، لذلك تقبَّل المسيح الرفض كضرورة يُوجبها هذا الانتقال الهائل من القديم للجديد.

1 ـ اصطدام المسيح مع رؤساء الهيكل

(20:1ـ8)

(مت 21:23ـ27)
(مر 11:27ـ33)

من أبرز الاتجاهات التعليمية التي انفرد بها ق. لوقا في إنجيله في هذا الأصحاح بالذات هو ازدياد التركيز على التصادم القائم بين الرؤساء والمسيح بحضور الشعب ليسمع ويرى ويحكم. وغالباً ما انحاز إلى المسيح علانية، الأمر الذي جعل الرؤساء والحُكَّام يخافون من الاقتراب من المسيح. وظهر هذا التصادم خاصة في ثلاثة مواضع (20:1ـ8و19ـ26و27ـ40). أمَّا في باقي الأصحاح فيتَّجه بالتعليم النبوي الذي يفضح رياء المقاومين له ويحقّر من سلطانهم وخاصة في المواضع (20:9ـ18و41ـ44)، (20:45ـ47)، (21:1ـ4)؛ وبعد ذلك فإن دخوله الهيكل رفع من حدَّة المواجهة حتى جعلها مأساة شعب يُعارك إلهه!! وهذه أدركتها الكنيسة الأُولى كنوع من الانتصار المسيَّاني ضد رؤساء الهيكل.

20:1و2 **«وَفِي أَحَدِ تِلْكَ الأَيَّامِ إِذْ كَانَ يُعَلِّمُ الشَّعْبَ فِي الْهَيْكَلِ وَيُبَشِّرُ، وَقَفَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ مَعَ الشُّيُوخِ، وَكَلَّمُوهُ قَائِلِينَ: قُلْ لَنَا بِأَيِّ سُلْطَانٍ تَفْعَلُ هذَا! أَوْ مَنْ هُوَ الَّذِي أَعْطَاكَ هذَا السُّلْطَانَ؟»**

يُلاحِظ القارئ هنا أن مراجعة رؤساء الكهنة للمسيح ليست بخصوص تطهير الهيكل هنا، بل بخصوص تعليمه الرسمي داخل الهيكل دون أن يكون رابِّيًّا رسمياً، ولكن كان هذا الهجوم يحمل الإحساس بالمهانة في تطهيره للهيكل. وهنا يذكر ق. لوقا الثلاث هيئات التي يتكوَّن منها السنهدرين، حيث الشيوخ هم الحكَّام رؤساء الشعب. علماً بأن ق. لوقا وحده هو الذي يذكر أن التصادم كان بخصوص التعليم داخل الهيكل رغماً عنهم لأن الشعب كان متعلّقاً به (19:47). ويُلاحَظ أن ق. لوقا كان يهتم جداً باتجاه الشعب المناصر للمسيح، فنجد أنه يذكر كلمة الشعب أكثر من ثمانين مرَّة في إنجيله وسفر الأعمال.

20:3و4 **«فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: وَأَنَا أَيْضاً أَسْأَلُكُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً، فَقُولُوا لِي: مَعْمُودِيَّةُ يُوحَنَّا، مِنَ السَّمَاءِ كَانَتْ أَمْ مِنَ النَّاسِ؟»**

يُلاحَظ أن المسيح يسأل المسئولين عن تعليم الشعب مما يفضح قصورهم القاتل بالنسبة للشعب،

إذ لم يكشفوا للشعب أهمية يوحنا المعمدان ولا قدَّموه كنبي ولا قبلوا رسالته، وهذا هو الذي جعل الشعب لا يأتي للمسيح يطلب الإيمان بعد تكميل التوبة. فالخطية هنا على رؤوس المعلّمين الذين جحدوا المعمدان وهو نبي عند كل الشعب، مما يثبت أن الشعب كان عنده استنارة أكثر من الرؤساء والمعلّمين، أمَّا الرؤساء والمعلّمين فقد وقفوا عثرة في طريق الشعب، بالنسبة للمسيح وقبول رسالته كمسيًّا. ولكن بالرغم من هذا الكشف المخجل لهم بسؤالهم عن معمودية يوحنا لم يقووا على إعلان ما عملوه وأضمروه أنهم لا يؤمنون بمعمودية يوحنا ـ فهم معلّمون لصوص ـ بل قالوا لا نعلم كأطفال سنة أُولى. من هذا تربَّى في نفوسهم الخوف من الشعب، لأن الشعباعتمد واستنار وتاب وهم رفضوا مشورة الله. لذلك نحسب أنهم برفضهم المعمدان والمعمودية فقد فقدوا رسالتهم رسمياً أمام الله.

هنا يتكلّم المسيح عن كل رسالة المعمدان، ومعروف أن المسيح تقبَّل المعمودية منه وصرَّح المعمدان بأن المسيح كان قبْلهُ، وأنه بشّر بالملكوت قبله. والآن المسيح يسألهم بلسان المعمدان أن يُخبروا هل معموديته كانت من السماء أم من الناس. والإجابة على هذا السؤال شرط أساسي ومنطقي أيضاً ليقول لهم بأي سلطان يفعل هذا. والمسيح أوقعهم في هذا المأزق لأنهم رفضوا المعمدان ورفضوا أن يعتمدوا منه. علماً بأن الذي يوافق على أن المعمدان من السماء يوافق حتماً على المسيح أنه المسيًّا، لأن المعمدان جاء قبله ليشهد له حسب المكتوب. واضح هنا أن المسيح قد صاغ سؤاله حسب تدبير الله نفسه في إرساله المعمدان قبله ليُعدَّ له القلوب.

20:5-8 «**فَتَآمَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ قَائِلِينَ: إنْ قُلْنَا مِنَ السَّمَاءِ، يَقُولُ: فَلِمَاذَا لَمْ تُؤْمِنُوا بِهِ؟ وَإنْ قُلْنَا: مِنَ النَّاسِ، فَجَمِيعُ الشَّعْبِ يَرْجُمُونَنَا لأَنَّهُمْ وَاثِقُونَ بَأَنَّ يُوحَنَّا نَبِيٌّ. فَأَجَابُوا أَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مِنْ أَيْنَ. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: وَلاَ أَنَا أَقُولُ لَكُمْ بِأَيِّ سُلْطَانٍ أَفْعَلُ هذا**».

سؤال المسيح ليس فيه أي مكر أو خديعة، ولا هو اجتهاد منه أو مجرَّد منطق يوقعهم في الارتباك. ولكن المسيح يسأل بسلطان الله، لأن الذي آمن واعتمد حتماً يقبل المسيح ويعلم أن سلطانه من السماء، من حيث جاء. وكما يقول ق. يوحنا إن مَنْ لا يؤمن به يمكث عليه غضب الله، ليس افتراءً أو اعتباطاً ولكن على أساس أن البشرية جمعاء صارت تحت اللعنة وغضب الله. فالذي يؤمن بالفادي والمخلّص يخرج حتماً من تحت الدينونة والغضب الإلهي، ومَنْ لم يقبل الفادي والمخلّص يمكث عليه تلقائياً غضب الله. فالآن واضح أن هؤلاء الحكّام والرؤساء رفضوا جميعاً معمودية يوحنا، فبالتالي شاءوا أو أبوا، هم رافضون للمسيح والله، إذ تلزم التوبة قبل الإيمان

بالمسيح، إمَّا على يدي المعمدان أو على يدي المسيح نفسه. فبقول هؤلاء (المرفوضين) أنهم لا يعلمون يكونون قد حكموا على أنفسهم برفض الله لهم. لذلك قالوا إنهم لا يعلمون حقًّا. ولذلك أصبح للمسيح الحق أن لا يفتح لهم بابه أو يتكلّم عن سلطانه.

2 ـ مَثَل الكرَّامين الأردياء

(19-9:20)

(مت 21:33-46)
(مر 12: 1 ـ 12)

12-9:20 **«وَابْتَدَأَ يَقُولُ لِلشَّعْبِ هذا الْمَثَلَ: إِنْسَانٌ غَرَسَ كَرْماً وَسَلَّمَهُ إِلى كَرَّامِينَ وَسَافَرَ زَمَاناً طويلاً. وَفِي الْوَقْتِ أَرْسَلَ إِلى الْكَرَّامِينَ عَبْداً لِكَيْ يُعْطُوهُ مِنْ ثَمَرِ الْكَرْمِ، فَجَلَدَهُ الْكَرَّامُونَ وَأَرْسَلُوهُ فَارِغاً. فَعَادَ وَأَرْسَلَ عَبْداً آخَرَ. فَجَلَدُوا ذلِكَ أَيْضاً وَأَهَانُوهُ وَأَرْسَلُوهُ فَارِغاً. ثُمَّ عَادَ فَأَرْسَلَ ثَالِثاً. فَجَرَّحُوا هذا أَيْضاً وَأَخْرَجُوهُ».**

ألقى المسيح هذا المَثَل هنا على الجمع الواقف، وفي إنجيل ق. مرقس ألقاه على أعضاء السنهدرين. ولكن كان الشعب أيضاً سامعاً. وأول ما نُلاحِظ في هذا المَثَل أن المسيح أعطى لرؤساء السنهدرين والشعب وظيفة الأجير الذي عليه أن يقدِّم المحصول في أوانه. وفي هذا مجابهة شديدة لأعضاء السنهدرين والشعب لأنهم اعتبروا أنفسهم أصحاب الهيكل والديانة وليس من فوقهم أحد. وهنا يضعهم المسيح موضع الأجير العامل بالأجر الذي يقدّم نتيجة العمل لصاحب العمل. هذا أول التحدِّي والكشف عن موقف السنهدرين من الله.

وقوله إنه سافر زماناً طويلاً لا ينطبق على الزمان الذي قبل ظهوره الثاني، بل يعني احتمال الله طويلاً واختبار هذا الشعب من على بُعد. وبعد هذا الاحتمال والزمان الطويل أرسل ابنه «لمَّا كمل الزمان» بحسب نداء المسيح (مر 15:1). وقد عبَّر عنها هنا في الآية (10) بعبارة: **«وفي الوقت»**.

ثم ثاني مأخذ على أُولئك الكرَّامين أنهم أرسلوا العبد فارغاً بعد أن جلدوه، فهنا الجلد هو بمثابة رسالة مفتوحة لصاحب العمل ـ الله ـ أن هؤلاء الكرَّامين على نيَّة مبيَّتة للاستيلاء على الكرم وعدم إرسال ثماره، ومعناه فك العقد وإعلان العصيان.

ثم إذ عاملوا العبد الثاني بنفس المعاملة يكون ذلك إنذاراً أخيراً ليفهمه صاحب الكرم أنهم ليسوا أُجراء بعد ولكن لهم ادِّعاء بالملكية. والثالث الذي أرسله قتلوه تأكيداً للعصيان الرسمي. فالمُلاحَظ أن

كل إرسالية يرسلها صاحب الكرم تلقى تحرّشاً وقسوة أكثر من التي قبلها، لأن رؤساء اليهود فعلاً ازدادوا بمرور الأيام بُعداً عن عهد الله وجحوداً لوصايا الله ومصالح الشعب الروحية. وصِدْق الله في إرساليته لابنه واضح جداً وصِدْق الابن في رسالته أشد وضوحاً. ولا ننسى أن بكاءه على أورشليم يكشف مدى جدية البعثة السلامية التي جاء ليكمّلها، وتكراره كم مرَّة أردت أن أجمع بنيك فيك تشهد على إرادة الآب والابن لتجديد إسرائيل ومحاولة السمو بها إلى مستوى الخلاص. ولكن قسوتهم وحمقهم هو الذي حوَّل المعلّم إلى ذبيحة!! والآب قَبِلَ التحدِّي وفرَّط في الابن، والابن قَبِلَ القتل ولكن على أساس الإنهاء على هذا الشعب برؤسائه.

15-13:20 **«فَقَالَ صَاحِبُ الْكَرْمِ: مَاذَا أَفْعَلُ؟ أُرْسِلُ ابْنِي الْحَبِيبَ. لَعَلَّهُمْ إِذَا رَأَوْهُ يَهَابُونَ! فَلَمَّا رَآهُ الْكَرَّامُونَ تَآمَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ قَائِلِينَ: هذَا هُوَ الْوَارِثُ. هَلُمُّوا نَقْتُلْهُ لِكَيْ يَصِيرَ لَنَا الْمِيرَاثُ. فَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْكَرْمِ وَقَتَلُوهُ. فَمَاذَا يَفْعَلُ بِهِمْ صَاحِبُ الْكَرْمِ؟»**

واضح بحسب الفكر اليهودي أن رائحة المسيَّا هنا تعطّر الجو كله: ابني الحبيب أي الوحيد أرسله، وكل ما كان ينتظره صاحب الكرم أن يعمل مصالحة ويعيد الكرَّامين إلى صوابهم، ويؤسِّس الابن علاقة أكثر أمانة ويطالب بحق المالك فيما له. ولكن يبدو أن طول مدَّة غياب صاحب الكرم أثار فيهم روح الطمع والتوحُّش. "فتآمروا" وهي الكلمة الكثيرة الاستخدام في حياة الأشرار، تآمروا وتآمُرهم هذه المرَّة جاء ضد الله وأخذوا ابنه وحيده وقتلوه خارج أورشليم.

16:20 **«يَأْتِي وَيُهْلِكُ هؤُلاَءِ الْكَرَّامِينَ وَيُعْطِي الْكَرْمَ لآخَرِينَ. فَلَمَّا سَمِعُوا قَالُوا: حَاشَا!»**

ولكن في الحقيقة ليس حاشا، بل قد أرسل الآب ابنه الوحيد الحبيب هذا لينهي الوعد الأول ويقطع العهد الذي تعهَّد به لإسرائيل: «هكذا قال الرب: أين كتاب طلاق أمكم التي طلّقتها ... هوذا من أجل آثامكم قد بُعتم ومن أجل ذنوبكم طُلّقت أُمكم» (إش 1:50). وبالدم الذي سفكوه يكتب بأصبعه وثيقة العهد الجديد، ويسلّم الكرم ليس لأجراء بعد بل لرعية القديسين وأهل بيت الله، الذين فداهم الابن بالدم المسفوك خارج باب أُورشليم وصالحهم مع الآب وأعطاهم حق بنوَّته للآب، ووهبهم روحه القدوس الذي قدَّسهم للآب أبناءً جدداً بشبه الابن وبروحه، والكرم الجديد جسده أورشليم الجديدة موطنها عنده.

17:20و18 **«فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَقَالَ: إِذاً مَا هُوَ هذَا الْمَكْتُوبُ: الْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ. كُلُّ مَنْ يَسْقُطُ عَلَى ذلِكَ الْحَجَرِ يَتَرَضَّضُ، وَمَنْ سَقَطَ هُوَ عَلَيْهِ يَسْحَقُهُ؟»**

+ «الحجر الذي رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية.» (مز 22:118)
+ «الذي إذ تأتون إليه حجراً حيًّا مرفوضاً من الناس ولكن مختار من الله كريم.» (1بط 4:2)
+ «هذا هو الحجر الذي احتقرتموه أيها البنَّاؤون الذي صار رأس الزاوية.» (أع 11:4)

الوضع هنا متماسك، فحجر الزاوية هو الذي يمسك البناء كله، فإن رُفض بمعنى أُسقط من رأس الزاوية فسيسقط على البنائين الذين رفضوه ويسحقهم. ويحكي دانيال عن هذا المنظر ويقول:

+ «كنتَ تنظر إلى أن قُطع حجرٌ بغير يدين فضَرَبَ التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزفٍ فسحقهما. فانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معاً وصارت كعصافةِ البيدر (الجرن) في الصيف فحملتها الريح فلم يوجد لها مكانٌ. أمَّا الحجر الذي ضَرَبَ التمثال فصار جبلاً كبيراً وملأ الأرض كُلَّها.» (دا 2: 34و35)

والمعنى واضح وهو على الدينونة الرهيبة للذين يقاومون المسيح والحق، فالذين يعثرون في المسيح هؤلاء هم الذين يسقطون عليه فنصيبهم أن يترضَّضوا أي يُصابوا بكسور، أمَّا الذين يحاربون المسيح يقع عليهم فيكون نصيبهم السحق! ولا يُلام الحجر! فقساوة قلوبهم حوَّلت صخرة البنيان إلى صخرة سحق وهدم ودينونة.

ولكن لماذا نسمع عن الرب يسوع هذه القسوة التي هي ليست من طبيعته؟ هو بطبيعته مخلِّص، ولكن الذي يرفض الخلاص يدخل الدينونة. لابد أن الذي يلقى مثل هذا المصير من المسيح سواء كان الترضُّض أو السحق يكون قد استنفد كل وداعة المسيح وحلمه وكثرة لطفه وشدَّة إحسانه: «مخيف هو الوقوع في يدي الله الحي.» (عب 31:10)

19:20 **«فَطَلَبَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ أَنْ يُلْقُوا الأَيَادِيَ عَلَيْهِ فِي تِلْكَ السَّاعةِ، وَلكِنَّهُمْ خَافُوا الشَّعْبَ، لأَنَّـهُمْ عَرَفُوا أَنَّهُ قَالَ هذا الْمَثَلَ عَلَيْهِمْ».**

توقف الرؤساء عن الإمساك بالمسيح خوفاً من الشعب، هنا شهادة حزينة جداً ضد أُولئك الرؤساء الذين بلغت روحانيتهم جميعاً درجة منحطَّة دون مستوى الشعب. كيف بعد ذلك يكون هؤلاء مسئولين عن تعليم الشعب وتقريبهم من الله والحق، وهم من دونهم في كل ما لله. لهؤلاء أنذر المسيح أن الحجر وشيك أن يقع عليهم ويسحقهم، لأن الشعب يمثِّل هيكل الله اللحمي أو القلبي بحبِّه وبساطته، وهؤلاء الرؤساء هم الأعمدة، فكما يقول المزمور: «إذا انقلبت الأعمدة فالصدِّيق ماذا يفعل» (مز 3:11)، والذي يخاف الشعب لا يخاف الله.

3 ـ الجزية لقيصر

(26-20:20)

(مت 22:15-22)
(مر 12:13-17)

لجأ الرؤساء إلى الحيلة والخديعة وتآمروا على المسيح أن يصطادوه بكلمة، فرتَّبوا أن يعرضوا عليه السؤال: هل يحل أن تُعطى الجزية لقيصر أم لا. أمَّا الذي تبرَّع أن يقوم بهذه المكيدة فهم جماعة ادّعوا الطيبة والمودَّة من نحوه لكي يأخذ الأمان تجاههم ويتكلّم بحرية، وبدأوا الحديث معه بشيء من الإطراء الكاذب حتى يكتسبوا ودَّه، وقدَّموا الفخ مُحكماً، ولكن المسيح خيَّب آمالهم لأن الذي يحب الحق لا يحكم بالباطل، والعادل لا يغشّه رجل جبان، وذو العينين المفتوحتين يقرأ ما في القلوب ولا ينطلي عليه الكلام المغشوش. كم مرَّة عثروا في المسيح وكانت عثرتهم لهلاكهم لأنهم ظنُّوا أنهم قادرون أن يخرجوه عن صلابة الحق أو يلزموه بإعطاء حكم يخرج عن الصواب.

20:20-22 «فَرَاقَبُوهُ وَأَرْسَلُوا جَوَاسِيسَ يَتَرَاءَوْنَ أَنَّهُمْ أَبْرَارٌ لِكَيْ يُمْسِكُوهُ بِكَلِمَةٍ، حَتَّى يُسَلِّمُوهُ إِلى حُكْمِ الْوَالِي وَسُلْطَانِهِ. فَسَأَلُوهُ قَائِلِينَ: يَا مُعَلِّمُ، نَعْلَمُ أَنَّكَ بِالاسْتِقَامَةِ تَتَكَلَّمُ وَتُعَلِّمُ، وَلاَ تَقْبَلُ الْوُجُوهَ، بَلْ بِالْحَقِّ تُعَلِّمُ طريقَ اللهِ. أَيَجُوزُ لَنَا أَنْ نُعْطِيَ جِزْيَةً لِقَيْصَرَ أَمْ لاَ؟»

هنا اختفى مدبِّرو المكيدة رؤساء الكهنة والكتبة وأرسلوا جماعة من الفرِّيسيين والهيرودسيين، وفي رواية ق. مرقس كشف لهم أنه يعرفهم ويعرف رياءهم، ولكن ق. لوقا اختصرها هنا. وواضح أن تلفيق هذه المشكلة القضائية محكم، وقد أخذت منهم وقتاً كثيراً ليقدِّموها بهذه الصورة المدهونة بالعسل.

20:23-25 «فَشَعَرَ بِمَكْرِهِمْ وَقَالَ لَهُمْ: لِمَاذَا تُجَرِّبُونَنِي؟ أَرُونِي دِينَاراً. لِمَنِ الصُّورَةُ وَالْكِتَابَةُ؟ فَأَجَابُوا وَقَالُوا: لِقَيْصَرَ. فَقَالَ لَهُمْ: أَعْطُوا إِذاً مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا للهِ للهِ».

ولثاني مرَّة يعثرون في المسيح: «لماذا تُجرِّبونني؟» فإن كانوا قد أرادوا أن يوقعوا المسيح في قيصر فالمسيح أحكم منهم وأحكم من قيصر، ولكن بالكيل الذي كانوا به يكيلون يُكال لهم ويزداد، إذ وقعوا هم في قيصر وكانت الواقعة الفاصلة لهم ولهيكلهم ومدينتهم وأُمَّتهم، قتلهم وخرَّب مدينتهم وأحرق هيكلهم وسلب مقدَّساتهم وأفرغ أُورشليم من جنسهم وشتَّتهم في البلاد.

لمَّا قدَّموا العملة أراهم صورة قيصر الذي غزاهم واستعبدهم فعيَّرهم بانهزامهم لهذا القيصر إذ

يتعاملون بعملته صاغرين، فالدينار الذي في أيديهم مصكوك في روما وهو في يدهم مقابل خيراتهم التي يسلبها ومقابل إقامة الجنود في أراضيهم. فهم يعيشون في بلادهم على حسابهم ويأكلون خيراتهم ويُرسلونها إلى روما. فهل يمكن أو هل من المعقول أن لا يُعطوا الجزية لأمَّة أقوى منهم استعبدتهم وأذلّتهم؟ إن أفكارهم لا تزيد عن كونها أوهام وهي التي أوقعتهم في يد قيصر والرومان فأذاقوهم المر والهوان. فليس المسيح هو الذي وقع في يد قيصر بل بلادهم برمّتها! ولم تنجُ. وهنا العجيب أن المسيح لم يُجِبْ على سؤالهم!!

وصار قول المسيح المثل الذي يُقال في الدنيا كلها أن لقيصر حقوقاً تُعطى له ولله حقوقاً تُعطى له ولا يجوز الخلط بين ما لقيصر وما لله.

ويقول ق. متى في إنجيله في هذا الموضع أن العملة كانت بتدبير الله هي نفس العملة التي تُدفع بها الضريبة، وهي عملة فضية "الدينار dhn£rion". على وجه منها صورة لقيصر لابساً حُلة الحرب والكتابة تتحدَّى شعب إسرائيل وإلههم، فقيصر على مستوى الإله "طيباريوس قيصر بن أُغسطس الإلهي ـ أغسطس Ti. Caesar Divi Aug. F. Augustus". وعلى الوجه الآخر صورة أُم الإمبراطور ليفيا Livia باعتبارها تجسيداً للإلهة Pax أي السلام، والكتابة Pontifex Maximus (الكاهن الأعظم). والدينار بما عليه وبقيمته يرمز لقوة الإمبراطور بادعاء الألوهية، الأمر الذي يعتبرونه تجديفاً. ولكن هي عملة الجزية الرسمية عليها الصورة e„kèn وعليها الكتابة باسمه «pigraf™ فالمال لصاحب المال. وهكذا أحرج المسيح هذه البعثة غير السلامية التي وقعت في فخها التي نصبته له ظلماً.

ويعتقد اللاهوتيون أن قول المسيح يعني أعطوا المال لقيصر وأعطوا الله أنفسكم، لأن الإنسان هو على صورة الله، وهو يعبده أو هو عبده فهو بجملته جزية الله. ولكن الأكثر صحة هو أن المال الذي صكّه قيصر لحسابه يذهب لحسابه، ووصايا الله التي في عرف اليهود قد كتبها الله بأصبعه تُطاع كعملة واجبة الدفع. ولكن لأن المسيح نفسه هو الذي قال هذا فهو قول الله الذي يعني باختصار وإنما بتأكيد قوي، الأمر بطاعة الوالي في كل ما يطلبه ويحكم به إلاَّ الأمر فيما يخص العبادة فهي لله وحده.

26:20 **«فَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يُمْسِكُوهُ بِكَلِمَةٍ قُدَّامَ الشَّعْبِ، وَتَعَجَّبُوا مِنْ جَوَابِهِ وَسَكَتُوا».**

وهكذا أسكت المسيح معانديه الذين أرادوا أن يأخذوا منه مأخذاً، وارتدُّوا خاسرين، وفرح الشعب بمعلّمه إذ كان كل شيء قدَّامهم، وأصبح الشعب حَكَماً على رؤسائه وقادته واستهانوا

بتعليمهم، وهذه تُحسب أكبر خسارة أن يفقد الشعب ثقته في رؤسائه الدينيين ويكتشفوا خبثهم وخسَّتهم وضعفهم، ولكن كان لابد من ذلك لأن المعرفة والعلم إن لم تسندها التقوى ويؤازرها الصدق والاستقامة تصبح جهالة وليس علماً، ويصبح المعلّمون مرتزقة وليسوا خُدَّاماً لله.

4 ـ القيامة وهيبتها

(40-27:20)

(مت 22: 23-33)
(مر 12: 18-27)

كان السؤال السالف فيه خدعة لاصطياد خطأ، أمَّا هنا فالسؤال يحمل سخرية، إذ يظهر الصدُّوقيون لأول مرَّة وفي فمهم سؤال سخيف إذ أنهم لا يؤمنون بالقيامة. فهداهم عقلهم المقفول لقضية اخترعوها عن زواج امرأة لأخ مات فتزوَّجها إخوته، فلمن منهم تكون زوجة في القيامة. فأعطى المسيح الجواب في صبر وأكَّد قيامة الأموات وأنهم في السماء يكونون كملائكة الله لا يزوِّجون ولا يتزوَّجون، إذ القيامة حالة أرقى من الحالة التي يعيش فيها الإنسان هنا مئات المرَّات.

وليُلاحِظ القارئ أننا على أبواب القيامة فقد حلَّ زمانها ...

20:27-36 **«وَحَضَرَ قَوْمٌ مِنَ الصَّدُّوقِيِّينَ الَّذِينَ يُقَاوِمُونَ أَمْرَ الْقِيَامَةِ، وَسَأَلُوهُ، قَائِلِينَ: يَا مُعَلِّمُ كَتَبَ لَنَا مُوسَى: إِنْ مَاتَ لأَحَدٍ أَخٌ وَلَهُ امْرَأَةٌ، وَمَاتَ بِغَيْرِ وَلَدٍ، يَأْخُذُ أَخُوهُ الْمَرْأَةَ وَيُقِيمُ نَسْلاً لأَخِيهِ. فَكَانَ سَبْعَةُ إِخْوَةٍ. وَأَخَذَ الأَوَّلُ امْرَأَةً وَمَاتَ بِغَيْرِ وَلَدٍ، فَأَخَذَ الثَّانِي الْمَرْأَةَ وَمَاتَ بِغَيْرِ وَلَدٍ، ثُمَّ أَخَذَهَا الثَّالِثُ، وَهكَذَا السَّبْعَةُ. وَلَمْ يَتْرُكُوا وَلَداً وَمَاتُوا. وَآخِرَ الْكُلِّ مَاتَتِ الْمَرْأَةُ أَيْضاً. فَفِي الْقِيَامَةِ، لِمَنْ مِنْهُمْ تَكُونُ زَوْجَةً؟ لأَنَّهَا كَانَتْ زَوْجَةً لِلسَّبْعَةِ! فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: أَبْنَاءُ هذَا الدَّهْرِ يُزَوِّجُونَ وَيُزَوَّجُونَ، وَلكِنَّ الَّذِينَ حُسِبُوا أَهْلاً لِلْحُصُولِ عَلَى ذلِكَ الدَّهْرِ وَالْقِيَامَةِ مِنَ الأَمْوَاتِ لاَ يُزَوِّجُونَ وَلاَ يُزَوَّجُونَ، إِذْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَمُوتُوا أَيْضاً، لأَنَّهُمْ مِثْلُ الْمَلاَئِكَةِ، وَهُمْ أَبْنَاءُ اللهِ، إِذْ هُمْ أَبْنَاءُ الْقِيَامَةِ».**

لم يتركنا الله بلا تعليم واضح في موضوع القيامة وكيف تكون، إذ قدَّمه القديس بولس، فهو يبتدئ هكذا:

+ «يقول قائل: كيف يُقام الأموات، وبأي جسم يأتون؟

يا غبي الذي تزرعه لا يحيا إن لم يمت.
والذي تزرعه، لستَ تَزرعُ الجسم الذي سوف يصيرُ، بل حبَّة مجرَّدة ربما من حِنطةٍ أو أحد البواقي، ولكن الله يُعطيها جسماً كما أراد. ولكل واحدٍ من البزور جسمهُ ...
وأجسامٌ سماوية، وأجسامٌ أرضية. لكن مجد السماويات شيءٌ، ومجد الأرضيات آخرُ ...
هكذا أيضاً قيامة الأموات: يُزرع في فساد ويُقام في عدم فساد، يُزرع في هوان ويُقام في مجد. يُزرع في ضعف **ويُقام في قوة،** يُزرع جسماً حيوانيًّا **ويُقام جسماً روحانيًّا.**
يوجد جسمٌ حيوانيٌّ **ويوجد جسمٌ روحانيٌّ ...**
وكما لبسنا صورة الترابي (آدم) **سنلبَسُ أيضاً صورة السماوي** (المسيح) ...
فإنه سيبوَّق **فيُقام الأموات عديمي فساد،** ونحن (الباقين أحياءً) نتغيَّر (إلى السماوي) لأن هذا الفاسد لابد أن **يلبس عدم فساد** وهذا المائت **يلبس عدم موت.**» (1كو 15:35-53)

بهذا المسلسل شرح ق. بولس كيف تكون قيامة الأجساد، ليست بأجساد أرضية بل **بأجساد سماوية** بشبه السماوي، أي جسد المسيح **المُقام في المجد،** حيث يلبس الإنسان **جسماً روحانياً** وهي أجساد عدم فساد وعدم موت، لها شكل الأجساد الأولى ولكن ليست لحماً ولا دماً بل أجساداً روحانية. وكما يقول المسيح: «لا يستطيعون أن يموتوا أيضاً» **لأنهم أبناء القيامة، أبناء الله.** فكما قام المسيح بجسد روحاني ممجَّد هكذا سنُقام في جسد روحاني ممجَّد بشبه جسد المسيح السماوي. وكلمة المسيح التي قالها إنهم لا يستطيعون أن يموتوا أيضاً يشرح بها لماذا نتزوَّج على الأرض، لأننا نتزوج لكي نُقاوم فعل الموت للفناء، لأنه إن لم نتزوَّج يفنى العالم. إذن نحن نتزوَّج لأننا سنموت حتماً. فإذا رُفع الموت أصبح لا لزوم للزواج. فإذا امتنع الزواج في القيامة امتنع معه الشهوة وكل مواصفات الإنسان الطبيعي، لأنه يصبح إنساناً سماوياً ويتغيَّر فيه كل شيء له علاقة بالأرض والمكان والزمان. وبالتالي إن كانت قيامة أبرار ففيها يمتنع الحزن والكآبة والتنهد ليعيش الإنسان كقديس في نور القديسين.

والإنسان في القيامة لا يفقد شكله ولكن يأخذ فيه شكل المسيح، لأن قيامة المسيح بجسده الروحاني هي نموذج قيامتنا: يستطيع أن يجعل نفسه منظوراً كما كان، ويستطيع أن يجعل نفسه غير منظور بالمرَّة كما ظهر لتلميذي عمواس وكما اختفى عنهم. والقديسة العذراء مريم أمكنها أن تظهر بجسدها الروحاني الممجَّد والمضيء على كنيسة الزيتون وأمكنها أن تختفي.

20:37-40 **«وَأَمَّا أَنَّ الْمَوْتَى يَقُومُونَ، فَقَدْ دَلَّ عَلَيْهِ مُوسَى أَيْضاً فِي أَمْرِ الْعُلَّيْقَةِ كَمَا يَقُولُ: الرَّبَّ إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلهُ إِسْحقَ وَإِلهُ يَعْقُوبَ. وَلَيْسَ هُوَ إِلهَ أَمْوَاتٍ بَلْ إِلهُ أَحْيَاءٍ،**

لأنَّ الْجَمِيعَ

عِنْدَهُ أَحْيَاءٌ. فَأَجَابَ قَوْمٌ مِنَ الْكَتَبَةِ وَقَالُوا: يَا مُعَلِّمُ حَسَناً قُلْتَ! وَلَمْ يَتَجَاسَرُوا أَيْضاً أَنْ يَسْأَلُوهُ عَنْ شَيْءٍ».

ينفرد القديس لوقا هنا بمعلومة جديدة عن المسيح، إذ يقول إن «**الجميع عنده أحياء».** فالجميع هنا هم جميع أبناء القيامة المعتبرين أنهم أبناء الله، مع المختارين في العهد القديم على مستوى إبراهيم وإسحق ويعقوب. وهكذا تصبح الكنيسة القبطية كنيسة ملهمة ومستنيرة بالروح إذ تعتبر المؤمنين فيها قديسين لا يجوز فيهم الموت: "ليس موت لعبيدك بل هو انتقال"(237)، أي ينتقل المؤمن الذي وُلِدَ جديداً وأخذ الروح القدس وصار ابناً للقيامة وبالتالي ابناً لله، ينتقل بالموت إلى فوق "في نور قديسيك في الموضع الذي هرب منه الحزن والكآبة والتنهُّد"(238) بانتظار القيامة العامة.

واستحسان الكتبة لقول المسيح يُعتبر بلوغاً منهم إلى فكر الرب، ولكن على المستوى التعليمي وحسب. وهكذا أفحم الرب معارضيه، ولكن للأسف كان اقتناعاً غير مؤازَر من جهتهم بالإيمان بل بالفكر وحسب.

5 ـ مَنْ هو المسيح؟

(20:41ـ44)

(مت 22:41ـ46)
(مر 12: 35ـ37)

هنا يبتدر المسيح القوم بسؤال هو من صميم اللاهوت، والمسيح يسألهم على مستوى اختباراتهم له، فهو يختبرهم. وهو مقول موجود في إنجيل ق. مرقس، أمَّا في إنجيل ق. متى فأتى على شكل محاورة مع الفرِّيسيين. والسؤال يقول: كيف أن المسيح يمكن أن يُقال عنه إنه ابن داود مع أن داود نفسه يتكلَّم عن المسيَّا كربِّه في مزمور (109:1)؛ حيث إن وضع المسيَّا ليكون ابناً لداود يتحتَّم أن يكون من نسله الجسدي. ثم مَنْ يكون رب داود هذا؟ هل هي قامة ابن الله أو ابن إنسان؟ على أنه يلزم أن نعرف أن داود قالها وليست عنده فكرة عن "المسيح"، إذ قالها بالروح ليصف المسيَّا بالنسبة له هو، علماً بأن اليهود يعلمون أن المسيَّا سيأتي ابناً لداود، علماً أيضاً بأن الكنيسة الأولى دافعت بشدَّة عن كونه ابن داود من جهة التسلسل النسلي. وهنا انقسم العلماء شِيَعاً تحبِّذ أفكاراً متضاربة بين التثبيت أنه ابن داود

(237) الخولاجي المقدَّس: أُوشية الراقدين.
(238) شرحه.

والنفي أيضاً. ولكن الوضع الذي وضع فيه المسيح السامع يجعله يحتّم عليه حلاً واحداً وهو أن المسيح هو ابن داود من جهة النسل ورب داود من جهة لاهوته ولا فكاك. وهو نفس الوضع الذي يجعلونه في فم العذراء وهي تبكي على المسيح وهو معلّق على عود الصليب بمخاطبته "يا ابني وإلهي"(239). وهذا السؤال يكشف لنا عن محاولة المسيح الجادة جداً أن يوجِّه فكر من كلّمهم آنئذ وفكرنا نحن الآن لسر التجسُّد، الذي إذا فهمناه جيداً لن يُخفى علينا أي عمل مما عمل المسيح وخاصة الفداء، ونفهم لماذا صُلب؟ ولماذا مات؟ وكيف قام؟ ففي هذا السؤال والجواب الصحيح سر اللاهوت كله.

44-41:20 **«وَقَالَ لَهُمْ: كَيْفَ يَقُولُونَ إِنَّ الْمَسِيحَ ابْنُ دَاوُدَ، وَدَاوُدُ نَفْسُهُ يَقُولُ فِي كِتَابِ الْمَزَامِيرِ: قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئاً لِقَدَمَيْكَ. فَإِذاً دَاوُدُ يَدْعُوهُ رَبّاً. فَكَيْفَ يَكُونُ ابْنَهُ؟»**

المعضلة في أن يكون المسيَّا ابن داود ويكون هو ربه هي أن الابن هو الأصغر، فداود أكبر من المسيَّا بحكم أن الأب أكبر من الابن. هذا المأزق الذي وضعهم فيه المسيح يضطرّهم أن يروا الابن أعلى كرامة من داود. ويُلاحَظ أن المسيح ـ حسب إنجيل ق. لوقا ـ اختار هذا السؤال بعد أن تعرَّض لمشكلة القيامة. وهنا يأتي الحل: أن ابن داود بالقيامة من الأموات استُعلن أنه ابن الله، أي رب، وليس أنه أخذ رتبة أعلى بل استعاد المجد والسلطان الذي له قبل أن يتجسَّد. لذلك هنا أيضاً يظهر بالضرورة موضوع التجسُّد ثم موضوع القيامة لكي تكمل النبوَّة عن ابن داود ورب داود، أي ابن داود بسلسال التجسُّد ورب داود باستعلان القيامة ولاهوت المسيح.

لذلك نشعر من هذين السؤالين أن المسيح (في إنجيل ق. لوقا) بدأ يُعلن عن شخصه المسيَّاني بتأكيد.

ويُلاحِظ القارئ العلاقة بين سؤال المسيح هذا والهتاف الذي دخل به أُورشليم عن مملكة داود وابن داود!!

والمهم أن المسيح نفسه هو الذي ابتدر بالسؤال ليلفت الأنظار والعقول إلى ما حاول الكتبة والفرِّيسيون أن يطمسوه في تعاليم المسيح الكثيرة. وكون ق. لوقا يضع السؤال بدون إجابة، واضح جداً أن الإجابة ليست من زمن السؤال، فالإجابة في القيامة من الأموات التي لم تتم بعد، والتي حقَّقت ربوبية المسيح بأثر رجعي حتى داود وقبل إنشاء العالم. وهو من الأسئلة النادرة التي اختارها المسيح ليعلن فيها عن شخصه، وكأنها مُرسلة لنا نحن بني القيامة كهدية!!

(239) الأجبية: القطعة السادسة من صلاة الساعة التاسعة.

6 ـ احذروا من الكتبة

(47-45:20)

(مت 23:5-7و14)
(مر 12: 38 ـ 40)

مع أن المسيح قام بعملية نقد شديدة للكتبة في (37:11-54)، ولكنه عاد يكرِّر هنا الوضع بتركيز على سلوكهم وأنواع التعالي الذي يمارسونه بين الناس، وفي الولائم الرسمية وغير الرسمية، وكيف يبتزُّون الأموال ويستغلون الأرامل ويزيِّفون الصلاة. ويعطيهم المسيح الدينونة الأعظم!! ولكن مجيء هذا النقد الشديد هنا بعد محاولة المسيح للكشف عن شخصيته المسيَّانية فيه مهاجمة لتعاليمهم التي طمست معالم شخصية المسيح. لذلك يعطيهم الويل من هذا الاتجاه الذي أساءوا به إلى الشعب بتعاليمهم المضلّة.

47-45:20 «**وَفِيمَا كَانَ جَمِيعُ الشَّعْبِ يَسْمَعُونَ قَالَ لِتَلاَمِيذِهِ: احْذَرُوا مِنَ الْكَتَبَةِ الَّذِينَ يَرْغَبُونَ الْمَشْيَ بِالطَّيَالِسَةِ، وَيُحِبُّونَ التَّحِيَّاتِ فِي الأَسْوَاقِ، وَالْمَجَالِسَ الأُولَى فِي الْمَجَامِعِ، وَالْمُتَّكَآتِ الأُولَى فِي الْوَلاَئِمِ. اَلَّذِينَ يَأْكُلُونَ بُيُوتَ الأَرَامِلِ، وَلِعِلَّةٍ يُطِيلُونَ الصَّلَوَاتِ. هؤُلاَءِ يَأْخُذُونَ دَيْنُونَةً أَعْظَمَ!**»

من مفاخر التعليم المسيحي أنه يستقي وصاياه وسلوكه ومبادئه من معلِّم هو الرب، يعرف تماماً ما يقول، ومارس بالفعل هذه الفضائل، وكان قدوة حقيقية للكنيسة. ثم كشف بعين إلهية عن مواضع الغش والتزييف في العبادة والتديُّن الكاذب في الصلاة. كم هو ثمين جداً في أعيننا وفي حياتنا أن نتبع الرب كقائد حياتنا ومسيرتنا بما كان عليه من صفات، ثم نستوعب في أرواحنا وضمائرنا توعيات المسيح، حتى لا يطغى على العبادة المسيحية ما طغى على اليهودية على أيدي الكتبة والفرِّيسيين.

لذلك يتحتَّم علينا أن نقدِّس الكلمة التي قالها هنا بخصوص الكتبة «**احذروا**»، حتى لا تتسرَّب إلى الكنيسة هذه الروح الريائية المستَغلّة الكاذبة لإتلاف الدين والشعب.

فالمسيح بهذه النصيحة يضع ما ينبغي أن يكون عليه السلوك، وما ينبغي أن تكون عليه العبادة والصلاة.

الأصحاح الحادي والعشرون:

7 - فَلْسَا الأرملة

(4-1:21) (مر 12: 41-44)

هذه آخر رواية في هذه المجموعة المختارة، وتجيء بتداعي الكلمة من الأرملة التي ابتزَّها الكاتب بادعاء الصلاة الطويلة (47:20)، إلى الأرملة التي ألقت كل معيشتها في صندوق التبرعات، وكانت فلسين!

تذكّرنا هذه الأرملة بأرملة صرفة صيدا التي نزل عندها إيليا النبي وقت المجاعة، حينما توقّفت السماء عن أن تمطر ثلاث سنوات ونصف بكلمة من إيليا. وطلب منها أن يأكل فقالت له عندي حفنة دقيق ولحسة زيت، كنت قد قشّيت قشتين لأعملها كعكة آكلها أنا وابني ونموت!! فقال لها اعملي لي منها (1مل 17: 8-13) ... نعم تذكّرنا هذه الأممية البديعة المنطق بهذه الأرملة التي لمحها المسيح وهي تُسقط في الصندوق فلسين، والرب بروحه علم أنها كل معيشتها!! أي كأنها تقول للرب خذ هذين الفلسين اللذين لي لعلّك تكون في حاجة لأن تعطيها لمن هو أفقر مني! وكأن الله قيَّض هاته الأرامل ليعطونا عظة هي درس الحياة أن محبة الله أفضل من الحياة، وأن الذي يعطي من أعوازه فقد عبَّر عن منتهى أمانته لله. وأمَّا الذي يعطي كل معيشته فقد اشترى الملكوت. والمسيح في إنجيل ق. لوقا وضع أمانة الأرملة تجاه جحود الكاتب.

1:21-4 **«وَتَطَلَّعَ فَرَأَى الأَغْنِيَاءَ يُلْقُونَ قَرَابِينَهُمْ فِي الْخِزَانَةِ. وَرَأَى أَيْضاً أَرْمَلَةً مِسْكِينَةً أَلْقَتْ هُنَاكَ فَلْسَيْنِ. فَقَالَ: بِالْحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ هذِهِ الأَرْمَلَةَ الْفَقِيرَةَ أَلْقَتْ أَكْثَرَ مِنَ الْجَمِيعِ، لأَنَّ هؤُلاَءِ مِنْ فَضْلَتِهِمْ أَلْقَوْا فِي قَرَابِينِ اللهِ، وَأَمَّا هذِهِ فَمِنْ إِعْوَازِهَا، أَلْقَتْ كُلَّ الْمَعِيشَةِ الَّتِي لَهَا».**

كان في الهيكل غرفة مخصَّصة لجمع أموال عطايا الشعب من قرابين ونذور، وكانت تسمَّى بالخزانة. وكان هناك ثلاثة عشر صندوقاً مخصَّصة لهذه العطايا، ولكل صندوق عيار خاص من العطايا، وهي مفتوحة على رواق النساء. وكان هناك كاهن يتلقَّى هذه العطايا ويضعها في الصندوق المخصَّص لها ويكتب قيمة القربان والمطلوب من الله.

والأرملة «مسكينة » penicr£n يعني أنها في غاية الفقر. والمساكين في كلام المسيح هم أصحاب الملكوت بالدرجة الأولى. فـ «المساكين يُبشَّرون» هو أول استعلان للملكوت (لو 18:4)، وأول طوبى هي للمساكين لأن لهم ملكوت الله (لو 20:6). لذلك فإن كان الكتبة يستغلون هكذا الأرامل فيكون فعلاً دينونتهم أعظم.

ولينتبه القارئ اللبيب، أن ذِكْر نهب الأرامل بواسطة الكهنة والكتبة في مقابل تقواهن وأمانتهن الشديدة لله، واتكالهن عليه صارخاتٍ إليه من جور الفُجَّار؛ قد أهاج في المسيح رؤية هدم الهيكل وتوقُّف عمل الخدمة وضياع أمل الكتبة والتعليم.

(هـ) بداية النهاية
(21: 5-38)

كان حديث المسيح عن ظلم الكهنة والكتبة للأرامل المناسبة التي أشعلت في المسيح رؤية خراب الهيكل وأُورشليم.

وكانت قصة الأرملة التي أعطت كل معيشتها قرباناً، آخر ما علَّم به المسيح في خدمته على الأرض، حسب ما ورد في إنجيل ق. لوقا. وواضح أن بعدها مباشرة قام راجعاً ليبيت في بيت عنيا وهو صاعد على مطلع جبل الزيتون، والشمس الغاربة أرسلت أشعتها فجعلت الهيكل يظهر بحجارته الضخمة وأبنيته الرخامية تلمع، فقال قوم منهم عن كيف أن الهيكل مزيَّن بحجارة حسنة وتُحف. ومن هذه الكلمة بدأ المسيح نبوَّاته عن الهيكل وبعدها عن أُورشليم.

وقد أجهد العلماء أنفسهم جداً في دراسة هذه النبوة التي تتكلَّم عن خراب أُورشليم ونهاية العالم. والصعوبة التي قابلتهم هي تداخل نبوَّة خراب الهيكل ثم خراب أُورشليم مع نبوَّة نهاية العالم، مما جعلهم يعثرون في النبوَّة كلها. وفات عليهم أن التنبُّؤ بأمور آتية لا يحدِّده الزمن، لأن الروح لا تكون تحت ضبط العقل الواعي المسئول عن الزمن، فيمكن أن تختلط الرؤى القريبة والرؤى للأمور البعيدة بسهولة. وأصبح علينا نحن وقد مرَّت علينا أزمنة الأمور القريبة أن نستخلص بسهولة الكلام عن الرؤى البعيدة، أي رؤيا نهاية الزمن والعالم. ومن شرح الآيات سنوضِّح ما للقريب وما للبعيد من معانٍ.

1 - النبوَّات عن خراب الهيكل وخراب أورشليم

(21: 5 - 7) (مت 24:1-3و15-21)

(21:20-24) (مر 13:1-4و14-19)

21:5و6 **«وَإِذْ كَانَ قَوْمٌ يَقُولُونَ عَنِ الْهَيْكَلِ إِنَّهُ مُزَيَّنٌ بِحِجَارَةٍ حَسَنَةٍ وَتُحَفٍ، قَالَ: هذِهِ الَّتِي تَرَوْنَهَا، سَتَأْتِي أَيَّامٌ لاَ يُتْرَكُ فِيهَا حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ لاَ يُنْقَضُ».**

بعد أن تحدَّث المسيح عن الأرملة التي أعطت كل معيشتها قرباناً، قام هو وتلاميذه والجمع المحيط وخرجوا من الهيكل، لأن الوقت لابد أنه كان على غروبٍ، وأشعة الشمس الساطعة على الأحجار الرخامية أظهرت الهيكل بوضع خلاَّب. فلما أبدى أحد الذين معه إعجابه بهذه الحجارة والتحف، وغالباً هو جليلي بسيط استرعى انتباهه جمال الهيكل، فكان رد المسيح أن جمال الهيكل وتحفه لن تمنع خرابه، فإنه ستأتي أيام فيها يُنقض هذا الهيكل بحجارته. علماً بأن الحجر الواحد يبلغ أربعين ذراعاً طولاً وعشرة أذرع عرضاً، بقياس نصف الذراع من الكوع إلى نهاية اليد (cubit). أمَّا التحف فيقصد بها الكرمة الذهبية فوق الباب الخارجي، وهي منحوتة من الرخام ومصفَّحة بالذهب، تعبيراً عن الكرمة التي نقلها الرب من مصر وأينعت في إسرائيل حسب المزمور (80:8). فكون الإنسان يتصوَّر أن هذه الأسوار الهائلة للهيكل وأورشليم تختفي من الوجود ويسوَّى بها الأرض أمر يكشف عن غضب مريع ألمَّ بها من قبل الله.

ولكن لا يفوت علينا أن المسيح أعدَّ هيكلاً وقدَّسه: «لأجلهم أُقدِّس أنا ذاتي» (يو 17:19)، قبل أن يتكلَّم عن هدم هيكل الحجارة. وعوض كرمة الذهب على الحجر المنحوت قدَّم لنا كرمة حقيقية جعلنا أغصاناً فيها. ويبدو لنا حقًّا أن هدم الهيكل إلى التراب كان أمراً حتمياً لا لفجور الكاهنين فيه وحسب؛ بل لسحب التلاميذ عن الخدمة فيه في بداية خدمتهم حتى لا يخلطوا الجديد بالقديم. إذ كان التلاميذ الأوائل وبقيادة يعقوب أخي الرب يقدِّمون الخدمات الهيكلية والذبائح أيضاً، وكانوا يمارسون كل أنواع العبادة اليهودية وعوائدها، مما كان سيؤدِّي بالمسيحية لتصبح هرطقة يهودية. ومنذ ذلك الحين أصبح التكلُّم عن الهيكل السماوي والمذبح السماوي هو رأس مال الكنيسة.

21:7 **«فَسَأَلُوهُ قَائِلِينَ: يَا مُعَلِّمُ، مَتَى يَكُونُ هذَا وَمَا هِيَ الْعَلاَمَةُ عِنْدَمَا يَصِيرُ هذَا؟»**

هنا نستميح القارئ عذراً أن ننقله إلى الرد الصحيح للمسيح، لأن ق. لوقا كتب الرد على هذه

الآية من واقع علامات آخر الزمان ونهاية العالم، أمَّا الرد على هذا السؤال فهو: «**الحق أقول لكم إنه لا يمضي هذا الجيل حتى يكون الكل.**» (لو 32:21)

فلو علمنا أن الجيل يُقاس بأربعين أو خمسين سنة بحسب قياس العهد القديم، يكون التنبُّؤ الذي قدَّمه المسيح صحيحاً، لأن الحرب السبعينية التي انتهت بخراب الهيكل وأُورشليم بدأت سنة 66 وانتهت حوالي سنة 70 ميلادية.

ملاحظة للقارئ:

سنبتدئ بعد الآية السالفة (7:21) بشرح الآيات الخاصة بخراب أُورشليم والهيكل كما جاءت في هذه النبوَّة وهي واقعة بين (20:21-24)، ثم نتبعها بباقي الآيات.

20:21 «**وَمَتَى رَأَيْتُمْ أُورُشَلِيمَ مُحَاطَةً بِجُيُوشٍ، فَحِينَئِذٍ اعْلَمُوا أَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ خَرَابُهَا**».

هذه هي العلامة الصحيحة التي سبقت خراب أُورشليم والهيكل فعلاً. والوصف مختصر للغاية لأن الذي حدث في هذا الحصار لا يسعه كتاب، وهذا فعلاً مسجَّل في كتاب المؤرِّخ اليهودي يوسيفوس الذي كان المرافق لتيطس القائد الروماني والترجمان له، بعد أن وقع أسيراً في أيديهم حينما كان يقود جيشاً صغيراً لمقاومة روما في الجليل الأعلى.

فإذا رأيتم الجيوش زاحفة نحوها فنصيحة المسيح أن يهرب كل مَنْ كان في الهيكل أو المدينة، لأنه لن يكون نجاة لإنسان واحد داخل الحصار الحجري الذي أقاموه حول أُورشليم كلها. فالرب باع المدينة والهيكل بمن فيهما، ولكن كانت نصيحة المسيح مقصورة على المسيحيين آنئذ الذين هربوا إلى مدينة بللا عبر الأُردن. ولكن اليهود لم يصدِّقوا أن أُورشليم تسقط أو أن أحداً يقرب الهيكل، معتمدين على وعود الله السابقة لآبائهم القديسين، ولكن صخرهم باعهم والعدو اشتراهم بخيانتهم لإلههم. لذلك حتى آخر إنسان ذُبح داخل الهيكل كانوا منتظرين أن المسيَّا سيظهر في الحال. ولكن أين المسيَّا؟ لقد ذبحوه! خارج أسوارها.

وهذا الحدث المريع رآه دانيال النبي في رؤياه:

+ «وفي وسط الأسبوع يُبطِلُ الذَّبيحة والتقدمة، وعلى جناح الأرجاس مخرَّبٌ حتى يتم ويُصبَّ المقضيُّ على المخرَّب» (دا 27:9)، حيث أهم علامة هي إبطال الذبيحة الدموية.
+ «وتقوم منه أذرع (فرق الجيش) وتنجِّس المقدِس الحصين وتنزع المحرقة الدائمة وتجعل الرجس المخرَّب» (دا 31:11)، وأهم علامة هنا توقُّف ذبيحة المحرقة.

+ «ومن وقت إزالة المُحرقة الدائمة وإقامة رجس المخرَّب ألفٌ ومئتان وتسعون يوماً.» (دا 11:12)

21:21و22 «حِينَئِذٍ لِيَهْرُبِ الَّذِينَ فِي الْيَهُودِيَّةِ إِلَى الْجِبَالِ، وَالَّذِينَ فِي وَسَطِهَا فَلْيَفِرُّوا خَارِجاً، وَالَّذِينَ فِي الْكُوَرِ فَلاَ يَدْخُلُوهَا. لأَنَّ هذِهِ أَيَّامُ انْتِقامٍ، لِيَتِمَّ كُلُّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ».

لقد انتفع بهذه النصيحة جماعة المؤمنين، فقد انتقلت الكنيسة إلى بللا عبر الأردن. وق. لوقا هنا هو أول مَنْ أوضح أن هذه أيام انتقام ليتم المكتوب، ولكن ليس هو انتقام الله أو المسيح؛ بل لأن الله قد رفع يد الحراسة عنها فسقطت فريسة في يد أعدائها للانتقام. لأن الذي عمله اليهود بالجيش الروماني وهو زاحف نحو المدينة كانت أعمالاً جنونية انتحارية، مما جعل النقمة تزيد عشرة آلاف مرَّة. وحقًّا كل ما حدث مكتوب في النبوَّات، ويقصر بنا المكان لتصنيفه، ولكن نسمع في سفر التثنية عن نقمة الله على هذا الشعب، وربما تكون هي التي حدثت لأورشليم:

+ «لولا أن صخرهم باعهم والرب سلّمهم ... أليس ذلك مكنوزاً عندي مختوماً عليه في خزائني: لي النقمة والجزاء. في وقت تزل أقدامهم. إن يوم هلاكهم قريب والمهيآت لهم مسرعة لأن الرب يدين شعبه» (تث 32: 30و34-36). علماً بأن النقمة والانتقام ترجمتها غضب بالنسبة لله.

وفي الحقيقة إن القارئ المدقّق للتوراة وبعدها أسفار الملوك الأول والثاني وسفر أخبار الأيام الأول وأخبار الأيام الثاني ثم بقية الأنبياء، يرى أن هناك خيطاً قاتماً يعبرُ من أصحاح لأصحاح ومن سفر لسفر، ليظهر فجأة في خراب أُورشليم وهيكلها. بمعنى أنه لم يكن حكم الساعة ولا الظروف التي أحاطت بها هي سبب خرابها؛ بل تاريخ معاملاتها مع الله الذي انكشف بفضيحة عظمى بمحاكمة "البار" المسيَّا المحبوب ثم قتله. إلى هنا انتهت كل علاقة تربط إسرائيل بالرب إلاَّ الباقي من رحمة الله.

فقضية خراب أُورشليم وحرق الهيكل العظيم مرفوعة على التاريخ في أيام موسى النبي، كعيِّنة من سلوك الشعب حتى لا يُنعت الله بالقسوة. هذا بالإضافة إلى ما عملوه في المسيح في نهاية خدمته لهم بأن صلبوه.

أيام موسى النبي:

(خر 32: 9و10): «رأيت هذا الشعب وإذا هو شعب صلب الرقبة. فالآن اتركني ليحمى غضبي عليهم وأُفنيهم فأُصيِّرك شعباً عظيماً»

(خر 34:32): «ولكن في يوم افتقادي أفتقد فيهم خطيتهم»

(خر 3:33): «فإني لا أصعد في وسطك لأنك شعب صلب الرقبة لئلاَّ أُفنيك في الطريق»

(لا 17:26): «وأجعل وجهي ضدكم فتنهزمون أمام أعدائكم، ويتسلَّط عليكم

مبغضوكم، وتهربون وليس مَنْ يطردكم»
(لا 28:26و29): «وأؤدِّبكم سبعة أضعاف حسب خطاياكم. فتأكلون لحم بنيكم، ولحم بناتكم تأكلون»
(لا 25:26): «أجلب عليكم سيفاً ينتقم نقمة الميثاق»
(عد 20:16و21): «وكلّم الرب موسى وهارون قائلاً افترزا من بين هذه الجماعة فإني أُفنيهم في لحظة»
(عـــد 45:16): «اطلعا من وسط هذه الجماعة فإني أُفنيهم بلحظة»
(تث 28:32و30): قرار موسى الأخير عن هذا الشعب: «إنهم أُمَّة عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم ... لولا أن صخرهم باعهم والرب سلّمهم»

23:21و24 «وَوَيْلٌ لِلْحَبَالَى وَالْمُرْضِعَاتِ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ، لأَنَّهُ يَكُونُ ضِيقٌ عَظِيمٌ عَلَى الأَرْضِ وَسُخْطٌ عَلَى هذَا الشَّعْبِ. وَيَقَعُونَ بِفَمِ السَّيْفِ، وَيُسْبَوْنَ إِلَى جَمِيعِ الأُمَمِ، وَتَكُونُ أُورُشَلِيمُ مَدُوسَةً مِنَ الأُمَمِ، حَتَّى تُكَمَّلَ أَزْمِنَةُ الأُمَمِ».

يُلاحَظ أن ق. لوقا ذكر ما لم يذكره ق. مرقس من جهة حصار المدينة. وقد دخل الشعب داخل المدينة رعبة المجاعة. ولأن اليهود كانوا يقذفون الجنود من فوق السور بالمقلاع والحجارة دخل الجنود وفتكوا بالشعب، وكانوا يبقرون بطون الحوامل، فجاع الشعب جوع الموت وأكلوا أولادهم. وهنا نذكر قول الرب في تنبؤه عن نساء أُورشليم اللاتي كُنَّ يبكين عليه وهو حامل الصليب، فقال:

+ «يا بنات أُورشليم لا تبكين عليَّ بل ابكين على أنفسكن وعلى أولادكن، لأنه هوذا أيام تأتي يقولون فيها طوبى للعواقر والبطون التي لم تلد والثُّديِّ التي لم تُرضع.» (لو 23: 28و29)

وهذه النبوَّة في موضعها تزكّي بشدَّة التقليد بخصوص الأبوكالبسيس (أي النبوَّة الرؤيويَّة) التي تنبأ بها المسيح على أُورشليم. ويشدِّد المسيح على هذا الوقت أنه زمان ضيق عظيم وسخط على هذا الشعب. ولم يكن المسيح مغالياً، فقد وصفه النبي صفنيا هكذا:

+ «ذلك اليوم يوم سخط يوم ضيق وشدَّة، يوم خراب ودمار يوم ظلام وقتام، يوم سحاب وضباب. يوم بوق وهتاف على المدن المحصَّنة وعلى الشُّرف الرفيعة. وأُضايق الناس فيمشون كالعمي، لأنهم أخطأوا إلى الرب فيُسفح دمهم كالتراب ولحمهم كالجلّة. لا فضتهم ولا

ذهبهم يستطيع إنقاذهم في يوم غضب الرب، بل بنار غيرته تؤكل الأرض كلها، لأنه يصنع فناءً باغتاً لكل سكان الأرض.» (صف 1: 15-18)

وأورشليم هذه المرة لا تواجه عدواً على مستواها، بل جيوش روما بأشد بأسها، فداست أورشليم دوساً بالأقدام.

والعجيب أنه حينما يتكلّم المسيح عن تشتيت وسبي الشعب يقول إلى جميع الأمم، ثم مدوسة من الأمم، ثم إلى أن تكمل أزمنة الأمم. فهنا غابت إسرائيل لتظهر الأمم.

غير أن هذا الغضب العارم الذي لم تعرفه إسرائيل في حياتها أبداً أبداً له نهاية حينما تُكمَّل أزمنة الأمم. وهذا النص هو خاص بالقديس لوقا. أي تكمِّل أزمنة خلاصها وقد قرب بحسب العلامات!

وإلى هنا نعود مرَّة أخرى إلى الآيات التي تجاوزناها في الشرح:

2 - النبوّات عن نهاية الأيام
(8:21-19)

(مت 4:24-14)
(مر 5:13-13)

8:21و9 «فَقالَ: انْظُرُوا! لاَ تَضِلُّوا. فَإِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ بِاسْمِي قَائِلِينَ: إِنِّي أَنَا هُوَ، وَالزَّمَانُ قَدْ قَرُبَ. فَلاَ تَذْهَبُوا وَرَاءَهُمْ. فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِحُرُوبٍ وَقَلاَقِلٍ فَلاَ تَجْزَعُوا، لأَنَّهُ لاَ بُدَّ أَنْ يَكُونَ هذَا أَوَّلاً، وَلكِنْ لاَ يَكُونُ الْمُنْتَهَى سَرِيعاً».

جعل المسيح اِدّعاء النبوَّة والأخبار عن انتهاء الزمان، وحتى التكلُّم باسم المسيح، كلها إزعاجات من العدو لطمس المعالم الحقيقية التي ستأتي في وقتها، فلا نحاول أن نتبع أفكار المدّعين بمعرفة آخر الزمان، أو حتى الذين يدَّعون أنهم يتكلّمون باسم المسيح، لأن كل محاولة للتنبُّؤ بالأيام الآتية هي مزيَّفة. لأن علامات آخر الزمان ستأتي في وقتها وتكون واضحة.

وحتى قيام الحروب والقلاقل في البلاد لا تكون علامة آخر الزمان. لذلك يلزم الحيطة وعدم الجري وراء الأخبار.

10:21و11 «ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: تَقُومُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ وَمَمْلَكَةٌ عَلَى مَمْلَكَةٍ، وَتَكُونُ زَلاَزِلُ عَظِيمَةٌ فِي أَمَاكِنَ، وَمَجَاعَاتٌ وَأَوْبِئَةٌ. وَتَكُونُ مَخَاوِفُ وَعَلاَمَاتٌ عَظِيمَةٌ مِنَ السَّمَاءِ».

انسحاب السلام من العالم سيسبِّب هذه الحروب والقلاقل، وانسحاب السلام بسبب كثرة خطية الإنسان التي ستكبر معه ومع الزمان فتصير خطية حكومات وملوك ورؤساء، يتسبَّبون في الحروب والقلاقل، وحرب تسبب حرباً، شيء لا ينتهي. أمَّا الزلازل العظيمة وعلامات السماء العظيمة أيضاً فهذه هي مخاض الطبيعة (رو 22:8)، حيث تشترك في الاضطراب البشري. لأنه كما سيصير ميلاد جديد للإنسان «للتبني فداء أجسادنا» (رو 23:8)، سيكون ميلاد جديد لعالم جديد بسماء جديدة وأرض جديدة ليست مثل العالم الحاضر.

أمَّا المجاعات والأوبئة فهي نتيجة الحروب واستنزاف مال الشعوب في الأسلحة التي للدمار والتخريب، كما هو حادث أمام أعيننا، حيث الأمم الصغيرة بدأت تشتري أسلحة الدمار لتشترك في هذا السباق المخرِّب للعالم والشعوب. أمَّا الأوبئة فهي أيضاً من خطية الإنسان واستغراقه في الشهوات النجسة، وهي ضربة شيطانية يضرب بها الأمم الغنية والفقيرة لكي يخرِّب حياة الإنسان. فيد الشيطان ممدودة في هذه الأيام لإشعال نار الحقد والكراهية بين فئات الناس والشعوب ليكون ذلك من أسباب التخريب العام. ولكن الاضطرابات الطبيعية في الأرض والسماء توضِّح بجلاء أنه عمل يختص بمصير الإنسان.

12:21-15 **«وَقَبْلَ هذا كُلِّهِ يُلْقُونَ أَيْدِيَهُمْ عَلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ، وَيُسَلِّمُونَكُمْ إِلى مَجَامِعَ وَسُجُونٍ، وَتُسَاقُونَ أَمَامَ مُلُوكٍ وَوُلاَةٍ لأَجْلِ اسْمِي. فَيَؤُولُ ذلِكَ لَكُمْ شَهَادَةً. فَضَعُوا فِي قُلُوبِكُمْ أَنْ لاَ تَهْتَمُّوا مِنْ قَبْلُ لِكَيْ تَحْتَجُّوا، لأَنِّي أَنَا أُعْطِيكُمْ فَماً وَحِكْمَةً لاَ يَقْدِرُ جَمِيعُ مُعَانِدِيكُمْ أَنْ يُقَاوِمُوهَا أَوْ يُنَاقِضُوهَا».**

كل هذه العلامات تمَّت بحذافيرها في العصر الأول للمسيحية، لذلك تقول النبوَّة أن «**قبل هذا**» أي قبل الحرب السبعينية. لأن اليهود كانوا هم مصدر تخريب للكنيسة وتعذيب المؤمنين واستخدام وشاياتهم للملوك والولاة، وهذا استغرق العصر الأول، وانتهى بتخريب أورشليم وتشتيت شمل اليهود الذي أعطى للكنيسة فرصة للنمو. وقد سمعنا وسجَّل التاريخ كيف كان ولا يزال يعمل الله بقوة ظاهرة واضحة وملموسة «يعلم الرب أن ينقذ أتقياءه من التجربة» (2بط 9:2)، على مستوى ما نقرأه في سفر الأعمال وأعظم أيضاً. والذي نراه ونسمعه الآن من عمل الروح القدس في المؤمنين الجدد يعادل العصر الأول وأكثر، مع ظهورات للمسيح شخصياً والعذراء القديسة مريم لتشجيع الإيمان بالمسيح وتقوية الشهادة.

16:21-19 **«وَسَوْفَ تُسَلَّمُونَ مِنَ الْوَالِدِينَ وَالإِخْوَةِ وَالأَقْرِبَاءِ وَالأَصْدِقَاءِ، وَيَقْتُلُونَ مِنْكُمْ.**

وَتَكُونُونَ مُبْغَضِينَ مِنَ الْجَمِيعِ مِنْ أَجْلِ اسْمِي. وَلكِنَّ شَعْرَةً مِنْ رُؤُوسِكُمْ لاَ تَهْلِكُ. بِصَبْرِكُمْ اقْتَنُوا أَنْفُسَكُمْ».

هذه العلامات بحذافيرها لا تزال تجري أمام أعيننا ونشاهدها ونشترك فيها، فهي نبوَّة دائمة الحدوث. حيث بقدر بغضة الناس وعدائهم يعمل الروح القدس بقوة وينجِّي ويشهد لنفسه. كل ذلك لتكمل الشهادة. والنصيحة الوحيدة كما قالها الرب: «بصبركم اقتنوا أنفسكم. »(لو 19:21)

(تابع) النبوَّات عن نهاية الأيام وظهور علامة ابن الإنسان

(33-25:21)

(مت 24: 29-35)
(مر 13: 24-31)

25:21و26 «**وَتَكُونُ عَلاَمَاتٌ فِي الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ، وَعَلَى الأَرْضِ كَرْبُ أُمَمٍ بِحَيْرَةٍ. اَلْبَحْرُ وَالأَمْوَاجُ تَضِجُّ، وَالنَّاسُ يُغْشَى عَلَيْهِمْ مِنْ خَوْفٍ وَانْتِظَارِ مَا يَأْتِي عَلَى الْمَسْكُونَةِ، لأَنَّ قُوَّاتِ السَّمَوَاتِ تَتَزَعْزَعُ».**

هذه العلامات في الطبيعة كما قلنا هي مخاض الطبيعة التي تشترك مع الإنسان في التجديد. فالعالم العتيق يجوز مخاض الولادة للعالم الجديد، فلابد أن تظهر علاماته بوضوح. ولكن لاشك ستكون أمراً مُفزعاً وآثارها تمتد لتشمل كل العالم معاً، وذلك تمهيداً لظهور الجديد.

27:21و28 «**وَحِينَئِذٍ يُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ آتِياً فِي سَحَابَةٍ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ كَثِيرٍ. وَمَتَى ابْتَدَأَتْ هذِهِ تَكُونُ، فَانْتَصِبُوا وَارْفَعُوا رُؤُوسَكُمْ لأَنَّ نَجَاتَكُمْ تَقْتَرِبُ».**

هنا النهاية.

29:21-31 «**وَقَالَ لَهُمْ مَثَلاً: اُنْظُرُوا إِلَى شَجَرَةِ التِّينِ وَكُلِّ الأَشْجَارِ. مَتَى أَفْرَخَتْ تَنْظُرُونَ وَتَعْلَمُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَنَّ الصَّيْفَ قَدْ قَرُبَ. هكَذَا أَنْتُمْ أَيْضاً، مَتَى رَأَيْتُمْ هذِهِ الأَشْيَاءَ صَائِرَةً، فَاعْلَمُوا أَنَّ مَلَكُوتَ اللهِ قَرِيبٌ».**

بخصوص شرح لماذا شجرة التين، فكما عرفنا من تقليد الكنيسة المتوارث أن شجرة التين - وهي

التي لعنها المسيح في ذهابه إلى أورشليم عندما أتاها ليأكل من ثمارها فلم يكن فيها إلاَّ الورق ـ هي الأمة اليهودية برمّتها. وقوله هنا أنها عندما تخضر وتورق دون ثمر تعلمون ... أن ملكوت الله قريب فهي العلامة، بمعنى عندما تعود بعد جفافها وتخضرُّ أي تُرفع عنها اللعنة. ويكون ذلك بشير لكمال دخول الأمم، حينئذ يكون الملكوت على الأبواب.

وفي الحقيقة نحن نرى الآن بوادر كثيرة أمامنا نعرفها من مئات وألوف اليهود الراجعين إلى الإيمان بالمسيح، باعتبار أنهم اكتشفوا أنه هو هو المسيَّا. وفي كثير من النماذج البديعة يظهر لهم المسيح بصور كثيرة مشجِّعة. ونحن نعلم من إشعياء أن الرب سيأتي إلى صهيون بعد أن يتوبوا: «ويأتي الفادي إلى صهيون وإلى التائبين عن المعصية في يعقوب **يقول الرب**» (إش 20:59). لاحِظ أيها القارئ السعيد أن الرب نفسه هو الذي يقول عن نفسه، ثم يزيد: «أمَّا أنا فهذا عهدي معهم قال الرب: روحي الذي عليك وكلامي الذي وضعته في فمك لا يزول من فمك، ولا من فم نسلك، ولا من فم نسل نسلك، قال الرب من الآن وإلى الأبد» (إش 21:59). ونسل النسل هي المسيحية.

بمعنى أن الوعد والعهد الذي خانته إسرائيل لا يزول بخيانتها، بل هو قائم في نسلها، حتى متى كملت أيام عقابها بملء دخول الأمم يأتي إلى الرب!!

32:21و33 **«الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لاَ يَمْضِي هذَا الْجِيلُ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ. اَلسَّمَاءُ وَالأَرْضُ تَزُولاَنِ، وَلكِنَّ كَلاَمِي لاَ يَزُولُ».**

قد اتفق جميع العلماء أن هذه الآية تخص خراب أورشليم والهيكل، الأمر الذي تمَّ بالفعل في جيله.

3 ـ السهر والاستعداد

(36-34:21)

هذا النداء من المسيح هو بعينه نداء السهر لاستقبال العريس بالمصابيح الموقدة والزيت في الأواني (12:35-36؛ مت 25:1-13). إن السهر والاستعداد دخل الكنيسة الأُولى بصورة عملية طاغية، فنشأت مجموعات من المؤمنين يعدُّون أنفسهم بالفعل لاستقبال العريس. واستلمته الحياة الرهبانية ونشأت

الجماعات والمؤسسات الخاصة بالعبادة على مستوى السهر الدائم. وتخصَّص كثير من القديسين للكتابة عن السهر وواجباته ودرجاته وصلواته، وامتد هذ السهر والاستعداد ليشمل مضمون الحياة الرهبانية بكل طقوسها. وخرج من تحت طقس السهر قديسون ملأوا الكنيسة بكلماتهم الحيَّة. ويُعتبر ق. أنطونيوس أقدس شخصية أنجبتها الحياة الرهبانية، فقد جعل الرهبنة إنجيلاً معاشاً، وصار محبُّوها الذين آمنوا وعاشوها بأمانة بني القيامة والملكوت حقًّا. وقد آزرهم الروح القدس في حياتهم الخاصة. وما تركوه لنا من مؤلفات روحية وسير آباء قديسين صارت بحد ذاتها منهجاً روحياً كفيلاً أن يملأ الكنيسة بالساهرين المستعدين في كل عصر. فأنطونيوس عاش في القرن الرابع ونحن الآن في القرن العشرين، وروح أنطونيوس لا تزال حيَّة تعمل على مستوى أنطونيوس في كل جيل.

وينبغي أن نفهم السهر والاستعداد على أنه بانتظار لقيا المسيح وجهاً لوجه، حينما ينطلق المسيحي حاملاً مصباحه وإناء زيته ليقدِّمه إلى العريس. فمجيء ابن الإنسان هو خاص بجيل مَنْ سيسعد برؤياه آتياً في سحاب السماء مع ملائكته وأرواح القديسين. أمَّا لنا فنحن نسهر ونستعد للذهاب إليه:

+ «وأمَّا الأزمنة والأوقات فلا حاجة لكم أيها الأخوة أن أكتب إليكم عنها، لأنكم أنتم تعلمون بالتحقيق أن يوم الرب كلصٍّ في الليل هكذا يجيء. لأنه حينما يقولون: سلامٌ وأمانٌ، حينئذ يُفاجئهم هلاكٌ بغتةً، كالمخاض للحُبلى، فلا ينجُون. وأمَّا أنتم أيها الإخوة فلستم في ظلمةٍ (أهل العالم) حتى يدرككم ذلك اليوم كلصٍّ. جميعكم أبناء نورٍ وأبناء نهارٍ. لسنا من ليلٍ ولا ظلمةٍ.» (1تس 5: 1-5)

34:21و35 «فَاحْتَرِزُوا لأَنْفُسِكُمْ لِئَلاَّ تَثْقُلَ قُلُوبُكُمْ فِي خُمَارٍ وَسُكْرٍ وَهُمُومِ الْحَيَاةِ، فَيُصَادِفَكُمْ ذلِكَ الْيَوْمُ بَغْتَةً. لأَنَّهُ كَالْفَخِّ يَأْتِي عَلَى جَمِيعِ الْجَالِسِينَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ».

الكلام هنا بوجهه الظاهر لا يحتاج إلى تعليم ولا إلى شرح، فهو مبادئ الكاتشزم. ولكن لنا نحن الذين عرفنا معنى السهر في قول الرب لتلاميذه في جثسيماني: «أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة» (مت 40:26)، فالمسيح يتكلَّم هنا عن سهر الروح. وحينما يتكلَّم عن اللص، فاللص هو شيطان العالم الذي يأتي للإنسان ليزوره وفي يديه هدايا يشتهيها ليختار منها ما يشاء: أموالاً وأعمالاً واهتمامات كما يقول الرب، لا حدَّ لها حتى إذا استلم منه هدية أمدَّه بكل ما يلزمها حتى ينجح فيها ويبرع. وقليلاً قليلاً يسحب من يده الإنجيل ثم من قلبه. فالسهر هو سهر الروح واللص واقف لا يكف عن المحاولة. وسهر الروح دخول في أسرار الله والإنجيل والملكوت. والواحد

من هذه الأسرار كفيل أن يملأ حياة الإنسان بعطايا الروح، يكتسب منها لحياته أينما كان وكيفما كان. وسر الإنجيل والملكوت لا يراه ولا يحسّه أهل العالم فهو عندهم بلا ثمن ولا يُعتد به، ولكن يوم أن يُستدعى ليترك العالم لا يبقى له مما عمله واهتم به إلاّ ما حصَّله من إنجيله وعرفه من سر ملكوت الله. فالسهر هنا هو السهر ضد العالم وأوهامه وهمومه، وعدم الوقوع في فخ الشيطان المزيَّن بالفوائد الكثيرة.

36:21 «**اِسْهَرُوا إِذاً وَتَضَرَّعُوا فِي كُلِّ حِينٍ، لِكَيْ تُحْسَبُوا أَهْلاً لِلنَّجَاةِ مِنْ جَمِيعِ هذَا الْمُزْمِعِ أَنْ يَكُونَ، وَتَقِفُوا قُدَّامَ ابْنِ الإِنْسَانِ**».

السهر معروف، أمَّا التضرُّع هنا فهو الشحاذة begging = deÒmenoi حتى تنجوا من هذه التي تأتي على غير الساهرين. فهنا التضرُّع بمفهوم الشحاذة يصوِّر الإنسان المصلّي وهو يتوسَّل ويزيد التوسُّل، كمن يشحذ لنفسه لقمة يرد بها جوعه. لأن كل الذي نأخذه من الله ليس حقًّا لنا وإنما نشحذه. وعلى قدر توسُّلنا كما عرفنا من قصة قاضي الظلم يُعطى لنا، ليس لأننا نستحقه ولكن لأن الله يُغلب من تحننه. فالعطية هنا التي نطلبها عظيمة وتستحق الوقوف على باب الله الليالي والأيام، لأن خصمنا بالمرصاد. والذي نجمعه العمر كله يمكن أن يخطفه من يدنا في ساعة. ونحن نطلب أن نغلب لنحُسب قادرين أن نقف قُدَّام ابن الإنسان.

وأقول لكم إننا علمنا، والله أعلم، أن الذي ينتقل منّا تذهب روحه لتواجه المسيح لتسمع منه كلمة القبول أو الرفض بعد أن يكشف لها حياتها كلها. هذا أقوله حتى لا يطغى علينا العدو ويصوِّر لنا الوقوف أمام ابن الإنسان هناك بعد زمن طويل.

فأرجو من القارئ رجاءً قلبياً صادقاً أن يعتبر نفسه مطلوباً لمقابلة ابن الله في اليوم الذي ينتقل فيه. وهنا تظهر قيمة كلام المسيح: «فيصادفكم ذلك اليوم بغتة لأنه كالفخ» هذا يشجِّعنا أن نقف أمامه الآن كشحَّاذين نطلب أن نُعطى مقابلته باستحقاق هناك بوجه غير مخزي.

عزيزي القارئ، الزمن مقصِّر والأيام رديئة، اِكسب الوقت لحساب الإنجيل واحتمي فيه لأن فيه النجاة. وإلى أن نلتقي.

4 - نهاية تعاليم المسيح
(21: 37و38)

37:21 «وكَانَ فِي النَّهَارِ يُعَلِّمُ فِي الْهَيْكَلِ، وَفِي اللَّيْلِ يَخْرُجُ وَيَبِيتُ فِي الْجَبَلِ الَّذِي يُدْعَى جَبَلَ الزَّيْتُونِ».

هنا أراد ق. لوقا أن يختم على إنجيل التعليم، أمَّا بياته في جبل الزيتون فعلى قدر ما عرفنا أنه جثسيماني وهي معصرة زيت الزيتون، وهي حديقة بها أشجار الزيتون ومسكن مِلك ق. مرقس اشتراه مع البيت الذي فيه العلية بجوار جبل الزيتون. وكان هو المكان المفضَّل عند المسيح الذي كان يذهب إليه ويمضي فيه الليل كله في الصلاة.

38:21 «وكَانَ كُلُّ الشَّعْبِ يُبَكِّرُونَ إِلَيْهِ فِي الْهَيْكَلِ لِيَسْمَعُوهُ».

«يُبكِّرون»: êrqrizen
الكلمة اليونانية تعني: ""القيام باكراً جداً""، كما جاء في أمر النسوة اللائي ذهبن إلى القبر باكراً ...Ñrqrina فجر القيامة (لو 24: 22)، وفيها صيغة الإلحاح أو المجاهدة. وهي تُذكّرنا بأشعار إشعياء النبي:

+ «إلى اسمك وإلى ذكرك شهوة النفس!!
بنفسي اشتهيتك في الليل
أيضاً بروحي في داخلي إليك **أبتكر**.» (إش 26: 8و9)

فإشعياء النبي لم يُحرم أن يذهب بالروح إلى هيكله السماوي باكراً جداً ويطرح تضرعاته كنبي، فهو أول مَنْ رأى السيد جالساً على كرسيه وأطراف ثوبه تملأ كل الهيكل! وسمع ولأول مرَّة في تاريخ البشرية خورس الملائكة تسبِّح: «قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء كل الأرض!!» (إش 3:6)

ولنا أيضاً ما يقوله الرب في سفر الأمثال: «الذين يُبكّرون إليَّ يجدونني.» (أم 17:8)

وهذه آخر صورة يصوِّرها إنجيل ق. لوقا لشدَّة حب وتعلُّق الشعب بالمسيح، ثم أعظم تعبير عن قيمة التعليم عند المعلّم!! ما أجمل هذه الأيام.

الأصحاح الثاني والعشرون:

سابعاً: آلام المسيح وقيامته

(أ) العشاء الأخير
(38-1:22)

السرّ الذي قدَّسه المسيح ليكون سرّ الكنيسة إلى الدهر والأبد، والذي نلنا به سرّ الدخول إلى الآب، إذ فيه نأكل المسيح فننال الحياة ونعرف الطريق وبالدم ندخل الأقداس.

يفتتح ق. لوقا قصة الآلام بمؤامرة يهوذا مع رؤساء الكهنة كيف يقتلون المسيح. أمَّا من جهة المسيح فاتفق مع تلاميذه أن يأكلوا الفصح معاً، فاجتمع مع تلاميذه ليدبِّروا أمر أكل الفصح معاً. فظهرت المفارقة المذهلة وبرز معنى موت المسيح كفعل إرادي، فهو سيأكل الفصح مع تلاميذه كنوع من تقديس ذاته للحدث! وهو يتقدَّم إرادياً ليكون الفصح الحقيقي الذي ذُبح في مصر لإخراج الشعب من العبودية. وابتدأت المأساة هكذا: قبضوا عليه ـ اتهموه ـ قدَّموه للموت. وهو لم يمانع لا في القبض عليه بلا سبب ولا دافع عن نفسه أو دافع عنه أحد ـ وسلَّم جسده للصلب. كل الإجراءات التي اتُّخذت ضدَّه باطلة ولكنه لم يعترض. وأخطر ما في القضية أنه لم يدافع عن نفسه إزاء كل الاتهامات التي وجِّهت ضدَّه كخاطئ وفاعل شر ومضل للشعب وكاسر للناموس ومجدِّف على الله ومحرِّض للشعب ضد قيصر! لم يُدافع عن نفسه أمام المحكمة الدينية في السنهدرين تجاه رؤساء الكهنة والكتبة ورؤساء الشعب. وضُرب وكان صامتاً ولم يُدافع عن نفسه إزاء القاضي بيلاطس، فكان ردّ المسيح على سؤال بيلاطس: ماذا تقول إزاء هذه الاتهامات؟، أن بقي صامتاً ولم يقُل كلمة واحدة، فثبتت عليه كل الاتهامات وحُكم عليه بالصلب فوافق وسلَّم نفسه للجند والصالبين بعد الجلد والضرب.

وبهذا مات المسيح كخاطئ وهذا ما أتى من أجله وتجسَّد، ولأنه بريء ولأنه قدوس وابن الله لم يَسُد عليه الموت أو يُمسك فيه، فقام من بين الأموات بجسده الذي مات به وعليه جروحه، ولكن بإمكانية أن يُظهر ذاته لمَنْ يُريد أن يظهر له ولا يظهر إلاّ عندما يُريد. وهذا هو شأن الجسد الروحاني المتغيِّر. وسنبدأ الآن بالآيات من بدء ترتيب العشاء حتى بدء القبض عليه.

1 - المؤامرة للقبض على المسيح

(22: 1و2)

(مت 26: 1- 4)
(مر 14: 1و 2)
(يو 11: 47-53)

22: 1 **«وَقَرُبَ عِيدُ الْفَطِيرِ، الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْفِصْحُ».**

ولكنه قرب للتلاميذ بمعنى العشاء والتقديس، غير أنه قَرُبَ أيضاً بالنسبة لرؤساء الكهنة بمعنى كل ما يمكن عمله للقبض عليه. ومن هذا المنطلق يبتدئ الإنجيل يأخذ معنيَيْن: معنى الخلاص ومعنى الدينونة. هنا تعريف الفصح باسم آخر: «عيد الفطير» هو بسبب أن الإنجيل مكتوب للأمم الذين لا يعرفون معنى الفصح tõ p£sca وهي كلمة عبرية تعني: "العبور"، عبور الملاك المُهلك من أمام البيوت التي عليها علامة الدم التي لُطّخت بها عتبة الباب العليا والقائمتان أي بصورة ظاهرة:

+ «فدعا موسى جميع شيوخ إسرائيل وقال لهم: اسحبوا وخذوا لكم غنماً بحسب عشائركم واذبحوا الفصح، وخذوا باقة زوفا واغمسوها في الدم الذي في الطّسْتِ ومسُّوا العتبة العليا والقائمتين بالدم الذي في الطّسْتِ. وأنتم لا يخرج أحدٌ منكم من باب بيته حتى الصباح. فإن الرب يجتاز ليضرب المصريين، فحين يرى الدم على العتبة العليا والقائمتين "**يعبر**" الرب عن الباب ولا يدع المُهلك يدخل بيوتكم ليضرب.» (خر 12: 21-23)

فهذا العيد تذكار دائم لكيف "**خلَّص**" الرب شعب إسرائيل من **الهلاك** والعبودية في مصر. وهذا العيد، عيد الفصح، هو أكبر وأهم الأعياد في إسرائيل، وفي هذا العيد يأتي جميع الإسرائيليين من جميع الأنحاء التي تشتَّتوا فيها لكي يعيِّدوا عيد الفصح داخل أورشليم مع الشعب. وهو يأتي في الشهر الأول نيسان في 15 من الشهر عند اكتمال القمر حتى 21 من الشهر. وهذا يوافق تقريباً آخر مارس عندنا.

2:22 «**وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ يَطْلُبُونَ كَيْفَ يَقْتُلُونَهُ، لأَنَّهُمْ خَافُوا الشَّعْبَ**».

المرجو أن ينتبه القارئ كيف يبتدئ ق. لوقا رواية الفصح مع رواية قتل المسيح بالتقابل. لأن الفصح هو ذبح حَمَل العبور، وقتل المسيح أصبح ذبح المسيح على الصليب ليعبر بنا الموت والهلاك وعبودية الشيطان مقابل عبودية إسرائيل تحت سخرة فرعون.

ولكن ما يزيد هذا الاختيار قيمة وعبقرية هو أن هذا الاختيار لهذا التاريخ هو انتهاز رؤساء الكهنة هذا العيد بالذات، لأن هيرودس وبيلاطس يحضران العيد (23:3-12)، وانتهاز فرصة الظلام بعد غروب القمر في الليل الدامس (22:53). وعلى القارئ أن يُعِيد النظر في هذه الآية فهي تحمل كل الاحتمالات كيف يمسكونه «يطلبون كيف يقتلونه» ومن هذه الجملة نفهم أن موضوع قتله أمر مُنْتَهٍ عندهم، ولكن كيف؟ ويُلاحَظ أنه من بدء خدمة المسيح والرؤساء يتحرَّقون شوقاً للتخلُّص من المسيح، ولكنهم دائماً كانوا يخافون الشعب الذي تعلَّق به، أما بعد تطهيره للهيكل واصطدامه مع رؤساء الكهنة فقد بلغ التآمر على قتله أقصاه. والذي سهَّل لهم مسألة القبض عليه واحد من التلاميذ الاثني عشر: يهوذا الإسخريوطي، ففرحوا به ووعدوه بمال.

وبعد أن أقام المسيح لعازر من الموت زادت شعبية المسيح للغاية، فطلبوا التعجيل في تتميم خطتهم. وخدمة المسيح الأخيرة داخل الهيكل كانت في حضور شعب الشتات الذي كان يقدَّر بأكثر من مليون نسمة، هذا أيضاً أربك رؤساء الكهنة لأن خدمة المسيح أصبحت تشكِّل لهم نوعاً من الإحساس بالصغر والضعف إزاء أعماله وأقواله الباهرة.

2 - خيانة يهوذا
(22:3-6)

(مت 26:14-16)
(مر 14: 10و11)

22:3-6 «**فَدَخَلَ الشَّيْطَانُ فِي يَهُوذَا الَّذِي يُدْعَى الإِسْخَرْيُوطِيَّ، وَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ الاِثْنَيْ عَشَرَ. فَمَضَى وَتَكَلَّمَ مَعَ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَقُوَّادِ الْجُنْدِ كَيْفَ يُسَلِّمُهُ إِلَيْهِمْ. فَفَرِحُوا وَعَاهَدُوهُ أَنْ يُعْطُوهُ فِضَّةً. فَوَاعَدَهُمْ. وَكَانَ يَطْلُبُ فُرْصَةً لِيُسَلِّمَهُ إِلَيْهِمْ خِلْواً مِنْ جَمْعٍ**».

آخر مرَّة تقابلنا فيها مع الشيطان كانت في تجربة المسيح لمَّا انهزم وتركه، ولكن نذكر القول إنه تركه «إلى حين» (4:13). هنا جاء "الحين" عندما استطاع الشيطان أن يأخذ أكبر تلميذ عند

المسيح تلميذاً صغيراً عنده. كان الشيطان قد فقد الأمل أن يصطاد المسيح بواسطة أعوانه الكتبة والفرِّيسيين ورؤساء الكهنة، ولكن وقد سقط واحد من الاثني عشر ابتدأ يلعب بهذه الورقة الثمينة جداً. وقام يهوذا بدوره الأول في المأساة.

«فَوَاعَدَهُمْ»: ™xwmolÒghsen

الكلمة اليونانية هنا أكبر من "فواعدهم" فهي تعني أنه "وافق تماماً fully consented". وإذ فلت الزمام من يد يهوذا وقد استلمه الشيطان، فهو يعرف أين ومتى وكيف بهذه الآلة الطيِّعة، أي يهوذا الذي أصبح تلميذ الشيطان، أن يحقّق مآربه. فالآن قد سلَّم يهوذا قضية قتل المسيح لأيادي الرؤساء.

3 - الإعداد للفصح

(13-7:22)

(مت 26:17-19)

(مر 14: 12-17)

7:22و8 **«وَجَاءَ يَوْمُ الْفَطِيرِ الَّذِي كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُذْبَحَ فِيهِ الْفِصْحُ. فَأَرْسَلَ بُطْرُسَ وَيُوحَنَّا قَائِلاً: اذْهَبَا وَأَعِدَّا لَنَا الْفِصْحَ لِنَأْكُلَ».**

كان هذا يوم الخميس 13 نيسان، وفي اليوم التالي كان يُرفع الخمير من كافة أركان البيت ويُخفى. والآن أخذ المسيح المبادرة، فأرسل بطرس ويوحنا، وقد اختار المسيح هذين التلميذين اللذين عرَّفهما سِرَّ المكان فقط، لأن المسيح احتفظ كل هذه الأيام بالسرِّية الكاملة حتى لا يُعطي الشيطان فرصة للإيقاع به قبل **"الفصح"**. لأن الرب قد دبَّر بالفعل أن يكون هو "الفصح"، «لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذُبح لأجلنا» (1كو 7:5)، وهذا واضح في إنجيل ق. يوحنا الذي جعل عشاء الخميس الإعداد للفصح ليكون يوم الجمعة هو الفصح الحقيقي في 14 نيسان، وهذا صار الطقس المقدَّس للكنيسة الأولى. والقديس كليمندس الإسكندري يقول:

[إن الرب لم يأكل فصحه الأخير في اليوم القانوني الذي للفصح بل أكله في اليوم السابق 13 نيسان، وتألَّم بالصلب في اليوم التالي صائراً هو فصحنا].

فبولس الرسول لم يعتبر العشاء الأخير هو الفصح بل موت المسيح الذي هو الموافق لذبح الفصح. لأن المثل للمثيل (أي المسيح للفصح) لا يتفقان إلاَّ إذا ماثلَ ذَبْح المسيح بالتمام ذبح الفصح في اليوم المخصَّص له رسمياً.

22: 9-13 **«فَقَالاَ لَهُ: أَيْنَ تُرِيدُ أَنْ نُعِدَّ؟ فَقَالَ لَهُمَا: إِذَا دَخَلْتُمَا الْمَدِينَةَ يَسْتَقْبِلُكُمَا إِنْسَانٌ حَامِلٌ جَرَّةَ مَاءٍ. اِتْبَعَاهُ إِلَى الْبَيْتِ حَيْثُ يَدْخُلُ، وَقُولاَ لِرَبِّ الْبَيْتِ: يَقُولُ لَكَ الْمُعَلِّمُ: أَيْنَ الْمَنْزِلُ حَيْثُ آكُلُ الْفِصْحَ مَعَ تَلاَمِيذِي؟ فَذَاكَ يُرِيكُمَا عِلِّيَّةً كَبِيرَةً مَفْرُوشَةً. هُنَاكَ أَعِدَّا. فَانْطَلَقَا وَوَجَدَا كَمَا قَالَ لَهُمَا، فَأَعَدَّا الْفِصْحَ».**

ضبط هذا الكلام موجود في آخر آية: «ووجدا كما قال لهما» لأن المسيح سبق فأعدَّ كل شيء سرًّا مع صاحب البيت، الذي بحسب رأينا هو ق. مرقس الإنجيلي. وواضح أنه هو الذي وضع أول صورة للفصح الذي عمله المسيح مع تلاميذه، وهو الذي شارك فيه دون أن يذكر اسمه. أمَّا الإنسان حامل جرَّة الماء فهو أمر مستغرب في أُورشليم، لأن الذين يُحضرون الماء في الجرَّة هم النساء. ولكن يوجد طقس اسمه طقس عمل الفطير وفيه يذهب كبير أو صاحب البيت ليستقي من الماء لعمل الفطير حسب التقليد.

عشـــــاء الفصح
(لو 22: 14-18)

22: 14-16 **«وَلَمَّا كَانَتِ السَّاعَةُ اتَّكَأَ وَالاِثْنَا عَشَرَ رَسُولاً مَعَهُ، وَقَالَ لَهُمْ: شَهْوَةً اشْتَهَيْتُ أَنْ آكُلَ هذَا الْفِصْحَ مَعَكُمْ قَبْلَ أَنْ أَتَأَلَّمَ، لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي لاَ آكُلُ مِنْهُ بَعْدُ حَتَّى يُكْمَلَ فِي مَلَكُوتِ اللهِ».**

منظر العلّيَّة المفروشة وصاحب البيت مرقس يخدم، والاثنا عشر جلوساً حول المائدة الأرضية والمسيح في الوسط، كانت أول صورة لأول كنيسة على الأرض. وكانت تمثّل جسد المسيح حقًّا، يحييه الحب الذي أحب به المسيح تلاميذه كإخوة في عائلة سمائية هو الأكبر أو الرأس فيها. وأسمع صوتاً خارجاً من قلب المسيح يعبِّرعن وداع الحب الممزوج بالدم في صورة شهوة اشتهاها المسيح قبل أن يتألَّم: أن يحتضن تلاميذه ويطلب من الزمن أن يلتقط له صورة تذكارية تعبِّر عن أقدس يوم في حياة ابن الإنسان مع تلاميذه. لتحتفظ بها الكنيسة عوض الفصح القديم. فلأول مرَّة في حياتنا نسمع أن المسيح يشتهي، ويشتهي أن يأكل، لأن الخبزة التي كسر وأخذ منها وأعطى صارت هي عينها وفي هذه اللحظة الفريدة من يوم الخميس هي نفس الجسد المعلّق على الصليب يوم الجمعة. إذ لمَّا كسر أعطى قائلاً هذا هو جسدي. وهكذا أعطى ليوم الخميس رهبة وجلال يوم الجمعة، وللخبزة المكسورة قوة وجلال الصليب والجسد المائت عليه والمطعون! وهتف بالتلاميذ والزمن

يسجِّل: اصنعوا هذا لذكري. لا لتذكار المسيح؛ بل تذكار مسيح الصليب والجسد المكسور والعائلة الواحدة والحب وشهوة العبور!!

وحتى لا تضغط على مشاعرهم كلماته الوداعية بأحاسيسها السرِّية جداً، فيشعروا بالخسارة المريعة لذهابه، طمأنهم أنه سيشربها معهم جديداً في الملكوت. يشربونها ولها قوة النصرة ومجد القيامة وحضرة الآب وتسبيح يدوم!!

17:22و18 **«ثُمَّ تَنَاوَلَ كَأْساً وَشَكَرَ وَقَالَ: خُذُوا هذِهِ وَاقْتَسِمُوهَا بَيْنَكُمْ، لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي لاَ أَشْرَبُ مِنْ نِتَاجِ الْكَرْمَةِ حَتَّى يَأْتِيَ مَلَكُوتُ اللهِ».**

وضع عجيب أنه أعطى للكأس ليس قوة الشركة بعد بل سبق تذوُّق الملكوت الآتي، والقسمة قسمة حب الأغابي وليس الدم. فقد جعل هذه المائدة صورة الملكوت الآتي في ألفة الحب وشركة الأخوة. لم يأكل ولم يشرب كأنه عهد حتى يأتي الملكوت.

4 ـ تأسيس عشاء الرب

(19:22و20)

(مت 26:26-29)
(مر 14:22-25)

19:22 **«وَأَخَذَ خُبْزاً وَشَكَرَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَاهُمْ قَائِلاً: هذَا هُوَ جَسَدِي الَّذِي يُبْذَلُ عَنْكُمْ. اِصْنَعُوا هذَا لِذِكْرِي».**

هذا جبروت المصلوب، كيف يَصْلِب نفسه بلا خشبة ولا مسمار، وبسكين سر الشكر الأعظم قسَّم جسده واستودعه خبزة، دفعها لهم خبزة وهي جسده مذبوحاً من أجلهم بفعل أبدي يأخذون منه كيفما شاءوا، خبزاً حيًّا ويذكرون ذبحه.

هكذا صنع المسيح من يوم الخميس تذكاراً ليوم الجمعة يدوم فوق الزمن.

فحينما صنع العشاء صنع الفصح بآن، حتى حينما نكسر الخبز نستحضر الصليب والجسد والمسامير والحربة.

20:22 **«وَكَذلِكَ الْكَأْسَ أَيْضاً بَعْدَ الْعَشَاءِ قَائِلاً: هذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي الَّذِي يُسْفَكُ عَنْكُمْ».**

بإرادة الفدية ذبح نفسه حيًّا، وملأ كأسه دماً، وأعطاه لتلاميذه ليشربوا عهده الجديد ويذكروه

كلما شربوا، ويذكروا عهده ويعيشوا به جدة الحياة.
وهكذا بعشاء الخميس صنع فصحاً بدمه استودعه نفسه حيًّا ليسقيهم بيديه كلما صنعوا.

هكذا ضمن المسيح قبل صعوده أن يستودعنا جسده الخاص ودمه الحي تأكيداً لدوام حضوره وتحقيقاً لقوله لتلاميذه: «**ها أنا معكم كل الأيام** إلى انقضاء الدهر آمين.» (مت 20:28)

وعندما قال: «هذا هو جسدي» و «هذا هو دمي» فهو يقدِّم نفسه حقيقة سريَّة منظورة وملموسة في الخبز والخمر ليبقى هو كما هو بعد صعوده بيننا حقيقة منظورة وملموسة بالإيمان في ذات الخبز والخمر الإفخارستي. والكاهن يؤكِّد هذه الحقيقة عندما يقيم الإفخارستيا كالتدبير مشيراً إلى الخبز والكأس بعد تقديسهما صارخاً: [الجسد المقدَّس والدم الكريم اللذان لمسيحه الضابط الكل الرب إلهنا]، والشعب يصرخ ساجداً: [نسجد لجسدك المقدَّس ولدمك الكريم]. إنه سجود لحضور حقيقي للمسيح، إنها الوحدة الإلهية بين الكلمة اللوغس وجسده ودمه تماماً تماماً كما كان حاضراً وقت عشاء الخميس بشخصه كابن الله الكلمة المتجسِّد وبآن واحد في الإفخارستيا التي على يديه: الجسد المقدَّس والدم الكريم، وهكذا أصبحت الإفخارستيا تحقيقاً جوهرياً لحضور المسيح وتحقيقاً بالتالي لقوة وفعل الكلمة اللوغس في الجسد والدم.

ولذلك أصبح للجسد الذي يعطيه الكاهن قوة التقديس الذي للاهوت الكلمة بسبب الاتحاد الجوهري والإقنومي الذي تمَّ بين الكلمة والجسد، كذلك الدم الذي في الكأس أصبح له أيضاً قوة إعطاء الحياة، فهو هو الدم المحيي الذي للكلمة ابن الله.

وبفعل القوة المعطاة في الجسد والدم للتقديس والحياة بفاعلية الكلمة اللوغس أصبح لنا القدرة على التغيير والتجدد: «ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة نتغيَّر إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح» (2كو 18:3). فأكل الجسد وشرب الدم ليسا بعد أكلاً وشرباً ساذجاً بل هما أكل حق وشرب حق، أي أكل حقيقي وشرب حقيقي للوغس الكلمة، لأن الجسد كجسد بمفرده لا يفيد شيئاً كقول المسيح ولكن "الروح الله" أي اللاهوت في الجسد هو الذي يحيي. وهنا تبرز قوة المعنى لسر قول المسيح: «فمن يأكلني فهو يحيا بي» (يو 57:6). هنا يقف الأقنوم والجسد معاً بلا انفصال، كما يستعلن بوضوح الارتفاع عن مستوى المادية من أي نوع: «الكلام الذي أكلِّمكم به هو روح وحياة.» (يو 63:6)

بهذا ننتهي بحقيقة لاهوتية غاية في الأهمية وهي أننا حينما نشترك في الجسد والدم نحن نأكل المسيح كقوله وبالتالي نتحد به بالسر الفائق: «مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه»

(يو 56:6). هكذا أصبحت الإفخارستيا هي الواسطة السرية المقدَّمة بسخاء الله والمسيح لندخل في شركة مع المسيح واتحاد، وهذا يتحتَّم أن يدخل في صميم الإيمان المسيحي.

على أن قوة وفاعلية الجسد والدم التي هي أصلاً قوة وفاعلية الكلمة اللوغس المتحد بالجسد والدم للتقديس والحياة تتجه مباشرة وسرًّا **للجسد الجديد الذي للخليقة الجديدة** لتهبه قوة وحياة ونماء. ففعل الإفخارستيا كدواء عدم الموت أو كترياق الخلود **هو من نصيب الخلقة الجديدة للإنسان الجديد فينا** يتغذّى عليها بالروح سرًّا ليقوى ويثبت وينمو في الرب. لذلك يخطئ مَنْ يقول إن جسد المسيح يغذّي أو يعالج أو يشدّد جسدنا الترابي، هذا ينافي في الحقيقة أن الفاسد لا يمكن أن يرث أو يتغذّى على عدم فساد في الحياة الحاضرة. فالإفخارستيا عمل وتقديس إلهي يخص الإنسان الجديد الروحاني يرفع عنه ثقل الخطايا ويمدّه بضمير عدم الخطايا للفرح والشكر الدائم، كما يمده بالغذاء الروحي والنور والحق والحياة ودوام الثبوت في الرب ويسنده في غربته على الأرض إلى أن يكمل ويمضي إلى موطنه السمائي.

5 - المسيح يسبق ويكشف سرّ الخائن

(23-21:22)

(مت 26:21-25)
(مر 14:18-21)
(يو 13:21-30)

يفتح المسيح ملف يهوذا الخائن لأول مرّة، باعتبار أنه عضو فعَّال في فصح الجمعة، الذي يُقام مساء الخميس في مائدة العشاء جوهرياً. يهوذا يُحسب قاتلاً على المستوى الروحي، لأنه تلميذ استؤمن على حياة وسر المعلّم فكان الدليل والشريك لعملية القبض. وحينما أعلن السيد: «أبقُبلة تُسلّم ابن الإنسان» اعتُبر أول مَنْ طعن المسيح في القلب وفتح الباب ومهّد الطريق للصالبين، فهو شريك رسمي للجريمة. لأن بتسليمه المسيح لرؤساء الكهنة يُعتبر موافقاً على كل اتهاماتهم للمسيح، بل كتلميذ مؤتمن على أسرار السيد، ثم يقوم بتسليمه للموت يكون أكبر وأصدق شاهد على استحقاق المسيح للموت، كونه يعرف فرضاً كل شيء عن المعلّم. فهذا الدليل والشاهد يمكن أن تقوم عليه مصداقية القضية كلها بصفته شريك حياة للمتهم أي المسيح. فهو بالنسبة للجنة السنهدرين المنوط بها فحص ملف المتهم دليل قاطع على صحة الاتهامات كلها الموجَّهة للمسيح.

أمَّا لماذا لم ينصحه المسيح؟ فالمسيح كانت عظاته كلها تُلقى على مسامعه ونال بركة الإرسالية

للخدمة، وخدم مع التلاميذ حتى يوم الخميس هذا، ولكن المسيح لم يواجهه لأنه قبلَ خيانته كإحدى الخطايا التي حملها عن البشرية. فالمسيح لم يحاول أن يبرِّئ نفسه من أي ذنب وُضع عليه، وبالتالي لم يحاول أن يمنع الصالبين والخائنين من خطيتهم لأنها من صميم اختصاصه. ألم يقل عليه الفرِّيسيون: "إنه يأكل مع العشَّارين والزواني"، فما معنى هذا أليس أنه شريكهم، وفي هذا أيضاً لم يُدافع إلاَّ مرَّة واحدة حينما قال إنه طبيبهم الخاص وأنه جاء في إرسالية خاصة من أجلهم.

ولكن المسيح أعطاه الويل لأنه استهان بالقدوس مسيح الله وازدرى بالروح وداس الدم بل سفكه! بعد أن ذاق الموهبة السمائية: «فإنه إن أخطأنا باختيارنا بعد ما أخذنا معرفة الحق، لا تبقى بعد ذبيحةٌ عن الخطايا، بل قبول دينونةٍ مُخيفٌ، وغيرةُ نارٍ عتيدةٍ أن تأكل المضادين» (عب 10: 26و27). أمَّا المال الذي كان يسرقه من الصندوق فاشترى به أخيراً حبل المشنقة! ولكن الويل الأعظم هو فيما بعد المشنقة!

22:21-23 «وَلَكِنْ هُوَذَا يَدُ الَّذِي يُسَلِّمُنِي هِيَ مَعِي عَلَى الْمَائِدَةِ. وَابْنُ الإِنْسَانِ مَاضٍ كَمَا هُوَ مَحْتُومٌ، وَلَكِنْ وَيْلٌ لِذَلِكَ الإِنْسَانِ الَّذِي يُسَلِّمُهُ. فَابْتَدَأُوا يَتَسَاءَلُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ: مَنْ تَرَى مِنْهُمْ هُوَ الْمُزْمِعُ أَنْ يَفْعَلَ هذَا؟»

هذا الكلام يوضِّح أن يهوذا لم يكن ظاهراً لهم في سلوكه، لقد أخفى كل عيوبه، إلاَّ أنهم كانوا يعلمون أنه يأخذ كل ما يُلقى في صندوق الإعانات الذي كان مؤتمناً عليهِ. وربما هذا الداء هو الذي أوصله لفضة رؤساء الكهنة، فكانت بالنسبة له صفقة الهلاك الأبدي: «لأن محبة المال أصل لكل الشرور الذي إذ ابتغاه قوم ضلُّوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة ... فيسقطون في تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبية ومضرَّة تغرِّق الناس في العطب والهلاك.» (1تي 6:10و9)

كانت الخطية المطروحة بينهم غير معقولة، ولكنها كانت معقولة عند يهوذا.

6 - مَنْ هو الأكبر
(27-24:22)

(مت 20:24-28)
(مر 10:42-45)

غسَلَ أرجل تلاميذه قبل تكميل سر العشاء ليجعل سر الاتضاع قبل سر الخلاص. الرب انحنى على أرجل تلاميذه ليسلِّمنا طريق الانتصار على الذات، وأعطى نفسه مثالاً لكي ننحني للأصغر.

24:22 **«وَكَانَتْ بَيْنَهُمْ أَيْضاً مُشَاجَرَةٌ مَنْ مِنْهُمْ يُظَنُّ أَنَّهُ يَكُونُ أَكْبَرَ».**

يبدو أن المشاجرة التي حدثت فيما بينهم كانت حول الجلوس على المائدة، لأن ذلك كان بترتيب خاص في كل عائلة يهودية. وكانهذا هو الجاري مع المسيح وتلاميذه: أن رب الأسرة يجلس في منتصف المائدة الأرضية، ثم يجلس عن يمينه أكبر الأولاد بصفته المرشَّح لأي ظرف أن يحل محل أبيه إذا غاب أو إذا انتقل، أمَّا الأصغر فيجلس عن شمال الأب كناية عن العطف، إذ يكون هو أكثر الذين يعطف عليهم الأب. فلمَّا جاء دور الجلوس على المائدة وقت العشاء حدثت هذه المشاجرة بين أكبر التلاميذ سنًّا وهو يهوذا الإسخريوطي وبطرس لأنه فرض نفسه أن يكون الأول دائماً، لأنه يبدو أنه كان هو الذي يقدِّمه المسيح في كل شيء ويعتمد عليه في حل الأمور بنوع من الثقة. لذلك لمَّا جلسوا على العشاء جاء مجلس يهوذا على يمين الرب مباشرة وبعده بطرس، فلمَّا أراد بطرس أن يتكلَّم مع يوحنا لم يستطع لأن يهوذا بجواره، فأومأ إليه (أي غمز بعينيه) أن يسأل مَنْ مِن التلاميذ سيسلِّمه:

+ «وكان مُتَّكئاً في حضن يسوع واحدٌ من تلاميذه، كان يسوع يحبه (وهو يوحنا) فأومأ إليه سمعان بطرس أن يسأل مَنْ عسى أن يكون الذي قال عنه (كل هذا بالإشارات). فاتكأ ذاك على صدر يسوع وقال له: يا سيِّد، مَنْ هو؟ أجاب يسوع (سرًّا): هو ذاك الذي أغمس أنا اللُّقمة وأعطيه. فغمس اللُّقمة وأعطاها ليهوذا سمعان الإسخريوطي.» (يو 13: 23-26)

وهكذا يتضح أن المشاجرة كان سببها يهوذا الخائن الذي سلَّم المسيح وكان يسرق الصندوق، وهكذا يتبرَّأ بقية التلاميذ، والسيئات كلها تراكمت فوق رأس يهوذا.

25:22و26 «فَقَالَ لَهُمْ: مُلُوكُ الأُمَمِ يَسُودُونَهُمْ، وَالْمُتَسَلِّطُونَ عَلَيْهِمْ يُدْعَوْنَ مُحْسِنِينَ. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَيْسَ هكَذَا، بَلِ الْكَبِيرُ فِيكُمْ لِيَكُنْ كَالأَصْغَرِ، وَالْمُتَقَدِّمُ كَالْخَادِمِ».

المسيح هنا يضع أساس الرئاسة والأولوية في الجماعة المسيحية أن لا تكون على النظام السياسي الاجتماعي، فالملك هو الذي يسود على الشعب، ولكن بعض شخصيات أخرى تزاحم لكي تأخذ الرئاسة والأولوية عن طريق إعطاء إحسانات للناس فيحبُّهم الناس ويحترمونهم ويكرِّمونهم، فهو نوع من استغلال المال لشراء الكرامة. وهؤلاء كانوا يُدْعَون قديماً عندنا باسم "عطوفة الباشا"، أي المحسن الذي يغدق على الفقراء.

ولكن في الحياة المسيحية وبالذات ذات الروح المتجدِّدة أي أصحاب الإنسان الجديد، لا يتقدَّم الجماعة إلاَّ أكثرهم تواضعاً ومحبة وبذلاً، يأخذونه بالقوة ويجعلونه رئيساً عليهم. هكذا كان يحدث في اختيار البطريرك القبطي في مصر، فكان الأراخنة يبحثون في كل مكان في البلاد حتى يعثرون على شخصية متجدِّدة، فيها روح الله، مشهورة بالتواضع، فيُسلسلونه ويأخذونه بالقوة ويرسمونه بطريركاً عليهم. هذا تطبيق حرفي لوصية المسيح. لذلك كان بطريرك الأقباط مُهاباً جداً، فيه روح الله، يخدم ويبذل ويعرف بالروح كيف يُدبِّر كنيسته بإرشاد الله.

27:22 «لأَنْ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ؟ أَلَّذِي يَتَّكِئُ أَمِ الَّذِي يَخْدُمُ؟ أَلَيْسَ الَّذِي يَتَّكِئُ؟ وَلكِنِّي أَنَا بَيْنَكُمْ كَالَّذِي يَخْدُمُ».

هنا يتضح للقارئ أن الذي قلناه عن المشاجرة أنها كانت بخصوص الجلوس على المائدة يظهر جداً من هذه الآية التي قدَّمها المسيح ليثبت أن "خادم القوم سيدهم" كما يقولون. والمسيح يقصد بالخدمة توزيع الأنصبة وتقديم المأكولات للجالسين، والمسيح فعلاً كان كذلك. وإمعاناً في إظهار روح الخدمة بمفهومها الكامل أي "خَدَّام"، هكذا تمم المسيح غسيل الأرجل مع تلاميذه بسبب شجارهم على الجلوس على المائدة. وواضح هذا في إنجيل ق. يوحنا بالرغم من أن موضوع الشجار غير مذكور، ولكن قدَّمها المسيح في أحرج ساعات العشاء الأخير: إذ قام عن العشاء وصبَّ ماءً في طست وأخذ يغسل أرجلهم واحداً واحداً وبعدها جلس وقال مثله هذا أيضاً:

+ «قام عن العشاء، وخلع ثيابه (كما يفعل العبيد) وأخذ منشفة واتزر بها، ثُمَّ صبَّ ماءً في مغسلٍ، وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ ... فلمَّا كان قد غسل أرجلهم وأخذ ثيابه واتكأ أيضاً، قال لهم: أتفهمون ما قد صنعت بكم؟ أنتم تدعونني مُعلِّماً وسيِّداً، وحسناً تقولون، لأني أنا كذلك. فإن كنت وأنا السيد والمعلِّم قد غسلت أرجلكم، فأنتم يجب عليكم أن يغسل

بعضكم أرجل بعض ... الحق الحق أقول لكم: إنه ليس عبدٌ (أنتم) أعظم من سيِّده (أنا)، ولا رسولٌ (أنتم) أعظم من مُرسله (أنا). إن عَلِمْتُم هذا فطوباكم إن عملتموه.» (يو 13: 4-17)

ولكن لكي يعرف القارئ أن سبب المشاجرة هو نفسه يهوذا الإسخريوطي أضاف المسيح بعد غسل الأرجل: «لست أقول عن جميعكم. أنا أعلم الذين اخترتهم» (يو 18:13) يقصد يهوذا!!!

ولكن في الحقيقة لو ننظر إلى المسيحية وما أصابها من انقسامات الكنائس إلى عقائد والعقائد إلى شيع، والشيع إلى بدع، كل هذا لأن المسيحية لم تأخذ بدرس غسيل الأرجل ولا بوصية المسيح أن الأكبر يكون خادماً. ولا يزال الشجار في مَنْ هو الأعظم هو السائد على كل الكنائس والسائد في كل كنيسة. وإن لم يتدخَّل المسيح ليبكِّت الكنيسة، فإلى هوان.

7 - دور التلاميذ في المستقبل

(22:28-30) (مت 28:19)

22:28-30 **«أَنْتُمُ الَّذِينَ ثَبَتُوا مَعِي فِي تَجَارِبِي، وَأَنَا أَجْعَلُ لَكُمْ كَمَا جَعَلَ لِي أَبِي مَلَكُوتاً، لِتَأْكُلُوا وَتَشْرَبُوا عَلَى مَائِدَتِي فِي مَلَكُوتِي، وَتَجْلِسُوا عَلَى كَرَاسِيَّ تَدِينُونَ أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ الاِثْنَيْ عَشَرَ».**

أراد المسيح أن يُقنِع التلاميذ أن نصيبهم السماوي محفوظٌ لهم، فلا ينظروا إلى الكرامة الأرضية ولا إلى مَنْ هو أعظم، لأنه ليس يوجد مَنْ هو أعظم منهم عند المسيح وهذا يكفيهم ويرضيهم. فالكلام المريح هنا والوعد بالكرامة فوق ينبغي أن يكون كافياً لهم حتى لا يطلبوا المجد والكرامة على الأرض. والمسيح وضع لهم ما يقنعهم بصحة كلامه أن ما سيعطيهم فوق هو حقًّا نصيبهم إزاء الآلام والتجارب التي جازوها وسيجوزونها بالأكثر بعد هذا، لكي يطمئنوا أن أجرهم عظيم في السموات.

فالملكوت هنا هو دائرة نفوذهم كرسل المسيح الاثني عشر المذكورين في سفر الرؤيا (رؤ 14:21) أنهم موضوعون كأساس لأورشليم السماوية، «مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية» (أف 20:2). والاثنا عشر تلميذاً هم الصورة الأخروية للأسباط الاثني عشر، حيث يُقَسَّم شعب الله إلى ملكيات تملك مع المسيح من تحت الاثني عشر.

وعلى كل حال ليس عندنا أي سند نستند عليه في الحديث عن الملكوت فوق. أمَّا الملكوت الذي أسَّسه المسيح على الأرض فهو الكنيسة التي هي نفسها ستتجلَّى فوق كأورشليم السماوية. أمَّا الأكل والشرب على مائدة المسيح فهو المعبَّر عنه بوليمة الملكوت التي نسمع عنها سمعاً، أمَّا إدراكها بالوعي المفتوح فغير موجود الآن.

ولكن نخرج من هذا كله بإحساس غامر أنه ينتظر الرسل والقديسين الذين تألَّموا من أجل المسيح نصيبٌ سماويٌّ لا يخطر على بال. كل ما وصلنا منه حتى الآن هو ومضات من الفرح ولهج الروح بالمجد الآتي.

8 - التنبُّؤ بإنكار بطرس

(34-31:22)

(مت 26:31-35)
(مر 14:27-31)
(يو 13:36-38)

ظنَّ بطرس أنه إلى السجن والموت يتبع الرب، وأمام جارية خار دونما سِجْنٍ أو موتٍ. فحينما تتعظَّم الذات في نظر صاحبها تجلب لصاحبها العار، والإنسان المتكبِّر يسقط مرَّة والمكابر ثلاثاً.

31:22و32 «**وَقَالَ الرَّبُّ: سِمْعَانُ، سِمْعَانُ، هُوَذَا الشَّيْطَانُ طَلَبَكُمْ لِكَيْ يُغَرْبِلَكُمْ كَالْحِنْطَةِ! وَلَكِنِّي طَلَبْتُ مِنْ أَجْلِكَ لِكَيْ لاَ يَفْنَى إِيمَانُكَ. وَأَنْتَ مَتَى رَجَعْتَ ثَبِّتْ إِخْوَتَكَ**».

يبدو أن مناسبة العشاء الأخير كانت كشف حساب لما كان عليه التلاميذ من ضعف. كان أخطر ما ينتظرهم هو أن يحصدهم الشيطان بعد أن استولى على يهوذا. فهذا بطرس الأول بينهم والكبير والمدافع ومن أول من آمنوا ونادوا بالمسيَّا، كان يبدو أنه سيذهب مذهب يهوذا ومعه الباقون!! اسمع صوت المسيح الواضح للغاية: «سمعان سمعان هوذا الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة» والكلام موجَّه إلى بطرس المدَّعي القدرة أنه قادر أن يموت عن المسيح!! يهوذا أُخذ بالفضة، وبطرس أُخذ بالجرأة الكاذبة والشجاعة التي تنتهي بالهرب والتهرُّب والجري في الظلام!! فإن كان يهوذا قد سقط وبطرس يتهاوى، فمن منهم يقف؟ وقد نجح الشيطان أن يسوقهم أمامه

سوق الريح. حينما رأوا العسكر ورؤساء الكهنة ورؤساء الشعب في جثسيماني تركوه كلهم وهربوا، ووقف السيد وحده وهو ليس وحده. كانت ليلة العشاء ذات تفتحات على بؤر الظلام وذات شجون، وقد سلّط المسيح النور على الشيطان واقفاً وبيده غربال المروّعات ومهزّة الأهوال حضّرها جيداً ليوم الظُّلمة: «هذه ساعتكم وسلطان الظُّلمة» (53:22). ولكن وقف السيد في قمة العاصفة لينتهر ريح الشيطان ويُبكم أمواج الأهوال التي صوّرها للتلاميذ!! «ولكني طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك» وماذا عن باقي التلاميذ؟ «وأنت متى رجعت ثبِّت إخوتك» كانوا كلهم قد ترنّحوا فوق غربال العدو والسقوط، والهاوية فاتحة فاها لتبتلعهم، لولا السيد الذي انتهر الشيطان فتراجع بغرابيله!

كانت ساعة العشاء بداية أقصى حركة للشيطان كما كانت بداية العهد الجديد. والمسيح بعينيه التلسكوبيتين يرصد حركات الشيطان سواء فيما يخصه أو فيما يخص التلاميذ. فابتدأ ببطرس لأن ساعة إنكاره العلني للمسيح قد حلّت، وإن لم يحذّره المسيح ويسنده بآن واحد لانتهى. أمَّا تحذيره فظهرت قوته وفائدته لمَّا صاح الديك صيحاته وأيقظ بطرس من إنكاره فبكى وكانت علامة الشفاء. ويبدو أن بطرس خرج مسرعاً لينقذ الباقين الذين تملكتهم الرعبة وتحصَّنوا في بيت ق. مرقس وقفلوا الأبواب بالمتاريس، ووراءها جلسوا يترقَّبون القبض والمحاكمة، وأخذهم الندم كل مأخذ!!

33:22و34 «**فَقَالَ لَهُ: يَارَبُّ، إِنِّي مُسْتَعِدٌّ أَنْ أَمْضِيَ مَعَكَ حَتَّى إِلَى السِّجْنِ وَإِلَى الْمَوْتِ. فَقَالَ: أَقُولُ لَكَ يَا بُطْرُسُ: لاَ يَصِيحُ الدِّيكُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ تُنْكِرَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ أَنَّكَ تَعْرِفُنِي**».

هذه هي الجرأة الكاذبة، والشجاعة التي لا تسندها قدرة لا توصّل صاحبها إلاَّ إلى بداية الطريق ويخور. منظر بطرس وهو يقول هذا ويتشدَّد منظر إنسان أقسم إلاَّ أن ينازل الشيطان.

فالرب هنا لا يزال واقفاً أمام المحققين من رؤساء الكهنة ورؤساء الشعب، وبطرس في الدور الأسفل أكمل مهمة الإنكار ثلاث مرّات وبقسم أنه لا يعرف هذا الرجل (المسيح). هنا بطرس بالكاد استطاع أن يحضر المحاكمة من على بُعدٍ وانتهى عزمه وأنكر سيّده ثلاثاً. أمَّا الباقون فاختبأوا ... وصال الشيطان وجال. وطوبى لمن يعرف قدر نفسه!

9 - الكيس والسيف

(38-35:22)

القديس لوقا وحده

35:22و36 «ثُمَّ قال لهُمْ: حِينَ أرْسَلْتُكُمْ بلاَ كِيسٍ وَلاَ مِزْوَدٍ وَلاَ أحْذِيَةٍ، هَلْ أعْوَزَكُمْ شَيْءٌ؟ فَقالُوا: لاَ. فَقالَ لهُمْ: لكِنِ الآنَ، مَنْ لهُ كِيسٌ فَلْيَأْخُذْهُ وَمِزْوَدٌ كَذلِكَ. وَمَنْ لَيْسَ لهُ فَلْيَبِعْ ثَوْبَهُ وَيَشْتَرِ سَيْفاً».

الرب قال الآية الأُولى (35) ليستطيع أن يتكلَّم عن موقف التلاميذ المكشوف: خوف وجزع وندم، مما أثار أطماع الشيطان فيهم. ذكَّرهم بقوة الإيمان الذي عاشوا به وعملوا الآيات والمعجزات وأخرجوا الشياطين!! ولم يكن معهم لا زاد ولا مزود ولا نحاس في مناطقهم!

والآن وقد تزعزع الإيمان وخارت روح الاتكال على الله، فلابد أن يحملوا المال والزاد والسيف! ولن يجديهم نفعاً. ويبدو أن المسيح تكلَّم بما أضمروه في نفوسهم من الاعتماد على الذراع والباع.

37:22و38 «لأنِّي أقُولُ لكُمْ: إنَّهُ يَنْبَغِي أنْ يَتِمَّ فِيَّ أيْضاً هذا المَكْتُوبُ: وَأُحْصِيَ مَعَ أثَمَةٍ. لأنَّ مَا هُوَ مِنْ جِهَتِي لهُ انْقِضَاءٌ. فَقالُوا: يَارَبُّ، هُوَذا هُنا سَيْفَان. فَقالَ لهُمْ: يَكْفِي!»

المسيح يتكلَّم وصورة الآتين للقبض عليه هذا المساء أمامه، وهؤلاء هم الأثمة بسيوف وعصي، وسوف ينتهي هذا المهرجان من الأثمة وصانعي الإثم. ولكن أنتم ماذا أنتم؟ أثمة أم تلاميذ؟ فقالوا: يا رب هنا سيفان "عوض الإيمان" فقال لهم كفى!! كفى قلة إيمان وكفى غباءً. صورة حزينة. وكان هذا آخر حديث عشاء الخميس.

(ب) القبض على المسيح ومحاكمته
(25:23-39:22)

تُعتبر المدة الزمنية التي سيجري فيها الحديث من نهاية العشاء السرِّي إلى الصليب متواصلة والحديث وحدة كاملة. والقديس لوقا يتبع فيها منهج ق. مرقس، ولكن هناك اختلافات هامة في بعض النقاط. وتوجد شواهد توضِّح أن ق. لوقا قد استخدم أيضاً مصدراً آخر غير إنجيل ق. مرقس.

وواضح أن المسيح كرَّس نفسه لمواجهة كل ما سيحدث في جبل الزيتون، متمشّياً مع القصة التي تُكمِّل ذاتها حتى القبض عليه وذهابه مقيَّداً إلى بيت رئيس الكهنة، مع تحمُّله بصبر وهدوء بالغ كل أعمال الاستهزاء التي شفى بها رؤساء الكهنة غليلهم من يسوع الذي صغَّر نفوسهم وألبسهم الهوان هذه الثلاث سنوات ونصف (22: 39-46 و22: 47-53 و22: 63-65). وفي الوقت نفسه خذله التلاميذ على طول المدى، إلى أن انتهى خذلانهم بإنكار بطرس للمسيح علناً وثلاث مرَّات (22: 54-62). بعدها اختفى التلاميذ من مسرح العمليات بكل بساطة! لذلك تركَّزت الأضواء على المسيح وحده كموضوع الفحص والامتحان أمام السنهدرين (22: 66-71). بعدها قُدِّم أمام بيلاطس (23: 1-5 و23: 13-25)، ثم أمام هيرودس (23: 6-12). وتبلورت الإجراءات إلى اتهام المسيح وإدانته بالرغم مما عاناه التحقيق من عدم وجود إثباتات عليه، وانتهى المحقّقون بأن المسيح ليس عنده شيء يرد به عليهم.

1 - صلاة جثسيماني

(46-39:22)

(مت 26:36-46)

(مر 14:32-42)

صلاة جثسيماني حوّلت العرق دماً يتقطّر.
وهكذا صار جهاد الصلاة فدية.
جزع من مرارة الكأس وبالصلاة صار حلواً.
وجثى ثلاث مرّات وفي الثالثة نال قوة!

يتتبَّع ق. لوقا المسيح من العلّيَّة حتى جبل الزيتون مع تلاميذه. ومن دراستنا في إنجيل ق. مرقس وتاريخ نزوح القديس مرقس من القيروان بليبيا إلى أُورشليم مع العائلة ذات الثروات التي جُمعت على عجل إثر غارة البربر، واستقرارهم في أُورشليم، عرفنا أنهم اشتروا البيت الكبير ذا العلّيَّة الكبيرة، ثم حديقة في جبل الزيتون للتعايش منها كمزرعة لشجر الزيتون ومعصرة لزيت الزيتون، ومن هنا جاء اسمها جثسيماني أي معصرة الزيت. وكان فيها بيت ريفي كان يلجأ إليه المسيح للصلاة وقضاء طول الليل في الصلاة والعودة في الصباح طول مدة إقامته في أُورشليم. لذلك لمَّا وصل المسيح مع تلاميذه دخلوا هم البيت وقال لهم: «امكثوا أنتم هنا» وأخذ بطرس وابني زبدي وخرج إلى البستان وأبقاهم بجواره على مسافة رمية حجر ووقف هو يصلّي، وكانت صلاته طبعاً مسموعة ونُقلت في مكانها.

ولكن لاحظ ق. لوقا في سلوك التلاميذ إن كان في الصلاة أو مشاركة المسيح موقفه أن سلوكهم كان معيباً، إذ لم يستطيعوا حتى أن يبقوا ساهرين بل ناموا، لذلك جاز المسيح المعصرة وحده. وكأن أول اختبار قاسٍ عانى فيه المسيح من خذلان تلاميذه، ولكنه كان قد أعدَّ نفسه لما هو أكثر. وهكذا جاز الاختبارات وراء بعضها وكل المحن ببأس شديد وإصرار على المواجهة دون خذلان. ولكن لم يستطع ق. لوقا أن يعطي صورة للمسيح كما يجب في جهاده بسبب الاختصار والحذف. وتسجيل ق. لوقا لظهور ملائكة تقوّيه لم يذكره ق. يوحنا في إنجيله ولا ق. متى ولا ق. مرقس.

لم يذكر ق. لوقا الجزء الهام في وليمة الفصح وهي التسابيح النهائية التي أعطت لسر العشاء بهجة وجلالاً (بحسب الطقس اليهودي)، ولكن ق. لوقا لم يكن يهتم إلاَّ بالأجزاء ذات العنصر

اللاهوتي والتاريخي.

ومعرفة يهوذا للمكان تأتي من أن المسيح كان دائماً يذهب إلى هناك للصلاة، والمكان يرتفع حوالي 140 قدماً عن أورشليم، لذلك لعلوِّها كانت مكشوفة ومن الصعب الخلود إلى اختفاء كامل للصلاة والعبادة. وإنجيل ق. لوقا لم يذكر اسم جثسيماني لأنه كان يتحاشى أسماء الأماكن وخاصة إذا كان لها معنىً عِبْرِيٌّ.

ومهما قيل وكُتب عن صلاة جثسيماني فإنها لا تعطي أبداً تصوير هذه الوقفة للصلاة في هذه اللحظة الحرجة التي يبث فيها المسيح أحاسيسه للآب. إن مرارة تخلية رؤساء الكهنة والعلماء اليهود ثم وقفتهم المتحدة ضده، أفرغت إسرائيل من معناها في قلب المسيح. وكان يتحتَّم ذلك ليأخذ المسيح اسمها الجديد، فالمسيح هو لنا إسرائيل الجديد!! كذلك وقفة التلاميذ على مستوى الضعف الفظيع سلوكياً وفهماً وشجاعة جعلته يشعر بالوحدة الشديدة أمام أبيه: «وتتركونني وحدي وأنا لست وحدي لأن الآب معي» (يو 32:16). وحينما جاء ثلاث مرَّات وجدهم نائمين، ولمَّا كرَّر صلاته ثلاث مرَّات حسب إنجيل ق. متى اتضح مقدار المعاناة التي كان يحملها في قلبه ونفسه، وذهابه للتلاميذ لعلَّه يجد إنساناً واحداً يتحدَّث إليه؛ لأن ثقل البشرية بأخطائها وعيوبها كان قادماً ليحملها، ولم يوجد إنسان يقف بجواره.

39:22و40 **«وَخَرَجَ وَمَضَى كَالْعَادَةِ إِلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ، وَتَبِعَهُ أَيْضاً تَلاَمِيذُهُ. وَلَمَّا صَارَ إِلَى الْمَكَانِ قَالَ لَهُمْ: صَلُّوا لِكَيْ ـ لاَ ـ تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ** m¾ e„selqe‹n e„j peirasmÒn**».**

+ «ثم قام من الصلاة وجاء إلى تلاميذه، فوجدهم نياماً من الحزن. فقال لهم: لماذا أنتم نيام؟ قوموا وصلُّوا ـ **"لئلا"** ـ تدخلوا في تجربة †na m¾ e„sšlqhte e„j peirasmÒn.» (لو 22: 45و46)

كان المنظر كما رآه المسيح، أن ساعة الظلمة قد جاءت، **والشيطان** يجول جولته الأخيرة يجرُّ في أذياله التلميذ الذي اصطاده ـ يهوذا ـ وهو قادم لمعركته الفاصلة مع المسيح، وقد سلَّح نفسه برؤساء الكهنة وشيوخ الشعب والجند أيضاً. ورتَّب معهم مُسْبَقاً كل ما أملاه عليهم من خطته للإيقاع بالمسيح. من أجل هذا **جاء المسيح إلى جبل الزيتون مع تلاميذه ليلاقيه** وهو في حالة صلاة، وأي صلاة!

يكفي أن يسمع القارئ أن عرقه كان يتصبَّب كقطرات دم، وكانت أحاسيسه ملتهبة. وبالرغم

من أنه عالم بأن الضربة الأساسية موجَّهة إليه، إلاَّ أنه كان يهمه أن يسلّح تلاميذه بالصلاة حتى يستطيعوا أن يواجهوا التجربة، **أما هو فكان يعدَّ نفسه للتسليم** وشُرب الكأس بعد ما فرغ من تقديم مشيئته الكاملة للآب. أما تلاميذه فكان يريد لهم أن لا يفنى إيمانهم وقت التجربة.

عندما وصلوا إلى المكان كانت رؤية المسيح ترصد حركات الشيطان، فلم يكن قد تحرَّك بعد مع رؤساء الكهنة والشعب والجنود وأعوانه. لذلك نبَّههم بوضوح: «صلُّوا لكي ـ **لا** ـ تدخلوا في تجربة» التي جاءت باليونانية بوضوح، لأن التجربة كانت لا تزال على بُعدٍ.

ولكن بعد أن فرغ هو من الصلاة، رأى الشيطان على الباب مع كل أعوانه، إذ بدأت بالفعل ساعة الظلمة وسلطانها، فلما افتقد تلاميذه تحسَّر إذ وجدهم نياماً. فأسرع إليهم أن: "قوموا وصلُّوا ـ **لئلا** ـ تدخلوا في تجربة". **هنا التحذير نهائي.**

واضح لدينا أن الشيطان استطاع أن يضرب التلاميذ بالنوم حتى لا يستطيعوا أن يُصلُّوا، وهو الأمر الذي أصبح واضحاً كخبرة لكل مَنْ أراد الصلاة أو الاستطالة في الصلاة. فالتثاؤب والنعاس يثقّل الرأس حتى لا تعود أي قوة للصلاة، فإذا ترك الإنسان الصلاة ينشط في الحال ويأخذ يتكلّم ويثرثر ويضحك دون أي حاجة للنوم. هنا النوم هو المخدِّر الذي يسقيه الشيطان للدماغ لكي يحرمه من اليقظة وبالتالي من الصلاة، كالمُسكر الذي يُوعِزْ الشيطان به للأشخاص لكي بعد أن يسكروا يسوقهم إلى الخطية بلا خوف ولا جزع ولا أي إحساس من الضمير، وبعدها يستيقظ الإنسان ليرى نفسه قد وقع في الفخ وصار صانع جريمة.

والآن نعود إلى المسيح والتلاميذ، فالمسيح لا يُريد من التلاميذ أن يُصلُّوا مجرد صلاة، بل أن يكونوا في **"حالة صلاة"** فلا يستطيع الشيطان أن يقترب إليهم. فإذا سألني سائل: ولماذا لم يمنع المسيح الشيطان من أن يُجرِّب التلاميذ، أقول: نرجع إلى المسيح وقوله لبطرس: «سمعان سمعان هوذا الشيطان طلبكم لكي يُغربلكم كالحنطة. **ولكني طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك**» (لو 22: 31و32). لاحِظ هنا قول المسيح أن «الشيطان طلبكم» فهو له أن يجرِّب ولا يمنعه الله. المسيح هنا لم يَعِدْ بطرس أن ينجيه من التجربة، بل يستطيع فقط أن يطلب لكي لا يفنىإيمانه بعد أن يسقط في التجربة. وقد سقط بالفعل في التجربة بعد ساعات قليلة من تحذير الرب، فحصد ثمن نومه وعدم طاعة الوصية. معنى هذا أن المسيح لا يتدخَّل في منع التجربة لأنها تأتي بقياس دقيق بسماح من الله، ولكن الذي عمله المسيح هو أنه أعطانا أن نصلّي باسمه فلا ندخل التجربة.

إذن بعد أن أعطانا المسيح السلاح القوي وهو الصلاة باسمه القادرة على هدم حصون الشيطان،

لم يعد لنا همٌّ: «ها أنا أُرسلكم مثل حملان بين ذئاب» (لو 3:10)، ولكن الذئاب المتوحّشة تهون، إنما يقصد الذئاب التي يُرسلها الشيطان في ثياب حملان أو ملائكة نور، سيان!!! أو حتى بقبلة!!

فالإنسان **طالما هو في حالة صلاة يكون قد تسلّح ضد التجربة** ليجوزها بنجاح لحساب المسيح!!

والمسيح لمَّا علّمنا في صلاة "أبانا الذي" أن نصلي إلى الآب لكي لا يدخلنا في تجربة، فالمقصود من ذلك أن يفتح وعينا إزاء التجربة وأعمال الشيطان لنستعين **بالصلاة إلى الآب دائماً**، وحينئذٍ لا يُدْخِلنا الآب التجربة إن صلّينا، ولكن بدون الصلاة يصبح للشيطان مدخل فينا.

والقصد من هذه التوعية التي نقدّمها للقارئ في هذه الأيام هو أن نرصد حركات الشيطان حولنا في كنيستنا وبيوتنا وأسراتنا، لأن إهمالنا للصلاة أعطى فرصاً كثيرة للشيطان أن يدخل في كل مكان ويُفسد كل علاقة، والكل لاهٍ عن نشاط الشيطان المخرِّب، لأنه يستحيل لإنسان أن يحسب أو يكشف حركات الشيطان وتدخُّلاته إلاَّ بالصلاة.

من هنا كانت وصية المسيح أن **"نصلّي كل حين"**، لا بصلاة محدودة، ولكن أن نكون في حالة **"وعي الصلاة"**، والقلب متصل بالمسيح. وهذه حالة نعتادها بعد أن نكون قد قبلنا نعمة أن نُمارس الصلاة بالروح(240) ولمدد طويلة، إذ ينفتح القلب والذهن لقبول نعمة الصلاة الدائمة التي بها يستطيع الإنسان في أيِّ وقت أن يحس بلهج الصلاة في قلبه الذي يسعفه بالصلاة المسموعة وقت الخطر: «أما أنا فصلاة» (مز 4:109). هذه حالة لا يَقْرُبها الشيطان بل يرتعب منها. ويلزم أن لا يكون مخفياً عنّا أن الشيطان ازدادت أعماله ودخلت كل البيوت والكنائس. وهذه الانقسامات والعداوات والتعديات والخصومات تشهد على ذلك وتوعِّينا أننا في خطر، لأن أيَّ بيت أو كنيسة فيها إنسان كيهوذا يدخل بواسطته الشيطان ليس كضيف بل كصاحب بيت!!

ولكن ليس بالضرورة أن يكون على مستوى يهوذا، بل يكفي أن يكون قد تآخى مع الخطية ومات ضميره وصار مقوداً يعمل تحت إيحاء الشيطان.

(240) الصلاة بالروح تُقتنى بدوام الصلاة ورفع القلب لله، وهي أثمن ما يُقتنى من عند المسيح، وكثيرون من الذين يحملون همَّ الناس استؤمنوا عليها لكي يؤدوا واجبهم من نحو المساكين والضعفاء والمرضى والمدمنين، لأن خدمتهم تحتاج فعلاً إلى قوة صلاة فعَّالة. فالله يعطيها لِمَنْ يستخدمونها لحمل همِّ أولاده الأصاغر ليصلُّوا عليهم فيشفوا، ويطلبوا من أجل المظلومين فيتدخل الله في الحال لنجدتهم، فهي رأس مال كل كارز وخادم؛ تشرح الإنجيل بسهولة، وتكشف أسرار المسيح، وتفتح القلب بصدق كلام الرب وفاعليته.

والآن أصبح من الضروري لكل راعي كنيسة مسئولٍ عن كنيسته، أن يكرِّس أوقاتاً ثابتة مخصَّصة لجحد الشيطان الذي يتدخَّل في وسط الرعية ليستخدم ضعاف الإيمان في تبنّي إيحاءات الشيطان للمنازعات والانقسامات والتحزُّبات والخصومات. هذه الأمور التي أصبحت عادية الآن، وهي من عمل الشيطان.

فإذا لم نقاوم الشيطان بالصلاة فسيملك علينا ويسيئ إلى أولادنا في الداخل والخارج، والنتيجة هي أن يرعاهم الشيطان لحسابه. إذن، فلابد أن يكون الأب في كل أسرة واعياً وكذلك الأم، بالمواظبة على الصلاة من أجل سلام البيت وسلام الأولاد ومحبتهم لئلا يدخل الشيطان وينقسم البيت على ذاته، وإذا تملَّك من فرد فيه فسيجعل البيت جحيماً. لذلك من نِعَم الله أن يكون واحد في الأسرة فدائياً له قوة الصلاة، سواء في الخفاء أو العلن، من أجل كل فرد في الأسرة حتى لا يكون فيها مدخل للشيطان. بل ويا حبذا لو كان لكل كنيسة إنسان تقي أو جماعة أتقياء يحملون همَّ الصلاة الدائمة من أجل الراعي نفسه والرعية وكل ظروف الكنيسة، حتى لا يتدخَّل فيها الشيطان بأعماله من خصام وعداوة تؤدّي إلى الانقسامات والفرقة.

وليعلم كل إنسان أن الشيطان ـ كما نراه الآن ـ مُسبِّب يهيّج الأمم على بعضها، بل الأمة الواحدة يقسمها على نفسها، ويثير الأحقاد وبالتالي الحروب لخراب العالم! فليس أسهل الآن من أن يُمارس أحقاده على الكنيسة نفسها وقد ضعفت، بعد أن أذاقته العذاب بصلواتها في العصور الذهبية السابقة.

وفي النهاية نعود إلى وصية المسيح أن: «صلُّوا لكي لا تدخلوا في تجربة» هذه الوصية الإلهية هي السلاح الوحيد ضد أعمال الشيطان المنظورة وغير المنظورة، وهي الحصن المنيع الذي نلجأ إليه في أيام الضيق القادمة.

- إذن، فنصيحة المسيح لكل واحد من أولاده اليوم، أنْ: صلِّ واهرب لحياتك.
- والذي يقول ليس عندي وقت للصلاة، فهذا قد استطاع الشيطان أن يقنعه بذلك حتى لا يصلّي أبداً.
- وإن كنتم في حالة صلاة، فأنتم في أمان من التجربة.
- وإذا وقعتم في تجربة فلا تكفُّوا عن الصلاة حتى يخزى الشيطان ويستطيع المسيح أن يخلِّصكم، ولا يضعف إيمانكم.
- ولا تحزنوا إذا أصابتكم أيَّة خسارة، لأن الحزن هو كأس الشيطان الذي يدس فيه قطْع الرجاء. فليذهب كل شيء ويبقى الإيمان.

- ولا تناموا في وقت الخطر، بل تيقَّظوا واسهروا وصلُّوا لتُحْسَبوا أهلاً للنجاة (لو 36:21). وهذه الأيام تحمل لنا بوادر الخطر.
- والذي يعتاد الصلاة يحس بقرب عمل الشيطان ويستعد له. فصلُّوا وكونوا مستعدين، فالرب قريب!

صلُّوا، صلُّوا، صلُّوا. ومَنْ لم يتعلَّم الصلاة بعد، فليبدأ أن يصلّي.

41:22و42 **«وَانْفَصَلَ عَنْهُمْ نَحْوَ رَمْيَةِ حَجَرٍ وَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَلَّى قَائِلاً: يَا أَبَتَاهُ، إِنْ شِئْتَ أَنْ تُجِيزَ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسَ. وَلكِنْ لِتَكُنْ لاَ إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ».**

هنا التفريغ الذاتي لتصير إرادة الآب هي إرادته وليس غير! هذا بحد ذاته صلب الذات قبل صلب الجسد!! ولولا أنه نجح بالفعل في إلغاء إرادته إلغاءً كاملاً، ما استطاع أن يكمِّل إرادة الآب تماماً كما أرادها الآب أن تكون. هنا تفريغ الإرادة قرين إخلاء الذات، الأُولى لتبلغ إرادة الآب أقصاها، والثانية ليبلغ إلى مستوى الإنسان حتى يستطيع أن يقبل العذاب والموت بكامل إحساس الإنسان وبآن واحد بحسب كامل إرادة الآب. **وكانت مرارة الكأس ليس في الموت قطعاً، ولكن في حمل خطايا الإنسان،** وأشدَّها ألماً أن يقف الابن حاملاً خطية التجديف على الآب. إنها لعنة اللعنة وكيف يطيقها وهي تمس أباه، فلولا أنه أحسَّ أن هذه مشيئة الآب ما استطاع أن يحملها!

لذلك دخل المسيح على الصليب بقوة دفع الآب وبكامل خضوع الابن ليشرب كأس الموت كإنسان. لذلك فإن صلاة جثسيماني تُحسب من ضمن الأسرار المخفية للصليب، والتي رفعت موت المسيح إلى مستوى الذبيحة بكل قوتها الإلهية المستمدَّة من إرادة الآب، وكل آلامها وتعاذيبها التي تلقَّاها كإنسان.

وهكذا انطبق الفصح في العشاء على فصح جثسيماني، ليرسم حدود ذبيحة الصليب بدقة لتبلغ مواصفاتها كفدية لدى الآب ـ بحسب إرادته تماماً ـ لحساب الإنسان الجديد، الذي يطلبه الآب والذي يطلب الآب.

43:22 **«وَظَهَرَ لَهُ مَلاَكٌ مِنَ السَّمَاءِ يُقَوِّيهِ».**

وبالرغم من أن التحليل والفحص لبعض العلماء يرفض هذه الآية ولكن الآباء إبيفانيوس وإيرينيئوس ويوستين قبلوها مع العلماء الكبار كلوسترمان وبرون وزاهن ولاجرانج وشلاتر

وجروندمان وديبليوس. وكلهم قبلوها باعتبار أنها تقليد قديم وتحمل معناها في داخلها.

فإن كانت الأرض قد تخلّت عن وجودها في لحظات الجهاد الشديد، فعلى الأقل ترسل السماء مندوبها: «في كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته خلّصهم» (إش 9:63). وكأن الملاك يُوحِي حتى لنا أن الصلاة استُجيبت. وإن كان الملاك قد دخل مع الثلاثة فتية أتون النار ليحفظهم من لهيبها، فهذا أتون أعظم!

44:22 **«وَإِذْ كَانَ فِي جِهَادٍ كَانَ يُصَلِّي بِأَشَدِّ لَجَاجَةٍ، وَصَارَ عَرَقُهُ كَقَطَرَاتِ دَمٍ نَازِلَةٍ عَلَى الأَرْضِ».**

+ «**انظروا إن كان حزنٌ مثل حزني!!**» (مرا 12:1)

كانت تنازعه نفسه كيف تَقْبَلُ عار الإنسان وهي أنقى من السماء، كيف تُحسب مع الزناة ولصوص الأرض والقتلة وسافكي الدماء وعابدي الأوثان، كيف تَقْبَلُ التجديف وإهانة اسم العلي وهي نور من نور الآب، كيف تَقْبَلُ أنجاس الإنسان وهي قدس الآب، كيف تُحاكم كَمُضِلَّة وهي الحق والحقيقة؟ وأخيراً كيف تموت وهي روح الله، وكيف تحتمل هجران الله واختفاء وجه الآب وهي وحيدته؟

نازعته نفسه نزاع الموت مرَّات ومرَّات وهو يسلّمها لإرادة الآب حتى خضعت!!

وأكمل المسيح ذبيحته الصامتة ولم يسمع أحدٌ ونال بها هتاف الملائكة ورضَى الآب.

أمَّا قطرات عرقه التي كانت نازلة كقطرات دم فهي بحسب بعض المجتهدين تعبِّر عن آلام الفداء.

كانت هذه ساعة المحنة للمسيح، ولكنها كانت محنة يسندها حالة شركة مع الله الآب: «وتتركونني وحدي وأنا لست وحدي لأن الآب معي» (يو 32:16). كان كأساً مرًّا للغاية مذاباً فيه كل محن البشرية، ولكنه كان مقدَّماً له بيد الآب، كيف لا يشربه. وكانت صورة الكأس ومحتواه ماثلة أمام ذهنه منذ أن جاءته أم ابني زبدي تطلب المُلك لولديها عن يمينه وعن يساره فقال لها: «لستما تعلمان ما تطلبان أتستطيعان أن تشربا الكأس التي أشربها أنا؟» (مر 38:10)، ومرَّة أخرى عندما قطع بطرس أُذن ملخس عبد رئيس الكهنة بالسيف فقال له المسيح: «اجعل سيفك في الغِمْدِ. الكأس التي أعطاني الآب **ألا أشربها!**» (يو 11:18)

45:22و46 **«ثُمَّ قَامَ مِنَ الصَّلاَةِ وَجَاءَ إِلَى تَلاَمِيذِهِ، فَوَجَدَهُمْ نِيَاماً مِنَ الْحُزْنِ. فَقَالَ لَهُمْ: لِمَاذَا أَنْتُمْ نِيَامٌ؟ قُومُوا وَصَلُّوا لِئَلاَّ تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ».**

لمَّا انتهى من نفسه استراحت روحه فيه إذ بلغ الدرجة الأخيرة في الإعداد والاستعداد للصليب، وجاء إلى تلاميذه يطلب إنساناً يصلّي في الوقت الذي حمل على ظهره كل أوساخ الإنسان وفساده، فما وجد، مع أن التجربة على قيد خطوات، وما انتصحوا!!!

ويُلاحَظ أن ق. بطرس دفع ثمن نومه وعدم الانتصاح بوصية المسيح أن يقوم ويصلّي، بأن وقع في أشنع تجربة يمكن أن يقع فيها إنسان، وهي إنكار المسيح ثلاث مرّات وبحلفان ولعن!

2 - القبض على يسوع

(53-47:22)

(مت 26:47-56)
(مر 14:43-50)
(يــو 18:3-11)

قيَّدوا سيِّدي

والقيد ليدي

وأهانوه

والإهانة بسببي

ما أن أكمل المسيح نداءه للتلاميذ أن يصلُّوا لئلا يدخلوا التجربة، وإذ بموكب الشامتين والحاقدين من رؤساء الكهنة والكتبة ورؤساء الشعب، مع الجند والقوَّاد بسيوف وعصي، يكسرون باب الحديقة يتقدَّمهم يهوذا ليدلّهم على المكان وعلى المسيح. وإذ نعود لباقي الأناجيل لنستوفي هذا المنظر المأساوي نسمع أن في أيديهم مشاعل تضيء لهم الطريق، ومصابيح في أيديهم لتضيء موكب الظلمة لحاملي المشاعل.

ويهوذا قد أعطاهم علامة أن الذي يقبّله هو هو، أمسكوه. وتقدَّم إلى السيد بقحّة ووقاحة وأراد أن يقبّله، فيبدو أنه منعه معاتباً إياه عتاب لا المعلّم بل الديَّان الرهيب يسجّل عليه عاره: أبقبلة تسلّم ابن الإنسان يا يهوذا! وهكذا نجَّس المحبة، وأهان الألوهة، وازدرى بمسيح الرب، وكتب لنفسه عريضة الحكم الذي يقف به أمام ديَّان العدل. واستدار السيد بكبرياء الألوهة يخاطب الجمع: هل على لصٍ خرجتم بسيوف وعصي، كنت كل يوم معكم في المجمع أعلّم. فلماذا لم تمسكوني بهدوء عوض هذا الموكب بأجمعه؟ ولكن هذه ساعتكم وسلطان الظلمة. مَنْ تطلبون؟ فقالوا له يسوع الناصري. فردَّ عليهم أنا هو، فرجعوا إلى الوراء مزدحمين، فسقط مَنْ سقط، وديس مَنْ ديس، فبادرهم ثانية مَنْ تطلبون؟ فقالوا له يسوع الناصري. أجاب يسوع: قد قلت لكم إني أنا هو، فإن

كنتم تطلبونني فدعوا هؤلاء يذهبون. أمَّا سمعان المقدام صاحب السيف فاستلّه وضرب ضربة عشواء قطعت أذن ملخس عبد رئيس الكهنة، فانتهره يسوع قائلاً ردّ السيف إلى غمده، مَنْ أخذ بالسيف فبالسيف يؤُخذ، فمدّ يسوع يده ولمس أذنه فشُفيت. وقال لهم الكأس التي أعطاني الآب ألا أشربها!! ثم إن الجند والقائد وخُدَّام رؤساء الكهنة قبضوا على يسوع وأوثقوه، وهو الذي مدَّ يده ليسهّل لهم القيد، مع أن كلمة الله لا تُقيَّد (2تي 9:2). أمَّا التلاميذ فهربوا كلُّهم، وإذا بشاب آتٍ من جهة مبنى الحديقة، وهو مرقس صاحب البستان وكان ملفوفاً بملاءة ـ إذ كان لتوّه مستيقظاً من النوم. فلمَّا أمسكوه ترك الملاءة في أيديهم وهرب عارياً، ولكنه بحسب تقديرنا عاد ولبس ثيابه ورجع إليهم يتتبَّعهم، لأن ق. مرقس هو الذي نقل جميع هذه الرواية كما رآها كشاهد عيان، ورافق المسيح دون أن يذكر ذلك. رافقه عند حنَّان لأنه كانت له حيثية عند رؤساء الكهنة إذ كان من أثرياء اليهود، ولأنه كان يتقن اليهودية واليونانية واللاتينية، فكان شاهد عيان منفتحاً، كتب رواية القبض والآلام وكل الإنجيليين أخذوا عنه.

47:22و48 «وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذَا جَمْعٌ، وَالَّذِي يُدْعَى يَهُوذَا ـ أَحَدُ الاِثْنَيْ عَشَرَ ـ يَتَقَدَّمُهُمْ، فَدَنَا مِنْ يَسُوعَ لِيُقَبِّلَهُ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: يَا يَهُوذَا، أَبِقُبْلَةٍ تُسَلِّمُ ابْنَ الإِنْسَانِ؟»

لم يهتم ق. لوقا بمنظر وحال الجمع المعادي الذي وصفته الأناجيل الأخرى، لأن تركيز ق. لوقا كان على يهوذا. وبقوله: «أحد الاثني عشر» يصف الخيانة على أعلى مستواها. وبقوله: «الذي يُدعى» أعطى الكلام صورة منشور سياسي، وربما للتصغير من شخصيته. والقديس لوقا لا يذكر أنه قبَّله، كما جاءت في إنجيل ق. مرقس، ولكن اقترب منه ليقبِّله. كان جرحاً لمشاعر المسيح يفوق الحدث، فالذين أتوا ليقبضوا على المسيح كانوا يؤدُّون واجبهم، أمَّا هذا فقد جاء ليحرق أوراق تلمذته ويشجب محبة المسيح الحقيقية، ويؤكّد خيانة إسرائيل في شخصه؛ بل ويدوس على كل علائق الود والحنان التي قدَّمها المسيح له ولكل التلاميذ معه. يهوذا صورة للبشرية حينما تخون إلهها وتعبد الشيطان وتتمادى في جحودها حتى إلى الاستهزاء بقيم الشرف النبيلة!!

المسيح واجه الجوقة المأجورة بسيوفها وعصيّها بغير دهشة، فالأمر كله موضوع في الاعتبار. فالساعة ساعتهم وسلطان الظلمة كما قالها بعد ذلك، ولكن لم يكن معقولاً ولا مستساغاً أن يقود الجماعة تلميذُه!! وعوض أن يحمل سيفاً كالباقين استخدم القبلة. فكان وقعها على المسيح أشد إيلاماً من ضربة سيف. ولكن كل هذا ليس عجيباً، ولكن العجيب أن يدخل الشيطان قلب تلميذ ليشكّله إلى ذئب في ثياب حمل. والذئب لا يُلام إذا عضَّ، ولكن أن يقبِّل فهذه هي قمة المأساة.

22: 49-51 **«فَلَمَّا رَأَى الَّذِينَ حَوْلَهُ مَا يَكُونُ، قَالُوا: يَارَبُّ، أَنَضْرِبُ بِالسَّيْفِ؟ وَضَرَبَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ عَبْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ فَقَطَعَ أُذْنَهُ الْيُمْنَى. فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ: دَعُوا إِلَى هذَا! وَلَمَسَ أُذْنَهُ وَأَبْرَأَهَا».**

وقبل أن يتقدَّم الجند للقبض عليه تسرَّع واحد من الذين كانوا حول يسوع وضرب بالسيف، ولكن كانت الذراع التي ضربت قد أصابها الاختلال فجاءت الضربة في أُذن عبد رئيس الكهنة. وهنا تدخَّل المسيح في الحال ولمس أُذنه فشُفيت، وكان هذا دليل على عدم رضى المسيح بحمل السيف أصلاً. وفي إنجيل ق. متى قال الرب: مَنْ أخذ بالسيف بالسيف يؤخذ (مت 26:52)، فالمسيح لا يجيز حمله ولا عمله. فالذي قال: «أحبوا أعداءكم» لماذا يحمل السيف بعد! فالمحبة وحدها هي سلاح مَنْ آمن بالمسيح.

22: 52و53 **«ثُمَّ قَالَ يَسُوعُ لِرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَقُوَّادِ جُنْدِ الْهَيْكَلِ وَالشُّيُوخِ الْمُقْبِلِينَ عَلَيْهِ: كَأَنَّهُ عَلَى لِصٍّ خَرَجْتُمْ بِسُيُوفٍ وَعِصِيٍّ! إِذْ كُنْتُ مَعَكُمْ كُلَّ يَوْمٍ فِي الْهَيْكَلِ لَمْ تَمُدُّوا عَلَيَّ الأَيَادِيَ. وَلكِنَّ هذِهِ سَاعَتُكُمْ وَسُلْطَانُ الظُّلْمَةِ».**

وضع شاذ وغريب جداً على رؤساء الكهنة، يخرجون في الظلام مع جند وقوَّاد ليقبضوا على معلّم كان معهم لسنين يعلّم داخل الهيكل وكانوا أحياناً ضمن السامعين، ماذا دهاهم حتى يأتوا بسيوف وعصي ليمسكوا إنساناً أعزل يعلّم بالمحبة وينادي بالسلام؟ صورة كصورة شاول الملك وهو يتعقَّب داود غريمه في الصحراء، فناداه داود: على ما خرجت يا سيِّدي الملك؟ منظر حزين لقوم لعب بهم الشيطان ففقدوا رزانتهم وآتوا أعمال الخسَّة، خرجوا في الظلام ليستتروا أو يتلصَّصوا وما دروا أن الظلام في قلوبهم وهم يتعقبون النور. وكأنهم كانوا في هذه الساعة على ميعاد مع شيطان الظلمة، فسلّحهم بسلاحه ودفعهم أمامه. والمسيح واقف يتعجَّب. أليس هذا هو الشيطان الذي دحرته على جبل التجربة، كيف تخفَّى في ثياب الكهنة وجاء متسلّحاً بسَدَنَةِ الهيكل وجنوده؟! وكأنما لمَّا غادره الشيطان آنئذ غادره إلى حين، وهذا هو الحين!! فعلى مدى خدمة المسيح الطويلة منذ أن نزل من فوق جبل التجربة، لم يتجاسر الشيطان أن يواجهه، حتى هذه اللحظة بعد أن رتَّب الأعوان وسلّح جيشه واقتنص تلميذاً يتخفَّى وراءه، ظهر فجأة وهو على ثقة بأنه سيد الموقف: « هذه ساعتكم وسلطان الظلمة»

3 - إنكار بطرس للمسيح

(62-54:22)

(مت 57:26و69،58-75)
(مر 53:14و66،54-72)
(يو 12:18-25،18-27)

أفرز نفسه عن الذين هربوا باعتباره أوَّلهم،
وأمام جارية أقسم قسماً أني لست منهم.

54:22 «**فَأَخَذُوهُ وَسَاقُوهُ وَأَدْخَلُوهُ إِلَى بَيْتِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ. وَأَمَّا بُطْرُسُ فَتَبِعَهُ مِنْ بَعِيدٍ**».

لمَّا أتاه الشيطان مكشوفاً بمفرده دحره المسيح على الجبل، ولكن لمَّا لبس الشيطان ثياب الكهنة تملَّك على المسيح الموقف وقيَّده بيديه وساقه أمامه كأنه يسبق الحوادث ويظهر سلطانه. غير عالم أن المسيح هو الذي تخلَّى عن سلطانه هذه المرَّة "إلى حينٍ"! وأدخله الشيطان حيث مأوى رئيس الكهنة حيث عقد النيَّة على استصدار أحكام ممهورة بخاتم الهيكل مع أنها مختومة بيد الشيطان أن يهان المسيح ويُعذَّب وينكَّل به تنكيلاً، لأنه علَّم بالمحبة والسلام وشفى مرضاهم وأقام موتاهم وأخرج الشياطين من أبدانهم. ظنوا أنهم ملكوا عليه الموقف ومنُّوا أنفسهم بقتله لإسكات لسانه وشلّ يديه، وما دروا أن بموته سهَّلوا له الوصول إلى قلب شعبه وهوَّنوا عليه بلوغ الفداء وتكميل الخلاص الذي كان هو منتهى أمله. خطَّطوا لهلاكه وارتدَّ تخطيطهم عليهم بالهلاك. أماتوه فعلاً وأمَّا هو فقام من الأموات.

وبدا بطرس من بعيد مستعداً لإنكاره حينما يصيح الديك.

55:22-62 «**وَلَمَّا أَضْرَمُوا نَاراً فِي وَسَطِ الدَّارِ وَجَلَسُوا مَعاً، جَلَسَ بُطْرُسُ بَيْنَهُمْ. فَرَأَتْهُ جَارِيَةٌ جَالِساً عِنْدَ النَّارِ فَتَفَرَّسَتْ فِيهِ وَقَالَتْ: وَهذَا كَانَ مَعَهُ. فَأَنْكَرَهُ قَائِلاً: لَسْتُ أَعْرِفُهُ يَا امْرَأَةُ! وَبَعْدَ قَلِيلٍ رَآهُ آخَرُ وَقَالَ: وَأَنْتَ مِنْهُمْ! فَقَالَ بُطْرُسُ: يَا إِنْسَانُ، لَسْتُ أَنَا! وَلَمَّا مَضَى نَحْوَ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ أَكَّدَ آخَرُ قَائِلاً: بِالْحَقِّ إِنَّ هذَا أَيْضاً كَانَ مَعَهُ، لأَنَّهُ جَلِيلِيٌّ أَيْضاً. فَقَالَ بُطْرُسُ: يَا إِنْسَانُ، لَسْتُ أَعْرِفُ مَا تَقُولُ. وَفِي الْحَالِ بَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ صَاحَ الدِّيكُ. فَالْتَفَتَ الرَّبُّ وَنَظَرَ إِلَى بُطْرُسَ، فَتَذَكَّرَ بُطْرُسُ كَلاَمَ الرَّبِّ، كَيْفَ قَالَ لَهُ: إِنَّكَ قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ الدِّيكُ تُنْكِرُنِي ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. فَخَرَجَ بُطْرُسُ إِلَى خَارِجٍ وَبَكَى بُكَاءً مُرًّا**».

لمَّا تمَّ القبض أخذوه داخل بيت رئيس الكهنة حنَّان أثناء الليل حيث تمَّ إنكار بطرس، لأن ق. لوقا جعل بدء المحاكمة بالنهار، وهكذا حصلنا على وضع جديد تحقَّقت فيه أقوال المسيح عن لزوم الصلاة لكي لا يدخل التلاميذ التجربة. ولكن أهمل التلاميذ النصيحة. وهكذا دخل بطرس دائرة الشيطان وتفوقت عليه قوات الظلمة فجحد كل أقواله السابقة أنه حتى إلى السجن وإلى الموت لا يترك معلّمه. تركه ثلاث مرَّات (ويزيد). ولكن أقوال ق. لوقا اختلفت عن أقوال ق. مرقس في المضمون وأنواع الأفراد الذين تصدَّروا لبطرس وأسباب كل مرَّة. وهنا في إنجيل ق. لوقا لم يذكر أنه أقسم ولعن، ولكن يؤكّد العالِم ديترش(241) أن تحقيق ق. لوقا أكثر قرباً من الشرعية القضائية. ولكن الذي يُلاحَظ جداً أن ما قاله المسيح تمَّ حرفياً وبالمواقيت، حيث ظهر بطرس والمسيح معاً في مشهد واحد.

وهذه القصة فريدة من نوعها في تقديمها كدرس وعظة لكل إنسان أن لا يكابر بإمكانياته، فإمكانيات الإنسان يستطيع أن يلعب بها الشيطان، ولكن الصلاة كما حدَّد المسيح هنا في هذا المساء مرَّتين أنها تؤمِّن الإنسان من الدخول في التجربة، فالصلاة التجاء إلى الله وإلى قوة المسيح القاهرة لشيطان الظلمة. فالصلاة كطوق النجاة يتشبَّث بها الإنسان لينجو من سلطان الظلمة، وكالرداء الواقي من الرصاص الذي يلبسونه هذه الأيام. ولكن لابد أن ترافقنا الصلاة دائماً حتى لا يجد العدو فرصة ليضرب.

والنموذج أمامنا ناطق لأن بطرس كان واثقاً من نفسه أن يَغْلب فغُلب: فلا يدَّعي الإنسان لنفسه ما هو فوق مقداره. ولأن بطرس كانت مكابرته ذات تأكيد حتى إلى السجن وحتى إلى الموت، جاء إنكاره مؤكّداً مضاعفاً، حتى يكون لنا درساً أكيداً مؤكّداً.

ولكي يؤكّد المسيح لبطرس صدق كلامه وتحذيره له نظر إليه من بعيد وهو موثق اليدين، فتذكَّر بطرس، لذلك لولا هذه النظرة لتمادى في إنكاره إلى النهاية. ولكن كانت نظرة المسيح وكأنها حبل النجاة ألقاه عليه من بعيد فتشبَّث به وخرج مسرعاً من مكان الخطر، وقدَّم بكاءه كذبيحة إثم، وقدَّمها مُرَّة لأنه خان لثلاث مرَّات. وهكذا عاد بطرس يتشبَّث بضعفه ويمسك بالمسيح.

(241) W. Dietrich, cited by Marshall, *op. cit.*, p. 839.

4 - الاستهزاء بالمسيح

(65-63:22)

(مت 26:67-68)

(مر 14:65)

استهزأوا به ولو علموا بمن استهزأوا وجلدوا! مَنْ جاء بالحب يطلب ودَّهم ويسفك من أجلهم دمه. أخلى من المجد ذاته حتى لا يرعبهم! فيعملوا عملهم بلا خوف وهو يعمل عمله في هدوء.

بدأ الشيطان بعد كسرة التلميذ الأول ينهي على فريسته العظمى، فهيَّج عليه الرجال الذين قبضوا عليه لكي يُظهروا أمانتهم لرئيس الكهنة، وربما مقابل عِدَّة دنانير ذهبية. فبدأوا بجلد المسيح، والاستهزاء به بينما كانوا يجلدونه، لأنه يستحيل أن يتجرأ رجل بأن يصنع مثل هذه الأعمال إلاَّ بالثمن من جهة رئيس الكهنة. أمَّا رئيس الشياطين فكان عليه أن يحمِّسهم في تأدية الواجب المُلقى عليهم. ولقد تناهى فكرهم في اختراع أنواع التعذيب والمهانة التي يصعب تصوُّرها بالنسبة لقائد خلاصنا، ولكن جيوش الظلام كانت قد أحدقت به في تلك الأيام. ولكنه احتملها صابراً للغاية والنهاية من أجلنا، حتى يوفِّي كيل خطايانا واستحقاقها من قبل العدو:

+ «ضُرب من أجل ذنب شعبي.» (إش 53:8)

+ «محتقر ومخذول من الناس رجل أوجاع ومختبر الحزن!

أحزاننا حملها وأوجاعنا تحمَّلها ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولاً!

وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا ...

والرب وضع عليه إثم جميعنا.

ظُلم أمَّا هو فتذلَّل ولم يفتح فاه

كشاة تُساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازِّيها فلم يفتح فاه.» (إش 53: 3-7)

22:63-65 **«وَالرِّجَالُ الَّذِينَ كَانُوا ضَابِطِينَ يَسُوعَ كَانُوا يَسْتَهْزِئُونَ بِهِ وَهُمْ يَجْلِدُونَهُ، وَغَطَّوْهُ وَكَانُوا يَضْرِبُونَ وَجْهَهُ وَيَسْأَلُونَهُ قَائِلِينَ: تَنَبَّأْ! مَنْ هُوَ الَّذِي ضَرَبَكَ؟ وَأَشْيَاءَ أُخَرَ كَثِيرَةً كَانُوا يَقُولُونَ عَلَيْهِ مُجَدِّفِينَ».**

+ **«يضربون قاضي إسرائيل بقضيب على خدِّه ... ويقف ويرعى بقدرة الرب بعظمة اسم الرب إلهه ويثبتون، لأنه الآن يتعظَّم إلى أقاصي الأرض، ويكون هذا سلاماً.»** (مي 5:1و4و5)

لا يمكن أن نتصوَّر أن يُهان ابن الله كما يُهان اللصوص والمجرمون وقُطّاع الطرق إلاّ إذا تصوَّرنا أجيال البشرية وكل ما كان فيها مستحقاً هذا العقاب. فهو يقبل عقاباً هو واقع علينا في كل ما مضى وفي كل ما هو آتٍ. لأنه من حيث هو: فهو الذي تمجِّده السموات، وإن كان قد نزل أرضنا فما تلوَّث بما يلوِّثها ولا إلى هنَّة واحدة، قدوس بلا عيب ولا شر. نزلت على ظهره ضربات السياط فزال حَقُّ كل الضربات التي على ظهورنا. فالآلام التي تلقّاها كفيلة أن تغطّي آلام البشرية كلها. لأنه إن كان استحقاق ضربنا جاءنا من وراثة آدم، فهذا هو أبونا الحبيب الذي ورَّثنا استحقاق السموات بعد أن رفع عن كاهلنا كل ما نستحقه من ضرب وإهانة.

كان عليه الألم شديداً وحزنه أشد، ولكن كان ذلك ليهبنا النصيب السماوي الذي هرب منه كل حزن وتنهُّد. فلم تكن الضربات جزافاً، ولا كيل الآلام بلا معيار، بل قاس هذا وذاك بمقياس استحقاقنا ووفَّى الجميع!! فلو اجتمعت أحزان الناس كلها وأنين البشرية جمعاء ما زادت مقدار حزنه وأنينه، فهذا عدل الله قبله على نفسه أن يكمِّله تكميلاً!! ومَنْ يستطيع أن يصوِّر ويقيس فواجع الدنيا بفاجعة ضرب ابن الله بالسياط؟ فالعدل فاق حدَّه ودخل في زيادات من الرحمة توزَّع مجَّاناً على مستحقي الموت!! فسخاء الابن في العطاء لم يأتِ من فراغ بل تحمَّل تكاليفه ويزيد!

صُعقت الملائكة وهي ترى الابن الوحيد الذي هلَّلت له يوم ميلاده تنتهي به رحلة الأرض هكذا إلى هذا الكمد!

5 - وقفة المسيح أمام السنهدرين

(مت 26:59-66)
(مر 14:55-64)
(لو 22:66-71)
(يو 18:19-24)

آه لو علموا أنهم سيقفون وقفته يوم الدين،
ليعطوا جواباً عمَّا فعلوه ويفعلون!

ولمَّا كان النهار اجتمع رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب وأصعدوا المسيح إلى مجمعهم، وبدأوا يسألونه إن كان هو المسيح ابن الله، فقال لهم أنتم تقولون، لأن هذا كان رد المسيح أن لا يجيب على سؤال إلاّ بسؤال. فإن كان سؤالهم صادقاً يقول أنتم تقولون. وحاولوا أن يأخذوا منه

شيئاً يمسكونه عليه، لا لأنهم يطلبون المعرفة أو يسألونه عن الحق. ولمَّا ضاق بعجزهم أحالهم إلى نبوَّة دانيال ليوقظ عقولهم المطموسة. فقال: منذ الآن ترون ابن الإنسان جالساً عن يمين قوة الله، الأمر الذي رآه الشهيد استفانوس رؤيا العين وهم يرجمونه فزادوه رجماً حتى مات.

ولكن كان القصد من اجتماع السنهدرين هو تحضير المسيح للوقوف أمام بيلاطس وفي يدهم عريضة الاتهام مسنودة بشهود، أمَّا ق. لوقا فلم يذكر الشهود. وبهذا نرى أن رواية ق. يوحنا أوفى الروايات بما تمَّ، لأنه كان شاهد عيان، يليه ق. مرقس ويؤخذ بشهادته وروايته على أنها الأصل الذي أخذ منه الجميع، لأنه حضر كل الاجتماعات وبالأخص أمام بيلاطس. فرواية ق. مرقس حُسبت أنها التقليد الأول للكنيسة، ولكن أبحاث ق. لوقا قصد منها تقديم رواية مضبوطة تاريخياً ومختصرة ليقرأها الأممي.

ويقول العلماء: إن ق. لوقا أبرز لقب المسيح ابن الإنسان كلقب أُخروي وحقَّق لقب "ابن الله"، وهو في تقديمه رواية المسيح هنا لم يخرج عمَّا قدَّمه ق. مرقس مع اختزال ما رآه مناسباً لهدفه كإنجيل مقدَّم للأمم.

66:22 **«وَلَمَّا كَانَ النَّهَارُ اجْتَمَعَتْ مَشْيَخَةُ الشَّعْبِ: رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ، وَأَصْعَدُوهُ إِلَى مَجْمَعِهِمْ».**

واضح أن محاكمة المسيح الليلية لا يُبْرِزُها ق. لوقا ويكتفي باجتماع السنهدرين بالنهار، وهو ما يوافق نظام السنهدرين. وفي الأناجيل الأُخرى نجد أن المحاكمة الأُولى كانت في دار حنَّان، ولكن المحكمة الرسمية للسنهدرين كانت في دار قيافا وهي في الدور العلوي، حيث انعقد السنهدرين بكامل هيئته، ولكن نلاحظ غياب الفرِّيسيين. ويُلاحَظ أن ق. لوقا اعتبر مشيخة الشعب تجمع شيوخ الشعب مع الكهنة والكتبة. ويعلِّق النبي في رؤياه: «إنهم يجتمعون اجتماعاً ليس من عندي.» (إش 15:54)

وهكذا اجتمع كل الرافضين للمسيح معاً ليوحِّدوا كلمتهم واتهاماتهم للمسيح أمام بيلاطس.

من الروايات الأُخرى في الأناجيل نعلم أن السنهدرين انعقد في دار قيافا (مت 57:26)، علماً بأن قيافا كان قد اجتمع مع المسيح اجتماعاً خاصاً قبل أن يظهر أمام السنهدرين.

واجتماع السنهدرين في الصباح حسبوه اجتماعاً رسمياً، ولكن من وجهة نظر القانون اليهودي لا يُحسب هذا الاجتماع أنه قانوني، حتى المكان الذي اجتمعوا فيه بكامل هيئة السنهدرين لم يكن قانونياً. لأنه كان يوجد ثلاثة أماكن للمحاكمة القانونية في أُورشليم، قاعة تسع 120 عضواً ويُقال أنهم 240، ويحكم فيها ثلاثة قضاة، وقاعة محكمة أُخرى مكوَّنة من 23 عضواً للتحكيم، أمَّا

المحكمة العليا الأخيرة فينبغي أن تكون السنهدرين المكوَّن من 71 عضواً، ومكان انعقاد السنهدرين رسمياً داخل الهيكل في إحدى أروقته. وهناك استثناء بإمكانية انعقاد محكمة جزئية فرعية في أي مكان، ولكن مثل هذا يكون غير شرعي لمحاكمة قضية مثل قضية المسيح. لذلك لمَّا اجتمع السنهدرين في دار قيافا لم يخرج بقرار رسمي وإنما داروا في أضيق ما يحتمله قانون المحاكمة، على أنهم كانوا يدبِّرون ويفحصون على أساس قتله بكل طاقة تفكيرهم. ذلك على أساس أنهم وجدوا له تهمة التجديف وعلى أساسها أقاموا دعوى القتل. ولكنهم كانوا يعلمون أن هذه التهمة "التجديف على الله" لا تجدي نفعاً في عُرف بيلاطس كقاضٍ روماني.

لذلك نجد أن ق. لوقا يُبْرِزُ تهمتين ذات قيمة عالية جداً بالنسبة لحقيقة المسيح وبالنسبة لحقيقة إيماننا المسيحي وضعهما المجلس في فم رئيسه كسؤالين:

السؤال الأول: **«هل أنت المسيح؟ قل لنا؟»**

السؤال الثاني: **«إذن: هل أنت ابن الله؟»**

وهذا السؤال الثاني قد استخرجوه من إجابة المسيح على السؤال الأول.

هذان هما السؤالان المعتبران على أقصى درجة من الأهمية والخطورة، ذلك في وقتهما وأيضاً لنا الآن: 1 - **هل هو المسيح؟** 2 - **هل هو ابن الله؟** وهما موجَّهان لنا ولكل مَنْ يُريد أن يؤمن أو آمن بالمسيح لكي بالإجابة عليهما يتقرَّر صحة إيمانه بالمسيح وصحة مسيحيته!

وبالتالي والأولى كانا محك الإدانة بالموت عند المحكمة، وبالتالي عند اليهود، وبالتالي عند العالم!! أمَّا بالنسبة للسؤال الأول الذي ألحُّوا على الإجابة القاطعة عليه «قل لنا» طبعاً لأن على هذا السؤال كان ينعقد كل آمال إسرائيل بكل أنبيائه بل ومستقبله. ولكنهم سمعوا وتأكَّدوا أن تلاميذه كانوا يؤمنون بأنه المسيَّا "وجدنا المسيَّا" (أندراوس) (يو 1:41)، والمعمدان صرَّح بالصوت العالي: «لست أنا المسيح» (يو 1:20)، «وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله» (يو 1:34). لذلك طبعاً لم يؤمنوا بيوحنا المعمدان ولا اعتمدوا منه. ولذلك كان إلحاحهم على كلمة منه لأن خوفهم واضطرابهم رفع من عقولهم أي تمييز شخصي فأرادوا أن يجبروه على أن يقول مَنْ هو، علماً بأن المسيح كان يدرك أنه حتى ولو قال لهم فلن يؤمنوا، لذلك لم يقل لهم صراحة بل أعطىالمضمون الحقيقي عن شخصه في مستواه كديَّان لهم: «منذ الآن يكون ابن الإنسان جالساً عن يمين قوة الله» (لو 22:69)، الإجابة التي استخلصوا منها: «أفأنت ابن الله؟» ولمَّا قال بشبه الإيجاب: «أنتم تقولون إني أنا هو» قالوا: «ما حاجتنا بعد إلى شهادة لأننا نحن سمعنا من فمه» !

ولكن السؤال كيف استخرجوا من قوله: «يكون ابن الإنسان جالساً عن يمين قوة الله» أنه ابن الله؟ فالذي هداهم من إجابته إلى استخراج ما يفيد أنه ابن الله هو درايتهم بالمزمور (110) الذي يقول في مطلعه: «قال الرب (يهوه) لربي: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك» (مز 110:1). وأمَّا مَنْ هو هذا "ربِّي" فمعروف من سؤال المسيح السابق لهم عن كيف أن المسيَّا هو ابن داود، مع أن داود يدعوه "ربي"، وطبعاً لم يجيبوه لئلاَّ يتورَّطوا كون المسيَّا هو نفسه الذي قال له يهوه: اجلس عن يميني، فهو ابنه. لذلك ابتدروه مباشرة لمَّا قال لهم مجيباً عن سؤالهم هل أنت المسيَّا؟ فقال لهم: «منذ الآن يكون ابن الإنسان (هو نفسه) جالساً عن يمين قوة الله» فسألوه: «أفأنت ابن الله» وهنا الفاء ترجمة لحرف oân وهي تترجم بالإنجليزية: then يعني: "بمقتضى ذلك" أو "إذاً" بمعنى الاستفهام الاستنكاري، والذي كان ردُّه على هذا السؤال بقوله: «أنتم تقولون إني أنا هو Ømeίj lšgete Óti ™gè e„mi» وصراحة يعني نعم أنا، ولكن جعلهم مسئولين عن نطقها بقوله: "من فمكم"!! وللأسف عوض أن يزيدوا استفسارهم قطعوا الشك بالرفض واحتفظوا بموقف أنه مجدِّف، باعتباره يقول نعم غشاً، فهو مدلِّس أو غشَّاش. إذن، هو شاهد ضد نفسه فما حاجتنا إلى شهود!!

ولكن الذي يهمنا جداً من هذا الحوار الساخن الذي بلغ حافة السماء بالنسبة لنا، وحافة الهاوية بالنسبة لرؤساء الكهنة والسنهدرين، أن المسيح أعلن صراحة وبوضوح أنه المسيَّا وابن الإنسان وابن الله!! بناءً على قَسَمٍ بالمطالبة بالجواب من جهة رئيس كهنة ذلك الزمان. ولكن، وبالمناسبة، هذا هو نفس النطق السمائي عند الآب من فم بطرس لمَّا سأله المسيح: «وأنتم مَنْ تقولون إني أنا!» فردَّ: «أنت هو المسيح ابن الله الحي!» (مت 16: 15و16) وها بطرس في الدهليز أسفل ينكر ما سمعه من عند الله وما قاله! وينكره ثلاث مرَّات!

ويتحفنا ق. يوحنا بما يشدِّد هذا القول ويرد روحنا فينا حينما أنهى إنجيله بهذا النص السمائي:

+ «وأمَّا هذه فقد كُتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه.» (يو 31:20)

67:22و68 «قَائِلِينَ: إِنْ كُنْتَ أَنْتَ الْمَسِيحَ فَقُلْ لَنَا. فَقَالَ لَهُمْ: إِنْ قُلْتُ لَكُمْ لاَ تُصَدِّقُونَ، وَإِنْ سَأَلْتُ لاَ تُجِيبُونَنِي وَلاَ تُطْلِقُونَنِي».

يُعتبر هذا السؤال المُعجَّل من السنهدرين أنه أساس القبض فيما يخص أفكار الشعب في مقابل أفكار رؤساء الكهنة والكتبة، لأن الشعب كان يميل جداً للوصول إلى هذا القرار أنه هو مسيَّا الآتي. هكذا هلَّلوا له عند دخوله أُورشليم يوم الأحد، ولكن هذا اللقب كان يُرعب قلوب رؤساء الكهنة

والكتبة لأنهم لم يكونوا على استعداد حقيقي داخلي لقبوله، فانعكس هذا النقص على فكرهم وصار هذا اللقب يمثّل لهم موتاً أكثر من حياة، فمالوا مع تيار الرفض أكثر فأكثر حتى بلغوا ليس الرفض فقط بل والعداء والنقمة. لذلك وضعوا هذا السؤال في قمَّة التحقيق لينتهوا منه أولاً، ثم ينزلون إلى مبرِّرات القبض والاتهام الأخرى التي توفّر لهم عريضة اتهام يقبلها الفكر القضائي الروماني: كمقاومة قيصر وغيره من الاتهامات الباطلة. والإنسان يتعجَّب من عقلية هذا السنهدرين بكل أفراده. هل تنبأ الأنبياء منذ موسى حتى ملاخي أنه عند مجيء المسيَّا يُعمل له تحقيق باستجوابه ليتعرَّفوا عليه؟ وهكذا يتضح أمام القارئ لماذا لم يفصح لهم المسيح عن شخصيته، لأن عقلهم على غير استعداد لمعرفته لأن أعمالهم طمست عيونهم وآذانهم، ولمَّا جاءهم المسيَّا حقًّا لم يعرفوه بل رفضوه واستطاعوا أن يقنعوا ذواتهم بضرورة قتله. هذا المسلسل الفكري نشأ من الظلمة الروحية التي كانوا يعيشونها بأخلاقهم وسلوكهم التي انعكست على قلوبهم وأفكارهم.

يحكي لنا أحد اليهود في هذه الأيام وهو أمريكي من الذين قبلُوا الإيمان بالمسيح واعتمد، أنه حينما كان يقرأ الإنجيل لأول مرَّة فرح بكلام المسيح وأعماله ومعجزاته، وكاد يُذهل عقله: أهذا هو "يسوع" الذي صوَّره له اليهود من عائلته ومن حاخاماتهم؟ فلمَّا وصل إلى محاكمته وضربه وصلبه ظلَّ يبكي بصوتٍ عالٍ وتملك عليه البكاء بشدة: كيف عملوا هذا بالمسيَّا؟

ابتدأ مسلسل جحدهم للمسيح وصلبه أول ما ابتدأ بعدم تصديق المعمدان ورفضهم التوبة والعماد، ثم رفضهم لشهادته عن المسيح، ثم رفضهم لشهادة المسيح عن المعمدان وعن نفسه، ثم مقاومة تعليمه ثم مقاومته ومحاولة رجمه ثم محاكمته وصلبه. وبالفحص نجد أن السبب الأساسي لرفضهم المسيح هو عدم توبتهم واعترافهم بخطاياهم على يد المعمدان!! إنه كبرياء العظمة والتمسُّك بأمجاد وظائفهم. وهكذا فات عليهم القطار ولم يركبوا، فوجدوا أنفسهم في آخر صفوف البشرية وأقل من جميع الأمم!

صديقي القارئ، اسرع وتُب، اعترف واركب القطار قبل أن يفوتك.

22:69-71 **«مُنْذُ الآنَ يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ جَالِساً عَنْ يَمِينِ قُوَّةِ اللهِ. فَقَالَ الْجَمِيعُ: أَفَأَنْتَ ابْنُ اللهِ؟ فَقَالَ لَهُمْ: أَنْتُمْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا هُوَ. فَقَالُوا: مَا حَاجَتُنَا بَعْدُ إِلَى شَهَادَةٍ؟ لأَنَّنَا نَحْنُ سَمِعْنَا مِنْ فَمِهِ».**

لم يقبلوه كمسيَّا، ورفضوه وقتلوه فتكشَّف أنه ابن الإنسان الذي بقتله ارتفع وذهب وجلس عن

يمين الله وتعيَّن ابن الله: لمَّا رفضوه الآن فصار منذ الآن هو ابن الإنسان (دا 13:7). لقد ضاع عليهم فرصة التعرُّف عليه **"كمسيَّا"**، فلمَّا حكموا برفضه كشف لهم أنه هو **"ابن الإنسان"** بالصورة الأكثر تعريفاً بالمسيَّا كما يقدِّم بها نفسه هنا في هذه الآية، فلمَّا أمعنوا في رفضه وقتلوه تكشَّف أنه **"ابن الله"** بعد أن ضاعت عليهم فرصتان، ليتعرَّفوا عليه بعد كديَّان!

ويُلاحَظ أن أعضاء السنهدرين هم الذين استخرجوا من أنفسهم حقيقة أنه ابن الله لمَّا قال: إنه هو ابن الإنسان!! فلمَّا سألوه ليتحقَّقوا من هذه الحقيقة، أكَّدها لهم المسيح: «إني أنا هو» فتوقَّفوا عند هذه النقطة حيث استخلصوا منه شهادة من فمه أنه «ابن الله» وهذا عندهم يكون قمة التجديف على الله. فما عادوا يطلبون شهادة بعد اعترافه العلني بالتجديف.

وهنا يتحقَّق لنا ما قاله الوحي عن هذا الشعب: «أعطاهم الله روح سُبات وعيوناً حتى لا يبصروا وآذاناً حتى لا يسمعوا ... وغمضوا عيونهم لئلاَّ يُبصروا بعيونهم ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم» (رو 8:11)، (مت 15:13). فهنا تحقَّق هذا القول أيَّما تحقيق. فالمسيَّا أمامهم بلحمه وعظمه ولم يروه، وهو الذي شهد عن نفسه أنه ابن الإنسان فما سمعوه، ثم شهد لهم أنه ابن الله فقالوا قد جدَّف!! وقد صدق فيهم قول موسى نبيِّهم العظيم حينما قال: «جيلٌ أعوجُ ملتوٍ. ألرب تكافئون بهذا (الرفض) يا شعباً غبياً غير حكيمٍ!» (تث 32: 5و6)

الأصحاح الثالث والعشرون:

6 - المسيح أمام بيلاطس
(5-1:23)

(مت 1:27-2و11-14)
(مر 1:15-5)
(يو 28:18-38)

كان المسيح متعاطفاً مع بيلاطس فهو رمز الأمم الذين جاء هو ليسفك دمه من أجلهم. أحبَّه بيلاطس وشهد لبرِّه ونطق ببراءته.
بطرس أنكر ثلاثاً وبيلاطس برَّأه ثلاثاً.
بيلاطس طلب منه أن يعرف ما هو الحق، وكان طلبه هو غاية مجيئه وموته على يديه لتقبله كل الأمم.

كان اليهود قد فقدوا منذ مدَّة طويلة سلطة الحكم على إنسان بالقتل، فلم يكن لهم وسيلة إلاَّ الاحتكام لبيلاطس، فبكل سرعة انتقل السنهدرين بكل هيئته ومعهم المسيح ليمثُلوا أمام بيلاطس. ويبدأ اليوم في الحكومة الرومانية مبكِّراً جداً، وكان بيلاطس وقتئذ متواجداً في

أورشليم بسبب العيد، ولكن مقر الحكومة الرومانية كان في قيصرية، علماً بأن بيلاطس كان يكره اليهود واليهود يكرهونه، وقد اصطدم باليهودية والسامرة. وعقلية اليهود لا تستطيع أن تتمشّى مع عقلية قائد قاضٍ روماني ليس له أي صلة بإله اليهود أو آمالهم في مسيًّا. فماذا يصنع بيسوع الذي قدَّموه إليه ليصلبه وهو ليس قاتلاً وليس له سوابق تحقيق أو اتهام يدخل تحت سلطانه للحكم بالقتل؟ هذا أدهش بيلاطس منذ بدء القضية وكان تقريره تهكُّماً: «قد قدَّمتم إليَّ هذا الإنسان كمَنْ يُفسد الشعب. وها أنا قد فحصتُ قدَّامكم ولم أجد في هذا الإنسان علّة مما تشتكون به عليه.» (لو 23:14)

وفي إنجيل ق. يوحنا يظهر بوضوح مدى جهالة اليهود في تقديم المسيح لبيلاطس إذ أول ما سألهم: «أية شكاية تُقدِّمون على هذا الإنسان؟ أجابوا وقالوا له: لو لم يكن فاعل شرٍّ لما كنّا قد سلّمناه إليك. فقال لهم بيلاطس: خذوه أنتم واحكموا عليه حسب ناموسكم!» (يو 18: 29-31).

وواضح هنا أن بيلاطس كان رافضاً هذه القضية من البدء لأنها لا تخصُّه. لذلك وجد بيلاطس أنه من المستحيل استخدام القانون الروماني على أي مستوى، مما جعله وبحسب القانون الروماني أن ينطق ببراءته ثلاث مرَّات (يو 38:18، 4:19و6)!!

تقدَّم المرافقون ومعهم عريضة الدعوى فيها كل الاتهامات ـ بحسب القديس لوقا ـ والتي تهيىء لبيلاطس الأسئلة بخصوص المسيح. ونقط الخطورة في الادعاء زادوها تضخيماً: إن هذا وُجد يُفسد الأمة ويمنع أن تُعطى جزية لقيصر مدَّعياً أنه المسيح الملك. فابتدأ بيلاطس بمقتضى هذا الادعاء يسأل المسيح: أنت ملك اليهود؟ فأجابهُ: أنت تقول. فقال بيلاطس لرؤساء الكهنة بعد الفحص: إني لا أجد علّة في هذا الإنسان، هذا أثار القائمين بالاتهام وأخذوا يشدِّدون على ما قالوه إنه يهيِّج الشعب وهو يعلّم كل اليهود مبتدئاً من الجليل إلى أُورشليم. فلمَّا سمع بيلاطس أن المسيح جليلي، أرسله إلى هيرودس أنتيباس الذي كان بدوره في أُورشليم من أجل العيد أيضاً حتى يسهِّل على بيلاطس الحكم في أمره بتقديم رأيه فيه. وكانت فرصة لهيرودس أن يرى المسيح إذ كان قد طلب ذلك من قبل (9:9)، ولكن لأن المسيح يعلم أنه يريد أن يرى آيات، لم يجبه بشيء، ولم يجد هيرودس ما يقوله ضدَّه مما أضعف اتهام اليهود. لذلك وقفوا يشتكون بشدَّة ضدَّه. فاحتقره هيرودس مع عسكره واستهزأوا به وألبسه لباساً لامعاً إمعاناً في احتقار ملوكيته وردَّه إلى بيلاطس. ومن ذلك الحين صار هيرودس وبيلاطس صديقين بعد ما كانا في عداوة. وهكذا تمَّت نبوَّة داود النبي في المزمور الثاني: «قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه قائلين: لنقطع قيودهما (الرب ومسيحه) ولنطرح عنَّا رُبطهما.» (مز 2: 2و3)

ملاحظة هامة:

إذا أراد القارئ أن يأخذ معرفة دقيقة بمحاكمة المسيح وصلبه عليه أن يعود إلى شرح إنجيل ق. يوحنا وقراءة نفس المواضع.

23: 1و2 **«فَقَامَ كُلُّ جُمْهُورِهِمْ وَجَاءُوا بِهِ إِلَى بِيلاَطُسَ، وَابْتَدَأُوا يَشْتَكُونَ عَلَيْهِ قَائِلِينَ: إِنَّنَا وَجَدْنَا هذَا يُفْسِدُ الأُمَّةَ، وَيَمْنَعُ أَنْ تُعْطَى جِزْيَةٌ لِقَيْصَرَ، قَائِلاً: إِنَّهُ هُوَ مَسِيحٌ مَلِكٌ».**

لقد بدأ الاتهام بأصعب التهم جميعاً من حيث تحريك غضب بيلاطس، ولو أنها فشلت كمحاولة لإثارة بيلاطس في البداية ولكنها نجحت في النهاية، وكانت نقطة تحوُّل في القضية ضد المسيح بحسب إجراءات المحكمة عند ق. يوحنا، لأنه عندما كان مزمعاً فعلاً أن يبرِّئهُ صرخوا في وجهه: إن أطلقت هذا تكون غير محب لقيصر، على أساس أنه يمنع الجزية، مما جعله يعمل حساب

دسائسهم وسلّمهم المسيح في النهاية ليقتلوه هم.

فقدرة اليهود على معرفة نقط الضعف في سياسة الحاكم يستخدمونها دائماً لصقّهم مع التلويح بالتشهير بالحاكم، وهو نفس الأسلوب الذي يستخدمونه الآن بإحكام في إسقاط رؤساء أمريكا، أو حتى قتله، كما فعلوا بالرئيس كنيدي ثم قاموا بقتل الذي قتله لكي تضيع القضية. فسياستهم حتى اليوم كيديَّة مرعبة. وهكذا عرفوا أن يستقطبوه في النهاية لصقّهم. ولكن يا لحزنهم فقد كان صلب المسيح نهاية عزِّهم وسلطانهم وصولجانهم على الأرض.

3:23 «**فَسَأَلَهُ بِيلاَطُسُ قَائِلاً: أَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ؟ فَأَجَابَهُ وَقَالَ: أَنْتَ تَقُولُ**».

لقد استطاع اليهود أن يحوِّلوا تهمة المسيَّا التي لم يفهمها بيلاطس إلى صفة أخرى مستقاة من صفة المسيَّا وهي أنه ملك. لأن كل المعروف من النبوَّات أن مسيَّا سيكون ملكاً وكاهناً، وعلى هذا المقدَّر صارت الكنيسة وشعب المسيح ملوكاً وكهنة لله العلي، أي مسيحيين! هكذا اهتمَّ أعضاء السنهدرين أن يقدِّموا المسيح "كملك": «إنه هو مسيح ملك. (2:23)»

يُلاحَظ أن بيلاطس هنا أسقط التهمة الأولى والثانية وأخذ بالأخيرة لأنها تغطِّي مطالب التحقيق في التهمتين الأولى والثانية. وهي أيضاً مشوِّقة للحاكم أن يفحص هذا الملك الواقف أمامه لأن منظر المسيح لم يكن أبداً يوحي بذلك: الذي أخذ شكل العبد وقد امتلأ وجهه جروحاً ودماءً من الجروح النازفة من جراء أعمال الاغتيال التي اغتاله بها رجال حنَّان أولاً ثم رؤساء الكهنة وجُند هيرودس. فاستهوته هذه التهمة ليسأل المسيح: «أنت ملك اليهود؟» هنا في تحقيق إنجيل ق. يوحنا يردّ عليه المسيح: «أمِنْ ذاتك تقول هذا أم آخرون قالوا لك عنّي؟» ثم أجاب المسيح: «مملكتي ليست من هذا العالم» فقال له بيلاطس: «أفأنت إذن ملك؟» قال: «من أجل هذا وُلِدتُ!» الأمر الذي جعل بيلاطس يتراجع ويشهد أنه ليس فيه علّة!

وفي إنجيل ق. لوقا كان المسيح يجيبه بنفس طريقته في الإجابة عندما يكون السؤال يحمل حقيقة: «فأجابه وقال: أنت تقول» وبهذه الإجابة يتطابق قول المسيح في إنجيل ق. لوقا مع ما قاله في إنجيل ق. يوحنا: «لهذا قد وُلِدتُ أنا ولهذا قد أتيت إلى العالم ...» (يو 37:18). وردُّ المسيح في إنجيل ق. لوقا يؤكّد أنه ملكٌ!! **وهذا يضيف إليه صفة الملوكية التي خرجنا بها من هذا التحقيق، مع إعلانه أنه المسيَّا، وابن الإنسان، وابن الله!!!!**

ولكن ق. لوقا اختصر التحقيق بشدَّة لأن بيلاطس بحسب إنجيل ق. يوحنا دخل أولاً في دار

الولاية وتخاطب مع المسيح وأدرك صدقه ونُطق الحق في فمه، فخرج وقال حُكمه علناً: «أنا لست أجد فيه علّة واحدة» (يو 38:18). ويلزم لنا وللتاريخ أن يسجِّل هذا الحكم الذي يُلغي كل ما عداه، خاصة وأنه كرَّره ثلاث مرَّات!! ويقول العالِم مورجان في شرحه لإنجيل ق. لوقا: إن النطق المماثل في القضاء الإنجليزي هو "Not guilty" بمعنى: "براءة"! وبسبب وصول بيلاطس لهذا القرار **قطع سير المحكمة وأوقف الأسئلة** وخرج يدلي بقراره الأخير: «لا أجد علّة في هذا الإنسان»

ولكن الذي شلَّ يد بيلاطس في فك قيود المسيح والإعلان النهائي بالبراءة أنه انتقل من العدالة إلى السياسة، إذ رأى أن رؤساء الكهنة يثيرون مظاهرة مفتعلة أمام عينيه ويهدّدونه بقيصر. وهكذا اتضح الخطر أمامه. فمن أجل سلامة نفسه وعدم تحمُّل مسئولية هياج شعب، سلّم لهم المسيح. أمَّا هم فلأجل أن يتخلّصوا من "مَلِكهم" خانوا أُمَّتهم وفضَّلوا أن يكونوا أتباعاً لقيصر.

4:23 «**فَقَالَ بِيلاَطُسُ لِرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْجُمُوعِ: إِنِّي لاَ أَجِدُ عِلَّةً فِي هذَا الإِنْسَانِ**».

هنا يتقابل تحقيق ق. لوقا مع تحقيق ق. يوحنا، إذ بعد أن قال له إني لهذا وُلِدتُ أنا ولهذا أتيت إلى العالم لأشهد للحق، دَخَلَتْ بيلاطس أحاسيس الصدق في قول المسيح فارتعب، وأعلن براءته للمرَّة الأولى عن تعاطف شديد وقناعة، مما أخرج رؤساء الكهنة عن وعيهم وبدأوا يصرخون ويشدِّدون ويهدّدون بمظاهرة كمظاهرة الرعاع. والمسيح واقف يتعجَّب: الأممي انفتح وعيه على الحق وإسرائيل انعمت. بيلاطس يتوافق مع قول المسيح إنه ملك وإسرائيل تقول لا بل يُفسد الأمة! بيلاطس يحكم للحق واليهود يشهدون بالزور. بيلاطس لم يجد في المسيح علّة واحدة واليهود نسبوا إليه كل العلل: «إنهم أُمَّة عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم.» موسى (تث 28:32)

5:23 «**فَكَانُوا يُشَدِّدُونَ قَائِلِينَ: إِنَّهُ يُهَيِّجُ الشَّعْبَ وَهُوَ يُعَلِّمُ فِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ مُبْتَدِئاً مِنَ الْجَلِيلِ إِلَى هُنَا**».

حينما يطمس الشيطان وعي الإنسان يجعله ينحاز للخطأ بعناد ويرفع يده من الحق ليضعها في الباطل بحماس، وليس فئة واحدة في إسرائيل بل الجميع بصوت واحد وضدَّ مخلّصهم وإلى الموت! وبنظرة شاملة ومن واقع اليهود الآن نرى كيف دفعت إسرائيل على مدى ألفي سنة حتى الآن ثمن عنادها في الكذب والباطل، لأن المسيح لا يمكن أن يغرِّمها هذه الغرامة الفادحة إلاَّ إذا كان قد تحقّق أنها كانت تحس أنه هو المسيح ووقفت ضد إحساسها خوفاً على موضعها السياسي وإحساساً منها بنجاسة أعمالها. لم تكن إسرائيل صادقة مع نفسها وأحس المسيح

بذلك لأنه لا يَخْفَى عليه ما كانت تعيشه من الداخل وما تظهر به من الخارج، وكثير من الفرِّيسيين آمنوا به وتردَّدوا خوفاً من بطش الرئاسة الدينية. وقد فزعت إسرائيل لمَّا وجدت أن الشعب التفَّ حوله وخاصة الحجاج الذين أتوا من الشتات:

+ «فجمع رؤساء الكهنة والفرِّيسيون مجمعاً وقالوا: ماذا نصنع؟ فإن هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة، إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به فيأتي الرومانيون ويأخذون موضعنا وأُمَّتنا. »(يو 11: 47و48)
+ «خيرٌ أن يموت إنسانٌ واحدٌ عن الشعب.» (يو 18 : 14)
+ «إنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها. ولم يقل هذا من نفسه بل إذ كان رئيساً للكهنة في تلك السنة تنبَّأ أن يسوع مزمع أن يموت عن الأمَّة وليس عن الأمَّة فقط بل ليجمع أبناء الله المتفرِّقين إلى واحد، فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه!!» (يو 11 : 50-53)

وفي الحقيقة إن المسيح طمَّعهم في نفسه بسبب تواضعه الشديد ووداعته التي غلبت عليه وجعلته مأكلاً سهلاً، بالإضافة إلى الهدف الذي جاء من أجله وأعلنه عدَّة مرَّات أن ابن الإنسان سيُصلب ويموت. فهو الذي فتح لهم بابه السرِّي، فعميت أبصارهم وظنُّوه فعلاً قابلاً للموت فقدَّموه للموت للتخلُّص منه وليس ليخلصوا بموته، فأوقعهم في عماهم ونفَّذ الفداء بعمل حماقتهم. ولولا أن المسيح عالِمٌ أنه سيقوم من بعد الموت ما سلَّم نفسه لأيديهم الشريرة، وما وقف هكذا صامتاً أمام بيلاطس!!

7 ـ المسيح أمام هيرودس

(23:6-12) القديس لوقا وحده

وأخيراً وقف المسيح أمام الثعلب.
طلب منه آية ولم يبق له آية إلاَّ آية الصليب!!

لمَّا علم بيلاطس أن المسيح من الجليل أرسله إلى هيرودس أنتيپاس لأنه هو والي الجليل لعلَّه يجد مخرجاً للقضية. فلمَّا رآه هيرودس فرح به لأنه كان يودّ أن يرى منه آية، ولكن إذ علم المسيح ذلك لم يشأ أن يردَّ عليه بشيء. وهيرودس هو الذي في السابق كان بحسب رواية الفرِّيسيين يُريد أن

يقتل المسيح (لو 13 : 31). لذلك لم يجد هيرودس في الرجل ما يقوله، فلمَّا لم يردّ عليه استهزأ به وسلّمه للعسكر ليهزأوا به وألبسه ثوباً لامعاً وأعاده إلى بيلاطس. وهكذا صارا صديقين بعد عداوة.

23 : 6-12 **«فَلَمَّا سَمِعَ بِيلاَطُسُ ذِكْرَ الْجَلِيلِ، سَأَلَ: هَلِ الرَّجُلُ جَلِيلِيٌّ؟ وَحِينَ عَلِمَ أَنَّهُ مِنْ سَلْطَنَةِ هِيرُودُسَ، أَرْسَلَهُ إِلَى هِيرُودُسَ، إِذْ كَانَ هُوَ أَيْضاً تِلْكَ الأَيَّامَ فِي أُورُشَلِيمَ. وَأَمَّا هِيرُودُسُ فَلَمَّا رَأَى يَسُوعَ فَرِحَ جِدًّا، لأَنَّهُ كَانَ يُرِيدُ مِنْ زَمَانٍ طَوِيلٍ أَنْ يَرَاهُ، لِسَمَاعِهِ عَنْهُ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً، وَتَرَجَّى أَنْ يَرَى آيَةً تُصْنَعُ مِنْهُ. وَسَأَلَهُ بِكَلاَمٍ كَثِيرٍ فَلَمْ يُجِبْهُ بِشَيْءٍ. وَوَقَفَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ يَشْتَكُونَ عَلَيْهِ بِاشْتِدَادٍ، فَاحْتَقَرَهُ هِيرُودُسُ مَعَ عَسْكَرِهِ وَاسْتَهْزَأَ بِهِ، وَأَلْبَسَهُ لِبَاساً لاَمِعاً، وَرَدَّهُ إِلَى بِيلاَطُسَ. فَصَارَ بِيلاَطُسُ وَهِيرُودُسُ صَدِيقَيْنِ مَعَ بَعْضِهِمَا فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، لأَنَّهُمَا كَانَا مِنْ قَبْلُ فِي عَدَاوَةٍ بَيْنَهُمَا».**

«أرسله»: ¢nšpemyen = sent up

هذه كلمة محاكم وتفيد **تحويل القضية** إلى الجهة المختصة، كما أنها تفيد **رفع القضية** إلى محكمة أعلى. لأن قصد بيلاطس الأساسي هو التخلُّص من هذه القضية بأي شكل، لذلك قبلَ هذا الوضع الأضعف أن يرفع هذه القضية إلى جهة أعلى وهي ليست أعلى إلاَّ بالنسبة إلى المأزق الذي شعر به بيلاطس. وواضح جداً هذا المأزق لأنه حكم بالبراءة فعلاً فكيف يعود إلى القضية مرَّة أخرى ويحكم بما يراه اليهود وهو القتل!! وهذه الحركة تمثّل قمة المأساة اليهودية.

ونحن نعرف مَنْ هو هيرودس، فهو الذي كان مشتاقاً جداً أن يسمع المعمدان بسرور (مر 6 : 20)، وهو الذي أمر بقطع رأسه ليُرضي امرأة زانية وابنتها بعد رقصة الموت!! هو هيرودس الذي أرسل يقول: «هيرودس يريد أن يقتلك» فأرسل المسيح ردّ الرسالة: «قولوا لهذا الثعلب: ها أنا أُخرج شياطين، وأشفي اليوم وغداً، وفي اليوم الثالث أُكَمَّلُ» (لو 13: 31و32). والآن تواجه هيرودس مع المسيح وجهاً لوجه. وكان كل رجاء اليهود ورؤساء الكهنة أن يعمل شيئاً ليحرّك القضية، فبعد أن سأله كثيراً والمسيح ينظر إليه صامتاً(!!)، لم يستطع أن يكتب كلمة واحدة عن اتهامه وأرسله إلى بيلاطس بعد أن أرضى اليهود بإيذائه! والمسيح أيضاً صامت. وكان خوف اليهود شديداً من هيرودس لئلاَّ يحتفظ بالمسيح ولا يُسلّمه مرَّة أخرى لبيلاطس ويأمر بإطلاقه.

8 - صدور حُكم الموت

(25-13:23)

(مت 27:15-26)
(مر 15:6-15)
(يو 18:39-19:16)

حكموا على المسيح بالموت،
مع أنه جاء ليرفع عن العالم حُكم الموت.

23 : 13-16 **«فَدَعَا بِيلاَطُسُ رُؤَسَاءَ الْكَهَنَةِ وَالْعُظَمَاءَ وَالشَّعْبَ، وَقَالَ لَهُمْ: قَدْ قَدَّمْتُمْ إِلَيَّ هذَا الإِنْسَانَ كَمَنْ يُفْسِدُ الشَّعْبَ. وَهَا أَنَا قَدْ فَحَصْتُ قُدَّامَكُمْ وَلَمْ أَجِدْ فِي هذَا الإِنْسَانِ عِلَّةً مِمَّا تَشْتَكُونَ بِهِ عَلَيْهِ. وَلاَ هِيرُودُسُ أَيْضاً، لأَنِّي أَرْسَلْتُكُمْ إِلَيْهِ. وَهَا لاَ شَيْءَ يَسْتَحِقُّ الْمَوْتَ صُنِعَ مِنْهُ. فَأَنَا أُؤَدِّبُهُ وَأُطْلِقُهُ».**

هنا أسقط ق. لوقا كيف أن رؤساء الكهنة وعظماء الشعب رفضوا أن يدخلوا دار الولاية لأن اليوم كان 14 نيسان، وهو الذي يُذبح فيه الفصح ويُؤكل عشية 15 نيسان، فاضطر بيلاطس أن يخرج إليهم: «وكان صبح. ولم يدخلوا هُم إلى دار الولاية لكي لا يتنجَّسوا، فيأكلون الفصح» (يو 28:18). هنا بيلاطس مرَّة أخرى في قمة الورطة، فقد رجع إليه المتهم دون كلمة اتهام واحدة! وها هو قد أنهى التحقيق معه بإعلان أن «هذا الإنسان لم أجد فيه علّة» فماذا هو صانع؟ لقد قرأ عليهم ما سجّله في قضية المسيح أنهم قدّموا المسيح كمن يُفسد الشعب، فلا بيلاطس ولا هيرودس أيّدا ادّعاءهم (رؤساء الكهنة) بكلمة. طبعاً هنا صوت الضمير وصراخ الحق، لأنه قد ظهر تلفيقهم وكذبهم وشهادات الزور. والصوت المرتفع كان لإسكات الشكاية من الداخل: شعب متمرِّس في قتل الأنبياء والمُرْسَلين كما قالها استفانوس في وجههم: «أيُّ الأنبياء لم يضطهده آباؤكم، وقد قتلوا الذين سبقوا فأنبأوا بمجيء البار» (أع 52:7). لذلك لم يكن بكاء المسيح على أورشليم من فراغ، فهوذا اليوم يتحقّق: لماذا بكى عليها؟ لأنها أكملت مكيال فجورها؛ إذ وبراءة المسيح قد أُعلنت من فوق منصَّة قضاء الرومان الذين ليس من بعدهم ولا من قبلهم مَنْ أضبط القانون، والعالم لا يزال يدرس ويُدرِّس القانون الروماني، ولكنهم صرخوا في وجه القاضي وهو يؤكّد براءته من جميع التهم التي نسبوها إليه. واتهامهم للمسيح بهذه الصورة وتقديم طلبهم أن يُصلب يكشف كيف قتلوا بقية الأنبياء! لقد بكى المسيح

على مَنْ لم يبكوا عليهم.

وقد ظلم بيلاطس نفسه حينما قال لهم مسترضياً غضبهم بعد أن نطق ثانية: «لم أجد في هذا الإنسان علّة مما تشتكون به عليه» «فأنا أؤدّبه وأُطلقه» أي أدب هذا يا بيلاطس وأنت تشهد كقاضٍ أن المتهم بريء من جميع التهم التي نسبوها إليه؟ لقد فتح لهم بيلاطس الباب ليضغطوا عليه لمّا رأوه يتقهقر أمامهم، وأي نسبة هذه بين أن يؤدّبه وبين أن يصلبه!

اشهدي يا سماء على ظلم الإنسان، ليس على الإنسان، بل على المسيح!! فهو تسجَّل على إسرائيل إلى الأبد! القاضِي على استحياء منهم يطلب السماح بتأديبه، فطالبوه آمرين بصلبه. وهكذا برخاوة القاضي ضاع حق المتهم! وويل للقاضي الذي ينثني بالعدالة تحت ضغط التهديد. فقضية المسيح عبرة لكل قضاة العالم في كل زمان ومكان، كيف ضاع حق ابن الله بسبب ميوعة القاضي إزاء شراسة المدَّعي، وانتقل الحكم من تأديب بالعصي إلى صلب بعد جلد.

لقد قدَّم بيلاطس هذه الفكرة الوسط كحل أن يؤدّبه ويطلقه، فكانت هذه هي الكمَّاشة التي استخرجوا بها من فمه النطق بالصلب. يقول الإنجليز مقولة مشهورة لأحد قادتهم: [تحت ظروف خاصة يكون **"الحل الوسط"** وضعاً لا أخلاقياً، وتكون كلمة: "حل وسط compromise" أكثر كلمة لا أخلاقية في اللغة الإنجليزية](242). وواضح هنا صدق هذه المقولة في محاكمة بيلاطس للمسيح! فالحل الوسط يا بيلاطس يكون صحيحاً إذا لم يكن هناك مبدأ أخلاقي يُهدم أمامك، وروح ربما تُزهق من التأديب الذي شَبعَتْ منه طول المساء وفي الصباح وعند هيرودس في الظهر! بل وكل مَنْ يسعى في حل وسط يُضار فيه مظلوم أو مُضطّهد يُعتبر فعله بحد ذاته جريمة. نعم كم من مساجين أبرياء استُعيض لهم عن السجن بالتأديب، فأُزهقت أرواحهم. وهكذا دخل التأديب في بند القتل!!

23 : 17-19 «وَكَانَ مُضْطَرًّا أَنْ يُطْلِقَ لَهُمْ كُلَّ عِيدٍ وَاحِداً، فَصَرَخُوا بِجُمْلَتِهِمْ قَائِلِينَ: خُذْ هذَا وَأَطْلِقْ لَنَا بَارَابَاسَ! وَذَاكَ كَانَ قَدْ طُرِحَ فِي السِّجْنِ لأَجْلِ فِتْنَةٍ حَدَثَتْ فِي الْمَدِينَةِ وَقَتْلٍ».

يا ليتهم ما كانوا قد طلبوا هذا الطلب الذي تسجَّل عليهم إلى الأبد، إذ اختاروا تبرئة قاتل وقتل بريء، وهكذا أفسدوا القضاء وقلبوا الحق زوراً والزور حقًّا، وقد أمسكها عليهم ق. بطرس: «يسوع، الذي أسلمتموه أنتم وأنكرتموه أمام وجه بيلاطس، وهو حاكم بإطلاقه. ولكن أنتم أنكرتم القدوس، البار وطلبتم أن يُوهَب لكم رجلٌ قاتل. ورئيس الحياة قتلتموه، الذي أقامه الله من

(242) John Morley, cited by G. Campbell Morgan, *The Gospel According to Luke,* p. 263.

الأموات.» (أع 3: 13-15)

موضوع باراباس: Bar Abbas

أولاً باراباس ليس اسماً بل هو لقب ومعناه ابن الأب، بتحقيق العلاّمة مورجان، وهو لم يكن قاتلاً بل كان مسئولاً عن فتنة حصل فيها قتل، وكانت الفتنة في أُورشليم، أي أنه كان قائداً سياسياً أحدث فتنة. أمَّا من جهة اسمه فيقول العلاّمة أوريجانوس إنه حصل على مخطوطتين بحثهما وتحقّق من صحتهما، وفي المخطوطتين أُعطي اسمه بوضوح أنه كان يُدعى: ''يسوع باراباس''، وهو نفس اسم ولقب يسوع. المسيح. ويقول العالِم مورجان إنه كان مسيحاً كاذباً (كمسحاء كذبة كثيرين ظهروا في الأجيال الأخيرة قبل المسيح). فهذا لمَّا قام بادّعاء أنه المسيَّا لُقّب ''بارأبّاس''، علماً بأن هذا اللقب الذي اشتهر به وسُجن به وذُكر اسمه أمامنا، يفيد ادعاءً مسيَّانياً بوضوح. وهكذا تتضح لنا الفتنة، وهي الادعاء بطرح نير الرومان، وادعاؤه أن يقود الأُمة للخلاص. ثم نستشف من قول بيلاطس في إنجيل ق. متى: « وكان لهم حينئذ أسير مشهور يُسمَّى باراباس» (مت 27:16)، أن القول بأنه **«كان لهم أسير»،** يعني أن باراباس كان يتبع السنهدرين، ولكن إذ قُبض عليه ووُضِعَ في السجن كان سعيهم حثيثاً لإخراجه، لأنهم في ما يبدو أنهم كانوا متواطئين معه! ثم أضاف بيلاطس: «مَنْ تريدون أن أُطلق لكم. باراباس أم يسوع **الذي يُدعى المسيح؟**» (مت 27:17). إذن، بيلاطس كان يعلم أن هناك ''يسوع يُدعى بارأبّاس'' و''يسوع يُدعى المسيح''. وهذا هو مفتاح قضية باراباس، وتورُّط اليهود معه، ورغبتهم بإلحاح لإخراجه، وتوسُّلهم السابق لبيلاطس من أجل الإفراج عنه. ولأن بيلاطس يعلم أهمية الإفراج عنه بالنسبة لهم، أراد أن يشتري بصفقة إخراج باراباس لهم إعطاء يسوع المسيح حكم البراءة. ولكن لم يدر بيلاطس أنه يتفاوض مع يهود! الذين أجبروه على إخراج يسوع باراباس، وصلب يسوع المسيح.

ولكن نستشف بالأكثر من علاقة السنهدرين بباراباس أنهم كانوا موافقين، ولا يزالون، على إقامة حكم مسيَّاني بالقوة وعلى مستوى سياسي حربي لرفع شأن الأُمة والانتقام من أعدائها. ومن تمرُّسهم في تحقيقات الحكومة الرومانية مع باراباس وكيف قبضت عليه السلطة الرومانية، أرادوا أن يطبّقوا خبرتهم السابقة مع باراباس في شخص يسوع المسيح، وبنفس التهم!!

وأخيراً فازوا بأسيرهم المحبوب وقتلوا المسيح! لقد سلّمهم بيلاطس المسيح ليذبحوه بعد أن ذَبَحَ هو ضميره.

23: 20-22 **«فَنَادَاهُمْ أَيْضاً بِيلاَطُسُ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُطْلِقَ يَسُوعَ، فَصَرَخُوا قَائِلِينَ: اصْلِبْهُ! اصْلِبْهُ! فَقَالَ لَهُمْ ثَالِثَةً: فَأَيَّ شَرٍّ عَمِلَ هذَا؟ إِنِّي لَمْ أَجِدْ فِيهِ عِلَّةً لِلْمَوْتِ، فَأَنَا أُؤَدِّبُهُ وَأُطْلِقُهُ».**

لا يزال القاضي واثقاً من براءة المتهم أمامه، ولكن خوفه الظاهر من هذا الشعب جعله يستجدي منهم الحكم بالبراءة مما جعلهم كالنمور أمامه، وبصراخهم الشرس شوَّشوا على النطق بالحق، حتى عاد وكرَّرها ثالث مرَّة ليسجِّلها عليهم: «إني لم أجد فيه علَّة للموت» والإنسان يُدهَش، فلماذا تحكم بالقتل؟ والقديس لوقا هنا أسقط التهديد الذي ابتزُّوا به حكم الإعدام إذ قالوا له: «إن أطلقت هذا فلست محبًّا لقيصر. كل مَنْ يجعل نفسه ملكاً يقاوم قيصر» (يو 19:12)، «فلمَّا سمع بيلاطس هذا القول أخرج يسوع، وجلس على كرسي الولاية في موضع يُقال له البلاط وبالعبرانية جبَّاثا ... فحينئذ أسلمه إليهم ليُصلب »(يو 19: 13و16). وهكذا يمكن أن يُقال إن اليهود حكموا على المسيح بالصلب بلسان بيلاطس! أمَّا بيلاطس فقد حكم بالبراءة ثلاث مرَّات (لو 23: 4و14و22).

23: 23-25 **«فَكَانُوا يَلِجُّونَ بِأَصْوَاتٍ عَظِيمَةٍ طَالِبِينَ أَنْ يُصْلَبَ. فَقَوِيَتْ أَصْوَاتُهُمْ وَأَصْوَاتُ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ. فَحَكَمَ بِيلاَطُسُ أَنْ تَكُونَ طِلْبَتُهُمْ. فَأَطْلَقَ لَهُمُ الَّذِي طُرِحَ فِي السِّجْنِ لأَجْلِ فِتْنَةٍ وَقَتْلٍ، الَّذِي طَلَبُوهُ، وَأَسْلَمَ يَسُوعَ لِمَشِيئَتِهِمْ».**

إنه عسير علينا أن نقول إن بيلاطس[243] كان غير عادل، ولكن من الأصعب جداً أن نقول إنه كان عادلاً فقد حكم بالبراءة وحكم بالقتل بآن واحد!! حكم بالبراءة لحساب ضميره، وحكم بالقتل لحساب شعب بلا ضمير! فنحن في حيرة من أجل هذا القاضي المتخاذل، ولكن حيرتنا أعظم من أجل هذا الشعب المرائي. إنها قضية التاريخ التي سجَّل فيها الإنسان على نفسه أبشع الصفات، والتي سجَّل فيها الله لحساب الإنسان أروع الاحتمال والبذل والفداء والمحبة.

[243] **بيلاطس**: تقول مصادر قبطية تقليدية موروثة مدوَّنة في المخطوطات: إن بيلاطس بتأثير امرأته التي أوصته رفقاً بالمسيح إذ رأت المسيح في حُلم يدعوها (مت 19:27)، قد تنصَّر هو وامرأته وهي المدعوة في الكنيسة باسم القديسة كلوديا بروكيولا Claudia Procula. وتُعيِّد لها الكنيسة في 27 أكتوبر من كل سنة. G. Campbell Morgan, *op. cit.*, p. 266

(ج) صلب يسوع
(49-26:23)

صلبوا المسيح وما دروا أنهم قد صلبوا البشرية كلها فيه.
وما أرادوه له ذُلاً ومرارة أراده هو لهم خلاصاً.
وسلّمهم بيلاطس المسيحَ ليذبحوه بعد أن ذبح هو ضميره.

إن رواية ق. لوقا عن صلب المسيح تتميَّز عن باقي الأناجيل ببعض المفردات، فيسجِّل للمسيح أثناء مسيرة الصليب في موضوع بكاء النسوة بنات أُورشليم، ما أعطاه من نبوَّة على أُورشليم ونسائها. ويركِّز أيضاً على اللصَّين اللذين صُلبا مع المسيح فيسجِّل لهما حديثاً ودُعَاءً جميلاً. وفي رواية ق. لوقا لا نجد حملات الاستهزاء به وهو مصلوب، ويتأخَّر قليلاً في ذكر العنوان الذي كُتب على الصليب فوق رأس المسيح. ثم يسجِّل حديثاً دار بين المسيح واللصَّين، حيث يَعِدْ أحدهما بأن يكون معه اليوم في الفردوس. ثم في النهاية مخاطبة المسيح للآب بعبوره الواثق من الحياة. ويشهد قائد المئة أخيراً على براءة المسيح وبرِّه، ويبدو أن هذا تسرَّب إليه من ضبَّاط المحكمة.

1 - الطريق إلى الجلجثة

(31-26:23)

(مت 32:27)
(مر 21:15)
(يو 16:19و17)

ساقوه إلى هناك بخطىً وئيدة حيث مصيره،
ومصيره هو كان مصير العالم كلّه!!
وما كان له طريق الموت، صار لنا طريق الحياة.

26:23 **«وَلَمَّا مَضَوْا بِهِ أَمْسَكُوا سِمْعَانَ، رَجُلاً قَيْرَوَانِيًّا كَانَ آتِياً مِنَ الْحَقْلِ، وَوَضَعُوا عَلَيْهِ الصَّلِيبَ لِيَحْمِلَهُ خَلْفَ يَسُوعَ».**

ينقل هذا الخبر ق. لوقا عن ق. مرقس، وهو الوحيد الذي ذكر اسم ابنَي الرجل الذي حمل الصليب عن المسيح. وقد اكتشف العلماء أن ق. مرقس اهتم بذِكْر اسم الرجل مع اسم ابنيه ليوجِّه نظر القارئ إلى القرابة التي بين سمعان هذا وق. مرقس، لأنهما من بلد واحد وهي كيريني أو سيريني أو القيروان أو كيرينؤس بليبيا، ويمت إلى ق. مرقس بقرابة، لذلك يؤكِّد ق. مرقس في إنجيله أن سمعان هذا هو أبو ألكسندر وروفس وهما زميلا ق. مرقس ربما في المدرسة. ويُعتقد أن سمعان وأولاده كانوا ساكنين نفس بيت ق. مرقس، ويُعتقد أن سمعان هذا هو الذي تقدَّم من نفسه وحمل الصليب دون أن يسخِّره أحد، لأنه كان يوم الفصح، ومن غير المعقول أن يكون سمعان هذا قد ذهب إلى حقله خارج المدينة.

والمعروف أن المسيح حمل خشبة الصليب من دار الولاية حتى باب أورشليم، ولكنه لم يستطع المشي بها إذ وقع تحت الصليب أكثر من مرَّة، مما لفت أنظار الجندي المرافق فاستغاث بسمعان. والكنيسة الكاثوليكية تُحيي ذكرى درب الصليب كل سنة وتقيم ذكرى كل مرة سقط فيها تحت الصليب.

ليس مَنْ يُدرك معنى الصليب إلاَّ مَنْ جاز آلاماً عنيفة مظلوماً ورَضِيَ بها. فمضمون الصليب آلام! ولكن آلام المسيح اختارها لمَّا اختارها له أعداؤه. وُضِعت عليه فوضعها على نفسه، ولمَّا عيَّروه على الصليب رحَّب بالمعيرة، ولمَّا شعر بدنو الموت سلَّم روحه في يد الآب حتى لا تُنزع منه دون

إرادته. حدَّد أيام موته قبل أن يموت لتكون قيامته بإرادته. وهكذا بإرادته مات، وبإرادته قام بعد أن أكمل بالموت رسالته وحقَّق قولاً قاله: «لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً» (يو 18:10). وصية أخذها من الآب ونفَّذها، ولمَّا نفَّذها عاد إلى الآب قائلاً: «العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته!» (يو 4:17)

23: 27-29 «وَتَبِعَهُ جُمْهُورٌ كَثِيرٌ مِنَ الشَّعْبِ، وَالنِّسَاءِ اللَّوَاتِي كُنَّ يَلْطِمْنَ أَيْضاً وَيَنُحْنَ عَلَيْهِ. فَالْتَفَتَ إِلَيْهِنَّ يَسُوعُ وَقَالَ: يَا بَنَاتِ أُورُشَلِيمَ، لاَ تَبْكِينَ عَلَيَّ بَلِ ابْكِينَ عَلَى أَنْفُسِكُنَّ وَعَلَى أَوْلاَدِكُنَّ، لأَنَّهُ هُوَذَا أَيَّامٌ تَأْتِي يَقُولُونَ فِيهَا: طُوبَى لِلْعَوَاقِرِ وَالْبُطُونِ الَّتِي لَمْ تَلِدْ وَالثُّدِيِّ الَّتِي لَمْ تُرْضِعْ».

كان الجمهور الذي يتبع المسيح، وهو حامل الصليب، في حالة ذهول، لأنه كان لتوِّه يسمع المسيح في الهيكل كل يوم معلِّماً؛ لذلك لم يكن أحد يستهزئ، وهذا واضح من بكاء النسوة. وهنا يكمِّل المسيح نبوَّته عن أُورشليم وما ستعانيه من جوع وحرمان وضيق عظيم حتى أن الحوامل سيُنكَّل بهن وأولادهن يُقتلون. والقديس لوقا هو الوحيد الذي أورد هذا التقليد. كانت النسوة اللاتي يتبعن المسيح من أُورشليم وليس الجليل، وتلميح المسيح بقوله أن يَنُحْنَ على أولادهن، يفيد أن أولادهن سيكونون طعمة لنيران حرب قادمة، وهذا يفيد أن المحنة المُشار إليها ستأخذ مقدار جيل حتى يحين أمرها. أمَّا القول الذي سيُقال في هذه الأيام التي ستأتي أن طوبى للعواقر، فمعناه أن الأولاد الصغار سيموتون جوعاً، وأمَّا الويل للأثداء التي تُرضع، فمعناه أنه سيكون الجوع شديداً حتى لا يوجد في الثدي ما يُرضع. وقد تمَّ هذا كله وبكل حروفه.

23: 30و31 «حِينَئِذٍ يَبْتَدِئُونَ يَقُولُونَ لِلْجِبَالِ: اسْقُطِي عَلَيْنَا، وَلِلآكَامِ: غَطِّينَا. لأَنَّهُ إِنْ كَانُوا بِالْعُودِ الرَّطْبِ يَفْعَلُونَ هذَا، فَمَاذَا يَكُونُ بِالْيَابِسِ؟»

يبدو لنا أن هذه الآية مأخوذة من نبوَّات آخر الزمان التي ستكون فيها الطبيعة ثائرة، والناس من الخوف والرعبة يتمنَّون أن يموتوا جملة من هول هذه الأيام. لأن الذي حدث في أُورشليم كان مجرَّد حرب والفزع فيها من الجوع والموت. أمَّا قول الرب بالعود الرطب فيقصد به الخشب الأخضر الذي لا تأكله النار، فإذا أكلت النار العود الأخضر، فماذا يُصنع بالعود الجاف؟ طبعاً هذا تعبير عن الشدَّة القادمة، وبالأكثر إن كانوا قد عملوا هكذا بالمسيح، فماذا يصنعون بالناس الضعفاء؟

2 - الصــلب
(23:32-38)

(مت 27:33-37)
(مر 15:22-32)
(يو 19:18-24)

لولا الصليب ما عرفنا أننا خطاة،
وما قدَّمنا توبة أو جزنا غفراناً،
بالصليب انكشف لنا سر محبة الآب،
وسر طاعة الابن، والموت من أجل الخطاة!!

رواية موت المسيح تسير على نسق واحد من أولها إلى آخرها، يصعب تقسيمها، ولكن هنا يصف ق. لوقا كيف تمَّ صلب المسيح مع لصين. وما يندهش له كل إنسان أن المسيح على الصليب غفر لصالبيه ما يعملون بينما الجنود مشغولين بتقسيم تركة ملابسه. وكل شيء يسير حزيناً إلاَّ مجيء رؤساء الكهنة الذين جاءوا ليطمئنوا على موته، وبدأوا يعيِّرونه بقدر ما سمحت به أخلاقهم. ولمَّا رأوا الكتابة فوق رأسه: "ملك اليهود"، جُنَّ جنونهم وذهبوا يحتجُّون لبيلاطس، وبيلاطس في هدوء العجرفة الرومانية ردَّ عليهم: «ما كُتب قد كُتب»

23 : 32و33 « **وَجَاءُوا أَيْضاً بِاثْنَيْنِ آخَرَيْنِ مُذْنِبَيْنِ لِيُقْتَلاَ مَعَهُ. وَلَمَّا مَضَوْا بِهِ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يُدْعَى جُمْجُمَةَ صَلَبُوهُ هُنَاكَ مَعَ الْمُذْنِبَيْنِ، وَاحِداً عَنْ يَمِينِهِ وَالآخَرَ عَنْ يَسَارِهِ».**

من أكثر المواقف مدعاة للتأمُّل الحزين العميق أن يؤتَى بلصَّين ليُصلبا معه، فهما بالأصح يُعتبران عنوان المسيح الحقيقي: «وأُحصي مع أثمة» كما قالها بنفسه (لو 22:37)، لأنه جاء ومات وارتفع من أجل الخطاة. فوظيفة المسيح العملية يعبِّر عنها هذان اللصان بكل معنى، ويزيد الموقف جلاءً بأن يأخذ واحد منهما غفراناً كاملاً ووعداً إلهياً بأن يذهب إلى الفردوس برفقة المسيح!! فالعنوان يُقرأ هكذا: أن حُسب المسيح مع الخطاة في حياته كلها وفي مماته أيضاً، من أجلهم جاء ومن أجلهم مات ومن أجلهم ارتفع!! حسبها أعداؤه له عاراً، وحسبها المسيح لنفسه انتصاراً.

23 : 34-38 **«فَقَالَ يَسُوعُ: يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ. وَإِذِ اقْتَسَمُوا ثِيَابَهُ**

اقْتَرَعُوا عَلَيْهَا. وَكَانَ الشَّعْبُ وَاقِفِينَ يَنْظُرُونَ، وَالرُّؤَسَاءُ أَيْضاً مَعَهُمْ يَسْخَرُونَ بِهِ قَائِلِينَ: خَلَّصَ آخَرِينَ، فَلْيُخَلِّصْ نَفْسَهُ إِنْ كَانَ هُوَ الْمَسِيحَ مُخْتَارَ اللهِ. وَالْجُنْدُ أَيْضاً اسْتَهْزَأُوا بِهِ وَهُمْ يَأْتُونَ وَيُقَدِّمُونَ لَهُ خَلاًّ، قَائِلِينَ: إِنْ كُنْتَ أَنْتَ مَلِكَ الْيَهُودِ فَخَلِّصْ نَفْسَكَ. وَكَانَ عُنْوَانٌ مَكْتُوبٌ فَوْقَهُ بِأَحْرُفٍ يُونَانِيَّةٍ وَرُومَانِيَّةٍ وَعِبْرَانِيَّةٍ: هذَا هُوَ مَلِكُ الْيَهُودِ».

هكذا باشر المسيح رسالته من فوق الصليب غفراناً لصالبيه وغفراناً للصِّ اليمين؛
معلناً بذلك أن الصليب جزء حيّ من رسالته لا يوقفه عن العمل بل يزكّي ما يعمله.
فعلى خشبة الصليب وعلى جسده المقدَّس المبارك حمل خطايا البشرية وعارها ولعنتها:
«**الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة** لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر. الذي بجلدته شُفيتم.» (1بط 2:24)
«والرب وضع عليه إثم جميعنا.» (إش 53:6)
عيَّروه بأن قالوا له: إن كنت أنت المسيح ابن الله فانزل عن الخشبة،
ولكنه بقي على الخشبة لأنه هو المسيح ابن الله.
"خلّص آخرين فليُخلّص نفسه"، وهو الذي صلب نفسه لكي يخلّص آخرين!
وهكذا كانوا في معايرته له: «أمة عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم.» ("موسى" تث 32:28)
عيَّره الجند قائلين: "إن كنت أنت ملك اليهود فخلّص نفسك"، وهو سلَّم نفسه للموت لكي يكون ملك الملوك ورب الأرباب!
أمَّا الكتابة أعلى الصليب باليونانية واللاتينية والعبرية فلأنهم بصلبه ملّكوه على كل العالم.

3 - اللصَّان

(23:39-43) القديس لوقا وحده

أحبَّ الخطاة حتى دبَّر لكي يُصلب في وسطهم.

هذه الرواية هي للقديس لوقا فقط، حسبها العلماء أنها قلب قصة الصلبوت في رواية ق. لوقا. إذ بينما في إنجيل ق. مرقس نسمع عن معايرة اللصين للمسيح فقط، نجد في رواية ق. لوقا أن واحداً منهما انحاز لرؤساء الكهنة فشاركهم التعيير، أمَّا الآخر فانفتحت بصيرته وانتهر اللص الآخر كمَنْ لا يخاف الله "لأننا نحن نستحق ما نحن فيه، وأمَّا هذا ـ أي المسيح ـ فلم يعمل شيئاً ليس في محلّه".

ثم قال للمسيح قولته المشهورة التي لقَّت الدنيا بأسرها وصارت أنشودة الكنيسة المفضَّلة يوم طقوس الجمعة الحزينة في كل سنة: "اذكرني يا رب متى جئتَ في ملكوتك".

23 : 39-43 **«وَكَانَ وَاحِدٌ مِنَ الْمُذْنِبَيْنِ الْمُعَلَّقَيْنِ يُجَدِّفُ عَلَيْهِ قَائِلاً: إِنْ كُنْتَ أَنْتَ الْمَسِيحَ، فَخَلِّصْ نَفْسَكَ وَإِيَّانَا! فَأَجَابَ الآخَرُ وَانْتَهَرَهُ قَائِلاً: أَوَلاَ أَنْتَ تَخَافُ اللهَ، إِذْ أَنْتَ تَحْتَ هذَا الْحُكْمِ بِعَيْنِهِ؟ أَمَّا نَحْنُ فَبِعَدْلٍ، لأَنَّنَا نَنَالُ اسْتِحْقَاقَ مَا فَعَلْنَا، وَأَمَّا هذَا فَلَمْ يَفْعَلْ شَيْئاً لَيْسَ فِي مَحَلِّهِ. ثُمَّ قَالَ لِيَسُوعَ: اذْكُرْنِي يَارَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ».**

لمَّا سَمِعَ اللص الأول رؤساء الكهنة والجند، قال للمسيح ما قالوا وهو لا يدري ما يقول. أمَّا اللص الطوباوي وهو يمثِّل النصف الذي آمن بالمسيح، فاعتبر الصلب بالنسبة له استحقاقاً، ونظر إلى المسيح وأحسَّ بروحه أنه لم يعمل شيئاً يستحق هذا التعذيب. فلمَّا ابتدأ يُدافع عن المسيح حُسب من خاصته وانفتحت عيناه ورآه ربًّا وصاحب مُلك، فتوسَّل أن يذكره مجرَّد ذكرى في ملكه العتيد. فما كان من المسيح إلاَّ أنه دعاه في الرحلة الملكية التي سيقوم بها اليوم إلى الفردوس. ويأتي كلام هذا اللص كبشرى سعيدة لفتح باب الخلاص والملكوت معاً، ويكون اللص أول مَنْ سيُنعَم عليه بهذا الإنعام؛ وكانت نفسها هي أيضاً تعبيراً عن مستوى الإيمان بالصليب في من يرفض وفي من يحمله ويتبع!!

وهكذا افتتح اللص اليمين درب الصليب الذي سارت فيه أجيال وأجيال.

ما أعجبك أيها اللص الذي جعلت لنا من الصليب نشيداً.

وبجرأة إيمان شهدتَ للمسيح في أضعف حالاته، في الوقت الذي جدَّف فيه رئيس الكهنة وشعب بأكمله.

4 ـ موت المسيح على الصليب

(49-44:23)

(مت 27:45-56)
(مر 15:33-41)
(يو 19:28-30)

+ **«ولكن الله بيَّن محبَّته لنا، لأننا ونحن بعد خطاةٌ مات المسيح لأجلنا.»** (رو 5:8)

وأثناء ما كان المسيح على الصليب معلّقاً حدث حادثان ذوو مغزى لاهوتي كبير: الأول وقوع ظلمة على الأرض، والثاني انشقاق حجاب الهيكل. الأول كان اشتراكاً من السماء في انطفاء النور الحقيقي على الأرض. وفي إنجيل ق. مرقس جاءت الظلمة معبِّرة عن اختفاء وجه الله عن المسيح: «لماذا تركتني» وهذا غير موجود في إنجيل ق. لوقا. أمَّا الحدث الثاني فهو تعبير لاهوتي عن أن بموت المسيح انتهى عصر إسرائيل الذي كان فيه الحجاب (جسد الخطية) يحجز الإنسان عن الله؛ أمَّا بعد موت المسيح ودفع ثمن الخطية فقد انفتح للإنسان، كل مَنْ آمن، وصار بيت الله يسع الأُمم مع إسرائيل بالمصالحة التي أكملها المسيح بموته عن خطايا العالم بكل أُممه، فانفتح طريق الأُمم إلى الله.

وبعد حادثي الظلمة وانشقاق الحجاب، صرخ المسيح بصوت عظيم ـ «قد أُكمِل» ـ وقدَّم لأبيه صلاة الثقة باستيداع روحه عنده، ولكن في إنجيل ق. مرقس يكتفي بالقول إنه: «أسلم الروح» فقط، ولم يأتِ بكلمة «يا أبتاه في يديك» وهذا يكشف أسبقية ق. مرقس في المفهوم الروحي أن المسيح أسلم روحه أو نفخها بمعنى أصح، ليوضِّح أنه بإرادته مات: «لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً» (يو 10:18). وهذا أيضاً ينفي أن يكون للذي له سلطان الموت أي لإبليس (عب 2:14) أيُّ دخلٍ مطلقاً في موت المسيح. كذلك احتفاظ المسيح بروحه في سلطانه جعل الجسد في القبرملفوفاً بالحياة يحمل روح القيامة: الجسد مات، ولكنه مهيَّأ للقيامة بسلطانه. لذلك قيل إن الموت لم يَسُدْ على المسيح، بل هو الذي ساد عليه، بل داسه، بل ألغى قوته. وبقي الجسد بعيداً عن الفساد إلى أن أكمل المسيح ثلاثة أيام تقريباً، لنفي أي فكر عن كونه لم يمت. ولمَّا أسلم المسيح روحه بهذا الجلال شهد قائد المائة أنه بالحقيقة كان هذا الإنسان باراً. الذي يقابله في إنجيل ق. مرقس: «أنه ابن الله»

وكان جمع من الجليل رجال ونساء جاءوا وشاهدوا موت المسيح، وذهبوا حزانى يدقُّون الصدور. وكان من الواقفين نسوة كثيرات سيكون لهن دور في القيامة.

23 : 44-46 **«وَكَانَ نَحْوُ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ، فَكَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى الأَرْضِ كُلِّهَا إِلَى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ. وَأَظْلَمَتِ الشَّمْسُ، وَانْشَقَّ حِجَابُ الْهَيْكَلِ مِنْ وَسَطِهِ. وَنَادَى يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَقَالَ: يَا أَبَتَاهُ، فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي. وَلَمَّا قَالَ هذَا أَسْلَمَ الرُّوحَ».**

واضح أمامنا أن هناك عاملين كانا وراء هذه الظلمة: اشتراك السماء في التعبير عن اختفاء وجه الآب عن المسيح: «إلهي إلهي لماذا تركتني؟» حتى تكمل مواصفات اللعنة التي قبلها الجسد (أي البشرية الممثَّلة فيه)، كعقوبة وقعت على آدم ونسله باختفاء وجه الآب، وبذلك يكون المسيح والبشرية فيه قد حمل اللعنة من أجل الإنسان والغضب الذي وقع على البشرية فيه. والعامل الثاني تعبيراً عن اختفاء النور الحقيقي عن عالم الجحود.

أمَّا انشقاق حجاب الهيكل فتفسيره لاهوتي، إذ رُفع الحاجز المتوسِّط ـ الخطية ـ بين الإنسان والله، وصار الدخول بجراءة إلى الآب بواسطة المسيح.

وهنا في إنجيل ق. لوقا ينبغي أن نوضِّح أن الزيادة التي أتى بها ق. لوقا وهي: «يا أبتاه في يديك أستودع روحي» أقل توضيحاً للمضمون اللاهوتي من العبارة الأصلية التي نقلها من إنجيل ق. مرقس وهي: «وأسلم الروح» فالمسيح بحسب اليونانية تنفَّس روحه خارجاً xšpneusen™ (مر 15 : 37، لو 23 : 46)، والتي نقولها بالإنجليزية expire أي أخرج نَفَسَه الأخير، أي لم تُنزع منه روحه ولم ينتظر حتى يستولي عليها الشيطان، بل روحه ملكه. علماً بأن المسيح بصفته الابن حامل الحياة الأبدية أو هو الحياة الأبدية التي كانت مخفية عند الآب وأُظهرت لنا كما يقول ق. يوحنا في مطلع رسالته الأولى، فإن كان المسيح هو "الحياة" يتحتَّم أن يكون الموت إرادياً وليس مفروضاً عليه. فالجسد الميت في القبر ظلَّ حاملاً الحياة الأبدية التي بها قام الجسد، ونحن فيه.

23 : 47-49 **«فَلَمَّا رَأَى قَائِدُ الْمِئَةِ مَا كَانَ، مَجَّدَ اللهَ قَائِلاً: بِالْحَقِيقَةِ كَانَ هذَا الإِنْسَانُ بَارًّا! وَكُلُّ الْجُمُوعِ الَّذِينَ كَانُوا مُجْتَمِعِينَ لِهذَا الْمَنْظَرِ، لَمَّا أَبْصَرُوا مَا كَانَ، رَجَعُوا وَهُمْ يَقْرَعُونَ صُدُورَهُمْ. وَكَانَ جَمِيعُ مَعَارِفِهِ، وَنِسَاءٌ كُنَّ قَدْ تَبِعْنَهُ مِنَ الْجَلِيلِ، وَاقِفِينَ مِنْ بَعِيدٍ يَنْظُرُونَ ذلِكَ».**

كان قائد المئة واقفاً يراقب المكان ولكن كانت عيناه على المسيح المصلوب وكيف تصرَّف في

آلامه وفي موته، فرآه ليس إنساناً عادياً وفرضت عليه رزانة المسيح أن يشهد لبرِّه. وأصل هذه الشهادة في إنجيل ق. مرقس هي أنه ابن الله. مما يوضِّح أن موت المسيح كان مضبوطاً بالروح التي فيه، فلم يخرج عن رزانته في أشد أنواع الآلام.

أمَّا الرجال والنساء الذين كانوا قد تبعوه من الجليل وبقوا في أُورشليم لحضور العيد فالتقُّوا حول الصليب من بعيد ينظرون ما حدث، ومن هؤلاء مَنْ أعطى شهادة رؤيته التي تسجَّلت كتقليد استلمته الكنيسة. وبعد أن أسلم المسيحُ الروحَ ذهبوا حزانى يدقُّون الصدور من شدَّة هول ما رأوا، لأنه كان بعضهم غير مستعد أن يَعلَم أن المسيح سيموت، فمعظمهم كانوا يترقَّبون استعلان ملكوت الله واستعلان المسيَّا. ولكن جاء موت المسيح مخيِّباً لفكرهم المحدود، كاشفاً أن بموته انفتح باب الحياة الأبدية.

(د) قيامة المسيح
(53:24-50:23)

1 - دفن المسيح
(56-50:23)

(مت 27:57-61)
(مر 15:42-47)
(يو 19:38-42)

كان الرقاد الأخير على التراب نهاية لإنسان الخطية والموت.
وكان للمسيح بداية لإنسان الحياة الأبدية.

رواية الدفن في إنجيل ق. لوقا ولو أن معظمها مأخوذ من إنجيل ق. مرقس، ولكن لها طابعها الخاص وميلها إلى تقليد إنجيل ق. يوحنا. وقد أوجزها في سطور قليلة. وفي رواية الدفن عامة تبرز شخصية محترمة «يوسف الرامي» ويبدو أنه كان من رؤساء الشعب من مدينة الرامة، وكان باراً ينتظر ملكوت الله. هذا تجاسر وذهب لبيلاطس وطلب جسد المسيح ليدفنه. وفي إنجيل ق. مرقس نسمع أن بيلاطس اندهش لموت المسيح سريعاً وبحث الأمر مع قائد المئة وصرَّح ليوسف بالدفن. وأجرى يوسف الدفن على عجل لأن السبت كان قد ابتدأ يلوح، بمعنى غروب الشمس. وكانت النسوة اللاتي من الجليل واقفات ينظرن، واتفقن أن يشترين حنوطاً ويأتين فجر الأحد لتحنيط الجسد. وهكذا ذهبن وأحضرن الحنوط والأطياب واسترحن السبت.

23 : 50-53 **«وَإِذَا رَجُلٌ اسْمُهُ يُوسُفُ، وَكَانَ مُشِيراً وَرَجُلاً صَالِحاً بَارًّا. هَذَا لَمْ يَكُنْ مُوَافِقاً لِرَأْيِهِمْ وَعَمَلِهِمْ، وَهُوَ مِنَ الرَّامَةِ مَدِينَةٍ لِلْيَهُودِ. وَكَانَ هُوَ أَيْضاً يَنْتَظِرُ مَلَكُوتَ اللهِ. هَذَا تَقَدَّمَ إِلَى بِيلاَطُسَ وَطَلَبَ جَسَدَ يَسُوعَ، وَأَنْزَلَهُ، وَلَفَّهُ بِكَتَّانٍ، وَوَضَعَهُ فِي قَبْرٍ مَنْحُوتٍ حَيْثُ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ وُضِعَ قَطُّ».**

يوسف الرامي كان مشيراً بمعنى كان عضواً في مجلس السنهدرين. وهذا يجعل عمله هذا فيه مجازفة كبيرة لأن الاعتناء بجسد يسوع يعني انحيازاً له، ثم قول ق. لوقا إنه كان غير موافق لرأيهم،

أي رأي السنهدرين، بقتل يسوع يجعل خدمته للجسد أكثر خطورة، وذهابه لبيلاطس أمر يثير الريبة لأنه ليس من عائلة المسيح. وفي إنجيل ق. مرقس يندهش بيلاطس أن المسيح هكذا قد مات سريعاً. وبعد أن استفسر من قائد المائة أعطاه الإذن بالدفن. وإنزال الجسد من فوق الصليب ليس هيِّناً، ففي إنجيل ق. يوحنا تواجُد نيقوديموس معه ـ وهو مثل يوسف عضو في السنهدرين ـ أعطى فرصة أسهل لإنزال الجسد، ونيقوديموس هو الذي أسرع واشترى ما يلزم. وقاما بلف الجسد وإيداعه المغارة المنحوتة التي لم يُدفن فيها أحد قط. وجاءت النسوة بعد ذلك في فجر الأحد بقصد تكميل تحنيط الجسد، ولكن سبقهم المسيح في القيامة.

قصة، وكأننا نتكلّم عن إنسان عاديٍّ مات ودُفن، هكذا جعل الله هذه المشاركة مع البشرية المتعبة الحزينة مشاركة فعلية، وكأنه أرسل ابنه ليحضر موت وجنازة كل إنسان والدفن أيضاً. ولكن كونه يُعمل فيه هو هكذا مشاركة منه لنا فهذا أمر خارق للعقل، فلو كان قد أرسل ابنه لمجاملة البشرية في موتها وأحزانها لكان عملاً عجيباً ومذهلاً. ولكن أن يتألّم هكذا ابن الله ويُصلب ويموت ويُدفن هو نفسه، ثم يحمل خطايانا في جسده ليُعتبر أمام أبيه خاطئاً من أجل كل خاطئ ليطلب له البراءة، ويموت من أجل كل إنسان لكي لا يموت كل إنسان، كل مَنْ آمن به واتحد! فهذا اليوم الحزين الذي صُلب فيه المسيح ومات ودُفن، هو ليس يوم ابن الله بل يوم الإنسان، يوم البشرية كلها التي يلزم أن تدرك عمق ما صنع الله الآب في ابنه من أجل كل واحد، كل مَنْ يؤمن.

عوض أن يُحاكَم كل إنسان حوكم هو، وعوض أن يُجلد ويُهان كل إنسان من أجل ما اقترف من الذنوب والخطايا جُلد هو بأعنف ما تكون القسوة مع كراهية شديدة جعلت الآلام مضافاً إليها تشفّي الحاقدين، فصارت الآلام مُرَّة على النفس الوديعة التي قدَّمت نفسها فدية عن الخطاة جميعاً. فلو كانوا قد حكموا عليه بالموت فقط لكان هذا فيه كل الكفاية لمشاعرنا، ولكن أن يُضرب على الظهر بالسياط وعلى رأسه بالعصا ويُتفل في وجهه ويُصفع بالقلم وأخيراً يُساق حاملاً صليبه، وتُدق في جسده المسامير وينزف حتى الموت ـ هذا يثير فينا حزناً مريراً. ولكن بعد كل هذا نعرف أكيداً أنه احتمل هذا كله من أجلك ومن أجلي، فهذا لا يمكن أن نحتمله ولا نقبله ولا تكون لنا راحة ضمير حتى نعترف بخطايانا له التي سبَّبت كل هذه المحنة العظمى. وبهذا فقط نكون قد فهمنا آلامه وموته ليرتاح قلبه من جهتنا، حتى لا تكون آلامه وموته وكأنها قد أكلها الزمن وفقدت قوتها ومعناها.

المسيح لا يزال يُلحّ علينا باسم آلامه وصليبه وموته، وهذه أفعال دائمة وأبدية، أن نقبل تكفيره

الذي أكمله من أجلنا وإلاَّ فإنه يشعر بخسارة أتعابه وآلامه وكأنها لم تأتِ بمفعولها وهدفها. ومن السهل أن ندرك كونه إلهاً أن موته بفعل شمولي ودائم يستحيل أن يستنفده أي عدد من البشرية، فموته كفعل دائم وشامل يعمل في الفرد كما يعمل في كل البشرية، ولهذا إذا وُجد فرد واحد يرفض آلامه وصليبه يجرح مشاعره، ولا نقول عن أي فرد ولكن الفرد الذي يكون قد اكتشف صدق المسيح وحقيقة أعماله ومرارة آلامه وموته! ولسان حال المسيح وكأنه يتوسَّل: اقبلوا آلامي، اقبلوا صليبي، اقبلوا موتي، صدِّقوني هذا كله من أجلكم!!

23 : 54-56 **«وَكَانَ يَوْمُ الاِسْتِعْدَادِ وَالسَّبْتُ يَلُوحُ. وَتَبِعَتْهُ نِسَاءٌ كُنَّ قَدْ أَتَيْنَ مَعَهُ مِنَ الْجَلِيلِ، وَنَظَرْنَ الْقَبْرَ وَكَيْفَ وُضِعَ جَسَدُهُ. فَرَجِعْنَ وَأَعْدَدْنَ حَنُوطاً وَأَطْيَاباً. وَفِي السَّبْتِ اسْتَرَحْنَ حَسَبَ الْوَصِيَّةِ».**

يوم الاستعداد هو يوم الجمعة، وقد سُمي كذلك لكي يستعد الإنسان اليهودي ليوم السبت، فيعمل كل أعمال السبت يوم الجمعة حتى لا يأتي أي عمل يوم السبت. وطبعاً كان ذلك ليتفرَّغ الإنسان للصلاة والقراءة في التوراة. وهذا يعتبر استعداداً للفصح. أمَّا النساء اللاتي تبعنه من الجليل فيذكرهن ق. مرقس بالاسم واحدة فواحدة، ولكن ق. لوقا لا يهتم بالأسماء لأنه كان يكتب لرجل أُممي أو للأُمم الذين يجهلون أسماء اليهود.

أمَّا العمل الذي قام به يوسف الرامي، ونيقوديموس أيضاً بحسب إنجيل ق. يوحنا، وهاته النسوة في حضور الدفن والعناية به وتكميل واجباته ومجيئهن في فجر الأحد، يُحسب هذا نيابة عن البشرية كلها. وخاصة النسوة اللاتي سافرن مشياً على الأقدام من الجليل إلى أُورشليم 70 ميلاً وحضرن الصلب واشتركن في الدفن وجئن فجر الأحد. هذه الأعمال التقوية ارتدَّت على نساء العهد الجديد قوة وهمَّة وعناية وبذلاً من أجل فقراء الشعب حبًّا في الملك العظيم!! وفي الحقيقة كما نرى وكما نسمع أن نساء الكنيسة يقمن بأعمال جريئة بشجاعة تخجل الرجال، وأعجب ما فيهن أن أعمالهن الصامتة التي لا يسمع بها أحد تفوق قامة المتخصِّصين. ونحن إذ نَرَى هذه الأعمال نشعر لماذا أحبَّهن المسيح وقربهن إليه وكان يتقبَّل خدماتهن بسرور. فهُنَّ رُسل الخفاء وتلاميذه غير المنظورين.

الأصحاح الرابع والعشرون:

2 - النسوة والقبر الفارغ
(12-1:24)

(مت 28:1-10)
(مر 16:1 - 8)
(يو 20:1-10)

أرادوها له موتاً ودفناً، وختموا القبر عليه فترك لهم القبر فارغاً وقام.
آيات كثيرة عملها المسيح أمامهم ولكن قيامته كانت هي الآية الكبرى.

إن قصة النسوة اللاتي ذهبن إلى القبر باكراً جداً لها ظروف أبدع في وصفها ق. يوحنا، كيف أنهن قمن والظلام باقٍ وأتين وقد صار النهار والشمس مُشرقة إذ أن نظام فتح باب المدينة الغربي يكون دائماً بعد شروق الشمس. لذلك ولو أنهن قمن والظلام باقٍ إلاَّ أنهن لم يأتين إلى القبر إلاَّ والشمس قد أشرقت. لذلك يقول ق. مرقس إنهن اشترين الحنوط بعد انقضاء السبت وأتين إلى القبر إذ طلعت الشمس. ولكن ق. لوقا يقولها باختصار إن النسوة أتين في أول الأسبوع أول الفجر حاملات الطيب. أمَّا إنجيل ق. مرقس فيقول إن النسوة وقفن يَقُلن: مَنْ يُدحرج لنا الحجر؟ والقديس لوقا يختصرها ويقول: وجدن الحجر مُدحرجاً عن فم القبر، فدخلن ولم يجدن جسد يسوع ورأين ملاكين كرجال ذوي ثياب برَّاقة، أمَّا في إنجيل ق. مرقس فحُلّة الملاك بيضاء، وهما ملاكان في إنجيل ق. لوقا.

ولنا تعليق على هذه الاختلافات، وهو أن رؤية ملاك أو ملاكين تحتاج إلى عاملين: الأول انفتاح بصيرة الشخص الذي يرى، فربما اثنان: واحد يرى والثاني لا يرى، والعامل الثاني رغبة الشخص السماوي، سواء كان المسيح أو ملاك، في أن يُظهر ذاته أو أن يلغي ظهوره؛ فله قدرة على ذلك. لذلك لا يمكن التحكُّم في منظر روحي واحد لأكثر من شخص واحد، وحتى هذا ربما يرى أو لا

يرى بحسب رغبة الملاك. والملاكان أخبرا النسوة أن لا يطلبن الحي بين الأموات ليس هو هنا بل قام حسب الكتب وحسب ما قاله لهن سابقاً.

أمَّا النسوة فذهبن يُخبرن الأحد عشر ولكنهم لم يصدِّقوهن، غير أن ق. بطرس ذهب وحده، وق. يوحنا يذكر في إنجيله أنه كان معه التلميذ الآخر الذي يحبه يسوع، ونظر بطرس الأكفان موضوعة وحدها فذهب متعجِّباً.

1:24 «**ثُمَّ فِي أَوَّلِ الأُسْبُوعِ، أَوَّلَ الْفَجْرِ، أَتَيْنَ إِلَى الْقَبْرِ حَامِلاَتٍ الْحَنُوطَ الَّذِي أَعْدَدْنَهُ، وَمَعَهُنَّ أُنَاسٌ**».

نذكر في آخر الأصحاح الثالث والعشرين أنه انتهى بآية: «وفي السبت استرحن حسب الوصية» (راجع خر 10:20، تث 14:5). وكان هذا السبت هو آخر سبت يُسمع عنه في العهد القديم الذي مضى في ظلمة القبر والجسد مسجَّى فيه، ويبتدئ العهد الجديد بيوم أول الأسبوع، في أول الفجر أي فجر الأحد، ليكون هو يوم الرب أي ذكرى يوم قيامة المسيح من بين الأموات.

وكلمة أول الفجر تعني والظلام باقٍ، ولكن القول باكراً جداً يعني قبل طلعة الشمس.

6-2:24 «**فَوَجَدْنَ الْحَجَرَ مُدَحْرَجاً عَنِ الْقَبْرِ، فَدَخَلْنَ وَلَمْ يَجِدْنَ جَسَدَ الرَّبِّ يَسُوعَ. وَفِيمَا هُنَّ مُحْتَارَاتٌ فِي ذلِكَ، إِذَا رَجُلاَنِ وَقَفَا بِهِنَّ بِثِيَابٍ بَرَّاقَةٍ. وَإِذْ كُنَّ خَائِفَاتٍ وَمُنَكِّسَاتٍ وُجُوهَهُنَّ إِلَى الأَرْضِ، قَالاَ لَهُنَّ: لِمَاذَا تَطْلُبْنَ الْحَيَّ بَيْنَ الأَمْوَاتِ؟ لَيْسَ هُوَ ههُنَا لكِنَّهُ قَامَ! اُذْكُرْنَ كَيْفَ كَلَّمَكُنَّ وَهُوَ بَعْدُ فِي الْجَلِيلِ**».

يبدو أن الملاكين هما اللذان دحرجا الحجر تسهيلاً على النسوة الآتيات في الفجر. والحجر الذي يغلق به باب القبر المنحوت في الصخر يكون مستديراً ليسهُل دحرجته بالنسبة لرجلين، وهو ليحفظ الجسد من تعدِّي الوحوش. والخبر الوحيد الذي تقوم عليه القصة بأكملها أنهن لم يجدن جسد الرب يسوع. ورواية ق. لوقا تمتاز بقول الملاكين للنسوة: «لماذا تطلبن الحي بين الأموات» وهو قول بديع يُعطي المسيح لقب "الحيّ" مع أنه قد مات. كذلك في الرواية مقابلة بين أن النسوة: "وجدن" و"لم يجدن"، «وجدن الحجر مدحرجاً» «ولم يجدن جسد يسوع»

ويُلاحَظ أن ق. لوقا يُعطي للمسيح لقب رب: «الرب يسوع» وهو نفس اللقب الذي نجده في سفر الأعمال يتكرَّر كثيراً: (21:1 و33:4 و16:8)، وهو نفس اللقب الذي استخدمه ق. يوحنا (2:20). وهنا عن وعي كبير يعطي ق. لوقا لقب "رب" ليسوع بعد القيامة مباشرة، وهذا من الدلائل الواضحة أن ق. لوقا يكتب عن وعي واضح بلاهوت المسيح. كذلك فإن ق. لوقا يعطي

تصويراً مناسباً للحالة بالنسبة للنسوة: «وإذ كُنَّ خائفات ومنكسات وجوههن إلى الأرض» خائفات من واقع المكان ومنكّسات الوجه حشمة مع رهبة أمام الملاكين.

وكون ق. لوقا يحتفظ لروايته بوجود ملاكين للقيامة يتناسب مع وجود ملاكين عند الصعود (أع 10:1)، وهذا يوافق رواية ق. يوحنا (12:20).

12-7:24 «قائلاً: إنَّهُ يَنْبَغِي أنْ يُسَلَّمَ ابْنُ الإنْسَانِ فِي أَيْدِي أُنَاسٍ خُطَاةٍ، وَيُصْلَبَ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ. فَتَذَكَّرْنَ كَلامَهُ، وَرَجَعْنَ مِنَ الْقَبْرِ، وَأَخْبَرْنَ الأحَدَ عَشَرَ وَجَمِيعَ الْبَاقِينَ بهذا كُلِّهِ. وَكَانَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَيُوَنَّا وَمَرْيَمُ أُمُّ يَعْقُوبَ وَالْبَاقِيَاتُ مَعَهُنَّ، اللَّوَاتِي قُلْنَ هذا لِلرُّسُلِ. فَتَرَاءَى كَلامُهُنَّ لَهُمْ كَالْهَذَيَانِ وَلَمْ يُصَدِّقُوهُنَّ. فَقَامَ بُطْرُسُ وَرَكَضَ إلى الْقَبْرِ، فَانْحَنَى وَنَظَرَ الأكْفَانَ مَوْضُوعَةً وَحْدَهَا، فَمَضَى مُتَعَجِّباً فِي نَفْسِهِ مِمَّا كَانَ».

ما أقرب اليوم بالبارحة. إن الحوادث التي تجري أمامنا الآن رآها ووصفها المسيح كلمة كلمة. وكم كرَّر الرب قوله: «وقلت لكم الآن قبل أن يكون، حتى متى كان تؤمنون» (يو 29:14). نعم فقد سبق الرب وأعلن ما سيكون، وها هو أمامنا كائن. ولكن المذهل للعقل أن يكون رد فعل التلاميذ أنه هذيان، وكأن المسيح ما قال وما حذّر وما وعَّى. ولكن علينا أن لا نبالغ في اندهاشنا لأن الأعمال التي عُملت بالمسيح في الصلب لا يكاد إنسان واحد في الوجود يُصدّقها: أن المسيح ابن الله يؤلَّم هكذا ويُصلب ويموت!! ولكن أن يقوم من الأموات فهذا يكون المقبول والصحيح والمناسب، ولكن أن يبدو خبر القيامة كالهذيان فهنا إشارة خفية عن غياب الروح القدس الذي وحده سيفتح وعي التلاميذ ليدركوا كل شيء على حقيقته. وهذا مطبَّق إلى الآن، فالمسيحيون يؤمنون بالموت والقيامة بغاية اليقين، أمَّا غير المسيحيين فمن العسير أن يؤمنوا بذلك لغياب الروح القدس.

أمَّا قيام بطرس وحده وركضه السريع ليتحقّق الأمر فلأن موضوع إنكاره للمسيح دوَّخ نفسه وهو الآن يتشوّق بشدَّة أن يعرف ماذا تمَّ للمسيح، هل قام حقًّا؟ ولكن كان لا يزال إلى تلك اللحظة ركيك الإيمان إذ لمَّا نظر الأكفان وحدها كان عليه أن يعلم أنه قام، فجسد القيامة روحي وهو لا يحتاج إلى أكفان!! لقد ترك الأكفان في القبر تحكي أنه كان هنا!!

وما يهمنا جداً أنه بعد النسوة جاء ق. بطرس وشهد القبر فارغاً، فهنا شهادة جديدة ومهمَّة للغاية. صحيح أنه لم يبلغ إلى إيمان القيامة ولكن وصل إلى أنه وجد القبر فارغاً.

3 ـ في المسيرة إلى عمواس

القديس لوقا وحده (35-13:24)

صديق البشرية العجيب رافقهم في المسيرة ليعرف ما رأيهم فيه بعد أن صُلب ومات ودُفن؟
ووبَّخهم كثيراً لبطء إيمانهم، ولم يستطع أن يمنع نفسه عنهم، فعند كسر الخبز ظهر ثم اختفى.

قصة تلميذي عمواس لا تقلُّ جمالاً عن قصة الميلاد، وكلاهما للقديس لوقا فقط. يُضاف إليهما قصة ق. بطرس وكرنيليوس (أع 10) في سفر الأعمال. هنا يُقدِّم لنا ق. لوقا حادثة فريدة عن القيامة انفرد بها هو وحده دون جميع الأناجيل، وهي قصة تلميذي عمواس. فتلميذا المسيح ـ أحدهما اسمه كليوباس ـ كانا عائدين من أورشليم بعد هذه الأخبار المذهلة قاصدين قريتهما عمواس، وإذ بهما يجدان مَنْ يفاجئهما ويسألهما عمَّا يتباحثان، فراجعاه في حزنٍ واندهاش: وأين كنت أنت؟ هل كنت متغرِّباً وحدك في أورشليم؟ ألم تسمع بالأهوال التي حدثت؟ وهنا يحدث العجب، فالمسيح يظهر لهما بهيئة رجل غريب متغرِّب كان في أورشليم ويسألهما عمَّا حدث. والقصة تحوي أهم حدث بالنسبة لفهم مسيح القيامة، فهو قادر أن يظهر وقادر أن يلغي ظهوره، يقابل ذلك عين الإنسان التي ترى فهي قد تنفتح من قبَل الله لترى ما لا يُرى، أو تنغلق فلا ترى شيئاً من أمور الروح. ولكن المسيح لم يكن مسروراً أبداً لمَّا وجدهما متعثِّريْن في قبول خبر القيامة الذي أتت به النسوة رسمياً لتخبرن به التلاميذ والرسل، حتى أنه من حزنه نعتهما بالغباء وبطء الإيمان بالقلب. وعليه أخذ يفتح فهمهما قليلاً قليلاً من موسى والأنبياء والمزامير، نبوَّات تحكي عن كل ما سمعاه ورأياه من جهة المسيح. ولمَّا دخلا القرية ترجَّياه أن يأتي ويبيت معهما، فوافق وعند كسر الخبز أعلن شخصه وفي الحال اختفى عنهما.

هذه القصة يقدِّمها ق. لوقا كدرس تعليمي للكنيسة كيف انعمى الشعب وحُكَّامه وصلبوا مَنْ أتاهم بملكوت الله وهم لاهون، بل كيف أُعثر فيه تلاميذه أنفسهم وجميع الرسل الموجودين في أورشليم ولم يدركوا رسالته التي سبق وعلَّم بها، كما عيَّرهم حبقوق النبي في ذلك الزمان: «انظروا بين الأمم وأبصروا وتحيَّروا حيرة لأني عامل عملاً في أيامكم لا تصدِّقون به إن أُخبر به» (حب 5:1).

يُلاحِظ القارئ كيف وقفت النسوة "محتارات"، وهو نفس الحال الذي سبق وأنبأ به حبقوق: «انظروا ... وتحيَّروا حيرة» إنه عجب أن يكون تطبيق النبوَّة حرفياً. والقديس لوقا لم يأخذ هذه القصة عن أحد الإنجيليين بل هي من تحقيقاته والتي بمقتضاها يظهر بوضوح أن القيامة جاءت كنور يضيء كل الماضي ويجعله مقروءاً اليوم في حوادث الموت والقيامة. فلولا القيامة ما عُرفت النبوات عن مَنْ هي؟ وإلى أين؟ ففي القيامة تكميل جميع الكتب والوعد. هذه القصة بالذات تشرح ذلك شرحاً.

وقد التقطت الكنيسة من هذه القصة مفهوم **حضور المسيح في الإفخارستيا في لحظة كسر الخبز**، وهي من أقدس اللحظات في القداس. وهي بالتحديد أثناء القسمة حيث يقسِّم الكاهن القربانة (القسمة الأولى). وتقسيم القربانة فن كهنوتي يُسلَّم بتسليم السرّ، لأن تقسيم القربانة يتبع تفصيل جسم الذبيحة المذبوحة حيث يستلمها الكاهنبحسب أصول التسليم الموروثة والموضَّح مضمونها في شرح تقديم الذبيحة في العهد القديم، إذ بعد أن يقسِّم الكاهن الجسم تقسيماً فنياً يعود ويضعه على مذبح النحاس ويعود بأقسام الجسم إلى وضعها الصحيح قبل التقسيم بضم الأجزاء على بعضها قبل أن يُشعل النار لتلتهمها النار ويصعد دخانها إلى الله. هكذا يعمل الكاهن في الطقس القبطي بدقة: فبعد أن يقسِّم القربانة حسب أصول الكهنوت (في القسمة الأولى التي يقسِّم فيها القربانة إلى الثلث والثلثين) يعود ويضمّها جميعاً صحيحة كما كانت ويطلب حلول الروح القدس (الإبيكليسيس). هنا حضور الرب واستعلانه للعيون التي تُبصر. وبعد تمام القسمة الثانية يصلّي الكاهن صلاة الاعتراف العلني.

16-13:24 **«وَإِذَا اثْنَانِ مِنْهُمْ كَانَا مُنْطَلِقَيْنِ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ إِلى قَرْيَةٍ بَعِيدَةٍ عَنْ أُورُشَلِيمَ سِتِّينَ غَلْوَةً، اسْمُهَا عِمْوَاسُ. وَكَانَا يَتَكَلَّمَان بَعْضُهُمَا مَعَ بَعْضٍ عَنْ جَمِيعِ هذِهِ الْحَوَادِثِ. وَفِيمَا هُمَا يَتَكَلَّمَانِ وَيَتَحَاوَرَانِ، اقْتَرَبَ إِلَيْهِمَا يَسُوعُ نَفْسُهُ وَكَانَ يَمْشِي مَعَهُمَا. وَلكِنْ أُمْسِكَتْ أَعْيُنُهُمَا عَنْ مَعْرِفَتِهِ».**

كان التلميذان يسردان معاً أخبار قيامة المسيح بعد الصلب وكان ذهنهما منشغلاً حزيناً، وإذا بالمسيح يمشي بجوارهما ثم ينضم إليهما ولكن أُمسكت أعينهما عن معرفته. وهنا في الحقيقة ينبغي أن نوعِّي القارئ بما يحدث عند ظهور المسيح أو عدم ظهوره. فالأمر يتعلّق بقدرة الوعي الذاتي للإنسان على الانفتاح لاستخدام رؤيته الروحية الممنوحة له من الله. فالمسيح ممكن أن يُظهر ذاته أو يلغي هذا الظهور بناءً على قدرته في ذلك، ولكن يمكن أيضاً أن يفتح وعي الإنسان أو يغلقه هو بحسب إرادته كما حدث هنا مع تلميذي عمواس، إذ حدث ظهور المسيح وعدم فتح الوعي عند

التلميذين، وعند كسر الخبز فتح أعينهما ليرياه حاضراً بصفته في وضع القيامة، وفي الحال اختفى. «حقاً أنت إله محتجب يا إله إسرائيل المخلّص.» (إش 15:45)

20-17:24 **«فَقَالَ لَهُمَا: مَا هذَا الْكَلاَمُ الَّذِي تَتَطَارَحَانِ بِهِ وَأَنْتُمَا مَاشِيَانِ عَابِسَيْنِ؟ فَأَجَابَ أَحَدُهُمَا، الَّذِي اسْمُهُ كِلْيُوبَاسُ وَقَالَ لَهُ: هَلْ أَنْتَ مُتَغَرِّبٌ وَحْدَكَ فِي أُورُشَلِيمَ وَلَمْ تَعْلَمِ الأُمُورَ الَّتِي حَدَثَتْ فِيهَا فِي هذِهِ الأَيَّامِ؟ فَقَالَ لَهُمَا: وَمَا هِيَ؟ فَقَالاَ: الْمُخْتَصَّةُ بِيَسُوعَ النَّاصِرِيِّ، الَّذِي كَانَ إِنْسَاناً نَبِيًّا مُقْتَدِراً فِي الْفِعْلِ وَالْقَوْلِ أَمَامَ اللهِ وَجَمِيعِ الشَّعْبِ. كَيْفَ أَسْلَمَهُ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَحُكَّامُنَا لِقَضَاءِ الْمَوْتِ وَصَلَبُوهُ».**

كان كليوباس مندهشاً كيف أن إنساناً في أُورشليم لم يعرف ما حدث من جهة "يسوع الناصري"، وهو كان في عُرفهما نبيًّا مقتدراً في الفعل والقول أمام الله والناس. والعجيب أن نفس التلميذين لا يعرفان معنى الذي حدث ولا سببه بالنسبة للحكم بالموت والصلب، ومن كلامهما يتضح لنا أن شيئاً مهماً جداً قد حدث ولكن لا يعلمان "كيف"؟! وهنا واضح اتهام رؤساء الكهنة والحكّام بما حدث لنبي مقتدر قولاً وعملاً أمام الله والناس.

24-21:24 **«وَنَحْنُ كُنَّا نَرْجُو أَنَّهُ هُوَ الْمُزْمِعُ أَنْ يَفْدِيَ إِسْرَائِيلَ. وَلكِنْ، مَعَ هذَا كُلِّهِ، الْيَوْمَ لَهُ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ مُنْذُ حَدَثَ ذلِكَ. بَلْ بَعْضُ النِّسَاءِ مِنَّا حَيَّرْنَنَا إِذْ كُنَّ بَاكِراً عِنْدَ الْقَبْرِ، وَلَمَّا لَمْ يَجِدْنَ جَسَدَهُ أَتَيْنَ قَائِلاَتٍ: إِنَّهُنَّ رَأَيْنَ مَنْظَرَ مَلاَئِكَةٍ قَالُوا إِنَّهُ حَيٌّ. وَمَضَى قَوْمٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَنَا إِلَى الْقَبْرِ، فَوَجَدُوا هكَذَا كَمَا قَالَتْ أَيْضاً النِّسَاءُ، وَأَمَّا هُوَ فَلَمْ يَرَوْهُ».**

إن كلام التلميذين يُحسب تسجيلاً صادقاً لمشاعر التلاميذ حتى تلك اللحظة. ويعود كليوباس ليقول نفس المشاعر التي قالتها النسوة، «قد حيَّرننا» على نفس مستوى نبوَّة حبقوق: «انظروا بين الأمم وأبصروا وتحيَّروا حيرة لأني عامل عملاً في أيامكم لا تصدِّقون به إن أُخبر به» (حب 5:1). وحيرة التلميذين وبقية التلاميذ معهما هي نوع من قساوة القلب بحسب كلام المسيح، لأنه كان واجباً عليهم أن يفتّشوا الكتب ليعرفوا ماذا يحدث أمامهم. وبالرغم من رؤيتهم القبر فارغاً بما لا يُعطي للشك مكاناً أنه قام، إلاَّ أنهم لم يمتد إيمانهم ليكتشفوا الحقيقة. أمَّا الكلمة الفاصلة في هذا القول فهي ما جاء في الآية (21): **«نحن كنَّا نرجو أنه هو المزمع أن يفدي إسرائيل»!!** لذلك كان حزن التلميذين شديداً، فهو رجاء خاب وأمنية سقطت بدون تحقيق. وهكذا تبدأ دينونة التلاميذ في نظر المسيح، ونعتهما بالغباء وقساوة القلب في الإيمان، لأن التعليم كله عن الفداء يقوم أساساً على

القيامة، والقيامة أُذيعت أول ما أُذيعت بواسطة الملاك عند القبر للنسوة ويشهد بذلك القبر الفارغ. فكان المسيح ينتظر أن يؤمن التلاميذ بالفادي الذي مات على الصليب أمامهم ودُفن وقام. لأن تحقيق الرؤيا العينية ليس أساساً للإيمان: «طوبى للذين آمنوا ولم يروا» (يو 29:20)، فكان مفروضاً أن يؤمن ق. بطرس بما رأى وبما عاين وما سمع، وكذلك النسوة وبقية التلاميذ لأن الإيمان القلبي لا يطلب العيان، فانتظار الرؤية العينية يُضعف مستوى الإيمان.

25:24-27 «**فَقَالَ لَهُمَا: أَيُّهَا الْغَبِيَّانِ وَالْبَطِيئَا الْقُلُوبِ فِي الإِيمَانِ بِجَمِيعِ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الأَنْبِيَاءُ، أَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ بِهذَا وَيَدْخُلُ إِلَى مَجْدِهِ؟ ثُمَّ ابْتَدَأَ مِنْ مُوسَى وَمِنْ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ يُفَسِّرُ لَهُمَا الأُمُورَ الْمُخْتَصَّةَ بِهِ فِي جَمِيعِ الْكُتُبِ**».

مال إليَّ قبل أن يميل النهار. دعوته ليبيت عندي ليستريح في قلبي من وعثاء السفر.
فمهما اظلمَّت الدنيا فهو نور في قلبي يقيم. وعندما تركني كل صحبتي وجدته كل صباح في صحبتي!!

توبيخ المسيح العنيف لهما يُظهر لنا بوضوح فعلاً أن مستوى إيمانهما مع بقية التلاميذ كان منحطاً جداً. فكل ما سبق من تعاليم المسيح التي علَّم بها عمَّا سيكون وتوضيح عمليات الآلام والتسليم والصلب والموت التي أوضحها عدَّة مرَّات؛ ثم كل الحوادث التي يقولون عنها سبق وقال لهم، كيف حينما أتت لا تكون هي بحد ذاتها كفيلة أن تحرِّك إيمانهم؟ ثم بقية الكتب والآيات التي فتح المسيح سرَّها لهم كيف ولا آية منها توقظ قلوبهم وتفتح عيونهم؟ هذا الشيء أحزن قلب المسيح جداً.

ولكن من كلام المسيح هنا ننتبه نحن أيضاً جداً إلى أهمية ما قاله الأنبياء وما سلَّمه الله لموسى من جهة الآتي بعده، وكل الوحي والعلامات التي ساقها على الأنبياء بتدقيق حتى لا يوجد عمل أو قامة للمسيح إلاَّ ويكون قد سبق وتنبَّأ عنها الأنبياء.

وربما كلَّمهم المسيح عن معنى مسيَّانيته وتوضيحها في الأنبياء، وعن اسمه عمانوئيل وما يعني (إش 14:7)، وغصن البرِّ لدى إرميا الذي يحكم بالبرِّ والعدل (إر 23: 5و6)، والحجر الذي قُطع بغير يد الذي صار جبلاً يملأ الأرض كلها عند دانيال (دا 2: 34و35). وهو إسرائيل الجديد عند هوشع لينمو كالسوسن في الوادي ويضرب أصوله كأرز لبنان (هو 5:14)، وملجأ الشعب عند يوئيل (يؤ 16:3)، ومظلَّة داود الساقطة المقامة مع ردمها والتي تُبنى لمدى الدهر عند عاموس

(عا 11:9). وأيامه الحلوة حيث يدرك الحارث الحاصد، ودائس العنب باذر الزرع، وتقطر الجبال عصيراً وتسيل جميع التلال (عا 13:9)، والنجاة من فوق جبل صهيون مع القداسة عند عوبديا (عو 17)، والذي يفدي الشعب من يد أعدائه ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل عند ميخا (مي 10:4، 2:5)، والمبشّر بالسلام على الجبال عند ناحوم (نا 15:1)، والمسيح الخارج لخلاص شعبه الذي غنّى له حبقوق (حب 13:3) وذلك الذي يحضر الشفاه (لغة) نقية لكل الشعوب ليدعوا كلهم باسم الرب ليعبدوه بكتف واحدة عند صفنيا (صف 9:3)، وزرُبابل الحقيقي الذي يبني بيت الرب إلى الأبد عند حجي. وهذا الفجر الجديد حينما تعمّ القداسة حتى إلى أجراس الخيل عند زكريا (زك 14: 20و21). وشمس البر التي تُشرق والشفاء في أجنحتها كحلم ملاخي (مل 2:4)!! وكثير كثير جداً وليت الله يعطيني عمراً جديداً لأتبع صوت الرب في جميع ما قال المسيح وعلّم تلميذي عمواس!!

وقول ق. بطرس المشهور عن أهمية النبوّات ليس هو منه بل بتوبيخ من المسيح مرّات ومرّات:

+ «ونحن سمعنا هذا الصوت مُقبلاً من السماء، إذ كُنّا معه في الجبل المقدّس. **وعندنا الكلمة النبوية، وهي أثبت، التي تفعلون حسناً إن انتبهتم إليها، كما إلى سراج منير في موضع مظلم، إلى أن ينفجر النهار، ويطلع كوكب الصبح في قلوبكم،** عالمين هذا أولاً: أن كل نبوّة الكتاب ليست من تفسير خاص. لأنه لم تأتِ نبوّة قط بمشيئة إنسان، بل تكلّم أُناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس.» (2بط 1: 18-21)

وقيامة المسيح بالذات أخذت من الأنبياء الشيء الكثير خاصة إشعياء بعد وصف الآلام بتدقيق (إش 53 كله)؛ ولكن في الحقيقة من تصرف المسيح مع التلميذين وبقية التلاميذ ينكشف عذر واضح في تعوُّق التلاميذ لإدراك ما في الكتب من نبوّات عنه، لأنه جاء في نهاية الإنجيل وقال: «هذا هو الكلام ... **حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب**» (لو 24: 44و45). إذن فدراية التفسير للنبوّات كانت تحتاج إلى ذهن مفتوح بعطية خاصة. كذلك ما هو واضح لنا الآن أن التلاميذ بمجرَّد أن حلَّ عليهم الروح القدس طفقوا يتكلّمون بالنبوّات بطلاقة وكأنهم يحفظونها عن ظهر قلب، مع أنهم لم يحفظوا!! وهذا واضح حينما عاد الرسل بعد أن هدَّدوهم في السنهدرين يصلُّون ويتحقّقون مما حدث للمسيح تحقيقاً لما جاء في المزمور الثاني (أع 25:4)، وفي (أع 35:8) يشرحون أقوال إشعياء النبي، وفي (أع 3: 22و23) يذكرون قول موسى عن إقامة الآتي بعده (تث 15:18). أمَّا قيامة المسيح فحقّقها ق. بطرس في (أع 2: 26-32). وهكذا فالقيامة تغطّيجميع النبوّات في كل

الكتب. لذلك تُعتبر لحظة حديث المسيح مع تلميذي عمواس بخصوص الأنبياء والنبوَّات هي بداية **الشرح المسيَّاني!** الذي اهتمت به الكنيسة بنوع خاص جداً في ليتورجيتها وطقوسها بعد عيد القيامة مباشرة كدروس للمؤمنين وقراءات من كافة الكتب.

31-28:24 **«ثُمَّ اقْتَرَبُوا إِلى الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَا مُنْطَلِقَيْنِ إِلَيْهَا، وَهُوَ تَظَاهَرَ كَأَنَّهُ مُنْطَلِقٌ إِلى مَكَانٍ أَبْعَدَ. فَأَلْزَمَاهُ قَائِلَيْنِ: امْكُثْ مَعَنَا لأَنَّهُ نَحْوُ الْمَسَاءِ وَقَدْ مَالَ النَّهَارُ. فَدَخَلَ لِيَمْكُثَ مَعَهُمَا. فَلَمَّا اتَّكَأَ مَعَهُمَا، أَخَذَ خُبْزاً وَبَارَكَ وَكَسَّرَ وَنَاوَلَهُمَا. فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَرَفَاهُ ثُمَّ اخْتَفَى عَنْهُمَا».**

هذه الآيات القليلة فتحت عندنا طاقات غير متناهية لتُدخِل لنا النور السماوي ليمسح من عيوننا البكاء على إسرائيل وما عملته إسرائيل في عريسها. هنا تعود إسرائيل وتُبرز لنا عيِّنات من شعبها التقي البسيط الحلو المعشار والودود، كيف بحبِّهم وسخاء بذلهم ألزماه!! ألزماه حقًّا ألزماه. ألزما الرب الإله يسوع المسيح، ألزماه بالدخول إليهم فدخل. وهكذا أعطى المسيح لأول مرَّة قيادته لآخر ليلزمه بالدخول وقبول الضيافة، وكأن المسيح كان عطشاناً إلى هذا السلوك والوعي البسيط المبارك، فقبلَ في الحال ودخل وبارك أول بيت مسيحي في العالم حينما كسر فيه الخبز فاستُعلن مسيح الله لأول مرَّة في الإنجيل!! «هنذا واقفٌ على الباب وأقرع. إن سمع أحد صوتي وفتح الباب، أدخل إليه وأتعشَّى معه وهو معي» (رؤ 20:3). هذا الحبيب وقد بدأت حلاوة حبه ووداعة ألوهيته تتبيَّن لمحبِّيه. ولكن لابد أخيراً من أن يختفي!!

وكانت هذه العزومة هي أول مائدة أغابي فيها سرّ المسيَّا وإعلانه.

أمَّا اختفاؤه فهو الوجود السرِّي السمائي الذي تنعم به أرواحنا دون رؤية، هنا عمل ابن الله الحقيقي من فوق، حيث لا يزال هو الراعي الصالح والدجاجة التي احتفظت بأولادها الصغار تحت أجنحتها السماوية!!

35-32:24 **«فَقَالَ بَعْضُهُمَا لِبَعْضٍ: أَلَمْ يَكُنْ قَلْبُنَا مُلْتَهِباً فِينَا إِذْ كَانَ يُكَلِّمُنَا فِي الطَّرِيقِ وَيُوضِحُ لَنَا الْكُتُبَ؟ فَقَامَا فِي تِلْكَ السَّاعَةِ وَرَجَعَا إِلى أُورُشَلِيمَ، وَوَجَدَا الأَحَدَ عَشَرَ مُجْتَمِعِينَ، هُمْ وَالَّذِينَ مَعَهُمْ وَهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الرَّبَّ قَامَ بِالْحَقِيقَةِ وَظَهَرَ لِسِمْعَانَ! وَأَمَّا هُمَا فَكَانَا يُخْبِرَانِ بِمَا حَدَثَ فِي الطَّرِيقِ، وَكَيْفَ عَرَفَاهُ عِنْدَ كَسْرِ الْخُبْزِ».**

وصار للتلميذين خبرة روحية ينقلانها بهدوء عجيب إلى قلوبنا وأفهامنا، كيف أحسَّا بحضور

المسيح وحديثه من الكتاب المقدَّس. وكيف التهب قلبهما بحضوره السرّي غير المعلن ولا منظور، فأصبحت خبرة الكنيسة الأولى بحضور الرب وممارسته تعليمه لقلوب أولادها. ولم يحتمل التلميذان بعد أن نالا أول اختبار لعمل القيامة الجديدة وهو شرح الكتب المقدَّسة، فقاما وأسرعا وأخبرا وبشَّرا. هذا درس ق. لوقا للكنيسة الساهرة، لأن أول اختبار تلقّته الكنيسة من القيامة هو من إنجيل ق. لوقا ومن تلميذي عمواس. إذ ذهبا مُسرعَين إلى أورشليم وبشَّرا الكنيسة المجتمعة في العلية، وبمناسبة مجيء التلميذين إلى أُورشليم تلقينا أول إشارة لظهور الرب لسمعان أولاً وسلّما الكنيسة هذا الخبر: «وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب، وأنه ظهر لصفا ثم للاثني عشر ...» (1كو 15: 4و5)

4 - الظهور للتلاميذ

(24:36-43)

(مر 16:14)
(يو 20:19و20)

كان لابد أن يُسلِّم سر قيامته المقدَّسة لتلاميذه، فبعد أن قام أظهر ذاته بجسد البشرية الجديد واستعلن جراحه ليؤمنوا أن بصليبه أظهرت الحياة، وبموته كانت القيامة وكان استعلان ابن الله.

لقد تعلّمنا من قصة ق. لوقا عن تلميذي عمواس أن حضور الرب هو الذي يُنشئ الخبر ثم يُنشئ البشارة. وعجيب حقًّا أن يظهر المسيح كالمعلّم من جديد ليرافق هذين التلميذين التقيين ويُفرِّحهما باستعلان نفسه قائماً من الأموات، في الوقت الذي كان لا يزال لم يُعلن نفسه للتلاميذ الأحد عشر. ويهتم ق. لوقا أن يتبع الظهور لتلميذي عمواس بالظهور للتلاميذ الأحد عشر ومَنْ معهم، ضاغطاً بشدة على استعلان القيامة منظورة ومسموعة يسبقها ظهور خاص لسمعان.

وهنا وبدون مقدّمات يظهر المسيح فجأة للأحد عشر المجتمعين في حالة ترقُّب وربما بيقين ظهوره فظهر. ولكن وبالرغم من حالة الخوف التي نازعتهم بسبب ضعف إيمانهم رفع عنهم المسيح هذا الخوف والشك بأن أعلن نفسه لهم بأكثر وضوح، ليس كروح كما ظنوا ولكن بلحمه وعظامه. وإذ وجد أنه لا يزال بعضهم يشك في أمر وجوده الشخصي كيسوع، طلب طعاماً وأكل قدَّامهم كما يأكلون. وهنا ولأول مرَّة نأخذ ملامح واضحة لمعنى وحقيقة جسد القيامة، فالمسيح هنا يظهر كمسيح السماء وليس مسيح الأرض بعد، حتى ولو كان على الأرض. فكان كل هم المسيح أن

يجعلهم يُدركون معنى القيامة وحقيقتها الملموسة إن صحَّ هذا القول. ولكن لا يظن أحد أنه حينما جعلهم يجسُّون لحمه وعظامه أن جسد القيامة فيه لحم وعظام، ولكن هو بإرادته يكثّف نفسه حتى يتوافق مع طبيعتنا إلى لحظة ثم يسحب التكثيف الذي أجراه على نفسه فلا يعود يُرى وبلا لحم وعظام يحيا في السماء لأن «لحماً ودماً لا يرثان ملكوت الله» (1كو 5:15). فالمسألة مجرَّد قدرة على الظهور وقدرة على سحب الظهور من تحت العيان ليُمارس وجوده السمائي. والذي ينبغي أن نقوله عن ق. بولس أن جسم القيامة شيء وجسم الطبيعة على الأرض شيء آخر، هذا جسم روحاني سمائي، وهذا جسم ترابي مادي أرضي (1كو 15: 40و44). والمهم الذي يلزم أن نعرفه أن جسم القيامة جسم لا يُرى بالعين ولا يُسمع بالأذن وهو لا يعمل بالعين ولا بالأذن، ولكن يتفاهم الإنسان مع الإنسان ومع المسيح في القيامة بالتخاطب الفكري دون كلام، حيث الفكر مكشوف للفكر، وهو أقوى وأصدق من الكلام بالفم والسماع بالأذن.

وظهور الرب للتلاميذ في إنجيل ق. يوحنا والأبواب مغلّقة (19:20-23) يماثل قصة تلميذي عمواس، فهو تقليد اختباري واحد ليكشف قدرة المسيح المقام أن يظهر بكامل هيئته الأولى ثم ينسحب من الوجود المحسوس.

وفي هذا الجزء الأخير من الإنجيل يكدّس ق. لوقا التعليم الخاص الذي لقّنه المسيح للأحد عشر، ليكون إيمان الكنيسة الثمين جداً لتحفظه في خزانة قلبها وترضّعه لأولادها جيلاً بعد جيل. وتأكيد كل الملابسات على وضوح رؤية المسيح بالعين وسماعه بالأذن، هو لرفع العَمَى والصمم الذي أصاب إسرائيل على طول المدى الذي أوصلها إلى الهاوية، وليجعل الأسفار المقدَّسة مفهومة ومحسوسة ومسموعة بالروح.

36:24-43 **«وَفِيمَا هُمْ يَتَكَلَّمُونَ بهذا وَقَفَ يَسُوعُ نَفْسُهُ فِي وَسَطِهِمْ، وَقَالَ لَهُمْ: سَلاَمٌ لَكُمْ! فَجَزِعُوا وَخَافُوا، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ نَظَرُوا رُوحاً. فَقَالَ لَهُمْ: مَا بَالُكُمْ مُضْطَرِبِينَ، وَلِمَاذَا تَخْطُرُ أَفْكَارٌ فِي قُلُوبِكُمْ؟ اُنْظُرُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ: إِنِّي أَنَا هُوَ. جُسُّونِي وَانْظُرُوا، فَإِنَّ الرُّوحَ لَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَعِظَامٌ كَمَا تَرَوْنَ لِي. وَحِينَ قَالَ هذَا أَرَاهُمْ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ. وَبَيْنَمَا هُمْ غَيْرُ مُصَدِّقِينَ مِنَ الْفَرَحِ، وَمُتَعَجِّبُونَ، قَالَ لَهُمْ: أَعِنْدَكُمْ ههُنَا طَعَامٌ؟ فَنَاوَلُوهُ جُزْءاً مِنْ سَمَكٍ مَشْوِيٍّ، وَشَيْئاً مِنْ شَهْدِ عَسَلٍ. فَأَخَذَ وَأَكَلَ قُدَّامَهُمْ».**

واضح أن ظهور المسيح للأحد عشر هو توثيق للظهورات الفردية التي ظهر فيها، وتخصيص الكنيسة المجتمعة بظهوره ووجوده بقوة قيامته وفعلها وامتدادها لتدخل كيان الكنيسة كفعل دائم.

فظهوره هنا للأحد عشر هو تدشين أول كنيسة روحية على الأرض تجتمع مع عريسها السمائي الذي أعطاها لحمه وعظامه وقوة قيامته. وصارت بذلك الكنيسة هي نفسها جسد المسيح السرِّي. وواضح من بقية الآيات أنه سلَّم الكنيسة تحقيق وجوده السمائي ملموساً ومحسوساً ومنظوراً. فلمَّا خافوا وظنوه روحاً كملاك مثلاً، أفهمهم أن الخلائق السمائية ملائكة وغير ملائكة ليس لها جسم ولا لحم ولا عظام كما هو كائن أمامهم باعتباره الابن المتجسِّد هو هو، ولم يَقِلّ شيئاً بل زاد أنه امتدَّ بوجوده الجسدي بالقيامة إلى السماء. ولكن وجوده السمائي هو بالجسد الروحاني وليس بالجسد الأول، ولكن الجسد الروحاني الجديد بالنسبة للمسيح له استطاعة أن يكون مرئياً ومحسوساً، كما أن له استطاعة أن يسحب وجوده المنظور ليصبح موجوداً كما كان تماماً ولكن غير منظور وغير محسوس.

وهو حينما يكثّف ذاته ليكون موجوداً بجسده الأول يمكنه أن يأكل بصفة استثنائية لكي يؤمنوا أنه هو هو. ولكن في السماء أي بوجوده الروحاني في القيامة لا يأكل ولا يشرب.

وحينما ألحَّ عليهم أن يجسُّوه وينظروا يديه المجروحتين وقدميه المجروحتين، كان ليؤكّد لهم موته وصلبه الذي جازه من أجل البشرية التي فيه، التي أخذها لنفسه ليصنع فيها ولها وجوداً جديداً قائماً من الأموات بواسطة موته بها وقيامته بها. فصارت البشرية لها ما للمسيح من موت سابق وقيامة حاضرة ووجود سمائي دائم.

5 - آخر وصية للإرسالية
(49-44:24)

(مت 28:18-20)
(مر 16:15-18)
(يو 20:21-23)

ذهبوا إلىكل بلاد العالم حاملين الإنجيل باستعداد سفك الدم،
فزرعوا بدمائهم كنائس بلا عدد.

كل الأناجيل تحتفظ بهذا الجزء من ختام الإنجيل بوصية الإرسالية. وكل إنجيلي يضع هذه الوصية بأسلوبه، وهنا في إنجيل ق. لوقا يراجع المسيح معهم ما سبق وعلَّمهم به. وكيف أن الأسفار كلها ستكمل بواسطة إرسالية التلاميذ كجسم واحد متحد به وفيه، الذين سيحملون مفتاح المعرفة

ليدركوا معنى ومبنى كل ما جاء بخصوص العمل المسيَّاني في جميع الكتب، كما سبق وأوضح لتلميذي عمواس. بمعنى أن ظهور المسيح سواء للأفراد أو للأحد عشر مجتمعين كان مخصَّصاً بالدرجة الأولى لتسليم التلاميذ أول كل شيء سرّ فهم الأسفار بانفتاح ذهنهم، وثانياً لإدراك وتتميم كل ما جاء في الكتب لتكميل العصر المسيَّاني الذي لازلنا نسعى فيه لنكمِّله. على أساس أن فهم الأسفار وانفتاح الذهن لمطالب العصر المسيَّاني يعمل كله للبشارة والكرازة بكل وسائلها لجميع الأُمم. وقد حمَّل التلاميذ رسالته ليكمِّلها معهم بوعد دائم. فبقدر ما يشهدون له يعطيهم المزيد من المعرفة لمزيد من الشهادة، وينالون قوة من الأعالي حتى يستطيعوا بها أن يواجهوا كل العواصف وخاصة مقاومة الحق.

والقديس لوقا يشترك مع ق. متى في الوصية بالذهاب إلى "جميع الأمم"، والقوة الإلهية الممنوحة لهم. كما يشترك مع إنجيل ق. يوحنا في الوعد بالروح القدس وسرّ غفران الخطايا. وهذا كله صار تقليداً كنسياً يدخل في صميم التعليم. وهو يقوم أساساً على الوصية بالذهاب بعيداً لتسليم الأخبار السارة وغفران الخطايا وإعطاء القوة السمائية لكل مَنْ يعمل لاسم المسيح.

ويلزم أن نفهم أن ق. لوقا ليس هو الذي سلَّم هذا التقليد للكنيسة بل استلمه وسجَّله للأجيال القادمة.

24:44-49 «وَقَالَ لَهُمْ: هذَا هُوَ الْكَلاَمُ الَّذِي كَلَّمْتُكُمْ بِهِ وَأَنَا بَعْدُ مَعَكُمْ، أَنَّهُ لاَ بُدَّ أَنْ يَتِمَّ جَمِيعُ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنِّي فِي نَامُوسِ مُوسَى وَالأَنْبِيَاءِ وَالْمَزَامِيرِ. حِينَئِذٍ فَتَحَ ذِهْنَهُمْ لِيَفْهَمُوا الْكُتُبَ. وَقَالَ لَهُمْ: هكَذَا هُوَ مَكْتُوبٌ، وَهكَذَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ وَيَقُومُ مِنَ الأَمْوَاتِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، وَأَنْ يُكْرَزَ بِاسْمِهِ بِالتَّوْبَةِ وَمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا لِجَمِيعِ الأُمَمِ، مُبْتَدَأً مِنْ أُورُشَلِيمَ. وَأَنْتُمْ شُهُودٌ لِذلِكَ. وَهَا أَنَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ مَوْعِدَ أَبِي. فَأَقِيمُوا فِي مَدِينَةِ أُورُشَلِيمَ إِلَى أَنْ تُلْبَسُوا قُوَّةً مِنَ الأَعَالِي».

المسيح يطبِّق موته مع آلامه ثم دفنه ثم قيامته على ما سبق أن قاله لهم، وما سبق أن تنبَّأ به الأنبياء كما جاء في الكتب عمَّا حدث له في الحوادث الأخيرة. هنا تطبيق علم على عمل، نبوَّة على واقع، تعليم على تنفيذ، حتى يصير كل ما حدث هو موضوع المعرفة، كما يصير هو موضوع العمل بالمعرفة. ونستشف من ذلك أن المسيح الآن يميِّز في تعليمه بين ما قاله وهو معهم سابقاً وما هو الآن بالروح، بمعنى أنه أصبح للمسيح وجودان متميِّزان من صميم التعليم: وجوده الأرضي ووجوده السمائي، وهذا وذاك أكملهما في تعليمه السابق واللاحق، وأعطى توجيهاً لدراسة موسى والأنبياء

والمزامير لندرك هذه الرسالة العظمى في واقعها الأرضي ووجودها السمائي.

ولكي يجعل الأسفار مضيئة في أذهان تلاميذه أيَّدهم بانفتاح ذهنهم للمكتوب، لكي يستطيع الذهن إدراك ليس مجرَّد ما هو في الأسفار وإنما السر الروحي العميق الذي وراء كل ما كُتب عن المسيح. والقول الذي سبق المسيح وقاله: «لكم قد أُعطي أن تعرفوا أسرار ملكوت الله» (لو 8:10)، هنا دخل هذا الوعد حيِّز التنفيذ. فهنا الذهن المفتوح يبدأ يشتغل لحساب سر الله والحياة الأبدية في كل الأسفار ولكل الناس إلى مدى الأيام.

ثم وضع النقط على الحروف بالنسبة لابن الإنسان الذي طالما كان يذكره، فهو هنا مسيًّا بكامل سرِّه وقوته لأن المسيح كان دائماً حينما يتكلَّم عن آلامه وموته وقيامته ينسبها لابن الإنسان، هنا كشف سرّ ابن الإنسان أنه مسيًّا الدهور.

ثم نفس هذه الآلام والصلب والموت والقيامة التي سُلِّمت للكنيسة هي بعينها التي تحوي القوة للتوبة ومغفرة الخطايا. فاسم المسيح الذي يحمل كل ما أكمله من موت وآلام وقيامة، ثم مجد القيامة، هذا كله لحساب توبة الإنسان ومغفرة خطاياه!! هذه هي القوة المدّخرة لحساب الكنيسة الكارزة بالاسم المبارك الذي يحمل لها قوة ونفاذ عملها وصلواتها من أجل الخطاة الذين يطلبون التوبة وينالون غفران الخطايا، لجميع الأمم مبتدأً من أُورشليم. لذلك أوصى تلاميذه أن لا يبرحوا من أُورشليم حتى يُلبسوا قوة من الأعالي، وهي بعينها القوة الحاملة لسرِّ الإرسالية والمفتوحة على ملكوت الله. لقد أرسى المسيح بانفتاح ذهن التلاميذ على الأسفار وبمنحهم قوة من الأعالي، أرسى ملكوت الله لكي يكمِّلوا ما ابتدأه المسيح، وسيكمِّله المسيح بإرسال الروح القدس: «وها أنا أُرسل إليكم موعد أبي» ليؤازر هذه الإرسالية بقوة عظيمة لا تهدأ حرارتها حتى يأتي المسيح!

6 - صعود المسيح

(53-50:24) القديس لوقا وحده

- **صعد حاملاً البشرية الجديدة فيه ليقدِّمها إلى الآب كثمرة حبِّه للعالم، وعمل دم صليبه!!**
- **[وأعطاهم قرباناً لأبيه] (القداس الإلهي).**

يقف المسيح وقفة الكاهن الأعظم فارداً ذراعيه ليعطي الكنيسة ممثَّلة في تلاميذه البركة الأخيرة قبل صعوده إلى السماء ليتولَّى من فوق تدبيرها الإلهي الفائق، ولكن بعد أن يبثُّها روحه: روح المعلِّم الصالح، ويبثُّها رسالة المسيَّا ونعمته كابن الله: «وفيما هو يباركهم انفرد عنهم وأُصعِدَ إلى السماء» هذه هي البركة الأخيرة التي احتفظت بها الكنيسة لتُبارك بها شعبها كل صباح وكل مساء، بعد كل ليتورجية سواء للقراءة أو القداس، وهي التي تُسلّمها لكل روح تُولد في معموديتها لتقبل روح التبنّي وتدخُل بها في عداد الأُمة المباركة وشعب الاقتناء.

وبينما كان الرب يُبارك كان التلاميذ ساجدين له، وبعدما أُصعد رجعوا هم إلى أُورشليم بفرح عظيم، فرح شركتهم المقدَّسة التي صارت مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح (1يو 3:1). والتصقوا بالهيكل في بادئ خدمتهم يشاركون الهيكل صلواته ويسبِّحون مع المسبِّحين ويباركون الله.

50:24 **«وَأَخْرَجَهُمْ خَارِجاً إِلَى بَيْتِ عَنْيَا، وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَبَارَكَهُمْ».**

رفع اليدين بالبركة هو طقس هاروني: «ثم رفع هارون يده نحو الشعب وباركهم ...»(لا 22:9). وهكذا وبروح الكاهن الأعظم رفع يديه ليجمع الشعب غير المنظور عبر جميع أجيال الكنيسة ليتلقُّوا من المسيح البركة الدائمة التي ستدوم في فم كل كاهن إلى جميع الأجيال. لقد ورثت الكنيسة هذه البركة ككنز سماوي توزِّع منه على شعبها إلى مدى الأيام:

+ «وأمَّا رأس الكلام فهو أن لنا رئيس كهنة مثل هذا، قد جلس في يمين عرش العظمة في السموات خادماً للأقداس والمسكن الحقيقي الذي نصبه الرب لا إنسانٌ.» (عب 8: 1و2)

51:24 **«وَفِيمَا هُوَ يُبَارِكُهُمُ، انْفَرَدَ عَنْهُمْ وَأُصْعِدَ إِلَى السَّمَاءِ».**

هذا الصعود هو نفسه المذكور في بداية سفر الأعمال، ولكنه ذكره هنا ليختم به إنجيله كوضع حتمي لانتهاء كل ما يتعلّق بالمسيح على الأرض، وهذا لا يمنع أن يذكره مرَّة أخرى في بداية سفر الأعمال الذي يكمِّل به ق. لوقا عمل المسيح الأول على الأرض، فسفر الأعمال يبدأ بصعود المسيح ليتولّى زمام تدبير خدمة الكنيسة منذ اليوم الأول لها بعد حلول الروح القدس. وصعوده إلى السماء هنا مبني للمجهول ليعطي للآب والروح القدس فرصة الاشتراك في هذا الصعود.

وفي الحقيقة لم يكن إنجيل ق. لوقا قائماً بمفرده هكذا في البداية إذ كان يكمّله مباشرة سفر الأعمال ككتاب واحد. ولكن لمَّا رأت الكنيسة أنه يلزم أن تُجمع الأناجيل الأربعة معاً كوحدة واحدة يأتي بعدها سفر الأعمال، انفصل إنجيل ق. لوقا عن توأمه سفر الأعمال فعُملت له هذه الخاتمة الموازية لبداية سفر الأعمال بقلم ق. لوقا.

ويُلاحَظ هنا في خاتمة إنجيل ق. لوقا عدم الاستطالة في ذكر إعطاء الروح القدس بل الاكتفاء بالوعد به (49:24) لأنه أفرد لذلك فصلاً في بداية سفر الأعمال، من حيث الوعد به ومن حيث التحقيق في اليوم الخمسين من القيامة وبعد الصعود بعشرة أيام (أع 1و2)، وقد انفرد إنجيل ق. لوقا بهذا التحضير لحلول الروح القدس (49:24) كما هو مذكور بأكثر تفصيل في بداية سفر الأعمال إذ وضع له مقدّمة خاصة:

+ «وفيما هو مجتمعٌ معهم أوصاهم أن لا يبرحوا من أُورشليم، بل ينتظروا موعد الآب الذي سمعتموه منّي، لأن يوحنا عمَّد بالماء، وأمَّا أنتم فستتعمَّدون بالروح القدس، ليس بعد هذه الأيام بكثير ... لكنكم ستنالون قوة متى حلَّ الروح القدس عليكم، وتكونون لي شهوداً في أُورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض. ولمَّا قال هذا ارتفع وهم ينظرون. وأخذته سحابةٌ عن أعينهم ...» (أع 1: 4-9)

وهنا كشف ق. لوقا تدبير الله من حيث إعطاء الكنيسة وصية الاجتماع والصلاة الدائمة كجماعة مشفوعة بالصوم. وهكذا أعطى الله بهذا توجيهاً دائماً للكنيسة ولكل مؤمن إن أراد قبول الروح القدس أن يعدَّ نفسه له بالصوم والصلاة الدائمة.

52:24 **«فَسَجَدُوا لَهُ وَرَجَعُوا إِلى أُورُشَلِيمَ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ».**

هنا ولأول مرَّة في إنجيل ق. لوقا يذكر أن التلاميذ سجدوا أو عبدوا المسيح، وبها يكون الاعتراف الكامل بربوبية المسيح كإله. وهكذا ومع السجود الفرح العظيم، هذا الفرح يكشف أنه

حدث حقًّا حالة شركة سرِّية بين التلاميذ والمسيح وهي التي أعطتهم هذه الفرحة السماوية التي قال عنها المسيح إنه لا يمكن أن تُنزع منهم (يو 22:16) لأنها علامة القبول في ملكوت الله: «وأمَّا شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح، ونكتب إليكم هذا لكي يكون فرحكم كاملاً» (1يو 1: 3و4). وكلمة "كاملاً" هنا باليونانية: "peplhrwmšnh" وتعني: "مُحققاً = fulfilled" أو "مُكمَّلاً = complete"، لأنه من حيث تحقيق هذا عملياً معروف أنه في اجتماع المؤمنين في شركة الرب بالصلاة والتسبيح والتناول تظهر في الحال حالة فرح طاغٍ تعمّ الجميع. هذا هو الفرح الكامل بصفته أنه تحقّق وأنه كامل بالآب والابن والروح القدس. وصفة الفرح التي أعطاها ق. لوقا للسجود وعبادة الرب يسوع هي فرح عظيم، وهذه الصفة سماوية وهي تعبِّر عن منتهى الفرح الذي هو الفرح الكامل.

53:24 **«وَكَانُوا كُلَّ حِينٍ فِي الْهَيْكَلِ يُسَبِّحُونَ وَيُبَارِكُونَ اللهَ. آمِينَ».**

وهكذا يختم ق. لوقا إنجيله بمنظر تسبيحي يملأه الفرح داخل الهيكل، وهكذا بدأ الهيكل يحتضن الكنيسة إلى حين. ولكن هذه هي أول مرَّة في تاريخ الهيكل الطويل أن تحدث عبادة داخله بفرح عظيم. ويبدو أن ق. لوقا يدخل قليلاً الآن في سفر الأعمال لأنالفرح العظيم هو من عمل الروح القدس بكل تأكيد. وهكذا تمَّ كلام الرب يسوع أنه سيبني هذا الهيكل جديداً عوض القديم. وهكذا بدأت أول علامات الهيكل الجديد بالرسل يعبدون الرب بفرح عظيم! الذي سينتهي بهم إلى الخروج خارج الهيكل لهدمه على يد تيطس في الوقت الذي فيه الكنيسة تبتدئ أن تعلو ورأسها سامقة نحو السماء.

والآن نأتي إلى ختام شرح إنجيل القديس لوقا الذي استحوذ على قلبنا وفكرنا،
فكنا نتأمَّل ونكتب وكأننا نرافقه ونستمع إليه، وما كنَّا نود أن ننتهي منه،
فجوعنا إلى كلمة الإنجيل لا يقبل الشبع منها أبداً.

الأحد 10 ديسمبر سنة 1995م.
30 هاتور سنة 1712 ش.